



حكومة إقليم كردستان - العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة دهوك

من منشورات جامعة دهوك

تاريخ دولة الاكراد والاتراك تاريخ دولة الاكراد

لمؤلف مجهول

توفي بعد سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م

دراسة وتحقيق

الدكتور موسى مصطفى الهسنياني

جامعة دهوك / كلية الآداب

- عنوان الكتاب: تاريخ دولة الاكراد والاتراك (تاريخ دولة الاكراد)
- تأليف: لؤف مجهول توفي بعد سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م.
- دراسة وتحقيق: الدكتور موسى مصطفى الهسنياني
- تنضيد: هلبين عبد الواحد
- تصميم والاشراف الضني: نازدار احمد جزراوي
- رقم الايداع: ٢٠٤٣ في ١٠/٢/٢٠٠٩
- الطبعة: الاولى
- مطبعة جامعة دهوك - ٢٠١٠

"حقوق الطبع محفوظة لجامعة دهوك و لا تجوز أية صيغة استنساخ او تصوير
أو طبع أو خزن إلكتروني الا بإذن من الناشر، جامعة دهوك"

A S R

قال الشيخ محمد بن ابراهيم بن محمد بن شيخنا
 في انصار المشركين الامم الارض
 تاريخ دولة الاكراد في
 تاريخ دولة الاكراد في
 من كتابه في بيان احوال
 والزهاده والطاه والسحرة والصوفية والخواص
 والسالكين واللغز والخيالات والاعمال
 رحمه الله اجمعين
 في شهر ربيع الثاني من سنة
 في شهر ربيع الثاني من سنة
 في شهر ربيع الثاني من سنة
 في شهر ربيع الثاني من سنة
 في شهر ربيع الثاني من سنة
 في شهر ربيع الثاني من سنة

صفحة العنوان



A

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ"

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

آلِ عِمْرَانَ: ١٤٠



الاهداء

الى الارواح الطاهرة
روح المعلم الاول في حياتي الذي تعلمت منه قبل ان اعرف
القراءة والكتابة أخي.

حَسَن

الى روعي والدي
مع الدعاء لهم جميعاً
بالرحمة
والمغفرة
والجنة
الى ولدي روز الذي حرمته كثيراً من وقتي لأنجاز هذا العمل
اهدي جهدي المتواضع هذا..

المحقق



رموز الكتاب

توفي	= ت
مجلد	= مج
جزء	= ج
القسم	= ق
صفحة	= ص
اكثر من صفحة	= ص ص
page	= P
papes	= Pp
Volume	= V



توضيحات

- ١- ما بين القوسين () نصوص مقتبسة من مصادر اخرى كتبت في الهامش لغرض التوضيح، او مقتبسة احيانا من المخطوط نفسه في القسم الخاص بالداراسة.
- ٢- ما بين الحاصرتين [] هو اضافات من كتب اخرى او من عندنا للتوضيح.
- ٣- دون في الهوامش اسم المؤلف وعنوان الكتاب بشكل مختصر عند ورده للمرة الاولى او تكرار ورودها لانها مصادر معروفة، بينما ذكر اسم المؤلف كاملاً وكذلك عنوان كتابه بالنسبة للمراجع الحديثة، عندما احلت اليه للمرة الاولى، ثم ذكرت اسم المؤلف وعنوان الكتاب على وجه الاختصار عند تكرار الاحالة، كما اوردت اسم المؤلف كاملاً وسنة وفاتة وعنوان الكتاب كاملاً بالاضافة الى كافة المعلومات النشرية في قائمة المصادر والمراجع في آخر الكتاب. ولا بد من التنويه الى ان تعريف الاعلام والاماكن والمصطلحات قد تم في القسم الخاص بالتحقيق.
- ٤- اعتمدت التاريخ الهجري في ايراد الحوادث واشرت الى ذلك في المواضيع الضرورية فقط.



تقديم

كثيراً ما كنت اسمع من التدريسيين في كلية الاداب/ قسم التاريخ/ جامعة دهوك، ان هناك مخطوطاً بعنوان "تاريخ دولة الاكراد والاتراك" وهو مخطوط مهم وغير محقق مع انه موجود في القاهرة. ولأني كنت عميداً للكلية خلال المدة ١٩٩٦-٢٠٠٢، كان التدريسيون يطلبون مني ان اسعى للحصول عليه. ولم اتمكن من ذلك خلال مدة عمادتي التي انتهت في تشرين الاول ٢٠٠٢ بالغاء كليتي الاداب والعلوم ودمجهما في كلية واحدة بأسم (كلية التربية).

ظل موضوع الحصول على المخطوط يشغل تفكيري، واخذت اسأل عنه ان كان موجوداً في مراكز المخطوطات في مكتبات جامعة الموصل، ومكتبة اوقاف محافظتي الموصل والسليمانية، وفي مركز حفظ المخطوطات في بغداد ودمشق فلم اجد له اثر، ولم يكن السفر الى القاهرة امراً سهلاً بالنسبة لي، وبعد سقوط نظام حكم البعث في العراق في ٩ نيسان ٢٠٠٣، عادت مسألة الحصول على هذا المخطوط الى الواجهة، فقد ذكرني بالحصول عليه الدكتور موسى مصطفى (المحقق) والدكتور درويش يوسف وكلاهما من التدريسيين النشطين في قسم التاريخ. وبعد اتصالات عديدة وفقت، وبواسطة صديق الشعب الكوردي والكاتب والخبير المصري في الشؤون الكوردية الاستاذ رجائي فايد، في الحصول على المخطوط سنة ٢٠٠٤ م.

كان في نيتي ان اقوم انا بتحقيق المخطوط، ولكن ادركت بعد ايام من قراءة بعض صفحاتها، ان الموضوع بعيد عن اختصاصي وعن مجال اهتماماتي، ولتحقيق الاستفادة المرجوه، يجب ان يقوم بالتحقيق مختص في التاريخ الاسلامي وله خبرة في تحقيق المخطوطات. وعندما عينت مسؤولاً (بدرجة عميد) لمركز الدراسات الكوردية وحفظ الوثائق في نهاية سنة ٢٠٠٥ م، ارتأيت ان يكون تحقيق هذه المخطوطة باكورة لاعمال المركز، وان افضل من يقوم بهذا العمل العلمي هو الزميل الدكتور موسى مصطفى

ابراهيم، فكان كما توقعت، اذ قام بالتحقيق على احسن ما يكون، وقدم عمله بدراسة ممتازة عن المخطوط ومؤلفها.

– ان عنوان المخطوط (تاريخ دولة الاكراد والاتراك) فضلاً عن انه مثير، فانه ناهيكم عن ما ورد في متنها، قد حسم خلافاً حاداً وجدلاً بين المؤرخين المحدثين حول حقيقة كون الدولة الايوبية دولة كوردية ام لا؟^(١) او هل هناك دول في التاريخ الاسلامي اسسها الكورد وحكموها؟

هذه المخطوطة قد حملت على صفحة عنوانها " تاريخ دولة الاكراد والاتراك "، ومن حسن الحظ ان هذا الجزء الخاص بتاريخ الكورد هو الموجود بالاستناد على فهارس المخطوطات ومواقع المكتبات على شبكة (الانترنت)، اما الجزء الخاص بتاريخ دولة الاتراك (الماليك) فمفقود الى الآن.

يغطي هذا الجزء من المخطوط، تاريخ الدولة الايوبية التي يسميها المؤلف بدولة الاكراد ابتداءً من سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م الى سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م)، اي احداث (٨٤) سنة، وهي في الحقيقة عمر تلك الدولة، ويبرز من خلال محتويات المخطوط خصوصية هذه الدولة وصيغتها الكوردية في اكثر من موضع، ومما يزيد من اهميته ان مؤلفها قد عاصر اواخر هذه الدولة، وينقل رواياته عن تلك المدة، ومن الأشخاص الذين شاركوا في صنع أحداثها، او كانوا شهود عيان عليها. كما انه يعتمد على مصادر رصينة عند حديثه عن بدايات قيام تلك الدولة الكوردية.

وفي الوقت الذي يشكر فيه المركز الاستاذ الكريم رجائي فايد لإرساله المخطوط اليه، فان المركز يعتز ويفخر ان يكون السباق والرائد في تحقيق وطبع ونشر هذه المخطوطة المهمة، آمليين ان يسد هذا الجهد العلمي المتواضع فراغاً في المكتبة التاريخية في مجال تاريخ الكورد وكوردستان في العهود الاسلامية.

الاستاذ الدكتور
عبدالفتاح علي البوتاني
مدير المركز

(١) من المناسب ان تذكر هنا كتاب: علي ظريف الاعظمي، مختصر تاريخ بغداد، (بغداد، ١٩٢٦)، اذ ورد فيه بحث بعنوان " الدولة الكردية في بغداد ٩٣٠ - ٩٣٦ هـ".

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وبعد:

يبقى التراث هو الرصيد الحي للامم والشعوب لذلك لا بد من العناية به، وبما ان كتب التراث مخطوطة فإنه من الصعوبة بمكان الاستفادة منها الفائدة المرجوة، لأنها تكون عادة نسخة واحدة او عدة نسخ في اكثر من مكتبة في العالم فهذه المخطوطات تسلط الاضواء على حياة الامم والشعوب، وما اوجدته من نظم سياسية وادارية واقتصادية واجتماعية وعمرانية، وما قدمته من اسهامات وإضافات فكرية اغنت المسيرة الثقافية للبشرية.

ومن هذا المنطلق اقدمنا ويتواضع على دراسة وتحقيق جزء من مخطوطة (تاريخ دولة الاكراد والاتراك) وهو الجزء الخاص بتاريخ (دولة الاكراد)، لمؤلف مجهول.

ان الاجزاء الاخرى للمخطوط لا تزال في عداد المفقودات لسبب او لآخر، والموجود منها هو الجزء الذي بين ايدينا، والاكثر من ذلك ان هذا الجزء نفسه هو ايضاً نسخة يتيمة، لم نعر على نسخة اخرى منها رغم البحث والتقصي في قهارس المخطوطات بالمكتبات التي تحتوي على المخطوطات، وعلى شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) لمواقع مثل هذه المكتبات، بالاضافة الى سؤال ذوي الخبرة والاختصاص بالتحقيق.

وانطلاقاً من القول المأثور: ما لم يعلم كله لا يترك حله، اقدمنا على هذه الخطوة بعد التأكد من ان المخطوط لم يحقق بعد، ويتبين لنا من عنوان المخطوط ومحتواه اللذين كانا هما الدافع في الحقيقة على البحث عنه والحصول على نسخة مصورة منه، انه من نمط التواريخ المختصة بالدول الذي هو احد انماط التدوين في التاريخ الاسلامي، وان هذا الجزء هو الخاص بتاريخ دولة الاكراد ويقصد به (دولة الكورد الايوبية)، حيث يغطي حياة هذه الدولة منذ بداياتها الاولى سنة (٥٧١ هـ/ ١١٧٥م) عندما تأسست على

انقراض دولة الاتابكة الزنكيين _ بعد وفاة الملك العادل (نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي آقسنقر الحاجب) سنة (٥٦٩ هـ/١١٧٢م)، _ على يد السلطان (صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب الروادي الهذباني الكوردي)، متبعاً في ذلك النظام الحولي في التدوين حتى نهاية سنة (٦٥٥ هـ/١٢٥٧م)، علماً بأن نهاية (دولة الاكراد) من الناحيتين العملية والنظرية في مصر كانت سنة (٦٥٢ هـ/١٢٥٤) بعد نجاح مؤامرة مماليك بني ايوب على اسيادهم سنة (٦٤٨ هـ/١٢٥٠م) عندما اقدموا على اغتيال (الملك المعظم توران شاه بن السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب)، آخر سلاطين بني ايوب في مصر من الناحية الفعلية، واسدال الستار على تاريخ دولة الاكراد في بلاد الشام كانت سنة (٦٥٨ هـ/١٢٦٠م) على يد المغول، ومما يشار اليه ان هناك نقصاً في بعض اوراق المخطوط، من الاول والاخير كما هو واضح على صفحة العنوان.

وهناك مسألة على قدر من الاهمية من وجهة نظرنا لا بد من الوقوف عندها قليلاً، وهي تحديد نهاية دولة الكورد الايوبية، ولاجل ذلك فإن المقصود بها هو نهايتها في مصر، لان الفرع الايوبي الذي حكم في بلاد الشام ظل قائماً حتى سنة (٦٥٨ هـ/١٢٦٠م) عندما سقط على يد المغول، وفي الحقيقة هناك اختلاف بين المؤرخين حول ذلك، فالبعض يرى انها قد انتهت باغتيال الملك المعظم توران شاه سنة (٦٤٨ هـ/١٢٥٠م) وان شجر الدر تعتبر اولى سلاطين المماليك في مصر^(١)، ورأي هولاء في اعتقادي يقوم على النتيجة التي ترتبت على سلطنة شجر الدر، وهي قيام الدولة المملوكية، أي انها لا تقوم على تقويم لهذا الحدث المهم، انطلاقاً من ظروف وزمان الحدث نفسه، لذلك فسلطنة شجر الدر يمكن اعتبارها امتداداً طبيعياً للدولة الايوبية هناك، ويدرجها ابن اياس^(٢) صراحة ضمن سلاطين بني ايوب الذين حكموا في مصر، وانها كانت تحمل على السكة وفي توقيعها من الالقب ما يشير الى ذلك^(٣)، ولذلك فإنه يمكن اعتبار فترة حكمها مرحلة انتقالية بين انتهاء الدولة الكوردية الايوبية، وقيام الدولة المملوكية البحرية، وان سلطنتها كانت بناء

(١) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦١.

(٢) بدائع الزهور، ١/٨٩.

(٣) ابن الوردي، تمة المختصر في اخبار البشر، ١٨٣/٢، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٢، العيني، عقد الجمان، ص ٢٩.

لمقتضيات الضرورة المرحلية، التي وجد المماليك انها غير مناسبة لتولي احدهم السلطنة وانهاء الحكم الايوبي بشكل كامل في ذلك الوقت، وعليه يمكن القول انه رغم مؤامرة المماليك وتحكمهم في مقدرات البلاد من الناحية الفعلية الا ان الخطبة والسكة والمناشير التي كانت من رموز السيادة والسلطنة تصدر باسم الايوبيين حتى سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) عندما اقدم عز الدين ايبك (الملك المعز) على عزل الملك (الاشرف موسى الايوبي) وجعل شارات السلطنة باسمه، ويؤيد هذا الرأي ايضا المؤرخ (العصامي المكي)^(١) (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) عندما يذكر ضمن احداث سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) عزل الملك الاشرف موسى الايوبي، وبها انتهت الدولة الايوبية الكوردية في مصر، اما السنوات الثلاث التالية التي يستمر المؤلف في ايراد احداثها لغاية سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) فهناك اكثر من تفسير لها حسب اعتقادي، ربما يكون المؤلف قد اتخذ من مقتل شجر الدر في تلك السنة النهاية الطبيعية للدولة الكوردية، حيث يعتبرها (روم لاندو)^(٢) انها كانت آخر الايوبيين وأول ممثل للدولة المملوكية، والتفسير الثاني ان تلك السنوات كانت مشحونة بالصراع بين الايوبيين في بلاد الشام والمماليك في مصر، أي ان الصراع لم يكن قد انتهى بعد لصالح الدولة المملوكية الناشئة.

ولا بد من الاشارة هنا الى ان المخطوط رغم كون عنوانه خاص بدولة الاكراد، الا انه يمكن القول انه من نمط التواريخ العامة حيث يشير الى الاحداث التي وقعت في العالم الاسلامي الى جانب التركيز على الدولة الايوبية الكوردية، فمثلاً يقدم تغطية جيدة لاحداث الشرق وعلاقات الدولة الخوارزمية مع المغول وما آل اليه مصيرها، وما دار في المغرب والاندلس ايام الموحدين وبالتحديد في عهد يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن والصراع في الاندلس مع الفونسو الثامن ملك قشتالة لدرجة انه خصص سنة (٥٩١هـ/١١٩٤م) فقط للصراع الذي دار بين الطرفين في معركة الزلاقة^(٣)، وتابع وقائع ذلك الصراع في السنة التالية^(٤)، ثم قدم ترجمة طويلة للملك المنصور ابو يوسف يعقوب الذي

(١) سبط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، ١٥/٤.

(٢) الاسلام والعرب، ص ٩٨.

(٣) الورقة: ٦٠-٦١-٦١-أ.

(٤) الورقة: ٦١-ب.

توفي سنة (٥٩٥ هـ/١١٩٨م) وجزء من سيرته^(١) هذا ولم يهمل المؤلف اخبار عاصمة الخلافة العباسية وما دار فيها من احداث ووقائع مع القوى المجاورة المتغلبة، بالاضافة الى اخبار اخرى متفرقة تشمل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والكوارث والظواهر الطبيعية، مع ذكر وفيات المعروفين في كل سنة. وقد اعتمدنا نسخة مصورة، عن مصورة معهد احياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية (القاهرة)، عن النسخة الاصلية في مكتبة حكيم أوغلو علي باشا (رقم ٦٩٥)، ولكن للأسف الشديد قد سقطت منه الورقة (١٦٦) ربما سهواً عن طريق خطأ في التصوير، بالاضافة الى تشوه أصاب الورقة (١٩٧) ، وقد حاولت ان احصل على نسخة ثانية من الورقتين سواء من النسخة المصورة في القاهرة، او عن نسخة الاصل في مكتبة حكيم أوغلو علي باشا (السليمانية/ استنبول) ولكن بابت تلك المحاولات بالفشل، غير ان ذلك لا يقلل من اهمية المخطوط الذي يعد نسخة نادرة في اصله ومادته وعنوانه وبالتالي يشكل مصدراً اساسياً من مصادر التاريخ الاسلامي بشكل عام، وعن تاريخ دولة الكورد الايوبية بشكل خاص.

وأود أن أشير هنا بأن معرفة وجود ذلك المخطوط كان سنة ١٩٨٩ م عندما كنت طالب الماجستير في مرحلة البحث، حيث وردت في قائمة موارد البحث (المخطوطات) لاطروحة الدكتوراه الموسومة (الايوبيون في شمال الشام والجزيرة) للدكتور (محمود ياسين التكريتي)، وقد ذكر بأنها قيد التحقيق من قبله بالاشتراك مع الدكتور (حسين الداقوقي) في جامعة بغداد، وبما ان دكتور محمود ياسين كان في جامعة الموصل واعرفه جيداً حيث سبق وان تلقيت منه الدرس في مرحلة البكالوريوس، فقد ذهبت اليه للاستفادة من المخطوط في موضوع رسالتي للماجستير، غير انه ذكر بانها في حوزة الدكتور الداقوقي، وعندما ذهبت الى بغداد والتقيت بالاخير واخبرته عن الموضوع اقسامه بانه لم يرى مثل ذلك المخطوط، وأن كل ما في الأمر بان الدكتور التكريتي أخبره في احدى المرات بان هناك مثل ذلك المخطوط، وما اذا كان مستعداً ان يشاركه في تحقيقها، فكان جوابه بالايجاب.

(١) الورقة: ٦٦- أ- ب- ٦٧- أ- ب- ٦٨- أ- ب.

وعدت الى الدكتور التكريتي مرة اخرى ولكن دون جدوى، هكذا انتهت المحاولات الى طريق مسدود في عراق عام (١٩٨٩ م) لاستحالة السفر الى الخارج في ذلك الوقت بالنسبة لشخص مثلي لغرض الحصول عليها، غير انها ظلت حلاً تراود مخيلتي ولم اتمكن من نسيانها او تناسيها، وعندما غادرت العراق الى ليبيا سنة (١٩٩٧ م) حاولت هناك كثيراً لغرض الحصول على المخطوط عن طريق بعض الزملاء من الاساتذة المصريين ولكن دون جدوى، ثم حاولت من هناك السفر الى مصر في صيف سنة (٢٠٠٠ م)، وراجعت القنصلية المصرية في بنغازي لغرض الحصول على التأشيرة وطال الانتظار من غير نتيجة ايضاً.

ورغم كل تلك الاخفاقات وطول السنين فان محاولات الحصول عليها لم تتوقف بعد عودتي الى العراق سنة (٢٠٠٢ م)، واخيراً اسعفتنا الحظ وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى بالحصول على نسخة مصورة منها عن طريق مركز الدراسات الكوردية وحفظ الوثائق وبجهود مديرها (أ. د. عبدالفتاح بوتاني) وبواسطة الاعلامي المصري الاستاذ (رجائي فائد). وهكذا اصبح الحلم حقيقة، واقدمنا بتواضع على دراسة وتحقيق هذا الأثر النادر لأمة اسعفتها الحظ هذه المرة في التاريخ بصيانة هذا السفر من تاريخها لأول مرة ويعنوان واضح وصريح ومحدد.

وقد تم وضع دراسة للمخطوط الى جانب التحقيق يتضمن اربعة فصول، تناولت في الفصل الاول مؤلف المخطوط ووصف نسخة المخطوط.

وعرض الفصل الثاني دراسة عن مصادر المؤلف. وتطرق الفصل الثالث الى منهج المخطوط واسلوب مؤلفه، وتناول الفصل الرابع والاخير الى اهمية المخطوط.

واحتوت الدراسة على خمس ملاحق، الملحق الاول فهرس عن الآيات القرآنية، والثاني بالاعلام الواردة فيه، والثالث فهرس الاماكن والبلدان، والرابع فهرس المصادر والمراجع والخامس والاخير فهرس المحتويات.

ولقد قمت بمقارنة الحوادث والتراجم الواردة فيه مع عدد من المصادر الرئيسية مشيراً الى الاختلافات بينهما في الهامش، ثم خرجت التراجم، واحلت القارئ الى عدد من المصادر المختارة للاطلاع والاستزادة، وقدمت تعاريف للاعلام الواردة فيه من الاشخاص والمدن والمواقع والمذاهب والمصطلحات الغريبة وغير المألوفة، سواء كانت لغوية او حضارية، وحاولت التركيز في التعليق على النصوص واختيار المهم.

ومما يشار اليه بهذا الصدد ان الباحثين يرفضون نشر المخطوطة وحيدة النسخة حرصاً منهم على سلامة التراث من الدخيل والشك في نسبتها ونسبتها، واشترطوا في التحقيق والنشر ان تكون المخطوطة متعددة النسخ، لكنهم قد يتجاوزون هذا الشرط متى دعت الضرورة، والضرورات كما نعلم جميعاً تبيح المحظورات، لذلك فقد اباحوا نشر المخطوطة الوحيدة النسخة متى تأكد الاحتياج اليها بأن كانت بها الاجابة على كثير من الاسئلة، او ذات قيمة نادرة ومن هذا المنطلق اقدمنا على هذه الخطوة.

وحاولت جهدي فان أصبت فبتوفيق الله، وان اخطأت فمن عندي وفوق كل ذي علم عليم، ومنه وحده التوفيق والسداد.

الدكتور

موسى مصطفى الهسنيانى

استاذ التاريخ الاسلامي المساعد

مركز الدراسات الكوردية وحفظ الوثائق/ جامعة دهوك

الفصل الاول

مؤلف المخطوط ووصف نسخة المخطوط

مؤلف المخطوط:

تناول الفصل الاول من الدراسة مؤلف المخطوط، غير انني فوجئت بان الاسم الكامل للمؤلف كما هو وارد على المخطوط (محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابي القوارس عبدالعزيز الانصاري الخزرجي)، وعنوان المخطوط (تاريخ دولة الاكراد والاتراك) لم يرد في المعاجم وكتب التراجم ذات العلاقة مثل (معجم المؤلفين) لعمر رضا كحالة و(هدية العارفين) للبغدادي، و(تاريخ الادب العربي) لبروكلمان، و(تاريخ التراث العربي) لفضّاد سزكين، و(كشف الظنون) لحاجي خليفة، وغير ذلك من كتب عكفت على بيان مواطن المخطوطات في العالم، بالاضافة الى عدم وروده في كتب التراجم مثل (الوافي بالوفيات) للصفيدي (ت ١٣٦٢هـ/١٧٦٥م)، و(وفيات الاعيان وانباء الزمان) لابن خلكان (ت ١١٨٢هـ/١١٨٢م)، و(فوات الوفيات والذيل عليها) للكتبي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، و(شذرات الذهب في اخبار من ذهب) لابن العماد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، وكتاب (الدرر الكامنة في تراجم المائة الثامنة) لابن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٢١م)، و(الضوء اللامع لاهل القرن التاسع) للسخاوي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، بالاضافة الى البحث في كتب التراجم للطبقات مثل (طبقات الشافعية) للسبكي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، و(طبقات الشافعية) للاسنوي (ت ٧٧٢هـ/١٢٧٠م)، و(الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية) لابن ابي الوفاء (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، لذا لم اتمكن من اثبات صحة نسبة الكتاب الى المؤلف المثبت خطأ في صفحة العنوان... وهكذا فان اسم المؤلف بقي مجهولا ويمكن ان نقول انها لمؤلف مجهول توفي بعد سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) وعدم صحة نسبة المخطوط للمؤلف المنسوب له وهو (محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابي القوارس عبدالعزيز الانصاري الخزرجي ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م). حيث ان ما ذكر على الورقة الملحقة

بالمخطوطة والتي وضع عليها عنوان المخطوطة (تاريخ دولة الاكراد والاتراك) واسم المؤلف، لم يكن دقيقا، وذلك:

أ- ان ورقة العنوان لم تكن من ضمن المخطوطة المشار لها وذلك لكون تلك الورقة تختلف تماما من حيث الخط والحبر عن بقية اوراق المخطوط.

ب- ان اختلاف خط ورقة العنوان عن بقية اوراق المخطوط يقدم دليلا على كون تلك الورقة قد الحقت فيما بعد بتلك المخطوطة التي على ما يظهر انها لم تكن كاملة حيث يوجد بها نقص في البداية والنهاية. والاكثر من ذلك ان تكلمت عنون المخطوط (ومن مات فيها من اعيان الفقهاء والزهاد والنحاة والشعراء والصوفية والحكماء والمتكلمين واللغويين والمحدثين الى غير ذلك رحمهم الله اجمعين) قد كتب بخط وحبر يختلفان عما كتب به العنوان الرئيسي للمخطوط واسم المؤلف، لا بل وعن عموم ما كتب به المخطوط.

ج- عدم وجود بداية معتمدة للمخطوط، حيث اعتاد المؤلفين ان يبدوا كتبهم بديباجة يتضح من خلالها ان المخطوط غير ناقص من البداية، وان عدم وجود مثل تلك الديباجة واختلاف خط العنوان، يثبت ان اسم المؤلف وعنوان المخطوط ووجه الورقة الاولى قد اضيف لها فيما بعد من قبل ناسخ من النساخ او مالك لتلك المخطوطة ولم يكن دقيقا في تثبيت العنوان.

د- لم تكن المخطوطة بخط المؤلف حتى يكون دقيقا في تثبيت اسمه وعنوان كتابه وانما كانت صفحة العنوان بخط ناسخ من النساخ وخط بقية المخطوطة بخط ناسخ اخر.

هـ- ان الاسم الذي وجد على صفحة العنوان لم تكن من ضمن اصل المخطوطة وانما الحقت بها لكونها بخط وحبر مغاير، لم يكن يمثل شخصية حقيقية كانت قائمة بنفسها، لاننا عندما نبحث عنه في جميع المصادر والمراجع العربية والاجنبية لا نجد له ذكرا لكونه اسم وضع لشخص موهوم لا وجود له في كتب التراجم والطبقات...

كذلك في حالة اخذ عنوان المخطوطة (تاريخ دولة الاكراد والاتراك) فلا نجد لها ذكر في كتب التراجم والطبقات وكتب الفهارس المعتمدة.

و- ان ذلك يقدم اكثر من دليل من ان عنوان المخطوطة لم يكن كما هو مثبت عليها، وان مؤلفها ليس هو الاسم الحقيقي المثبت على غلاف المخطوط الموضوع فيما بعد... لكون العنوان لم يثبت المؤلف لان المخطوطة ليس بخط مؤلفها، ولم يثبت الناسخ لكون ورقة العنوان ووجه الورقة الاولى منها ساقطة في الاصل واذيف لها من قبل شخص اخر جهل عنوان المخطوطة واسم مؤلفها، ولكنه من خلال قراءتها وجدها تتناول تاريخ (دولة الاكراد الايوبية) ومعلومات كثيرة عن الاكراد لذا اختار لها عنوانا، وبمجرد النظر الى العنوان وحتى بدون استخدام عدسة تكبير يتضح لنا الاختلاف في الخط، وان الاضافة فيما بعد اضيفت للمخطوط ويظهر ذلك واضحا من خلال الاختلاف بنوعية الحبر وطريقة الخط في حالة مقارنته بأوراق المخطوط الاخرى. وعليه، ونظرا لاهمية المادة التي تتضمنها المخطوطة، تكون العالجة بتغير العنوان الى: مخطوطة في تاريخ دولة الاكراد لمؤلف مجهول.

وصف نسخة المخطوط:

يقع المخطوط في (١٩٧) ورقة (لوحة)، ومسطرتها (٢١) سطرا، بمقياس (٢٤,٥×٥,١٧) سم، وبمعدل (١٠) عشرة كلمات تقريبا في كل سطر، مكتوبة بخط نسخ نفيس في القرن الثامن الهجري، وهي غير مرقمة في الاصل، غير انه تم ترقيمها لاحقا وربما من قبل مفرس المكتبة التي تحتفظ بها في اعلى جهة اليسار.

وفي اعلى يمين صفحة العنوان اسم المؤلف المفترض من قبل الناسخ او مالك المخطوط محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابي الفوارس عبدالعزيز الانصاري الخزرجي، وبالمقابل في اعلى جهة اليسار، فيه مائة وسبعة وتسعون ورقة، وتحتها مباشرة في اعلى الوسط عنوان المخطوط (تاريخ دولة الاكراد والاتراك) وتحتها بخط أصغر وعلى جهة اليمين (ومن مات فيها من اعيان الفقراء والزهاد والنحاة والشعراء والصوفية والحكماء والمتكلمين واللغويين والمحدثين الى غير ذلك رحمهم الله اجمعين، وبخط وحرير يختلفان عما كتب به اسم المؤلف المفترض وعنوان المخطوط، وعموم ما كتب به المخطوط، وبالمقابل على جهة اليسار ثمة عبارة بخط مختلف تحت العنوان لم أستطع قراءتها كاملة بسبب عدم وضوحها وهي

(هذه الترجمة بخط... المؤرخ... المحدث... الدزعرافي (كذا وهذه القراءة غير مؤكدة) (المصري).

وتحت هذه العبارة وتكملة العنوان اسم مالك المخطوط (من كتب العبد الفقير الى الله سبحانه محمد بن عبد الباقي بن محب الدين عقي عنهم)، وبعدها مباشرة في منتصف صفحة العنوان السنوات التي يغطي المخطوط احداثها كتابة، ومع انه لا يمكن قراءتها كاملة وهي (فيه من [...] ^(١) ني وخمسين وخمس مائة ... ستين وستمائة).

وتحتها مباشرة الفترة التي يتناول هذا الجزء احداثها رقماً (٥٧١: ٦٥٥) وبشكل غير معتاد لان جميع التواريخ وردت في المخطوط كتابة لا رقماً، وبعد منتصف الصفحة وفي اعلى جهة اليمين عنوان هذا الجزء من المخطوط وهو (تاريخ دولة الاكراد)، ثم ختم لوقفية غير مقروءة، وتحتها ايضاً في جهة اليمين تكرار تملك للعالمك الاول (من كتب الفقير [الى] ^(٢) عفو ربه المتين محمد بن عبد الباقي بن محب الدين عقي عنهم)، ومقابل عنوان (تاريخ دولة الاكراد) في جهة اليسار يوجد تملك آخر جاء نصه كالآتي (في نوبة العبد الفقير الى الله محب الدين الرمكي)، فهل هو جد صاحب التملكين السابقين، ذلك ما لا يستطاع تحديده، او نفيه.

وعلى الورقة التالية من جهة اليمين [أ] ختم لوقفية غير مقروءة تماماً، وبيت شعر هو:

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكانها وكأنهم أحلام ^(٣)

وفي جهة اليسار [ب] مطالعة نصها (طالع فيه محمد).

وتبدأ الورقة الاولى [أ] بالبسملة، والصلاة والسلام على محمد وآله، ثم ذكر سنة (٥٧١هـ) كتابة والاحداث التي وقعت فيها، ومما يلاحظ فيه ان هذه الصفحة قد اضيفت اليها وليس بخط المؤلف او الناسخ، لان الخط وطريقة الكتابة وعدد الاسطر والكلمات في

(١) يبدو أنها ثلثي أي سنة (٥٥٨هـ) التي ارسل فيها حملة اسد الدين شيركوه الاولى الى مصر وذكر بداية امره وأمر اخيه نجم الدين أيوب. ابو شامة، الروضتين ١/٣٥٠ - ٣٥٤، بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطانية، ص ٣٦.

(٢) اضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم المعنى.

(٣) ورد هذا البيت في النوادر، ص ٢٤٧.

كل سطر في هذه الصفحة تختلف عما هو وارد في عموم المخطوط، ويبدو انها اضيفت من قبل الناسخ بسبب تلف في تلك الصفحة، او انه نقلها من الصفحة الاصلية للمخطوط بعد تلف اصابها.

هذا وقد تبين لي ان المخطوط قد كتب في الاصل من غير تنقيط، بسبب الاعتقاد السائد عند البعض من الكتاب في تلك الفترة انها تشوه جمال الكتابة، وان النقط قد اضيفت اليها في فترة لاحقه، ولكن ليس على جميع الحروف وفي كل المواضع مما سبب في احيان كثيرة تضليلاً للمحقق.

هذا وقد تجاوز المؤلف او الناسخ كتابة الهمزة باي شكل من الاشكال وفي جميع المواضع، وكذلك واو الجماعة وقد اضفناها الى المتن ومن غير الاشارة الى ذلك في الهامش. اما عن الاستدراكات فقد كتبت على حاشية اليمين او اليسار حسب قرب موضع الاضافة الى هذه الجهة او تلك بعد ان اشار اليها بخط شبه منحنى (^) (^) كدليل على ان هناك كلمة او عبارة ساقطة اثناء الكتابة.

فالمخطوط دون التاريخ حسب تسلسل السنوات الهجرية كما اشرنا الى ذلك من قبل، ومن غير عناوين الا في حالات قليلة^(١)، ان منهج الكتاب متكامل، واسلوب مؤلفه، وكذلك الخط متشابه في جميع المواضع من الاول حتى الاخير، باستثناء صفحة العنوان والورقة [١-١] كما اشرنا اليها قبل قليل.

وان المخطوط مكتوب جميعه بالحبر الاسود، وهناك كتابات احيانا على حاشيتي اليمين او اليسار يختلف خطها عن خط المتن، لعلها من عمل القراء او النساخ، هذا ولما كان الكتاب يتبع نظام الحوليات حسب السنوات الهجرية، فعندما يبدأ بسنة جديدة يكتب بخط عريض مميز.

وبما ان الكتاب هو جزء من مؤلف اكبر، لذلك لم يرد عليها من الاشارات ما يكفي لتوضيح كون النسخة التي بين ايدينا هي الام، او انها احدى نسخها، مثل: "يقول العبد الفقير الى ربه..."، وكقوله في الخاتمة مثلاً "كتبها العبد الفقير الى ربه..." ويذكر اسمه واسم ابيه،

(١) انظر الصفحات: ٣١-أ- ب- ٣٢-أ- ب، ٣٤-أ- ب- ٣٥-أ- ب- ٣٦-أ، ٣٨-أ- ب.



الفصل الثاني

المصادر:

تاريخ دولة الاكراد والاتراك من الكتب التي تعني بتسجيل الحوادث والوفيات معاً، وهو المنهج التاريخي الذي ظهر في القرن السادس الهجري على يد المؤرخ العراقي الكبير ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م) في مؤلفه (المنتظم)، ثم سار على طريقته كثير من المؤرخين الذين جاءوا بعده ومنهم المؤلف المجهول صاحب كتاب تاريخ دولة الاكراد والاتراك.

ارخ المؤلف لفترة قريبة من عصره، لا بل وانه عاصر بعض سنواتها الاخيرة، لذلك كانت رواياته على درجة كبيرة من الدقة، لانه استقى معلوماته من شيوخه واقرائه وتلاميذته ومعاصريه، بالاضافة لملاحظاته وانطباعاته، ولقاءاته مع بعض من اسهم في تلك الاحداث، كما انه اعتمد على عدد من اهم واوثق الكتب المدونة لمؤرخين معاصرين للاحداث التي دونوها وعلى هذا الاساس يمكن ان نصنف موارده الى:

اولاً: الكتب المدونة

اعتمد مؤلفنا في تاريخه على مصنفات الذين سبقوه، وبما انه كتب عن فترة عاصر بعض سنواتها، لذلك اعتمد على اهم وادق المصادر المعاصرة لتلك الفترة، حيث كان اصحابها قريبين جداً من مركز القرار او يعملون فيها، ويأتي كتاب (النوادر السلطانية والمعاسن اليوسفية او سيرة صلاح الدين) للقاضي بهاء الدين بن شداد (ت ٦٢٢ هـ/١٢٢٥م)، الذي كان بمثابة المستشار للسلطان صلاح الدين، وقد ذكر انه دخل في خدمة صلاح الدين في شهر (جمادى الاولى سنة ٥٨٤ هـ/١١٨٨م) وظل ملازماً له حتى وفاته سنة (٥٨٩ هـ/١١٩٢م)، وانه اعتمد في تدوين الاحداث السابقة لهذا التاريخ على من يثق به، اما

الاحداث اللاحقة لهذا اليوم، فقد وصفها كما شاهدها بنفسه، او على حد قوله هو: "ومن هذا التاريخ ما أسطر إلا ما شاهدته أو اخبرني به من اتق به خيراً يقارب العيان"^(١)، لذلك يأتي النوادر في المرتبة الاولى من بين مصادره، وينقل منه احيانا ومن غير مقارنة وتدقيق، فعن الوقعة العادلية التي حدثت سنة (٥٨٦ هـ/١١٩٠م) يقول المؤلف: "ولقد شاهدت جنديا عاقلاً يعد القتلى"^(٢) [٣٣-أ] وان الفرنج "عزموا على الخروج اليها"^(٣) [٣٥-أ]، وفي المصنف الاعظم على عكا [٢٠-ب] سنة (٥٨٥ هـ/١١٨٩م) كان من جملة الشهداء، ظهير الدين اخو الفقيه عيسى الهكاري "ولقد رأيته وهو جالس يضحك، والناس يعزونه"^(٤)، فالمؤلف هنا ينقل من ابن شداد وعلى لسانه ومن غير الاشارة اليه، ويحال للقارئ العادي انه كان حاضراً الوقعة وشاهدها بنفسه.

وقد اعتمد كما ذكرنا على ابن شداد كثيراً في تغطية الاحداث الخاصة بعصر صلاح الدين، فينقل منه احيانا الاحداث بعناوينها^(٥) [٤٠-ب]، وحيانا أخرى ينقلها عنه بتصرف^(٦) [٣٨-ب، ٣٩-أ، ٤٢-أ]، وقد يكون النقل روايات طويلة لاحداث سنين عديدة وحتى بنفس العناوين الواردة في النوادر^(٧) مع ان المؤلف لا يعنون لاحدائه بشكل عام، ويكتفي بذكر السنة ثم يذكر الاحداث التي وقعت فيها [٢٦-ب، ٥٤-أ].

وقد ينقل المؤلف من النوادر^(٨) في كثير من المواضع ولا يشير اليها [٢٨-أ، ٢٩-أ، ٣٦-ب، ٤٨-أ، ٤٩-ب]، بينما يشير الى ابن شداد^(٩) في احيان أخرى [٤٩-أ]، وينقل

(١) النوادر، ص ٨٧.

(٢) نفسه، ص ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٣) نفسه، ص ١٤٧.

(٤) نفسه، ص ١١٢.

(٥) نفسه، ص ص ١٢٩ - ٢٤٨.

(٦) نفسه، ص ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٧) نفسه، ص ص ١٢٩ - ٢٤٨.

(٨) انظر، ص ص ١٠٨ - ١١٤، ٢١٦ - ٢١٨.

(٩) النوادر، ص ٢١٧.

الاحداث على لسانه [٤٩- أ، ٥١- ب]، ومن مؤلفه سيرة السلطان: "قال القاضي بهاء الدين بن شداد في سيرة السلطان"^(١).

والمصدر الآخر الذي اعتمد عليه المؤلف كثيراً وأشار اليه في معظم الاحيان هو العماد الكاتب الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) في مؤلفاته العديدة، فالأصفهاني شأنه شأن ابن شداد كان ملازماً للسلطان صلاح الدين، وموضع ثقته وكاتب رسائله، وتميز الأصفهاني عن ابن شداد وتفوق عليه بأنه لم يتوقف عند وفاة السلطان صلاح الدين سنة (٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م) في كتاباته كما فعل ابن شداد في النوادر، وإنما استمر في تغطية الاحداث التي وقعت بعد عصر السلطان، لذلك اعتمد عليه المؤلف أكثر في كتابه، وبالإضافة الى ذلك كان للأصفهاني مؤلفات عدة، والتي اخذ منها المؤلف المجهول كانت ثلاثاً بشكل اساسي، وهي (البرق الشامي) و (الفتح القسي في الفتح القدسي) و(خريدة القصر وجريدة العصر) وفي نقولاته يشير الى الاصفهاني وحياناً الى كتابه الذي اخذ عنه، فمثلاً يذكر (البرق الشامي) و (الخريدة) [٢٥- أ]، بينما ينقل عنه في احيان كثيرة ويشير اليه ولكن من غير تحديد للكتاب الذي اقتبس منه مثل: "وقال العماد الكاتب، وكان معه شر ذمة لها شر ذمة، وهي من شر أمة" [١٤- ب]، غير ان اسلوب الأصفهاني الغارق في السجع واضح في كتابه (الفتح القسي) لذلك يمكن تمييزه بسهولة وتحديد مصدره من بين مؤلفات الاصفهاني الاخرى على وجه الدقة والتحديد، وفي الحقيقة اعتمد على كتاب (الفتح القسي) أكثر من أي كتاب آخر للأصفهاني [١٦- ب، ١٧- أ، ٢٠- ب، ٥٢- ب].

هذا ولا يخرج المؤلف في نقولاته من دائرة المصادر الاساسية المعاصرة للاحداث فبعد توقف ابن شداد في التدوين عند وفاة السلطان صلاح الدين سنة (٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م)، ووفاة العماد الكاتب الاصفهاني سنة (٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م)، نجده يعتمد على مصدر اساسي آخر ومعاصر، لا بل وقريب من مراكز صنع القرار في بلاد الشام، ويغداد هو سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م) في مؤلفه (مرآة الزمان في تاريخ الاعيان) الجزء الثامن، وفي مواضع كثيرة [٥٥- ب، ٥٦- أ، ٥٧- أ، ٥٨- أ] وبشكل يكاد يكون نصياً [٦٧- ب، ٦٨- ومن غير الاشارة اليه ولا مرة واحدة]^(٢).

(١) النوادر، ص ٨.

(٢) مرآة الزمان، ٨ / ٤٤٠.

فأطول ترجمة مثلاً ورد في (مرآة الزمان)^(١) هي نفسها وردت لدى المؤلف وبنفس العناوين الداخلية وبشكل نصي [٧٣- ١- ب- ٧٤- ١- ب- ٧٥- ١- ب]، وهي ترجمة (جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي) (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)، واعتمد عليه في مساحة واسعة من كتابه بعد سنة (٥٩٠ هـ/١١٩٢م).

والمصدر المدون الاخير الذي اعتمده المؤلف حسب علمنا، وبشكل رئيسي لتفطية الاحداث الخاصة بالدولة الخوارزمية وعلاقتهم بالمغول خلال عهد سلطانيها، محمد خوارزم شاه، وولده جلال الدين منكبرتي وما آل اليه مصيرها حتى مقتل سلطانيها الاخير جلال الدين منكبرتي سنة (٦٢٨ هـ/١٢٣٠م) الكتاب الذي وضعه النسوي (ت ٦٣٩ هـ/١٢٤١م) بعنوان (سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي)، وهي ترجمة دقيقة لسيرة السلطان في ايامها العصيبة، تلك الايام التي كانت مليئة بالمفاجئات والاطار والمطاردة حتى مقتله سنة (٦٢٨ هـ/١٢٣٠م) حيث رافقه النسوي في الكثير من الاوقات ودون ما شاهده بنفسه او ما عرفه عن قرب، هذا وقد خصص المؤلف المجهول مساحة واسعة من مؤلفه للدولة الخوارزمية وعلاقتها مع المغول وقبلها عن قيام دولة المغول في عهد جنكيزخان، ربما لكونها الدولة الاسلامية الوحيدة التي كانت تقف كالسد في وجه الموجة المغولية الوثنية وتهديدها للشرق الاسلامي وما كان يرافقهم من القتل والخراب والدمار، بالاضافة الى تناول العلاقات الخوارزمية- الايوبية، الحربية والسلمية والموقف الايوبي بشكل عام منهم، وينقل المؤلف منه بتصريف بشكل عام [٩٠- ب- ٩٢- ب- ١٢٥- ب- ١٢٦- ١- ب- ١٢٩- ١].

ثانياً: المعلومات الشفهية والمشاهدة

تشكل المعلومات الشفهية احدى المصادر الاساسية للمؤلف في كتابه، وهي تلك التي سمعها ممن عاصروا الاحداث او شاركوا في صنعها، وهذا النوع من الروايات لها اهميتها من حيث الضبط والدقة، لان بإمكان الكاتب غربلتها واختيار الأصح منها، او ان لا ينقل الا ممن عرف بالثقة والدقة والصدق، فمثلاً عندما يتحدث عن نزول الحملة الصليبية

(١) مرآة الزمان، ٤٨١/٨ - ٥٠٤.

السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا سنة (٦٤٧ هـ/١٢٤٩م) في مصر فيذكر عدد عساكره وتجهيزاتها: "أخبر المشايخ من الاجناد الذي ادركوا ايام صلاح الدين انهم مارأوا الفرنج اكثر من هذه الاطلاب، ولا اوسع من هذا المخيم"^(١).

وعندما يتحدث عن التراجع يقول عنهم "انشدنا لنفسه" مثل ترجمته لمحمد بن المبارك بن محمد ابو غالب البصري (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)^(٢)، او ترجمته لخضر بن محمد بن علي الجزري (ت ٦٠٥ هـ/١٢٠٨م)، اذ يقول عنه: "انشدني لنفسه"^(٣).

وفي معرض حديثه عن الحياة اليومية للسلطان الملك الكامل الايوبي (ت ٦٣٥ هـ/١٢٣٧م) سواء على المستوى الشخصي او الرسمي يقول: "أخبرني من كان خصيصاً به"^(٤)، وعندما تخلى العسكر الايوبي بقيادة الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ والمكلفين بالدفاع عن دمياط من بني كنانة عند نزول الحملة الصليبية السابعة عليها واثناء مرض السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب، ومن ثم هروب الاهالي منها، يصف الوضع عياناً "ولقد عانيت الزمناء الخارجيين من دمياط يزحفون على بطونهم، والمرأة ترمي ولدها..."^(٥).

وعندما اقدم السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب على اعدام بعض الكنانين في محاولة منه لاعادة الاعتبار لقواده وعسكره، ويعالج الأثر النفسي السيء الذي تركته الاهمال والتخاذل ومن ثم الهزيمة امام الصليبيين في دمياط، وذلك بالقاء المسؤولية على عاتق البعض ومعاقبتهم، وترثه الآخرين، هنا ينقل المؤلف ايضاً كشاهد عيان .

وينقل في اكثر من موضع عن الامير حسام الدين بن ابي علي الهذلي احدى الشخصيات الكوردية المهمة في تلك الفترة والمعاصرة للاحداث، لا بل وساهم فيها، حيث رافق الملك الصالح نجم الدين ايوب في بلاد الشام ومصر، ووقف الى جانبه بكل توفيق واخلاص في الشدائد والحن التي مر بها، ثم صعد نجمه مع سلطنة الملك الصالح وتقلد

(١) الورقة: ١٧٠ - أ - ب.

(٢) الورقة: ٧٨ - أ.

(٣) الورقة: ٨٣ - ب.

(٤) الورقة: ١٤٢ - أ.

(٥) الورقة: ١٦٦ - أ.

المناصب العالية ومنها نيابة السلطنة في مصر، وشهد مؤامرة الماليك واغتيال الملك العظم توران شاه ابن الملك الصالح، ونهاية الدولة الايوبية، وقيام دولة الماليك البحرية (الاولى)، حكى حسام الدين بن ابي علي. قال: كنت بين يدي الملك الصالح...^(١)، وعن وصول الملك العظم توران شاه الى مصر سنة (٦٤٧ هـ/١٢٤٩م)، ثم خرج الامراء والقضاة لاستقباله "أخبرني الامير حسام الدين، قال: لما قدم الملك العظم ولقيته...^(٢)". وعن اتفاقية سنة (٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) بين السلطان الملك الكامل والامبراطور فردريك الثاني ودخول الاخير القدس، ينقل المؤلف عن القائم على شؤون مسجد قبة الصخرة "وذكر قوام الصخرة...^(٣)".

ثالثاً: مصادر غير معروفة

تبين لنا مما تقدم ان المؤلف تميز عن غيره ممن كتبوا تواريخ الدول انه غطى جميع سنوات حياة هذه الدولة بالاعتماد على مصادر اساسية، اما انها كانت مدونة، او نقلها مشافهة، وفي كلتا الحالتين كان مؤلفوها ورواتها معاصرين لتلك الاحداث لا بل ومساهمين احياناً في صنعها، غير انه نقل جزءاً كبيراً من كتابه عن مصادر لا يشير اليها، ولا نعلم ما اذا كانت مدونة، او انه نقلها ايضاً مشافهة عن اشخاص كانوا معاصرين ومساهمين فيها او انه كان معاصراً لها، ويبدو ان الاحتمال الاخير هو الأرجح، حيث ذكر معلومات على درجة كبيرة من الاهمية والندرة عن الفترة خلال السنوات (٦٤٧-٦٥٥ هـ/١٢٤٩-١٢٥٧م) بدقائقها وتفصيلها، لم يرد مثلها في المصادر الاساسية المدونة بين ايدينا، عن تلك الفترة، إذاً فإما ان مصادره تلك جميعاً في عداء المقفودات وهذا لا يعقل او ان المؤلف كان معاصراً لها، وانه توفي بعد سنة (٦٥٥ هـ/١٢٥٧م)، وهذا يرجح ما ذهبنا اليه.

(١) الورقة: ١٤٩ - أ.

(٢) الورقة: ١٧٥ - أ.

(٣) الورقة: ١٢١ - ب.

الفصل الثالث

منهج المخطوط واسلوب مؤلفه

تاريخ دولة الاكراد والاتراك مؤلف ضخيم، والعجز الذي بين ايدينا هو فقط (تاريخ دولة الاكراد) كما هو مثبت على صفحة العنوان وكذلك من المحتوى، ولا نعلم ما اذا كان (تاريخ دولة الاتراك) الذي هو في عداد المفقودات حتى الآن جزء واحد او اكثر، او ان الكتاب (تاريخ دولة الاكراد والاتراك) بجزئيه او اجزائه هو قسم من مؤلف اكبر. فالكتاب يبدأ بذكر سنة (٥٧١ هـ/١١٧٥ م) كتابة بعد البسملة وذكر الرسول وصلوات الله عليه وعلى آله، ويستمر حتى سنة (٦٥٥ هـ/١٢٥٧ م)، أي انه يغطي حياة هذه الدولة خلال (٨٤) سنة، حسب النظام الحولي، وورد في السنة الواحدة بشكل عام احداث واخبار وتراجم، غير انها لم تكن متوازنة بالنسبة لجميع السنوات، فنجد احداث بعض السنوات قد تقلص في الكتاب، وبعضها قد توسع فيها، فاحداث الصفحة الاولى من الكتاب لسنة (٥٧١ هـ/١١٧٥ م) يغطي صفحة واحدة^(١)، وبعدها مباشرة احداث السنة التالية في صفحتين^(٢)، في الوقت الذي خصص مساحة واسعة لاحداث سنة (٥٨٢ هـ/١١٨٧ م)، التي يمكن ان نسميها بعام الانتصارات في عهد السلطان صلاح الدين في اكثر من احدى عشر صفحة.

ويستمر التغطية الكبيرة وعلى نطاق واسع للسنوات التالية من عهد السلطان صلاح الدين، فمثلاً اورد احداث سنة (٥٨٤ هـ/١١٨٨ م)، في اكثر من تسع صفحات^(٣) ووقائع السنة

(١) الورقة: ١- أ.

(٢) الورقة: ١- ب- ٢- أ.

(٣) الورقة: ٢١- أ- ٢٦- ب.

التالية في احدى عشر صفحة^(١)، وسنة (٥٨٦ هـ/١١٩٠م) في ثلاثة عشر صفحة^(٢)، واحداث سنة (٥٨٧ هـ/١١٩١م) في ثمانية عشر صفحة^(٣)، وسنة (٥٩٠ هـ/١١٩٣م) في تسع صفحات^(٤)، وهكذا لسنوات اخرى مثل السنوات (٥٩٥ هـ/١١٩٨م)^(٥) و (٥٩٦ هـ/١١٩٩م)^(٦) و (٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)^(٧).

ويقل حجم الروايات ومساحة الاحداث في نهاية القرن السادس ولغاية العقد الرابع من القرن السابع الهجريين، فمثلاً يقع احداث سنة (٥٩٩ هـ/١٢٠٢م) في ثمانية اسطر^(٨)، وسنة (٦٠١ هـ/١٢٠٤م) في تسعة اسطر^(٩)، والسنة التالية في اثنتا عشر سطراً^(١٠)، وسنة (٦١٠ هـ/١٢١٣م) في خمسة اسطر^(١١)، وسنة (٦٢٩ هـ/١٢٣١م) في ثمانية اسطر^(١٢)، ثم تعود السنوات الطوال المشحونة بالاحداث، ويعتبر سنة (٦٤٦ هـ/١٢٤٨م) اطول السنوات احداثاً ومن ثم شغلت اوسع مساحة من الكتاب بلغت تسعة وعشرون صفحة تقريباً^(١٣)

بالنسبة لتواريخ الاحداث فإنه يذكر السنة كتابة ويخط مميز عن المتن من حيث الحجم، ثم يباشر بسرد الاحداث، اما بشأن تواريخها فإنه يذكر احياناً اليوم والشهر بالاضافة الى السنة التي وردت في البداية^(١٤) هذا ولا يقتصر ذكر اليوم من الشهر وانما

(١) الورقة: ٢٦-ب-٣١-ب.

(٢) الورقة: ٣١-ب-٣٧-ب.

(٣) الورقة: ٣٨-أ-٤٧-أ.

(٤) الورقة: ٥٥-ب-٦٠-ب.

(٥) الورقة: ٦٤-أ-٦٨-ب.

(٦) الورقة: ٧١-ب-٧٨-ب.

(٧) الورقة: ٧١-ب-٧٨-أ.

(٨) الورقة: ٧٩-ب.

(٩) الورقة: ٨٠-أ.

(١٠) الورقة: ٨٠-ب.

(١١) الورقة: ٨٨-أ-ب.

(١٢) الورقة: ١٢٩-ب.

(١٣) الورقة: ١٦٢-أ-١٧٧-ب.

(١٤) الورقة: ٨-أ-ب، ١٧-أ-ب، ٢١-ب-٢٣-أ-ب، ٢٩-أ، ٣١-ب، ٣٤-ب.

يورد ايام الاسبوع مثل "يوم الجمعة رابع جمادى الاول"^(١)، و"يوم الاحد سادس جمادى الاول"^(٢)، و"يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة"^(٣)، و"يوم الجمعة ثامن رجب"^(٤)، وإلى جانب ذلك فإنه يحدد وقت الحدث من اليوم ما اذا كان في الليل او النهار، وللزيادة في الدقة فإنه يذكر في اية ساعة كانت مثل: "فخرج نصف الليل ثامن عشر محرم"^(٥)، وفي صبيحة هذه الليلة"^(٦)، "وقد انفصل الحرب وحال الليل بينهم"^(٧)، وهجم على خنادقهم "الى ان هجم الليل"^(٨)، وانتقل السلطان في "سحره تاسع عشر جمادى الآخر الى..."^(٩)، وفي "تلك الليلة وقت السحر"^(١٠)، فلما صلى الناس "صلاة الصبح"^(١١)، واستمر القتال بين الجانبين الاسلامي والصلبيبي "الى ان هجم الليل، فعاد بعد عشاء الآخر الى المخيم، وقد اخذ منه التعب والحزن والكآبة الى سحر تلك الليلة"^(١٢)، "وفي تلك الليلة وقت السحر"^(١٣)، "وبات تلك الليلة الى الصباح مفكراً لم ينم"^(١٤)، "ولما كانت ليلة السبت"^(١٥)، وفي "سلخ المحرم ليلة السبت"^(١٦)، و"دخلوا عليه ليلة الاثنين ثاني عشر شوال" سنة

(١) الورقة: ٢١- ب.

(٢) الورقة: ٢٢- أ.

(٣) الورقة: ٢٣- أ.

(٤) الورقة: ٢٣- ب.

(٥) الورقة: ٢١- أ.

(٦) الورقة: ٣٩- ب.

(٧) الورقة: ٣٩- ب.

(٨) الورقة: ٤٠- أ، ٤١- ب، ٤٢- أ- ب.

(٩) الورقة: ٤٤- أ.

(١٠) الورقة: ١٢٢- أ.

(١١) الورقة: ١٧٣- أ.

(١٢) الورقة: ٤٢- أ.

(١٣) الورقة: ١٢٢- ب.

(١٤) الورقة: ٤٨- ب.

(١٥) الورقة: ٥٢- ب.

(١٦) الورقة: ٧٩- أ.

خمس وأربعين وستمائة فخنقوه"^(١)، "فلما كانت ليلة الثلاثاء رابع ذي القعدة"^(٢)، هذا وقد تكون الليلة أو الليالي والأيام هي زمان وقوع الحدث، فعلى سبيل المثال ينقل على لسان العماد الكاتب الأصفهاني عن فتح السلطان صلاح الدين عكا سنة (٥٨٣ هـ/١١٨٧م) بأنها كانت بعد حصار وقتال دام "سبع ليال وثمانية أيام"^(٣)، و"رتب جماعة من العساكر يشغلوهم طول الليل"^(٤).

هذا وقد يكون الحدث قد استغرق ذلك اليوم ليلة بنهاره، كما حدث أثناء القتال على عكا سنة (٥٨٧ هـ/١١٩١م)، حيث دام الزحف والقتال "متصلاً الليل مع النهار"^(٥) أو "وتواترت الأمطار ليلاً ونهاراً مدة شهر آذار" سنة (٦٥٢ هـ/١٢٥٤م)^(٦).

وكذلك الحال بالنسبة للنهار من اليوم فإنه يحدد ساعة وقوع الحدث في نهار ذلك اليوم مثل "يوم الجمعة عند طلوع الشمس.. فلما طلع الفجر من يوم السبت قاتلوا إلى الظهر"^(٧)، فمثلاً عن استيلاء الصليبيين على عكا سنة (٥٨٧ هـ/١١٩١م) كان "ظهيرة نهار الجمعة، سابع عشر جمادى الآخر" وانتقل السلطان في "سحره"^(٨)، فلما كان وقت صلاة الجمعة "وقف بين الأذان والاقامة"^(٩)، "بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء..."^(١٠)، ولما "دخلت وقت صلاة الظهر، وأذن المؤذنون"^(١١)، وأنه "يصبح يوم الجمعة"^(١٢).

(١) الورقة: ١٦٥ - ب.

(٢) الورقة: ١٧٣ - أ.

(٣) الورقة: ١٧ - أ.

(٤) الورقة: ٤٠ - أ.

(٥) الورقة: ٤٠ - ب.

(٦) الورقة: ١٩٢ - أ.

(٧) الورقة: ١٥ - ب.

(٨) الورقة: ٤٤ - أ.

(٩) الورقة: ٤٩ - أ.

(١٠) الورقة: ٥٢ - ب.

(١١) الورقة: ١٢٢ - أ.

(١٢) الورقة: ١٢٥ - ب.

و"اقاموا بها الى باكر نهار الاثنين، بحيث تغدى اهل دمياط"^(١)، فلما "صلوا الناس صلاة الصبح"^(٢)، و "ابكر من صباح يوم الجمعة"^(٣)، والى "يوم الخميس صباح ذي القعدة . وقت الظهر أقبلت عساكر الشام"^(٤).

وعن مقتل اسرى عكا على ايدي الصليبيين بأمر من ريتشارد ملك انكلترا المعروف (بقلب الاسد) انها كانت "في وقت العصر من يوم الثلاثاء سابع عشرين من شهر رجب"^(٥).

وقد يحدد الايام التي استغرقها الحدث، فعن فتح عكا مثلاً سنة (٥٨٣ هـ/١١٨٧م) كان "يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر الى يوم الخميس سلخه، وتلك سبع ليال وثمانية ايام"^(٦)، وعن فتوحات السلطان صلاح الدين الكثيرة سنة (٥٨٣ هـ/١١٨٧م) يذكر بانها استغرقت (اربعين يوماً)، اولها ثامن عشرين جمادى الاول، وآخرها ثامن رجب"^(٧)، فيذكر بدأ الحصار والقتال على بكاس يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة، ودوام الهجوم والقتال الى يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة، ثم فتحها في السادس عشر منها"^(٨)، وعن مسير السلطان سنة (٥٨٤ هـ/١١٨٨م) من دمشق الى صفد كان في "اوائل رمضان... فنزل عليها اثناء شهر رمضان... حتى اسلمت بالامان في رابع عشر شوال"^(٩)، و "سلم اليه... في مستهل شعبان وكان الهجوم يوم الجمعة سابع ذي القعدة... ورتب الناس من يوم الخميس... وابكروا من صباح يوم الجمعة"^(١٠). فكان مدة الحصار اربعة اشهر"^(١١)

(١) الورقة: ١٦٧ - ب.

(٢) الورقة: ١٧٣ - أ.

(٣) الورقة: ١٧٤ - ب.

(٤) الورقة: ١٨٣ - ب.

(٥) الورقة: ٤٤ - أ - ب.

(٦) الورقة: ١٧ - أ.

(٧) الورقة: ١٧ - ب.

(٨) الورقة: ٢٣ - أ.

(٩) الورقة: ٢٤ - أ.

(١٠) الورقة: ١٧٤ - ب.

(١١) الورقة: ١٢٢ - ب.

وقد يذكر بان متابعة الموقف كان ساعة بساعة سواء اكان ذلك في الليل او النهار،
 "ورتب في خنادقهم من يخبره بحالهم ساعة بساعة"^(١).

وقد يكتفي احيانا بذكر الشهر من السنة مثل وفي "جمادى الآخرة"^(٢)، وفي "ربيع
 الاول"^(٣)، وفي "صفر"^(٤)، وفي "محرم"^(٥)، لا بل ويكتفي احيانا بذكر السنة من غير
 الشهر واليوم مثل: "فيها" و"فيها"^(٦) ويقصد بها السنة التي ثبتها في البداية^(٧) وقد
 وردت هذه الصيغة في مواضع كثيرة اخرى، وفي جميع السنوات، وعندما يبدأ احداث سنة
 جديدة يذكر عبارة "ودخلت هذه السنة"^(٨)، او "وفي اول هذه السنة"^(٩)، وقد يكون
 الحدث قد وقع في نهاية السنة فيشير اليها: "وفي آخر هذه السنة"^(١٠).

ويلجأ المؤلف احيانا الى استعمال المرادفات حفاظاً على جمال العرض والاسلوب،
 وامعاناً في الدقة، يذكر بأن الحدث كان في نهاية الشهر، وفي الليلة التي تبدأ مع نهارها
 الشهر التالي مثل: "وفي سلخ المحرم ليلة السبت"^(١١)، و "سلخ ربيع الآخر... ودخلها يوم
 الجمعة غرة جمادى الاول"^(١٢)، و "يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر الى يوم
 الخميس سلخه"^(١٣)، وفي شعبان سار السلطان الى صور "فوصلها غرة رمضان"^(١٤)، وتأخر

(١) الورقة: ٤٠ - أ.

(٢) الورقة: ٢ - ب.

(٣) الورقة: ٣ - ب.

(٤) الورقة: ٥ - ب.

(٥) الورقة: ٧ - ب.

(٦) الورقة: ٤ - ب - ٥ - أ.

(٧) الورقة: ٧٨ - ب.

(٨) الورقة: ٦٨ - ب.

(٩) الورقة: ٧٩ - أ.

(١٠) الورقة: ١٥٨ - ب.

(١١) الورقة: ٧٩ - أ.

(١٢) الورقة: ١١ - ب.

(١٣) الورقة: ١٧ - أ.

(١٤) الورقة: ١٩ - أ.

الى "سلخ شوال"^(١)، وسار من دمشق الى صفد "في اوائل رمضان... فنزل عليها اثناء شهر رمضان"^(٢)، وفي "سلخ جمادى الاول"^(٣)، وفي "مستهل شعبان"^(٤)، وقد يذكر اليوم الذي يبدأ فيه الشهر الجديد والسنة مثل "وصل يوم الخميس مستهل جمادى الآخر سنة ثمان وثمانين"^(٥)، وفي "مستهل ذي القعدة"^(٦)، و "سلم اليه دمشق في مستهل شعبان"^(٧)، وكانت هذه "الكسرة يوم الاربعاء مستهل محرم سنة ثمان واربعين وستائة"^(٨)، وقد يذكر صيغة اخرى للتواريخ وهي الاشارة الى اليوم الذي يصادف منتصف الشهر مثل "يوم الاحد منتصف رجب"^(٩)، وقد يروى الحدث ويشير الى وقوعها في ايام من الشهر من دون تحديدها مثل "وفي ايام من نيسان" او توصلها شهراً "مدة شهر آذار"^(١٠)، وقد يكون فصلاً او فصلين من السنة مثل: "ونزلوا بها مدة الصيف والخريف، ورحلوا في اول الشتاء"^(١١)،

او فقط منتصف الشهر مثل "منتصف ذي القعدة"^(١٢)، وقد يذكر المناسبة اذا صادفت احدى الايام مثل: "ولما كان يوم العيد"^(١٣).

بالنسبة لحروب المدن وحصارها، فيشير الى تاريخ استسلامها ومدة حصارها تاركاً للقارئ تحديد بدايتها مثل "وسلم اليه دمشق في مستهل شعبان، فكان مدة الحصار

(١) الورقة: ١٩ - ب.

(٢) الورقة: ٢٤ - أ.

(٣) الورقة: ٤١ - ب.

(٤) الورقة: ٤٤ - ب.

(٥) الورقة: ٤٧ - أ.

(٦) الورقة: ٧٢ - ب.

(٧) الورقة: ١٢٢ - ب.

(٨) الورقة: ١٧٧ - أ.

(٩) الورقة: ١٧ - ب.

(١٠) الورقة: ١٩٢ - أ.

(١١) الورقة: ١٩٢ - أ.

(١٢) الورقة: ٢٤ - أ.

(١٣) الورقة: ١١٧ - ب.

اربعة اشهر^(١)، وينفرد المؤلف بايراد تواريخ في منتهى الدقة مضيقاً الى ذكر الساعة والليلة واليوم والشهر من السنة، الموقع الفلكي للقمر، مثل "فخرج نصف الليل ثامن عشر محرم والقمر بربع المريح"^(٢) سنة (٥٨٤ هـ/١١٨٨ م).

ويتبع الكتاب اسلوب الايجاز في ذكره حوادث معظم السنوات باستثناء بعض الفترات والتي شهدت سنوات منها احداثاً هامة كتلك التي وقعت في عصر الناصر صلاح الدين والتي تنتهي بوفاته سنة (٥٨٩ هـ/١١٩٢ م) وكذلك علاقات الدولة الخوارزمية مع التتار حتى سنة (٦٢٨ هـ/١٢٣٠ م) التي قتل فيها جلال الدين منكبرتي آخر سلاطين الدولة الخوارزمية، وكذلك غطى احداث سنتي (٦٤٧-٦٤٨ هـ/١٢٤٩-١٢٥٠ م) التي شهدت احداث الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر، وسقوط الدولة الايوبية الكوردية هناك وهيام الدولة المملوكية الاولى (البحرية)، كما ان المؤلف لم يهمل ما كان يدور في الغرب الاسلامي والاندلس من الصراع بين الموحيدين والنصارى حيث خصص سنة (٥٩١ هـ/١١٩٤ م) فقط لمعركة (الزلافة) المشهورة التي وقعت بين ابو يوسف يعقوب الموحيدي وبين الفونسو الثامن ملك قشتالة والتي انتصر فيها المسلمون.

ويتميز المخطوط بالترابط ووحدة الموضوع في العرض، حيث يحيل القارئ الى ما سبق، او الى ما سيأتي لاحقاً، حيث استعمل عبارة "وسياتي ذلك في موضعه"^(٣)، وعندما يعود لاتمام الخبر في فترة لاحقه يقول: "عدنا الى..."^(٤)، و"هنا على ما ذكرنا"^(٥)، و"قد ذكرنا مقتله"^(٦)، او "وقد ذكرنا في اولها"^(٧)، و"قد شرحنا ان مولده"^(٨).

(١) الورقة: ١٢٢ - ب.

(٢) الورقة: ٢١ - أ.

(٣) الورقة: ١٠٩ - ب.

(٤) الورقة: ١١١ - ب.

(٥) الورقة: ١١٤ - أ.

(٦) الورقة: ١٧٧ - أ.

(٧) الورقة: ١٧٨ - أ.

(٨) الورقة: ١٨٦ - ب.

ولم يقتصر المؤلف على ذكر الحوادث السياسية والعسكرية فقط، وانما تطرق الى موضوعات شتى، شأنه في ذلك شأن الكتاب والمؤرخين في عصره، حيث تميزوا بالتنوع الموسوعية في كتاباتهم، فمثلاً تطرق الى ذكر الكوارث الطبيعية التي شهدتها المنطقة كالزلازل، كتلك التي وقعت سنة (٥٧٥ هـ/١١٧٩ م) في بلاد ارمينية واربل، ويذكر انها كانت على درجة كبيرة من الشدة بحيث تقاربت الجبال من بعضها حتى كادت ان تتصادم^(١).

وهذا ولم يقتصر على مجرد الذكر بشكل عابر، فبعد ان يحدد الشهر الذي وقعت فيه، فانه حدد المركز الزلزالي والمناطق التي شملها الزلزال والسرعة التي انتشر بها وما ترتب عليها من الخراب والدمار: "وجاءت في شعبان وزلزلت زلزلة هائلة من الصعيد، فعمت الدنيا في ساعة واحدة، وهدمت بنيان مصر، ومات تحت الهدم خلق كثير، ثم امتدت الى الشام والساحل... وقطعت البحر الى قبرص، وانضرق البحر فصار اطواداً.. امتدت الى خلاط وارمينية واذربيجان والجزيرة"^(٢)، ويشير الى زلزال دام مدة اطول وان كانت بشدة اقل كتلك التي وقعت سنة (٦٥٠ هـ/١٢٥٢ م) "وزلزلت نيسابور زلزلة عظيمة، ودامت عشرة ايام، فمات تحت الهدم خلق كثير"^(٣).

والى جانب الزلزال فانه اشار ايضاً الى البركان الذي حدث سنة (٦٥٢ هـ/١٢٥٤ م)، ويشير الى مكة كمصدر للاخبار عن هذه الظاهرة باعتبارها مركزاً متقدماً وقريباً من الحدث: "وفيها تواترت الاخبار من مكة بظهور نار في ارض عدن في بعض جبالها، بحيث تطير شرارها الى البحر في الليل"^(٤).

ومما يشار اليه بهذا الصدد ايضاً، هو الربط بين الحوادث المتشابهة التي سبق تدوينها والحوادث المماثلة التي لحقتها واجراء المقارنة بينهما، فعن فيضان بغداد سنة (٦٥٤ هـ/١٢٥٦ م) يقول: "وفيها غرقت بغداد غرقاً شنيعاً لم يعهد بمثله"^(٥)، بينما لم يكن في

(١) الورقة: ٣- ب.

(٢) الورقة: ٧٢- أ- ب.

(٣) الورقة: ٨٣- ب.

(٤) الورقة: ١٩٠- أ.

(٥) الورقة: ١٩٤- ب.

سنة (٥٩٠ هـ/١١٩٣ م) غرقاً وانما زيادة في دجلة رغم وصول الماء الى سور بغداد الذي بناه المنصور^(١).

وبما ان الحوادث والاحبار السياسية والعسكرية التي وردت في الكتاب لم تكن خاصة باقليم معين، فكذلك الحال بالنسبة للكوارث الطبيعية فانها شملت الكثير من بقاع العالم الاسلامي، فمثلاً يتحدث عن هبوط كبير في مستوى نهر النيل سنة (٥٩٧ هـ/١٢٠٠ م)، بحيث لم يحدث مثلها للنيل في التاريخ الاسلامي سوى مرة واحدة في ايام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م) مما ادى الى حدوث الغلاء، ورافق الغلاء انتشار الوباء في مصر، وهروب الناس الى المغرب والحجاز واليمن والشام، وتشتت الناس اكثر من سنة (٤٦٢ هـ/١٠٦٩ م)^(٢).

ومن الكوارث الطبيعية الاخرى التي وردت في الكتاب والتي ترتبت عليها نتائج على درجة كبيرة من الخطورة هو ظهور الجراد بالشام سنة (٦١٩ هـ/١٢٢٢ م)، بحيث لم ير مثله سابقاً "فاكل الزرع والشجر والثمر"^(٣).

وعندما يذكر الحوادث يستشهد بآيات من القرآن الكريم^(٤)، واحاديث نبوية^(٥)، وابيات شعرية كثيرة^(٦)، هذا ولم يخلو الكتاب من الطرف والنوادر^(٧).

اما التراجيح التي وردت في المخطوط، فهي كثيرة، وتتناول مختلف الاصناف والطبقات من الخلفاء والسلاطين والملوك والامراء والوزراء والعلماء والفقهاء والكتّاب والشعراء والمؤرخين والقضاة والزهاد والصوفية والمدرسين، وبما ان حوادث الكتاب لم تكن خاصة بجزء معين من البلاد الاسلامية فان ذلك ينطبق على التراجيح ايضاً، فترجم لاشخاص من

(١) الورقة: ٥٥- ب.

(٢) الورقة: ٧٢- أ.

(٣) الورقة: ١٠٨- أ.

(٤) الورقة: ١٣- أ، ١٦- ب، ١٩- ب، ٢٢- أ، ٧٨- ب.

(٥) الورقة: ١٠- أ.

(٦) الورقة: ٧- أ، ١٣- أ، ٢٥- ب، ٢٦- أ، ٣٦- ب، ١٩٣- أ، ١٢٠- ب، ١٢١- أ.

(٧) الورقة: ٢٨- ب، ٢٩- أ، ٣١- ب.

مختلف البلاد الاسلامية شرقا وغربا، غير ان اهتمامه بالشاميين كان اكثر، ولعل ذلك يرجع الى اعتماده على مؤرخين شاميين بالاضافة الى كونه شاميا.

والذي يلاحظ على المخطوط بشكل عام انه بعد تثبيت السنة يذكر بعدها مباشرة ابرز حوادثها، ثم يبدأ بترجمة من توفي فيها، غير ان هناك سنوات لم يترجم فيها لاحد، كما هو الحال بالنسبة للسنوات (٥٧٢ هـ/١١٧٦م)^(١)، و (٥٧٣ هـ/١١٧٧م)^(٢)، (٦٥١ هـ/١٢٥٢م)^(٣)، (٦٥٢ هـ/١٢٥٤م)^(٤)، (٦٥٤ هـ/١٢٥٦م)^(٥)، (٦٤٧ هـ/١٢٤٩م)^(٦)، (٦٠٢ هـ/١٢٠٥م)^(٧)، (٦٠٣ هـ/١٢٠٦م)^(٨)، (٦١١ هـ/١٢١٤م)^(٩)، وسنة (٦١٢ هـ/١٢١٥م)^(١٠)، وسنة (٦١٤ هـ/١٢١٧م)^(١١).

وبالمقابل فانه يخصص بعض السنوات فقط للتراجم من غير ان يذكر شيئا عن

الحوادث الاخرى، كما هو الحال بالنسبة للسنوات (٦٠٧ هـ/١٢١٠م)^(١٢) (٦١٠ هـ/١٢١٣م)^(١٣)، (٦١٢ هـ/١٢١٦م)^(١٤)، (٦٢٩ هـ/١٢٣١م)^(١٥)، (٦٤٠ هـ/١٢٤٢م)^(١٦)، (٦٥٢ هـ/١٢٥٥م)^(١٧).

(١) الورقة: ا- ب، ٢- ا.

(٢) الورقة: ٢- ا- ب، ٣- ا- ب.

(٣) الورقة: ١٨٩- ب- ١٩٠- ا.

(٤) الورقة: ١٩٠- ا- ١٩٢- ب.

(٥) الورقة: ١٩٣- ب- ١٩٥- ا.

(٦) الورقة: ١٦٥- ب- ٧٧- ب.

(٧) الورقة: ٨٠- ب.

(٨) الورقة: ٨٠- ب- ١٨١- ا.

(٩) الورقة: ٨٨- ب- ٨٩- ا.

(١٠) الورقة: ٨٩- ب- ٩٠- ا- ب.

(١١) الورقة: ٩٧- ا- ب- ٩٥- ا.

(١٢) الورقة: ٨٥- ا- ب.

(١٣) الورقة: ٨٨- ا- ب.

(١٤) الورقة: ٩٢- ب- ٩٣- ا.

(١٥) الورقة: ١٢٩- ا- ب.

(١٦) الورقة: ١٥١- ب.

والذي يمكن ملاحظته في التراجم ايضا، انه يستهل بعض السنين بترجمة ملك او امير كبير، فعلى سبيل المثال يبدأ سنة (٥٧٦ هـ/١١٨٠م) بترجمة سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي حاكم الموصل^(٢)، وسنة (٥٧٧ هـ/١١٨١م) للملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود زنكي^(٣)، ويستهل سنة (٦٠٧ هـ/١٢١٠م) بترجمة الملك العادل ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي حاكم الموصل^(٤)، وسنة (٦٢٨ هـ/١٢٣٠م) بترجمة الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب^(٥)، وسنة (٦١٧ هـ/١٢٢٠م) بترجمة للسلطان محمد خوارزم شاه^(٦)، وسنة (٦٣٤ هـ/١٢٣٦م) بترجمة للملك العزيز محمد بن الملك الظاهري غازي بن السلطان صلاح الدين^(٧)، ويبدأ سنة (٦٥٥ هـ/١٢٥٧م) بترجمة للملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى الايوبي^(٨)، ويستهل سنة (٦٢٢ هـ/١٢٣٦م) بذكر تراجم ليسوا من الملوك والسلاطين، ولكن لاثنين من الامراء المشهورين، وبعدهما يترجم للخليفة العباسي الظاهر بأمر الله^(٩)، ويبدو انه يترجم لمن توفي اولا والذي يليه وهكذا بغض النظر عن منصبه ومكانته. وينتقل بعد ذكر مثل تلك التراجم الى الاحداث التي وقعت في تلك السنة.

اما بالنسبة لطول الترجمة او قصرها فكانت متباينة، فهو يذكر احيانا تفاصيل كثيرة ودقيقة عن شخص ما في ترجمة طويلة، في حين اختصر ترجمة شخص او اشخاص آخرين ومشهورين في الوقت نفسه، فقد لا يتجاوز الترجمة خمسة أسطر لاناس

(١٧) الورقة: ١٩٢ - ب - ١٩٣ - أ.

(١) الورقة: ٤ - أ.

(٢) الورقة: ٤ - ب.

(٣) الورقة: ٨٥ - أ.

(٤) الورقة: ١٢٦ - ب.

(٥) الورقة: ١٠٢ - ب.

(٦) الورقة: ١٣٩ - أ.

(٧) الورقة: ١٩٥ - أ - ب.

(٨) الورقة: ١١٦ - أ.

من مستويات وطبقات ومناصب عليا ومختلفة كالخلفاء والسلاطين والملوك والامراء والوزراء والعلماء، كترجمته للخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي توفي سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٦م) وتولي ابنه المستنصر بالله الخلافة من بعده في سطر ونصف السطر^(١)، ثم يترجم للخليفة المستنصر نفسه الذي توفي سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢م) في ثلاثة اسطر^(٢)، وترجم لسلطان سلاجقة الروم عز الدين كيكاوس (ت ٦١٥ هـ / ١٢١٨م) في سطر ونصف السطر^(٣)، وترجم لسيف الدين طغتكين بن ايوب (ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٧م) في سطرين ونصف السطر^(٤)، وللملك الاوحد نجم الدين ايوب بن الملك العادل (ت ٦٠٩ هـ / ١٢١٢م) حاكم خلاط في ثلاثة اسطر ونصف السطر^(٥)، وللملك القانز بن الملك العادل (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠م) في سطرين ونصف السطر^(٦)، وللملك الحافظ ارسلان شاه بن الملك العادل بن ايوب (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م) فقط بسطر ونصف السطر^(٧)، وللملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين (ت ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦م) بأقل من سطرين^(٨)، وترجم لحاكم همذان ايدغمش الذي قتل سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣م) في ثلاثة اسطر ونصف السطر^(٩)، وترجم لقطب الدين ايلغازي بن البي (ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م) حاكم ماردين في أقل من سطرين^(١٠)، وللعالم الكبير قطب الدين النيسابوري (ت ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م) في سطرين ونصف السطر^(١١)، وللامير

(١) الورقة: ١١٥ - أ.

(٢) الورقة: ١٥٠ - ب.

(٣) الورقة: ٩٧ - ب.

(٤) الورقة: ٦٢ - ب.

(٥) الورقة: ٩٧ - ب.

(٦) الورقة: ١٠٢ - ب.

(٧) الورقة: ١٤٩ - ب.

(٨) الورقة: ١٣٨ - أ.

(٩) الورقة: ٨٨ - أ - ب.

(١٠) الورقة: ١٠ - ب.

(١١) الورقة: ٧ - ب.

عز الدين جرديك النوري (ت ٥٩٤ هـ/١١٩٧م) ايضاً في سطرين ونصف سطر^(١)، وترجم
للامير بهاء الدين قراقوش الخادم (ت ٥٦٧ هـ/١١٧١م) بثلاثة اسطر ونصف السطر^(٢)،
وللعالم الحسن بن محمد الملقب بتاج الدين بن حمدون (ت ٦٠٧ هـ/١٢١٠م) بسطر ونصف
السطر^(٣)، وللإمام الفقيه تقي الدين عثمان بن الصلاح الاربلي (ت ٦٤٣ هـ/١٢٤٥م) ايضاً
بسطر ونصف^(٤)، وترجم لشبل الدولة كافور الحسامي (ت ٦٢٢ هـ/١٢٢٦م) بخمسة اسطر
تقريباً^(٥)، وللأمير عضد الدولة مرهف بن اسامة بن منقذ (ت ٦١٣ هـ/١٢١٦م) في سطرين
ونصف سطر^(٦).

وبالمقابل نجد تراجم مطولة لاشخاص من طبقات ومستويات ومناصب مختلفة ايضاً،
فأطول ترجمة وردت في المخطوط لجمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن
الجوزي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م) في ست صفحات^(٧)، معتمداً في ذلك على كتاب مرآة الزمان
لسبط ابن الجوزي^(٨)، بينما كان ترجمته للسلطان صلاح الدين (ت ٥٨٩ هـ/١١٩٣م) في
خمس صفحات تقريباً^(٩)، وللملك العظيم مظفر الدين كوكبوري (ت ٦٢٠ هـ/١٢٣٢م) حاكم
اربيل في اربع صفحات^(١٠).

هذا وقد ترجم لعدد من الاشخاص بمستويات مختلفة كل واحد منهم في ثلاث
صفحات تقريباً مثل الامير اسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ/١١٨٨م)^(١١)، والعماد الكاتب

(١٢) الورقة: ٦٣- أ.

(١) الورقة: ٧٦- ب.

(٢) الورقة: ٨٦- ب.

(٣) الورقة: ٥٦- أ.

(٤) الورقة: ١١٥- أ.

(٥) الورقة: ٩٣- أ.

(٦) الورقة: ١٠٢- ب- ١٠٤- أ.

(٧) ٨ / ٤٨١ - ٥٠٤.

(٨) الورقة: ٥- ب- ٥٣- ب.

(٩) الورقة: ١٣- أ- ١٣- ب.

(١٠) الورقة: ٢٥- أ- ٢٦- أ.

الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)^(١)، والشيخ عز الدين احمد بن معقل الحمصي المهلبى الشيعي (ت ٦٤٤ هـ/١٢٤٦م)^(٢)، والملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين ايوب الذي اغتيل على ايدي مماليك ابيه سنة (٦٤٨ هـ/١٢٥٠م)^(٣)، وخليفة الموحدين سلطان المغرب الملك المنصور ابو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن (ت ٥٩٥ هـ/١١٨٩م)^(٤)، بينما ترجم للفاضل عبدالرحيم البيساني (ت ٥٩٦ هـ/١١٩٩م)، في صفحتين^(٥)، وهناك اكثر من ترجمة في صفحة ونصف الصفحة مثل ترجمته للشيخ عبدالله اليونيني (ت ٦١٧ هـ/١٢٢٠م)^(٦).

بينما هناك عدة تراجم في صفحة او اكثر بقليل مثل ترجمة الاديب الشاعر محمد بن بختيار بن عبدالله (٦٠٥ هـ/١٢٠٨م)^(٧)، والملك المعظم عيسى بن الملك العادل بن ايوب (ت ٦٢٤ هـ/١٢٢٦م)^(٨)، والسلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي الذي قتل سنة (٦٢٨ هـ/١٢٣٠م)^(٩)، والملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل (ت ٦٥٥ هـ/١٢٥٧م)^(١٠)، ومما يشار اليه ان هناك اكثر من ترجمة للنساء وان كانت مقتصرة على نساء الاسرة الايوبية الحاكمة، مثل ترجمته لعصمت الدين خاتون (ت ٥٨١ هـ/١١٨٥م) ابنة الامير معين الدين اتر زوجة السلطان صلاح الدين الايوبي^(١١)، وربيعة خاتون بنت ايوب

(١) الورقة: ٧٦ - ب - ٧٨ - أ.

(٢) الورقة: ١٥٨ - أ - ١٥٩ - ب.

(٣) الورقة: ١٧٦ - أ - ١٧٧ - أ.

(٤) الورقة: ٦٦ - ب - ٦٨ - أ.

(٥) الورقة: ٦٧ - ب - ٦٨ - ب.

(٦) الورقة: ١٠٢ - ب - ١٠٥ - أ.

(٧) الورقة: ٨٣ - ب - ٨٤ - أ.

(٨) الورقة: ١١٦ - ب - ١١٧ - ب.

(٩) الورقة: ١٢٧ - ب - ١٢٨ - أ.

(١٠) الورقة: ١٩٣ - أ - ١٩٤ - أ.

(١١) الورقة: ١٢ - أ.

بن شادي (ت ٦٤٤ هـ/١٢٤٦م) اخت السلطان صلاح الدين^(١)، وكذلك ست الشام بنت ايوب بن شادي (ت ٦١٦ هـ/١٣١٩م)^(٢).

وقد لوحظ في الترجمات التزامه الى حد كبير بذكر الكنى واللقاب والنسبة الى القبيلة، ولم يخرج عن هذه القاعدة الا في حالات قليلة.

اما النسبة الى المدينة او الاقليم فلقد التزم بها ايضاً في جميع تراجمه تقريباً، كقوله مثلاً في ترجمة "فخر الدين محمد بن عبد الوهاب الانصاري الدمشقي (ت ٦٢٩ هـ/١٢٣١م)^(٣)، و"السيف الأمدي ابو القاسم (ت ٦٣١ هـ/١٢٣٣م)^(٤)، و"جمال الدين بن محمود بن احمد الحصري البخاري (ت ٦٣٦ هـ/١٢٣٨م)^(٥)، وترجمة "احمد بن علي الرضاي شيخ البطائحين (ت ٥٧٨ هـ/١١٨٢م)^(٦)، والامير الفقيه "ضياء الدين عيسى الهكاري (ت ٥٨٥ هـ/١١٨٩م)^(٧)، و"الخضر بن محمد بن علي الجزري (ت ٦٠٥ هـ/١٢٠٨م)^(٨)، وترجمة "السلطان محمد خوارزم شاه (ت ٦١٧ هـ/١٢٢٠م)^(٩)، و"صلاح الدين احمد بن عبد السيد الاربلي الهذباني (ت ٦٣١ هـ/١٢٣٣م)^(١٠).

ولا يفوته ذكر مذهب صاحب الترجمة في احيان كثيرة، كقوله في ترجمة "قطب الدين النيسابوري الفقيه الشافعي (ت ٥٧٨ هـ/١١٨٢م)^(١١).

وفي معرض ترجمته "للملك المعظم عيسى بن الملك العادل (ت ٦٢٤ هـ/١٢٢٦م)" يذكر بانه "تفقه على مذهب الامام ابي حنيفة"^(١٢)، ويشير في ترجمته "للساحب صفي

(١١) الورقة: ١٥٥ - ب - ١٥٦ - أ.

(١٢) الورقة: ١٠٠ - أ.

(١) الورقة: ١٢٩ - ب.

(٢) الورقة: ١٣٥ - ب.

(٣) الورقة: ١٤٦ - ب.

(٤) الورقة: ٧ - أ.

(٥) الورقة: ٣١ - أ.

(٦) الورقة: ٨٣ - ب.

(٧) الورقة: ١٠٢ - أ.

(٨) الورقة: ١٣٦ - أ.

(٩) الورقة: ٧ - ب.

الدين عبدالله بن علي الدميري ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م) "بانه كان "مالكي المذهب"^(٢)، وكذلك بالنسبة "للشيخ عز الدين احمد بن معقل الحمصي المهلبى ت ٦٤٤ هـ/١٢٤٦م) "بانه كان "عالماً بالفقه على مذهب الامامية"^(٣)، والاكثر من ذلك فانه يذكر احياناً منزلة صاحب الترجمة بين اهل المذهب مثل "الشيخ ابو عمر محمد بن احمد بن قدامة شيخ الحنابلة المقدسة ت ٦٠٧ هـ/١٢١٠م)^(٤)، و"الشيخ جمال الدين بن محمود بن احمد الحصري البخاري ت ٦٣٦ هـ/١٢٣٨م) "حيث انتهت اليه "رئاسة اصحاب ابي حنيفة"^(٥)، والامام "فخر الدين بن عساكر ت ٦٢٠ هـ/١٢٢٣م) وكان "امام الشافعية"^(٦).

اما تاريخ مولد المترجم، فقد ورد في تراجم كثيرة^(٧)، فيشير احياناً الى جانب سنة الولادة ضمناً بالنسبة للحكام الى سنوات حكمهم، فعلى سبيل المثال يذكر وفاة "سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زكي ت ٥٧٦ هـ/١١٨٠م) "بان عمره كان "ثلاثون سنة، وولايته عشر سنين"^(٨)، وقد لا يذكر سنة وفاة المترجم بشكل صريح ومحدد، وانما يترك للقارئ تحديدها بعد ذكر عمره، كما هو الحال بالنسبة "للملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود زكي ت (٥٧٧ هـ/١١٨١م) "، ولم "يبلغ من العمر عشرين سنة"^(٩)، ويذكر في احيان اخرى بالاضافة الى سنة ولادة المترجم ومكانها، ووفاته الى اليوم الذي توفي فيه، وخاصة اذا كانت من المناسبات مثل الاعياد، كما هو في ترجمة "قطب الدين النيسابوري ت (٥٧٨ هـ/١١٨٢م) "الذي ولد سنة "خمس وخمسين بنيسابور، وتوفي يوم عيد الفطر"^(١٠)، الذي يصادف اليوم الاول من شهر شوال بطبيعة الحال.

(١٠) الورقة: ١١٧ - ب.

(١١) الورقة: ١٣١ - أ.

(١) الورقة: ١٥٩ - أ.

(٢) الورقة: ٨٥٠ - أ.

(٣) الورقة: ١٤٦ - ب.

(٤) الورقة: ١١٠ - أ.

(٥) الورقة: ٧ - ب، ٢٥ - أ، ٧٣ - أ، ٧٦ - ب، ٨٣ - ب، ٨٥ - أ، ٨٦ - ب، ٩٢ - ب.

(٦) الورقة: ٤ - أ.

(٧) الورقة: ٤ - ب.

(٨) الورقة: ٧ - ب.

وقد يشير في الترجمة بالاضافة الى مكان وسنة الولادة مثلاً الى عمره عند وفاة والده لما لذلك من أثر على شخصيته وتكوينه، ثم يحدد سبب الوفاة، ومدة المرض، واخيراً يشير الى وقت الوفاة ما اذا كانت في الليل او النهار، واليوم، واخيراً الساعة التي توفي فيها، مثل ترجمة "جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)"، الذي ولد في بغداد سنة (٥١٠ هـ/١١١٦م)، وتوفي ابوه وعمره ثلاث سنين وتوفي بعد خمسة ايام من مرض اصابه ليلة الجمعة بين العشاءين سابع رمضان^(١).

وقد يحدد مكان الولادة من حيث التبعية الادارية بشكل دقيق ومحدد بالاضافة الى سنة الولادة، كما هو الحال في ترجمة "الشيخ ابو عمر محمد بن احمد بن قدامة" الذي ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بقرية جماعين من اعمال نابلس^(٢)، وبالنسبة لامراء المالك فيشير احياناً الى سعر مشراه، فيذكر في ترجمة الامير "فخر الدين اياز سركنس الناصري الصلاحي (ت ٦٠٨ هـ/١٢١١م)" بأنه اشترى باربعمائة دينار^(٣)، وقد يحدد ميلاد المترجم بدقة كبيرة، مثل ميلاد "الشيخ تاج الدين ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي (ت ٦١٣ هـ/١٢١٦م)" بأنها كانت سنة عشرين وخمس مائة "ليلة النصف من شعبان" تاركاً للقارئ تحديد عمره، او انه يذكر العمر وسنة الوفاة تاركاً للقارئ تحديد سنة ولادته مثل ترجمة "عضد الدولة مرهف بن اسامة منقذ الذي توفي بالقاهرة سنة (٦١٣ هـ/١٢١٦م)، وعمره اثنان وتسعون سنة"^(٤).

وبالاضافة الى ما تقدم فانه يذكر ما تميز به المترجم ومارسه من عمل ومهنة كقوله، "المدرس"^(٥)، "الشاعر"^(٦)، "الفقيه"^(٧)، "القاضي"^(٨)، "المحدث"^(٩)، "الاديب"^(١٠)،

(١) الورقة: ٧٣-٧٦-أ.

(٢) الورقة: ٨٥-أ.

(٣) الورقة: ٨٦-ب.

(٤) الورقة: ٩٣-أ.

(٥) الورقة: ١٠٥-أ، ١٣٦-أ، ١٤٦-ب.

(٦) الورقة: ٨٣-ب، ١٥٦-أ، ١٥٩-أ، ١٦٠-ب، ١١٧-ب.

(٧) الورقة: ٧-ب، ١٠٥-أ، ١١٧-ب.

(٨) الورقة: ٧-ب، ١٠٠-ب، ١٤٩-ب.

(٩) الورقة: ١٤٦-ب.

"النحوي"^(٣)، "الشيخ"^(٣)، ويقصد به احياناً شيخ منطقة معينة، "رئاسة المذهب"^(٤) او "امام المذهب"^(٥)، "الصدر.. علامة زمانه"^(٦)، "الواعظ"^(٧)، "الكاتب المنشئ"^(٨)، "قاضي العسكر"^(٩)، "المؤرخ"^(١٠)، "المفسر"^(١١)، "العدل"^(١٢)، "كبار العدول"^(١٣)، "الوزير"^(١٤)، "الصاحب"^(١٥)، "قاضي القضاة"^(١٦)، "المتكلم الاصولي"^(١٧)، "الفلكي"^(١٨)، "الامام"^(١٩)، "العالم"^(٢٠)، وقد يشير الى اختصاصه العلمي، وتميزه في مجال معين، مثل "الشيخ محي الدين محمد بن محمد بن عربي الحاتمي الطائفي، كان فاضلاً في سائر العلوم، سيما علم الحقيقة... ويعمل في الكيمياء"^(٢١).

(١٠) الورقة: ٨٣- ب، ١١٧- ب.

(١١) الورقة: ٩٢- ب.

(١٢) الورقة: ٧- أ.

(١٣) الورقة: ٨٧- أ.

(١٤) الورقة: ١١٠- أ.

(١٥) الورقة: ٧- ب.

(١٦) الورقة: ٧٣- ب.

(١٧) الورقة: ٧٦- ب.

(١٨) الورقة: ١٥٢- أ.

(١٩) الورقة: ١٠٥- أ، ١١٠- أ.

(٢٠) الورقة: ١١٠- أ.

(٢١) الورقة: ١٢٩- ب.

(٢٢) الورقة: ١٥٤- أ.

(٢٣) الورقة: ١٣١- أ.

(٢٤) الورقة: ١٨٨- ب.

(٢٥) الورقة: ١- ب، ١٤٤- ب.

(٢٦) الورقة: ١٣٦- أ.

(٢٧) الورقة: ١٣٦- أ.

(٢٨) الورقة: ١٤٦- ب، ١٥٥- ب.

(٢٩) الورقة: ١٤٩- ب، ١١٧- ب.

(٣٠) الورقة: ١٥١- أ.

ويشير في احيان كثيرة الى صفات المترجم من السماحة والكرم والشجاعة والرؤفة والعصبية والبر والرأفة بالفقراء وحب العلم والعلماء، وما قام به من الاعمال العمرانية، مثل بناء المدارس^(١) وغيرها^(٢)، وبالنسبة للخلفاء يذكر من تولى بعده^(٣).

وترجم في كتابه لبعض الشخصيات المغمورة من العائلة الايوبية الحاكمة الذين لم يكونوا من اصحاب الامارات، وما قاموا به من اعمال ونشاطات ومحاولات لتحقيق مكاسب سياسية مثل الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل الذي توفي سنة (٦٤٥ هـ/١٢٤٧م)^(٤)، كما ترجم في الوقت نفسه لبعض الامراء من غير العائلة المالكة، كان يكون من الماليك او غيرهم، من حيث الصفات وما اشتهروا به، وما اسند اليهم من مهام عسكرية وادارية، وما قاموا به من اعمال عمرانية مثل الطواشي شهاب الدين رشيد الكبير الصالحي^(٥)، وجرديك بن عبدالله النوري^(٦)، وحسام الدين ابو الهيجاء السمين الكردي الازكشي^(٧)، وصارم الدين قايمار النجمي^(٨).

وكتب احيانا ترجمة مفصلة لبعض الشخصيات من حيث الولادة والصفات والمناصب والوظائف التي تولاها، كصاحب السيف والقلم والشحنكية، وما قاموا به من ادوار سياسية واعمال خيرية، وسفارات دبلوماسية، ومن خرج في جنازته من الملوك مثل القاضي كمال الدين محمد بن عبدالله الشهرزوري (ت ٥٧٢ هـ/١١٧٦م)^(٩).

وقدم ترجمة مطولة نسبياً لبعض الملوك الذين انتهوا نهاية مأساوية، مثل الملك الناصر داود بن المعظم عيسى بن العادل (ت ٦٥٥ هـ/١٢٥٧م) حاكم الكرك والشوبك وغيرهما، ورغم كرم المنبت وما تميز به من الصفات والمؤهلات، وما اشتهر به من العلوم العقلية الصرفة مثل علم الارض بالاضافة الى التواريخ والنحو والمنطق، غير ان الزمان

(١٨) الورقة: ١٥١ - ب، ١١٦ - أ.

(١٩) الورقة: ٧١ - ب، ١٤٦ - ب، ١٣٦ - أ، ١٣٢ - ب، ١٣٣ - ب.

(٢٠) الورقة: ١٥١ - ب.

(١) الورقة: ١٦١ - ب.

(٢) الورقة: ١٩٣ - أ.

(٣) الورقة: ٦٣ - أ.

(٤) الورقة: ٦٣ - ب.

(٥) الورقة: ٧١ - ب.

(٦) الورقة: ١ - أ - ب.

تقلب به وتوفي في غاية ما يوصف من الفقر والفاقة ولم يخرج احد من اهل دمشق في جنازته^(١).

اما سبب وفاة المترجم فلا يذكره الا اذا توفر فيه عنصر الغرابة، فمثلاً عند ذكر وفاة "ناصر الدين محمد بن شيركوه حاكم حمص الذي توفي فيها سنة (٥٨١ هـ/١١٨٥م)، وكانت وفاته بحمص يوم عرفة، تناثر لحمه، وقيل انه سم^(٢).

وفي ترجمة اخرى قيل دس له السم "فرمى كبده قطعاً"^(٣)، او ان سبب الوفاة كان "مرض السسل"^(٤)، او "الحمى الصفراوية"^(٥)، او "حماتين مختلفتين"^(٦)، او مرض "النزب"^(٧)، "الضالج"^(٨)، "علة الدق"^(٩)، "امراض مزمنة"^(١٠)، "ذات الجنب"^(١١)، او امراض غير معروفة^(١٢)، وقد يكون سبب الموت "الاغتيال"^(١٣)، او "قتل الاخ لآخيه"^(١٤)، او "الحبس والمضايقة فيها"^(١٥)، او الاعدام "خنقاً"^(١٦) او "شنقاً"^(١٧)، او كانت هناك

(٧) الورقة: ١٩٥-أ-١٩٦-ب.

(١) الورقة: ١٢-أ.

(٢) الورقة: ٧٩-ب.

(٣) الورقة: ٤-ب، ٨٥-أ.

(٤) الورقة: ٤-ب، ٨٥-أ.

(٥) الورقة: ٣٤-ب.

(٦) الورقة: ٩٣-أ، ١١٨-ب.

(٧) الورقة: ١٢٣-أ، ١٥٠-أ.

(٨) الورقة: ١٦٤-أ.

(٩) الورقة: ٨٧-ب.

(١٠) الورقة: ١٠١-ب.

(١١) الورقة: ١٥٤-أ.

(١٢) الورقة: ٤٧-ب، ١٤٤-ب، ١٤٥-أ.

(١٣) الورقة: ١٠٢-ب.

(١٤) الورقة: ١٠٥-ب، ١٥٩-أ.

(١٥) الورقة: ١٦٥-ب، ١٨٦-ب.

(١٦) الورقة: ١٨٥-ب.

ثلاثة اسباب للموت في آن واحد، وهي "القتل والحرق والغرق" في ترجمة "الملك المعظم توران شاه بن السلطان الصالح نجم الدين ايوب ت ٦٤٨ هـ/١٢٥٠م"^(١).

ومن اوجه الغرابة في اسباب الموت ايضاً، ما ورد في ترجمة "جمال الدين محمد بن اوكلر" الذي خرج في شاني يقاتل الفرنج اثناء حصار عكا سنة (٥٨٦ هـ/١١٩٠م) فاحاطت به مراكب الفرنج، وعرضوا عليه الامان، فقال: "ما اضع يدي الا في يد مقدمكم، فجاء اليه المقدم الكبير، فأخذه بيده وعانقه، والقى بنفسه واپاه البحر فغرقاً"^(٢)، وكذلك في ترجمة القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ/١١٩٩م) الذي دعى على نفسه بالموت عندما دخل "الملك العادل" القاهرة خوفاً من اهانة وزيره "صفي الدين بن شكر" فاصبح ميتاً^(٣)، ومقتل "الملك الامجد بهرام شاه بن عز الدين بن فرخشاه سنة (٦٢٨ هـ/١٢٣٠م) بسيفه على يد احد معاليكه"^(٤)، او مقتل السلطان الخوارزمي "جلال الدين منكبرتي" في نفس السنة على يد احد الاكراد لانه كان قد قتل اخ له^(٥).

وعندما يترجم لاحد الاعلام المشهورين، فانه يذكر شيوخه الذين اخذ عنهم^(٦)، كما يذكر تلاميذه واولئك الذين اخذوا عنه^(٧)، ثم مصنفاته^(٨)، غير انه لا يذكر احياناً اسماء بعض كتب المترجم، ويكتفي بالقول "مليح التصانيف"^(٩) او "صنف الكتب في فنون عديدة"^(١٠) وله "تصانيف كثيرة"^(١١) او تصانيف في سائر العلوم^(١٢)، و"صنف المصنفات الحسان"^(١٣)، بينما يذكر تلك المصنفات في احيان اخرى.

(١٧) الورقة: ١٧٨ - ب - ١٧٩ - أ.

(١) الورقة: ٣٤ - أ.

(٢) الورقة: ٧١ - أ.

(٣) الورقة: ١٢٦ - ب.

(٤) الورقة: ١٢٨ - ب.

(٥) الورقة: ٧٣ - ب، ١٥٥ - ب، ١٩٥ - ب، ١٢٩ - ب، ١٣٠ - أ.

(٦) الورقة: ٩٢ - ب، ١٠٤ - أ.

(٧) الورقة: ٧٦ - ب، ٨٦ - ب.

(٨) الورقة: ٢٥ - أ.

(٩) الورقة: ٧٣ - ب.

(١٠) الورقة: ٩٢ - ب.

في حين عرف بشكل مختصر بعض مصنفات المترجمين التي ورد ذكرها في الترجمة، مثل الاشارة الى كتاب "الفتح القسي في الفتح القدسي" للعماد الكاتب الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)^(٢)، وديوان شعر في "مدائح اهل البيت) للشيخ عز الدين احمد بن معقل الحمصي المهلبى (ت ٦٤٤ هـ/١٢٤٦م)^(٤)، وكذلك وصف التاريخ الذي وضعه الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر بن شاهنشاه بن ايوب^(٥).

وبالنسبة لتراجمه فقد ذكر اسماءهم والقابهم وكناهم، وأشار الى علو مراكز بعضهم كقوله: عن الشيخ ابو عمر محمد بن احمد بن قدامة "شيخ الحنابلة"^(٦)، ووصف جمال الدين بن محمود بن احمد الحصري البجاري "بالشيخ الامام العلامة.. وانتهت اليه رئاسة اصحاب ابي حنيفة"^(٧)، والامام فخر الدين بن عساكر "وكان امام الشافعية"^(٨)، وأشار الى عز الدين مظفر بن المؤيد بن القلانسي يانه كان من "رؤساء دمشق"^(٩)، ومن المناصب الاخرى التي وردت في المخطوط "العدل"^(١٠) و "شيخ الشيوخ"^(١١).

وفيما يخص هذا الجانب ايضاً ونقصد به المنهج الذي اتبعه المؤلف فانه التزم الحياد والامانة في كتابه الى حد كبير، فمع ان عنوان المخطوط كما هو واضح خاص بتاريخ دولة الاكراد في العصر الايوبي، غير انه كتب عنهم بأمانة منقطعة النظر، فيمجدهم في المواضيع التي تستحقها بينما ينتقدهم في الوقت نفسه في مواضع النقد، سواء على

(١١) الورقة: ٨٥- أ.

(١٢) الورقة: ١١٠- أ.

(١) الورقة: ٧٧- أ.

(٢) الورقة: ١٥٩- ب.

(٣) الورقة: ١٠٥- أ.

(٤) الورقة: ٨٥- أ.

(٥) الورقة: ١٤٦- ب.

(٦) الورقة: ١١٠- أ.

(٧) الورقة: ١١٠- أ.

(٨) الورقة: ١٢٩- ب.

(٩) الورقة: ١٠٥- ب.

المستوى السياسي والرسمي، او على المستوى الشخصي فيما يتعلق بالتراجيم، فمثلاً يشير الى قيام الايوبيين بالانتقام من دنيسر سنة (ت ٦٢٣هـ/١٢٣٥م) حتى اصبحت مضرب المثل، وتقاس الاحداث واعمال العنف على ضوءها "كفعل بني ايوب بدنيسر"^(١)، وكذلك وصف موقف الكورد من امراء المماليك في دمشق بعد مؤامرة اخوانهم في مصر، حيث اعتقلوا ونهبت دورهم، وسلبت حتى حلي نساءهم، "وفعلوا اقبح ما يكون"^(٢).

ورغم اصالة مصادره الا ان المؤلف تميز بحسن نقدي، وعدم الاستسلام للروايات، فانه عندما ينقل من مصدر يخضعها لمقاييس النقد، ويبين موضع الخطأ ثم يصححها، فعلى سبيل المثال فانه عندما يتحدث عن وفاة الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين سنة (٥٩٥ هـ/١١٦٨م)، يذكر بان العزيز اوصى لولده من بعده، وكانت الوصية للامير سيف الدين ازكش، فوثبت الاسدية عليه وقتلته من غير ان يشير الى مصدره، غير انه لم يستسلم في الوقت نفسه لتلك الرواية، بل ويصححها "والاصح ان ازكش لم يقتله الاسدية، وعاش بعد العزيز مدة"^(٣).

وذكر في ترجمته للملك "المجاهد اسد الدين شيركوه" حاكم حمص الذي توفي سنة (٦٤٧ هـ/١٢٤٩م) يانه "كان شجاعاً مقداماً يباشر الحروب بنفسه، ويحفظ طرق المسلمين من الفرنج والعرب، وكانت حمص في ايامه طاهرة من الخمر والفجور، لم يتعرض ضمان مكس، ولا اخذ من تاجر حقاً في عبوره وخروجه وبيعه وشراءه، وكان ظالماً عسوفاً لاهل حمص، فرقهم في كل ناحية، وابادهم في الحبوس"^(٤)، فالمؤلف لم يظهر تعصبا او تحيزاً في ايراده للحوادث والاخبار، لهذا او لذاك ممن ترجم لهم من السلاطين والملوك والامراء والوزراء والعلماء والفقهاء والقضاة والقادة، والمذاهب المختلفة من سنية وشيعية، ومعه انه ينقل الحوادث والاخبار والتراجيم من غيره، الا انه يبدي وجهة نظره منها كما لاحظنا في كثير من الاحيان، وانه اكمل نقولاته عن الحدث الواحد عن اكثر من مصدر.

(١) الورقة: ١٣٩-أ.

(٢) الورقة: ١٨١-ب.

(٣) الورقة: ٦٤-أ-ب.

(٤) الورقة: ١٥٠-أ.

لكن المخطوط لم يخل احياناً من بعض المبالغة كالاسراف في المدح، فهو في هذا يتابع من سبقه، او انه نقل ذلك الخبر من مصادر اخرى، كما جاء في ترجمته "للشيخ محي الدين محمد بن عربي(ت ٦٢٨ هـ/١٢٤٠م)" بانه كان "فاضلاً في سائر العلوم.. وكان يزعم انه يعرف الاسم الاعظم"^(١)، واعتمد في ترجمته "لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)" على سبط ابن الجوزي^(٢) بشكل يكاد يكون حرفياً من غير نقد وتمحيص ثقة في مصدره على ما يبدو، وتظهر المبالغة فيها واضحة "واقل ما كان يحضر مجلسه عشرة الف... وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره، كتبت باصبعي هاتين الف في مجلد، وتاب على يدي مائة الف، واسلم على يدي عشرة الف يهودي ونصراني، وكان يختم القرآن في كل سبعة ايام، ولا يخرج من بيته الا الى الجامع يوم الجمعة او مجلس وعظ... صنف مائتا ونصف وخمسون كتاباً في فنون من العلوم"^(٣)، وكذلك في ترجمة "احمد بن علي بن احمد الرفاعي (ت ٥٧٨ هـ/١١٨٢م)" نقلاً ايضا عن سبط ابن الجوزي^(٤) "كان عنده ليلة النصف من شعبان نحو من مائة الف انسان"^(٥).

وقد وردت في تضاعيف المخطوط آيات قرآنية^(٦) واحاديث نبوية^(٧) ذيل فيها بعض الحوادث والأخبار، وابيات شعرية في مواضع كثيرة.

ومن الموضوعات التي وردت في المخطوط ما يتعلق بالحياة الاقتصادية مثل اسقاط المكوس والضرائب والتخفيف عن الرعية^(٨)، مما ادى الى انتعاش الحياة الاقتصادية والارتفاع بمستوى المعيشة وتحسينها، كما اقدم البعض على بناء الخانات^(٩) في الطرقات والتي كانت بمثابة الفنادق في الوقت الحاضر لغرض تشجيع حركة التجارة والنقل.

(١) الورقة: ١٥١ - أ.

(٢) الورقة: مرآة الزمان، ٨ / ٤٨١ - ٥٠٤.

(٣) الورقة: ٧٣ - ب.

(٤) مرآة الزمان، ٨ / ٣٧٠ - ٣٧١.

(٥) الورقة: ٧ - أ.

(٦) الورقة: ١٦ - ب، ٧٥ - ب.

(٧) الورقة: ١٣ - ب، ٢٤ - أ.

(٨) الورقة: ٤ - أ، ١٣ - أ، ٩٦ - ب.

(٩) الورقة: ١١٣ - أ.

ولا بد من الاشارة هنا الى انه كانت للجروب تأثير في اكثر من جانب على الحياة الاقتصادية، غير انه في الغالب الاعم كانت سلبية، فمن الاساليب الحربية التي كانت شائعة في تلك الفترة هو الاقدام على تخريب الضياع وحرق المزارع وقطع البساتين^(١) بهدف اضعاف العدو واخضاعه ومن ثم اجباره على الاستسلام، وهو ما يمكن ان نسميه اليوم بسياسة 'الارض المحروقة' ومن اهداف هذه السياسة ايضاً حرمان العدو من جني الفوائد الموضوعية للاستعانة بها في مجهوده الحربي اذا ما نجح وتمكن من تحقيق الانتصار في معاركه بالاستيلاء على منطقة او مدينة، مثلما اقدم عليه الملك العظيم عيسى سنة (٦١٦ هـ/١٢١٩م) عندما علم عن عجزه في الدفاع عن القدس ضد هجوم صليبي متوقع، حيث خرب القدس رغم ما اثارته تلك الخطوة من استهجان لدى الرأي العام الاسلامي، حيث جفل الناس وهربوا منها خشية من الصليبيين، "وتركوا اموالهم وتشتتوا، سار البعض منهم الى مصر والبعض الى الكرك والبعض الى دمشق، ونهبت الاموال التي كانت بالقدس... وكانت الاشياء تباع بارخص الاثمان، حيث بلغ هتطار الزيت عشرة دراهم، والنحاس الرطل بنصف درهم"^(٢) كما ان حروب الحصار ادت دائماً الى الغلاء وارتفاع الاسعار بشكل خيالي، فعلى سبيل المثال اثناء حصار جلال الدين منكبرتي سنة (٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) لخلاط "اشتد بها الغلاء، وعدم القوت، واكلوا الجيف ولحوم الكلاب والقطط، ونقعوا الجلود واكلوها"^(٣)، كما تعرضت المدينة للنهب ثلاثة ايام وسلب الاهالي، واجبروا على اخراج دنانيرهم تحت التعذيب حتى هلك الكثير منهم^(٤)، وكذلك الحال بالنسبة لحصار الخوارزمية لمدينة دمشق سنة (٦٣٦ هـ/١٢٣٨م)، حيث ارتفعت الاسعار واشتد الغلاء حتى "بيع الغرارة القمح بمائتي وثلاثين درهماً، والشعير مائة وثلاثين درهماً، وحمل التبن خمسين درهماً"^(٥)، وقد تكررت الحالة اثناء حصار الخوارزمية والملك الصالح اسماعيل لمدينة دمشق سنة (٦٤٣ هـ/١٢٤٥م)، حيث "اشتد القلاء بها، ووصلت الغرارة القمح الف وستمائة درهم، ومات اكثر الناس على الطرقات، وخلت الاسواق،

(١) الورقة: ٢- ب.

(٢) الورقة: ٩٨- ب- ٩٩- أ.

(٣) الورقة: ١٢٣- أ- ب.

(٤) الورقة: ١٢٣- ب.

(٥) الورقة: ١٤٥- ب.

وجلوا اهل دمشق وخربت^(١)، وارتفعت الاسعار في حمص ايضاً سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) اثناء حصار عسكر الملك الصالح ايوب لها و"غلى الاسعار بحيث عدم الشعير والتبن، وابتعت الغرارة الشعير بثلاث مائة درهم، والتبن الحمل بمائة درهم"، وجاء ذلك في فصل الشتاء حيث الامطار والثلوج مما زاد الامر سوءاً^(٢)، وهناك امثلة اخرى كثيرة عن مثل هذا الوضع في اماكن عديدة^(٣).

وفي الوقت نفسه فان الحروب فرضت على الحكام سياسات خاصة، مثل اقدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد سلطان الشام سنة (٦٤٩هـ/١٢٥١م) على اتباع سياسة مالية استثنائية بسبب الحرب مع المماليك الذين استولوا على السلطة في مصر مما اثر سلباً على الوضع الاقتصادي والمعاشي للسكان عندما "جنى من الرعية سدس املاكهم، واخذ الكبيس من الخراج"^(٤).

وبالمقابل فقد ادت الحملات العسكرية احياناً الى نشاط تجاري وانتعاش اقتصادي للمناطق التي اصبحت معسكرات للجيش، مثل المنصورة سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) اثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر، حيث "بنى الناس بها الدور، وبنوا الاسواق والحمامات، وصارت ازقة"^(٥)، وهكذا اصبحت بلداً "عظيم الدور والحمامات والاسواق والفنادق"^(٦). وقد ورد في المخطوط معلومات كثيرة عن الناحية الاجتماعية بجوانبها المختلفة، مثل الخدمات التي كانت تقدم للناس كبناء المدارس^(٧) التي هي اشبه ما تكون اليوم بالمستشفيات، بالاضافة الى تخصيص الاوقاف لاعمال البر^(٨)، وتخصيص نسبة منها لتحرير

(٦) الورقة: ١٥٥ - ب.

(١) الورقة: ١٦٥ - أ.

(٢) الورقة: ١٥ - أ.

(٣) الورقة: ١٨٧ - ب.

(٤) الورقة: ١٦٨ - أ.

(٥) الورقة: ١٧٣ - أ.

(٦) الورقة: ١ - ب، ١٩٣ - أ.

(٧) الورقة: ٢ - أ.

الاسرى^(١)، الى جانب الصدقات والصلات وافعال الخير^(٢)، وبالمقابل محاربة الفساد والفجور والخمور^(٣)، وكانت دور المضيف تقدم خدماتها مجاناً للناس من الطعام والشراب والحلوى وان كان ذلك في اوقات معينة^(٤)، وقد ساهم في هذا الجهد الملوك والامراء^(٥)، ولم يقتصر ذلك على الرجال، وانما كان للمرأة نصيبها التي لا تنكر^(٦) وان كانت بدرجة اقل. ولم يخل هذا الجانب من الاشارة الى الازياء والملابس^(٧) التي كانت سائدة في تلك الفترة، و اشار الى المناسبات الاجتماعية من زواج^(٨) وما كانت تجري فيها من المراسيم والاحتفالات، والوفاة ومجالس العزاء^(٩)، واعياد مثل النوروز^(١٠). وما كان يجري في يوم عاشوراء^(١١)، والى مجالس الشراب^(١٢)، وانواع المأكول والمشروب^(١٣)، والاشارة الى بعض المفاهيم الاجتماعية، مثل الاهتمام باقوال المنجمين والاعتقاد بها^(١٤) وكرامات البعض من الزهاد والمتصوفة^(١٥)، والظواهر الفلكية، واجراء المقارنة مع مثيلاتها في حوادث سابقة، كما حصل في شهر محرم ليلة السبت سنة (٥٩٩ هـ/١٢٠٢م)، حيث ماجت النجوم في السماء شرقاً وغرباً وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً، ولم ير مثل ذلك الا عند

(٨) الورقة: ٢-أ.

(٩) الورقة: ١٤٤-أ، ٦٣-ب، ٧١-ب.

(١) الورقة: ٩٦-ب.

(٢) الورقة: ٨٢-ب.

(٣) الورقة: ١١٣-أ، ١٣٢-أ، ١٣٣-ب،

(٤) الورقة: ١٠١-أ، ١٥٧-أ.

(٥) الورقة: ٧٩-أ، ٨٢-أ، ٨٧-أ، ١٠٠-ب، ١٤٤-ب.

(٦) الورقة: ٤-ب، ١٩٠-ب،

(٧) الورقة: ٤-ب، ٨-ب، ١١-ب، ٩٦-ب،

(٨) الورقة: ٨٨-أ. ويصادف عيد النوروز يوم (٢١ آذار). من كل عام ميلادي ويصادف اليوم العاشر من شهر محرم.

(٩) الورقة: ١٢-ب.

(١٠) الورقة: ١٦٥-ب، ١٧٣-أ، ١٢٨-أ.

(١١) الورقة: ٦٥-أ، ١٠١-أ، ١٦٨-أ، ١٩٥-أ.

(١٢) الورقة: ١١-ب، ١٢-ب، ٨٤-ب.

(١٣) الورقة: ١٠٣-ب، ١٠٤-أ-ب.

مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك في سنة (٢٤١ هـ/٨٥٥ م) "ولكن في هذه السنة كانت اعظم"^(١)، وقد ورد في المخطوطات اشارات الى الموقف الشعبي وتأثير الرأي العام^(٢)، وفيما يخص الجانب الاجتماعي هناك اشارات الى التنزه^(٣) والعباب التسلية التي كانت سائدة في تلك الفترة مثل "الصيد"^(٤)، "ورمي البندق"^(٥)، "والشبابة"^(٦)، "واللعب بالرماح"^(٧)، "ولعب الكرة"^(٨) والتراكم على الخيول والاعلام^(٩)، هذا ولم يخل الجانب الاجتماعي مما كان يسود المجتمع من قصص الحب والغرام وتبادل الهدايا بين المحبين^(١٠)، وذكر بعض القنوات الاجتماعية مثل المصاردة^(١١)، والحرافشة^(١٢)، ومقدم الجريمة^(١٣)، وايراد بعض الموضوعات التي تمتاز بروح الدعاية والفكاهة^(١٤) وقد تعبر عن موقف سياسي وعسكري، وبعض الامور التي تعتبر عجيبة^(١٥)، ونادرة^(١٦) مثل بيع اسير صليبي بنعل^(١٧)، وقد ورد في المخطوط الاشارة الى ظروف الاعتقال مثل الاعتقال في الجب

(١٤) الورقة: ٧٩-أ.

(١) الورقة: ٨-أ، ١٢٠-ب، ١٤٩-ب، ١٥٠-أ-ب.

(٢) الورقة: ٥١-ب، ١٢٣-أ.

(٣) الورقة: ٨٧-ب، ١٤٩-ب.

(٤) الورقة: ١٠٨-ب.

(٥) الورقة: ١٠٠-أ.

(٦) الورقة: ١٩٠-ب.

(٧) الورقة: ١٢٤-ب.

(٨) الورقة: ١٧٦-ب.

(٩) الورقة: ٧١-ب، ١٢٦-ب، ١٢٧-أ.

(١٠) الورقة: ١٥١-ب.

(١١) الورقة: ١٥٣-أ.

(١٢) الورقة: ١٥٣-ب.

(١٣) الورقة: ٦٢-أ، ٧٦-ب.

(١٤) الورقة: ١٦-أ.

(١٥) الورقة: ١٠٠-ب.

(١٦) الورقة: ٣١-ب، ٢٨-ب، ٢٩-أ.

"الى ان اكل جلده القمل ومات بالجرب"^(١)، والمسلك الاجتماعي السيء لبعض الحكام مثل "الملك المسعود" حاكم آمد الارمني الذي توفي سنة (٦٢٠ هـ/١٢٢٢م) حيث كان "كثير الفسق، والتعرض لحريم الرعية، ووجد في داره اكثر من مائتي مسرة لفراشه، وكان مشغلاً بهذه الامور الذميمة"^(٢).

وقد تطرق المخطوط الى العديد من الوظائف والمناصب الادارية والمصطلحات، مثل القضاء وقضاة القضاة^(٣)، والوزراء^(٤)، والطلشندار^(٥)، وامير آخور^(٦)، والدستور^(٧)، والمنشور^(٨)، والكاتب (المنشي)^(٩)، "واستاذ الدار"^(١٠)، "والمحتسب"^(١١)، "والركيدار"^(١٢)، "والشحنة"^(١٣)، "والنيابة"^(١٤)، "والمهندار"^(١٥)، "والوالي"^(١٦)، "الدھليز والدواوين"^(١٧)، "وامير جاندار"^(١٨)، "والحجاب والحاشية، والخزائن"^(١٩)، "الدروج وعلائم السلطان"^(٢٠)،

(١٧) الورقة: ١٠٢-أ.

(١) الورقة: ١٣٠-ب.

(٢) الورقة: ٢-أ، ١٥٠-ب.

(٣) الورقة: ٢-أ، ٥٤-ب، ٥٦-ب، ٦٩-ب، ٧٠-أ، ٧١-ب، ٨٠-ب.

(٤) الورقة: ٤٩-أ، ١٧٥-ب.

(٥) الورقة: ٤٩-أ، ١٧٥-أ.

(٦) الورقة: ٥١-أ، ١٩٠-أ، ١٩٠-أ.

(٧) الورقة: ٦٣-أ، ١٠٠-أ، ١٨٨-أ.

(٨) الورقة: ٧٦-ب.

(٩) الورقة: ٨٢-ب، ١١١-أ، ١٦٩-ب، ١٧٣-ب، ١٧٥-ب.

(١٠) الورقة: ٨٣-أ.

(١١) الورقة: ٩٩-ب.

(١٢) الورقة: ١١٦-أ.

(١٣) الورقة: ٧٣-أ.

(١٤) الورقة: ١٢٦-ب، ١٧٥-ب.

(١٥) الورقة: ١٥٣-ب.

(١٦) الورقة: ١٦٤-أ.

(١٧) الورقة: ١٦٧-ب، ١٦٩-ب، ١٧٥-ب.

"والجمدار"^(٣)، "وامير سلاح"^(٤)، "الصناجق وآلة السلطنة"^(٥)، "والترسيم"^(٦) "وناظر دار الزكاة"^(٧)، وقد ورد في المخطوط اكثر من اشارة الى وسائل الاتصال مثل، اختراق مراكب العدو بالسباحة والغوص والاتصال بالمحاصرين كما حصل اثناء حصار عكا سنة (٥٨٦ هـ/١١٩٠م)، واستخدام العدو الوسائل المضادة مثل نصب الشباك لمنع السباحين من الوصول^(٨)، واستخدام الحمام الزاجل^(٩) لتبادل الرسائل، وضرب الكوسات^(١٠)، للاشارة والتنبيه. "والكوسات السلطانية"^(١١)، "والصناجق"^(١٢)، "والابواق"^(١٣)، "والنواقيس"^(١٤)، "والاعلام"^(١٥)، "والبيارق"^(١٦)، "والنقارات"^(١٧)، "والطبول"^(١٨).

(١٨) الورقة: ١٦٩- ب.

(١٩) الورقة: ١٦٩- ب.

(١) الورقة: ١٧٠- أ.

(٢) الورقة: ١٨١- ب.

(٣) الورقة: ١٨٢- ب.

(٤) الورقة: ١٩٢- ب.

(٥) الورقة: ١١٨- ب.

(٦) الورقة: ٣٤- أ.

(٧) الورقة: ٣٤- أ، ٨٧- أ، ١٤٧- ب.

(٨) الورقة: ٤٣- أ، ٨٠- ب، ١٤٨- ب.

(٩) الورقة: ١٧٤- ب.

(١٠) الورقة: ٦٣- أ، ١٦٧- ب.

(١١) الورقة: ١٦٥- ب، ١٦٧- ب، ١٧٦- ب.

(١٢) الورقة: ١٦٧- ب.

(١٣) الورقة: ١٦٧- ب.

(١٤) الورقة: ١٦٧- ب.

(١٥) الورقة: ١٦٧- ب.

(١٦) الورقة: ١٦٧- ب.

وهناك أكثر من إشارة إلى الجاسوسية والحصول على معلومات سرية من معسكر العدو وما ترتب على ذلك من تغير للخطط^(١).

هذا وقد احتلت الجوانب العلمية والثقافية من بناء المدارس والربط والخانقاهات والزوايا والانفاق عليها، والاهتمام بالعلم والعلماء مساحة كبيرة من المخطوط^(٢)، وكذلك الحال بالنسبة للنشاط المعماري بجوانبه المختلفة من العمارة الخدمية^(٣)، والتعليمية^(٤)، والحربية^(٥) والدينية^(٦).

(١٧) الورقة: ٤٩- أ، ٩٨- أ.

(١) الورقة: ٢- أ، ١٢- أ، ٥٨- أ، ٦٣- أ- ب، ٧١- أ، ٧٤- أ، ٧٦- ب، ٩٢- ب، ٩٣- أ، ١١٣- أ، ١١٦- أ، ١٣٠- ب، ١٤٤- أ، ١٥١- ب، ١٥٧- أ.

(٢) الورقة: ١- ب، ٧١- ب، ٧٦- أ، ٧٨- ب، ٨٢- أ- ب، ٨٩- أ، ١١٣- أ، ١١٦- أ، ١٣٢- أ- ب، ١٣٣- أ- ب، ١٤٤- أ، ١٨٨- أ.

(٣) الورقة: ٥٨- أ، ٦٣- ب، ٧١- أ، ١١٣- أ، ١١٦- أ، ١٣٠- ب، ١٤٤- أ، ١٥١- ب، ١٥٧- أ.

(٤) الورقة: ١- ب، ٤- أ، ٧٦- أ، ١٦٨- أ.

(٥) الورقة: ٦٣- أ، ١٩٥- أ.

الفصل الرابع

اهمية المخطوط

يقع المخطوط الذي يغطي احداث (٨٤) سنة في ثلاث مائة واثنان وتسعون صفحة، وقد تضمن تدوين الاحداث والاخبار والتراجم، حسب النظام الحولي بموجب تسلسل السنوات الهجرية، وقد جمع كما ذكرنا بين الاحداث والتراجم، نصوصاً تتعلق بالتاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي والاداري والثقافي، ومما يزيد من قيمة هذه النصوص ان المؤلف قد نقلها من مصادرها الاساسية التي عاصرت الاحداث سواء كانت مدونة او مشافهة او انه عاصر بعضها منها كما سبق ان اشرنا اليها في موضوع مصادر المخطوط.

١- الجانب السياسي والعسكري: شغلت هذه الحوادث الجزء الاكبر من المخطوط، حيث تناولت سياسات السلطان صلاح الدين الايوبي وجهوده العسكرية اعتباراً من سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) في مسعى لخلق جبهة اسلامية متماسكة تشمل بالاضافة الى وادي النيل (مصر والسودان) بلاد الشام واقليم الجزيرة، ومعظم بلاد كوردستان التي تقع الآن ضمن (العراق وتركيا وسوريا)، للحصول على عمق سوقي تمكنه من منازلة الصليبيين الذين كانوا قد احتلوا بعضاً من اراضي بلاد الشام سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) واسسوا اربع كيانات صليبية، وهي امارة الرها وامارة انطاكية ومملكة القدس، وامارة طرابلس، وعليه يمكن تقسيم سياسة صلاح الدين تجاه الصليبيين الى مرحلتين: المرحلة الاولى وهي محاولة السلطان اقامة جبهة اسلامية باخضاع المعارضين من الاتابكة الزنكيين والارتقة واستمرت هذه المرحلة منذ وفاة الملك العادل نور الدين محمود سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م) حتى سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م) وكان موقف السلطان من الصليبيين تكتيكياً، وهي عدم الدخول معهم في معركة كبيرة او خوض حرب شاملة، وانما كان يرد على تهديداتهم وتجاوزاتهم. والمرحلة الثانية تمتد من سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م) واستمرت حتى وفاته سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م).

بعد ان اكمل بناء الجبهة الاسلامية، ودخل مع الصليبيين في مواجهات واسعة وحاسمة توجت بالانتصار الكبير الذي تحقق على الصليبيين في معركة حصين سنة (٥٨٣ هـ/١١٨٧م) وتحرير العديد من المدن والواقع، حتى سمي بعض المؤرخين ذلك العام بعام الانتصارات ومن ثم تحرير القدس. ويستمر الصراع على اشده بعد قدوم الحملة الصليبية الثالثة بقيادة ريتشارد ملك بريطانيا حتى عقد صلح الرملة بين الطرفين سنة (٥٨٨ هـ/١١٩٢م) لتشهد هذه المرحلة نهاية اهم صفحات الصراع بين الشرق والغرب بوفاة السلطان صلاح الدين في السنة التالية.

ويستمر المؤلف في عرض الاحداث السياسية والعسكرية واعطاءها الحجم الاكبر بعد وفاة السلطان صلاح الدين سواء تلك التي كانت بين الملوك الايوبيين انفسهم او بينهم وبين الخوارزميين والصليبيين واخيراً المالك الذين قاموا بانقلاب عسكري في مصر واستولوا على السلطة واضعين بذلك نهاية للحكم الايوبي هناك الذي استمر اكثر من ثمانين سنة.

هذا ولم تقتصر الاحداث والاخبار السياسية والعسكرية الواردة في المخطوط على دولة الاكراد الايوبية، وانما اتسعت رقعتها في جميع الاتجاهات، حيث قدم تغطية جيدة لعلاقات المغول مع الدولة الخوارزمية من سنة (٦١٢ هـ/١٢١٥م) وحتى سنة (٦٢٨ هـ/١٢٣٠م) وهي السنة التي قتل فيها السلطان الخوارزمي (جلال الدين منكبرتي). هذا وقد تطرق المؤلف بالاضافة الى علاقات الخوارزميين مع المغول الى علاقاتهم مع الكرج وسلاجقة الروم والايوبيين وبعض اقسام الهند لفترة قصيرة، بالاضافة الى علاقات الخوارزميين الداخلية، وفيما يخص الشرق الاسلامي ايضاً تناول العلاقات السياسية والعسكرية للخلافة العباسية مع بعض القوى الاسلامية، (٨٩-ب) وما كان يدور في داخل عاصمة الخلافة نفسها، وبالمقابل فقد خصص المخطوط حجماً لا بأس به لاحداث المغرب في عهد الموحدين والصراع مع الاسبان خلال السنوات (٥٩١-٥٩٥ هـ/١١٩٤-١١٩٥م، ١١٩٨م)، وكذلك ظروف عدم الاستقرار التي شهدتها اليمن احياناً في ظل الحكم الايوبي.

وفيما يخص هذا الجانب ايضاً فقد وردت بعض المصطلحات الخاصة به مثل بعض الوظائف العسكرية وتشكيلات الجيوش كالميمنة والميسرة والقلب، ووحداتها كالنقابين^(١)

(١) الورقة: ٣-أ، ٤٩-أ، ٨٩-ب.

والجاليش او ايزيك^(١) ، و الزرافين^(٢) ، والامراء والمقدمين والمكرماكية^(٣) ، وقاضي العسكر^(٤) ،
والاطلاب^(٥) ، والكوسات والصناجق^(٦) ، والحلقة^(٧) ، وانواع من الاسلحة مثل المنجنيقات^(٨)
والمنجنيقات المغربية^(٩) ، والزنبورك والنشاب^(١٠) ، والطوارق والرماح^(١١) ، والسيوف^(١٢) ،
والصفاح^(١٣) ، الزرد والخوذ والبركستوانات^(١٤) ، والسهم^(١٥) ، والجروح^(١٦) ، والزحافات
والجنويات والسلخانات^(١٧) ، والمهماز^(١٨) ، والابراج^(١٩) ، والعدرات^(٢٠) ، وانواع السفن التي كانت
تستخدم في البحرية مثل: الشواني^(٢١) ، والبطس^(٢٢) ، والحراقات^(٢٣) .

(١) الورقة: ٣٥- أ.

(٢) الورقة: ٣٣- ب، ٩٤- أ.

(٣) الورقة: ٨٢- ب.

(٤) الورقة: ٨٢- أ، ٩٦- أ.

(٥) الورقة: ٣٦- أ، ١٢٥- ب، ١٢٦- أ.

(٦) الورقة: ١٦٧- ب.

(٧) الورقة: ٣٥- ب، ١٩٠- ب.

(٨) الورقة: ٣- أ، ٦- أ، ٧- أ، ٩- أ، ١١- أ.

(٩) الورقة: ١٢٤- أ، ١٦٤- ب.

(١٠) الورقة: ٣٦- أ، ١٧٤- ب.

(١١) الورقة: ٢٦- ب، ٥٥- أ.

(١٢) الورقة: ٦١- أ.

(١٣) الورقة: ١٠٧- ب.

(١٤) الورقة: ١٢٦- أ.

(١٥) الورقة: ١٥٣- أ.

(١٦) الورقة: ١٧٤- أ.

(١٧) الورقة: ١٦٤- ب.

(١٨) الورقة: ٧١- ب.

(١٩) الورقة: ١٧٢- ب.

(٢٠) الورقة: ١٧٤- ب.

(٢١) الورقة: ٥٠- أ، ١٦٨- أ.

(٢٢) الورقة: ١٦٥- ب.

(٢٣) الورقة: ١٧٢- ب، ١٧٦- ب.

ولما كنا بصدد الجانب العسكري فهناك اشارات الى الاساليب الحربية، التي كانت متبعة، مثل سياسة الارض المحروقة وتخريب المزارع والبساتين والضياع^(١)، وكذلك منع وصول العدو الى الماء واشعال الحرائق حولهم كما حصل قبيل معركة حطين سنة (٥٨٢ هـ)^(٢)، والاشارة الى حروب الحصار والاستعداد لها^(٣)، والى اهم صفحات الحروب الصليبية التي كانت في عصر الملك الناصر صلاح الدين، فان الحرب فيها بشكل عام كانت ذات طبيعة موسمية^(٤) هذا ولم يقتصر الامر على الجانب الحربي في المشرق الاسلامي، وانما اتسع نطاقها ليشمل المغرب، حيث قدم وصفاً دقيقاً لشخصية ابو يوسف يعقوب الموحي واستعداداته العسكرية، ثم حربه مع الفونسو^(٥) الثامن ملك قشتالة، واستعانة الملوك برجال الدين لتحريض الناس على الجهاد^(٦)، والاكثر من ذلك فانه التزم بالحياد في رواياته وعرضه، ولم يقدم تبريراً لاعمال العنف والقسوة تجاه المغلوبين على امرهم، بل العكس فإنه قدم مشهداً حياً لما وقع كما حصل سنة (٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) في خلاط عندما حوصرت واحتلت من قبل جلال الدين منكبرتي^(٧)، او دخول عسكر الخلافة اربيل = "فدخلوها ووضعوا السيف والنهب والحريق وسبي البنات المخدرات، وفعلوا ما لا يفعله الكفار" (١٣٤-١)، من غير ابداء اية رغبة في الدفاع عن الخلافة وتجاوزات عسكرها.

وفيما يتعلق بالجانب العسكري ويعتبر ملازماً له مسألة الاسرى، فلم تكن هناك حروب من غير اسرى، لذلك فقد اشار اليها المؤلف في اكثر من موضع، مثل العمل بالاعدادات والتقاليد التي كانت متبعة وهي خلاص الاسير من القتل اذا ما تناول الطعام او الماء في بيت آسره، او ان الاسرى كانوا من الكثرة بحيث ان الاسير كان يباع

(١) الورقة: ٢- ب، ١٥- أ، ٩٨- ب، ٩٩- أ.

(٢) الورقة: ١٥- ب.

(٣) الورقة: ٤- أ، ٣٤- أ، ١٢٢- ب، ١٢٣- أ- ب، ١٥٥- ب.

(٤) الورقة: ٢١- أ- ب، ٣١- ب- ٣٢- أ، ٣٧- ب، ٤١- ب.

(٥) الورقة: ٦١- ب.

(٦) الورقة: ١٠١- ب.

(٧) الورقة: ١٢٣- أ- ب.

بأبخس الاسعار^(١)، وهك الاسرى بالفدية واختلاف مبلغ الفدية بالنسبة للاسير^(٢)، فمثلاً بلغ فدية الفقيه عيسى الهكاري ستين الف دينار، والاشارة الى وضع الاسرى وكيفية تحرير البعض، وموت البعض الآخر في الاسر^(٣)، ووصف الاخلاقية الاسلامية في التعامل مع الاسير، وكل حسب منزلته، فمثلاً عند اسر لويس التاسع ملك فرنسا اثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر سنة (٦٤٧ هـ) فقد هياً له كل "ما يختاره من المأكول والمشروب والمغاني وآلة الطرب، وتركوا عنده من يختاره من المغاني ومن اخوته وغلمانه ومن يستأنس به، واحترموه احتراماً عظيماً"^(٤)، والمثال الآخر هو كيفية التعامل مع اسرى معركة حطين سنة (٥٨٣ هـ/١١٨٧م)، وكان من بين الاسرى "من الملوك كابي واخوه جفري وابرنس الكرك، والهنفري وصاحب جبيل وبيروت وصيدا، ومقدم الداوية والاسبتار وغيرهم"^(٥)، وفي الحقيقة كان هناك اكثر من موقف من قبل السلطان صلاح الدين تجاه هولاء الاسرى^(٥)، واثناء حملة السلطان سنة (٥٧٦ هـ/١١٨٠م) على بلاد الارمن وتقدم في اراضيهم واستولى على بعض قلاعهم، فعمدوا الى ارضائه للكف عنهم^(٦) وبذلوا له اسارى^(٦)، وحرر السلطان من بيت الاحزان سنة (٥٧٥ هـ/١١٧٩م) مائة اسير^(٧).

اما فيما يتعلق بالجانب السياسي فاتها شغلت مساحة لا بأس بها في المخطوط، وتمثلت ذلك في النشاط المحموم والجهود الكبيرة التي بذلها السلطان صلاح الدين من اجل اقتناع القوى الاسلامية بالانضمام اليه، والارتباط بسياسته العليا في الجهاد ضد الصليبيين والعمل معاً لتحرير الاراضي الاسلامية في بلاد الشام.

(١) الورقة: ١٦ - أ.

(٢) الورقة: ٢٨ - ب - ٢٩ - أ.

(٣) الورقة: ٣ - أ.

(٤) الورقة: ١٧٧ - أ.

(٥) الورقة: ١٥ - ب.

(٦) الورقة: ٤ - ب.

(٧) الورقة: ٤ - أ.

وقد شملت العلاقات السياسية جانباً من الصراع بين المسلمين والصلبيين، والتي توجت بصلح الرملة سنة (٥٨٨ هـ/١١٩٢م)^(١) في عهد السلطان صلاح الدين، وكان الملك العادل (ت ٦١٥ هـ/١٢١٨م) أكثر حرصاً على العلاقات السلمية مع الصليبيين^(٢)، وسار السلطان الملك الكامل على نهج والده بعد أن افتتح بان الوجود الصليبي قد أصبح امراً واقعاً وقد صادفت هذه الروحية وتلك الأفكار موقفاً مماثلاً لدى الامبراطور فردريك، وكانت النتيجة اتفاقية سنة (٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) بين الطرفين لمدة عشر سنوات^(٣)، وبعد وفاة الملك الكامل سنة (٦٢٥ هـ/١٢٣٧م) واستقر الأمر بالسلطنة لولده الملك الصالح نجم الدين ايوب، عمل الأخير على المحافظة على تلك الصداقة والعلاقة السلمية التي كانت لوالده مع الامبراطور فردريك الثاني الامبراطور الألماني- الصقلي، وكان ذلك على حساب الصليبيين بطبيعة الحال، حتى ان الامبراطور اخبر السلطان الملك الصالح سراً بأمر الحملة الصليبية السابعة عندما كانت تعد لها في اوربا، واسدى النصيحة للصالح ايوب بشأنها، احتراماً للعلاقة الطيبة التي كانت مع والده الكامل^(٤).

كما ان العلاقات السياسية بين الملوك الايوبيين انفسهم وبينهم وبين القوى المحلية بعد وفاة السلطان صلاح الدين سنة (٥٨٩ هـ/١١٩٣م) تشكل محوراً آخراً للعلاقات السياسية التي حظيت باهتمام المؤلف.

ولا بد من الاشارة هنا الى العلاقة مع عاصمة الخلافة بغداد، فقد كانت وثيقة وحميمية، وذات جوانب متعددة طيلة الحكم الايوبي وان حدثت بعض المنفصات في عهد السلطان صلاح الدين^(٥)، إلا انها لم تؤثر في عمق تلك العلاقة.

فقد اعترفت الخلافة بسلطنة صلاح الدين والدولة الايوبية^(٦)، واستمرت في ارسال وفودها اليها طيلة سنوات حكمها، ومعهم الخلع، وقد تعددت موضوعات هذه العلاقة.

(١) الورقة: ٥٠ - ب - ٥١ - أ.

(٢) الورقة: ٩٣ - أ.

(٣) الورقة: ١١٧ - ب - ١٢٢ - ب.

(٤) الورقة: ١٦٢ - ب - ١٦٣ - ب.

(٥) الورقة: ١٩ - أ - ٢٠ - ب.

(٦) الورقة: ٤ - أ.

فمثلاً تدخلت الخلافة بناء على طلب البعض من ملوك الاطراف للشفاعة عند السلطان بالكف عنهم، كما حدث سنة (٥٧٨ هـ/١١٨٢ م) عندما طلبت الموصل ذلك^(١)، ومحاولة الوساطة بين الايوبيين والمالكيك في اكثر من مرة لانهاء التوتر والحرب بينهما^(٢)، نظراً لما كانت تتمتع به من المكانة المعنوية باعتبارها رمزاً لوحدة المسلمين وشرعية الحكم وتهمها مصلحة الجميع من غير تحيز لهذا او ذاك من اطراف النزاع، لذلك فان وساطتها كانت مقبولة من الجميع.

وقد يكون الموضوع التزاماً ادبياً من قبل الايوبيين لبعض مواقف الخلافة، كما حصل سنة (٥٩٩ هـ/١٢٠٢ م) عندما ارسل الخليفة الناصر لدين الله الى الملك العادل واولاده الخلع وسراويلات الفتوة فلبسوها^(٣)، كما وصل الى الملك العادل من الخلافة سنة (٦٠٤ هـ/١٢٠٧ م) خلع من بينها الطوق والسوران^(٤).

واستقبلت الخلافة في الوقت نفسه وفود الايوبيين^(٥) الى بغداد يبشرونها بالفتوحات التي تمت كما حدث سنة (٥٧٩ هـ/١١٨٣ م) عندما استولى السلطان صلاح الدين على آمد وكتب الى الخلافة بذلك^(٦)، وكذلك رسالة العماد الكاتب الى بغداد بعد الانتصار الذي تحقق في حطين سنة (٥٨٣ هـ/١١٨٧ م) والفتوحات التي نتجت عنها^(٧).

وبعد وفاة السلطان صلاح الدين سنة (٥٨٩ هـ/١١٩٣ م) بعث ولده الملك الافضل القاضي ضياء الدين الشهرزوري رسولاً الى الخليفة في بغداد، "ومعه زردية السلطان وسيفه وحصانه وكزاغنده ودبوسه، وتحفاً كثيرة، وعاب الناس عليه، حيث بعث بعدة السلطان الى بغداد"^(٨).

(١) الورقة: ٦-٦-أ-ب.

(٢) الورقة: ١٨٩-أ-ب، ١٩٣-ب-١٩٤-أ.

(٣) الورقة: ٧٩-أ.

(٤) الورقة: ٨٢-أ.

(٥) الورقة: ٢-أ.

(٦) الورقة: ٧-ب-٨-أ.

(٧) الورقة: ١٦-ب-١٧-أ-١٨-أ-ب-١٩-أ.

(٨) الورقة: ٥٤-أ.

وقد ورد ايضاً كيفية استقبال الوهود في بغداد^(١)، كذلك الاستعدادات التي جرت لاستقبال الامير "حسام الدين ابو الهيجاء السمين" سنة (٥٩٢ هـ/١١٩٦ م) "حيث خرج الموكب للقائه في زي عظيم وترتيب الاطلاب للقائه، على زي الشام" ثم دخل بغداد بعد ان قبل عتبة الباب النوبي^(٢).

واخيراً فيما يتعلق بهذا الجانب فقد اشار المخطوط الى كيفية قمع المعارضين، بالحبس والنفي والقتل^(٣)، فقد اشار مثلاً الى الملك المسعود اقسيس بن الملك الكامل ملك اليمن: "قيل انه قتل بانيمن ثمان مائة شريف، وخلق من الاكابر والعلماء"^(٤)، ووصف "عز الدين كيكاسوس (ت ٦١٥ هـ/١٢١٨ م) سلطان سلاجقة الروم بأنه كان "جباراً ظالماً سفاكاً للدماء"^(٥)، او الاشارة الى ظروف الاعتقال في الجباب حتى الموت "الى ان اكل جلده القمل ومات بالجيب"^(٦)، او القتل بطرق اخرى لا تقل قساوة مثل الرمي من قمة اعلى^(٧)، وقمع المتأمرين بشكل قاس واعدامهم صلباً^(٨)، فمادة الكتاب عن الحالة السياسية والعسكرية لم تقتصر على دولة الاكراد الايوبية في بلاد الشام ومصر واقليم الجزيرة واليمن والحجاز وانما امتد على مساحة اوسع بكثير شملت الشرق الاسلامي بما فيها دولة الخلافة العباسية في بغداد، والدولة الخوازرمية وعلاقتها مع المغول مع ابتداء ظهور دولتهم في عهد مؤسسها جنكيزخان والصراع المرير التي خاضتها معهم، والنهاية المساوية التي آلت اليها مصيرها، واثرت ذلك على الوضع العام للاسلام السياسي في المشرق بأزالة العقبة التي كانت تقف امام المغول، وبذلك انفتح الطريق امامهم الى قلب العالم الاسلامي في غرب اسيا الى حيث عين جالوت التي اصبحت مقبرة التاريخ للمد المغولي.

(١) الورقة: ٨٢ - ب، ٨٦ - ب.

(٢) الورقة: ٦٢ - أ.

(٣) الورقة: ٨٢ - ب.

(٤) الورقة: ٨٩ - أ.

(٥) الورقة: ٩٧ - ب.

(٦) الورقة: ١٠٢ - أ.

(٧) الورقة: ١٥٣ - ب.

(٨) الورقة: ١١٣ - أ.

وبالمقابل فقد اولى المخطوط اهمية لا ينكر لحركة الجهاد الاسلامي في المغرب التي قادها الموحدون في عهد خليفتهم "ابو يوسف يعقوب الموحي" والانتصارات الكبيرة التي حققها على "الفونسو الثامن" ملك قشتالة خلال سنتي (٥٩١-٥٩٢ هـ/١١٩٤-١١٩٥م)، ويبدو ان المؤلف قد اولى حركة الجهاد الاسلامي الاهمية الكبرى في مؤلفه قدر تعلق الامر بالتاريخ السياسي والعسكري، فتابع اخبارها اينما كانت سواء في المشرق ضد الغول الوثنيين، ام في المغرب ضد حركة الاسترداد المسيحية، او في بلاد الشام ومصر ضد الغزاة الصليبيين.

وفيما يخص العلاقة مع الصليبيين فقد خص المخطوط سنوات الصراع العنيف بين الطرفين بمساحة واسعة منها، ولا سيما في عهد السلطان صلاح الدين (ت ٥٨٩ هـ/١١٩٣م)، ويدرجة اقل في عهد الملك العادل بن ايوب (ت ٦١٥ هـ/١٢١٨م) الذي توصل الى قناعة بان الوجود الصليبي قد اصبح امراً واقعاً، لذلك فقد تميزت سياسته معهم بالاعتدال، ولم يدخل معهم في مواجهة حاسمة، وكانت معاركه رداً على تجاوزاتهم، وقبولاً لاعتذارهم. اما السلطان الكامل بن العادل (ت ٦٢٥ هـ/١٢٣٧م) فمع انه سار على نهج والده في التعامل مع الصليبيين من حيث الواقعية السياسية، الا ان احداث الحملة الصليبية الخامسة سنة (٦١٥ هـ/١٢١٨م) قد القت عليه عبأ ثقيلاً غير ان انتهاء تلك الحملة بالفشل اعادت سياسات الملك الكامل مع الصليبيين الى محاورها الاساسية، وهي الجانب السلمي منها، ومما عزز هذا الاتجاه هو ان رغبة الملك الكامل في اقرار السلم معهم لقي تفكيراً واتجاهاً مماثلاً لدى فردريك الثاني الامبراطور الالمانى- الصقلي، ووريث تاج بيت المقدس^(١)، غير ان الصراع السياسي والعسكري اتخذ متحاً آخر في عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب (ت ٦٤٧ هـ/١٢٤٩م) ابن الملك الكامل وخليفته بسبب الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، وقد غطت احداث الحملة وما رافقها من تطورات معظم احداث سنتي (٦٤٧-٦٤٨ هـ/١٢٤٩-١٢٥٠م).

(١) كلود كاين، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، بيروت، ١٩٧٢م، ص ص ٣٦٣-٣٦٤، ستيفن رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، بيروت، ١٩٦٩، ٣/٣٦٥.

اما على الصعيد الداخلي ولا سيما العلاقات السياسية والعسكرية بين الايوبيين انفسهم فقد شغلت مساحة كبيرة من المخطوط بسبب المناهضة والصراع بين الملوك الايوبيين بعد موت السلطان صلاح الدين وحتى نهاية الدولة الايوبية في مصر سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) على يد المماليك الى سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) وهي السنة التي يتوقف عندها المخطوط، هذا وقد تناول المخطوط العلاقات الايوبية المملوكية من الناحيتين السياسية والعسكرية منذ سنة (٦٤٧-٦٥٥هـ/١٢٤٩-١٢٥٧م) بشكل واسع وتكاد تكون المادة الاساسية لروايات واحداث تلك السنوات. هذا ويستطيع الباحث ان يتابع التطورات السياسية وما رافقتها من احداث عسكرية، ومراحل القوة والضعف التي مرت بها الدول الاسلامية التي تناولها المخطوط خلال اربع وثمانين سنة، وبشكل خاص دولة الاكراد التي هي عنوان وموضوع المخطوط.

الجانب الاقتصادي: ان النصوص الاقتصادية الواردة في تاريخ دولة الاكراد والاتراك لا تساعدنا على تكوين صورة واضحة محددة المعالم عن اقتصاد الدولة، ومع ذلك فأنها سلطت الاضواء على بعض الجوانب، مثل اثر الحروب وعدم الاستقرار السياسي على الحياة الاقتصادية فقد ادت مثلاً حملة ارناط (رينالد دي شاتيون) في البحر الاحمر على الحجاز والاستيلاء على مراكب التجار سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م) الى توقف حركة التجارة والنقل هناك^(١) بسبب فقدان الامن^(٢)، وتعرضت المزارع للحرق والاشجار للقطع^(٣) بسبب الحروب في وقت كانت الزراعة هي عماد الحياة الاقتصادية، مما اثر سلباً على مستوى معيشة السكان، فحرق المزارع كان يعني هدر جهد وامكانيات وموارد سنة كاملة، وقطع الاشجار كانت تعني تعطيل ذلك القطاع ما لا يقل عن ثلاث سنوات، كما ان حروب الحصار الحقت هي الاخرى ضرراً كبيراً باقتصاد البلاد، نظراً لما كان يترتب عليها بالاضافة الى ما تقدم ارتفاع اسعار المواد بشكل خيالي لا بل وصعوبة الحصول عليها، وقد تكررت مثل هذه الحروب^(٤) في تاريخ المنطقة^(٥)، ونتج عنها ايضاً بالاضافة الى ما تقدم

(١) الورقة: ٦-١-ب.

(٢) الورقة: ١٢-ب.

(٣) الورقة: ١٥-أ.

(٤) الورقة: ١٢٢-ب، ١٢٣-ب، ١٣٤-أ.

(٥) الورقة: ١٢٣-ب، ١٦٥-أ.

الغهب وابتزاز الاهالي حتى الموت وبالمقابل فقد ادت الحروب احيانا الى تخلي الناس عن اموالها ومساكنها، ونهبت تلك الاموال، او انها كانت تباع بارخص الاثمان^(١)، ومما يشار اليه ان الحروب بحد ذاتها كانت عبأ ثقيلاً على الاقتصاد بشكل عام، وعلى الاهالي بشكل خاص فمثلاً امر الملك الناصر سلطان الشام اثناء الصراع مع المماليك سنة (٦٤٩ هـ/١٢٥١م) بأن تؤخذ من الرعية "سدس املاكهم، واخذ الكبيس من الخراج"^(٢).

وكان للموقف الرسمي "السلطة" اثر كبير في انعاش الاقتصاد، فاقدمت الدول الواردة في المخطوط اكثر من مرة على اسقاط المكوس والضرائب^(٣)، ومنع والغاء الضمانات^(٤) وتسهيل امور التجار وتنقلاتهم^(٥)، واكثرت من الانفاق العام مما ادى الى ازدهار الحياة الاقتصادية مثل بناء الاسوار^(٦) كسور القاهرة "وضيع فيه اموالاً عظيمة" والقناطر والمدارس^(٧)، والمساجد والجوامع ودور الحديد، والخانقاهات والجسور والربط^(٨)، والاسواق^(٩)، والمارستانات^(١٠)، والخانات في الطرقات^(١١)، وفتح الطرق^(١٢)، هذا ولم يتوقف الامر عند هذا الحد، وانما اتخذت ابعاداً اخرى مثل معالجة مشكلة الفقر، وقد يختلط هنا الجانب الاجتماعي بالاقتصادي كما حصل في الموصل، ايام حاكمها مجاهد الدين قايماز (ت ٥٩٤ هـ/١١٩٧م) "لم يدع في الموصل بيتاً فقيراً، الا واغنى اهله"^(١٣)، وقد ساهمت

(١) الورقة: ٩٩- أ.

(٢) الورقة: ١٨٧- ب.

(٣) الورقة: ٤- أ.

(٤) الورقة: ٩٦- ب، ١٥٠- أ.

(٥) الورقة: ١٥٠- أ.

(٦) الورقة: ١- أ، ١٦٨- أ.

(٧) الورقة: ٧١- ب.

(٨) الورقة: ١٤٤- أ، ١٥٧- أ.

(٩) الورقة: ١٦٨- أ، ١٧٣- أ.

(١٠) الورقة: ١- ب، ٦٣- ب.

(١١) الورقة: ١١٣- أ، ١٤٤- أ، ١٧٣- أ، ١٨٨- أ.

(١٢) الورقة: ١١٦- أ.

(١٣) الورقة: ٦٣- ب.

الاقواقف الكثيرة والاعمال الخيرية^(١) من جهتها على تحسين الوضع الاقتصادي الى حد كبير ويكفي ان نشير هنا الى زكاة حاكم حمص (ت ٥١٢ هـ/١١١٨م) بأنها كانت مليون دينار^(٢) . ولما كنا بهذا الصدد فمن المفيد ان نذكر بعض الاشارات التي وردت عن المصادرات^(٣) . ولم يكن الحروب وسياسات الحكام هي العوامل الوحيدة المؤثرة في الحياة الاقتصادية، وإنما كانت للظواهر والكوارث الطبيعية تأثيراً لا ينكر، مثل انخفاض منسوب نهر النيل، كما حصل سنة (٥٩٧ هـ/١٢٠٠م) بشكل لم يعهد سابقاً، فترتب عليها الغلاء ومن ثم الوباء في مصر، وتشتت من سلم من الموت ولجؤهم الى المغرب والحجاز واليمن والشام^(٤) ، ولم يقتصر الامر على ذلك، وإنما حدث في تلك السنة ايضاً في شهر شعبان زلزال هائل وعمت في ساعة واحدة بالاضافة الى وادي النيل وبلاد الشام، ارمينية واذربيجان واقليم الجزيرة وقطعت البحر ووصلت الى جزيرة قبرص، ويكفي هنا ان نشير الى ان الخسائر البشرية فقط في هذه السنة بلغ مليون ومائة الف انسان، ناهيك عن الخراب والدمار والهدم التي لحقت بالبلاد^(٥) ، فهذا العدد من الخسائر البشرية قد أثر سلباً دون شك على العجلة الاقتصادية، في وقت كانت الزراعة فيه كما ذكرنا عماد الحياة الاقتصادية وتعتمد على الايدي العاملة، وفيما يخص الكوارث والظروف الطبيعية التي اثرت سلباً على الناحية الاقتصادية، لا بد من الاشارة الى الفيضانات كما حصل في بغداد سنة (٥٩٠ هـ/١١٩٢م)^(٦) ، او ظهور الجراد يارض الشام سنة (٦١٩ هـ/١٢٢٢م) بشكل لم ير مثله^(٧) . ومن المفيد هنا ان نذكر بعض المصطلحات الاقتصادية التي شاعت في هذه الفترة مثل (الخبز) وتأتي بمعنى الاقطاع^(٨) ، والخلع، والتي قد تكون خيولاً او اموالاً او اسلحة او

(١) الورقة: ٢٠-أ، ١٣-أ، ٦٣-أ، ١١١-أ، ١١٦-أ، ١٣٢-أ، ١٣٣-ب،

(٢) الورقة: ١٣-أ.

(٣) الورقة: ٥٦-أ، ١٤٩-ب.

(٤) الورقة: ٧٢-أ.

(٥) الورقة: ٧٢-ب.

(٦) الورقة: ٥٥-ب.

(٧) الورقة: ١٠٨-أ.

(٨) الورقة: ١١-ب، ١٠٢-أ، ١٦٩-أ.

ملابس تمنح من الخلفاء والسلاطين والملوك لمن هو ادنى^(١)، والمكوس، والضممان^(٢)،
والتعامل بالعينة^(٣)، والبضائع من الاحجار الكريمة والعطور المشهورة، والثياب الجيدة التي
كانت تصنع من وبر الجمل الابيض، وبيع الثوب منها بخمسين ديناراً^(٤)، وبضائع اليمن
مثل، الغيلة والصبيد والعود والند والمسك والعنبر والتحف^(٥)، والاشارة الى التجارة المزدهرة
التي كانت بين دولة المغول والدولة الخوارزمية، ورغبة المغول في تطوير تلك العلاقة على
عكس موقف الخوارزميين^(٦)، وذكر انواع الاراضي كاراضي الملك، والسلطاني، وبعض
الوظائف التي ترتبط بهذا الجانب مثل "وكيل بيت المال"^(٧)، وتخصيص
الرواتب العالية^(٨).

وقد ورد في المخطوط ذكر القيمة الشرائية العالية للنقد مثل "الدينار"، حتى ان
الاميراطور فردريك الثاني عندما دخل القدس سنة (٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) فرق على المجاورين
والقوام والموزنين وغيرهم الاموال "لكل واحد عشرة دنانير الى الدينار"^(٩)، والى ارتفاع
اسعار السلع الكمالية نظراً لارتفاع مستوى المعيشة^(١٠)، والتعامل بالاجل، واختلاف سعر
المالنيك في السوق حسب ظروف العرض والطلب^(١١).

وتطرق المؤلف الى دور الدولة في دعم الاقتصاد، مثل حمل الفلاحين المهاجرين
بالعودة الى بلادهم، وتقويتهم بالغلال والدواب والاموال واعفاءهم من الخراج^(١٢)،
والتخفيف عن الناس بشكل عام من خلال اطلاق "السكر والكتان... والاموال"^(١٣).

(١) الورقة: ١٢-أ.

(٢) الورقة: ١٣-أ.

(٣) الورقة: ٨٧-أ.

(٤) الورقة: ٩٧-ب.

(٥) الورقة: ١١١-أ-ب.

(٦) الورقة: ٩٨-أ-ب.

(٧) الورقة: ١٠٠-ب.

(٨) الورقة: ١٠٥-أ.

(٩) الورقة: ١٢٢-أ-ب.

(١٠) الورقة: ١٢٦-ب.

(١١) الورقة: ١٢٥-أ-ب.

(١٢) الورقة: ١٦٩-أ.

(١٣) الورقة: ١٧٥-ب.

الجانب الاداري:

يمكن ان نستشف من قراءة المخطوط شكل النظام الاداري في دولة الاكراد الى حد ما، ونرسم صورة تقريبية لطبيعة هيكل ذلك النظام، فقد وردت فيه الاشارة الى العديد من المناصب والوظائف و المؤسسات الادارية، وان تعدد مثل هذه المؤسسات والمناصب والوظائف دليل على تطور الحياة الادارية وتعقد جوانب الحياة، والحاجة الى المزيد منها، وتطوير ما كان موجوداً لتلبية احتياجات الفرد وتسير حياته اليومية بشكل افضل.

فقد ورد ذكر "الوزير"^(١)، و "الوزارة"^(٢)، وقوانينها، ونظراً لاهميتها، فان متوليها يجب ان يتوفر فيه بعض الصفات كأن يكون "مهيباً عالماً فاضلاً"^(٣)، وان المكان الذي كان يقيم فيه الوزير وتدار فيها هذه المؤسسة تعرف بـ "دار الوزارة"^(٤)، والى جانب الوزارة كانت هناك وظائف اخرى مثل الولاية، ومتوليها يعرف بـ (الوالي)^(٥)، والنيابة، ويقصد بها نيابة السلطنة^(٦)، و"صاحب السيف والقلم"^(٧)، ونظراً لاهمية القضاء في اقرار العدالة بين الناس، وعليها تقوم هيبة الدولة، وتكمن فيها سر قوتها، لذلك فان تعيين القضاة كان يتم "بتوقيع من السلطان صلاح الدين"^(٨)، وكان هناك منصب اعلى من القاضي ويمكن ان نشبهه اليوم برئيس محكمة الاستئناف او التمييز، وهو "قضاة القضاة"^(٩)، وكان هناك قضاة متخصصون مثل "قاضي العسكر"^(١٠)، و"قاضي العسكر الحنفي"^(١١)، و "نائب القاضي"^(١٢)، ومساعديه مثل "العدول"^(١٣).

(١) الورقة: ٢-١، ١٥٣-ب.

(٢) الورقة: ٥٤-ب، ٥٦-ب، ٦٩-ب، ٨٠-ب.

(٣) الورقة: ١٣٣-أ.

(٤) الورقة: ٧٠-أ.

(٥) الورقة: ١٥٣-ب.

(٦) الورقة: ١١٣-أ، ١٥٥-أ.

(٧) الورقة: ٢-أ.

(٨) الورقة: ٢-أ.

(٩) الورقة: ١-ب، ١٥٣-ب.

(١٠) الورقة: ٩٦-أ.

(١١) الورقة: ٨٢-أ.

(١٢) الورقة: ١٤٤-ب.

(١٣) الورقة: ١٥٤-ب.

وكانت هناك الدواوين^(١)، مثل "ديوان الجيش، وديوان الاستيفاء"^(٢)، ومن المناصب الاخرى، "الشحنة"^(٣) و"نيابة الشحنة"^(٤)، و"الحسبة"^(٥)، والمكان الذي كان يزاول منها عمله تعرف "بدكة المحتسب"^(٦)، و"استاذ الدار"^(٧)، و"الكتاب"^(٨)، و"الحجاب والحاشية"^(٩)، و"امير جندار"^(١٠)، و"امير آخور"^(١١)، و"امير سلاح"^(١٢)، و"طشندار"^(١٣)، و"المهندار"^(١٤)، "الجمدار"^(١٥)، و"الركبدار"^(١٦)، و"الطواشي"^(١٧)، و"وكيل بيت المال"^(١٨)، و"ناظر دار الزكاة"^(١٩)، و"المتعمين"^(٢٠)، وكان هناك "مقدم الحرامية" الذي ينفذ احيانا احكام الاعدام وبشكل قاس^(٢١).

(١) الورقة: ١٦٤-أ.

(٢) الورقة: ١٤٢-أ.

(٣) الورقة: ٢-أ، ١١٦-أ.

(٤) الورقة: ١١٦-أ.

(٥) الورقة: ٢-أ.

(٦) الورقة: ٨٣-أ.

(٧) الورقة: ٨٢-ب، ١١١-أ، ١٦٩-ب، ١٧٣-ب، ١٧٥-ب.

(٨) الورقة: ٧٦-ب.

(٩) الورقة: ١٦٩-ب.

(١٠) الورقة: ١٦٧-ب، ١٦٩-ب، ١٧٦-ب.

(١١) الورقة: ٤٩-أ، ١٧٥-ب.

(١٢) الورقة: ١٨١-أ.

(١٣) الورقة: ١٧٥-ب، ١٤٢-أ.

(١٤) الورقة: ١٢٦-ب، ١٧٥-ب.

(١٥) الورقة: ١٧٠-أ.

(١٦) الورقة: ٩٩-ب.

(١٧) الورقة: ١٨٢-ب.

(١٨) الورقة: ١٠٠-ب.

(١٩) الورقة: ١١٨-أ.

(٢٠) الورقة: ١٨٤-أ.

(٢١) الورقة: ١٥٣-ب.

وبالإضافة الى الوظائف والمناصب الادارية الواردة في المخطوط، هناك بعض المصطلحات الادارية مثل "المنشور"^(١) و"الدھليز"^(٢) و"الدستور"^(٣) و"الدروج"^(٤) و"الترسيم"^(٥) و"التواقيع"^(٦)، وكانت هناك "الحبوس والجباب"^(٧) لحجز وحبس المتهمين والجناة، بالإضافة الى "الصناحق وآلة السلطنة"^(٨)، وقد وجدت بعض المراسيم الادارية التي كانت تتكرر بشكل يومي وبشكل منتظم مثل "السماط"^(٩).

الجانب الاجتماعي:

يتضمن المخطوط مجموعة من النصوص التي وصفت الحالة الاجتماعية في البلاد، مثل تعدد الاديان^(١٠) والمذاهب^(١١)، ونصوص عن مراسيم الزواج، وإن كان خاصاً بالملوك^(١٢) والامراء^(١٣)، وما يتعلق بها وما كان يرافقها من مظاهر البذخ والترف في الانفاق ويبدو أن المناسبات الاجتماعية كانت تجري وفق نظم وتقاليد متعارف عليها، كاقامة مراسيم العزاء^(١٤) ومدته التي كانت ثلاثة ايام^(١٥)، وما كان يجري في يوم عاشوراء المصادف العاشر

(١) الورقة: ١٠٠-أ، ١٨٨-أ.

(٢) الورقة: ١٦٤-أ.

(٣) الورقة: ٥١-أ، ١٩٠-أ.

(٤) الورقة: ١٦٩-ب.

(٥) الورقة: ١٩٢-ب.

(٦) الورقة: ١١٢-أ.

(٧) الورقة: ١٨٢-ب.

(٨) الورقة: ١٨٢-ب.

(٩) الورقة: ١٦٩-ب، ١٩٥-أ.

(١٠) الورقة: ٧٣-ب.

(١١) الورقة: ١٥٦-أ، ١٠-ب، ٩٠-أ، ١٨٨-أ، ١١٩-ب، ١٩٦-ب، ١٣٣-أ،

١٤٨-ب، ١٦١-أ.

(١٢) الورقة: ١٩٠-أ.

(١٣) الورقة: ١٩٠-ب.

(١٤) الورقة: ٨-ب، ١١-ب.

(١٥) الورقة: ٩٦-ب.

من شهر محرم^(١)، او عند استقبال موكب الحج القادم من مكة المكرمة^(٢)، ويستطيع الباحث ان يرى اموراً اخرى كثيرة كالنسيج الاجتماعي وطبيعة العلاقة بين مكوناتها. وقد تبلورت المؤسسات الاجتماعية في الدولة الايوبية الى حد كبير، وهناك امثلة كثيرة لها كنقابة العلويين^(٣) ويبدو انها كانت مختصة بامور العلويين من آل البيت وتدافع عن حقوقهم، والربط والزوايا، والخانقاهات والخاصة منها بالزمنى والعميان والملاقيط والايتام^(٤)، ومما يشار اليه ايضاً، هو وجود ربط خاص بالنساء^(٥).

وهيما يخص مؤسسات الخدمة الاجتماعية لا بد من ذكر بناء دار المضيف في بغداد لخدمة الحجاج الواردين من البلاد في طريقهم الى مكة المكرمة، حيث كانت تقدم لهم "فنون الطعام والزاد"^(٦)، بالاضافة الى دور الضيافة التي كانت اكثر من عشرين داراً تفتح ابوابها خلال شهر رمضان المبارك وتقدم فيها انواع الطعام والحلوى^(٧) ولم يكن الامر مقتصرأ على بغداد فقط، وانما كان هناك دار ضيافته في اربيل ايضاً بناه الملك المعظم كوكيري^(٨).

وهناك اشارات عديدة الى المراسيم التي كانت تجري في دار الخلافة (بغداد) عند قدوم الوفود والرسائل اليها محملين بالهدايا والتحف او الرسائل او معلنين الطاعة، حيث كان يجري استقبالهم بطريقة خاصة، فيتلقاها موكب الديوان "في زي عظيم وترتيب الاطالاب للقائه" وتقبيل عتبة الباب النوبي، كما حصل في استقبال الامير الكوردي المشهور "حسام الدين ابو الهيجاء السمين" سنة (٥٩٣ هـ/١١٩٦م)، وما جرى في بغداد من الفكاهة والتندر به، حيث كان صغير الرأس وكبير البطن، فصنع اهل بغداد كيزاناً من

(١) الورقة: ١٢- ب.

(٢) الورقة: ٨٠- ب، ٨٢- ب.

(٣) الورقة: ١٩٠- أ.

(٤) الورقة: ١٣٢- أ- ب، ١٣٣- أ- ب.

(٥) الورقة: ١٥٧- أ.

(٦) الورقة: ٨٢- ب.

(٧) الورقة: ٨٢- أ.

(٨) الورقة: ١٣٢- ب.

الطين على هيئته وسموها ابا الهيجاء السمين^(١)، واستقبال "نجم الدين خليل" قاضي العسكر في بغداد سنة (٦٠٤ هـ/١٢٠٧م) رسولاً من الملك العادل، وخروج موكب الديوان لاستقباله ومعهم الخلع للملك العادل واولاده^(٢)، وقد يكون لدار الخلافة اكثر من موقف مع الوفد الواحد، كما حصل سنة (٦٠٥ هـ/١٢٠٨م) عندما قدم الى بغداد الشيخ شهاب الدين السهروردي من الشام ومعه شمس الدين ايلدكز استاذ الدار، فتلقاء الموكب وحظي باحترام زائد، وكانت معه الهدايا والتحف، بينما اعرض الخليفة عن السهروردي ونقم عليه لامور منها انه مد يده الى الاموال بالشام^(٣). وللزيادة عن كيفية استقبال الوفود في بغداد من قبل الخلافة انظر ايضاً: ٨٦- أ.

وورد في ثنايا الخطوط اشارات الى المأكول والمشروب فمن اصناف الطعام "الخبز النقي"^(٤)، و"الطبيخ الخاص"^(٥)، و"الحلوى"^(٦)، وبالنسبة للمشروب كان هناك انواع منها مثل "الفقاع"^(٧)، و"الخمير"^(٨)، وكانت تعقد مجالس الشرب احياناً بالمغاني وآلة اللهو^(٩).
اما الازياء والملابس فكانت هناك "العمامة"^(١٠)، و"القباء"^(١١)، و"الكوفية"^(١٢)، و"السروال"^(١٣)، و"الضرجية"^(١٤)، و"المنزر"^(١٥)، و"الطاقية"^(١٦)، وكان يلبس ايضاً "الطوق

(١) الورقة: ٦٢- أ.

(٢) الورقة: ٨٢- أ.

(٣) الورقة: ٨٢- ب، ٨٣- أ.

(٤) الورقة: ٨٢- أ.

(٥) الورقة: ٨٢- أ.

(٦) الورقة: ٨٢- أ.

(٧) الورقة: ٦٥- أ.

(٨) الورقة: ٧٧- أ.

(٩) الورقة: ٧٧- أ.

(١٠) الورقة: ٨٧- أ، ١٨٤- أ.

(١١) الورقة: ١٠٠- ب.

(١٢) الورقة: ١٠٠- ب.

(١٣) الورقة: ٧٩- أ.

(١٤) الورقة: ٨٧- أ.

(١٥) الورقة: ١٤٤- ب.

(١٦) الورقة: ١٤٤- ب.

والسوار^(١)، و"شاشة قطن"^(٢)، وفيما يخص هذا الجانب فقد تطرق الى بعض ادوات الاستعمال المنزلي^(٣).

ومن المناسبات الاجتماعية الاخرى غير الاعياد الدينية، فقد تطرق المخطوط الى عيد النوروز والاستعانة به كتقويم في العمل الزراعي^(٤)، والاحتفال الكبير الذي كان يقام في اربل= اربيل (هولير) بمناسبة مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وما كان يجري فيه من المراسيم ويقدم انواع الطعام والحلوى والغلع، واقامة حلقات قراءة القرآن والذكر والغناء والرقص، ومن كان يحضره من العلماء والفقراء والصوفية وارباب الزوايا واصحاب الخرق والخطباء والوعاظ وغيرهم^(٥).

والاحتفالات التي كان تجرى بمناسبة تحقيق الانتصارات كما حصل سنة (٦٤٨ هـ/١٢٥٠م) بافشال الحملة الصليبية السابعة واسر قائدها لويس التاسع ملك فرنسا، حيث احتفل اهل البلاد واخذوا "يتراكضون على الخيول بالمزاهير والاعلام، والفقراء اجواق في غنى وتصفيق"^(٦).

هذا وقد شغلت الحياة الاجتماعية جانباً هاماً من تفكير واهتمام بعض الحكام، فعملوا على محاربة الفساد والفجور وتطهير البلاد من الخمر والخواطي مثل الملك العادل (ت ٦١٥ هـ/١٢١٨م) الذي عرف بحسن سياسته في الرعية، حيث كان يأخذ المال في الليل اثناء الغلاء ولا يدري به احد، ويفرقه على ارباب البيوت^(٧)، وكذلك الخليفة العباسي الظاهر الذي تولى الخلافة سنة (٦٢٢ هـ/١٢٢٥م) حيث فرق الاموال في الناس وازال المظالم لذلك اصبح محبوباً لهم^(٨) والملك المعظم مظفر الدين كوكبري حاكم اربل الذي اشتهر باعمال

(١) الورقة: ٨٢- أ.

(٢) الورقة: ١٣٣- ب.

(٣) الورقة: ٨- أ.

(٤) الورقة: ٨٧- ب.

(٥) الورقة: ١٣٢- ب.

(٦) الورقة: ١٧٦- ب.

(٧) الورقة: ٩٦- ب.

(٨) الورقة: ١١٣- أ.

البر والخدمة العامة^(١)، ولم يكن مثل هذا الموقف مقتصرًا على الملوك^(٢) والسلاطين، بل شاركهم فيها الامراء والولاة مثل والي دمشق مبارز الدين المعتمد ابراهيم بن موسى (ت ٦٢٢ هـ/١٢٢٦م) الذي ولي دمشق خمسين سنة نيابة واستقلالاً^(٣) وغيره من الامراء^(٤) وعرف موقف بعض الملوك وسياساتهم الاجتماعية بأنها كانت ذات اكثر من وجه، مثل الملك المجاهد اسد الدين شيركوه (٦٢٧ هـ/١٢٢٩م) حاكم حمص، فمع ان حمص في ايامه كانت طاهرة خالية من الخمر والفجور، الا انه في الوقت نفسه كان "ظالماً عسوفاً لاهل حمص، فرققهم في كل ناحية، وابادهم في الحبوس"^(٥)، ومما يشار اليه ان المرأة في المخطوط لم تكن بمعزل عن المساهمة في تحسين الوضع الاجتماعي، والوقوف الى جانب الفقراء ومساعدة المحتاجين، افضل مثال هي "ست الشام" (ت ٦١٦ هـ/١٢١٩م) حيث كانت "زاهدة عابدة، كثيرة البر والصدقات والاحسان والصلوات، وكان يعمل في دارها من الاشربة والمعاجين والعقاقير في كل سنة بالوف الدنانير، ويفرق على الناس، وكان بابها ملجاء للقاصدين"^(٦)، وكذلك ربيعة خاتون بنت ايوب بن شاذي (ت ٦٤٣ هـ/١٢٤٥م) التي اشتهرت في مجال الخير وبناء المدارس، ورباطاً للنساء، ووقفت عليها الاوقاف الكثيرة^(٧).

وفي الوقت نفسه لم يغفل المخطوط المواقف والسياسات السيئة لبعض الحكام فيما يخص الجوانب الاجتماعية، مثل "عزالدين كيكاس (ت ٦١٥ هـ/١٢١٨م) سلطان سلاحقة الروم وكان "جباراً ظالماً سفاكاً للدماء"^(٨) وكذلك "الملك المسعود اقسيس بن الكامل الايوبي (ت ٦١١ هـ/١٢١٤م) حاكم اليمن"^(٩)، او ما قام به السلطان جلال الدين منكبرتي سنة سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) في خلاط^(١٠)، و"الملك المسعود الارتقي (ت ٦٢٠ هـ/١٢٢٢م) حاكم

(١) الورقة: ١٣٢-١٣٣-ب.

(٢) الورقة: ٦٤-أ، ٨٩-أ، ٩٢-ب-٣٣-أ.

(٣) الورقة: ١١٦-أ.

(٤) الورقة: ١١٣-أ.

(٥) الورقة: ١٥٠-أ.

(٦) الورقة: ١٠١-أ.

(٧) الورقة: ١٥٧-أ.

(٨) الورقة: ٩٧-ب.

(٩) الورقة: ٨٩-أ.

سنة (٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) في خلاط^(١)، و" الملك المسعود الارتقي (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م) حاكم آمد، حيث كان "كثير الفسق، والتعرض لحريم الرعية"^(٢)، والصورة الاجتماعية للفترة التي غطها المخطوط تكتمل اكثر من خلال القراءة المتأنية بين الاسطر وتحليلها، وتصلح ان تكون موضوعاً لدراسة خاصة.

- الجانب الثقافي:

يظهر هذا الجانب في المخطوط من خلال الحديث عن العلماء والفقهاء والشعراء والادباء والكتاب المدرسين والنحاة والمؤرخين وغيرهم، والاشارة الى مؤلفات بعضهم، كما تطرق الى دور العلم كالمدراس ودور الحديث والمساجد والربط والخانقاهات والزوايا، والاهتمام بهذه المؤسسات العلمية والثقافية والاشراف عليها^(٣).

وتضمن تراجم المخطوط عدداً كبيراً من العلماء المشهورين والجانب الذي عرف به واشتهر، فقد اهتم بسيرتهم العلمية من حيث النشأة، وذكر شيوخهم، وكيفية حصولهم على العلم، والرحلة في طلبها، ثم ذكر تلاميذهم بعد ان تميزوا واختصوا ووضعوا المؤلفات وقاموا بالتدريس، ويشير في تراجم كثيرة الى انهم وضعوا المصنفات العديدة، و ذكر عناوين بعضها كما جاء في ترجمته لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ/١١٧٥م) وصنف "تاريخ دمشق في ثمانين مجلداً"^(٤)، وبعد ذكر فضل العماد الكاتب الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م) يقول عنه "وصنف المصنفات الحسان، كالبرق الشامي، والفتح القسي في الفتح القدسي... وغير ذلك"^(٥)، وفي معرض ترجمته للامام الحسن بن محمد بن سعد الملقب بتاج الدين بن حمدون (ت ٦٠٨ هـ/١٢١١م)، يقول عنه: "مصنف التذكرة الحمدونية"^(٦)، وعن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر بن شاهان شاه (ت ٦١٧ هـ/١٢٢٠م) "صنف تاريخاً جمع

(١) الورقة: ١٢٣ - أ - ب.

(٢) الورقة: ١٣٠ - ب.

(٣) الورقة: ١ - ب.

(٤) الورقة: ١ - أ.

(٥) الورقة: ٧٦ - ب.

(٦) الورقة: ٨٦ - ب.

فيه جملة من التواريخ واسامي من ورد عليه، واقام عنده^(١) والشيخ علم الدين بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣ هـ/١٢٤٥م) صاحب التصانيف الكثيرة في "النحو والأدب"^(٢). غير انه اكتفى في تراجم بعضهم بالقول "وصنف الكتب في فنون عديدة" و "صنف مائتا وخمسون كتاباً في فنون من العلوم"^(٣)، و "صاحب تصانيف كثيرة"^(٤)، و "مليح التصانيف"^(٥) و "صنف المصنفات الحسان"^(٦) و "له مصنفات كثيرة"^(٧)، فلم يذكر اسماء كتبهم.

اما المؤسسات التعليمية والثقافية فقد وردت في مواضع كثيرة من المخطوط، وذكر تفاصيل عنها، مثل المدارس، ودور الحديث، والربيط، والمساجد والجوامع والخانقاهات والزوايا.

فبالنسبة للمدارس قد ورد ذكرها عندما ترجم المؤلف للرجال الذين درّسوا او درّسوا فيها مثل "الامام فخر الدين بن عساكر (ت ٦٢٠ هـ/١٢٢٢م) الذي درس بالجاروخية والصلاحية بالقدس^(٨)، والعالم "السيف الأمدي (ت ٦٣١ هـ/١٢٣٣م) الذي درس بدمشق بالمدرسة العزيرية^(٩)، والامام جمال الدين بن محمود الحصري (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) الذي درس بالمدرسة النورية بدمشق^(١٠)، او قاموا ببناءها، مثل "الامير مجاهد الدين قايماز الزيني (ت ٥٩٤ هـ/١١٩٧م) الذي بتي الجامع المجاهدي والمدرسة والرباط بالموصل على نهر

(١) الورقة: ١٠٥-أ.

(٢) الورقة: ١٥٥-ب.

(٣) الورقة: ٧٣-ب.

(٤) الورقة: ٩٢-ب.

(٥) الورقة: ٢٥-أ.

(٦) الورقة: ١١٠-أ.

(٧) الورقة: ١١٠-أ، ١٥١-أ.

(٨) الورقة: ١١٠-أ.

(٩) الورقة: ١٣٥-ب، ١٣٦-أ.

(١٠) الورقة: ١٤٦-ب.

دجلة^(١)، والامير "صارم الدين قايماز النجمي (ت ٥٩٦ هـ/١١٩٩م) بنى المدرسة القيمازية بدمشق تحت القلعة^(٢) والامير "شبل الدولة كافور الحسامي (ت ٦٢٣ هـ/١٢٢٦م)، الذي بنى مدرسة على نهر ثورا^(٣)، و"الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م) الذي بنى مدرسة باربل واخرى بالموصل^(٤)، و"ربيعة خاتون بنت ايوب (ت ٦٤٣ هـ/١٢٤٥م) بنت مدرسة بقاسيون^(٥).

وهذه المدارس كانت متخصصة في اغلب الاحيان حسب مذاهب مؤسسها في دولة كانت تسودها روح التسامح الديني والمذهبي، فكانت هناك مدارس للحنفية^(٦)، واخرى للحنابلة^(٧)، مع ان المذهب الرئيسي للدولة ومعظم مدارسها كانت شافعية^(٨). وقد حظيت هذه المدارس بالاهتمام حيث خصصت لها الاوقاف الكثيرة والجراريات^(٩)، لتكون مستقلة من الناحية المالية، وكان للعلماء المدرسين منزلة رفيعة، حيث خصص لهم الرواتب المناسبة^(١٠)، و اشار المخطوط الى المدرسة المستنصرية في بغداد التي امر ببناءها الخليفة العباسي المستنصر بالله (ت ٦٤٠ هـ/١٢٤٢م)، ويصفها "ما بني في الاسلام مثلها"^(١١)، ولم تكن خاصة بمذهب معين، وكان السلطان صلاح الدين يقول: "لا تظنوا اني ملكت

(١) الورقة: ٦٣- ب.

(٢) الورقة: ٧١- ب.

(٣) الورقة: ١١٦- أ.

(٤) الورقة: ١٣٣- ب.

(٥) الورقة: ١٥٦- ب، ١٥٧- أ.

(٦) الورقة: ١١- ب، ١٢- أ، ١١٦- أ، ١٤٦- ب، ١١٣- أ.

(٧) الورقة: ١٥٦- ب، ١٥٧- أ.

(٨) الورقة: ١١٠- أ، ١١٣- أ.

(٩) الورقة: ١١- ب، ١٢- أ، ٦٣- ب، ٧١- أ، ١١٦- أ، ١٣٣- ب.

(١٠) الورقة: ٦٣- ب، ١٠٥- أ.

(١١) الورقة: ١٥١- ب.

البلاد بسيوفاكم، بل بقلم القاضي الفاضل، وكان يستشير في اموره"^(١)، وتكاد تكون حب العلماء والاحسان اليهم وتقريبهم من خصائص معظم الحكام في تلك الفترة"^(٢).

والى جانب المدارس كانت هناك دوراً اخرى للعلم مثل دور الحديث، باعتباره المصدر الثاني للعقيدة والتشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم، كدار الحديث التي انشائها الملك العظيم مظفر الدين كوكبوري (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م) في اربيل"^(٣) ودار الحديث الاشرفية بدمشق"^(٤)، والربط"^(٥) التي لم تكن مقتصرة فقط على الرجال، وانما كانت هناك اخرى خاصة بالنساء"^(٦)، وقبلها المساجد"^(٧) والجوامع"^(٨) اقدم مراكز التعليم في العالم الاسلامي، وبالإضافة الى ما تقدم كانت هناك الخانقاهات"^(٩) والزوايا"^(١٠).

وفيما يخص الجانب العلمي والثقافي ايضاً، فقد ورد في المخطوط وصف لخزائن الكتب الخاصة وما تضمنته من الآف الكتب، ويكفي ان نشير الى مكتبة "القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م) بانها كانت تحتوي على "مائة الف مجلد"^(١١)، وتفاوتت تراجم العلماء في طولها، غير انها شغلت حيزاً هاماً من المخطوط، فاطول ترجمة فيها، كانت في ست صفحات "للإمام ابو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي الواعظ ببغداد (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)، الذي كتب بيديه الذي ملجود والف اكثر من مائتين وخمسين كتاباً في

(١) الورقة: ٧٠ - ب.

(٢) الورقة: ٧٣ - ب، ١٠٥، ١٣١ - أ، ١٣٣ - ب.

(٣) الورقة: ١٣٣ - ب.

(٤) الورقة: ١٣٠ - ب.

(٥) الورقة: ١١ - ب - ١٢ - أ، ٦٣ - ب، ١٣٣ - ب.

(٦) الورقة: ١٥٦ - ب - ١٥٧ - أ.

(٧) الورقة: ٧٣ - ب.

(٨) الورقة: ٦٣ - ب، ١٣٣ - ب.

(٩) الورقة: ١١٦ - أ، ١٣٣ - أ.

(١٠) الورقة: ١٣٣ - ب.

(١١) الورقة: ٧١ - ب.

مختلف العلوم^(١)، بينما ترجمه للسلطان صلاح الدين الايوبي في خمس صفحات^(٢)، في حين تفاوتت تراجم الاخرين من العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والمؤرخين والمحدثين والصوفية ما بين ثلاث صفحات، كترجمته "الاسامة بن منقذ الشيزري" (ت ٥٨٤ هـ/١١٨٨م)^(٣)، و"العماد الكاتب الاصفهاني" (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)^(٤)، والشيخ "عز الدين احمد بن معقل الحمصي المهلبى الشيعي" (ت ٦٤٤ هـ/١٢٤٦م)^(٥)، و"سطر ونصف السطر"، كترجمته للحسن بن محمد الملقب بتاج الدين بن حمدون (ت ٦٠٧ هـ/١٢١٠م) مصنف التذكرة الحمدونية^(٦)، وكذلك ترجمته "للامام الفقيه تقي الدين عثمان بن الصلاح" (ت ٦٤٣ هـ/١٢٤٥م)^(٧).

وقد اشار الى اختصاصات العلماء والفقهاء والمفكرين وما تميزوا به، والانقلاب العلمية التي حملوها، مثل: "الفقيه"^(٨)، و"الحديث"^(٩)، و"الاديب"^(١٠)، و"النحوي"^(١١)، و"الواعظ"^(١٢)، و"الكاتب"^(١٣)، و"المؤرخ"^(١٤)، و"المفسر"^(١٥)، و"المتكلم الاصولي"^(١٦)،

(١) الورقة: ٧٣- ب.

(٢) الورقة: ٥٤- ب- ٥٥- أ- ب- ٥٦- أ- ب.

(٣) الورقة: ٢٨- أ- ب- ٢٩- أ.

(٤) الورقة: ٧٩- ب- ٨٠- أ- ب- ٨١- أ.

(٥) الورقة: ١٦١- أ- ب- ١٦٢- أ- ب.

(٦) الورقة: ٨٩- ب.

(٧) الورقة: ١٥٩- أ.

(٨) الورقة: ١٠- ب، ١١٢- أ، ١١٩- ب، ١٤٦- ب.

(٩) الورقة: ١١٢- ب.

(١٠) الورقة: ٨٦- ب، ١١٩- ب.

(١١) الورقة: ٩٥- ب.

(١٢) الورقة: ٧٦- ب.

(١٣) الورقة: ٧٩- ب.

(١٤) الورقة: ١٠٧- أ، ١١٢- أ.

(١٥) الورقة: ١١٢- أ.

(١٦) الورقة: ١٣٦- أ.

و"العالم الفاضل"^(١)، و"الامام"^(٢)، و"الفلكي"^(٣)، و"المدرس"^(٤)، و"علامة زمانة"^(٥)،
و"الكيميائي"^(٦)، و"امام المذهب"^(٧).

وقد تبين لنا ان المخطوط قدم معلومات ثقافية متنوعة وغزيرة فيما يخص الجانب
الثقافي، والتي قلما يجد مثلها في كتب التاريخ العام.

(١) الورقة: ١٣١-أ.

(٢) الورقة: ١٤٦-ب، ١٥٥-ب.

(٣) الورقة: ١٣٦-أ.

(٤) الورقة: ١٠٧-أ.

(٥) الورقة: ١٠-ب.

(٦) الورقة: ١٥١-أ.

(٧) الورقة: ١١٢-أ.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على محمد وآله

٥٧١ هـ

سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

فيها وثب ثلاثة من الاسماعيلية^(١) على الملك الناصر صلاح الدين يوسف وهو يومئذٍ بحلب، فضربه اُحدهم بسكين في رأسه فخدشه، وأمر بقتل الثلاثة^(٢).

(١) الاسماعيلية: إحدى فرق الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ظهرت هذه الفرقة بعد وفاة الإمام جعفر الصادق (٨٠ - ١٤٨ هـ/٦٩٩ - ٧٦٥ م)، بسبب الخلاف حول شرعية من يخلفه في الإمامة، بعد أن أوصى جعفر على إمامة ولده البكر اسماعيل الذي توفي في حياة والده، لذلك عرفوا بالاسماعيلية، وكان الاغتيال السياسي أحد أساليبهم في العمل حاولوا اغتيال السلطان صلاح الدين مرتين هذه السنة، الاولى كانت وهو على غزّاز، والثانية كانت وهو على حلب، للزيادة والتفاصيل عنهم أنظر ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٨ - ٦٩، الحسيني: زبدة التواريخ، ص ١٣٩ - ١٤١، ١٦٨ - ١٧٠ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٦ - ١٧، ٤٦، الشهرستاني، الملل والنحل، ص ٢٧ - ٢٨، سعد رستم، الفرق والمذاهب الاسلامية، ص ٢٨١ - ٣٢٧، حسن الأمين، الاسماعيليون والمغول، ص ٨٥، ٢١٧ - ٢٤٥، أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ١٦٧ - ١٨٧، موسى مصطفى الهسنياني، السنوات الأخيرة من حياة دولة الكورد الأيوبية في مصر وبلاد الشام ٦٣٤ - ٦٥٨ هـ/١٢٣٦ - ١٢٦٠ م، ص ٣٢٥ - ٣٣٠.

(٢) عن هذا الحادث أنظر: ابن الأثير، الكامل، ٤٣٦/١١، ٤٣٠، أبو شامة، الروضتين، ٢/٢٦٨ - ٢٧١، ابن واصل، مفرح الكروب، ٤٤/٢ - ٤٥، النويري، نهاية الارب، ٢٨/٢٥٣. ابن كثير، البداية والنهاية ٣١٣/١٢.

وسير إلى بلاد الاسماعيلية^(١)، فأحرقها ونصب المجانيق^(٢)، على مصياف^(٣) ونهبت العساكر وقتلوا وسبوا وكان مقدم^(٤) الاسماعيلية سنان^(٥) بن محمد، فأرسل إلى شهاب الدين محمود صاحب خال صلاح الدين، يقول له نحن جيرانك وقد فعل ابن أختك ما فعل والمصلحة رحيله عنا، فكتب فيهم صلاح الدين فرحل عنهم إلى دمشق. وفيها قدم شمس الدولة^(٦) أخو صلاح الدين من اليمن.

(١) بلاد الاسماعيلية، وتعرف أيضاً باسم قلاع الدعوة أو بلاد الدعوة، وهي مجموعة من القلاع شيدوها أو أستولوا عليها، وتقع في ((جبال الساحل البهراء)) من الساحل الشامي وهي: مصياف والرصافة والخرابي والقدموس والكهف والنيقة والعليقة والقلعة، بالإضافة إلى المرقب وصافيتا والعريمة، رستم، الفرق والمذاهب الاسلامية، ص ٢٩٨.

(٢) المجانيق جمع منجنيق: وهي من أسلحة الحصار التي تستخدم في ذلك الأسوار والقلاع والحصون وللزيادة عنها أنظر موسوعة الأسلحة القديمة الموسوم (تبصرة أرباب الآليات)، ص ١٦٣ - ١٧٣.

(٣) مصياف: من حصون الاسماعيلية المشهورة بمحصاتها، وتقع على الساحل الشامي قرب طرابلس. ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤٤.

(٤) المقدم: هو رئيس الطائفة ويأتي على قمة الهرم التنظيمي ويعرف أيضاً بشيخ الجبل. الهسنياني، السنوات الأخيرة من حياة دولة الكورد الأيوبية، ص ٣٢٧.

(٥) راشد الدين سنان بن سليمان ابن محمد بن راشد البصري (٥٢٨ - ٥٨٨ هـ/ ١١٣٤ - ١١٩٢ م)، ولد في البصرة، وعاش فترة في الموت، ثم أستقر في الشام أيام الملك العادل نور الدين محمود زنكي، وعاصر السلطان صلاح الدين الأيوبي، اختلف معه وعاداه، ثم صالحه في أواخر أيامه، ومات قبل صلاح الدين بعام واحد. رستم، الفرق والمذاهب الاسلامية، ص ٢٩٨.

(٦) شقيق صلاح الدين وأكبر أخوته، وكان يرى أنه أحق بالملك منه، أرسله أخوه لفتح النوبة سنة ٥٦٨ هـ، فوجدها بلاداً فقيراً، وكان صلاح الدين يريد بلداً آمناً يلتجئ إليه إذا ما أخرجته نور الدين من مصر، لذلك سيره إلى اليمن ففتحها سنة (٦٦٩ هـ). وللزيادة عنه أنظر، الكامل ١٢/٤٦٨ - ٤٦٩، سبط ابن الجوزي، مائة الزمان ٣٦٢/٨، أبو شامة، الروضتين، ١٦٠/٢ - ١٦١، ١٧٧ - ١٨٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان ١/١٥٩ - ١٦١، ابن كثير، البداية والنهاية ١٢/٣٢٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٦/٨٧، ابن العماد، شذرات الذهب ٢/٢٥٥ - ٢٥٦، الحنبلي، شفاء القلوب ص ٥٠ - ٥٥.

وفيهما توفي الحافظ علي^(١) بن الحسن بن عساكر الدمشقي، مولده سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وكان أحد الأئمة المشهورين في الحديث، سافر [إلى]^(٢) الحجاز والعراق وخراسان^(٣)، وصنف تاريخ دمشق في ثمانين مجلداً.

وفيهما كانت وقعة الكنز مقدم السودان بالصعيد، جمع كل أسود وسار إلى القاهرة ليعيد دولة المصريين^(٤)، فخرج إليه العادل سيف الدين^(٥) وحسام الدين أبو الهيجاء وعز الدين موسك والتقوا وقتل الكنز، وقتل من معه، ومثل العماد^(٦) الكاتب [١ - ١] فقال العماد الكاتب قتل الكنز وما أنتطح فيها عنزان^(٧).

(١) أنظر ترجمته في: الكامل ٤٣٥/١١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ٣٣٦/٨، أبو شامة، الروضتين ٢٧٦/٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان ١٤٧/٢ - ١٤٨، ابن كثير، البداية والنهاية ٣١٤/١٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٨٠/٦، ابن العماد، شذرات الذهب ٢٣٩/٢، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٧٦/٦.

(٢) ما بين الحاصرتين غير واردة في الاصل.

(٣) خراسان، بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند وطخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وقصبتها مرو. ياقوت، معجم البلدان، ٣٥٠/٢.

(٤) الدولة المصرية الفاطمية. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٧٨/٦.

(٥) هو الملك العادل محمد بن أيوب بن شاذي، أنظر ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل ٣٥٠/١٢ - ٣٥٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ٥٩٤/٨، أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٦٨ - ١٧١، ابن العميد، اخبار الأيوبيين ص ١٣٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣٨/٣ - ٤٠، ابن كثير، البداية والنهاية ٨٦/١٣ - ٨٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ١٦٠/٦ - ١٧٣، الحنبلي، شفاء القلوب ص ٢٠٠ - ٢٠٣.

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن حامد بن محمد العماد الكاتب الأصفهاني. أنظر ترجمته في: ابن الاثير، الكامل، ١٧١/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٠٤/٨ - ٥٠٩، أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٤٢ - ٤٣، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧٦/٣ - ٧٨، اليافعي، مرآة الجنان، ٣٧٢/٣ - ٣٧٣، أبو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ١٨٩/٣ - ١٩١، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٧/٣ - ١٢٨، الذهبي، دول الإسلام، ١٠٦/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٣/١٣ - ٣٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٧٨/٦ - ١٧٩، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٣٢/٤ - ٣٣٣.

(٧) في الاصل (عز). والنصح من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٣٨/٨، ابن الاثير، الكامل، ٣٦٩/١١.

٥٧٢ هـ

[سنة خمسمائة وإثنان وسبعون]

وفيها سار صلاح الدين إلى مصر وأستناب أخاه شمس الدولة على الشام. وجاءت الفرنج إلى داريا^(١) فأحرقوا ونهبوا وعادوا. وفيها أمر صلاح الدين قراقوش^(٢) بعمارة سور على القاهرة ومصر وضع فيه أموالاً عظيمة ولم ينتفع به أحد. وفيها عمّر صلاح الدين مدرسة الشافعي بالقرافة^(٣)، وعمّر المارستان^(٤) في القصر، ووقف عليها أوقاف، وحج بالناس فيماز النجمي. وفيها توفي القاضي كمال الدين^(٥) بن الشهرزوري قاضي دمشق والشام، وأسمه محمد بن عبد الله بن القاسم ولد سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وكان رئيس أهل بيته، وولى قضاء القضاة بدمشق وحمص وحماة وحلب وجميع الشام في أيام نور الدين بن زنكي

(١) داريا: من قرى دمشق الكبيرة بالغوطة. ياقوت، معجم البلدان، ٤٣١/٢.

(٢) ترجمته في: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٠٤/٨، أبو شامة، الروضتين، ٢٨٥/٤ - ٢٨٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٨٠/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٤/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ١٧٦/٦ - ١٧٧، ابن العماد، شذرات الذهب ٢٤٣/٤.

(٣) القرافة، إحدى أحياء القاهرة. ياقوت، معجم البلدان ٣١٧/٤.

(٤) المارستان: وتعني المستشفى في الوقت الحاضر. إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، ٨٦٣/٢.

(٥) للزيادة أنظر ترجمته لدى: ابن الأثير، الكامل، ٤٤١/١١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٤٠/٨ - ٣٤١، أبو شامة، الروضتين ٢٨٠/٢ - ٢٨١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣١٧/١٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧٩/٦ - ٨٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٤٣/٤.

وكان إليه أمر المدارس والمساجد والأوقاف والحسبة^(١)، والأمور الدينية والشرعية، وكان صاحب القلم والسيف، وكانت شحنكية^(٢) دمشق إليه، يولي فيها بعض أصحابه، ثم ولاها نور الدين لصلاح الدين، وكان بينهما مضاعفة، وكل واحد ينقض حكم الآخر، فلما كاتبه صلاح الدين على أن يساعده على أخذ دمشق أعانه، فتح له أبوابها^(٣)، فلما دخلها مشى إلى كمال الدين وطيب قلبه، وكان فاضلاً جواداً سمحاً ديناً عفيفاً ذا مروءة ظاهرة (وصدقات داره وافرة)^(٤)، جاء إلى الشيخ أحمد والد الشيخ أبي عمر شيخ الحنابلة، واحمد أول من سكن منهم قاسيون^(٥)، فزاره ومعه ألف دينار فدفعها للشيخ أحمد، فأمتنع عن أخذها، فأشترى بها كمال الدين قرية الهامة بوادي [١ - ب] بردى^(٦)، ووقف نصفها على الشيخ أحمد والمقداسة^(٧). والنصف الآخر على الأسارى، وكان نور الدين يفضل القاضي

(١) الحسبة: من أشكال القضاء في الاسلام، وهو أمر بالمعروف إذ أظهر تركه، ونهي عن المنكر إذ أظهر فعله، ومتولي هذه الوظيفة يعرف بالحنسب. للزيادة أنظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ٣٨/٤، حسن ابراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص ص ٢٩٦ - ٣٠٠.

(٢) شحنكية: أي رئاسة الشرطة، ويسمى متوليها صاحب الشحنة. المقرزي، السلوك، ج ١ ق ١، هامش (١)، ص ٣٥.

(٣) عن فتح السلطان صلاح الدين دمشق أنظر: ابن الاثير، الكامل، ٤١٥/١١ - ٤١٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٤٠/٨ - ٣٤١، ابو شامة، الروضتين ٢٢٢/٢ - ٢٢٤، البنداري، سنا البرق الشامي ص ص، ١٧٦ - ١٧٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧٣/٦.

(٤) ما بين الحاصرتين مطموسة في الأصل، والتصحيح من، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٤١/٨.

(٥) قاسيون: الجبل المشرف على مدينة دمشق، ياقوت، معجم البلدان، ٢٩٥/٤.

(٦) وادي بردى: نسبة إلى نهر بردى، أعظم أنهر دمشق، منبعه من كورة الزيداني على بعد خمسة فراسخ من دمشق مما يلي بعلبك. ياقوت، معجم البلدان، ٣٧٨/١.

(٧) المقداسة، ويقصد بهم أهل بيت المقدس.

كمال الدين علي بن أبي عصرون^(١)، وكان عنده بمنزلة الوزير، وبعث به إلى بغداد رسولا، فكتب إلى الخليفة المقتضي^(٢) ورقة يقول فيها: الملوك محمد بن عبدالله الرسول، فكتب المقتضي عليها صلى الله عليه وسلم، ولما مات كمال الدين تولى ابن أبي عصرون أمره، وخرج في جنازته ماشيا وجميع الملوك مشاة منهم سيف الإسلام^(٣)، وتقي الدين عمر^(٤)، وشمس الدولة وغيرهم، وحمل إلى قاسيون، ودفن في سفحه عند مسجد البصارد.

وكان القاضي كمال الدين قد تصدق بجميع ما كان عنده، وأوصى بماله وأوقف أوقافا كثيرة على أبواب البر، ولم يكن له كفن فكفن في احرامه وتوفي سادس المحرم.

(١) شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبي السري محمد بن هبة الله بن مطهر بن علي بن أبي عصرون، وكان شيخ المذهب الشافعي، توفي بدمشق سنة (٥٨٥ هـ). أنظر ترجمته في: ابو شامة، الروضتين ٦٤/٤ - ٦٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٦/٢ - ٢٨، السبكي، طبقات الشافعية، ١٥٨/٦ - ١٥٩، الذهبي، دول الإسلام، ٩٧/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٥٥/١٢ - ٣٥٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٠٩/٦ - ١١٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٨٣/٤، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٣٧٤/٥.

(٢) المقتضي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله توفي سنة (٥٥٥ هـ). ابن الاثير، الكامل، ٥٥٦/١١.

(٣) سيف الإسلام أبو الفوارس طفتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان المنوت بالملك العزيز ظهير الدين حاكم اليمن، توفي باليمن سنة (٥٩٣ هـ). ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ١٢٩/١٢ - ١٣٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٥٣/٨ - ٤٥٤، ابو شامة، الروضتين، ٢٥٧/٤، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٣٦/١ - ٤٣٧، ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٢/٣، ابو القدا، المختصر في أخبار البشر، ١٨١/٢.

(٤) تقي الدين عمر، الملك المظفر تقي الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب، حاكم حماة وهو ابن أخي السلطان صلاح الدين، توفي سنة (٥٨٧ هـ). أنظر ترجمته لدى: الأصقهايي، الفتح القسي، ص ٥٦٦ - ٥٧٠، ابن الاثير، الكامل، ٦٢/١٢ - ٦٣، ابو شامة، الروضتين، ١٧٠/٤، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢١٧/٢ - ٢١٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٧٧ - ٣٧٥/٢، ابو القدا، المختصر، ١٦٦/٢ - ١٦٧، الدواداري، كنز الدر وجامع الغرر، ١١٠/٧، السبكي، طبقات الشافعية، ٢٤٢/٧ - ٢٤٧، ابن الوردي، تيممة المختصر، ١٤٨/٢ - ١٤٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦٩/١٢، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٠٧، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٣٤ - ٢٣٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١١٣/١ - ١١٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٨٩/٤.

وولى صلاح الدين القضاء لابن عصبون، وأمره أن يستنيب [محي] ^(١) الدين بن زكي الدين القرشي، فأستنابه بتوقيع من صلاح الدين، واقام ابن عصبون قاضياً إلى أن ضعف بصره، فأشار الفاضل ^(٢) بتولية ولده أبي حامد محمد، فأستمر إلى سنة سبع وثمانين، فصرف واستقل محي الدين ^(٣) زكي الدين، ومن شعر القاضي كمال الدين:

ولقد اتيتك والنجوم رواصل والفجر وهم في ضمير المشرق
وركبت هول هواك كل عظيمة سوفاً إليك لعلنا أن نلتقي

(١) في الاصل (بجى) وهو خطأ واضح والاصح محي الدين.

(٢) أبو علي عبد الرحيم بن علي المعروف بالقاضي الفاضل الكاتب المشهور، لم يكن في زمانه أحسن كتابة منه توفي سنة (٥٩٦ هـ) عنه أنظر: أخباره في الكتب التاريخية التي تتحدث عن الفترة الصلاحية مثل، ابن الأثير، الكامل، ابن شداد، النوادر، الاصفهاني، الفتح القسي، ابو شامة، الروضتين، ابن واصل، مفرج الكروب. وترجمته في: ابن الاثير، الكامل، ١٥٩/١٢، ابو شامة، الروضتين، ٢٧٨/٤-٢٨٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧٦/٢-٧٨، ابو الفداء، المختصر، ١٨٧/٢، الأمسوي، طبقات الشافعية، ١٣٧/٢-١٣٨، الذهبى، دول الإسلام، ١٠٥/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٧/١٣-٢٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٥٦/٦-١٥٨، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٢٤/٤-٣٢٧.

(٣) محمد بن علي بن محمد أبو المعالي القرشي، محي الدين بن زكي قاضي قضاة دمشق، توفي سنة (٥٩٨ هـ) أنظر ترجمته في: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٤٩-٥٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٤١/٢-٣٤٤، الذهبى، دول الإسلام، ١٠٧/٢، الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٦٩/٤، السبكي، طبقات الشافعية، ٨٩/٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٨١/٦-١٨٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٣٧/٤-٣٣٨.

٥٧٣ هـ

سنة ثلاثة وسبعون وخمسمائة

ففيها وصل تتامش^(١) بفساد ووقف تحت التاج وبيده سيف وكفن وقبّل الأرض مراراً طلب العفو فعفى الخليفة(عنه)^(٢) [٢ - ١] وأعيد إلى امرته.

وفي جمادى الآخرة خرج صلاح الدين من مصر بالعسكر، فنزل عسقلان^(٣) ثم رحل يريد تل الصافية^(٤)، فازدحمت العساكر على الجسر، فلم يشعروا إلا وقد خالطهم الفرنج، فثبت تقي الدين عمر وقاتل، ثم غلب وقتل من المسلمين خلق كثير^(٥)، وانهزمت عساكر الاسلام، وأسر كثير منهم الفقيه عيسى^(٦) وغيره، ولولا الليل حجّز

(١) كان قد عصى على الخليفة سنة (٥٧٠ هـ) وقاتل مع قطب الدين قايماز. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٤٢/٨، للزيادة عنه انظر: ابن الأثير، الكامل، ٤٢٤/١١ - ٤٢٦.

(٢) في الأصل(عنه). وكان الخليفة المستضيء بأمر الله توفي سنة(٥٧٥ هـ): ابن الأثير، الكامل، ٤٥٩/١١ - ٤٦٠.

(٣) عسقلان، مدينة بالشام من أعمال فلسطين، وتقع على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين. ياقوت، معجم البلدان، ١٢٢/٤.

(٤) تل الصافية، حصن من أعمال فلسطين قرب بيت جبرين من نواحي الرملة. ياقوت، معجم البلدان، ٤٢/٢.

(٥) كان السبب هو الافتقار إلى النظام وعدم إتخاذ الحيطه والحذر الواجبة. عن تلك الواقعة أنظر أيضاً: الأصفهاني، البرق الشامي، ٤٣-٣١/٣. ابن الأثير، الكامل، ٤٤٢/١١ - ٤٤٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٤٢/٨ - ٣٤٣، ابو شامة، الروضتين، ٣٠٤/٢ - ٣٠٨.

(٦) ضياء الدين عيسى بن محمد الهكاري، كان من أعيان أمراء عسكر صلاح الدين، ومن قدماء الأسدية، كان ذا عصبية ومروءة، وكان له دور رئيسي في توحيد الصف الكوردي وتولى صلاح الدين الوزارة في مصر بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه سنة(٥٦٤ هـ)، وتوفي الفقيه عيسى سنة(٥٨٥ هـ). ورد ترجمته لدى: الأصفهاني، البرق الشامي، ص ٣٥٥، ٣٥٧، ٩٠، ابن الأثير، الكامل: ٤٢/١٢، ابن شداد، النوادر، ص ١١٦، المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ١٥٣/١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٣٦/٢ - ٢٣٧، طبقات السبكي، ٢٥٥/٧ - ٢٥٧، == ابو شامة، الروضتين، ٦٥/٤، ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١٦٣/٢، ابن الوردي،

بينهم لم يبق من المسلمين أحد، وسار صلاح الدين في الليل إلى مصر بغير دليل ولا ماء ولا زاد، وكانت هذه الواقعة من أعظم الوقائع نكبت به الإسلام وأوهنت صلاح الدين، ونهبت خزائنه، وقتل رجاله، وأسر أبطاله، وكان مقدم الفرنج أرناط^(١)، وكان من أكبر ملوك الفرنج، وكان نور الدين قد أسره في وقعة حارم^(٢)، وحبس في حلب، فأطلقه الملك الصالح^(٣)، وما أتلّف عسكر المسلمين إلا لأنهم تفرقوا في الساحل بسبب الغارات، وكانوا زيادة على عشرين ألفاً، ووقعت الكسرة، ومعظمهم لم يعلم، فلما عادوا من الغارات لم يجدوا صلاح الدين، ولم يكن لهم حصن يأوون إليه، فدخلوا الرمل^(٤)، وتبعهم الفرنج قتلاً وأسراً، ومن سلم منهم مات عطشاً وجوعاً.

ورجع أرناط بجمعه إلى حماة، فاناخ عليها، وفيها شهاب الدين محمود^(٥) خال صلاح الدين، وهو يومئذ مريض، وعنده سيف الدين المشطوب^(٦)، فقاتلهم العسكر وأهل حماة قتالاً عظيماً، ولولا المشطوب للكوها، فقطعوا أشجارها، وخرّبوا ضياعها.

تمة المختصر، ١٤٥/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٥٦/١٢، المقريزي، السلوك، ج ١، ص ١٠٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١١٠/٦، وعرف بالهكاري نسبة إلى بلاد هكاري في كردستان الجنوبية. عنها أنظر: درويش يوسف حسن هروري، بلاد هكاري (٩٤٥-١٣٣٦م)، دراسة سياسية حضارية، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٥.

(١) أرناط، هو رينالدشاتيون، رنسيان، الحروب الصليبية، ٦٩٦/٢، ٨٣٥ (الملحق الرابع).

(٢) كانت وقعة حارم سنة ٥٥٩ هـ. ابن الأثير، الكامل، ٣٠١/١١-٣٠٤. وحارم، حصن وكورة تجاه أنطاكية وهي من أعمال حلب. ياقوت، معجم البلدان، ٢٠٥/٢.

(٣) هو الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود زنكي، تولى الملك بعد وفاة والده سنة ٥٦٩ هـ، وكان عمره إحدى عشر سنة، توفي سنة ٥٧٧ هـ. أنظر: ابن الأثير، الكامل، ٤٠٥/١١، ٤٧٢، البنداري، سنا البرق الشامي، ص ١٥٣ - ١٥٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٢٢/٨-٣٢٥، أبو شامة، الروضتين، ٢٠٨/٢ - ٢١٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٧/١٢-٣٠٦، ٣٢٩-٣٣٠.

(٤) الرمل: مدينة مشهورة بفلسطين، بينها وبين القدس ثمانية عشر يوماً. ياقوت، معجم البلدان، ٦٩/٣.

(٥) شهاب الدين محمود الحارمي هو خال السلطان صلاح الدين. أنظر ترجمته في: الاصفهاني، البرق الشامي، ٥٥/٣-٥٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٥٠/٨.

(٦) هو الأمير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري، المعروف بالمشطوب، للزيادة عنه أنظر: ابن الأثير، الكامل، ٦٦/٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٩٩/١-١٠١، نه بز مجيد أمين، المشطوب الهكاري، دراسة عن دور الهكاريين في الحروب الصليبية، محسن محمد حسين، المشطوب الهكاري، سيرة مجاهد، ص ٣٠١-٣٠٩.

ورحلوا إلى حارم، وبها كمشتكين الخادم^(١) عاصيا على الملك الصالح [٢ - ب]، فنصبوا عليها المجانيق، وقتلوا أياماً فالحجاءت الخادم الضرورة إلى مصالحة الملك الصالح، فبعث إليه النجدة، فرحلوا عنه إلى أنطاكية، وقتل كمشتكين وأبو صالح بن العجمي^(٢). وبلغ صلاح الدين نزول الفرنج على حماة، فجمع عساكر مصر وسار إلى الشام، فقدم دمشق وكان بها أخوه شمس الدولة مشغولاً ببلذاته ولهوه، وكان قد بعث إلى الفرنج بمال مصانعة، فعز على صلاح الدين، وقال: أنت مشغول باللعب وتضيع مال المسلمين، وأستناب بمصر أخاه الملك العادل سيف الدين.

(١) كان كمشتكين الخادم والياً على حارم. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٤٣/٨.

(٢) قتل أبو العجمي على يد الباطنية. وعن مقتله ومقتل كمشتكين أنظر، الاصفهاني، البرق الشامي، ٥٠/٣ - ٥٢، ابن الاثير، الكامل، ٤٤٥/١١، أبو شامة، الروضتين، ٣٠٨/٢.

٥٧٤ هـ

سنة أربع وسبعين وخمسمائة

وفيهما عصى شمس الدين بن المقدم^(١) ببعليك^(٢)، وكان صلاح الدين قد أعطاه إياها، فخرج صلاح الدين من دمشق ونزل على بعليك تسعة أشهر^(٣) يحاصرها، فنفذ ما عند ابن المقدم، فأرسل إلى السلطان يطلب العوض، فأعطاه بارين^(٤) وكفر طاب^(٥)، وخرج ابن المقدم إليها، وتسلم صلاح الدين بعليك، وسلمها إلى أخيه شمس الدولة.

وفيهما بلغ صلاح الدين أن الهنصري^(٦) يريد [أن]^(٧) يغار على البلاد، فبعث عز الدين فرخشاه^(٨) ابن أخيه بعساكر دمشق إلى قرن الحرة^(٩)، فإن جاؤك فأرسل كتب الطيور^(١٠)

(١) هو الأمير محمد بن عبد الملك، كان من كبار أمراء الدولتين النورية الزنكية والأيوبية، وهو الذي مكن صلاح الدين من دمشق وبلاد الشام. عن ذلك أنظر: ابن الأثير، الكامل، ٤١٥/١١ - ٤١٧.

(٢) بعليك: مدينة قديمة، بينها وبين دمشق مسيرة ثلاثة أيام، وقيل أثنى عشر فرسخاً من جهة الساحل. ياقوت، معجم البلدان، ٤٥٣/١.

(٣) عن ذلك أنظر: ابن الأثير، الكامل، ٤٥٠/١١ - ٤٥١، ابو شامة، الروضتين، ٣/٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٠/١٢، المقرئ، السلوك، ج ١ ق ١، ص ٦٦.

(٤) بارين، وبعرين: مدينة بين حلب وحماة من جهة الغرب. ياقوت، معجم البلدان، ٣٢٠/١ - ٣٢١.

(٥) كفر طاب: بلدة بين المعرة وحلب. ياقوت، معجم البلدان، ٤٧٠/٤.

(٦) الهنصري: هو همفري الثاني صاحب حصن بانياس التي تقع جنوبي شرقي دمشق. ابن واصل، مفرج الكرب، ٧٢/٢، هامش (١).

(٧) ما بين الحاصرتين غير واردة في الأصل. وقد أضيف لتستقيم المعنى.

(٨) عن هذه الواقعة أنظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل، ٤٥٢/١١ - ٤٥٣، البنداري، سنا البرق الشامي، ص ص ٣١٧ - ٣١٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٥١/٨ - ٣٥٢، ابن واصل، مفرج الكرب، ٧٢/٢ - ٧٣.

(٩) قرن الحرة: موضع قرب مرج عيون. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٥١/٨.

(١٠) كتب الطيور: وهي تلك الرسائل التي كانت ترسل عن طريق الحمام الزاجل، والتي تعرف أيضاً بافوادي. للزيادة عنها أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ١٥٣/١٢ - ١٥٤، حسين، الجيش الأيوبي، ص ص ١٨٠ - ١٨٨، حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص ٢١٤.

الى لا توافقهم حتى آتيك وسار ونزل مرج عيون، فلم يشعر إلا وطلائع الهنصري قد خالطته، ووقع القتال، فقاتلهم بنفسه، وجرح الهنصري جراحة موثقة، فأخذوه وأنهبوا وعليهم فرخشا، ومات الهنصري بعد أيام، وجاء صلاح الدين فنزل قصر يعقوب^(١) وبعث السرايا [٣ - أ] والغارات إلى بلد الفرنج.

وفيها توفي الحيص بيص، وأسمه سعد بن محمد بن الصيضي التميمي^(٢)، ومن

شعره:

لم الق مستكبراً الا تحوّل لي عند اللقاء له الكبر الذي فيه
ولا خلا لي من الدنيا ولذتها إلا مقابلي للتيه بالتيه

وقال:

علمي بسابقة المقدور الزمني صمتي وصبري فلم أحرص ولم أسلم
لو نيل بالقول مطلوب لنا حرم الرؤيا الكليم وكان الخط للجيل
وحكمة العقل إن عزت وان عرفت جهاله عد حكم الدرف والأجل

(١) قصر يعقوب: ويسمى حصن يعقوب وبيت الأحزان. الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٩٦. بلد بين دمشق والساحل. ياقوت، معجم البلدان، ٥١٩/١.

(٢) أنظر ترجمته في: ابن الأثير، الكامل، ٤٥٤/١١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٥٢/٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٦٢/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢١/١٢ - ٣٢٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/ ٢٤٧ - ٢٤٨.

٥٧٥ هـ

سنة خمس وسبعين وخمس مائة

فيها زلزلت أرمينية وبلاد^(١) أربيل^(٢) وتقاربت الجبال بحيث بقي بين الجبلين مسافة، تكاد الجبال لقربها أن يصطدم، ثم يعود إلى مكانها.
وفي ربيع الأول التقى صلاح الدين الفرنج على مرج العيون^(٣)، فأسر مقدم الداوية^(٤) والاسبتار^(٥)، وصاحب طبرية^(٦)، وأبن برزان^(٧)، وصاحب نابلس^(٨) والرملة وقسطلان^(٩) ويافا وصاحب القدس^(١) وصاحب جبيل^(٢).

(١) أرمينية: اسم لأقليم واسع في جهة الشمال، وقيل هما أرمينتان الكبرى والصغرى، وحدهما من بردعة إلى باب الأبواب، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم وجبل القبقق وصاحب السرير. ياقوت، معجم البلدان، ١٥٩/١ - ١٦١.

(٢) أربيل: مدينة كبيرة، وقلعة حصينة، على تل عال من الزراب، وهي شبيهة بقلعة حلب إلا أنها أكبر وأوسع، وتقع بين الزابين، بينها وبين الموصل مسيرة يومين. ياقوت، معجم البلدان، ١٣٨/١، وهي مدينة أربيل = هولير الحالية، عاصمة إقليم كردستان العراق. وللزيادة عنها أنظر: محسن محمد حسين، أربيل في العهد الاتابكي، زبير بلال السماعيل، أربيل في أدوارها التاريخية. بغداد، ١٩٧١ م.

(٣) مرج العيون: موقع بسواحل الشام. ياقوت، معجم البلدان، ١٠١/٥.

(٤) الداوية، (Templiers) أطلق هذا الأسم على جمعية فرسان المعبد التي تأسست سنة (١١١٩ م)، لحماية طريق الحجج النصارى بين يافا وبيت المقدس، وتحولت هي وجمعية الاسبتارية فيما بعد إلى هيئة حربية دينية، ولعبتا دوراً كبيراً في تاريخ الإمارات الصليبية بالشام. المقرئزي، السلوك، ج ١ ق ١، هامش (٢)، ص ٦٨، وكان مقدمهم أودوسانت أماند. ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٦٧٨/٢.

(٥) الاسبتارية: تسمية أطلقها المؤرخون المسلمون على جمعية فرسان الهسبتاليين (hospitaliers) التي تأسست سنة ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩ م بعد استيلاء الصليبيين على القدس، وكان مركزها مأوى للحجاج والمرضى من النصارى. المقرئزي، السلوك، ج ١ ق ١، هامش (٣)، ص ٦٨.

(٦) صاحب طبرية، كان أخاً لفيو حاكم جبيل. ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٦/٢. ولم أعثر على اسمه.

(٧) ابن برزان، كان حاكماً للرملة. ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٢/٢، واسمه بلسدون. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٨٣٧/٢، (الملحق الرابع).

(٨) صاحب نابلس، هو باليان الثالث. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٦٧٣/٢، ٨٣٧، (الملحق الرابع).

(٩) قسطلان، في معجم البلدان (القسطل)، موضع بين حمص ودمشق... كما إنها موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة)) ٣٤٧/٤٠.

وكانت وقعة عظيمة، فخلص بعضهم نفسه، ومات بعضهم في الأسر، وخلص الفقيه عيسى، وكان أخذ من الرملة وحسب من القطيعة بستين ألف دينار.

وسار السلطان إلى قصر يعقوب وبيت الأحران عند المخاضة، فنصب عليه المجانيق، وخلع على النقبين^(٢)، وبأشر القتال بنفسه فغلقتوا [٢ - ب] النقب وأحرقوا الأخشاب فسقطت الأبراج، فصاحوا الأمان، وعاجلهم المسلمون ففتحوه عنوة.

وكان عرض سورہ عشرة أذرع، وأرتفاعه أربعون ذراع، فقتل المسلمون منهم ألفاً وخمسمائة، وخلصوا من أسارى المسلمين مائة أسير.

وفيهما نزل قلع أرسلان^(٤) على رعبان^(٥) في عشرين الفاً، فالتقاه تقي الدين عمر في ألف فارس، فهزمه وكان تقي الدين يذل بهذه الواقعة^(٦).

- (١) صاحب القدس، هو الملك بلدوين الرابع (١١٧٤ - ١١٨٥). رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٨٢٨/٢، (الملحق الرابع).
- (٢) صاحب جبيل: هو الأمير هيو أميرياكو وقد أفتده امه كونتيسة طرابلس بخمسة وخمسين ألف دينار صوري. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٦٧٨/٢. وجبيل، بلد في سواحل دمشق ... شرقي بيروت، على ثمانية فراسخ من بيروت. ياقوت، معجم البلدان، ١٠٩/٢.
- (٣) النقبين، كانوا يشكلون جزءاً من الجيش الأيوبي، ويستعان بهم عند حصار المدن والقلاع والحصون، حيث يقومون بنقبها. الاصفهاني، البرق الشامي، ١٠١/٥. الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٩٦، ونقب الجدار يعني خرقه. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٩٤٣/٢.
- (٤) هو قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان، صاحب بلاد قونية، وأقصر. ابن الأثير، الكامل، ٤٥٨/١١. وتوفي سنة ٥٨٨ هـ بعد أن عاش سلطاناً أكثر من ثلاثين سنة. ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٩٥/٤.
- (٥) رعبان، من مدن الثغور التي تقع على الفرات بين حلب وسميساط. ياقوت، معجم البلدان، ٥١/٣.
- (٦) عن هذه الواقعة أنظر، الاصفهاني، البرق الشامي، ١٧٣/٣ - ١٧٤، ابن الأثير، الكامل، ٤٥٨/١١. أبو شامة، الروضتين، ٢١/٣ - ٢٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٣/١٢، أبو الفداء، المختصر، ١٤٢/٢.

وفيها تسلم الملك الأمجد فرخشاہ^(١) بعلبك.

وتوفي المستضئ، وتولى الأمام الناصر لدين الله أحمد وكنيته أبو العباس ولد سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، وكان بيعته في ذي القعدة، وله ثلاث وعشرون سنة. وبعث شيخ الشيوخ^(٢) وصندل^(٣) إلى صلاح الدين بالبيعة. وتوفي الأمام المستضئ بالله وأسمه الحسن بن يوسف المستنجد، وكان جواداً عادلاً شريفاً النفس، حسن السيرة، حليماً مشفقاً على الرعية، أسقط المكوس^(٤) والضرائب، وكان متواضعاً، توفي ثاني ذي القعدة، وعمره ستة وثلاثين سنة، وكانت خلافته تسع سنين ودفن في داره، ثم نقل بعد ذلك إلى تربته المجاورة لجامع فخر الدولة.

(١) هو بهرام شاه بن فرخشاہ بن شاهنشاہ بن أيوب، الملك الأمجد، مجد الدين أبو المظفر، حاكم بعلبك، قتل سنة (٦٢٨ هـ)، وكان أشعر بني أيوب وشعره مشهور وله ديوان، أنظر ترجمته في: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٦٦/٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٨٤/٤ - ٢٨٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤١/١٣ - ١٤٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٧٥/٦ - ٢٧٦، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٤٠، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٣٣ - ٣٣٧، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٢٦/٥ - ١٢٧.

(٢) هو شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسماعيل. أنظر: الاصفهاني، البرق الشامي، ٣٦/٥، ابن الاثير، الكامل، ٤٨٦/١١، ابو شامة، الروضتين، ١٣٥/٣ - ١٣٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٩٧/٦ - ٩٨.

(٣) هو صندل الخادم، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٥٥/٨، المقتفوي نسبة إلى الخليفة المقتفي، وكان استاذ دار الخلافة. ابن واصل، مفرج الكروب، ٨٧/٢ - ٨٨.

(٤) المكوس، مبلغ زهيد عبارة عن دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق. المقرئ، المواعظ والاعتبار، ١٩٧/٣.

٥٧٦ هـ

سنة ست وسبعين وخمسمائة

فيها توفي سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي^(١)، وكان مرضه السل، وكان عمره ثلاثين سنة، وولايته عشر سنين، ولما أشد به المرض أراد أن يعيد بالملك إلى ابنه معز الدين سنجر شاه^(٢)، فخاف من تمكن السلطان صلاح الدين، وقال: [٤ - ب] ولدى صغير^(٣) ويعجز أن يقاوم صلاح الدين وأخي عز الدين عنده من الرأي والشهامة، ما يقوم بهذا الأمر ويكفيه، فأمتنع عز الدين من ذلك، فأشار عليه مجاهد الدين هيمار^(٤) والأمرء ففعل، وحلف الأمراء لعز الدين، وتوفي سيف الدين، وجلس عز الدين في العزاء، وكانت الرعية تخافه قبل أن يملك، لأقدامه وجراته، فلما ولي تغيرت أخلاقه وصار مجبا للرعية، روؤف بهم.

(١) أنظر ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٤٦٢/١١ - ٤٦٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٦٣/٨ - ٣٦٥، ابو شامة، الروضتين، ٤٠/٣ - ٤١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٤٢/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٦/١٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٨٨/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٥٧/٤.

(٢) كان سبي السيرة قتل سنة (٥٠٦ هـ) على يد ولده غازي بعد أن حكم جزيرة ابن عمر (بوتان). للزيادة عنه أنظر: سلام حسن خوشناو، جزيرة ابن عمر (بوتان) في القرنين ٦ - ٧ هـ/١٢ - ١٣ م، ص ٦٣ - ٨٥، الاصفهاني، البرق الشامي، ١٦٦/٥ - ١٦٧، ابن الاثير، الكامل، ٢٧٩/١٢ - ٢٨٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ١٠٢/٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٧/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٥/٥.

(٣) كان عمره حينئذ اثني عشر سنة. ابن الاثير، الكامل، ٤٦٣/١١.

(٤) كان هو الحاكم في الموصل في دولة نور الدين أرسلان شاه زنكي. أنظر: ابن الاثير، الكامل، ١٥٣/١٢ - ١٥٤، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٠ - ٢١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٧٦/٢ - ٢٧٧، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣١٧/٤ - ٣١٨.

وفيها استمال السلطان صلاح الدين نحو بلاد بن لاوون^(١) لنصرة قليج أرسلان، وأخذ عسكر حلب في خدمته لأنه كان قد اشترط في الصلح ذلك^(٢)، وأجتمعوا على النهر الأزرق^(٣) بين باهسني^(٤) وحصن منصور^(٥)، وعبر منه إلى النهر الأسود^(٦)، فأخذ منهم حصناً واخريه، وبذلوا له اسارى وعاد إلى نهر سنجه الذي يرمي إلى الفرات، وعاد إلى دمشق.

(١) ابن لاوون = ابن ليون ملك الأرمن: كان قد استمال جماعة من التركمان حتى يرعوا في مراعي بلاده بأمان ثم غدر بهم. ابن الاثير، الكامل، ٤٦٦/١١، ابو شامة، الروضتين، ٣٧/٣، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٩٨.

(٢) كان ذلك الصلح سنة ٥٧٢هـ. أنظر: ابن الاثير، الكامل، ٤٣١/١١، ابو شامة، الروضتين، ٢٧٧/٢ - ٢٧٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣١٥/١٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧٦/٦، المقرئ، السلوك، ج ١ ق ١، ص ٦٢، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٩٢.

(٣) النهر الأزرق: نهر بالفرس بين بهسنا وحصن منصور في طرف بلاد الروم من جهة حلب، ياقوت، معجم البلدان، ٣١٧/٥.

(٤) باهسني: وما أنها تقع بين كيسون ومرعش، ابن الاثير، الكامل، ٣٩١/١١، فإنها من مدن الثغور بين الشام وبلاد الروم. ياقوت، معجم البلدان، ١٠٧/٥.

(٥) حصن منصور: تقع غربي الفرات قرب ميساط، وتبعد عن زبطرة مرحلة. ياقوت، معجم البلدان، ٢٦٥/٢.

(٦) نهر قريب من النهر الأزرق، في طرف بلاد المصيصة وطرسوس. ياقوت، معجم البلدان، ٣١٧/٥.

٥٧٧ هـ

سنة سبع وسبعين وخمسمائة

فيها توفي الملك الصالح اسماعيل^(١) بن نور الدين بقلعة حلب، وحلفوا الأمراء لعز الدين مسعود صاحب الموصل، وكان لوفاته وقع عظيم في قلوب الناس، ولم يبلغ من العمر عشرين سنة، وسارعوا إلى إعلام عز الدين مسعود بذلك، فسارع في سيره ووصل حلب، فكان أول من وصل من أمرائه إلى حلب مظفر الدين بن زين الدين^(٢)، وصاحب سروج^(٣)، فحلفوا جميع الأمراء، ثم دخل عز الدين حلب، وصعد القلعة، واستولى على خزائنها، وذخائرها، وتزوج أم الملك الصالح.

وأقام مدة وعلم أنه لا يمكنه [٤ - أ] حفظ الشام مع الموصل، لحاجته إلى ملازمته الشام لأجل السلطان، وألح عليه الأمراء في طلب الزيادات، ودلو عليه، فضاقت عينه، وكان صاحب أمره مجاهد الدين شيماز، وكان ضيق الخلق لم يعتمد مقاساة أمراء الشام، فرحل من قلعة حلب إلى الرقة^(٤)، وخلف مظفر الدين بن زين الدين بحلب، ولقيه أخوه عماد

(١) توفي وعمره نحو تسع عشرة سنة. أنظر ترجمته لدى: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٥٥، ابن الأثير، الكامل، ٤٧٢/١١ - ٤٧٣، أبو شامة، الروضتين، ٥١/٣ - ٥٩، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٤٨/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٩/١٢ - ٣٣٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٥٨/٤.

(٢) هو أبو سعيد بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد، الملقب بالملك المعظم مظفر الدين. أنظر ترجمته لدى: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٩٠/٢ - ٢٩٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٧/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٣٨/٥ - ١٤٠.

(٣) سروج: وهي بلدة قريبة من حران. ياقوت، معجم البلدان، ٢١٦/٣.

(٤) الرقة: مدينة مشهورة على الضفة الشرقية لنهر الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام. ياقوت، معجم البلدان، ٥٩/٣.

الدين^(١) زكي بالرقّة، واستقرّ بينهما مقايضة حلب بسنجار^(٢)، وحلف عز الدين لأخيه عماد الدين على ذلك، وسير عماد الدين من تسلم حلب، وسير عز الدين من تسلم سنجان.

وفيها عاد صلاح الدين من دمشق إلى القاهرة، وأستتاب بدمشق أبين أخيه عز الدين فرخشاه.

وخرج أبرنس الكرك^(٣) يريد تيماء^(٤) لينتهب الفرصة في الحجاز، ومعه الأدلاء من العرب، فخرج فرخشاه^(٥) بعساكر الشام فبلغ قريبا من تيماء، وبلغ الجرنس ذلك، فعاد إلى الكرك^(٦).

(١) هو أبو الفتح وأبو الجود عماد الدين زكي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زكي حاكم سنجان. أنظر ترجمته في، ابن الاثير، الكامل، ١٣٢/١٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٤٨/١ - ٣٤٩، وللزيادة عنه أنظر، موسى مصطفى الهسنياني سنجان دراسة في تاريخها السياسي والحضاري من (٥٢١ - ٥٦٠ هـ / ١١٢٧ - ١٢٦١)، دار سبيري للطباعة والنشر، دهبوك، ٢٠٠٥ م، ص ٥٤ - ٦٠.

(٢) سنجان: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. معجم البلدان، ٢٦٢/٣، وللزيادة عنها أنظر: سنجان دراسة في تاريخها السياسي والحضاري. الهسنياني، حسن شمساني، مدينة سنجان من الفتح العربي الاسلامي حتى الفتح العثماني، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٣) الكرك: قلعة حصينة جداً في طرف الشام، بين أيلة على البحر الأحمر والقدس، على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الرض. ياقوت، معجم البلدان، ٥٣/٤.

(٤) تيماء: بلدة صغيرة في أطراف الشام، بينها وبين وادي القرى على طريق حاج الشام. ياقوت، معجم البلدان، ٦٦/٢.

(٥) هو عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب أخي السلطان صلاح الدين، وكان ينوب عنه بدمشق، وموضع ثقته من أهل بيته. أنظر ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٤٩١/١١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٧٢/٨، ابو شامة، الروضتين، ٨٣/٣ - ٨٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٣٢/١٢ - ٣٣٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٦٢/٤ - ٢٦٣.

(٦) عن تفاصيلها أنظر، ابن الاثير، الكامل، ٤٧٠/١١، ويبدوا أنه هنا ينقل من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٦٦/٨، أو أن الأثنين يفتلان من مصدر واحد.

وامر صلاح الدين اخاه سيف الاسلام طفتكين^(١) بالمسير الى اليمن، فانقام يتجهز.
وفيهما توجه صلاح الدين الى الاسكندرية، فخيم بظاهرها عند عمود الصواري^(٢).

- (١) لدى: ابن الاثير، الكامل، ٤٨٠/١١، طغديكين، هو سيف الاسلام أبو الفوارس طفتكين بن أيوب المعروف بالملك العزيز ظهير الدين. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٣٦/١ - ٤٣٧. عن هذه الحملة وأسبابها أنظر: ابن الاثير، الكامل، ٤٨٠/١١ - ٤٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٦٨/٨، ابو شامة، الروضتين، ٦٣/٣ - ٦٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٣٠/١٢، المقريزي، السلوك، ج ١ ق ١، ص ٧٨، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ١٩٨ - ١٩٩.
- (٢) عمود الصواري أو السواري: توجد في الاسكندرية التي تقع على شاطئ بحر الشام (المتوسط)، وطوله نحو ثلاثة وأربعين ذراعاً. ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ١١٣.

٥٧٨ هـ

سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

فيها سار سيف الاسلام طفتكين إلى اليمن، وبها حطان^(١)، فأمره أن يسير إلى الشام، فجمع أمواله وذخائره، ونزل بظاهر زبيد^(٢)، فقبض عليه سيف الاسلام، وقد جمع ماكان معه، وقيمته ألف ألف دينار، ثم قتله بعد ذلك، وكان عثمان [٥ - ١] ابن الزنجيلي^(٣) بعدن^(٤)، فلما بلغه ذلك، سار يطلب الشام.

وفي صفر خرج صلاح الدين من مصر، ونزل البركة^(٥)، وخرج اعيان الدولة لوداعه، وسار السلطان على ايله^(٦) ووادي موسى^(٧).

وكان فرخشاه بدمشق، هبغله أن الفرنج قد اجتمعوا عند الكرك لقصد السلطان،

(١) هر حطان بن كامل بن منقذ الكناني استناب عن الأيوبيين في حكم اليمن غير أنه أراد أن يتغلب عليها. ابن الاثير، الكامل، ٤٧١/١١، ٤٨٠ - ٤٨١.

(٢) زبيد: قصة التهائم وتبعد عن البحر أقل من مسيرة يوم. ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٨٩.

(٣) هو أبو عمرو عثمان بن علي، عز الدين الزنجيلي، كان أميراً كبيراً استنابه توران شاه بن أيوب على عدن سنة (٥٧١ هـ)، وتوفي بدمشق بعد سنة ٥٩٠ هـ. ابو شامة، الروضتين، ٦٣/٣، هامش رقم (٢).

(٤) عدن: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند (العربي) من جهة اليمن. ياقوت، معجم البلدان، ٤٧/٤.

(٥) البركة: موضع بظاهر القاهرة. المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٧٧.

(٦) ايله: مدينة على ساحل بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام. ياقوت، معجم البلدان، ٢٩٢/١.

(٧) وادي موسى، وادي في جنوب القدس بينها وبين أرض الحجاز. ياقوت، معجم البلدان، ٣٤٦/٥.

فخرج من دمشق، فنزل طبرية^(١) وعكا^(٢) ودبورية^(٣) فقصده، فالتقاهم فكسرهم وقتل منهم وأسرى، وفتح حصناً مشرفاً على السواد^(٤)، يقال له حصن جلدك^(٥)، وساق إلى بصرى^(٦)، فالتقى السلطان عندها ودخلا دمشق.

وكان مظفر الدين بن زين الدين قد كاتب السلطان وأنتمى إليه، وخرج السلطان من دمشق، فنزل حماة، وجاءه مظفر الدين بن زين الدين، فأجتمع به وسهل عليه الفرات، وأخذ الجزيرة، وأنه لا يتعرض لحلب، فإنها في يده، فاستصوب رأيه، وعبر الفرات ونزل البيرة^(٧)، وكاتب ملوك الشرق^(٨) بالوفود إليه، فجاءه قطب الدين إيلغازي^(٩) صاحب

(١) طبرية: بلدة مطلة على بحيرة طبرية، في طرف جبل، وجبل الطور يطل عليها، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وكذلك بينها وبين القدس، وبينها وبين عكا يومان. ياقوت، معجم البلدان، ١٧/٤.

(٢) عكا: اسم بلد على ساحل بحر الشام (المتوسط) من عمل الأردن. ياقوت، معجم البلدان، ١٤٣/٤.

(٣) دبورية: بليد قرب طبرية من أعمال الأردن. ياقوت، معجم البلدان، ٤٣٧/٢.

(٤) السواد: إحدى نواحي البلقاء، سميت بذلك لسواد حجارته. ياقوت، معجم البلدان، ٢٧٢/٣.

(٥) حصن جلدك: حصن من أعمال دمشق، ويعرف بالحيس أيضاً. ابن الاثير، الكامل، ٥٤٤/١٠.

(٦) بصرى: موضع بالشام من أعمال دمشق، وكانت قسبة كورة حران، ياقوت، معجم البلدان، ٤٤١/١.

(٧) البيرة: بلد قرب سيمساط وتقع بين حلب والنفور الرومية، وقلعة حصينة. ياقوت، معجم البلدان، ٥٢٦/١.

(٨) كانت البلاد الشرقية تشمل آمد وحصن كيفا وحران والرها والرقبة ورأس عين وسروج وما أنظم إلى ذلك. ابن الفرات، تاريخ الخلفاء والملوك (مخطوط) عن مصورة النجم العلمي العراقي بحوزة المحقق، ٢، الرقم (١٧٥٧)، ص ٢٥٩.

(٩) هو قطب الدين إيلغازي بن ألي بن قمرتاش بن إيلغازي بن ارتق. ابن الاثير، الكامل، ٤٧٥/١١.

ماردين^(١) فالتقاء وسر به، ثم وصل بعد ذلك محمد بن قرا أرسلان بن ارتق^(٢) صاحب حصن كيفا^(٣).

ثم سار السلطان من البيرة بعد أن أخذها وأقطعها لشهاب الدين محمد الارتقي^(٤)، ونزل على الرها^(٥) وبها فخر الدين مسعود بن الزعفراني فسلمها إليه بالأمان، فأعطاهما لظفر الدين بن زين الدين مضافة إلى ما كان بيده من حران^(٦) وأعمالها، ثم سار إلى الرقة، وبها قطب الدين ينال فأمنه وأستولى على [٥ - أ] الخابور^(٧) ونصيبين^(٨) وولاهها أبا الهيجاء السمين^(٩)، وولى الخابور جمال الدين خستين الأزكشي،

(١) ماردين: قلعة مشهورة على جبل الجزيرة، تشرف على دنيسر ودارا ونصيبين. ياقوت، معجم البلدان، ٣٩/٥.

(٢) هو نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود الارتقي (٥٦٢ - ٥٨١ هـ / ١١٦٦ - ١١٨٥ م). البرق الشامي، ٢٦/٥، وللزيادة عنه أنظر، سيان حسن علي بكلي، حصن كيفا دراسة في تاريخها السياسي والحضاري (١٢٠٠ - ١٣٠٠ م)، دار سيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٥ م، ص ٧٢ - ٧٣.

(٣) حصن كيفا: بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر، ياقوت، معجم البلدان، ٢٦٥/٢. للمزيد عنها أنظر، حصن كيفا في الهامش اعلاه.

(٤) هو شهاب الدين محمد بن الياس الارتقي وكان قد أنظم إلى السلطان صلاح. الاصفهاني، البرق الشامي، ٢٤/٥ - ٢٦، بينما ورد لدى: ابن الاثير، الكامل، ٤٧٤/١١ - ٤٧٥، إن شهاب الدين كان قد توفي وتولى قلعة البيرة بعده ولده.

(٥) الرها: من مدن الجزيرة التي تقع بين الموصل والشام، وبينهما ستة فراسخ. ياقوت، معجم البلدان، ١٠٦/٣.

(٦) حران: مدينة مشهورة في إقليم الجزيرة، على طريق الموصل والشام والروم، بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان. ياقوت، معجم البلدان، ٢٣٥/٢.

(٧) الخابور: ولاية واسعة وبلدان كثيرة في إقليم الجزيرة، أخذت اسمها من نهر الخابور الذي يقع بين رأس عين والفرات. ياقوت، معجم البلدان، ٣٣٤/٢.

(٨) نصيبين: من مدن الجزيرة المعروفة وتقع على طريق القوافل من الموصل إلى الشام، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، بينها وبين الموصل ستة أيام. ياقوت، معجم البلدان، ٢٨٨/٥.

(٩) هو أبو الهيجاء السمين الكردي الملقب بحسام الدين توفي سنة (٥٩٤ هـ). ابو شامة، اللذيل على الروضتين، ٢١/٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣١٧/٤، وكان من اكابر امراء عسكر السلطان وهو من الاكراد الحكيمة باربل. ابن الاثير، الكامل، ٣٥/١٢.

وسار إلى الموصل وتنازلها^(١)، نزل السلطان على باب العمادي، وتاج الملوك^(٢) على باب الجسر، وتقي الدين عمر من باب الشرق، وتولى مجاهد الدين قايماز حفظ البلد، فأحسن القيام في حفظه، وبعث عز الدين مسعود^(٣) إلى الخليفة^(٤) يطلب الشفاعة، فبعث الخليفة شيخ الشيوخ عبد الرحيم يأمر السلطان بالرحيل عن الموصل، على أن عزالدين يدخل في الموافقة ويعينه على قتال الفرنج.

وأقام السلطان على الموصل أربعين يوماً^(٥)، فرآه بلداً عظيماً وفيه العساكر، وأنه لا يحصل منه بالحصار غرض حتى يؤخذ ما هو له من القلاع فرحل ومعه رسول الخليفة، فنزل على سنجار^(٦)، وكان بسنجار شرف الدين بن قطب الدين^(٧)، فضربها بالمجانيق،

(١) وهذا هو حصار الموصل الأول من قبل السلطان صلاح الدين وعن تفاصيل ذلك الحصار أنظر، البرق الشامي، ٣٣/٥ - ٤٠، ابن الاثير، الكامل، ٤٨٤/١١ - ٤٨٧.

(٢) هو تاج الملوك أبو سعيد بوري بن أيوب وكان أصغر أخوة السلطان صلاح الدين توفي سنة (٥٧٩ هـ) على حلب من جراحة أصابته عليها أثناء حصارها من قبل أخيه السلطان. عنه أنظر: الاصفهاني، البرق الشامي، ١٣٠/٥، ١١٤، ابن الاثير، الكامل، ٤٩٨/١١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٧٦/٨، أبو شامة، الروضتين، ١٠٤/٣ - ١٠٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٥٢/١ - ١٥٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٣٤/١٢ - ٣٣٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٦٥/٤، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٥٦ - ٦٠.

(٣) هو أبو الفتح وأبو المظفر، مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر أتاك حاكم الموصل، الملقب عز الدين. أنظر ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ١٠١/١٢ - ١٠٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٢٣/٨ - ٤٢٤، أبو شامة، الروضتين، ٢٤٢/٤ - ٢٤٤، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٠٣/٣ - ١٠٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٨/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٩٧/٤ - ٢٩٨.

(٤) هو الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله (٥٥٣ - ٦٢٢ هـ). أنظر ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٤٣٨/١٢ - ٤٤٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٣٥/٨، أبو شامة، الذيل على الروضتين، ٢١٨/٥ - ٢١٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٤/١٣ - ١١٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٩٧/٥ - ٩٩.

(٥) ينقرد الأنصاري هنا بذكر مدة الحصار.

(٦) لم ينزل السلطان مباشرة على سنجار، وإنما سير أمامه ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين الذي أوقع بنجده الموصل التي أرسلت إلى سنجار لدعم حاميتها ومنع السلطان النيل منها. البرق الشامي، ٤٠/٥ - ٤١، الكامل، ٤٨٧/١١، مضمار الحقائق، ص ١١٠، وللزيادة والتفاصيل أنظر: الهسنياني، سنجار من ٥٢١-٦٦٠ هـ/ دراسة في تاريخها السياسي والحضاري، ص ٦٠ - ٦٨.

(٧) هو شرف الدين أمير اميران هندوا أخو عز الدين. ابن الاثير، الكامل، ٤٨٧/١١، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٣/٢، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٢٦٠/٥.

فانهض من السور ثلثة، فخاف شرف الدين فطلب الأمان^(١)، فأمنته، فخرج بأهله وأمواله إلى الموصل، وأعطى سنجار تقي الدين ابن أخيه، ثم رحل إلى حران، وعادت العساكر الديار بكريّة إلى مراكزها.

وفيها كانت وقعة الحاجب لؤلؤ^(٢) مع الفرنج، خرج أبرنيس الكرك^(٣) إلى أيله، فأقام بها ومعه الأخشاب، فعمل مراكب وقصده مكة والمدينة^(٤)، والغارات في البحر، فلما تم عملها ركب فيها ووصل إلى عيذاب^(٥) في بحر القلزم^(٦) فأخذ مراكب التجار، ونهب وقتل وأسّر وسار يريد جدة^(٧)، وبلغ الخبر الملك العادل، فأمر حسام الدين الحاجب لؤلؤ [٦ - ١] فركب في بحر القلزم وسار خلفهم وساعدته الريح، فأدركهم وقد اشرفوا على مدينة النبي (صلى الله عليه وسلم)، فهرب بعضهم في البر وأسّر الباقين، وأخذ مائة وسبعين أسيراً، وخلص أموال التجار وردّها عليهم، واستولى على مراكبهم وعاد إلى القاهرة، وكتبوا إلى السلطان بذلك، فقال: بضرب رقاب الأسرى بعضهم بالقاهرة، وبعضهم بمكة، وبعضهم بالمدينة ففعلوا.

وكتب القاضي الفاضل إلى الخليفة كتاباً فيه: وكان الفرنج قد ركبوا من الأزمّنكرأ، وأفترضوا من البحر بكراً، وعمروا مركباً شحنوها بالمقاتلة والأزواد، وضربوا بها سواحل

(١) لا يدخل الأنصاري في تفاصيل الحصار وكيفية الاستيلاء عليها.

(٢) هو الأمير حسام الدين لؤلؤ الحاجب، كان من كبار رجال الدولة الصلاحية توفي سنة ٥٩٨ هـ. أنظر ترجمته لدى: ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/٢٣٦ - ٢٣٧.

(٣) هو الأمير أرناط.

(٤) للزيادة عن هذه الحملة أنظر: الاصفهاني، البرق الشامي، ٥/٦٩ - ٧١، ابن الاثير، الكامل، ١١/٤٩٠ - ٤٩١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٣٦٩ - ٣٧٠، ابو شامة، الروضتين، ٣/٨٨ - ٩٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/١٢٧ - ١٣٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٣٣٠، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٧٨ - ٧٩، ابو القدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/١٤٧، الخنبلي، شفاء القلوب، ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٥) عيذاب: بلدة صغيرة على ضفة البحر الأحمر، وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. ياقوت، معجم البلدان، ٤/١٧١.

(٦) بحر القلزم: وهو البحر الأحمر.

(٧) جدة: بلد على ساحل بحر اليمن، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاثة ليالٍ. معجم البلدان، ٢/١١٤.

تهامة^(١) وأوغلوا في البلاد، وما ظن المسلمون إلا أن الساعة قد تشرط مطوي أشرطها، وطوي منشور بساطها، فثار غضب الله لفناء بيته المحرم، ومقام أنبيائه المعظم، وضريح نبيه المفخم (صلى الله عليه وسلم)، وزخر من فضل الله أنه كآية البيت، إذ قصد أصحاب القيل ووكلوا الأمور إلى الله، فكان حسبهم ونعم الوكيل. فلم يبق الله من العدو مخبراً ولا أترأ، ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾^(٢).

وهيها قصد ملوك الشرق السلطان وهو على حران، جاء شاه أرمن ولقيه ظهير الدين وأسمه سميكان^(٣) صاحب خلط^(٤)، وكان شاه أرمن قد بعث إلى السلطان يشفع في الموصلة^(٥)، فلم يقبل منه فجاء شاه أرمن فنزل على حرزم^(٦)، وخرج إليه عز الدين من الموصل بعساكره وعسكر حلب، وكان عسكر مصر قد وصل [٦ - ب] منه إلى السلطان خمسة الآف، فساق إلى رأس العين^(٧) فنزلها فتفرقوا ورجع كل واحد إلى بلاده.

وسار السلطان بها إلى آمد^(٨) وبها محمود بن أيكلندي وقد حكم عليه رئيسها محمود بن نيسان، وكان السلطان قد وعد بها نور الدين محمد بن قرا أرسلان، فنصب عليها المجانيق، ولم يبق إلا فتحها، فخرج إليه العقائل^(٩) من نساء أبن أيكلندي وأبن نيسان، يسألونه المهلة أياماً فأملهم.

(١) تهامة: أحد أقسام شبه جزيرة العرب، وتمتد من اليمن إلى أطراف الشام. ياقوت، معجم البلدان، ١٣٧/٢.

(٢) الزمر: ٧١.

(٣) هو ناصر الدين محمد بن ابراهيم بن سميكان القطبي توفي سنة ٥٨١ هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٠٤/٣.

(٤) خلط: مدينة مشهورة، وهي قصبة أرمنية الوسطى. ياقوت، معجم البلدان، ٣٨٠/٢ - ٣٨١.

(٥) الموصلة: تسمية شعبية تطلق على أهل الموصل. أنظر أيضاً: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٩٥/٣.

(٦) حرزم: بلدة صغيرة من أعمال الجزيرة، بين ماردين ودينسر. ياقوت، معجم البلدان، ٢٤٠/٢.

(٧) رأس العين: من مدن الجزيرة المشهورة، وتقع بين حران ونصيبين ودينسر، بينها وبين نصيبين خمسة وعشرون فرسخاً، وقريب من ذلك بينها وبين حران، وهي إلى ديسر أقرب، بينهما نحو عشرة فراسخ. ياقوت، معجم البلدان، ١٤/٣، وتعرف عند الكورد بـ(كاني عمره بي).

(٨) آمد: مدينة تقع غربي دجلة من إقليم الجزيرة، وضمن ديار بكر. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٨٧.

(٩) العقائل من النساء، مفردها العقيلة، وهي الكريمة المخدرة النفيسة. أبو شامة، الروضتين، ١٣٩/٣، هامش (١).

وفيهما قبض الجند الذين كانوا بقلعة حارم^(١) على سرخك واليهما^(٢) ونادوا بشعار السلطان، وبعثوا إليه فأرسل إليهم من تسلمها.

[وفاة] احمد بن علي بن احمد الرفاعي^(٣)

شيخ البطانحين^(٤)، كان يسكن أم عبيدة^(٥)، وكان له كرامات ومقامات، وكان يجتمع عنده كل سنة في المواسم خلق عظيم، حكى بعض أشياخنا، قال: حضرت عنده ليلة نصف شعبان وعنده نحو من مائة ألف إنسان^(٦)، قال فقلت له: هذا جمع عظيم، فقال: خشرت محشر^(٧) هأمان أن خطر ببالي أنني مقدم هذا الجمع، وكان متواضعا سليم الصدر مجردا من الدنيا، وما أدخر شيئا قط، وسبب وفاته أن بعض الزهاد أنشده:

إذا جنّ ليلى هام قلبي بذكركم	أنوح كما نوح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى	ولحتي جواز بالأسى تتلفق
فلا أنا مقتول في القتل راحة	ولا أنا ممنون عليه فأعتق

فبكى الشيخ ومرض ومات ثاني عشر جمادي الأولى يوم الخميس.

- (١) حارم: حصن وكورة تجاه أنطاكية غير أنها من أعمال حلب. ياقوت، معجم البلدان، ٢/٢٠٥.
- (٢) لم يرضى بأمان السلطان وأحسانه، وراسل الصليبيين ليحتمي بهم، وعندما سمع الأجناد بالأمر خافوا أن يسلمها إليهم، فقبضوا عليه وحسوه. ابن الاثير، الكامل، ١١/٤٩٨ - ٤٩٩.
- (٣) هو أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بأبن الرفاعي. أنظر ترجمته لدى، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/٩٤ - ٩٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٣٣٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/٢٥٩ - ٢٦١.
- (٤) البطانحين وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. ياقوت، معجم البلدان، ١/٤٥٠.
- (٥) أم عبيدة: قرية في البطانح. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/٩٥.
- (٦) في هذا العدد مبالغة واضحة.
- (٧) لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٣٧٠ ((خسرت محسر...))

[وفاة] فرخ شاه بن شاهان شاه بن أيوب [٧-١]

ولقبه عز الدين، وكان من الأماثل الأفاضل كثير الصدقات متواضعاً، سمحاً جواداً مقداماً متفضلاً متنبلاً من المظالم، ذكره العماد الكاتب في الخريدة^(١) وقال: كان يفضل بالفضائل على أهله، ويعني السؤال عن الأبتدال بكرم بذله ومن أخص خواصه وذوي استخلاصه، الصدر تاج الدين الكندي^(٢)، علامة زمانه، وحسان أحسانه، ووزير دسته، ومشير أنسه، وشعاع شمس، وحبيب نفسه، وكان فرخشاه شاعراً فصيحاً، قال العماد أنشدني لنفسه بين يدي الملك الناصر صلاح الدين:

إذا ثبتت أن تعطي الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل أحسن موقعه
فلا تضع المعروف مع غير أهله فظلمك وضع الشيء في غير موضعه

وله أشعار كثيرة مدونة، وكان وفاته بدمشق في جمادي الأولى، ودفن بقبته على الميدان في الشرف الشمالي، وأبقى السلطان بعلبك على ولده الملك الأمجد بهرام شاه، وبعث شمس الدين ابن المقدم نائباً عنه.

[وفاة] قطب الدين النيسابوري^(٣)

وفيها توفي قطب الدين النيسابوري الفقيه الشافعي، ولد سنة خمس وخمسمائة بنيسابور^(٤)، وتوفي يوم عيد الفطر، ودفن بمقابر الصوفية وكان حسن العشرة كريم الأخلاق.

(١) وهي مؤلف ضخمة من عدة مجلدات تخص الشعراء بعنوان خريدة القصر وجريدة العصر. ومؤلفها هو عماد الدين محمد الكاتب الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م).

(٢) هو أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي الملقب تاج الدين. أنظر ترجمته لدى: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/٣٥٢ - ٣٥٤.

(٣) هو أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود بن طاهر النيسابوري الملقب قطب الدين. أنظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٣٧٢ - ٣٧٣، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٩٩ - ١٠٠، طبقات السبكي، ٧/٢٩٧ - ٢٩٨.

(٤) نيسابور: مدينة مشهورة، منها إلى الري مائة وستون فرسخاً، وإلى سرخس أربعون فرسخاً. ياقوت، معجم البلدان، ٥/٣٣١.

﴿ ٥٧٩ هـ ﴾

سنة تسع وسبعين وخمس مائة

في محرم تسلم السلطان آمد، وجلس في دار الامارة بها، ثم سلمها واعمالها الى نور الدين محمد بن قرا ارسلان.

وكتب الفاضل الى الخليفة كتاباً في هذا الفتح: والخادم يتوقع في [٧-ب] جواب هذا ان يمد بجيش هو الكلام ورماح هي الاقلام، وليس ذلك لوسائل تقدمت من دولة اقامها بعد ميل عروشها، ولا لدعوة قام فيها بما تصاغرته دونه همم جيوشها، بل لان لهذه الجزيرة منها ينبعث الحرية الكثيرة، وهي دار الفرقة ومدار المشقة، ولو انتظمت في السلك لانتظم جميع عسكر الاسلام في قتال اهل الشرك، وكان الكفر منقلب على عقبه يلقي بيديه ويعرى من مصر براً وجهراً، ومن الجزيرة مدأً وجزراً.

وفي المحرم عاد السلطان فقطع القران قاصداً حلب.

ذكر فتح حلب

اجتاز في طريقه بعين تاب^(١)، وبها ناصح الدين محمد بن خمارتكين، فنزل اليه، وقام بالضيافة، فابقاها عليه.

ونازل حلباً في سادس عشر من محرم، ونزل الميدان الاخضر، وباشر القتال بكررة وعشية، وزحف اخوه تاج الملوك بوري، فجاءه سهم في عينه، فحمل مريضاً فمات في ثالث عشرين صفر، ثم علم عماد الدين زنكي^(٢) انه لا طاقة لديه، فقال لحسام الدين طمان اخرج الى صلاح الدين، واساله في الصلح، فخرج سراً، ولم يعلم به احد، فقرر الصلح، وان يرد عليه سنجار واعمالها والخابور ونصيبين، وعلم الناس فخرج الامراء الى صلاح الدين

(١) عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية، وكانت تعرف بدلوك ومن اعمال حلب. ياقوت، معجم البلدان، ١٧٦/٤.

(٢) عن تفاصيل ذلك انظر: الحسناني، سنجار. ص ص ٦٦ - ٦٨.

فخلع عليهم، وجعل اهل حلب تحت القلعة اجانة^(١) وثياباً وصابوناً، وصاحوا على عماد الدين يافاعل ياصانع انزل واغسل الثياب مثل المخانيث، فما يصلح لك غير هذا، وعملوا فيه الاشعار [٨-١].

فلما كان اليوم الثالث والعشرين من صفر، توفي تاج الملوك اخو صلاح الدين، فحزن عليه حزناً عظيماً، وجلس للعزاء، ونزل اليه عماد الدين، فالتقاه السلطان واكرمه وخدمه وقدم له الخيول العتاق والتحف الجليلة، وعاد عماد الدين الى القلعة، واقام السلطان كئيباً حزيناً على اخيه، وكان يبكي ويقول: ما وقت حلب بشعرة من اخي، وسار عماد الدين الى سنجار، واقام السلطان بالمخيم غير مكترث بحلب، ثم صعد القلعة، فانشده القاضي محيي الدين بن زكي الدين القرشي^(٢) قاضي دمشق من ابيات:

وفتحكم القلعة الشهباً في صقر مبشر بفتح القدس في رجب^(٣)

- فعجب الناس من رمية من غير رام فكان كما قال، وولاه السلطان قاضي القضاة^(٤) بحلب، وجمع له بين دمشق وحلب.

(١) الاجانة: اناء تغسل فيه الثياب. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٧.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن يحيى ابو المعالي، محي الدين بن زكي الدين القرشي، انظر ترجمته لدى: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٤١/٢ - ٣٤٤، الوافي بالوفيات، ١٦٩/٤ - ١٧١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٣٧/٤ - ٢٣٨.

(٣) ورد البيت بنفس المعنى ولكن بصيغ مختلفة انظر: الاصفهاني، البرق الشامي، ١١٩/٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٧٦/٨، ابن الاثير، الكامل، ٤٩٧/١١، ابو شامة، الروضتين، ١١١/٣، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٤١/٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٤٥/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٣٥/١٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٩٥/٦، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ١٠٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٣٧/٤.

(٤) ظهر هذا المنصب في مصر في العهد الفاطمي ((وموضوعها التحدث في الاحكام الشرعية وتنفيذ قضاياها، والقيام بالأوامر الشرعية، والفصل بين الخصوم، ونصب النواب للتحدث فيما عسّر عليه مباشرته بنفسه، وهي أرفع الوظائف الدينية وأعلاها قدراً وأجلها رتبة)) القلقشندي، صبح الاعشى، ٣٥/٤ - ٣٦ العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ص ١٠٦ - ١٠٧، انظر ايضاً: علي عبدالرزاق الانباري، منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، ص ٢٤٦، وللزيادة عن هذا المنصب انظر: لولاف مصطفى الاتروشي، القضاء في مصر والشام في العهد الايوبي، ص ص ٥١ - ٦٣.

واعطى تل باشر^(١) وتل خالد^(٢) لبدر الدين دلدرم بن بهاء الدين بن ياروق^(٣)،
واعطى قلعة اعزاز^(٤) لعلم الدين سليمان بن جندر^(٥).

ثم رحل من حلب يوم السبت ثاني عشر من ربيع الاخر، ودخل دمشق ثالث جمادى
الاول، فاقام بها اياما، ثم خرج الى الاغوار^(٦).

وفيها عصى زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك^(٧) على المواصلة باربل،
وكتب السلطان وانتمى اليه، فبعث اليه منشورا^(٨) باربل.

وعصى ايضا سنجرشاه بن سيف الدين غازي بالجزيرة، وهو صبي صغير، وسبب هذا

(١) تل باشر، قلعة حصينة وكورة واسعة في شمال حلب، بينها وبين حلب يومان. ياقوت، معجم
البلدان، ٤٠/٢.

(٢) تل خالد: قلعة من نواحي حلب. ياقوت، معجم البلدان، ٤١/٢.

(٣) جاءت التسمية هنا مطابقة لما ورد لدى الاصفهاني، البرق الشامي، ١٣٣/٥، بينما جاء لدى
ابن الاثير، الكامل، ٤٩٩/١١ ((داروم الياروقي)).

(٤) اعزاز: حصن مشهور تقع شمال غرب حلب. ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٥) كان من كبار امراء السلطان وبينهما صحبة قديمة قبل الملك، وكان صلاح الدين يعتمد عليه لما
عرف به من العقل والمكر والدهاء، وهو الذي اشار على السلطان ان يولي اولاده الولايات
المهمة بدلا من اخوته وابنائهم، لذلك اخذ السلطان حلب من اخيه الملك العادل واخرج ابن
اخيه تقي الدين من مصر، ثم اعطى اخاه العادل حران والرها وميفارقين ليخرجه من الشام
ومصر ليقبى لاولاده. ابن الاثير، الكامل، ٥٢٤/١١ - ٥٢٥.

(٦) الاغوار: جمع غور، وهو المنخفض من الارض، ويقصد به غور الاردن بالشام بين القدس
ودمشق، وهو منخفض عن ارض دمشق وارض القدس، طوله مسيرة يوم وعرضه نحو يوم فيه
نهر الاردن وبلاد وقرى كثيرة. ياقوت، معجم البلدان، ٢١٦/٤ - ٢١٧.

(٧) كان ذلك بعد اعتقال مجاهد الدين قايماز من قبل حاكم الموصل عزالدين مسعود في تلك السنة
٥٧٩ هـ بسبب وشاية وحسد بعض الامراء، وكانت اربل واعمالها حينئذ تحت حكم
مجاهد الدين ومعه فيها زين الدين يوسف بن زين الدين علي كجك. ابن الاثير، الكامل،
٤٩٩/١١ - ٥٠٠.

(٨) المنشور: أمر سلطاني مكتوب باقطاع من ارض او مال او منصب او غير ذلك، وكانت المناشير
على اربعة اصناف، يكتب كل صنف منها في قطع معين من الورق، تختلف باختلاف طوائف
رجال الدولة. القلقشندي، صبح الاعشى، ١٥٨/١٣.

ان مجاهد الدين قايماز^(١) النائب بالموصل، كان وصى زين الدين^(٢) وسيف الدين^(٣) على ولديهما باربل والجزيرة، فاشار محمود بن زلفندار^(٤) على عزالدين مسعود صاحب الموصل [٨-ب] بالقبض على مجاهد الدين حسداً منه له، فقبض عليه، فاختلفت امور البلاد، فلما رأى عزالدين الامور وقد اختلفت عليه، اطلق مجاهد الدين، وولاه قلعة الموصل واحسن اليه وقبض على بن زلفندار وعلى كل من اشار عليه بقبض مجاهد الدين.

غزاة بيسان^(٥)

ورحل السلطان صلاح الدين من الاغوار في جمادي الاخرة فنزل بيسان، وقد هرب اهلها، فقدم بسين يديه جرديك النوري^(٦)، وجاولي الاسدي^(٧)،

(١) هو ابو منصور قايماز بن عبدالله الزيني، الملقب بمجاهد الدين الخادم، كان عتيق زين الدين ابي سعيد علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين حاكم اربل. انظر ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ١٥٣/١٢ - ١٥٤، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ٢٠/٥ - ٢١، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٧٦/٢ - ٢٧٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣/١٣ - ٢٤.

(٢) هو زين الدين ابي سعيد علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين حاكم اربل. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٧٦/٢.

(٣) هو سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر حاكم الموصل، توفي سنة ٥٧٦ هـ وتولى حكم الموصل بعده اخوه عزالدين مسعود. انظر ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٤٦٢/١١ - ٤٦٣، ابو شامة، الروضتين، ٤٠/٣ - ٤٢، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٤٢/٢ - ٢٤٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٦/١٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٨٨/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٥٧/٤.

(٤) كان محمود زلفندار وشرف الدين احمد ابن ابي الخير الذي كان ابيه حاكم الغراف من اكاير امراء الموصل، وهما اللذان اشارا على عزالدين مسعود باعتقال مجاهد الدين قايماز. ابن الاثير، الكامل، ٤٩٩/١١.

(٥) بيسان: مدينة بالاردن بالغور الشامي، وهي بين حوران وفلسطين. ياقوت، معجم البلدان، ٥٢٧/١.

(٦) هو عز الدين جرديك مولى نورالدين. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٤٧/٤. ولهذا يلقب بالنوري، وكان واحداً من القواد الذين رافقوا اسد الدين شيركو في حملته الاخيرة على مصر وهي الحملة الثالثة سنة (٥٦٤ هـ)، واشترك مع صلاح الدين في القبض على شاور. ابن واصل، مفرج الكرب، ٢٢/٢، هامش (٣).

(٧) كان اول الامر مملوكاً لاق سنقر البرسقي وبعد اغتيال الاخير سنة (٥٢١ هـ) استولى جاولي على الحكم في الموصل الى ان ولي السلطان محمود عليها عماد الدين زنكي في نفس السنة، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٤٧/١ - ٤٦٢. ثم اصبح مقدم المماليك الاسديّة، ابن الاثير، الكامل، ٤٣٠/١١.

وجماعة من النورية^(١)، هجاءوا الى عين جالوت^(٢)، والفرنج على الفولة^(٣)، فصادموا على عين جالوت طائفة من الفرنج، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأسروا مائة فارس، ورحل السلطان الى الفولة يطلب المصاف^(٤)، فتحصن الفرنج بالداخل ولم يخرج منهم احد، فلما كان الليل ساروا طالبين عكا، ورحل السلطان خلفهم يقاتل الساقه^(٥)، فقتل منهم جماعة، ودخلوا عكا، فعاد السلطان على صفت، فتهب واحرق ودخل دمشق.

-
- (١) وهم جماعة من المماليك ينسبون الى الملك نورالدين محمود زنكي.
(٢) عين جالوت: بلدة صغيرة بين بيسان ونابلس، وهي من اعمال فلسطين، ياقوت، معجم البلدان، ١٧٧/٤.
(٣) الفولة: بلدة صغيرة تقع في فلسطين من جهة الشام. ياقوت، معجم البلدان، ٢٨٠/٤.
(٤) المصاف: يعني الحرب.
(٥) الساقه: او مؤخرة الجيش كانت احدى اقسام تشكيلة الجيش الايوبي حسب نظام التخميمس. حسين: الجيش الايوبي، ص ١٤٤.

٥٨٠ هـ

[سنة ثمانين وخمس مائة^(١)]

ثم خرج في رجب الى الكرك، وكان الملك العادل اخوه قد كتب اليه يطلب حلب عوضاً عن مصر، فكتب اليه ان يوافيه على الكرك، فالتقيا على الكرك، ونصب السلطان عليها المجانيق، وحشد الفرنج ونزلوا الوالة^(٢)، قريباً من الكرك، فرأى السلطان ان حصار الكرك يطول، فعاد الى دمشق ومعه اخوه العادل، فاعطاه حلب، فسار اليها وبها [٩-١] ولد السلطان الملك الظاهر غازي وسيف الدين ازكش^(٣)، فسلمها اليه، وقدم الظاهر دمشق في خدمة ابيه راضياً في الظاهر، وفي الباطن مافيه^(٤).

وفيها وقع بين الاكراد والاتراك باليمن، وكانت الغلبة للترك.

(١) سقط سهواً عنوان السنة المذكورة، لانه لم يكن هناك بزراً او تلفاً في الاصل.

(٢) الوالة: جهات واسعة بين دمشق ووادي القري، القرينزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٨٤، هامش (٢).

(٣) هو سيف الدين يازكوج الاسدي. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤٩٥/٣، ولدى ابن شداد، النوادر، ص ٦٤، يازكج، وورد لدى ابن الاثير، الكامل، ٤٣٠/١١، ٥٠١، ٦٩/١٢، ١٤٢، يازكش، يازكج، ايازكوش، يازكوش، وفي الروضتين، ١١٣/٣، ازكش.

(٤) عندما استولى السلطان علي حلب سنة (٥٧٩ هـ) جعل فيها ولده الملك الظاهر وكان صبياً، وولى القلعة سيف الدين يازكوج الاسدي وجعله مدير أمر ولده. ابن خلكان، وفيات الاعيان ٤٩٥/٣. وعن سبب الباطن للملك الظاهر انظر: ابو شامة، الروضتين، ١٢٥/٣.

ذكر كتاب زين الدين الواعظ^(١) يشوق السلطان الى مصر وهو:

ادام الله ايام مولانا السلطان الملك الناصر وقرنها بالتأييد والنصر والتسديد، اترى ما يشتاق مولانا الى مصر ونيلها وخيرها وسلسبيلها، ودار ملكه ودارة فلكه، وبحرها وخليجها ونشرها وأريجها ومقسم مقياستها، وانيس ايناسها وقصور معزها^(٢) ومنازل عزها، وجيزتها^(٣) وجزيرتها^(٤)، وبركها وبركتها، وتعلق القلوب بقلبيوبها^(٥)، واستيلاب النفوس لاسلوبيها، وملتقى البحرين ومرتقى الهرمين، وروضة جنانها وحنة رضوانها، ومشاهدها وجوامعها، وساحات سواحلها وايات فضائلها.

فكتب اليه السلطان: ورد كتاب الفقيه زين الدين ادم الله بركته، ولاريب ان الشام أفضل، وان أجر ساكنيه أجزل، وان القلوب اليه أميل، وان زلاله البارد أعل وانهل، وان الهواء في صيفه وشتائه اعدل، وان الحال فيه أجمل، والجمال اكمل، وان القلب به اروح، ودمشق عقيلته المشوطة^(٦)، وعلقته^(٧) المنشوطة، وحديقته [٩-ب] الناظرة، وحدقته الناظرة، وهي عين إنسانه، بل إنسان عينه، وعقود عقوده، ونضارة لجينته، فعاشقها مستهام، وما على محبها ملام، وما في ربوتها ريبة، ولكل نور شبيهه، وساجعاتها على سائر

(١) عندما استولى السلطان على حلب سنة (٥٧٩ هـ) جعل فيها ولده الملك الظاهر وكان صبياً، وولى القلعة سيف الدين يازكوج الاسدي وجعله مديراً أمرولده. ابن خلكان، وفيات الاعيان ٤٩٥/٣. وعن سبب اهم الباطن للملك الظاهر انظر: ابو شامة، الروضتين، ١٢٥/٣.

(٢) نسبة الى الخليفة الفاطمي ابو تميم معد الملقب المعز لدين الله بن المنصور بن القائم بن المهدي عبدالله، في عهده فتح الفاطميون مصر سنة (٣٥٨ هـ) بقيادة جوهر الصقلي الذي بني القاهرة للمعز، ولذلك تنسب اليه. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣ / ١١٤ - ١١٦.

(٣) الجزيرة، بلدة صغيرة في غربي فسطاط مصر وقيالته، ولها كورة واسعة، وتعتبر من أفضل كور في مصر. ياقوت، معجم البلدان، ٢ / ٢٠٠.

(٤) الجزيرة، هي جزيرة الروضة في النيل.

(٥) القلوب، من أعظم قرى مصر. ابن الاثير، الكامل، ١١ / ١٩١.

(٦) في الاصل (المشوطة)، والتصويب من ابو شامة، الروضتين، ٣ / ١٣٩.

(٧) العقلة المنشوطة، عقدها وشدها. ابو شامة، الروضتين، ٣ / ١٣٩، هامش (٢).

الورق خطباً تطرب، وهزاراتها^(١) وبلابلها تغرد وتعجم وتعرب، وكم فيها من جوارى ساقيات، وسواق جاريات، وأثمار بلا أثمان، وروح وريحان، وفاكهة ورمان، وخيرات حسان، وكون الله تعالى اقسام به، فقال: "والتين والزيتون"^(٢) يدل على فضله المكنون، وقال (صلى الله عليه وسلم):^(٣) "الشام صفوة الله من بلاده، يسوق اليها خيرته من عباده"^(٤)، وعامة الصحابة اختاروا المقام بالشام، وفتح دمشق^(٥) بكر الاسلام.

وما ننكر ان الله تعالى ذكر مصر، ولكن على لسان فرعون بقوله: "أليس لي ملك مصر"^(٦)، لكن هذا اخرج مخرج العتب له والزام، الا ترى ان يوسف عليه السلام، نقل منها الى الشام، ثم المقام بدمشق اقرب الى الرباط، وواجب للنشاط، واين قطوم المقطم^(٧) من سناسير، واين ذرى منيف من ذروة الشرف المنير، واين لبانة لبنان من الهرمين، وهل هما الا مثل السلعتين، وهل للنيل مع طول نيله وطول ديلده برد بردا في نقع الغليل، ونقع العليل، وما لذاك الكثير طلاوة هذا القليل، وان فاخرتنا بالجامع وقبة النسر، وظهر بذلك قصر القصر [١٠-أ]، ولو كان لهم مثل باناس^(٨) لما احتاجوا الى قياس المقياس، ونحن لا نجفو الوطن كما جفاه، و لا نأبى فضله كما أباه، وحب الوطن من الايمان، ونحن لا ننكر ان أقليم مصر أقليم الشأن ولعل زين الدين يرجع الى الحق، ويوافق على ما هو الاحق.

(١) هزار، (فارسي معرب) بلبل أخضر اللون، التوحجي، المعجم الذهبي، ص ٦٠٣، ويقال له: هزاردستان، لانه يعني الحانا كثيرة، وهزار في الفارسية [والكورديية] بمعنى الالف. ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ٩٨٤/٢
(٢) التين: ١.

(٣) في الاصل (صلعم)، وهذه الكتابة مكروهة عند الفقهاء، وقد استعملها العجم. عبدالسلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص ٥٣.

(٤) روي الحديث بلفظ: " عليك بالشام، فإنه خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده"، اخرجه أبو داود في الجهاد، باب ٣، حديث ٢٤٨٣، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق، ٣٠/١، وابن قيمة في أحاديث القصص، ص ٦٢، واحمد في المسند، ١١٠/٤. انظر: ابو شامة، الروضتين، ١٣٩/٣، هامش(٣).

(٥) كان فتح دمشق سنة (١٤هـ). ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ٢٠٣/١.

(٦) الزخرف: ٥١.

(٧) المقطم: وهو الجبل المشرف على القرافة مقبرة فسطاط مصر والقاهرة. ياقوت، معجم البلدان، ١٧٦/٥.

(٨) من انهار دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٣٣٠/١.

وفيها هجم السلطان [على]^(١) نابلس، وكانت عساكر الشرق قد وصلت لنجدته، مثل عسكر الحصن^(٢) وآمد ودياربكر، ومظفرالدين بن زين الدين، والملك العادل من حلب وتقي الدين عمر، فخرج من دمشق، فنازل الكرك، ونصب عليها المجانيق، وكان من اكبر مهامه فتحه لكونه على طريق مصر.

وبلغ الفرنج فجمعوا الفارس والراجل وقصدوه، فنزلوا الوالة، فاغتنم السلطان خلو الساحل منهم فسار الى البلقاء^(٣) ونزل الغور وهجم نابلس فقتل وسبى ونزل على سبسطية وبها الرهبان والاقسا وعندهم الودائع فطلبوا منه الأمان وان يطلقوا ما عندهم من الاسارى فأمتهم، ثم سلك الغور وطلع على عقبه فيق^(٤) وعاد الى دمشق، وكان عنده رسل الخليفة، فطلبوا العود الى بغداد فأذن لهم.

وفيها توفي قطب الدين ايلغازي زين البي صاحب ماردين، وخلف ولدين صغيرين، وكان جواداً شجاعاً عادلاً متصفاً.

وفيها وصلت رسل زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك، تخبر ان عسكر الموصل مقدمهم مجاهد الدين قايماز وعسكر قزل^(٥) [١٠-ب] وصلوا مع مجاهدين قايماز، وكان عدتهم ستة الاف فارس، فخرج اليهم زين يوسف بعسكر اربل وهم دون الف فارس فكسروهم، وقتل وأسر اكثرهم، فلما بلغ السلطان ذلك عظم عليه لكون زين الدين يوسف القى مقاليد اليه^(٦) ورحل من دمشق.

(١) زيادة يقتضها سياق الكلام.

(٢) الحصن: يعني حصن كيفا.

(٣) البلقاء: كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمان. ياقوت، معجم البلدان، ٤٨٩/١.

(٤) عقبة فيق: وهي مدينة بالشام تقع بين دمشق وطبرية، ياقوت، معجم البلدان، ٢٨٦/٤.

(٥) هو قزل أرسلان، واسمه عثمان بن إيلدكز، تولى الحكم بعد وفاة اخيه البهلوان، ملك أران، وأذربيجان، وهمدان، وأصفهان، والري، وما بينهما، واطاعة صاحب فارس وخوزستان، واعتقل السلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل، وخطب لنفسه بالسلطنة، واضطهد الشوافع، واغتيل على فراشه في همدان سنة ٥٨٧ هـ. ابن الاثير، الكامل، ٧٥/١٢-٧٦، انظر ترجمته ايضاً لدى ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٠٦/٣.

(٦) كان السلطان صلاح الدين يعمل في هذه المرحلة على خلق جبهة متماسكة وواسعة تضم بالإضافة الى مصر وبلاد الشام اقليم الجزيرة قبل الدخول في مواجهة حاسمة مع الصليبيين، فدخول زين يوسف حاكم اربل في طاعته طواعية كان له اهميته بالمقارنة مع الموصل التي حاصرها اكثر من مرة.

٥٨١ هـ

سنة احدى وثمانين وخمس مائة

فيها رحل السلطان من دمشق واستدعى العساكر، فنزل على حران، فالتقاه مظفر الدين بن زين الدين الى البيرة، وتقدم الى سيف الدين علي المشطوب ان يسير في مقدمة العسكر الى رأس العين، ثم تخيل السلطان من مظفر الدين بن زين الدين قبض عليه لشيء كان جرى منه^(١)، واخذ منه قلعة حران والرها، وهو في الاعتقال تأديباً له مدة، ثم خلع عليه وطيب قلبه، واعاد عليه قلعة حران وبلادته التي كانت بيده، واعاده الى قانونه في الاكرام والاحترام، ولم يتخلف له سوى قلعة الرها، ووعده بها.

وسار السلطان الى ان نزل بالاسماعيليات قريباً من الموصل، بحيث يروح كل يوم جماعة يحصروا الموصل ويعودوا^(٢)، فبلغ السلطان موت شاه ارمن^(٣) صاحب خلاط، فتوجه طمعاً في اخذها.

ونزل ميفارقين^(٤)، وقاتلها قتالاً عظيماً، ونصب عليها المجانيق، وملكها عنوة في جمادى الاولى، ولم يتم له من امر خلاط حالة، لانه وليها بكتمر مملوك شاه ارمن.

(١) كان مظفر الدين حاكم حران، يرسل السلطان والتقاء بالبيرة مشيراً عليه بقصد الموصل، وتعهد بدفع تكاليف ونفقات الحملة، وعندما وصل السلطان الى حران سنة (٥٨١ هـ) لم يف له بما بذل من المال، فأنكر ذلك وارتاب به، وظن انه قد أنضم الى حاكم الموصل، كما وشى به الاعداء وذكروا ان نيته قد تغيرت، فحلف باخلاقه " وان ما التزمه الرسول لم يكن بامرته " فاعتقله السلطان ليتأكد من حقيقة موقفه، ثم عفى عنه، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٥/٢، انظر ايضاً: ابن الاثير، الكامل، ٥١١/١١.

(٢) كان هذا الحصار الثاني للموصل من قبل السلطان. ابن شداد، النوادر، ص ٦٧.

(٣) هو ناصر الدين سكران الثاني بن ابراهيم: زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ص ٣٤٨.

(٤) ميفارقين: اشهر مدن ديار بكر. ياقوت، معجم البلدان، ٢٣٥/٥.

فعاد السلطان الى الموصل وهي الدفعة [١١-أ] الثالثة، فنزل كفر زمار^(١)، وكان الحر شديد، وكان من جملة حلقة^(٢) السلطان، رجل كردي ينظم الشعر، وكان خبزه^(٣) في قوص^(٤) اسوان، فانقطعت النفقة عنه لبعد قوص عن الموصل، فكتب الى السلطان ابيات من جملتها:

أهل في شرح النبي المرسل خبز بقوص وخدمة بالموصل

فلما وقف السلطان عليها، قال: لا والله واعطاه نفقة وافرة، واقام السلطان مدة فاتاه سنجر شاه صاحب الجزيرة، فاكرمه واعاده الى بلاده.
ومرض السلطان مرضاً شديداً، ورحل طالباً حران وهو يتجلد ولايركب محفة^(٥)، وبلغ الى غاية من الضعف وارجفوا بموته، ووصل اليه الملك العادل من حلب ومعه اطباءوها.

ووصل رسل الموصل وهم بهاء الدين الربيب والقاضي بهاء الدين بن شداد، يطلبون من السلطان الصلح فاجابهم الى ذلك، وأخذ من صاحب الجزيرة بين النهرين، واعطاها لصاحب الموصل، وحلف له يمين تامة، ومات وهو على اليمين^(٦).

(١) كفر زمار: من قرى الموصل، بينها وبين برقيمد اربعة او خمسة فراسخ، ياقوت، معجم البلدان، ٤/٦٩٤، وهي مركز ناحية زمار التي تقع شمال غرب الموصل، وتبعد عنها حوالي ٨٠ كم، وقد غطتها مياه بحيرة سد اسكي موصل.

(٢) الحلقة: هي الحلقة الخاصة والماليك السلطانية، وكانت الحلقة السلطانية عبارة عن جماعة من العسكر تحيط بصلاح الدين، كانت بمثابة حراسه، وكانت للحلقة دور بارز في المعارك المختلفة، وكانت في قلب الجيش الايوبي. حسين، الجيش الايوبي، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) الخبز: والجمع اخباز، تأتي بمعنى اقطاع. حسين، الجيش الايوبي، ص ١٣٢، هامش (١).

(٤) قوص، وهي مدينة كبيرة مشهورة، وهي قصبه صعيد مصر، بينها وبين القسطنطين اثنا عشر يوماً. ياقوت، معجم البلدان، ٤/١٣٤.

(٥) محفة: هي النقالة التي تستخدم لنقل الجرحى والموتى. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٣٠٣، هامش (٤).

(٦) انظر: ابن شداد، النوادر ص ص ٧٠ - ٧١، ابن الاثير، الكامل، ١١/٥١٦ - ٥١٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٣٨٤، ابو شامة، الروضتين، ٣/١٥٢ - ١٥٧، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/١٧٠ - ١٧٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٣٣٧، الخبلي، شفاء القلوب، ص ١١٤ - ١١٦.

ووصل خير ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركو^(١) أنه توفي فجلس الملك العادل في العزاء.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الاكراد والترکمان في كل ناحية^(٢).

وفيها حكم المنجمون بدمشق بأنه يهب رمل عظيم مع هواء مزعج يهلك الناس فحفروا سرداباً^(٣) واختبوا فيها، ولم يحصل من ذلك شيء، فظهر كذب المنجمين.

[وفاة] عصمة الدين خاتون^(٤) [واخيها] [١١-ب]

ابنة الامير معين الدين أنر زوجة السلطانين نور الدين وصلاح الدين، وكانت من أعف النساء واکرمهن واحزمهن، ولها صدقات كثيرة وبر عظيم، بنت بدمشق مدرسة لاصحاب ابي حنيفة^(٥) في حارة حجر الذهب، وبنت للصوفية رباطاً^(٦) على الشرف القبلي

(١) هو ابن عم السلطان صلاح الدين، وعندما مرض السلطان بحران كان برفقته، فسار عنها الى حمص بعد ان مر بحلب واخذ يفرق الاموال على الناس ويستميلهم، وراسل جماعة من الدمشقيين، وكان يطمح في الحكم، واقام في حمص ينتظر وفاة السلطان ليسير الى دمشق فيملكها، غير ان السلطان عوفي، ولم يمض غير قليل من الوقت حتى مات ابن شيركو. ابن الاثير، الكامل، ١١/٥١٧-١٨، انظر ترجمته لدى: ابن واصل، مفرج الكرب، ٢/١٧٣، ابو شامة، الروضتين، ٣/١٥٧، النويري، نهاية الارب، ٢٨/٢٥٩، ابو القدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/١٥٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/٢٣٠.

(٢) عن هذه الوقعة انظر، ابن الاثير، الكامل، ١١/٥١٩، ابن شداد، النوادر، ص ٧١.

(٣) في الاصل اسراباً، والتصحيح عن سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٣٨٥.

(٤) انظر ترجمتها لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٣٨٥، ابو شامة، الروضتين، ٣/١٥٧، ابو كثير، البداية والنهاية، ١٢/٣٣٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٩٩، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/٢٧٢، ج ٤، ص ٢٧٢ وقد وردت اسمها الصريح (أمنة) لدى: المقريزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٩٠.

(٥) هو الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي اشتهر بالعلم والفقه والتقوى، وهو مؤسس احد مذاهب السنة الاربع. انظر ترجمته لدى: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٢٠١-٢٠٦، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص ١٦٨، اليافعي، مرآة الجنان، ١/٣٠٩، ابن ابي الوفاء، الجواهر المضئية، ١/٢٦-٣٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ١/٢٢٧-٣٢٩.

(٦) الرباط: ما يربط به، ورباط الخيل: مرابطها خمس منها فما فوقها، وترد بمعنى الخيل نفسها، وموضع الرباطة، وملجأ الفقراء من الصوفية. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١/٣٢٣.

خارج باب النصر على باناس، وبنت تربة بقاسيون^(١) على نهر يزيد^(٢) ودفنت بها، ووافقت على هذه الاماكن اوقافاً كثيرة، وكان وفاتها في رجب، وبلغ السلطان وفاتها وهو مريض بجران فتزايد مرضه وحزن عليها، وكان يصدر عن رأيها. ومات بعدها اخوها سعد الدين مسعود بن أنر في هذه السنة، وكان من اكابر الامراء، وزوجه السلطان اخته ربيعة خاتون. فلما توفي مسعود بن معين الدين أنر تزوج ربيعة خاتون مظفر الدين بن زين الدين علي كوجك.

[وفاة] ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه

ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه بن شادي كان السلطان يخافه، لانه كان يدعي أنه أحق بالملك منه، وكان قد فارق السلطان من حران وجاء الى حمص، وكان زوج اخت السلطان ست الشام^(٣)، وكان وفاته بجمص يوم عرفة، تناثر لحمه، وقيل أنه سم، فنظفته زوجته ست الشام الى تربتها بالعوينة شمالي دمشق، فدفنته بها عند اخيها شمس الدولة.

ولما بلغ السلطان وفاته ابقى على ولده اسد الدين شيركوه^(٤) حمص وتدمر^(٥)

والرحبة^(٦) وسلمية^(٧)، اقطاع ابيه، وخلع عليه وكتب منشوراً بها، [١٢-أ]

(١) قاسيون: وهو الجبل المشرف على مدينة دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٢٩٥/٤.

(٢) نهر يزيد: نهر بدمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٣٢٤/٥.

(٣) هي ست الشام بنت ايوب بن شادي، شقيقة شمس الدولة، توفيت سنة (٦١٦هـ). ترجمتها لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٠٦/٨ - ٦٠٧، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ١٨٠/٥ - ١٨١، ابن ابيك، كنز الدرر وجامع الفرر، ٢٠٤/٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩٢/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٤٦/٦، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٢٩، ٢٣٠، النعمي، المدارس في تاريخ المدارس، ٢٧٧/١، ابن العماد، شذرات الذهب، ص ٦٧.

(٤) وكان عمره حينئذ اثنتا عشر سنة، ابن الاثير، الكامل، ٥١٨/١١.

(٥) تدمر: مدينة مشهورة في بيرة الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام. ياقوت، معجم البلدان، ١٧/٢.

(٦) الرحبة: من قرى الشام. ياقوت، معجم البلدان، ٣٣/٣.

(٧) السلمية: بلدة صغيرة في ناحية البرية من اعمال حماة بينهما مسيرة يومين، وكانت تعد من اعمال حمص. ياقوت، معجم البلدان، ٢٤٠/٣.

٥٨٢ هـ

سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة

وفيها فرش اهل الكرخ^(١) الرماد في يوم عاشوراء^(٢)، وعلقوا المسوح وناح النساء، وخرجن حاسرات يطلمن، من باب البدرية الى باب حجرة الخليفة، والخلع^(٣) تفاض عليهن وعلى المنشدين^(٤)، وتعدى الامر الى سب الصحابة ابي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم، وكان اهل الكرخ يصيحون ما بقي كتمان. وفي هذا الشهر عبر حاجب^(٥) الباب كمال الدين ابن هبيرة الى الجانب الغربي في موكبه، وبين يديه ارباب الدولة والسيوف المسئلة، فعاد في آخر النهار من يومه ماشياً مكشوف الرأس، ويده بيد نفاط^(٦)، وقد نتفت لحيته، وعمامته في حلقه، والى جانبه مغنية ماشية يقال لها خطليشا، وكان قد نقل الى الخليفة عنه انه يعاشر الندماء والمغنيات، فاستعظم ذلك، حتى فعل به ما فعل.

(١) الكرخ: كانت احدى محلات بغداد. ياقوت، معجم البلدان، ٤/٤٨٤. وهي الان الجانب الغربي من نهر دجلة.

(٢) في الاصل(عاشور). وعاشوراء: يصادف اليوم العاشر من شهر محرم.

(٣) الخلع، تعني الملابس، وخيار المال. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١/٢٥٠.

(٤) المنشدين: هم الذين يقرأون قصة استشهاد الامام الحسين عليه السلام على الملا باسلوب مأساوي مؤثر. ينقل هنا من سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، او ان الاثني ينقلون من محمد ابن القادسي في الذليل كما اشار اليه مؤلف مرآة الزمان، ٨/٣٨٦.

(٥) الحاجب، هو الذي يحجب السلطان عن العامة، ويفلق بابه دونهم، او يفتحه لهم على قدره في مراقبته، وفي مصر في العهد المملوكي كان الحاجب ينفذ الاحكام بين الناس في المدينة، وهذه الوظيفة عندهم كانت تأتي بعد النيابة في الحكم على اهل الدولة وفي العامة على الاطلاق. ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٠١-٣٠٣.

(٦) النفاطين: او الزراقين كانوا احدى تشكيلات الجيش الايوبي، وهم الذين يقذفون النار اليونانية، وكانوا يرتدون ثيابا خاصة غير قابل للاشتعال، يطلق عليه لباس النفاطين. حسين، الجيش الايوبي، ص ٢٩٢.

وفيهما حكم النجمون في الافاق بخراب العالم في جمادي الآخرة، وقالوا: تقترن الكواكب السيارة: الشمس والقمر وزحل والمريخ والزهرة وعطارد والمشتري في برج الميزان او السرطان، فيؤثر تأثيراً يضمنحل به العالم، ويهب سموم محرقة تحمل رملاً احمرأ، فأستعد الناس وحضرو السراييب وجعلوا فيها الزاد، وانقضت المدة، ولم تحدث شئ، وظهر كذب النجمون.

فقال: أبو الغنائم محمد بن المعلم^(١) في ابي الفضل النجم وكان رئيسهم:

قل لابي الفضل قول معترف وما جرت زعزعا ^(٢) كما زعموا ^(٣)	مضى جمادي وجاءنا رجب [١٢-ب] ولا بدى كوكب له ذنب
كلا ولا اظلمت ذكاء ^(٤)	ولا ابنت اذى في قرانها الشهب
يقضى عليها من ليس يعلم ما فارم بتقويمك الفرات والاصطرا	يقضى عليه هذا هو العجب ب ^(٥) خير من صفرة الخشب
قد بان كتب المتجمين وفي مدبر الامر واحد ليس لل	اي مقال قالوا وما ^(٦) كتبوا سبعة في كل حادث سبب

(١) هو محمد بن علي بن فارس بن علي، نجم الدين أبو الغنائم الواسطي، المعروف بابن المعلم الشاعر المشهور، ولد سنة (٥٠١ هـ)، وتوفي ببغداد سنة (٥٩٢ هـ)، ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٥١/٨ - ٤٥٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٠ - ١١، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥/٣ - ٧، الذهبي، العبر في خبر من غير، ١٠٦/٣: الصقدي، الوافي بالوفيات: ١٦٥/٤ - ١٦٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤/١٤، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٨٣/٦.

(٢) في الاصل (زعزع)، والتصحيح من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٨٧/٨، ابو شامة، الروضتين، ١٧١/٣.

(٣) وجاء بلفظ حكما في: مصادر الغامش اعلاه.

(٤) ذكاء: اي الشمس. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٣١٤/١.

(٥) الاصطراب، جهاز استعمله المتقدمون في تعين ارتفاعات الاجرام السماوية، ومعرفة الوقت، والجهات الاصلية. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١٧/١.

(٦) وردت بصيغة (فما) لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٨٧/٨، ابو شامة، الروضتين، ١٧١/٣.

لا المشتري سالم ولا زحل باق ولا زهرة ولا قطب تبارك الله حصص الحق وان جاب التعمادي وزالت الريب.

وفيهما قطع السلطان الفرات، ووصل الى حلب، وخرج منها يريد دمشق فتلقيه اسد الدين شيركوه صاحب حمص واخته سفرى خاتون بتل السلطان^(١)، ومعهما الهدايا العظيمة، وسار الى حمص، فاطلق المكوس، وازال الضمانات^(٢)، وقال: لآخيه العادل، اقسّم التركة بينهم على فرائض الله تعالى، وقد خلف شيركوه وسفرى، وزوجته ست الشام، فصعد العادل الى قلعة حمص، واقام أياماً يقسم التركة، وكان قد خلف اموالاً عظيمة وجواهر ومناطق^(٣) الذهب والفضة، وكان مبلغ الزكاة الف الف دينار.

وكان القاضي (شرف الدين)^(٤) بن عصرون حاضراً القسمة، فقام يوماً فوقع من تحت ذيله منطقة مجوهرة، قد أهتم اعداؤه الى ان زرقوا من كان حاضراً ان دسها تحته بحيث يلطخوا عرضه، فنسبه الملك العادل الى [١٣-أ] ما لا يليق، وكان نجم الدين منزهاً عن ذلك، لانه كان غنياً جواداً شريف النفس، فحلف للعادل انني ما علمت بها وصدق، وانما الحساد فعلوا ذلك.

وفيهما دخل سيف الاسلام الى مكة، ومنع الاذان في الحرم يحيى على خير العمل^(٥)، وقتل جماعة من العبيد^(٦) كانوا يؤذون الناس، واغلق امير مكة باب البيت، وصعد الى ابي قبيس^(٧)، فارسل اليه وطلب المفتاح، فامتنع من انفاذه، فقال: سيف الاسلام لرسوله قل

(١) تل السلطان: موضع بينه وبين حلب مرحلة باتجاه دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٤/٣٧٢.

(٢) الضمانات: مفردا الضمان، والاصل من ضمّين: اي الكفالة والالتزام، ان يؤدي عن الشخص ما قد يقصر في ادائه. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١/٥٤٤.

(٣) المناطق: مفردا المنطقة وهي الخزام. المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٧٩، هامش (٥).

(٤) في الاصل (نجم الدين). والتصحيح من: ابن الاثير، الكامل، ٤/٢١٢، ابو شامة، الروضتين، ٤/٦٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/٢٨٣.

(٥) تستخدم هذه الصيغة في الاذان عند الشيعة بدلاً من (حي على الفلاح)، عن هذا الاجراء انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٣٨٨، ابو شامة، الروضتين، ٣/١٧٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/١٠٣.

(٦) العبيد، ويقصد بهم اتباع الدولة الفاطمية، ويعرفون ايضاً بالعبيدين نسبة الى مؤسس الدولة الفاطمية عبيدالله المهدي.

(٧) ابي قبيس: وهو اسم الجبل المشرف على مكة. ياقوت، معجم البلدان، ١/٨٠.

لصاحبك ان الله نهانا عن اشياء فارتكبناها، وقال: النبي(صلى الله عليه وسلم) لا تأخذوا المفتاح من بني شيبه، فتأخذه ونستغفر الله تعالى، فبعت اليه بالمفتاح. وفيها قسم السلطان البلاد بين اولاده واهله برأى القاضي الفاضل، فانه لما مرض أشار عليه بذلك^(١).

وكان الملك الافضل علي^(٢) بالديار المصرية، وهو المترشح لولاية العهد، وكان في نفس السلطان نقل العزيز^(٣) الى مصر، فكتب الى الافضل يستدعيه الى دمشق، فجاء باهله ووالدته فحضر، فزوجه السلطان سفري خاتون اخت اسد الدين صاحب حمص. وجمع صلاح الدين اهله والامراء واخذ عليهم العهود والمواثيق للافضل، وكان السلطان يؤثر ان تكون حلب للملك الظاهر^(٤) ولده وكان يستحي من اخيه الملك العادل،

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٨٨/٨ - ٣٨٩، ابو شامة، الروضتين، ١٦٨/٣ - ١٦٩، بينما ورد في موضع سابق ان الذي اشار على السلطان بذلك كان الامير سليمان بن جندر. انظر ايضا: ابن الاثير، الكامل، ١١/٥٢٤ - ٥٢٥.

(٢) هو ابو الحسن علي، الملقب الملك الافضل نورالدين ابن السلطان صلاح الدين، ولد بالقاهرة سنة (٥٦٦هـ)، وتوفي سنة (٦٢٢هـ). ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ١٢/٤٢٨ - ٢٤٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٦٣٧ - ٦٣٨، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/١٩٩ - ٢٠٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١١٦ - ١١٧، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ص ٢١٦ - ٢١٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢٦٢، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص ٢٥٦ - ٢٦٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/١٠١.

(٣) هو الملك العزيز عمادالدين ابو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين، ولد بالقاهرة سنة (٥٦٧هـ) وتوفي سنة (٥٩٥هـ). ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ١٢/١٤٠ - ١٤٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٤٦٠ - ٤٦١، ابو شامة، الروضتين، ٣/١٦٤ - ١٦٥، والذيل على الروضتين، ص ٢٥، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/١١٩ - ١٢١، ابن الوردي، تنمة المختصر، ٢/١٣٧، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص ٢٣٥ - ٢٥١، ابن ابياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١/٩٠ - ٩١.

(٤) هو غازي بن يوسف بن ايوب بن شاذي، الملك الظاهر، غياث الدين، ابن السلطان صلاح الدين ولد سنة (٥٦٨هـ) بمصر، وتوفي بحلب سنة (٦١٣هـ). انظر ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ١٢/٣١٣ - ٣١٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٥٧٩ - ٥٨٠، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ١٤٥ - ١٤٦، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/٢٤٣ - ٢٤٥، ابن العميد، أخبار الايوبيين، ص ١٣٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/٢٣٧ - ٢٤٨، ابن ابيك، كنز الدرر، ٧/١٨٤، ابن الوردي، تنمة المختصر، ٢/١٩٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٧٧ - ٧٨، النعمي، المدارس في تاريخ المدارس، ١/٣٤٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٥٥ - ٥٦.

وفهم العادل ذلك، فزوج الظاهر بابنته، وقال له: قد علمت ان مدينة حلب جليلة وقلعتها عظيمة [١٣-ب] فاطلبها من السلطان فعرف الظاهر اياه فاستحسن ذلك من الملك العادل، وفوض امر حلب الى الملك الظاهر، وامر دمشق الى الافضل، وامر مصر الى العزيز، واقطع العادل اقطاعاً كثيرة بمصر، وجعله اتابك الملك العزيز وسيرهما الى مصر.

وكان تقي الدين بمصر، وحكمه بين يدي الملك الافضل بمنزلة الوالي، وبلغه ما فعل السلطان، وكان يظن انه يستقل بمصر فشق عليه، وكان غلامه قراقوش^(١) قد وصل الى اطراف المغرب، فكتب اليه يستدعيه ويطمعه في ملك جديد، فجهز امواله واثقاله الى الاسكندرية، وكتب الى السلطان يستأذنه، فشق ذلك على السلطان وخاف ان يتبعه اكثر العسكر الى المغرب، فكتب اليه يعتبه ويوبخه ويقول سمعت نبأً ويستدعيه اليه فما امكنه مخالفته، ودخل العزيز والعادل القاهرة اول شعبان، وقدم تقي الدين الى دمشق وتلقاه السلطان واعاد عليه ما كان بيده من البلاد، حماة والمعة^(٢) ومنبج^(٣) وازضاف اليه ميافارقين وثنى عزمه عن المغرب.

وسار يوزيا مملوك تقي الدين الى المغرب فلقبه صاحب المغرب، فأخذه أسيراً ثم منّ عليه واطلقه وبعث به الى بعض الثغور^(٤) فأبلى بلاءً حسناً، فقدمه على العساكر.

(١) قراقوش، هو شرف الدين قراقوش التقوي. المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٩١. وللزيادة انظر: مراد خليفة المختار كورة، الصلات السياسية بين المغرب والمشرق في عهد الموحدين والايوبيين في النصف الثاني من القرن السادس الهجري رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المسيرة الكبرى طبرق، ليبيا، كلية الاداب، ٢٠٠٣ م.

(٢) المعة: مدينة كبيرة مشهورة من اعمال حمص، بين حلب وحماة. ياقوت، معجم البلدان، ١٥٦/٥.

(٣) منبج: مدينة كبيرة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. ياقوت، معجم البلدان، ٢٠٦/٥.

(٤) الثغور: جمع ثغر، وهي كل موضع قريب من أرض العدو، وهي البلاد التي تعرف ببلاد ابن لاون في القرن ٧هـ/١٣م، ومن مدنها بياس والمصيصة وطرطوس وغيرها. ياقوت، معجم البلدان، ٧٩/٢.

[اختلاف الفرنج بالشام وانحياز القمص صاحب طبرية الى السلطان صلاح الدين]

وفيها ظهر الخلاف بين الفرنج، وتفرقت كلمتهم، وكان ذلك سببا لسعادة الاسلام، وكان السبب ان ريمند صنجيل^(١) قومص^(٢) طرابلس^(٣) رغب الى مصافاة السلطان [١٤-أ]، وكان قد تزوج بصاحبة طبرية، وتعرف بالست^(٤)، وكان الملك في اخيها المجذوم^(٥)، فلما احتضر المجذوم اوصى بالملك لابن اخته^(٦) وهو صبي، فلما تزوج القومص امه رباه ومات الصبي، فانتقل الملك الى امه على قاعدتهم في ذلك، فظن القومص ان زوجته تفوض الامر اليه، فمدت عينها الى بعض الخيالة من الفرنج، واجتمعوا في القدس، فقامت بين الصفيين وببيدها تاج الملك لتضعه على رأس من يستحق الملك، فركب الملوك والخيالة، ووضعت التاج على رأس الذي مدت عينها اليه وملكته، طمعا على أنها تتزوجه، فتأملها القومص والاكابر ولم يرضوا بذلك، ووقع الله بأسهم بينهم.

وفيها غدر ابرنس الكرك واسمه ارناط، وكان اخبث الفرنج وأشهرهم، فقطع الطريق على قافلة جاءت من مصر الى الشام، وفيها خلق كثير ومال عظيم، فأستولى على الجميع قتلاً واسراً ونهباً، فارسل السلطان يوبخه على ما فعل، ويقول: اين العهود والمواثيق، رد ما اخذت، فلم يلتفت وشن الغارات على المسلمين، وقتك.

(١) ريمند صنجيل: هو ريموند الثالث حاكم طرابلس. البداري، سنا البرق الشامي، ص ٦١، هامش (١). واسمه ريموند بن ريموند الصنجيلي. ابن الاثير، الكامل: ٥٢٦/١١.

(٢) القومص: تعريب حرفي للفظة اللاتينية (comes) أي الامير، ومعناها الاصل في اللاتينية " الرفيق " لانه كان في بادئ الامر يرافق الملك في حروبه وتنقلاته، ثم سمي بالامير. ابن واصل، مفرج الكروب: ٧٣/١، هامش (١).

(٣) طرابلس: مدينة على طرف داخل في بحر الشام، بينها وبين بعلبك اربعة وخمسون ميلاً، وبينها وبين دمشق تسعون ميلاً. ابو الفداء، تقويم البلدان، ٢٥٣.

(٤) هي ايشيفا اميرة الجليل وسيدة طبرية. رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ٨٣٣/٢ (الملحق الرابع).

(٥) هو الملك بلدوين الرابع (١١٧٤-١١٨٥م). رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ٨٢٨/٢ (الملحق الرابع).

(٦) هو الملك بلدوين الخامس (١١٨٥-١١٨٦م). رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ٨٢٨/٢ (الملحق الرابع).

وقال العماد الكاتب وكان معه شردمة لها شردمة، وهي من شردمة، وكان على الهدنة حتى لاحت له فرصة، فوقع على قافلة ثقيلة فيها نعم جليلة، وكان فيها جماعة من الاجناد واعيان اهل البلاد، فحملهم الى الكرك، ووقعهم في الشرك، فأرسل اليه السلطان وفتح فعاله وغدره واغتياله فأبى [١٤-ب] إلا الاصرار والفتك في التجار، فنذر السلطان دمه، ووفى في اراقته بحطين بما ألزمه^(١)، وأقام السلطان بدمشق يتجهز للقاء العدو، واستدعى العساكر من كل جهة^(٢).

(١) عن هذه الحادثة انظر: ابن الاثير، الكامل، ٥٢٧/١١ - ٥٢٨، ابن شداد، النوادر، ص ٧٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٨٩/٨، ابو شامة، الروضتين، ١٧٦/٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٨٥/٢، الذهبي، دول الاسلام، ٩٤/٢، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ١١٨.

(٢) كتب السلطان الى جميع البلاد يستنفر الناس للجهاد، فكتب الى الموصل وديار الجزيرة واربل وغيرها من بلاد الشرق، والى مصر وسائر بلاد الشام. ابن الاثير، الكامل، ٥٢٩/١١.

﴿ ٥٨٣ هـ ﴾

سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة

وفي مستهل المحرم خرج السلطان من دمشق بعساكر الشام فنزل بصرى، يرتقب وصول الحاج واخته ست الشام وابنها ابن لاجين^(١)، وكان بلغه ان ابرنس الكرك يرتقب وصولهم، فخاف من غدره، ووصل الحاج في اواخر المحرم وخلا سر السلطان منهم، فسار الى الكرك فقطع الاشجار ورعى الزروع، وفعل بالشوبك^(٢) كذلك، واقام ينتظر عسكر مصر، وكان عند مسيره الى الكرك قد أمر ولده الملك الافضل ان ينزل على رأس الماء^(٣) بطائفة من العسكر، ينتظر باقي العساكر الشرقية^(٤).

فأنهض الافضل منهم طائفة للغارة على طبرية، وجعل مقدم العساكر الشرقية مظفر الدين بن زين الدين، وعلى عسكر الشام صارم الدين قايماز النجمي، فنازلوا طبرية، وتقدم بدر الدين دلدرد، وكان مقدم عسكر حلب، فخرج اليه مقدم الداوية والاسبتار ومعهما جماعة، فقاتلوه، فقتلهم دلدرد وأسر بعضهم، وسار الى صفورية^(٥) ففعل كذلك، وعاد بالاسارى الى الافضل وهو علي شعف القيقان^(٦)، وجاء السلطان الى تسيل قرية غربي

(١) هو حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين وهو ابن اخت السلطان صلاح الدين تولى بدمشق سنة (٥٨٧هـ). ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٧٧/١٢، ابو شامة، الروضتين، ١٧١/٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦٩/١٢.

(٢) الشريك، قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وابلة والقلزم قرب الكرك. ياقوت، معجم البلدان، ٣٧٠/٣.

(٣) رأس الماء، احدى المواقع القريبة من الكرك والمؤدية اليها.

(٤) العساكر الشرقية، هي تلك العساكر التي كانت تأتي من البلاد الشرقية [كوردستان الحالية] وهي سنجار وديار الجزيرة والموصل واربل. ابن الاثير، الكامل ٤٧/١٢ وهي البلاد التي تقع شرقي نهر الفرات، وورد تعريف البلاد الشرقية في موضع سابق أيضاً.

(٥) صفورية، كورة وبلدة من نواحي الاردن بالشام وهي قرب طبرية. ياقوت، معجم البلدان، ٤١٤/٣.

(٦) موضع بظاهر مدينة حلب. ياقوت، معجم البلدان، ٣٢٣/٤.

هون وصفد^(١) على تلها، وعرض العساكر وسر بما رأى، واندفع يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول نحو فيق^(٢)، ورحل الافضل والعساكر [١٥-أ] معه فالتقوا على الاقحوانة^(٣)، وكان يقصد لقاء العدو يوم الجمعة تبركا بادعية الخطباء، وخيم على ساحل البحيرة^(٤) في اثنى عشر الفا من الفرسان، فاما الرجالة فكثير، وخرج الفرنج من عكا، فلم يدعوا فيها محتلماً، فيقال انهم كانوا في ثمانين الفا بين فارس وراجل، فنزلوا صفورية. وتقدم السلطان الى طبرية، فنصب عليها المجانيق، ونقب اسوارها، ففتحها يوم الخميس رابع عشر ربيع الاخر، وتمنعت القلعة عليه، وبها الست زوجة القومص. وتقدم الفرنج فنزلوا لوبية^(٥) يوم الجمعة عند طلوع الشمس، وملك المسلمون عليهم الماء، وكان يوماً حاراً، والتهب الغور عليهم، وأضرم مظفر الدين بن زين الدين النار في العشب والزرع، وباتوا طول الليل والمسلمون حولهم، فلما طلع الفجر من يوم السبت قاتلوا الى الظهر وصعدوا الى تل حطين^(٦) والنار تضرم حولهم فهلكوا وتساقطوا عن التل، وكان القومص معهم فحمل وفتح له السلطان درياً فصعد الى صفد، وعمل السيف في الفرنج قتلاً واسراً وأسر من الملوك كابي^(٧) وأخوه جضرى^(٨) وابرنس الكرك^(٩) والهنضرى^(١٠)

- (١) صفد، مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام؛ وهي من جبال لبنان، ياقوت، معجم البلدان، ٤١٢/٣.
- (٢) فيق، مدينة بالشام بين دمشق وطبرية. ياقوت، معجم البلدان، ٢٨٦/٤.
- (٣) الاقحوانة، موضع بالاردن من اعمال دمشق، على شاطئ طبرية. ياقوت، معجم البلدان، ٢٣٤/١.
- (٤) ساحل البحيرة، وهي ساحل بحيرة طبرية. ابو شامة، الروضتين، ١٧٨/٣، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ١١٩.
- (٥) لوبية: موضع بالقرب من طبرية. ابن واصل، مفرج الكرب، ١٨٩/٢.
- (٦) تل حطين: موضع بين طبرية وعكا. ياقوت، معجم البلدان، ٢٧٤/٢.
- (٧) هو الكند سطل أميرك كابي شقيق الملك جاي. رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ٧٤١/٢.
- (٨) هو ملك جاي لوزيجيان (١١٨٦-١١٩٢م) رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ٨٢٨/٢ (الملحق الرابع).
- (٩) هو الامير رينالد شاتيون حاكم الكرك.
- (١٠) هو همفري الثالث حاكم تبين. رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ٨٣٥/٢ (الملحق الرابع).

وصاحب جبيل^(١) وبيروت وصيدا، ومقدم الداوية^(٢) والاسبتار وغيرهم. وجئ الى السلطان بصليب الصليبوت^(٣) وهو مرصع بالجواهر واليواقيت في غلاف من ذهب، وهو عند النصراري مثل المسيح.

والذي أسر الملك الامير عزالدين درباس بن مم المهراني^(٤)، والذي أسر ابرنس الكرك ابراهيم غلام المهراني، فلما راهم السلطان نزل [١٥-ب] وسجد شكراً لله تعالى وجاء الى خيمته، فأستدعاهم وجلس الملك عن يمينه وابرنس الكرك الى جانب الملك، ونظر السلطان الى الملك وهو يلهث عطشا، فأمر بقدر من ثلج وماء فشربه وسقى الابرنس، فقال له السلطان: ما أذنت لك في سقيه، فلم سقيته، وكان السلطان قد نذر ان يقتل ابرنس بيده، فقال له: ياملعون، ياغدار، حلفت وغدرت ونكثت، وجعل يعدد عليه غدره، ثم قام فضربه بالسيف حل كتفه وتممه المالك وقطعوا رأسه واطعموا جثته للكلاب، فلما راه الملك قتيلاً خاف وطار عقله، فامنه السلطان، وقال: هذا غدار كذاب، غدر غير مرة، ثم عرض السلطان الاسلام على الداوية و الاسبتار، فمن أسلم منهم استبقاه، ومن لم يسلم قتله، فقتل خلقاً عظيماً.

وبعث بباقي الملوك والاسارى الى دمشق الى صفى الدين بن القابض^(٥)، فاعتقل الاعيان في القلعة، وبيع الاسارى بثمن بخس، حتى باع بعض الفقراء اسيراً بنعل، فقتل له: هذا ثمن بخس، فقال: اردت هوانهم.

ودخل القاضي بن ابي عصرون الى دمشق، وصليب الصليبوت منكب بين يديه.

(١) والت الثالث. رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ٨٣٤/٢ - ٨٣٥ (الملحق الرابع).

(٢) كان مقدم الداوية جراز. رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ٧٣٦/٢.

(٣) صليب الصليبوت: هو صليب النصراري الاعظم، ويعتقدون ان فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها السيد المسيح عليه السلام. ابن الاثير، الكامل، ٥٣٦/١١، ابن واصل، مفرج الكروب، ٦٨٩/٢، الخنبلي، شفاء القلوب، ص ١٢١.

(٤) نسبة الى قبيلة المهراني الكوردية المعروفة. ابن الاثير، الكامل، ١١/١٤ - ١٥.

(٥) صفى الدين بن القابض، كان نائب السلطان صلاح الدين بدمشق، وكلمته نافذة في دولته توفي سنة (٥٨٧هـ). ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٧٧/١٢، ابو شامة، الروضتين، ١٧١/٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٩٥/٢، ويضيف السبط ان اسمه نصرالله، وان السلطان عندما ملك استوره. مرآة الزمان، ٨/٤١٣ - ٤١٤.

وعاد السلطان الى طبرية، وأمن صاحبته^(١)، فخرجت بنفسها ومالها الى عكا، وولي طبرية صارم الدين قايماز النجمي.
واما القومص فانه خرج من صفد الى طرابلس، فمات بها، فقيل انه مات من جراحاته.

ذكر فتح عكا [١٦-١]

وسار السلطان من طبرية فنازل عكا سلخ ربيع الآخر وليس بها من يحميها، لان وقعة حطين ابادتهم، وكانوا ثلاثين الفاً، وطلبوا منه الامان على نفوسهم، ومايقدرين على حمله، فأمنهم ودخلها يوم الجمعة غرة جمادي الاولى، وكان بها من اسارى المسلمين اربعة الف، فاستنقذهم، وجعل الكنيسة جامعاً، وولاهها ولده الافضل، وولى الخطابة والقضاء والامامة لعبد اللطيف بن ابي النجيب الشهرزوري^(٢)، وغنم المسلمون اموالاً لاتحصى لما دخلوا عكا، وركن كل واحد رمحه على دار فاخذها وما فيها، واعطى السلطان للفقيه عيسى جميع ما يخص بالداوية.

ولم يحضر هذا الفتوح الملك العادل، لانه كان في مصر، فجاء ففتح في طريقه مجدل يابا^(٣) ويافا، وحضره الملك العزيز، لانه قدم مع العسكر المصري، ومضى الى مصر، وما عاد اجتمع بابيه.

وكتب العماد الكاتب الى بغداد كتاباً اوله ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ﴾^(٤)، والحمد لله على ما انجز من هذا الوعد وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد، وجعل بعد عسر يسراً، وحدث بعد امر امراً،

(١) هي الكونتيسة ايشيفا حاكمة طبرية وزوجة ريموند حاكم طرابلس. رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ٧٣٥/٢.

(٢) عبداللطيف بن ابي النجيب الشهرزوري، نسبة الى شهرزور وهي ولاية واسعة في الجبال بين اربل وهمدان " واهل هذه النواحي كلهم اكراد " ياقوت، معجم البلدان، ٣/٣٧٥، [والياً تتبع محافظة السليمانية في اقليم كردستان - العراق]، توفي بابل سنة (٦١٠هـ). طبقات السبكي، ٣١٢/٨.

(٣) مجدل يابا، قرية قرب الرملة، فيها حصن حصين. ياقوت، معجم البلدان، ٥٧/٥.

(٤) الانبياء: ١٠٥.

وهون الامر الذي ماكان الاسلام يستطيع عليه صبراً، وخطب الذين بقوله: ﴿ولقد مننا عليك مرة اخرى﴾^(١)، فالاولى في عصر النبي والصحابة والآخرين في هذه الدولة التي عبق فيها من رق الكتابة والزمان كهيئة قد استدار، والحق ببهجته قد استنار، والكفر قد رد ما عنده من المستعار والخادم [١٦-ب] يشرح من هذا الفتح العظيم والنصر الكريم، ما يشرح به صدور المؤمنين، ويسوء وجوه الكافرين، ويورد من البشرى ما انعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الاخر الى يوم الخميس سلخه، وتلك سبع ليال وثمانية ايام حسوما، عدموا فيها نفوساً وجسوماً، فاصبحوا قد هووا في الهاوية كانهم اعجاز نخل خاوية، واصبحت البلاد الى الاسلام ضاحكة، كما كانت بالكفر باكية.

ففي يوم الخميس الاول فتحت طبرية، ويوم الجمعة والسبت كانت الكسرة التي ما ابقنت منهم بقية ولايقوم لهم بعدها قائمة، ﴿وكذلك اخذ ريك اذا اخذ القرى وهي ظالة﴾^(٢).

وفي يوم الخميس سلخ الشهر فتحت عكا بالامان، ورفعت بها اعلام الايمان، وهي أم البلاد، واخذت ارم ذات العماد وصليب الصليبوت عندنا مأسور، وقلب الكفر الاسير بجيشه المكسور مكسور، وانصار الصليب واعوانه قد احاطت بهم يد القبضه وغلقت رهنه فلا يقبل منهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

وطبرية قد رفعت اعلام الاسلام عليها ونكصت من عكا ملة الكفر على عقبيها، وعمرت حتى شهدت ان يوم الاسلام وهو خير يوميها، وصارت البيع مساجد يعمرها من امن بالله واليوم الاخر، وصارت المذابح مواقف لخطباء المنابر، وقال في اخر الكتاب: وما يتأخر النهوض الى البيت المقدس وهذا اوان فتحه، وقد دام عليه ظلام الضلال، وقد آن ان يسفر فيه الهدى عن صبحه.

ولما فتح عكا سار [١٧-أ] الى تبنين^(٣) فتسلمها بالامان، وتسلم صيدا^(٤) وبيروت

(١) طه: ٣٧.

(٢) هود: ١٠٢.

(٣) تبنين: بلدة بين دمشق وصور، في الجبال المطلة على بانياس. ياقوت، معجم البلدان، ١٤/٢.

(٤) صيدا: مدينة على ساحل الشام من اعمال دمشق وتقع شرقي صور، بينهما ستة فراسخ. ياقوت، معجم البلدان، ٣/٣٧٤.

وجبيل وغزة^(١) والداروم^(٢) والرملة وبيننا^(٣) وبيت جبرين^(٤) والخليل^(٥) (عليه السلام)، ونازل عسقلان، فقتل عليها حسام الدين بن المهراي، ثم تسلمها السلطان، وكان بين اخذ الفرنج لها وبين خلاصتها منهم (خمس)^(٦) وثلاثون سنة، وتسلم السلطان هذه الاماكن في اربعين يوماً اولها ثامن عشرين جمادي الاول واخرها ثامن رجب^(٧).

ذكر فتوح القدس

سار اليه السلطان فنازله يوم الاحد منتصف رجب، وكان المنجمون قد قالوا له: تفتح القدس وتذهب عينك الواحدة، فقال: رضيت ان افتحه واعمى، وكان قد نزل على غريبه اولاً، ثم انتقل الى شماليه، وضايقه بالزحف وكان مشحوناً بالمقاتلة مايزيد على ستين الف مقاتل، ولازم الزحف ليلاً ونهاراً، حتى اخذ النقب في السور مماليي وادي جهنم^(٨) في قرنه شماليه، ولما رأى الفرنج ذلك طلبوا الامان، واستقرت القاعدة بالمراسلة، وتسلمه قدس الله روحه يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين، وهي ليلة المعراج المنصوص عليها؛ شهد هذا الفتوح جماعة من العلماء والشايخ والمتصوفة وارباب

(١) غزة: مدينة في اقصى الشام من جهة مصر، بينها وبين عسقلان أقل من فرسخين، وهي من نواحي فلسطين وتقع غربي عسقلان، ياقوت، معجم البلدان، ٢/٤٠٢.

(٢) الداروم: قلعة تقع بعد غزة للقاصد الى مصر، بينها وبين البحر حوالي فرسخ. ياقوت، معجم البلدان، ٢/٢٤٤.

(٣) بينا: موضع في الطريق الى عسقلان من بيروت بعد الرملة. ابن شداد، النوادر، ص ٨٠.

(٤) بيت جبرين: مدينة بالشام من اعمال فلسطين، قرب عسقلان. ياقوت، معجم البلدان، ١٢٢/٤.

(٥) الخليل: بلدة قرب القدس بينهما مسيرة يوم. ياقوت، معجم البلدان، ٢/٣٨٧.

(٦) ماين الخاصرتين غير موجودة في الاصل. والاضافة من ابن شداد، النوادر، ص ٨١.

(٧) للزيادة عن هذه الفتوحات انظر: ابن الاثير، الكامل، ١١/٥٣٩-٥٤٦، ابن شداد، النوادر، ص ٧٨-٨٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٣٩٤-٣٩٧، ابو شامة، الروضتين، ٣/١٩٨-٢١٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/٢٠٠-٢١١، الذهبي، دول الاسلام، ٢/٩٤-٩٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٣٤٣-٣٤٤، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٩٤-٩٦.

(٨) وادي جهنم: موضع في ظاهر بيت المقدس. ياقوت، معجم البلدان، ٤/١٧٨، من ناحية الشمال. ابن شداد، النوادر، ص ٨١.

الخرق^(١)، وارتفعت الاصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير، وحط الصليب الذي كان على قبة الصخرة.

وكانت قاعدة الصلح انهم قطعوا على انفسهم، كل رجل عشر دنانير و(المرأة)^(٢) خمسة، وعن كل صغير ذكر او انثى دينار واحد^(٣) [١٧-ب]، فمن احضر القطيعة سلم بنفسه و الاخذ اسيراً، وفرج الله عن اسرى المسلمين، وكانوا زهاء ثلاثة الف اسير، ووصل من دفع القطيعة عن نفسه الى صور^(٤)، ونفق جميع ما حصل من القدس، وكان مائتي الف وعشرة الف دينار، واقر بايديهم بيعة قمامة^(٥)، وعينوا اماكنا يزورونها، وكان مدة استيلاء الفرنج على القدس اثنتين وتسعين سنة، لانهم في سنة احدى وتسعين واربعمائة (اخذوه)^(٦)، وفتح في هذه السنة، وهي سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة، ودخل

(١) ارباب الخرق: هم شيوخ الصوفية.

(٢) في الاصل (الامرأة).

(٣) تذكر مصادر اخرى ان مبلغ الفدية بالنسبة لهؤلاء كان ديناران، ابن الاثير، الكامل، ٥٤٩/١١، ابو شامة، الروضتين، ٩٥/٢، بينما ورد لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٩٧/٨، ان مبلغ الفدية عن الرجل كان عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن الصبي اربعة دنانير، وعن الطفل ديناراً، بينما يتفق المؤلف هنا على مبلغ الفدية مع ماورد لدى: ابن شداد، النوادر، ص ٨٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢١٤/٢، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٩٦، البداية والنهاية، ٣٤٥/١٢، الذهبي، دول الاسلام، ٩٤/٢، في الوقت الذي يتفرد فيه الخبلي، شفاء القلوب، ص ١٢٨، بذكر مبلغ الفدية بشكل يخالف كل ماتقدم: "ان يؤدي كل واحد عشرة دنانير، وقيل: عشرين، وعن المرأة خمسة، وعن الصبي اربعة، وعن الطفل ديناراً، وقيل: بل عن الامة والطفل ديناران".

(٤) صور: مدينة مشهورة تطل على بحر الشام (البحر المتوسط)، وتحيط بها البحر من ثلاث جهات. ياقوت، معجم البلدان، ٤٣٣/٣.

(٥) بيعة القمامة: اعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس، وفيها مقبرة يسمونها القيامة لاعتقادهم ان المسيح قامت قيامته فيها، والصحيح ان اسمها قمامة لانها كانت مزبلة اهل البلد، وكانت في ظاهر البلد يقطع بها ايدي المفسدين ويصلب بها اللصوص، فلما صلب المسيح في هذا الموضع عظموه. ياقوت، معجم البلدان، ٣٩٦/٤.

(٦) ماين الحاصرتين غير موجودة في الاصل، والاضافة من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٩٧/٨.

السلطان بالصخرة وغسلها بالماورد^(١) وبلحيته، وهو يبكي ومجى الصور منها وكسر الصلبان واخرّب دار الداوية وعمر بها المسجد الأقصى، وتطاول جماعة من الأعيان الى الخطابة، فتذكر السلطان قول بن زكي الدين:

وفتحت القلعة الشبهاء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

ولما انشد هذا البيت بجلب قال الفاضل للسلطان: قد انطق الله هذا القاضي بالغيب، فاعطاه الخطابة حال الفتوح، وابن زكي الدين يومئذ قاضي القضاة بدمشق وحلب. وبعث السلطان مع الفرنج الذين كانوا بالقدس من اوصلهم الى صور، وكان بها المركيس^(٢).

وكان القاضي الفاضل [١٨-أ] مريضاً بدمشق لم يحضر الفتح، فأمر السلطان العماد الكاتب، فكتب كتاباً الى بغداد بالفتح، وكتب في اوله ﴿وعد الله الذين امنوا﴾^(٣) وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً^(٤) والحمد لله الذي انجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف، وقهر بأهل التوحيد أهل الشرك والخلاف، وخص سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافة، وبدل الامن من بعد المخافة، وادخر هذا الفتح الاسى والنصر الاهنى، الخادم المقام النبوي، ومنحه اخلص اوليائه، واخص تمنيه وفوات ترجمه، تقاصرت عنه الهمم، وتخاذلت عنه ملوك الامم، فله الحمد الذي حقق بفتحه ماكان في النفس، وبدل وحشة الكفر فيه من الاسلام بالانس، وجعل عز يومه ذل امه، واسكنه

(١) هي ماء الورد.

(٢) هو كراد ابن ماركيز مونتفيرات الشيخ، وشقيق اول زوج للملكة سيلا وصل صور بعد عشرة ايام من معركة حطين. رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ٧٦٢/٢، كانت تلك من اخطاء السلطان عندما سمح للصليبيين بالانتقال الى صور من المدن والمواقع التي فتحها مثل عكا وعسقلان والقدس وغير ذلك، ومعهم مايقدرون عليها من امواتهم، حسب عهود الامان التي كان يعطيهم، ابن الاثير، الكامل، ٥٥٥/١١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٩٨/٨، ويمكن تبرير ذلك برغبة السلطان في فتح تلك المدن والمواقع بسرعة وباقل التكاليف من خلال عهود الامان وبأسهل الشروط.

(٣) ماين الحاصرتين غير واردة في الاصل ربما سقطت سهواً.

(٤) النور: ٥٥.

العالم والفتية بدل البطرك والقس، وعباد الصليب والشمس، واخرج اهل يوم الجمعة منه، اهل يوم الاحد، وقد فتح الخادم بحمدالله من الداروم الى طرابلس، وجميع ما حوت مملكة الفرنج الى نابلس، وغسلت الصخرة بدموع الباكين من المؤمنين، ونزع لباس اليأس فيها بافاضة ثواب [١٨-ب] المحسنين، ورجع الاسلام الغريب منه الى داره، وطلع قمر الهدى من سراره، وعادت الارض المقدسة الى ماكانت عليه من التقديس، وامنت المخاوف فيها وبها، فصارت صباح السرى ومناخ التعريس^(١). واقصي من المسجد الاقصى الاقصى من الله الابدون، وتوافد اليه المعطفون المقربون، وخرس الناقوس بزجل المسيحين، وخرج المفسدون بدخول المصلحين، وقال الحراب لاهله: مرحبا وأهلا، وشمل جماعة المسلمين ما جمع الله لهم فيه شملا، ورفعت الاعلام الاسلامية على منبره فأخذت من بره بأوفى نصيب، وتلت بألسنة عزها "نصر من الله وفتح قريب"^(٢)، وغسلت الصخرة بدموع المتقين، من دنس الكافرين، وبعد اهل الاحاد من قريها بقرب الموحدين، وذكر بها مانسى من عهد المعراج النبوي والاعجاز المحمدي، وعاد الاسلام بإسلام البيت المقدس الى تقديسه، ورجع بنيانه من التقوى الى تأسيسه، وذكر العماد فصولا في هذا المعنى يطول شرحها^(٣).

ذكر قصد صور

وفي شعبان سار السلطان الى صور فوصلها غرة رمضان، فوجدها مدينة حصينة، وهي في البحر مثل السفينة، والبحر محيط بها من جوانبها وليس لها طريق في البر إلا من [١٩-أ] مكان واحد، فيه سبعة ابراج^(٤) وبها المركيس، وكان شجاعا حازما وقد انضوى اليه جميع من كان بالقدس والساحل من الفرنج.

(١) عرس القوم: نزلوا للاستراحة من السفر والمقصود، الاقامة والاستراحة. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ١٤٧، هامش(٣).

(٢) الصف، ١٣.

(٣) ينقل المؤلف من الاصفهاني، الفتح القسي بتصريف: انظر: ص ص ١٤٧-١٤٨.

(٤) للزيادة عن وصف صور انظر: ابن الاثير، الكامل، ٥٥٣/١١-٥٥٥، ابو شامة، الروضتين، ٢٦٦/٣، ياقوت، معجم البلدان، ٤٣٣/٣-٤٣٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٤٣/٢.

واقام السلطان ينتظر الاسطول من مصر، فوصل فقاتلهم في البر والبحر، واتفق ان الاسطول غفل ليلة فكبسها الفرنج، فأخذوا المراكب، ورمى بعضهم نفسه في البحر ففرق^(١) فتأخر السلطان في سلخ شوال.

ووصل اليه من بغداد تاج الدين ابو بكر حامد اخو العماد الكاتب، فالتقاه السلطان واكرمه، وكان معه رسالة وتذكرة مشحونة بالعتاب على اسباب منها ان الخليفة عتبه لاجل الرشيد ابن البوشنجي، وكان صبياً ببغداد لا يؤبه اليه، فخرج الى الشام، واتصل بصلاح الدين، وقيل له هذا من بيت كبير، وكان اديباً فاعجب السلطان، فبعثه الى بغداد في رسالة، فشق على الخليفة، وقال: ما كان عنده غير هذا، وقصر في حقه، فلما عاد الى السلطان، قال: ما التفت على واهنت، ومنها ان كل من هرب من بغداد ولجأ الى السلطان يقبل عليه مثل تميرك، وبن رئيس الرؤساء، وبن هبيرة وامثالهم، ومنها مشاركته في لقب الخليفة بالناصر، ثم قال: في اخره ومننت علينا بفتح القدس، وهل فتح الا بعساكر الديوان وتحت رايته، فاستشاط السلطان [١٩-ب] غيضاً، وقد كان يرجو ان يأتيه كتاب الخليفة يشكر على ما فعل.

ثم قال السلطان لآخي العماد: اما الذين التجءوا الى من ارباب النبوت، فان الانسان قد يلتجأ الى كوخ عجوز في البرية، فيجيره من القتل، واما مشاركتي في اللقب فوالله اني ما اخترته، ولا افترحتة، ولكن لما ازلت دولة عدوه القائمة من مائتي سنة، وفعلت ما فعلت لقبني المستضيء بهذا اللقب^(٢)، وكتب من بغداد الى نورالدين بذلك، ولم يكن في زمانكم

(١) عن هذه الحادثة انظر: الاصفهاني، الفتح القسي، ص ١٦٥ - ١٦٢، كان مقدم الاسطول الايوبي عبدالسلام المغربي المعروف بالمهارة والمشهور بالشجاعة. ابن الاثير، الكامل، ٥٥٤/١١ - ٥٥٥، بينما ورد لدى ابن شداد، النوادر، ص ٨٤، ان اسم مقدم الاسطول كان الفارس بدران، في الوقت الذي جاء في المفرج، ٢/٢٤٤، ان مقدم الاسطول ورئيسها كان عبدالسلام المغربي، ومتولي الاسطول بدران الفارسي.

(٢) الاصفهاني، الفتح القسي، ص ١٨٧، ابو شامة، الروضتين، ٣/٢٧٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/٢٥٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٣٤٩، بينما هناك من يرى ان الخليفة الفاطمي العاضد هو الذي لقبه بالملك الناصر عندما ولاه الوزارة في مصر بعد وفاة عمه اسد الدين شيركوه سنة (٥٦٤هـ). ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٤٨٨، هذا وقد ورد لدى الخليلي، شفاء القلوب، ص ٦٧، الروايتين معاً، اي تلك التي تقول: بان الخليفة العاضد هو الذي منحه هذا اللقب، والتي تقول: لابل كان ذلك الخليفة المستضيء بالله العباسي.

ثم في عسكري عشرة الف تركماني وكردى ، لقب كل واحد صلاح الدين، فلم لا انكر عليه، واما قوله: انني فتحت القدس تحت راياته وعسكره، فاين راياته وعسكره، والله مافتحته الا تحت راياتي وعساكري، وارعد السلطان وابرق، وتأكدت الوحشة بينه وبين الخليفة باطناً، وامسك السلطان نفسه ظاهراً، ثم تمت الوحشة بقتل شمس الدين بن المقدم^(١) في هذه السنة على عرفات.

وأمر الفاضل فكتب كتاباً الى الخليفة يقول فيه: المحافضة توجب المرافقة، واغلاق هذا الباب خير من فتحه، واندمال هذا الجرح اولى من اتساعه وقرحه، واما شمس الدين بن المقدم فكان من اكابر امراء السلطانين نورالدين وصلاح الدين، وكان السلطان سيره أمير الحج في هذه السنة، فلما وصل عرفات اراد ان يرفع علم صلاح الدين على الجبل ويضرب [٢٠-أ] الطبل، فمنعه طاشتكين^(٢)، وقال: هذا موضع لا يرفع فيه الا علم الخليفة، ونكس العلم، فركب ابن المقدم ومن معه من الشاميين، وركب طاشتكين واقتتلوا، فقتل من الفريقين جماعة، ورمى مملوك طاشتكين سهماً فوقع في عين ابن المقدم فخر صريعاً، وجاء طاشتكين فحملة الى خيمته، وسار به الى منى فتوفي يوم عيد الله الاكبر، ونهب الحاج الشامي، ودفن ابن المقدم بالمعلى^(٣).

قال العماد الكاتب: ووصل شمس الدين الى عرفات، وما عرف الاقات، وشاع وصوله، وضرب طبوله، وجالت خيوله، وخفقت رأيات اعلامه، وضربت خيامه، ففاظ ذلك أمير الحاج العراقي طاشتكين، فركب في اصحابه واحزابه، فاوقع بشمس الدين واترابه، وكان رفع العلم وضرب الطبل من اوكد اسبابه، وقتل جماعة من حاج الشام وجرحوا، وانتهكوا

(١) هو الامير شمس الدين محمد بن عبدالملك كان أمير حاج الشام والجزيرة، وقد اغاظ موكبه أمير حاج العراق طاشتكين فأمر رجاله بمهاجمة حاج الشام لاسباب واهية افعلها فقتل ابن المقدم واخرين معه يوم عرفة، عن تلك الحادثة وترجمة ابن المقدم انظر: الاصفهاني، البرق الشامي، ص ١٨٨ - ١٨٩، ابن الاثير، الكامل، ١١/٥٥٩-٥٦٠، ابو شامة، الروضتين، ٣/٢٧٤-٢٧٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٢٥٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/١٠٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/٢٧٦.

(٢) هو طاشتكين بن عبداللّه المقفوي الملقب بفخرالدين توفي سنة (٦٠٤ هـ). ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ١٣/٢٤١، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٠ - ٨١.

(٣) المعلى: موضع بالحجاز. ياقوت، معجم البلدان، ٥/١٥٨.

وافترضوا، ونقل طاشتكين شمس الدين الى خيمته وهو مجروح، وفيه روح، وحمله معه الى منى، ففضى ودفن بالمعلى، وارتاع طاشتكين لما اجترمه، ولم يراهب الله وأحل حرمه. واخذ طاشتكين شهادة الاعيان، بان الذنب لابن المقدم وقرئ المحضر في الديوان، ولما بلغ السلطان مقتله بكى بكاء عظيماً، وحزن حزناً كثيراً، وقال: قاتلني الله إن لم انتصر له، وتأكدت الوحشة بينه وبين الخليفة، وجاءه رسول يعتذر فقال: [٢٠-ب] أما الجواب عما جرى، بم اشتغل بالجهاد. ووصل الى السلطان ولده الملك الظاهر بعساكر حلب واستدعى اخاه الملك العادل من القدس.

فوصل اليه، وسير من حاصر هونين^(١)، فسلمت بالامان. وكان قد هجم الشتاء، وتداركت الامطار، فرحل عن صور بعد ان نقل المنجنيقات واحرق مالا يمكن نقله، واعطى العساكر دستوراً^(٢) واقام بجماعة من خواصه بعكا.

(١) هونين: بلد في جبال عاملة مطل على نواحي مصر. ياقوت، معجم البلدان، ٤٢٠/٥.

(٢) الدستور: القاعدة التي يعمل بمقتضاها. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٢٨٣/١. وهي كلمة كوردية (دستور) معربة، وتعني الامر السلطاني بالموافقة واعطاء الاذن (دهستردان)

٥٨٤ هـ

سنة اربع وثمانين وخمس مائة

فيها جهز الخليفة^(١) ابن يونس^(٢)، وكان قد استوزره الى همذان^(٣)، فخرج نصف الليل ثامن عشر محرم، والقمر بربع المريخ، وسار في العساكر للقاء السلطان طغرل^(٤) على همذان، وكان طغرل^(٥) قد بعث الى الخليفة يطلب السلطنة، فاخرج الاموال، وجهز جيشاً عظيماً، وقدم عليهم ابن يونس، وكان من جملة الامراء طغريل^(٦) صاحب البصرة، وامير الحاج طاشتكين، فانفا من تقديم ابن يونس عليهما، فقال ابن يونس: والله لارمينهم في المهالك، وسار الى باب همذان، والتقوا هناك فقصر طغرل وطاشتكين، فكسرهم السلطان ومزقهم كل ممزق وقتلوا واسروا واخذوا الوزير ابن يونس، وكان محلوق الرأس، فاحضروه بين يدي السلطان فالبسه طرطوراً^(٧) احمر فيه جلاجل، وجعل يضحك عليه، ولم يصل الى بغداد من العسكر الا القليل تقطعوا في الجبال، وماتوا عطشاً [٢١-أ] وجوعاً،

(١) كان الخليفة هو الناصر لدين الله. ابن الاثير، الكامل، ٢٤/١٢.

(٢) هو جلال الدين عبيدالله بن يونس. ابن الاثير، الكامل، ٢٤/١٢.

(٣) همذان: اكبر مدن الجبال. ياقوت، معجم البلدان، ٤١٠/٥.

(٤) في الاصل (طغريل) والتصحيح من: ابن الاثير، الكامل، ٢٤/١٢.

(٥) هو السلطان طغرل بن الب ارسلان بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي قتل سنة (٥٩٠هـ) بالقرب من الري. ابن الاثير، الكامل، ١٠٧/١٢ - ١٠٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٤٤/٨ - ٤٤٥، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٥، ابن الوردي، تممة المختصر، ١٥٨/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/١٣، ابن تغري بدي، النجوم الزاهرة، ١٣٤/٦ - ١٣٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٠١/٤.

(٦) في الاصل (طغرل).

(٧) طرطور، القلنسوة الدقيقة الطويلة. اليافعي، مرآة الجنان، ٣٤٠/٢، هامش (١).

وكانت هذه الواقعة من جنس واقعة المسترشد^(١)، اخذت خزائن الخليفة وخيله وممالكيه، واستوزر الخليفة سعيد بن جديدة.

وفيها نزل السلطان على كوكب^(٢)، فراها تحتاج الى قتال ومصابرة، فوكل بها صارم الدين قايمز النجمي، ووكل بصفد طغريل النجمدار، وبعث الى الكرك والشوبك (كوجيا)^(٣) صهر السلطان، وكانت هذه الحصون الاربعة احسن القلاع، ومسالكتها صعبة، فرأى مطاولتها، وقطع المواد عنها.

ورحل السلطان، ودخل دمشق سادس ربيع الاول فبلغه أن الفرنج قصدوا جبيل واغتالوها، فخرج منزعجا حال ما بلغه ذلك، وكان قد سير يستدعي العساكر من سائر الجهات، فلما بلغ الفرنج ذلك كفو عن جبيل، وكان بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار وعسكر الموصل، ومظفر الدين ابن زين الدين الى حلب، فسار الى حصن الاكراد^(٤) نحو الساحل الفوقاني، فنزل على تل قبالة حصن الاكراد وحاصرها، فما رأى الوقت يحتمل حصارها، واجتمعت العساكر من الجوانب، واغاروا على بلد طرابلس.

ولما كان يوم الجمعة رابع جمادي الاول، رتب الاطلاب^(٥)، ورحل على تعبئة اللقاء، وسارت الميمنة أولاً مقدمها عماد الدين زنكي، والقلب في الوسط، والميسرة في الاخر مقدمها مظفرالدين بن زين الدين، وسار الثقل^(٦) في وسط العسكر [٢١-ب].

(١) كان ذلك سنة (٥٢٩هـ) عندما خرج الخليفة المسترشد الى حرب السلطان مسعود ابن السلطان محمد السلجوقي، وكان قسم من عسكر الخليفة وامراه قد انضموا الى السلطان في السر وخنونه، وكانت النتيجة ان انهزم عسكره عند المواجهة، واخذ الخليفة وجمع كثير من اصحابه مثل الوزير وقاضي القضاة وصاحب المخزن أسرى. ابن الاثير، الكامل، ٢٤/١١-٢٦.

(٢) كوكب: قلعة حصينة على الجبل المطل على مدينة طبرية، تشرف على الاردن.

(٣) هو الامير سعدالدين كمشبه الاسدي- الاصفهاني، البرق الشامي، ص ٢٠٤، ابو شامة، الروضتين، ٢٨/٤.

(٤) حصن الاكراد: حصن منيع على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان، ويقع بين بعلبك وحمص. ياقوت، معجم البلدان، ٢/٢٦٤.

(٥) الاطلاب: جمع طلب، وهو لفظ كوردي معناه الامير الذي يقود مائتي فارس في ميدان القتال، ويطلق كذلك على قائد المائة او السبعين، واستخدم هذا اللفظ لأول مرة في مصر وبلاد الشام في عهد السلطان صلاح الدين، ثم عدل مدلوله فأصبح يطلق على الكتيبة من الجيش. المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٤٨، هامش (٢).

(٦) الثقل: المتاع، والشيء النفيس الخطير، كما يعني الثقل الحمل الثقيل. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٩٨.

ذكر فتح انطرسوس^(١)

وكان نزوله عليها يوم الاحد سادس جمادي الاول، وركب وامر الناس بالزحف، فاشتد عليها القتال والزحف، فلم تتم نصب الخيم حتى صعد الناس السور^(٢) واخذها عنوة، وغنم الناس جميع ما بها ومن بها، وعاد السلطان الى المخيم فرحاً مسروراً، وكان بها برجين حصينين لاترام، فرتب عليهما الزحف، وسلم احدهما الى مظفرالدين بن زين الدين، فما زال يزحف عليه حتى اخربه، واخذ ما فيه، وخرّب سور انطرسوس والبيعة، وهي بيعة عظيمة يحجوا اليها، وترك البرج الثاني لانه كان منيع، لم يرى الاشتغال به.

ذكر فتوح جبلة^(٣)

نزل عليها يوم الجمعة، ولم يستتم نزول العسكر، حتى اخذ البلد، وكان فيه مسلمون مقيمون وقاضي يحكم بينهم، وبقيت القلعة ممتنعة، فقاتل من فيها قتالاً عظيماً، فلما عجزوا عن حفظها طلبوا الامان، فأمنهم وسلموها اليه تاسع عشر جمادي الاول.

ذكر فتح اللاذقية^(٤)

ورحل عن جبلة وسار الى اللاذقية، فنزل عليها رابع عشر جمادي(الاولى)^(٥)، وهي بلد مليح خفيف على القلب، غير مسور وله ميناء مشهور، وله قلعتان متصلتان على تل يشرف [٢٢- أ] على البلد، فاشتد القتال والزحف على القلعتين وارتفعت الاصوات بالضجيج والتهليل والتكبير، ولم يزل الزحف مستمر حتى ملكوا البلد وغنموا الناس

(١) انطرسوس، بلد يقع على ساحل بحر الشام، وهي اخر اعمال دمشق من البلاد الساحلية، واول اعمال حمص. ياقوت، معجم البلدان، ٢/٢٧٠.

(٢) في الاصل(الصور).

(٣) جبلة: قلعة مشهورة بساحل الشام من اعمال حلب قرب اللاذقية. ياقوت، معجم البلدان، ٢/١٠٥.

(٤) اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام، وتقع غربي جبلة، بينهما ستة فراسخ، ياقوت، معجم البلدان، ٥/٥.

(٥) ما بين الحاصرتين غير موجود في(الاصل)، والاضافة من النوادر، ص ٨٩، ابن الاثير، الكامل، ٩/١٢.

الشيء الكثير، وبقي القلعتان الى يوم الجمعة والزحف متصل والقتال يعمل، فاخذوا النقب من شمالي القلاع، فلما رأى اعداء الله ما حل بهم طلبوا الامان، وطلبوا قاضي جبلة يقرر حالهم فاجيبوا الى ذلك، وكان رحمه الله متى طلب منه الامان لا يبخل، فاستقر الحال على انهم يطلقوا بانفسهم واموالهم وذرياتهم، خلا الغلال والالات السلاح، فاجيبوا الى ذلك، واطلق لهم دواب يركبونها الى مأمئهم.

ذكر فتح صهيون^(١)

وسار بعساكره ونزل على صهيون يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة، واستدار العسكر بها من ساير نواحيها، ونصب عليها ست مجانيق، وهي قلعة حصينة منيعة، وخذقتها اودية هائلة واسعة، ولها ثلاث اسوار، واشتد القتال عليها من سائر الجوانب، فضربها منجنيق ولده الملك الظاهر حتى هدم من السور قطعة عظيمة، وبكر صباح يوم الجمعة، ونادى بالناس الزحف فزحف، وارتفعت الاصوات فما كان الاساعة، حتى رقى المسلمون على اسوار الربط، وانضم من كان في الربط الى القلعة، فلما عاينوا الهلاك [٢٢- ب] استغاثوا وطلبوا الامان، فبذل لهم الامان وانفصل الحال، ان يؤخذ من الرجل عشر دنانير ومن المرأة خمسة ومن الصغير ديناران، وتسلم القلعة واقام السلطان عليها حتى تسلم عدة قلاع.

ذكر فتح بكاس^(٢)

ونزل على بكاس يوم الثلاثاء سادس جمادي الآخرة، ونصب عليها المجانيق وتقدم اليها الرجال للزحف الى يوم الجمعة تاسع جمادي الآخرة، يسر الله فتحها عنوة، وأسر من فيها، وكان لها قلعة منيعة يقال لها الشجر^(٣)، يعبر اليها بجسر، وهي في غاية من المنعة،

(١) صهيون: حصن حصين، من اعمال سواحل بحر الشام ولكنه لا يشرف على البحر، من اعمال حمص. ياقوت، معجم البلدان، ٤٣٦/٣.

(٢) بكاس: قلعة من نواحي حلب، على شاطئ العاصي. ياقوت، معجم البلدان، ٤٧٤/١.

(٣) الشجر: قلعة حصينة بالقرب من بكاس، تقع بين انطاكية وأفامية على قريب منتصف الطريق بينهما. ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٦١.

ليس لها طرق فتسلطت عليها المنجنيقات من كل جانب، فأروا ان ليس لهم ناصر ففتحها
سادس عشر، وسير ولده الملك الظاهر الى قلعة سرمانية^(١) سابع عشر، فقاتلها وضايقها
وتسلمها يوم الجمعة.

ذكر فتح برزية^(٢)

وسار السلطان جريدة^(٣) الى حصن برزية، وهي قلعة حصينة، غاية القوة على سن
جبل شاهق، تحيط بها اودية من سائر جوانبها، وذرعوا علو قلعتها فكانت خمس مائة
وسبعون ذراعاً^(٤) فطلب العساكر واحدق بها وركب القتال عليها من كل جانب، وضرب
اسوارها بالمنجنيقات ليلاً ونهاراً، وقسم العساكر ثلاث اقسام، كل فريق يقاتل شطراً من
النهار بحيث لا يفتقر القتال، فجاءت نوبة السلطان بنفسه، فركب وتحرك خطوات عدة،
وصاح في الناس فحملوا عليها وقصدوا السور من كل جانب، فلم يكن الاساعة حتى رقي
الناس على الاسوار وهجموا القلعة واخذت [٢٣- أ] عنوة، فنهب جميع ما فيها واسر جميع
من فيها، واحضر السلطان بين يديه صاحب القلعة، وكان رجلاً كبيراً، وكان هو واهله
سبع عشر نفر، فمّن عليهم السلطان وسيرهم الى صاحب انطاكية^(٥)، فانهم كانوا اهله
ومتعلقين به فاستماله بذلك.

(١) سرمانية: بلدة مشهورة من اعمال حلب، ياقوت، معجم البلدان، ٢١٥/٣.

(٢) برزية: حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق. ياقوت، معجم البلدان، ٣٨٣/١.

(٣) جريدة: خيل لا رجالة فيها. المعجم الوسيط، ١١٦/١. غير ان المقصود من هذه العبارة كما
ورد لدى المؤرخين، سير السلطان على وجه السرعة، دون ان يأخذ معه اتقلاً او حشداً.
المقريزي، السلوك، ج ١، ق ١، هامش (٨) ص ١٠٦.

(٤) الذراع: اليد من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطي، ومقياس اشهر انواعه الذراع الهاشمية
وتساوي ٦٤ سم. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٣١١.

(٥) انطاكية: قسبة العواصم من الثغور الشامية، بينها وبين حلب يوم وليلة. ياقوت، معجم البلدان،
٢٦٦/١.

فتح درب ساك^(١)

ونزل درب ساك يوم الجمعة ثامن رجب فقاتلها قتالاً شديداً بالمنجنيقات والزحف، وضايقها واخذ النقب تحت برج الثغرة، فطلبوا الامان، فأمنهم وملكها يوم الجمعة، واعطاها علم الدين سليمان بن جندر.

فتح بغراس^(٢)

وهي قلعة منيعة قريبة من انطاكية، فنزل على مرجها، واقام من جهة انطاكية يزك^(٣) وقاتلها مقاتلة شديدة حتى طلبوا الامان، وركي العلم السلطاني عليها في ثاني شعبان، وراسله اهل انطاكية وطلبوا الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر، وقوة قلق عماد الدين صاحب سنجار، وعقد الصلح مع صاحب انطاكية على ان يطلقوا جميع الاسرى المسلمين الذين عندهم، ثم رحل رحمه الله يطلب دمشق فاعترضه ابن اخيه الملك المظفر تقي الدين عمر واصعده الى قلعة حماة، وعمل له طعاماً حسناً، واحضر له سماع الصوفية، وبات بها ليلة واحدة، فاعطاه جبلة و(الاذقية)^(٤)، ثم اتى الى يعليك وسار منها حتى وصل دمشق قبل دخول رمضان بايام يسيرة، ولم يرى ان يبطل الجهاد [٢٤-ب].

وسار في اوائل رمضان من دمشق يريد صفد فنزل عليها في اثناء شهر رمضان، واحدق بها العسكر، ونصب المجانيق، قال القاضي بهاء الدين بن شداد: كنت ليلة في خدمته بصفد، وقد عين مواضع لخمسة مجانيق تنصب، فقال في تلك الليلة: ماننام حتى تنصب الخمسة، وسلم كل منجنيق الى قوم، ورسلمهم تتواتر ويخبرونه بما فعلوا وهو

(١) درب ساك: قلعة يمر فيها النهر الاسود، وتقع في شمال شرقي بغراس، بينهما نحو عشرة اميال. تقويم البلدان، ص ٢٦١.

(٢) بغراس: مدينة في لحف جبل اللكام، بينها وبين انطاكية اربعة فراسخ، على يمين القاصد الى انطاكية من حلب، في البلاد المطلة على نواحي طرسوس. ياقوت، معجم البلدان، ٤٦٧/١.

(٣) اليزك: لفظ فارسي معناه طلائع الجيش. المعجم الذهبي، ص ٦١٩. وهم جماعة الاستكشاف التي ترسل الى جبهة العدو قبل توجه الجيش اليها، ومهمة اليزك كانت جزءاً من نظام الاستخبارات، وايصال المعلومات المستجدة الى قيادة الجيش بالسرعة الممكنة. حسين، الجيش الايوبي، ص ٧٧-١٨٠.

(٤) في الاصل (الاذقية).

يعرفهم كيف يصنعون حتى اطلنا الصباح ونجن في خدمته، وقد فرغت المنجنيقات ولم يبق الا تركيب خنازيرها^(١)، فبشرته بالحديث النبوي في الصحاح " عينان لايمسهما النار، عين باتت تحرس في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله"^(٢)، ولم يزل الزحف متصلاً بالنوبة حتى سلمت بالامان في رابع عشر شوال.

فتح كوكب

ثم سار يريد كوكب، فنزل على سطح الجبل وجرده العساكر، واحدق بالقلعة وضايقتها بالكلية، بحيث اتخذ له موضعاً تتجاوزه نشاط العدو، وبنى له حائطاً من حجر وطين يستر وراءه، فلم يزل مجدداً في جهاده عليها حتى وجد مكان للنقب، فلما احس العدو المخدول بالنقب، وقد تمكن من السور علم انه مأخوذ، فطلب الامان فأجابهم السلطان الى ذلك، وتسلمها في منتصف ذي العقدة، فاعطى العساكر دستوراً وسار مع اخيه الملك العادل يريد القدس، ليزور ويودع اخاه فإنه كان عائداً الى مصر، وسار مع اخيه الى عسقلان، [٢٤-١] فنظر في احوالها، وودع اخاه الملك العادل، واعطاه الكرك واخذ منه عسقلان، وعاد نحو عكا.

وفي شوال وصل وزير الخليفة ابن يونس الى بغداد من كسرة السلطان(طغرل)^(٣)، وكان الخليفة قد كتب الى بكتمر صاحب خلاط ليطلبه من(طغرل)، وكان قزلباغو البهلوان قد حشد وجمع والتقى(طغرل) على همدان، فانهزم(طغرل) الى خلاط ومعه ابن يونس، فانكر عليه بكتمر ما فعل بالوزير وعسكر الخليفة، فقال هم بدوني وبغوا علي، والبادي اظلم، فقال له: اطلق الوزير، فلم يمكنه مخالفته، فاطلقه فبعث اليه بكتمر الخيل والبغال والماليك والخدم، فرد الجميع واخذ بغلين ببردعتين^(٤)، فركب هو واحد،

(١) الخنازير، مفردا الخنزيرة، وهي المنصة العليا التي تدخل فيها عوارض المنجنيق، موسوعة الاسحلة القديمة، هامش(٧) ص ١٦٦، وللزيادة عنها انظر، المصدر نفسه، ص ١٦٦-١٦٩.

(٢) انظر: النوادر، ص ٩٥.

(٣) ورد ما بين الحاصرتين في الاصل بصيغة(طغرل)، والتصحيح من: ابن الاثير، الكامل، ١١/٥٦٠.

(٤) البردعة: ما يوضع على الحمار او البغل ليركب عليه، كالسرج للفرس. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٤٨/١.

وغلامه واحد، ولبس الطربوش^(١) كأنه صوفي، ووصل الى الموصل مع قافلة، وعلم به صاحب الموصل، ففعل معه كما فعل بكتمر، فلم يأخذ شيئاً، وقال: اريد سفينة فاعطاه سفينة، فنزل فيها الى بغداد، وصعد الى منزله ولم يشعر به احد، وعلم الخليفة فأنكر على الوزير بن جديدة.

وفي رمضان تسلم السلطان الملك الناصر صلاح الدين حصن الكرك، قال العماد الكاتب: وتسلمنا حصن الكرك وكان صاحبه يحدث نفسه بقصد الحجاز، وقد نصب اشراك اشراكه منه على طرق الاجتياز، فاذقناه عام اول كاس الحمام وملكننا حصنه الذي كان يعتصم به في هذا العام، وتم بأخذ [٢٤-ب] هذا الحصن أمن البيت الحرام.

[وفاة] مجد الدين مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ^(٢)

الكناني ولد بشيزر سنة ثمان وثمانين واربعمائة، وكانت له اليد البيضاء في الادب والكتابة والشعر، وكان غزير العقل كثير الفضل حسن التدبير مليح التصانيف^(٣)، وكان يحفظ عشرين الف بيت من شعر الجاهلية، وقدم الى بغداد في ايام المسترشد عند محاربتة صدقة بن ديبس^(٤) ولم يعر الى الجانب الشرقي، وخرج الى مصر فاقام بها، ثم عاد الى حماة فسكنها، وذكره العماد الكاتب في البرق الشامي والخريدة، فقال في البرق الشامي: كان من الامراء القضلاء، ومتعه الله بطول البقاء، وهو من المعدودين في شجعان الشام فرسان الاسلام.

(١) الطربوش: غطاء للرأس يصنع من نسيج صفيق من صوف او نحو، وقد تلف عليه العمامة. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٥٥٣/٢.

(٢) ورد ترجمته لدى: " الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر " قسم شعراء الشام، ٤٩٨/١-٥٤٧، ياقوت، معجم الادباء، ١٨٨/٥-٢٤٥، ابو شامة، الروضتين، ٣٥/٤، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦٥/٢١-١٦٦.

(٣) ومن تصانيفه، " ازهار الانهار"، " البديع في علم البلاغة"، " التجاير المربحة والمساعي المنجحة"، " ديوان شعره"، " كتاب الاعتبار". كشف الظنون، ١٦٢/٥.

(٤) كان ذلك في سنة (٥٢٩هـ). ابن الاثير، الكامل، ٢٤/١١-٢٥. انظر ترجمته لدى: ابن حلکان، وفيات الاعيان، ٤٢٢/١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٥٦/٥، ابن العماد: شذرات الذهب، ٩٠/٤-٩١.

واما في الخريدة فقال: الامير مؤيد الدولة أسامة كاسمه، في قوة نثره ونظمه، لزم طريق السلامة و سكب سبل الملامة، انتقل الى مصر في ايام الصالح بن رزيك^(١) ثم عاد الى الشام، ومضى الى حصن كيفا فاقام الى ان ملك صلاح الدين دمشق، وكان ولده عضد الدولة مرهف جليس صلاح الدين ونليمه، فسأله السلطان عنه قال: هو بحصن كيفا فاستدعاه السلطان الى دمشق، فأقام عنده وكان قد جاوز ثمانين سنة، ثم انتقل الى حماة فتوفي بها وقد جاوز ستة وتسعين سنة، وله ديوان شعر مشهور، وكان صلاح الدين مقرئ لشعره يطالع ديوانه دائما، قال العماد: وما كان يستحسن من شعره [٢٥- ١].

يا مدعي الصبر عن احبابه وله	ومع اذا عن ذكراهم يكذبه
خلقت قلبك في ارض الشام وقد	اضحت في مصر مفروز تطلبه
هلا غداة النوى استصعبته	واذا اختار القام فهلا كنت تصحبه
افردته بالاسى في دار غربته	وعدت لاعدت تبكيه وتنديه
هيهات قد جافت الايام بينكما	فجر تفسك عما فات مطلبه

وله^(٢) في قلع ضرس

وصاحب لا امل الدهر صحبته	يشقى لنفسي ويسعى سعي مجتهد
لم القه مذ تصاحبنا فمذ نظرت	عيني اليه افترقنا فرقة الأبد

وله:

قالو نهته الاربعون عن الصبي	واخو الشيب عار لمن يهتدي
كم حار في ليل الشباب قدله	صيح المشيب على الطريق الارشد

(١) هو ابو الغارات طلائع بن رزيك الملقب الملك الصالح وزير مصر قتل سنة (٥٥٦). ترجمته لدى: الاصفهاني، خريدة القصر (قسم مصر)، ١/ ١٧٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/ ٢٣٧-٢٣٨، ابو شامة، ١/ ٣٤٥، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/ ٤٣٧-٤٣٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ٢٦١-٢٦٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٩-٣٦٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/ ١٧٧.

(٢) من شعر احمد بن منير بن احمد الطرابلسي نسبة الى طرابلس الشام (ت ٥٤٨ هـ).

وقال في مجبوس:

حبسوك والطير النواطق انما
وتهيبوك وانت مؤذع سجنهم
ما الحبس داز مهانة لذوي
الضلى لكته كالكيد للاسياد
خبست لميزتها على الانداد
وكذى السيوف تهاب في الأضداد

وقال في نور الدين زنكي

سلطاننا زاهد والناس قد زهدو
أيامه مثل شهر الصوم طاهرة
له فكل على الخيرات منكمش
من المعاصي وفيها الجوع والعطش

قال وانشدني ولده مرهف بالقاهرة [٢٥-ب]

وما زالت الايام توعدني النى
فلما تلاقينا افترقنا فليتنا
بلقياك حتى ترجت لي وعودها
بقينا على الحال التي لا نريدها

وله يمدح صلاح الدين وهي لجد الدولة اسامة

لا زلت يا ملك الاسلام في نعم
تردي الاعادي وتستصفي ممالكهم
أعدت للدهر ايام الشباب وقد
وجاد عيث المسلمين فمن
وسرت سيرة عدل في الايام كما
فثق بنصر على الكفار انهم
ثناهم اذ راؤ اقبال ملكهم
وما الفرار بمنجيهم وخلفهم من
وسوف تعضو غدا منهم بصارمه
قضى بتفضيله عمن تقدمه
عدل به امن السننا المهلب
وجود كفا اذا انهلت يفرق
قربنها السعدان النصر والظفر
وعونك الماضيان السيف والقدز
أظلمه المهрман الشيب والكبر
سحابه الفنيان الدر والبرز
قضى به الصادقان الشرع والسور
يرديهم المهلكان القدر والاشر
اليهم المزعجان الخوف والغور
بأسه المدركان السمر والبتر
وجيشه المخيران الفنى والأثر
ما استودع الحبران الكتب والسير
ان يرذعة الضاريات الذئب والنمر
في تيارها الزاخران البحر والمطر

مكارم جمعت فيه توافق في
فأسلم وعش وأبق للاسلام ما جرت
تفضيلها الاكرمان الخير والخير
الأفلاك والنيران الشمس والقمر

وقال في الوداع

يا عين في ساعة التوديع يشغلك
خذي بحظك منهم بينهم ثم
البكا عن آخر التسليم والنظر
اجهدي بعدهم في الدمع والسهر

قلت واحسن من هذا دوبيتي [٢٦- أ]

عيني ذرفت مرة بالجمع
دع عينك ترتاح الينا طرباً
قالو تبكي ما في البكا من نفع
ماذار من يشغلها بالدمع

وكان لما فارق مصر (قد تأسف)^(١) على فراقه الصالح بن رزيك، وكان يحبه وراسله
الصالح على ان يعود الى مصر، فلم يجبه، وكتب اليه يطلب ان يجهز اهله الى الشام:
أجيزة القلب والفسطاط دارهم
فارقتكم مكرها والقلب يخبرني
ولو تعوضت بالدنيا غبنت وهل
ولست أنكر ما ياتي الزمان به
ولا اسفت لأمر فأت مطليه
لم يصعب الدار ولكن اصعب الكلف
ان ليس لي عوض عنكم ولا خلف
يغوضني عن نفيس الجواهر الصدف
كل الوري لرزايا دهرهم هتف
لكن لفرقة من فارقته الأسف

فكتب اليه الصالح بن رزيك الجواب

أدائك الغر ما له طرف
يقول لما اتانا ما بعثت به
اذا ذكرناك مجد الدين عاودنا
فعمل الينا بأمال محققة
كفى اغتراباً فعجل بالإياب لنا
في كل سمع بدا من حسنه طرف
هذا كتاب أتى ام روضة أنف
شوق يجرد منه الوجد والاسف
وكف غرب دموع دمعته كلف
فعنك لا عوض تلقى ولا خلف

(١) ما بين الحاصرتين تكرر في الاصل.

٥٨٥ هـ

سنة خمس وثمانين وخمس مائة

فيها اعيد جلال الدين بن يونس الذي كسره طغرل الى الوزارة وعزل بن جديدة. وفيها تسلم نواب الخليفة قلعة تكريت، وكان قد حصرها العسكر مدة ومات صاحبها الامير فخرالدين عيسى بن مودود^(١)، وولى مكانه اخوه ارعش فقتله [٢٦-ب] اخوته، وسبب قتلهم انه كان قد استولد مغنية فكانت تستطيل على اخوته، وتهينهم، وكان ارعش قد مال الى الخليفة، فاتهموه بقتل فخرالدين عيسى فقتلوه وقتلوا المغنية، وولوا اخاهم هارون بن مودود، (فسأت) الاحدوثة عنهم فجهز الخليفة اليهم العساكر، وخاف اهل البلد من النهب، فعلم اولاد مودود ان لا طاقة لهم بمحاربة الخليفة، فارسلوا قاضي تكريت تاج الدين يحيى الى بغداد، فقرر أمرهم وافرد لهم دور ببغداد وكانوا جماعة. وفيها رتب السلطان بهاء الدين قراقوش^(٢) واليا لعكا، وامره بعمارة السور ومعه حسام الدين بشارة، وسار السلطان الى دمشق في صفر.

(١) هو ابو المنصور عيسى بن مودود بن علي بن عبدالمملك بن شعيب، الملقب فخرالدين حاكم تكريت. وقد وردت اخباره وترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٤٧٦/١١ - ٤٧٧ - ٤٢/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٠٤/٨، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٣٧/٢ - ٢٣٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٤/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٧٦/٦ - ١٧٨، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٣١/٤ - ٣٣٢.

(٢) هو ابو سعيد قراقوش بن عبدالله الاسدي، الملقب بهاء الدين كان خادماً صلاح الدين وقيل خادماً اسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين فأعتقه، كان من كبار كتاب امراء الدولة الصلاحية تسلم القصر عندما توفي الخليفة الفاطمي العاضد، وعمر سور القاهرة، وبنى قلعة الجبل في القاهرة، وكلفه السلطان بعمارة عكا، توفي سنة (٥٩٧هـ) عنه انظر: الاصفهاني، البرق الشامي، ص ص ٢٠٩، ٢٧٦، ٣٧١، ٤٦٠، ٥١٤، ٦١٤، ٦٢٠، ابن الاثير، الكامل، ٣٤٦/١١، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٨٩، ٤٦٧، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٤، ٤٦/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٠٤/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٤/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٣١/٤ - ٣٣٢.

وفيها ولي السلطان دمشق لبدر الدين مودود اخى الملك العادل لامه شحنية دمشق.
وفي ربيع الاول خرج السلطان من دمشق الى شقيف ارنون^(١)، فنزل بمرج فلوس^(٢)،
ثم رحل الى بانياس^(٣) وسار الى مرج عيون، وكان صاحب الشقيف رجل من دهاة الفرنج،
فما حسنا به الا وهو قائم على باب خيمة السلطان، وكان قد وقف على كتب المسلمين
وقرأ التواريخ والسير، وكانت له صيدا، فاكرمه السلطان واحترمه، فسأل السلطان ان يمهله
عليه ثلاثة اشهر لينقل ماله واهله الى صور، وكان ينزل كل وقت ويأكل مع السلطان،
فلما انقضت الاشهر طالبه بتسليم الحصن، فقال: ان اهل الحصن قد عصوني [٢٧-أ]،
فقيده وبعث به الى دمشق.

وفي ربيع الاول وصل الخير بتسلم الشوبك، وكان قد اقام السلطان عليه جمعا عظيما
يحاصرونه مدة سنة، حتى فرغت ازوادهم وسلموه.

وفيها كانت الوقعة على صور، قتل فيها الفرزة الذين جاءوا من الشرق وسببها ان
الفرنج كانوا قد اجتمعوا الى صور، ولما كان سابع عشر جمادي الاول، بلغ السلطان ان
الفرنج قد قطعوا الجسر الفاصل بين ارض صيدا وصور، فركب السلطان رحمه الله،
وصاح الشاويش^(٤) فركب العسكر، ووصلوا الى الوقعة وقد انفصلت، وذلك ان الفرنج عبر
منهم جماعة الجسر فنهض اليهم اليك الاسلامي فقاتلهم قتالاً شديداً وقتلوا منهم
خلفاً كثيراً، ونصر الله المسلمين، ولم يقتل من المسلمين الا مملوك للسلطان يعرف بابيك
الآخرس، وحزن السلطان عليه لشجاعته، واقام السلطان في خيمة كان ضريها جريدة

(١) شقيف ارنون، قلعة حصينة جداً في الجبل قرب بانياس، وهي من اعمال دمشق، بينها وبين
الساحل. ياقوت، معجم البلدان، ٣/٣٥٦.

(٢) مرج فلوس: موضع بين دمشق وشقيف ارنون، وتبعد عن دمشق مسيرة اقل من يوم. ابن شداد،
البرادر، ص ٩٧.

(٣) بانياس: بلدة صغيرة على مرحلة ونصف من دمشق باتجاه الجنوب الغربي، في لطف جبل الثلج.
ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٤٩.

(٤) الشاويش: او الجاويش او الشاويش او الجاوش؛ لفظ تركي يعني جندي من رتبة بسيطة يكلفه
مخدومه بحمل الرسائل وتبليغها. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٨ هامش (٢)،
ومهمته في الجيش الايوبي بالاضافة الى ماتقدم، النداء واستنفار الجند للقتال، وشجذ الفمم،
وكان موضعه قريبا من السلطان، ويبلغ اوامره الى الجيش بصوت عال، حسين، الجيش الايوبي،
ص ١٥٦.

قريب الواقعة الى تاسع عشرين جمادي الاول، وركب يشرف على القوم، فتبعه رجال كثيرة وغزاة كانوا وصلوا من الشرق والسوقة^(١)، وحرص في ردهم فلم يفعلوا ثم هجم الرحالة الى الجسر، وناوشوا العدو، وعبر منهم جماعة وجرى بينهم قتال شديد، واجتمع لهم من الفرنج خلق عظيم، ولم يشعرون فحملوا عليهم حملة واحدة، وكان السلطان بعيداً منهم، ولم يكن معه عسكر، فبعث اليهم من كان معه ليردهم، فوجد الامر قد فرط، والفرنج قد تكاثروا وظفروا [٢٧-ب] بالرجالة وقتلوا معظمهم، وقتل غازي بن مسعود بن البصار وكان شاباً جميلاً، وبعث الفرنج برؤس القتلى الى الجزائر، وقالوا: ايش قعودكم فهذه رؤس ملوك المسلمين.

وفي ثاني عشر رجب نزلت الفرنج على عكا، ساروا من صور على طريق الناقورة^(٢) والاسكندرونة^(٣) على الساحل، وسار السلطان يقابلهم في البر فسبقوه اليها ونزلوا حولها من البحر الى البحر، ونزل السلطان على تل كيسان^(٤) وكتب الى ملوك الاسلام يستنجدهم، فاول من وصل اليه الملك المظفر تقي الدين صاحب حماة، ثم مظفر الدين ابن زين الدين بعساكر الشرق، ثم عسكر مصر، فزحف عليهم مستهل شعبان وضايقهم، فانضم بعضهم الى بعض فحلا جانب من سور عكا، فدخلها المسلمون بالعدد والدخائر، ودخلها السلطان وصعد على السور فرى خلقاً عظيماً، فجرد بها الامير حسام الدين ابي الهيجاء السمين الزكشي ومن معه واقاربه وكانوا زايد عن الف وخمس مائة فارس، واشحنها بالرجالة والمقاتلة والالات والدخائر والعدد والخزائن، وجعل ابا الهيجاء السمين نائب السلطنة بها ومقدم عساكرها ويرجع امورها اليه، وجرد جماعة من المماليك والاتراك بها ايضاً.

(١) السوقة: الرعية، واوساط الناس. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٤٦٥/١.

(٢) الناقورة: قرية ساحلية في لبنان على الحدود بين لبنان وفلسطين، الاصفهاني، البرق الشامي، ص ١٧٦، هامش(٣).

(٣) الاسكندرونة: مدينة على ساحل بحر الشام بالقرب من انطاكية، بينها وبين بغراس اقل من مرحلة. ابر القدا، تقويم البلدان، ص ٢٥٥.

(٤) تل كيسان: موضع في مرج عكا من سواحل الشام. ياقوت، معجم البلدان، ٤٣/٢.

فلما كان حادي عشرين شعبان، خرج الفرنج بالفارس والراجل، وكان في ميمنة السلطان تقي الدين صاحب حماة، فترفع عنهم قليلاً قليلاً، وامتد عساكر الفرنج [٢٨- أ] على التلول، وساروا الهويينا غير خارجين عن راجلهم، والرجالة حولهم كالسور النبي يتلو بعضهم بعضاً حتى قاربوا خيام اليزك، فلما رأى المسلمون اقدام العدو عليهم تداعت الشجعان، وصاح السلطان بالعساكر الاسلامية(باللاسلاام) فركب الناس باجمعهم وحملوا حملة الرجل الواحد، فعاد العدو ناكصاً على عقبه يشددون هزيمة بحيث تعثر جريحهم في قتلهم، وانكفوا عن القتال اياماً، واستمر الطريق الى عكا، فرأى السلطان توسيع الدائرة عليهم لعلهم يخرجون، فنقل الثقل الى تل العياضية^(١)، وفي هذه المنزلة توفي الامير(حسام)^(٢) الدين طمان^(٣)، وكان من شجعان المسلمين.

وفي يوم السبت وقع بين العدو وبين اهل البلد حرب عظيم، قتل فيه جمع كبير من الطائفتين، وطال الامر بين الفتتين، ولم يخل يوم من القتلى والجرحى، ثم انس البعض الى البعض، بحيث ان الطائفتين كانا يتحدثان ويتركان القتال، وربما غنى البعض ورقص البعض لطول المعاشرة، ثم يعودون الى القتال.

نادرة في هذه الواقعة

وذلك انه كان الرجال من الطائفتين قد سئموا القتال، فقالوا: الى كم يتقاتل الكبار، وليس للصغار حظ، نريد ان يقرع صبي منا وصبي منكم، فخرج صبيان من البلد الى صبيين من الفرنج، واشتد الحرب بين الصبيين، فوثب احد الصبيين المسلمين الى احد الصبيين الكافرين واحتضنه [٢٨- ب] (وضرب)^(٤) به الارض وقبضه اسيراً، وعزم لياخذه فاشتراه منه بعض الفرنج بدينارين، وقالوا: هذا اسيرك حقاً، فأخذ الدينارين واطلقه، وهذه من نوادر القتال.

(١) تل العياضية: وهو تل مشرف على عكا. ابن شداد، النوادر، ص ١٠٨.

(٢) في الاصل(شجاع)، والتصحيح من: ابن شداد، النوادر، ص ١٠٨.

(٣) عنه انظر، ابن شداد، النوادر، ص ١٠٨، ابو شامة، الروضتين، ٣/٩٤ - ٦٤، المقرئزي، السلوك ج ١، ق ١، ص ١٠٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/١٠٩.

(٤) ما بين الحاصرتين تكرر في الاصل.

ووصل الفرنج مركب فيه خيل، فهرب منها فرس ووقع في البحر ومازال يسبح وهم حوله يردونه حتى دخل ميناء المسلمين.

ذكر المصاف الاعظم على عكا

وذلك انه لما كان يوم الاربعاء حادي عشرين شعبان، تحركت عساكر الفرنج حركة لم يكن لهم بمثلا عادة فارسهم وراجلهم وصغيرهم وكبيرهم، واصطفوا خارجا عن مخيمهم ميمنة وميسرة وقلبا، وفي القلب الملك وبين يديه الانجيل محمول مستور بثوب اطلس مغطى، يمسك اطرافه اربعة انفس، وهم يسرون بين يدي الملك، وملكو رؤوس التلال وكان طرفي ميمنتهم الى النهر، وطرف ميسرتهم الى البحر، فركب السلطان وطلب الاطلاب، وكل طلب قبالة خيامه لانه رحمه الله كان قد رتب نزول الناس في الخيم، ميمنة وميسرة وقلبا، تعبئة الحرب حتى اذا وقعت صيحة لايحتاجون الى تجديد ترتيب. وكان السلطان في القلب، وفي ميمنة القلب ولده الملك الافضل، ثم ولده الملك الضافر، ثم عسكر المواسلة مقدمهم ظهير الدين بن (البلنكري)^(١) ثم عسكر دياربكر مقدمهم قطب الدين^(٢) بن صاحب الحصن^(٣) ثم حسام الدين بن لاجين صاحب نابلس ثم قايمز النجمي^(٤)، وجموع عظيمة متصلة بطرف الميمنة [٢٩-أ]، وكان في طرفها الملك المظفر تقي الدين.

(١) ماين الحاصرتين ورد لدى: ابن شداد، النوادر، ص ١١٠ (البلندي)، وبصيغة (البلنكري) في الروضتين، ٥٢/٤ مفرج الكروب، ٢٩٥/٢.

(٢) هو قطب الدين بن نورالدين حاكم حصن كيفا. ابن شداد، النوادر، ص ١١٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٩٥/٢، هو قطب الدين سقمان (الثاني) بن محمد، الملك السعود (٥٨١-٥٩٧هـ). زاباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ص ٣٤٤.

(٣) الحصن: هي حصن كيفا.

(٤) هو الطواشي صارم الدين قايمز النجمي. عنه انظر: ابن شداد، النوادر، ص ١١٠، ابن الاثير، الكامل، ٥٣٠/١١، ٥٥٨، ٦/١٢، ٢٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٩٥/٢.

واما اوائل الميسرة فكان مماليي القلب، سيف الدين المشطوب والامير مجلي^(١) وجماعة المهرانية^(٢) والهكارية ومجاهد الدين يرناقش^(٣) مقدم عسكر سنجار، وجماعة من المماليك، ثم المماليك الاسدية^(٤) الذين يضرب بهم المثل كسيف الدين يازكج وورسلان بغا وغيرهما. ورأس الميسرة مظفر الدين ابن زين الدين بجحفظه وعسكره، وفي مقدمة القلب الفقيه عيسى، والسلطان يطوف على الاطلاب بنفسه ويحثهم على القتال، ولم يزل القوم يتقدمون، والمسلمون يتقدمون، حتى مضى في النهار اربع ساعات، فتحركت ميسرة العدو على ميمنة المسلمين، واخرج لهم الملك المظفر الجاليش، وجرى بينهم هلبات كثيرة، وتكاثروا على الملك المظفر، فتأخر يسيراً لعل يبعدون عن اصحابهم فينال منهم غرضاً، فلما رآه السلطان قد تأخر ظن انه ضعفا فأمدد باطلاب عدة من القلب حتى قوى جانبه، وتراجعت ميسرة العدو، واجتمعت على تل مشرف على البحر، فلما رأى الذين قبالة القلب ضعف القلب داخلهم الطمع، وتحركوا نحو ميمنة القلب، وحملوا حملة الرجل الواحد فارسهم وراجلهم، وجاءت الحملة على الدياربيكرية، وكان عندهم غرة من الحرب، فانكسروا كسرة عظيمة، وانكسر القلب والميمنة وتبع العدو المنهزمين الى العياضية، واستداروا حول التل ودخلوا المخيم، ونهبوا الاثقال والاموال والنسوق وعبروا [ب] الى خيمة السلطان، فقتلوا طشتداره^(٥) واسماعيل المكبس^(٦) وابن

(١) هو الامير مجلي بن مروان. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٣٠٩. ابن الاثير، الكامل، ٣٧/١٢، ابن شداد، النوادر، ص ١١٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/٢٩٩.

(٢) المهرانية: نسبة الى قبيلة كوردية معروفة.

(٣) هو مجاهد الدين يرناقش ابن طمان بن غازي كان مملوكاً لعماد الدين (الثاني) بن قطب الدين مودود حاكم سنجار الذي توفي سنة (٥٩٤هـ)، وقد اصبح مديراً لاناكينة ولده قطب الدين محمد بن زنكي. ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٣/٩٣، وللزيادة عنه: انظر: الهسنياني، سنجار من ٥٢١ - ٥٦٠هـ، ص ١١٥.

(٤) المماليك الاسدية: نسبة الى مؤسس هذه الفرقة اسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين.

(٥) طشتدار: هو احد العاملين في (الطشت خاناه) اي المكان الذي يحوى الطشت الذي تغسل فيه الايدي، والطشت الذي تغسل فيه الاقمشة، وكان الطشت خاناه يحوى ملابس السلطان وكذلك المقاعد والمخاد والسجاد الذي يصلى عليه السلطان. القلقشندي، صبح الاعشى، ١١٠/٤ - ١١٠.

(٦) هو اسماعيل الصوفي الارموي المكبس. ابو شامة، الروضتين، ٥٨/٤.

رواحه^(١) واما الميسرة فانها ثبتت لمثل هذا الهول العظيم، واجتمع الناس الى مظفر الدين بن زين الدين، فكان كما قيل:

وأثبت في مستنقع الخطب رجلة وقال لها من تحت اخمصك الحشر

وثبت الامراء الاسدية والمهرانية وسيف الدين المشطوب واجتمعوا الى مظفر الدين بن زين الدين، وكل منهم ناظر اليه ومعتمداً في هذا الموقف الهائل عليه وهو يتقدم الى العدو زحفاً فصدتهم صدمة فرق فيها شملهم طعناً بالرمح وضرباً بالصفاح.

واما السلطان فلم يبق معه سوى خمس نفر، وكان قد اوى الى تحت تل، وبلغ هزيمة المسكر الى الاقحوانة^(٢)، ومنهم من وصل الى دمشق وتبعوهم الفرنج، الى ان صعداوا الجبل فرجعوا، فلما رأوا مظفر الدين بن زين الدين والميسرة ظنوا انها مكيدة عليهم، فعادوا يطلبون عسكرهم والسيف يعمل فيهم.

وعاد السلطان وقد جمع اليه خلقاً كثيراً من ابطال المسلمين، وراى الفرنج قد ولوا ظهورهم، والميسرة ظاهرون عليهم فصاح السلطان في من اجتمع معه، وحملوا معونة لمظفر الدين والميسرة، فطرحوا منهم خلقاً عظيماً، وكان لسيف الدين المشطوب والماليك الاسدية في ذلك اليوم المقام المحمود، واشتد الطمع فيهم، وتكاثر الناس وراءهم حتى لحقوا اصحابهم منهزمين، والمسلمين وراءهم في عسكر عظيم، فاشتدوا في الهرب [٢٠-١] والهزيمة ولزمتهم الميسرة بالطعن والضرب في ظهورهم.

وعاد الملك المظفر في جمعه الى الميمنة وتحابا الرجال وتراجع الناس من كل جانب، وظل الناس في قتل وطرح وضرب وجرح الى ان ارتجع العسكر المنهزم وهجم المسلمون على العدو في الخيام، فخرج منهم اطلاب كان اعدوها خشية من هذا الامر مستريحة فردوا المسلمين.

(١) هو ابو علي الحسين بن عبدالله بن رواحة. ورد ترجمته لدى: ابو شامة، الروضتين، ٥٨/٤، ياقوت، معجم الادباء، ٤٦/١٠ - ٥٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٠٠/٢ - ٣٠٢، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٤١٣/١٢ - ٤١٦.

(٢) ورد في الاصل (القحوانة)، والتصحيح من: ابن الاثير، الكامل، ٥٣٣/١١، ياقوت، معجم البلدان، ٢٣٢/١ الخبلي، شفاء القلوب، ص ١٦١.

وكان التعب قد اخذ من الناس، فترجع الناس عنهم بعد صلاة العصر، يخوضون في القتلى فرحين مسرورين.

وعاد السلطان الى خيمته، وجلسوا يتذكرون من فقد منهم من الغلمان والمجهولين فكانوا مائة وخمسين نضر، ومن المعروفين الامير (عزالدين)^(١) مجلي (المهراني)^(٢)، فاعطا السلطان خبزه لولده عزالدين، وظهير الدين^(٣) اخو الفقيه عيسى، ولقد رأيت الفقيه عيسى وهو جالس يضحك والناس يعزونه،

واما العدو المخدول فكان القتلى منهم سبعة الف نضر، ولما عاد السلطان الى المخيم، ورأى ما تم على الناس من الهزيمة ونهب الغلمان اموالهم^(٤)، سارع بالكتب الى الاطراف برد المنهزمين، وتشذب من عسكر الاسلام خلق عظيم، لانه ما رجع الا من خاف على عرضه، والباقون ذهبوا في حال سبيلهم.

وعند انقضاء هذه الواقعة، رحل السلطان الى الخروبة^(٥) خشية على العسكر من اريخ القتلى، وضربت له خيمة وأمر العسكر ان يكون مقيماً في المكان الذي كان نازلاً فيه،

(١) ورد ما بين الحاصرتين سهواً او التباساً في الاصل، والصواب هو الامير مجلي بن مروان، الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٣٠٩.

(٢) ورد ما بين الحاصرتين في الاصل (المكاري)، والتصحيح من: الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٣٠٩، ابن شداد، النوادر، ص ١١٠، ويبدو ان اطلاق هذه التسمية من قبل المؤلف في الاصل يعود الى كون القبيلة الكوردية المهرانية كانت تقيم في بلاد مكاري وعلى جهتين، فالقسم الاكبر منها كانت تقيم في الجهة الغربية منها وهم عدة قلاع هناك مثل كواشي والريية والقي والزعفران والشعباني، والقسم الاخر كانت تقيم في الجزء الشمالي منها ومركزها قلعة نيرو. فالتسمية اذا جاءت من المنطقة التي كانت تقيم فيها القبيلة. بلاد مكاري، ص ٢٩، نقلاً عن: ابن الاثير، الكامل، ١١/١٤ - ١٥.

(٣) ظهير الدين كان اخو الفقيه عيسى المكاري، وكان والي البيت المقدس، قد جمع بين الشجاعة والعلم والدين. الاصفهاني، البرق الشامي، ص ٣٠٩، ابن الاثير، الكامل، ١٢/٣٧، ابو شامة، الروضتين، ٤/٥٤.

(٤) عن هذه الواقعة انظر: الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٣٠٨ - ٣٠٩، ابن شداد، النوادر، ص ١٠٩ - ١١٤، ابن الاثير، الكامل، ١٢/٣٧ - ٣٩، ابو شامة، الروضتين، ٤/٥١ - ٦٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢/٢٩٤ - ٣٠٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٣٥٥، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٥) الخروبة، حصن بسواحل الشام مشرف على عكا. ياقوت، معجم البلدان، ٢/٣٦٢.

واستحضر الامراء وارباب المشورة، ثم امرهم بالاصغاء الى كلامه، ثم قال: بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله، اعلموا ان هذا عدو الله [٣٠-ب] وعدونا قد نزل في بلدنا، وقد لاحت لوايح النصر عليه، وقد بقي في هذا الجمع اليسير، ولا بد من الاهتمام بقلعه والله قد اوجب علينا ذلك وانتم تعلمون ان هذه عساكرنا ليس وراءنا نجدة ننتظرها سوى الملك العادل، وهذا العدو ان بقي وطال امره حتى ينفتح البحر جاءه المدد، والرأي عندي مناجزتهم، فليعلمنا كل منكم بما عنده، فتخالفت الآراء وجرى تجاذب، وانفصلت آراءهم على المصلحة، تأخر العسكر الى الخروبة، وان يبقى العسكر أياماً حتى يستريح من حمل السلاح، فان الناس لهم خمسون يوماً تحت السلاح وقوق الخيل، والخيل قد ضجرت من عرك اللجم، وعند اخذ حظ(من)^(١) الراحة ترجع نفوسها اليها ويصل الملك العادل ويشاركنا في الرأي، فوافقهم السلطان، وكان منحرف المزاج فاقام. وفيها توفي الفقيه الامير ضياء الدين عيسى الهكاري بضيق النفس كان يعتريه مع اسهال، وكان كريماً شجاعاً حسن المقصد كثير الغرام، يقضي اشغال الناس، توفي تاسع ذي القعدة، وحمل الى القدس، ودفن بظاهره وحزن السلطان والناس عليه.

[وفاة] الامير عز الدين موسك بن جكو الهذباني^(٢)

وهو ابن خال السلطان صلاح الدين، حفظ القرآن بالسبع روايات^(٣)، وسمع الحديث، وكان محبباً الى الناس، يقضي حوائجهم ويتلطف بهم وكان يلازم السلطان في غزواته لم يتخلف عنه في شيء منها وكان السلطان يحترمه ويرفع مكانه، ولا يكاد يقعد احد فوقه

(١) اضيف ما بين الحاصرتين الى الاصل لتستقيم المعنى.

(٢) ورد ترجمته لدى: ابو شامة، الروضتين، ٦٤/٤، ابن تغري بدي، النجوم الزاهرة، ١١٠/٦، والهذباني نسبة الى القبيلة الكوردية المعروفة التي ينتمي اليها العائلة الايوبية. ابن الاثير، الكامل، ٢٢٤/١٠ - ٢٢٥، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤٨١/٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/١، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٣.

(٣) الروايات السبع، او القراءات السبع نسبة الى سبع قراء مشهورين اصبحت قراءاتهم اصولاً لقراءة القرآن الكريم فيما بعد. المقدمة، ص ص ٥٢٦ - ٥٢٧، وللزيادة عن القراءات السبع انظر، ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، الحسين بن احمد بن خالوية، الحجة في القراءات السبع، عبدالمجيد الخطيب توضيح اصول قواعد الشفع في نشر علم القراءات السبع.

[٢١-أ] من الامراء الكبار، وكان ديناً صالحاً جواداً، مرض بمرج عكا مرضاً شديداً، فامرهُ السلطان ان يمضي الى دمشق يتطبب، فوصل الى دمشق وتوفي بها، ودفن بقاسيون.

نادرة مليحة

ومن نوادر هذه الواقعة ان مملوكاً للسلطان يدعى سراسنقر، وكان شجاعاً، قد قتل من الفرنج خلقاً عظيماً وفتك فيهم، فتجمعوا له وكمنوا، وخرج اليه بعضهم، فحمل عليه، فوثبو عليه من سائر جوانبه، فامسكه واحد منهم بشعره، وضرب الآخر رقبته بسيفه، وكان قد قتل له قريباً، فوقعت الضربة في يد الماسك بشعره فقطعت يده، وخلي عن شعره فاشتد هارباً حتى لحق باصحابه وهم يجرون خلفه، فلم يلحقوه.

٥٨٦ هـ

سنة ست وثمانين وخمس مائة

ذكر تسليم الشقيف^(١)

وفي خامس عشر ربيع الاول طلب الفرنج المستحفظون للشقيف الامان، على ان يسلموا الشقيف ويطلق صاحبه من الاعتقال، ولايعارض من فيه من الفرنج، فتسلمها نواب السلطان واطلق صاحبها، وعاد هو والفرنج الذي كانوا بالشقيف الى صور.

ولما رأى السلطان هجوم الشتاء وانقطاع البحر وحصل في عكا من المير والذخائر والعدد والرجال ما وثق قلبه بسببها مع تقدير الله تعالى، وتقدم الى النواب بمصر ان عمرو لها اسطولاً عظيماً يحمل خلقاً كثيراً، وسار حتى دخل عكا، مكابرة للعدو ومراغمة له، واعطى العساكر دستوراً [٣١-ب] ليستريحوا واقام هو بنصر يسير قبالة العدو، وقد حال بين العسكريين شدة الوحول وتعذر وصول بعضهم الى بعض.

وفي ثاني ربيع الاخر وصل عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار بعسكره، ووصل بتجمل حسن فلقية السلطان بالاحترام، وانزله في خيمته وقدم له تحفاً تليق بمثله، وفرش له طراحه^(٢) الى جانبه، وضرب له خيمة على طرف الميسرة. ثم وصل معز الدين صاحب الجزيرة في عسكر حسن فلقية السلطان واكرمه واحترمه وانزله في جانب عماد الدين.

ثم وصل علاء الدين خرمشاه بن عزالدين مسعود صاحب الموصل، نيابة عن ابيه، ففرض السلطان بمقدمه وتلقاه عن بعد، وضرب خيمته بين ولديه الافضل والظاهر.

(١) حدث التباس او سهواً عند الناسخ حيث قدم عنوان (ذكر تسليم الشقيف) على عنوان السنة اي سنة ست وثمانين وخمس مائة.

(٢) الطراحة: مرتبة يفرشها السلطان اذا جلس. المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٤٩. هامش (٣).

ذكر وصول الاسطول من مصر

وظهرت في البحر قلوب كثيرة فعلم السلطان انه اسطول مصر، فركب وتعبى تعبئة القتال، وقصد مضايقة العدو ليشغله عن قصد الاسطول، ولما علم العدو وصول الاسطول استعد له وعمر اسطوله، وسار الناس على جانب البحر تقوية للاسطول، والتقى الاسطولان في البحر، والعسكران في البر، واضطربت نار الحرب، وجرى بين الاسطولين قتال شديد، وانكشف عن نصرة الاسطول الاسلامي، واخذ منه شاني^(١)، وظفر من العدو بمركب كان واصلاً من القسطنطينية، ودخل الاسطول الاسلامي الى عكا وقد صحبه مراكب من الساحل فيها مير وذخائر وطابت قلوب اهل البلد، واتصل القتال بين الفريقين من خارج البلد الى ان فصل بينهما الليل، وقتل من الفرنج خلق [٣٢-أ].

ذكر وصول زين الدين صاحب اربيل

وهو زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك بعسكر مليح، وتجمل لائق، فاحترمه السلطان واكرمه والتقاه بنفسه، وانزله الى جانب خيمة اخيه مظفرالدين. وتواترت الاخبار بان ملك الالمان^(٢) سار من القسطنطينية في خلق لا تحصي، وانه اجتاز بقونيا^(٣) ونهبها وقتل من بها، وانه وصل بلاد ابن لاوون، فخشى السلطان على البلاد وسير من العساكر من يحفظها مثل الملك المظفر تقي الدين وعزالدين بن المقدم صاحب كفرطاب، والياروقية^(٤) ويدرالدين الشحنة^(٥) وولده الملك الافضل.

(١) شاني: او الشيني، هي نوع من السفن الكبيرة، واكثرها استعمالاً لحمل المقاتلين، وكانت من السعة بحيث كان فيها حوالي مائة واربعين مجذافاً، وقد سميت بالغراب ايضاً، لانها كانت تطلق بالقار، وكانت مجهزة تجهيزاً جيداً، وتستخدم لغرض الدفاع والهجوم. حسين، الجيش الايروي، ص ٣٤٢.

(٢) هو الامبراطور فردريك بربروسة (ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م). ونسيان: تاريخ الحروب الصليبية، ٣/٣٠-٤٠.

(٣) قونية: من اعظم مدن الاسلام في اسيا الصغرى. ياقوت، معجم البلدان، ٤/٤١٥.

(٤) الياروقية: هم طائفة من التركمان ينتسبون الى ياروق بن ارسلان التركماني، كان مقدماً ذي منزلة رفيعة بين قومه، سكن بظاهر حلب في جهتها القبلية، بنى على تل مرتفع عند شاطئ نهر قويق تعرف الان بالياروقية، وتوفي سنة (٥٦٤هـ). ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٢٦٣.

(٥) كان شحنة دمشق. ابن شداد، النوادر، ص ١٢٦.

فلما احس العدو بان هذا الجهم الغفير قد نقص من العسكر، جمعوا رأيهم ان يخرجوا ويقصدو الميمنة وبها الملك العادل، وكان اكثر من جرد من الميمنة.

ذكرالوقعة العادلية

ولما كان العشرين من جمادي الاخرة، خرج الفرنج على غرة من المسلمين، وامتدو ميمنة وميسرة وقلبا، وانبتوا في الارض، وكانوا عددا عظيما، وطلبوا الميمنة، فركب السلطان وصاح باللاسلا، وضرب الكوسات^(١)، فجابوتها كوسات الامراء، وركبت العساكر وتطلبت الاطلا، ووصل الفرنج الى الميمنة قبل ان يستتم ركوب العساكر، ووصلوا الى مخيم الملك العادل، ودخلوا وطاقة^(٢)، وامتدت ايديهم في السوق واطراف المخيم بالنهب والفتك.

واما الملك العادل فانه ركب، واستركب من يليه، ووقف وقوف مخادع حتى طمعهم في المخيم والنهب، فحمل بنفسه وتقدم ولده الملك الجواد، وحمل [٣٢- ب] بالعساكر، وهجموا على العدو هجمة الاسود على فرائسها، ووقعت الكسرة، وعادوا طالبين خيامهم وسيف الله يعمل فيهم، ولما رأى السلطان جراتهم على اخيه، فصاح في الناس: ياللاسلا، ويا أبطال الموحدين، وكان من المبادرين الى اجابة دعوته، جماعة من مماليكه وحلقته، وتتابعت العساكر، وسافت الاطلا، واتصل الضرب والطعن وقام سوق الحرب فلم يكن إلا ساعة والقوم صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية، اولهم في المخيم الاسلامي وأخرهم في مخيمهم، ولم ينج من القوم الا النادر.

وكان مقدار المقتول منهم ثمانية الف نفس^(٣)، ولما احس المسلمون بعكا ماجرى على اعداء الله، خرجوا الى مخيم العدو المخذول من البلد، وجرى بينهم مقتلة عظيمة، وكانت

(١) الكوسات، صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير، يدق بأحدهما على الآخر بايقاع مخصوص. القلقشندي، صبح الاعشى، ٨/٤، ١٣.

(٢) الوطاق: هو الخيمة والمعسكر المكون من خيام. القلقشندي، صبح الاعشى، ٤/٤٢٥، هامش (٤).

(٣) المؤلف يبالغ في ذكر اعداد القتلى.

النصرة للمسلمين بحيث هجموا على خيامهم ونهبوا منها جمعا من النسوان والاقمشة، حتى القدور بطعامها، ووصل كتاب من عكا يخبر بذلك. ولقد شاهدت جنديا عاقلا يعد القتلى، فقلت له كم عديت فقال الى هاهنا اربعة الف نفر، وورد في ذلك اليوم نجابة^(١) من حلب تتضمن كتبهم ان جماعة عظيمة من العدو الشمالي، خرجوا لنهب اطراف البلاد، ونهض العسكر الاسلامي من حلب اليهم، واخذوا الطرق فلم ينج منهم أحد، فضربت البشائر وسر الناس بذلك، ولم يزل عدو الله من حين هذه الواقعة مكسور الجناح، حتى وصلهم كندهري.

ذكر وصول الكندهري^(٢) [١-٣٣]

وهو من كبار ملوكهم، وصل في مراكب عدة ومعها الاموال والذخائر والميرة^(٣) والاسلحة والرجال خلق كثير وعدد وافر فقوى بوصوله جأشهم، فرحل السلطان بجميع العساكر الى جبل الخروبة، رجاء ان يحصل لهم طمع فيخرجون عن مخيهم، ونزل بقية العسكر في تلك المنزلة كاليزك، ووردت الاخبار من الشمال، بأن عساكر ملك الالمان مجتمعون بانطاكية وانهم في ضعف عظيم ومرض زائد وان اصحابنا وعسكر حلب يتخطفون من يخرج منهم. واما العدو النازل على عكا فانه لما توالى عليهم النجد من البحر اشتد طمعهم في البلد وسلطوا عليه المنجنيقات من كل جانب بحيث لا يعطل رميها ليلا ولا نهاراً.

(١) نجابة: التجب من الابل هو القوي منها، الخفيف، الزبيدي، تاج العروس، ٤٧٧/١، وكانت تستخدم عادة في البريد.

(٢) هو الكندهري Hinricus . الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٤١٣، هامش (١). (هنري تروي) كونت شامانيا، وكان شاباً عريق الاصل، لان امه تعتبر اختا غير شقيقة لكل من ملكي انكلترا وفرنسا. رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ٦٢/٣.

(٣) الميرة: هو الطعام الذي يجمع ويخزن للظروف الاستثنائية. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٨٩٣/٢.

خروج المسلمين الذين بعكا على الفرنج واحراق المنجنيقات

ولما رأى اهل البلد منازل بهم من مضايقة العدو وتعلق طمعه بهم، حركتهم النخوة الاسلامية، وكان مقدم العسكرية الامير حسام الدين ابو الهيجاء السمين الازكشي، رجل ذو كرم وشجاعة وكلمة نافذة في عشيرته، فاجتمع رأيهم على انهم يخرجون الى العدو، ففتحوا الابواب وخرجوا بالفارس والراجل، ولما ولج المسلمون في خيام العدو، ذهلوا عن المنجنيقات وحفضها، فوصل اليها الزراقون^(١) فاضطرت فيها النيران، وقتل من العدو سبعون فارساً، واحتزقت المنجنيقات والستائر.

وكان السلطان قد اعد من بيروت بطسة^(٢)، واودعها اربعمائة غرارة^(٣) قمح، وبها من الغنم والجبين والميرة، وكانت مراكب العدو قد دارت حول عكا، وكان قد اشتد حاجة من فيها الى الطعام، فركب [٣٣-ب] في البطسة جماعة من المسلمين، وتزايو بزى الفرنج، وتركوا الخنازير على سطح البطسة وعلقوا عليها صلبان، فخالطوا مراكب الفرنج، واعترضوهم في الحراقات^(٤) والشواني، فقالوا: نحن قاصدون العسكر، واشتدت البطسة الاسلامية في السير حتى دخلت ميناء عكا.

وكان عواما مسلما يدخل الى البلد بالكتب، يقال له عيسى يفوص ويخرج من الجانب الاخر، وكان ذات ليلة قد شد على وسطه ثلاثة اكياس فيها الف دينار، وكتب للعسكر وعام في البحر، فجرى عليه امر اهلكه، فلما كان بعد ثلاثة ايام واذا البحر قد قذف ميتاً وهو عيسى العوام، ووجد على وسطه الذهب والكتب، فما روي من ادى الامانة في حياته وموته الا هذا الرجل رحمة الله عليه.

(١) الزراقون، مفردا زراق، وهو الذي يقذف النار اليونانية سواء بواسطة انجانيق او السهام او غيرهما، وكان يرتدي ثوباً خاصاً غير قابل للاشتعال تعرف بلباس الزراقين او النفاطين. حسين، الجيش الايوبي، ص ٢٩٢.

(٢) البطسة: او البطشة، نوع من المراكب الكبيرة التي كانت تستخدم في البحرية الايوبية، وقد تصل سعة حمولتها لـ (٧٠٠) شخص تقريبا، وقد يصل عدد الاشرعة في البطسة الواحدة الى اربعين شراعاً حسين، الجيش الايوبي، ص ٣٤٣.

(٣) الغرارة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٦٤٨/٢، وتعتبر من وحدات الكيل.

(٤) الحراقات: وهي نوع من السفن التي استخدمت في العصر الايوبي للنتره والنقل في مياه الانهر، وكذلك في القتال، وكانت تسع لحوالي مائة مقاتل. حسين، الجيش الايوبي، ص ٣٤٤.

واما ملك الالمان فانه خرج من انطاكية، ووصل الى طرابلس قاصداً عكا، ولقيه صاحب صور، وكان ذا دهاء ومكر، وساروا ووصلوا الى عكا، فلقبهم الفرنج واستبشروا بهم.

[كتاب اعتذار من امراطور بيزنطة]

ووصل رسول صاحب القسطنطينية^(١) يعتذر الى السلطان عن الروم، وكان صديق السلطان، ويذكر انه خطب للخليفة والسلطان بالقسطنطينية^(٢). وانقطعت اخبار عكا عن السلطان، فندب اقواماً للسباحة واعطاهم المال في اوساطهم والطيور^(٣) في اعابهم^(٤) وبلغهم ان الفرنج قد نصبوا عند الميناء شباكاً فاذا جاء سابع وقع فيها، فامتنعوا من الرواح.

استشهاد جمال الدين محمد بن اوكر

واستشهد بعكا جماعة من المسلمين، منهم جمال الدين محمد بن اوكر، خرج في شاني يقاتل، فاحاطت به مراكب الفرنج، وعرضوا عليه الامان، فقال: ماضع يدي الا في يد مقدمكم، فجاء اليه المقدم الكبير، فاخذ بيده وعانقه، والقى بنفسه وياه في البحر ففرقا فرحمة الله عليه. [٢٤-أ].

(١) بعد فتح القدس سنة (٥٨٣هـ) ارسل السلطان صلاح الدين الى امراطور الدولة البيزنطية اسحاق الثاني سفارة تمخضت عنها ان عقد الامراطور والسلطان حلفاً سنة (٥٨٥هـ / ١١٨٩م)، مما اثار عداة عواهل غرب اوربا للدولة البيزنطية. السلوك، ج ١، ق ١، ص ٩٨، هامش (١).

(٢) للزيادة عن تلك السفارة انظر: الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٤١٤، ابن شداد، النوادر ص ص ١٣٢-١٣٣، ابن الاثير، الكامل، ٤٨/١٢ - ٥٠، وينقلها عنه ابو شامة، الروضتين، ٨٨/٤ - ٩٠، ابن واصل، مفرج الكرب، ٣٢٨/٢ - ٣٢٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٥٩/١٢، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ص ٩٨، ١٠٤.

(٣) الطيور، ويقصد بها الحمام الزاجل، وتعرف ايضاً بالحمام الرسائلي والهدي، وكانت تنقل الرسائل من مكان الى اخر. القلقشندي، صبح الاعشى، ١٥٣/١ - ١٥٤، ٦١/٤، ٤٣٤/١٤. وللزيادة عنها انظر، جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ٢٤١/١ - ٢٤٢.

(٤) اعباب: مفردا العب: الكم. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٥٧٩/٢.

وفاة زين الدين يوسف صاحب اربل وولاية اخيه مظفر الدين

وفيها توفي زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك صاحب اربل، وذلك انه لحقه حمتين مختلفتين، فطلب دستوراً وانتقل الى الناصرة، وصحبته اخوه مظفر الدين، فاقام بها اياماً، وتوفي ثامن عشرين رمضان سنة ست وثمانين وخمس مائة، وحزن الناس عليه لكان شبابيه وغريته، وانعم السلطان رحمه الله على اخيه مظفر الدين كوكيري بلدة اربل، وضم اليه شهرزور، واستنزله عن بلاده التي كانت في يده وهي: حران والرها وسميساط^(١) والوزر^(٢) وما يتبعها من البلاد والاعمال، واستدعى الملك المظفر تقي الدين ابن اخيه ليكون نازلاً مكانه، جابراً لخلل غيبة مظفر الدين.

ضجر عسكر الجزيرة من الاقامة على حصار عكا

فوصل تقي الدين ثالث شوال وصحبته معزالدين سنجرشاه صاحب الجزيرة، وتوجه مظفر الدين الى اربل وتسلمها، وكان سبب مجيء معزالدين سنجرشاه، انه كان مقيماً في خدمه السلطان نجدة، فضجر وملق، وطلب دستوراً مراراً فلم يجبه السلطان، واعتذر اليه ان رسل العدو مترددة في الصلح، ومايليق ان يبلغهم بان مثلك فارق الجهاد، فركب صاحب الجزيرة، وقصد الدهليز^(٣) وطلب اذناً، فعبر الى السلطان وفاوضه شفاهاً في الدستور، فاجابه بالاعتذار على الحالة الاولى، فقام وقبل يد السلطان مودعاً وخرج، ورمى خيامه وخيام اصحابه، وسار طالبا بلاده بغير اذن، فسير السلطان اليه كتاباً فيه وعيد وتهديد، ويقول له: انك طلبت الانتماء الينا والرغبة في صحبتنا خوفاً على نفسك وبلادك من اهلك، فانهم كانوا على عزم اخذ بلادك(واتلاف)^(٤) نفسك، والان فاحفظ نفسك فما بقي بيننا وبينك [٢٤-ب] يمين، فقرأ الكتاب وجاوب باعذار لاتليق وتوجه على حاله الى ان

(١) سميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات. ياقوت، معجم البلدان، ٢٥٨/٣.

(٢) الوزر، كورة بالجزيرة منها نصيبين الروم. ياقوت، معجم البلدان، ٢٢١/٥.

(٣) الدهليز: مجموعة من الخيم المتداخلة، ودائرة كل خيمة من الداخل مسورة بالخشب، وهي خاص بالسلطان عند خروجه واسفاره، وهي مزودة بكل المستلزمات واحتياجات السلطان. القلقشندي، صبح الاعشى، ٥٠/٤.

(٤) في الاصل(وتلاف).

وصل عقبه فيق فلقية الملك المظفر تقي الدين متوجاً الى الخدمة السلطانية، ليسد خلل خلو المخيم من مظفر الدين بن زين الدين، فما خفي عنه انه فارق بغير دستور، فاجتمع به وساله وعذله، فما افاد معه حاله، فحين راه مصرأ على قصد بلاده خشن له القول، وقال له: إن لم ترجع والا رسمت عليك^(١)، فعاد وشفع فيه الملك المظفر، وانزله بالقرب منه.

ذكر خروج الفرنج الى رأس الماء

ولما ضاق بهم الامر وعظم الغلاء، خرج منهم خلق عظيم مستأمنين من شدة الجوع، وعزموا على الخروج الينا^(٢)، وكان طعمهم بسبب مرض تعرى السلطان قدس الله روحه، وظنوا انه لا يستطيع النهوض، وكان خروجهم حادي عشر شوال سنة ست وثمانين وخمس مائة بخيلهم ورجلهم متحملين ازواداً وخيما الى الابار التي استحدثها المسلمون تحت تل الحجل^(٣) لما كانوا نزولاً عليه، فاخير رحمه الله بخروجهم على هذا الوجه، فأمر اليزك ان ينزاح من بين ايديهم الى تل كيسان، وكان اليزك على تل العياضية، وباتوا تلك الليلة واليزك حولهم، فلما طلع الصبح تحركوا للركوب، وكان رحمه الله قد أمر الثقل في اول الليل ان يسير الى الناصرة، وأمر العسكر ان يركب ميمنة وميسرة وقلبا تعبئة للقتال، وركب رحمه الله وصاح الجاوش وسار حتى وقف على تل من جبال الخروبة.

وكان في الميمنة ولده الملك الافضل صاحب دمشق، وولده الملك الظاهر صاحب حلب، وولده الملك الظاهر^(٤) [٢٥-أ] صاحب بصرى وعلاء الدين خرم شاه ابن صاحب الموصل، ثم الملك العادل في طرفها، ويلييه حسام الدين بن لاجين وقايماز النجمي وعزالدين

(١) للزيادة انظر: النوادر، ص ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) لم يكن المؤلف حاضرا الواقعة، وانما ينقلها من ابن شداد الذي شهدها. ابن شداد، النوادر، ص ١٤٧.

(٣) تل الحجل، لم اعثر على تعريف محدد لها، ولكن يبدو انها احدى التلول القريبة من تل كيسان الواقعة في مرج عكا من سواحل الشام.

(٤) هو الظاهر مظفر الدين خضر ولد بمصر سنة ٥٦٨هـ. الحنبلي؛ شفاء القلوب، ص ١٩٦.

جورديك النوري وحسام الدين بشارة صاحب بانياس، ويدرالدين دلدرم صاحب تل
باشر، وجمع كبير من الامراء.

وكان في الميسرة عماد الدين زكي صاحب سنجار، وابن اخيه معزالدين صاحب
الجزيرة، وفي طرفها الملك المظفر تقي الدين، وكان في الميسرة سيف الدين علي المشطوب،
وجميع المهرانية والهكارية وخشترين وغيرهم من امراء الاكراد، وفي القلب الحلقة
السلطانية، وتقدم السلطان ان يخرج من كل عسكر جمع من الجاليش وان يدور حول
العدو، واخفى بعض الاطلاب وراء التل، عساهم يجدون غرة من العدو، ولم يزالوا سائرين
والناس يقاتلونهم من جميع جوانبهم، حتى اتوا رأس العين وعبروه الى الجانب الغربي
ونزلوا على تل هناك، وضربوا خيامهم ممتدة الى النهر، وجرح منهم خلق عظيم، وقتل
ايضاً، وكانوا يحملون المجروح منهم، ويدفنون المقتول، وتراجعت العساكر عنهم الى
مواطن الصابرة، ومواقف الحراسة، وتقدم السلطان الى الميسرة ان يستدير بهم بحيث تقع
اخرها على البحر، واليمينه يستدير بالنهر من الجانب الشرقي، والجاليش يقاتلهم
ويضربهم بالنشاب بحيث لاينقطع النشاب عنهم اصلاً، وبات الناس تلك الليلة على هذا
المثال، وسار رحمه الله الى رأس جبل الخروبة الذي كان نازلاً عليه في العام الماضي، فنزل
في خيمة لطيفة، والناس حوله في خيم لطاف بمراى [٣٥- ب] من العدو، واخيار العدو
تتواصل اليه ساعة بساعة الى الصبح، فوصل اليه الخبر انهم تحركوا للركوب، فركب
رحمه الله ورتب الاطلاب، وسار حتى اتى بالقرب من جبال الخروبة، بحيث يشاهد جميع
احوالهم، وكان رحمه الله ملتاث المزاج ضعيف القوة قوي القلب، ثم بعث الى العساكر
وامرها بالمقاتلة والمضايقة والحملة عليهم من كل جانب، وامر الاطلاب ان تحيط بهم،
وسار العدو على شاطئ النهر من الجانب الغربي، فقتل منهم خلق كثير، وقد جعلوا
راجلهم سوراً لهم يضرب الناس بالزنبورك^(١) والنشاب حتى لايترك احدأ يصل اليهم الا

(١) الزنبورك: نوع من السهام في سمك الابهام، وفي طول الذراع، وله اربعة اوجه وطرفه من حديد،
وهو مريش ليكون اكثر ثباتاً عند انطلاقه، واصابته بالغة، قد تحترق في رمية واحدة جسمي
رجلين وقف احدهما خلف الاخر، وقد يصيب كذلك احجار الاسوار. حسين، الجيش الايروي،
ص ٢٨٤.

النشاب، فانه كان عليهم كالجراد. والكوسات تخفق، والبوقات تنعر^(١)، والاصوات بالتهليل والتكبير ترتفع، هذا والسلطان يمد الجاليش بالاطلاب والعساكر الذي عنده، حتى لم يبق معه الا القليل، وعلم العدو مرتفع على عجلة وهي تسحب على البغال، وهو عال جداً كالمنارة، خرقتة بياض ملمع بجمرة على شكل الصلبان، ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الظهر الى قبالة جسر دعوق^(٢)، وقد ابلغهم العطش واخذ منهم التعب، ولقد قاتل المسلمون في ذلك اليوم قتالاً شديداً، واعطوا الجهاد حقه وهجموا عليهم من كل جانب، واستداروا بهم كالحلقة وهم لا يظهرون من رجالتهم وكان الفعل معظمه للحلقة في ذلك اليوم، فانهم اذافوهم طعم الموت، وجرح منهم في ذلك اليوم جماعة كاياز الطويل، فانه قام في ذلك الحرب اعظم مقام، وجرح جراحت متعددة، وهو مستمر على القتال، وجرح سيف الدين ياز كوج جراحت كثيرة، وكان من الفرسان المعروفين بالشجاعة العظيمة [٢٦-أ] وله مقامات متعددة، وجرح خلق كثير في ذلك اليوم، ولم يزل الناس حولهم حتى نزلوا عند دعوق، وقطعوا الجسر واخربوه خوفاً من عبور الناس اليهم، ورجع السلطان الى تل الخروبة، وعزم في تلك الليلة على كبس من بقي في الخيم، وكتب الى البلد يعرفهم حتى يخرجوا من ناحية البلد عليهم، فلم يصل من اهل البلد كتاب، فرجع عن ذلك العزم، فلما كان صباح الخميس رابع عشر شوال، وصل من آخر ان العدو على حركة الرحيل، وركب السلطان وطلب الاطلاب وكف الناس عن القتال، ووقف الاطلاب في الجانب الشرقي من النهر، وكان ممن خرج من مقدميهم في هذه السرية الكندهري والمركيس، وتخلف ابن ملك الالمان في الخيم مع جمع كثير منهم، ولما دخل العدو الى مخيمه كان لهم فيها الاطلاب مستريحة، فخرجت على اليزك الاسلامي، وحملت عليهم، وانشب القتال بين اليزك وبينهم، وجرى قتال عظيم، وقتل من العدو وجرح خلق عظيم، وقتل من المسلمين ثلاثة نفر، ولما وصل العدو الى مخيمه، عاد السلطان الى مخيمه ايضاً بالانقال، وبقي السلطان ملتاث المزاج، وكان ذلك لسلامة هذه الطائفة الخارجة،

(١) تعر: تخرج صوتاً، النعرة: صوت في الخيشوم، والناعور هي التي يستقى بها، يديرها الماء ولها صوت، الرازي، مختار الصحاح، مادة نعر.

(٢) جسر دعوق، جسر على نهر في مرج عكا. الاصفهاني، البرق الشامي، ص ص ٤٤٤ - ٤٤٦.

كونه لم يقدر يباشر الامر بنفسه لضعفه، ولقد رايتَه^(١) رحمه الله وهو يبكي حال الحرب، كونه لم يقدر على مخالطة القوم، ورأيتَه وهو يأمر اولاده واحداً بعد واحد بمخالطة الحرب، ولقد سمعت منه، وقائلاً يقول: ان الوحش قد عظم في مرج عكا بحيث ان الموت قد كثر في الطائفتين، فانشد متمثلاً:

اقتلاني ومالكاً واقتلا مالكا معي

يريد بذلك قد رضيت بان اتلف انا اذا تلف العدو، وحدث بذلك قوة عظيمة [٣٦- ب] في نفوس العساكر.

ذكر وقعة الكمين

ولما كان يوم الجمعة ثاني عشرين شوال من السنة، رأى رحمه الله ان يضع للعدو كميناً، فاخرج جماعة من كمامة العسكر وانتخبهم من خلق كثير، وامرهم ان يسيروا في الليل ويكمنوا على سفح تل شمالي عكا، وان يظهر منهم للعدو نضر يسير، ويقصدون خيمه ويحركوه، حتى اذا خرج انهزموا بين يديه نحو الكمين، فساروا حتى اتوا التل فكمنوا تحته، ولما علا النهار خرج منهم نضر يسير وساروا حتى اتوا مخيم العدو، فرموهم بالنشاب، وحركوا حميتهم بالضرب المتواتر، فانتهى من العدو مقدار مائتي فارس، وخرجوا اليهم بعدة تامة، وقصدوهم وليس معهم راجل وداخلهم الطمع فيهم، لقلّة عدتهم، فانهزموا بين ايديهم، وهم يقاتلونهم حتى اتوا الكمين، فخرج اليهم كالاسود الضواري وصاحوا فيهم صيحة الرجل الواحد، فنّبت العدو المخذول، وقاتلوا قتالاً شديداً، ثم لولا منهزمين فركبوا ظهورهم ضرباً بالسيوف وطعنأ بالرماح، حتى القوا منهم جمعا عظيماً، واستسلم الباقي فاسروهم واخذوا خيلهم، وجاء البشير الى العسكر الاسلامي فارتفعت الاصوات بالتهليل والتكبير، وركب السلطان يلتقي المجاهدين، وهو يعتبر الاسارى، وكان من جملة من اسر مقدم عسكر الافرنسيس، وخازن الملك ايضاً.

(١) ينقل من النوار، ص ١٤٩ - ١٥٠.

وعاد السلطان رحمه الله الى المخيم فرحاً مسروراً، واحضر الناس الاسرى اليه فاكرم المقدمين منهم، وخلع على مقدم عسكر الفرنسيين بردة^(١) خاصاً، وأمر لكل واحد من الباقين بفروة خرجية [٣٧ - ١] فان البرد كان شديداً، وضرب لهم خيمة قريبة من خيمته، وكان يكارمهم في كل وقت، ويحضر المقدم على الخوان^(٢)، وأمر بتقيدهم، وارسلهم الى دمشق، واذن لهم ان يرسلوا اصحابهم، وان يحضرون لهم من عسكرهم ما يحتاجون اليه، ففعلوا ذلك، وساروا الى محروسة دمشق.

ذكر عود العساكر من الجهاد

ولما هجم الشتاء وهاج البحر^(٣)، وامن من مضايقة العدو للبلد من كثرة الامطار، امر السلطان العساكر الاسلامية في العود الى بلادها لتأخذ نصيباً من الراحة، فسار عماد الدين صاحب سنجار وسنجرشاه صاحب الجزيرة وعلاء الدين بن صاحب الموصل، وافيض عليهم من الانعام والخيول، والاصناف والتحف بحيث غمرهم، ولم يبق عند السلطان قدس الله روحه الا نضر يسير من الامراء والحلقة الخاص [٣٧- ب].

(١) بردة: البردة، كساء مخطط يلتحف به. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٤٨/١.

(٢) الخوان: مايؤكل عليه. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٢٦٣/١.

(٣) كانت هذه الحرب بشكل عام ذات طبيعة موسمية، حيث كانت العساكر تعود الى بلادها مع حلول فصل الشتاء، وتعود الى بلاد الشام للجهاد بعد انقضاءها او اذا دعت الضرورة لذلك.

﴿ ٥٨٧ هـ ﴾

سنة سبع وثمانين وخمس مائة

ولما هاج البحر وامنت غائلة مراكب العدو، ورفع ماكان له من الشواني، من البحر الى البر، رأى رحمه الله ان يبديل [٣٨-أ] عسكر عكا، وحمل المير الذخائر والنفقات، واخراج من بها من العساكر لما عانوه من التعب والنصب وملازمة القتال ليلاً ونهاراً، وكان مقدم البديل الداخل من الامراء الامير سيف الدين علي المشطوب الهكاري، دخل يوم الاربعاء سادس عشر محرم من السنة، وفي ذلك اليوم خرج المقدم الذي كان بها وهو الامير حسام الدين ابو الهيجاء السمين الكركجي واصحابه، وتقدم الى كل من دخل مع المشطوب ان يصحب معه ميرة سنة كاملة.

وانتقل الملك العادل بعساكره الى حيفا^(١)، على شاطئ النهر وهو الموضع الذي تحمل منه المراكب وتدخل عكا، فاقام ثم يحث الناس على الدخول، وكان من جملة مادخلها سبع بطس مملوءة ميرة وذخائر ونفقات كانت وصلت من محروسة مصر، وانكسر منهم بطسة في الصخر قريباً من البلد، فانقلب كل من في البلد من المقاتلة الى جانب البحر لتلقي البطس، واخذ مافيهها، ولما علم العدو انقلاب المقاتلة الى جانب البحر اخذوا^(٢) غرتهم واجتمعوا في خلق عظيم وزحفوا على البلد من جانب البر زحفة عظيمة وقاربوا الاسوار وصعدوا في سلم واحد، فاندق بهم السلم كما شاء الله تعالى، وتداركوهم اهل البلد، فقتلوا منهم خلقاً عظيماً، وعادوا خاسرين، واما باقي البطس فان البحر هاج وضربت بعضها بعضاً على الصخر فغرق الجميع وعدم جميع ماكان فيها وعدم غرقاً فيها خلق

(١) حيفا: حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا. ياقوت، معجم البلدان، ٣٣٢/٢.

(٢) في الاصل (اخذ)، والصواب ما اثبتناه.

عظيم، ولو سلمت [٢٨-ب] لكفت البلد سنة كاملة، ودخل على المسلمين من ذلك وهن
عظيم، وكان ذلك اول علائم اخذ البلد^(١).

ثم وقع من السور قطعة عظيمة على الباشورة^(٢) فهدمتها ايضاً، فداخل العدو
الطمع، فهاجوا الى الزحف هيجاناً عظيماً، وجاءوا الى البلد كقطع الليل المدلهم من كل
جانب، فتناجى الناس في البلد وثارت همهم، فقتلوا من العدو وجرحوا خلقاً عظيماً،
ووقفوا كالسد موضع القطعة الواقعة وجمعوا كل من بالبلد من البنائين والصناع
ووضعوهم في ذلك المكان. وحموهم بالنشاب والجروح^(٣) والمناجيق^(٤)، حتى بنوها احسن
وامكن مما كانت.

ولما طاب الزمان وانفتح البحر عادت العساكر الاسلامية، فاول من قدم الامير علم
الدين سليمان بن جندر من امراء حلب، وكان شيخاً كبيراً مذكوراً وله وقائع وهو ذو رأي
حسن، والسلطان يحترمه ويكرمه.

ثم قدم مجد الدين بن عز الدين فرخشاه صاحب بعلبك، وتتابع العساكر الاسلامية
من كل صوب، واما العدو المخذول فكانوا يواعدون اليزك بقدم ملك الافرنس، وكان
عظيماً عندهم من كبار ملوكهم ينقاد اليه جميع عساكرهم، بحيث انه اذا حضر حكم
على الجميع منهم حتى قدم لعنه الله في ستة بطس تحمله.

ثم قدم كند فريد^(٥)، وكان مقدماً عظيماً مذكوراً، وكان حاصر حماة وحارم عام
الرملة^(٦)، ثم قدم من امراء المسلمين مودود بن شحنة دمشق، وهجم المسلمون على غنم

(١) ينقل من: ابن شداد، النوادر بتصرف انظر: ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) الباشورة: الحائط الظاهري من الحصن، يخفي وراءه الجند عند القتال. الحسين، الجيش الايوبي،
ص ٣٨٧.

(٣) الجروح: جمع الجرح، وهي آلة حربية شبيهة بالمنجنيق. ترمي السهام والنفط والحجارة، ولكنها
اخف منها. حسين، الجيش الايوبي، ص ٢٨٢.

(٤) في الاصل المناجيق، والتصحيح من: ابن شداد، النوادر، ص ١٥٣.

(٥) هو فردريك دوق سوابيا: وصل عكا في اوانل اكتوبر سنة (١١٩٠م) بما تبقى من جيش
بربروسة. رنيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٦٣/٣.

(٦) عام الرملة: كان ذلك في سنة (٥٧٣هـ). انظر: الاصفهاني، البرق الشامي، ٣/٣١ - ٥٠، ابن
شداد، النوادر، ص ٥٣.

العدو فأخذوها وعددها مائة وعشرين [٣٩- أ] راساً، فركب فارسهم وراجلهم في طلبها فلم يظفروا بشئ منها والله الحمد.

وفي رابع جمادي الاول سنة سبع وثمانين زحف العدو الى البلد، ونصبوا عليه سبع مناجيق، ووصلت الكتب من عكا بالاستنقار العظيم والتماس شغل العدو عنهم، فسار السلطان حتى وقف على الخروبة، ورتب العساكر ميمنة وميسرة وقلبا، ثم ارسل من كشف حال العدو، وهل في خنادقهم كمين للعدو، فعادوا واخبروا بخلوها من الكمين، فسار بنفسه ومعه نفر يسير من مماليكه حتى اتى خنادقهم، وصعد على تل الفضول^(١) وشاهد المنجنيقات ومايعمل فيها، ثم عاد الى المخيم.

وفي صبيحة^(٢) هذه الليلة اتاه اللصوص برضيع له ثلاثة اشهر قد اخذوه من امه سرقة، فلما فقدته امه باتت مستغيثة في طول تلك الليلة، فقال لها ملوك الفرنج ان السلطان رحوم القلب، وقد اذنا لك في الخروج اليه فاخرجي واطلبيه منه فانه يرده، فخرجت تستغيث الى اليك فانفذوها الى السلطان، فانتته وهو راكب على تل الخروبة فبكت ومرغت وجهها على التراب، فرق لها ودمعت عيناه وامر باخضار الرضيع، فوجدوه قد بيع في السوق، فدفع ثمنه للمشتري وسلمه اليها، فبكت بكاء شديداً وضمته الى صدورها ورضعته ساعة، وامر بفرس ركبته وسارت الى معسكرهم مع طفلها.

وفي ذلك اليوم وصل ضهير بن البلنكري طالباً خدمة السلطان وكان من امراء الموصل، ثم وصل الخبر بتجديد الزحف على عكا، فركب السلطان وسار نحو البلد وقد انفصل الحرب وحال الليل بينهم [٣٩- ب].

ذكر انتقال السلطان الى تل العياضية

ولما كان يوم الثلاثاء تاسع جمادي الاول، بلغ السلطان ان الفرنج قد ضايقوا البلد وركبوا عليهم المجانيق، فركب وطلب الاطلاع وسار حتى الخروبة وقوى اليك واشتد زحف العدو على البلد فضايقتهم رحمه الله مضايقة عظيمة وهجم عليهم في خنادقهم،

(١) تل الفضول: موضع في مرج عكا قريب من الخروبة. ابن شداد، النوادر، ص ١٥٨.

(٢) ورد في الاصل (صبيحة).

ولم يزل كذلك حتى عادوا عن الزحف، فعاد السلطان رحمه الله الى خيمة لطيفة ضربت له هناك، وقوى اليك وأمر الناس بالعود الى الخيم لآخذ جزء من الراحة، فوصل من اليك من اخبر ان القوم قد عادوا الى الزحف لما علموا بعود السلطان اشد ما كانوا عليه اولاً، فضرب الكوسات وركب ورتب الاطلاب وساق زحفا اليهم وهجم على خنادقهم الى ان هجم الليل، فعاد وضرب له خيمة لطيفة على تل العياضية، ورتب جماعة من العساكر يشغلهم طول الليل برشق الشباب والتعرض الى الخنادق، ولما رأى العدو تلك المنازلة العظيمة والملازمة الهائلة، خاف من الهجوم على مخيمهم، فترجعوا عن الزحف واشتغلوا بحفظ الخنادق، ولما رأى فتورهم عن الزحف عاد الى خيمه في تل العياضية، ورتب في خنادقهم من يخبره بحالهم ساعة بساعة، كل ذلك والعدو على إصراره في مضايقة البلد والزحف عليه.

ذكر شروعهم في مضايقة البلد

وبلغ من مضايقتهم البلد انهم كانوا يرمون في خندقه موتى دوابهم، واما المسلمون الذين كانوا في البلد فكانوا يخرجون الى الخندق وينقلون [٤٠-٤١] ما يلقون في الخندق، طائفة تقاتل وطائفة تنظف الخندق وتنقل ما يرمى فيه من الجيف الى البحر، وطائفة تجذب في المجانيق، وطائفة تحرس الاسوار، واخذ منهم التعب والنصب.

هذا والسلطان لا يقطع الزحف ومضايقة العدو، وكلما زحفوا على البلد، زحف عليهم ليشغلهم عنه، ودام ذلك متصلاً الليل مع النهار حتى وصل الانكثير^(١)، ففرحوا بقدومه واشعلوا نيراناً عظيمة تدل على قوتهم، ووصل في خمسة وعشرين شانياً مملوءة عدة وسلاحاً، وحصل عند المسلمين رعب لقدمه، هذا والسلطان يتلقى ذلك كله بالصبر والاحتساب والاتكال على الله.

(١) هو ريشارد الاول ابن هنري الثاني تولى الحكم بعد وفاة والده سنة (١١٨٩م)، واشتهر باسم قلب الاسد، ولم يقض ريشارد في انكلترا سوى ستة اشهر فقط من فترة حكمه التي بلغت عشر سنوات، حيث كان مشغولاً في مشاريعه السياسية في القارة الاوربية، وفي مساهمته في الحروب الصليبية، وهي الحملة الصليبية الثالثة. عبدالامير محمد امين ومحمد توفيق حسين. تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ص ١٤٣.

ذكر غرق البطسة الاسلامية وهي العلامة الثالثة على اخذ البلد^(١)

في سادس عشر جمادي الاول سنة سبع وثمانين وصلت بطسة من بيروت عظيمة هائلة مشحونة بالالات والاسلحة والمير والرجال والمقاتلة، وعدتهم ستمائة وخمسين مقاتل، فاعترضها الانكثير الملعون في اربعين شاني احتاطوا بها من جميع جوانبها واشتدوا في قتالها، وجرى القضاء بان وقف الهوء، فقاتلوهما قتالاً عظيماً، وقتل من العدو عليها وجرح خلق عظيم، واحرقوا على العدو شانياً عظيماً، وتكاثروا على اهل البطسة، وكان مقدمهم يعقوب الحلبي، رجل شجاع مقدم مجرب للحرب، فلما رأى امارات الغلبة عليهم، ورأى انه لابد وان يقتلوا قال: والله لا نقتل الا عن عز، ولا نسلم اليهم من هذه البطسة شيئاً، فوقعوا في البطسة من جوانبها بالعاول يهدمونها، ولم يزلوا كذلك حتى فتحوا لها من كل [٤٠- ب] جانب فامتألت ماءً وغرق جميع من فيها وما فيها، ولم يظفر العدو منها بشئ، فحزن الناس لذلك والسلطان صابر مثابر على الجهاد.

وفي تاسع جمادي الاول دق كؤس البلد، وهو علامة زحف العدو، فجاوبه كؤس السلطان وركب العساكر اطالاباً، وزحف عليهم حتى هجم المسلمون عليهم الى خيامهم واخذوا القدور من ائافئها^(٢)، فأيقن العدو بهجوم العساكر على خيامهم، فتراجعوا عن قتال البلد، وشرعوا في قتال العسكر وانتشبه الحرب بينهم حتى الظهر، وغشى الطائفتين من الحر امر عظيم، فتراجعت الطائفتان الى خيامهم وقد اخذ منهم التعب والحر.

وفي يوم ثالث عشرين جمادي الاول دق كؤس البلد فجاوبه كوسات السلطان وركب ملبساً رحمة الله عليه وطلب العساكر واشتد القتال بين الطائفتين ولج العدو في مضايقة البلد فهجم العساكر على خنادقهم، فتراجع العدو عن الزحف، واشتد الحرب بينهم وبين المسلمين، واخذ العدو الحمية، فركب فارسهم وخرج راجلهم، وخرجوا الى ظاهر اسوارهم وحملوا على المسلمين حملة الرجل الواحد، فثبت المسلمون لهم ثباتاً عظيماً، لم يتحركوا عن اماكنهم والتحم القتال من الجانبين واشتد الضرب بين الطائفتين وصبر المسلمون صبر الكرام.

(١) ينقل من: ابن شداد، النوادر، ص ص ١٦١ - ١٦٢.

(٢) الاثافي: الاحجار الثلاثة التي توضع عليها القدر. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٦/١.

فلما رأى العدو ذلك الصبر، استأذنوا في وصول رسول فأذن لهم، فوصل الرسول أولاً إلى الملك العادل، فوصل به إلى الخدمة السلطانية وصحبته الملك الأفضل، فكان حاصل رسالته أن ملك الإنكثير يطلب الاجتماع بالسلطان، فلما سمع السلطان الرسالة، أجاب عنها في الحال من غير [٤١-أ] تفكير بأن قال له: الملوك لا يجتمعون إلا عن قاعدة، وما يحسن منهم الحرب بعد الاجتماع والمواكلة، وإذا أراد ذلك فلا بد من تقرير قاعدة قبل هذه الحالة، ولا بد من ترجمان في الوسط فليكن الرسول بيننا ذلك الترجمان، فيقع الاجتماع بعد ذلك.

ولما كان ثامن عشرين جمادى الآخرة، خرج العدو راجلهم وفارسهم على المسلمين من جانب البحر، فركب السلطان وركبت العساكر، وانتشبت القتال بين الطائفتين وقتل من المسلمين كردي وبيدوي، وقتل من العدو جماعة وأسر واحد بفرسه، ولم يزل القتال يعمل إلى أن حال بينهم الليل، وفي غد ذلك اليوم وصل كتب أهل البلد باستفحال العدو والشكوى من ملازمة قتالهم ليلاً ونهاراً، ثم مرض الإنكثير مرضاً شديداً أشفى فيه على الهلاك، وجرح الفرنسيس ولم يزد لهم ذلك إلا إصراراً وعتواً.

وفي سلخ جمادى الأولى قدم عسكر سنجار يقدمه مجاهد الدين يرناقش وكان ديناً عاقلاً يحب الجهاد، فلقية السلطان واحترمه، ثم قدم قطعة عظيمة من عسكر مصر كأولاد أبي زكري ودرباس المهراني وعلم الدين كرجي وسيف الدين سنقر الدوادر، ثم قدم بعد ذلك علاء الدين صاحب الموصل، فلقية السلطان بالخروبة وعبر بعسكره طلباً مطلباً قبالة العدو، وانزله باليمينه وأكرمه، وحمل له من الطرف ما يليق بمثله^(١).

واشتغل العدو بمرض الإنكثير عن الزحف، وكان ذلك لطفاً من الله تعالى، فإن المجانيق كانت هدمت من السور مقدار قامسة، ولم يزالوا على ذلك ينقلون الأحجار في ضرب المنجنيقات واختصروا من القتال حتى خلخلوا سور البلد [٤١-ب] واضعفوا بنيانه، وانتهك السهر والتعب أهل البلد حتى إن جماعة منهم بقوا ليال عدة لا ينامون أصلاً، والعدو الذي عليهم خلق كثير يتناوبون عليهم في القتال، فلما أحس العدو بذلك شرعوا في الزحف من كل جانب، واقتسموا أقساماً، كلما تعب قسم استراح، وقام غيره مقامه، هذا

(١) عن وصول العساكر الإسلامية انظر: الاصفهاني، البرق الشامي، ص ٤٩٥ - ٤٩٦، ابن شداد، النوادر، ص ١٦٤، أبو شامة، الروضتين، ٤/١٤٨ - ١٤٩، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/٣٥٤.

مع عمارتهم اسوارهم وخنادقهم التي بينهم وبين عسكر الاسلام بالرجالة والمقاتلة ليلاً ونهاراً.

فلما علم السلطان باخبار من شاهده واظهار العلامة التي بيننا وبين البلد، وهي دق الكوس، ركب وركب العسكر، وجمع الراجل والفراس، وزحف على خنادق القوم حتى دخل فيها العسكر، وجرى في ذلك اليوم قتال عظيم، وهو رحمه الله كالوالده الثكلي من طلب الى طلب يحث الناس على الجهاد، وينادي بالاسلام، وعيناه تذرفان بالدمع كلما نظر الى عكا وماحل بها من البلاء ومايجري على ساكنيها من المصاب العظيم، اشتد في الزحف والحث على القتال الى ان هجم الليل، فعاد بعد عشاء الآخر الى المخيم، وقد اخذ منه التعب والحزن والكابة الى سحر تلك الليلة، امر الكوس ان يدق وركبت العساكر من كل جانب، واصبحوا على ما امسوا عليه.

وفي ذلك اليوم وصلت مطالعة من البلد يقولون فيها انا قد بلغ بنا العجز الى غاية مابعدنا الا التسليم، ونحن في الغد ان لم تعملوا معنا شيئاً طلبنا الامان، وتسلم البلد ونشترى مجرد رقابنا، وكان هذا اعظم خبر ورد على المسلمين، وانكاه في قلوبهم، فان عكا كانت قد احتوت على جميع سلاح الساحل والقدس ودمشق وحلب [٤٢- أ] ومصر، واحتوت على كبار الامراء وشجعان الاسلام، كالامير سيف الدين المشطوب وغيره من كبار الامراء^(١).

فراى السلطان ان يهجم على العدو، فصاح في العساكر الاسلامية وركبت الاطلاب، واشتد الزحف في ذلك اليوم، ولم يساعده العسكر على الهجوم على العدو، فان الرجالة من الفرنج وقفوا كالسور المحكم البناء بالسلاح والزنبورك من وراء اسوارهم، ولم تنزل الحرب قائمة بين الطائفتين اما قتلاً واما جرحاً، حتى فصل الليل بينهما.

ولما اشتد زحفهم على البلد وتكاثروا عليه من كل مكان، وقلت رجالة البلد وخيالاته بكثرة القتل والجرح، ضعفت نفوسهم واستشعروا الضعف والعجز عن الدفع، وتمكن العدو

(١) للزيادة والفاصل عن المعارك التي دارت على عكا انظر: الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٢٩٦-٥٢٨، ابن الاثير، الكامل، ٣٢/١٢-٦٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٠٧/٨-٤٠٨، ابن شداد، النوادر، ص ٩٨-١٧٤، ابو شامة، الروضتين، ٤/٤-١٥٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/٢٨٨-٣٦٤، ابو الفداء، المختصر، ١٦٢/٢-١٦٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٥٤/١٢-٣٦٧.

من الخنادق فملؤها، وتمكنوا من باشورة البلد، ونقبوه واشعلوا فيه النار بعد حشو النقب، ووقعت بدنه^(١) من الباشورة، ودخل العدو الى الباشورة وقتل منهم فيها مائة وخمسين نفساً. وخرج الامر سيف الدين المشطوب الى الفرنسيين وهو كان مقدمهم بأمان وقال له: إنا قد اخذنا منكم بلاداً عدة، وكنا نهدم البلد وندخل فيه، ومع هذا ماسألونا الامان إلا اعطيناهم، وحملناهم الى مأماتهم واکرمناهم، ونحن نسلم البلد وتعطينا الامان على انفسنا، فاجابه: انتم ممالكي وعبيدي فأرى فيكم رأي، فغلط عليه المشطوب، وقال اقاويل كثيرة منها: إنا مانسلم البلد حتى نقتل باجمعنا، ولا يقتل منا واحد حتى يقتل منكم خمسين نفساً، ولما دخل المشطوب بهذا الخبر خاف جماعة ممن كان في البلد، فاحذوا لهم بركوساً وهو مركب صغير، وركبوا فيه ليلاً خارجين الى العسكر الاسلامي وكان [٤٢ - ب] فيهم من المعروفين ارسل وابن الجاولي الكبير وسنقر الوشاقى، فاما ارسل وسنقر، فانهما لما وصلا العسكر تغيبا ولم يعرف لهما مكان، فاما ابن الجاولي فانه ظفر به ورمي في الزردخانا^(٢)، وفي (صبيحة)^(٣) تلك الليلة ركب السلطان رحمه الله ودق الكوس وطلب الاطلاع واخذ المساحي والقفاف^(٤) والات طم الخنادق، وعزم على ان يهجم بنفسه ويدخل خيام العدو، فتخاذل العساكر عن ذلك ولم يساعده، وقالوا: "نخاطر بالاسلام كله ولا مصلحة في ذلك"^(٥).

وفي ذلك اليوم خرج من جهة الانكثير ثلاث رسل يطلبون فاكهة وثلجا، فأكرمهم السلطان، ودخلوا سوق العسكر، وتفرجوا فيه، وعادوا الى عسكرهم.

(١) بدنه: اصطلاح معماري وهو مايعبر عنه بكتف البناء. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٠٥، هامش (١).

(٢) الزردخانا: كلمة فارسية مركبة تعني بيت السلاح، وقد اطلقها القرظزي على السلاح نفسه، ومن معانيها ايضاً السجن المخصص للمجرمين من الامراء واصحاب الرتب. القرظزي، السلوك، ج ١، ق ٢، هامش (١)، ص ٣٠٦.

(٣) ورد في الاصل (صبحه). وفي: ابن شداد، النوادر، ص ١٦٨ " وفي سجرة "

(٤) القفاف: صانع القف، والقف ثقب في الفأس يثبت فيه نصابها. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٧٥٢/٢. وقد يطلق على الفأس نفسه جوازاً.

(٥) النص منقول من: ابن شداد، النوادر ص ١٦٨.

[المصاف بين الاكراد والفرنج على عكا]

لما رأَت الاكراد^(١) ماحل باصحابهم الذين داخل عكا، تناخوا واجتمعوا بالسلطان، وقالوا: كيف يكون لاصحابنا مثلك وتضرب في غد رقابهم ونحن قعود، فقال السلطان: الله اعلم، انه بوذي ذهاب نفسي واولادي بسلامة من في عكا، فقالوا: نحن نرمي انفسنا في خنادق العدو واسواره ولانبرح، اما ننال منهم غرض نخلص اصحابنا او نقتل، ونكون معذورين عند الله وعند الناس، فضربت كوسات السلطان وصاح في المجاهدين، وتقدم العساكر فترجلت الاكراد وتقلدوا الطوارق^(٢) والرماح ورموا انفسهم في الخنادق، وعدو الله قد التبس الاسوار^(٣) كانه سد من حديد، وحصل ذلك اليوم بين الاكراد والفرنج من الحرب ملاحكى عن الجاهلي وطلع صنجق^(٤) الجناح اخو سيف الدين المشطوب، وصنجق الامير حسام الدين ابي الهيجاء السمين، وصنجق المهرانية، وصنجق صارم الدين قايماز التجمي، وصنجق علم الدين سليمان بن جندر [٤٣-٤١] على اسوارهم وكان يوماً مشهوداً، والباقون من العساكر قصروا عن التقدم، فانه كان لحقهم ضجر وسام، فلما عاين الفرنج ماحل بهم، وتحققوا هجوم العساكر الاسلامية على خيامهم، رجعوا عن زحف عكا فاقبلوا على من علا الاسوار كالليل المدلهم، الفارس والراجل وبقي بين الفريقين ضرب وطعن باليد الى ان كلت الانقس واخذ كل نصيبه من التعب، ورمو صناجق المسلمين الى الخندق، وقتل من الاكراد الخلق الكثير والسلطان يطوف على باقي العساكر والقزاة، وينادى باعلى صوته يا للمجاهدين، والناس قد اخذ منهم التعب حقه، فما برحوا على ذلك ان اقبل الليل والاكراد لايرجعون فوافى اليهم السلطان، وردهم الى المخيم وسلاهم بمن سلف من الامم.

(١) يبدو ان معظم من كانوا في داخل عكا من الكورد، لا بل ومن الشخصيات الكوردية التي كانت على قدر عال من المنزلة، وكذلك كانوا هم القوة الرئيسية في جيش صلاح الدين التي كانت تقاتل الصليبين على عكا، في اعنف معارك الحروب الصليبية. فهذا الدور الكوردي التميز في قتال عكا لم يشر اليه احد من المؤرخين من قبل.

(٢) الطوارق: وهي نوع من الاتراس كان الصليبيون والرومان يستعملونها في الاول، وهي مستطيلة في تكوينها الى ان تسترجس الفارس والرجل، تبدأ مدورة ثم تجمع اولاً اولاً الى ان ينتهي اخرها الى نقطة محدودة كروم المعاول. موسوعة الاسلحة القديتية، ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٣) في الاصل (الاصوار).

(٤) صنجق او سنجق: وهي رايات صفر صغار. القلقشندي: صحح الاعشى، ٨/٤.

فوصل العوام من البلد مخبراً ان المسلمين لم يبق فيهم نفس، وانهم عجزوا عن الحفظ والدفع، وانهم صالحوهم على انهم يسلموا البلد اليهم ومائتي الف دينار وخمس مائة^(١) اسير مجاهيل ومائة اسير معينين وصليب الصليبوت على ان يخرجوا بانفسهم سائمين وذرايهم ونسائهم.

فلما وقف السلطان على ذلك، انكر انكاراً عظيماً وجمع ارباب المشورة، وعرفهم الصورة واضطرب حاله وتشوش خاطره، وعزم على ان يكتب مع العوام وينكر عليهم وهو على ذلك، فما احس المسلمون الا وقد ارتفعت اعلام الكفر وصلبانه وشعاره على اسوار البلد، وذلك ظهيرة نهار الجمعة سابع عشر جمادي الاخر سنة سبع وثمانين وخمس مائة، وصاح الفرنج صيحة واحدة ونعرت بوقاتهم، وعظمت المصيبة على المسلمين وانحصر كلام العقلاء [٤٣-ب] من الناس في تلاوة ﴿إنا لله وإنا اليه راجعون﴾^(٢) وغشي الناس بهته عظيمة ووقع في العسكر الصباح والعويل، فرأى السلطان من المصلحة التأخر عن ذلك المنزل، فانه لم يبق غرض من المضايقه، فانقل سحره تاسع عشر جمادي الاخر الى شفرعم.

وفي ذلك اليوم خرج منهم ثلاثة نفر ومعهم الحاجب قوشي حاجب بهاء الدين قراقوش، وكان رجلاً عاقلاً مستنجزين ماوقع عليه عقد الصلح من المال والاسرى فاقاموا ليلة مكرمين، وساروا الى دمشق يبصرون الاسارى، وانفذ السلطان رسولا الى الفرنج، يسأل منهم كيف جرت الحال، ويستعلم كم مدة تحصيل ماوقعت عليه المصالحة، ولم تزل الرسل تتردد في تحرير القاعدة حتى حصل لهم ما كانوا التمسوه من الاسارى والمال المختص بذلك الترم^(٣) وصليب الصليبوت ومائة الف دينار والف وستمائة اسير، وانفذوا ثقاتهم وشاهدوا الجميع ماعدا الاسارى المعينين من جانبهم، فانهم لم يكونوا عينوهم، ولم يزالوا يطاولون ويقضون الزمان حتى انقضى الترم الاول في ثامن عشر رجب، ثم

(١) ورد العدد الف وخمس مائة اسير لدى: الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٥١٢، ابن شداد، النوادر، ص ١٧٠-١٧١، ابر شامة، الروضتين، ٤/١٥٣-١٥٤.

(٢) البقرة: ١٥٦.

(٣) الترم، يفهم من السياق انه المدة، الاجل، ويبدو انه كلمة Term الانجليزية. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٢٧، هامش(١).

انفذوا في ذلك اليوم يطلبون ذلك، فقال لهم السلطان: اما ان تنفذوا الينا اصحابنا وتتسلموا الذي عين لكم في هذا الترم، واما ان تعطونا رهائن على مانسلمه اليكم حتى يخرجوا الينا اصحابنا، فقالوا: لا نفعل شيئاً من ذلك، بل تسلمون الينا ما يقتضيه هذا الترم، وتقنعون بأماننا حتى نسلم اليكم اصحابكم، فابى السلطان رحمه الله ذلك، لعلمه انه ان تسلموا المال والصليب والاسرى واصحابنا عندهم لايؤمن غدوهم، ويكون وهن للاسلام عند ذلك عظيماً [٤٤-أ].

فلما رآه قد امتنع، أخرجوا خيامهم الى ظاهر خنادقهم مبرزين وكان الذي برز ملك الانكتير ومعه خلق عظيم من الخيالة والرجالة، وغدر باسارى المسلمين، وكان قد صالحهم وتسلم البلد منهم على ان يكونوا امنين على انفسهم، واذا دفع السلطان اليهم ما استقر، اطلقهم باموالهم وذراريهم ونسائهم، وان امتنع من ذلك ضرب عليهم الرق واخذهم اسارى، فغدر بهم الملعون وركب هو وجميع عسكر الفرنجية في وقت العصر من يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر وسار حتى اتى تحت تل العياضية، وساروا حتى توسطوا التل بين كيسان والعياضية، وكان اليزك الاسلامي تأخر الى تل كيسان، ثم احضروا من الاسارى المسلمين من كتب الله شهادته، وكانوا زهاء ثلاثة الف مسلم، او ثقوهم في الجبال، وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد، فقتلوهم صبراً ضرباً بالسيف وطعنا بالرمح، فغشى المسلمين بذلك حزن عظيم، ولم يبقوا من المسلمين الا رجلاً معروفاً او قويا للعمل في عمائرهم.

ولما كان مستهل شعبان سنة سبع وثمانين وخمس مائة، اشتعلت نيران العدو واخبر اليزك بحركتهم، وشرع العدو في السير على شاطئ البحر، وتفرقوا قطعاً ثلاثة، كل قطعة تحمل نفسها وقوى السلطان اليزك، وانفذ معظم العساكر يسير قبالتهم، فمضوا وقاتلوهم قتالاً شديداً، وأمر طائفة من العسكر ان يسير وراء الثقل بحيث يلحق ضعيفهم بقويهم، وتكف عنهم من يلحق بهم، وسار هو حتى وصل الى القيمون^(١) فحضر دهليراً ونزل

(١) القيمون: حصن قرب الرملة من اعمال فلسطين. ياقوت، معجم البلدان، ٤/٢٤٤.

واطعم الجماعة واستشارهم [٤٤-ب] فيما يفعل، ورحل الى عيون الاساود^(١) ثم رحل الى الملاحه^(٢)، ثم رحل الاثقال الى مجدل يابا، وسار السلطان الى رأس النهر الجاري الى قيسارية^(٣)، ونزل جريدة هناك، ثم رحل مراحل الى ان نزل قرية تعرف بدير الراهب^(٤) في شعرا ارسوف.

ولما كان يوم السبت رابع عشر شعبان بلغ السلطان ان العدو قد تحرك للرحيل نحو ارسوف، فركب ورتب الاطلاب، وعزم في ذلك اليوم على ضرب مصاف، واخرج الجاليش من كل طلب، وسار العدو حتى بلغ بساتين ارسوف، فاطلق عليهم الجاليش الشباب، ولزتهم^(٥) الاطلاب، والتحم القتال واشتدوا في السير عساهم يبلقون المنزلة، واشتد بهم الامر، وضاق بهم الخناق والسلطان رحمه الله يطوف من الميمنة الى الميسرة يحث الناس على الجهاد، والنشاب يتجاوزوه، وطمع المسلمون فيهم طمعاً عظيماً حتى وصل اوائل راجلهم بساتين ارسوف، فاجتمعت الخيالة في وسط الرجالة واخذوا رماحهم وصاحوا صيحة الرجل الواحد، وحملوا حملة واحدة من الجوانب كلها، فانقطع الناس بين ايديهم ووقعت الهزيمة في المسلمين الميمنة والميسرة والقلب، فاثبت طلب السلطان ولم يبق فيه إلا سبع عشر مقاتل، لكن الاعلام كلها ثابتة والكوسات تدق ولايفتر، هذا والسلطان واقف في طلبه كما قيل:

تمرُّ بك الأبطال كلُّى هزيمةً ووجهك وضاح ودفرك باسم، [٤٥-أ]،

- (١) وعيون الاساود منزلة بين القيمون والملاحه. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٣٣ - ٥٣٤.
- (٢) الملاحه، موضع قريب جداً من الركن الشمالي الغربي لبحيرة الحولة. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٢٩٧، هامش(١).
- (٣) قيسارية، بلد على ساحل بحر الشام تعد في اعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة ايام. ياقوت، معجم البلدان، ٤/٢١٤.
- (٤) دير الراهب، قرية بفلسطين قرب ارسوف. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٤١، هامش(١).
- (٥) لزتهم، لز: شد والصق. واللز هو الطعن وهو المقصود هنا، وكذلك لز بمعنى الزام الشيء بالشيء. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٣٨، هامش(١).

وهو يأمر اصحاب الكوس بالدق، وكلما رأى منهزماً يأمر من يردده اليه، فوقف العدو خوفاً من الكمين، ثم حمل العدو حملة ثانية، ففر الناس وهم يقاتلون، ثم وقف فوققوا، ثم حمل حملة ثالثة حتى بلغ رؤوس الروابي، ففر الناس وهم يقاتلون، ثم وقف العدو فوققوا، وكان كل من رأى اعلام السلطان واقفة وكوساته تدق يستحي ان يجاوزه هزيمة، فيعود الى طلب السلطان، فاجتمع في الطلب خلق عظيم، ووقف العدو على رؤوس الروابي وخاف ان يكون في الشعرا^(١) كمين، فتراجعوا يطلبون المنزلة، وعاد السلطان الى تل في اوائل الشعرا، وكان ممن ثبت في ذلك اليوم الملك العادل، وقايماز النجمي، والملك الافضل ولده، وعسكر الموصل، وقتل جماعة وجرح خلق كثير.

ورحل السلطان، فنزل على تل العوجا^(٢) المشرف على النهر، ورحل الصبح ونزل الرملة، ورحل العدو الى يافا، فخاف السلطان ان يسبقوا الى عسقلان وان يجري عليها مثل عكا، فرتب الملك العادل قبايلهم بعساكر كثيرة، وسار طالباً عسقلان فنزل شماليها، واستخار الله سبحانه وتعالى، واستحضر واليها علم الدين قيصر من كبار مماليكه، فأمره ان يعجل في خرابها، وسار السلطان بنفسه الى السوق، واستنصر السوقية والغلمان للخراب، وقسم السور على الناس، وجعل لكل أمير قطعة من السور^(٣)، ودخل الناس البلد ووقع فيه الضجيج والبيكاء، وكان بلداً نضراً خفيفاً على القلب محكم الاسوار، عظيم البناء، فلحق الناس عليه حزن عظيم، وعظم عويل اهله وبكاؤهم، وشرعوا في بيع مالا يمكن حمله، بيع ما [٤٥-ب] يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد، حتى بيع اثني عشر طير دجاج بدرهم، وخرج اهل البلد بذرايرهم ونساءهم الى العسكر خشية ان يهجم الفرنج البلد، وتصرفوا ايدي سباء.

(١) الشعراء، وهي شعرا ارسوف اي اطرافها، وارسوف مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا. ياقوت، معجم البلدان، ١/١٥١.

(٢) تل العوجا: تل يشرف على نهر العوجا بفلسطين ويصب في البحر المتوسط بين يافا وارسوف. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٤٥، هامش (١).

(٣) لم يكن السلطان راغباً في تخريب عسقلان، ولكنه اقدم على تلك الخطوة للضرورات العسكرية، والخوف ان يتكرر فيها ما حدث في عكا، وكان يقول: "والله لان أفقد اولادي كلهم أحب الي من اهدم منها حجراً واحداً، ولكن اذا قضى الله بذلك، وعينه لحفظ مصلحة المسلمين طريقاً فكيف أصنع"، ابن شداد، النوادر ص ١٨٦-١٨٧.

ووصل الخبر من جهة الملك العادل انهم تحدثوا معه في الصلح، وخرج اليه ابن الهنفرى^(١) فرأى السلطان مالحق العسكر من التعب والضجر وكثرة الديون، ان سير اليه يأمره في الحديث معهم، وصبح في العشرين من شعبان وهو واولاده دايرن على الناس مجتهدين على سرعة خراب عسقلان خوفاً ان يسمع العدو فيهجمها، وامر بحريق البلد فأضرمت النيران، واحرق شئ كثير للناس مما عجزوا عن حمله، ووافى الخبر من جهة الملك العادل ان القوم مهتمين بعمارة يافا، وانه ليس عندهم من خراب عسقلان علم، ولم يزل الخراب والحريق يعمل في البلد الى سلخ شعبان.

وفي ثاني رمضان، رتب الحجارين وجماعة من العسكر يتموا خراب عسقلان، ورحل الى يبنى^(٢)، ورحل ثالث رمضان الى الرملة، ورتب العساكر ميمنة وميسرة وقلبا، وسار الى لد^(٣) فأمر بخراب بيعتها، وخراب قلعة الرملة، وابع مافيهما من حاصل التبن والشعير، وسار خفية في نفر يسير الى القدس ليشاهد اموره، فوصلها يوم الجمعة فصلى الجمعة وتصفح احوالها، ثم عاد يوم الاثنين الى عسكره المنصور.

فوصل اليه رسول المركيس، يذكر انه يصلح الاسلام بشرط ان يعطى صيدا وبيروت ويجاهر الفرنج بالعداوة، ويقصد عكا ويحاصرها ويأخذ منهم، فسير اليه نجيب الدين عدل الزبداني واجابه الى ذلك ليفصله عن الفرنج، فانه كان خبيثا ملعوناً وكان [٤٦-أ] استشعر منهم اخذ بلده صور، فانهز عنهم، واستعصم بصور وهي منيعة، فقبل ذلك القول منه لهذا السبب، وسار نجيب الدين عدل الزبداني مع رسوله، فاشترط عليه ان يبدأ بمجاهرة القوم وحصار عكا واخذها، واطلاق من بها وبصور من الاسارى، وعند ذلك يسلم اليه الموضعان.

ورحل السلطان من الرملة الى تل متعلق بجبل النطرون^(٤)، لأجل علوفات العساكر، وبقي البيزك على حاله، وأمر بخراب قلعة النطرون وكانت منيعة.

(١) هو همفري الرابع ابن همفري الثالث حاكم تبين، وكان افضل المتكلمين باللغة العربية في العسكر الصليبي. رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ٢/٨٣٥ (الملحق الرابع). ١١٥/٣.

(٢) يبنى: بليد قرب الرملة. ياقوت، معجم البلدان، ٤٢٨/٥.

(٣) لد: موضع بالشام قريب من الرملة. ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٢٧.

(٤) النطرون: موضع قرب دمشق، وهو اسم محرف للماطرون. ياقوت، معجم البلدان، ٤٢/٥.

والانكتير سلم أمر الصلح الى الملك العادل، وسير الملك العادل الصنيعة ابن النحال رسولاً اليهم، وتردد الرسل بين الجهتين، فلم يستقر الحال، ثم وصل نفرين من الفرنج، استامنوا واخبروا ان العدو على عزم الحركة والرحيل الى الرملة، وقصد بلاد الاسلام.

ذكر خروج الفرنج عن يافا

ولما كان ثالث شوال، رتب السلطان الاطلاب، وسلم اليك الى الملك العادل، وتبعه من يريد الغزاة وكان وصل جماعة من الروم يريدون الغزاة فخرجوا معهم، فلما وصلوا خيام العدو، هجم المماليك السلطانية عليهم وضايقوهم بالنشاب وقاربوا خيامهم، فثارت نفوسهم وركبوا من الخيام، وصاحوا صيحة الرجل الواحد، وساقوا على المماليك السلطانية ومن معهم من الغزاة، فاندفعوا بين ايديهم ولم ينج الامن سلم به جواده، وقتل ثلاث ممالك حياذ ونقلوا خيامهم الى يازور^(١)، وقام السلطان بمنزلتهم.

ذكر وفاة الملك المظفر [٤٦ - ب]

ورد الخبر بوفاة حادي عشر شوال سنة سبع وثمانين وخمس مائة، فطلب السلطان الملك العادل، وعلم الدين سليمان بن جندر وسابق الدين بن الداية، وعزالدين بن المقدم، واخلى المجلس واخرج من قبا^(٢) كتاباً وفضه وبكى، وقال: ان الملك المظفر توفي وهو عائد من خلاط الى ميافارقين، وأمر ان لايجهر بهذا الخبر لئلا يعلم العدو به، وأمر بمد الطعام واكل، ولم يظهر ذلك.

واما الملك المظفر فانه دفن بميافارقين، ثم نقل الى مدرسته بحماة ودفن بها، وكان وفاته تاسع عشر رمضان سنة سبع وثمانين وخمس مائة.

(١) يازور: بلدية بسواحل الرملة من اعمال فلسطين. ياقوت، معجم البلدان، ٤٢٥/٥.

(٢) القبا: ثوب يلبس فوق الثياب او القميص ويتمنطق عليه. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط،

ذكر وصول المشطوب

وذلك انه وصل يوم الخميس مستهل جمادي الاخر سنة ثمان وثمانين، ودخل سيف الدين المشطوب على السلطان بالقدس بغتة وعنده اخوه الملك العادل، فهنض اليه واعتنقه وسر به سروراً عظيماً، وتحدث بطرف من اخبار العدو، وسئل عن الصلح، فذكر ان الانكثير^(١) سكت عنه. [٤٧-أ].

ذكر قتل المركيس الملعون

لما كان سادس عشر ربيع الاخر سنة ثمان وثمانين، وصل من العدل^(٢) الرسول^(٣) كتاباً يذكر فيه انه قتل، وكان صورة قتله انه تغذى يوم ثالث عشر عند الاسقف، ثم خرج عليه اثنان من اصحابه بالسكاكين، فمازالا يضربان فيه حتى مات. ومسك الشخصان فسئلا عن هذا الامر، فقالا: ان الانكثير جهزنا عليه^(٤)، وقام بالامر اثنان يحفظان القلعة.

ذكر استيلاء الفرنج على الداروم

وكان الفرنج خذلهم الله تعالى، لما رأوا ان السلطان اعطى العساكر دستوراً، وتفرقت العساكر عنه، نزلوا على الداروم؛ وكان بيد علم الدين قيصر، فزحفوا عليه الخيالة والرجالة، وتمكنوا من نقب المكان، وملكوه وقتلوا من فيه واسروه.

ذكر قصد الفرنج مجدل يابا

ولما استولى الفرنج على الداروم ساروا بعد ان قرروا أمره، ورتبوا فيه من اختاروا، ونزلوا على الحسي قريب من جبل الخليل عليه السلام، ثم تأهبوا لقصد مجدل

(١) لدى: ابن شداد، النوار: ص ٢٠٢، ٢٠٨، (الانكثار).

(٢) العدل: اصطلاح يلقب به من يثق به القاضي ويضمن الى شهادته فيعنه في اعماله ومنها تسجيل الاحكام. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٠٩، هامش(١).

(٣) هو نجيب الدين ابا محمد. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٠٩.

(٤) بنفرد ابن الاثير في: الكامل، ٧٨/١٢ - ٧٩، برواية مفادها ان السلطان صلاح الدين كان وراء اغتياله على ايدي الاسماعيلية.

يابا، فاتوه جريدة وكان بها عسكر اسلامي، فجرى بينهم قتال عظيم، وقتل من العدو كند^(١) منكور.

وسير السلطان يحث العساكر الاسلامية على الوصول الى الجهاد، فوصل الامير [٤٧-ب] بدر الدين دلدرد ومعه جماعة من التركمان، وعزالدين بن المقدم.

في ثالث عشر جمادي الاول وصل قاصد من العسكر ان العدو خرج بفارسه وراجله، وخيم على تل الصافية^(٢) ورحل الى جانب النطرون، ثم رحلوا الى بيت نوبا^(٣).

فاستحضر السلطان الامراء وقسم اسوار القدس على الامراء، وعرف منهم مكانه^(٤).

ثم ورد الخبر بوصول العسكر المصري وفيهم ابن الجراحي المهراني^(٥)، وقلك الدين اخو الملك العادل لاهه، وجماعة كثيرة من الامراء واجتمع معهم قفل عظيم، فلما بلغ العدو ذلك جهزوا الانكثير^(٦) بعسكر كبير وراجل عظيم يقصد الوقوف في طريقهم.

فارسل السلطان ارسل^(٧) أمير اخور^(٨) وجماعة معهم يجذروهم ويأمرهم ان يدخلوا بالقفل في البرية، ويبعدو عن البلاد، فرغبوا في قرب الطريق، فكبسوهم قاطع الحسى الصبح، فما نجا الا من سلمه جواده واخذ القفل، وكان ثلاثة الف جمل وفيه من الاموال والامتعة مالا يحد، وكان الذي وشى للعدو بوصوله جماعة من مشددي العرب فحصل

(١) الكند: يعني الكونت (الامير).

(٢) تل الصافية: حصن من اعمال فلسطين قرب بيت جبرين من نواحي الرملة. ياقوت، معجم البلدان، ٤٢/٢.

(٣) بيت نوبا: بلدة صغيرة من نواحي فلسطين. ياقوت، معجم البلدان، ٥٢٣/١.

(٤) " فاذا عرف كل قوم موضعهم من السور واستعدوا له ". ابن شداد، النوادر، ص ٢١٢.

(٥) هو حسين الجراحي: ابن شداد، النوادر، ص ٢١٤.

(٦) وكان مع الملك ريتشارد جمع من العرب يعملون لحسابه " وسار حتى اتى القفل وطاف حوله في صورة عربي، وراهم ساكنين قد غشبهم النعاس، فعاد واستركب عسكره، وكانت الكيسة... " ابن شداد، النوادر، ص ٢١٤.

(٧) ورد لدى: ابن شداد، النوادر ص ٢١٣، بصيغة (اسلم).

(٨) أمير اخور، هو المشرف على الاصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والبغال والجمال، ويكون في الغالب مقدم الف ويسكن في اصطبل السلطان. القلقشندي، صبح الاعشى، والكلمة فارسية مركبة تعني رئيس الاصطبل. المعجم الذهبي، ص ٣١، وكوردية ايضا انظر: عبدالرحمن زكي، السلاح في الاسلام، ص ١١.

عند العدو من الفرح والسرور وقوة النفس بما حصل لهم من الاموال، وانزعج السلطان لذلك (الامر العظيم)^(١) بحيث لم يفطر في ليلته، وحشد العدو الات الحصار ونزل بيت نوبيا قاصداً حصار القدس.

فأمر السلطان ان يحضر الامراء، فحضر الامير حسام الدين ابو الهيجاء السمين بمسقة عظيمة وجلس على كرسي، والامير سيف الدين المشطوب وحسين بن الجراحي، وعلم الدين سليمان بن جندر والاسدية باسرههم، ومجد الدين هلدي الحميدي وقايماز النجمي وعزالدين بن المقدم وغيرهم من [٤٨-أ] الامراء، فقال لهم السلطان: هذا العدو قد دهمنا في غاية من القوة والمصلحة الاجتماع عند الصخرة. والتحالف على الموت، فوافقوا الامراء على ذلك، ثم سكت السلطان زماناً، وقال: الحمد لله والصلوة على رسول الله، اعلموا انكم جند الاسلام ومنعته، وانتم تعلمون ان دماء المسلمين واموالهم معلقة في ذمكم، وان هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه الا انتم، فان انتم اقصرتم او تقاعدتم، طوى العدو البلاد كطي السجل للكتاب، وكان ذلك في ذمتكم، فانكم انتم الذي تصديتم لهذا، واكلمتم مال بيت المال، فالمسلمون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام، فجاوبه سيف الدين المشطوب وقال: يامولانا نحن مماليكك، وانت الذي انعمت علينا وكبرتنا، واعطينا وليس لنا الا رقابنا، وهي بين يديك، والله ما يرجع احد منا عن نصرتك الا بالموت، فقال: الجماعة كلهم مثل ذلك، فانبسط نفس السلطان وطاب قلبه، وانصرفوا فلما كان عشاء الاخر^(٢) اجتمعنا في خدمته وهو غير منبسط على عادته، ثم قال: تعلمون ماذا تجدد، ان الامير حسام الدين ابا الهيجاء سير الى يقول: انه اجتمع عنده جماعة من المماليك الامراء وانكروا عليه وعلى المشطوب كونهم وافقنا على التأهب للحصار، وقالوا: نخاف ان يجري علينا مثلما جرى على اهل عكا، والرأي ان نضرب مصافاً، فان قدر الله تعالى ان نهزمهم ملكنا بقية بلادهم، وان تكن الاخرى سلم العسكر، ومضى القدس، ويتحفظ باقي بلاد الاسلام بعساكرها بغير القدس.

وبات تلك الليلة الى الصباح مفكراً لم ينم، وهي من الليالي التي احيهاها في سبيل الله، فلما كان [٤٨-ب] وقت صلاة الجمعة اغتسل للجمعة وتصدق خفية، واعترف بعجزه الى الله، ووقف بين الاذان والاقامة، وتضرع الى الله، فلما سجد قال القاضي بهاء الدين: رأيت

(١) في الاصل (امر عظيم)، حيث لاتستقيم الجملة.

(٢) لدى: ابن شداد، النواتر " الاخرة "، ص ٢١٦.

يذكر كلمات ودموعه تتقاطر على مصلاه، فلما كان عشيتها وصل كتاب جودريك^(١) وكان في اليك، يقول فيها: ان القوم ركبوا بأسرهم، ووقفوا على ظهر، ثم عادوا الى خيامهم، ثم وصل كتابه بكرة السبت ان القوم اختلفت اراءهم في قصد القدس، وفي الرجوع، فانفصل الحال على انهم حكموا ثلثمائة من اعيانهم، وحكم الثلثمائة اثني عشر منهم، وحكم الاثنا عشر ثلاثة منهم، فحكموا عليهم بالرحيل، فلم يمكنهم مخالفتهم، واصبحوا بكرة حادي عشرين جمادي الاخر سنة ثمان راحلين الى الرملة، وكان عدتهم عشرة الاف فارس، والراجل فلا يحصى، فخاف السلطان على مصر المحروسة.

وفي خامس رجب وصل الملك الظاهر ولده، فلقبه السلطان في العازرية^(٢)، وقبل الملك الظاهر الارض، فترجل السلطان له، واحتضنه وضمه اليه، وقبل بين عينيه. وفي عاشر رجب بلغ السلطان ان الفرنج رحلوا قاصدين بيروت، فرحل ونزل الجيب، وقدم اليه الملك العادل حادي عشر رجب، ورحل السلطان من الجيب الى بيت نوبة، ثم رحل الى الرملة، ثم ركب الى يازور وبيت دجن^(٣)، واشرف على يافا.

وفي خامس عشر نزل على يافا من البحر الى البحر، واستحضر المنجنيقات وركبها عليها، وزحف اليها، واطلق النقاين في السور وتمكنوا من النقب، ودخلوا فيه، وكان الملك قد توجه (من)^(٤) عكا نحو بيروت.

واصبح السلطان على القتال والزحف، والتحم القتال واشتد الامر، [٤٩- أ] فارسل من في يافا بطلب الصلح، فطلب منهم قاعدة القدس، وقطيعة، فاجابوا الى ذلك واشترطوا المهلة الى يوم السبت وهي ثامن^(٥) عشر رجب يرحل السلطان والعساكر، وضربت المنجنيقات ودخلت النقاين وارتفعت الاصوات، وضربت الكوسات، وضرم النقاين النار في البدنة، ووقعت كالجبل الراسي، وعظم التهليل، وارتفعت الاصوات بالتكبير.

(١) هو عز الدين جودريك النوري.

(٢) العازرية: قرية بالقدس. ياقوت، معجم البلدان، ٦٧/٤.

(٣) بيت دجن: ورد لدى: ابن شداد، النوادر، ص ٢٢٢، هامش (١)، بيت جبرين.

(٤) في الاصل: (الى) وهو خطأ واضح، والصواب ما اثبتناه.

(٥) ورد بصيغة تاسع عند: ابن شداد، النوادر، ص ٢٢٣، ابو شامة، الروضتين، ١٨٥/٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٩٤/٢.

هذا والعدو المخذول قد وقفوا في الثلثة كالسد الحديد، كلما قتل واحد قام مكانه اخر.
ونزل منهم رسول وسأل السلطان الامان، وان يرد الناس عن الزحف، فقال له: ما
اقدر على رد المسلمين، لكن المصلحة ان تدخلوا القلعة ليشغل المسلمون عنهم بالبلد، فعاد
الرسول بذلك فانحازوا الى القلعة، ودخل الناس الى البلد عنوة، ونهبوا اقمشة عظيمة
وعلالاً، واستقر القاعدة على الوجه الذي تقرر من الاول.

فلما كان سحرة تلك الليلة سمعنا بوقهم وقد نعر، فعلمنا بوصول النجدة، فسير
السلطان لتقوية البديل درباس بن مم المهراني وحسين الجراحي وجورديك وعلم الدين
قيصر، فتقدم الملك الظاهر الى قلعة يافا، وأمر من بها ان ينزلوا، فاجابوا الى ذلك وتهيئوا
للخروج، فقال عز الدين جورديك لا ينبغي ان يخرج منهم احد، حتى يخرج الناس من
البلد، خشية ان يتخطفوه، وطال الامر الى ان علا النهار، خرج سبعة واربعون نفر
بخيولهم ونسائهم، فلاح للذين في القلعة ستة وثلاثين مركباً قد اقبلت، فظهرت منهم
امارات العصيان، واخذوا الطوارق وعلوا على الاسوار، ثم ركبوا خيولهم، وخرجوا من
القلعة، وحملوا حملة الرجل الواحد، فاخرجوا من كان في البلد من المسلمين، فضرب
الكوس وزحف الناس حتى ادخلوهم القلعة.

وارسلوا بطركهم الى [٤٩-ب] السلطان يسألونه القاعدة الاولى، وكان سبب امتناع
نزول النجدة، انهم رأوا صنالحق المسلمين في البلد والقلعة، فظنوا ان القلعة قد سلمت.
فلما تحققوا الحال، اندفعوا يطلبوا الساحل ((فكان شاني حط في البر شانيه))^(١)، فما
كان ساعة الا وقد نزل كل من في الشواني الى الميناء، فحملوا على المسلمين، فاندرجوا^(٢)
بين ايديهم، فقبض السلطان على الرسول، وامر بتأخير الثقل والسوق الى يازور، وخرج
الانكتير فنزل في منزل السلطان، وخرج اليه من في القلعة.

فلما كان سادس عشر رجب، وصل علاء الدين ابن صاحب الموصل بعسكره، وفرح به
السلطان والتقاء من بعد، وزاد في اكرامه.

ورحل السلطان الى التطرون وفي تاسع شعبان وصل عسكر مصر، فالتقاهم السلطان
وكان فيهم جماعة الاسدية، والملك المؤيد ولد السلطان، وفرح المسلمون بقدمهم.

(١) عبارة غير واضحة هكذا وردت في الاصل.

(٢) لدى: ابن شداد، النوادر " اندحروا ". ص ٢٢٧.

وفي حادي عشر شعبان وصل الملك المنصور ابن تقي الدين صاحب حماة، ودخل الى السلطان، فقام له وقبله وضمه الى صدره وبكى بكاء شديداً، ثم باسطه واكرمه^(١).

ولما رأى السلطان اجتماع العساكر من كل ناحية، فرحل ونزل الرملة، وسير عزالدين جورديك وجمال الدين فرج يزكا على يازور.

هذا ورسل الانكثير لا ينقطعون في طلب الثلج والفاكهة، والسلطان يمد بهما، وكان مريضاً، وقد القى الله عليه شهوة الكمثرى والخوخ.

ولما كان السبت ثالث عشر شعبان حضر بدر الدين دلدرد من اليزك، وذكر انه اجتمع بالانكثير ودخل في رضى السلطان وسأل [٥٠- أ] الصلح، ونزل عن عسقلان، فأحضر السلطان الديوان، وذكر يافا واعمالها، واخرج الرملة ولد ومجدل يابا، ثم ذكر قيسارية وعملها وارسوف وعملها، وحيفا واعمالها، واخرج منها الناصرة وصفورية، واثبت الجميع في ورقة واعطاها طرنطاي وسيره مع الرسول. وقال: هذه حدود البلاد التي تبقى في ايديكم، فان صالحتم على ذلك فمبارك قد اعطيتكم يدي، فراح طرنطاي وعاد ثاني يوم ومعه الرسل، فدخلوا على السلطان، وكان فحوى الجواب، ان الملك اولا لم ينزل عن عسقلان، واما اللد فقد رد الحال الى مروة السلطان، فاخذ النجيب العدل النسخة وتوجه الى الملك وهو مريض، فقال: لا طاقة لي على الوقوف عليها، لكن انا قد صالحت وهذه يدي، فحضر الكندھري وابن بارزان ووقفوا على النسخة، ورضوا بالذوالرملة مناصفة، واستقرت القاعدة^(٢)، وانفذ العدل الى السلطان من عرفه ذلك.

ولما كان يوم الاربعاء ثاني عشرين شعبان، اخذوا يد الملك وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يحلفون، وفتح من السلطان بمثل ذلك، فاخذوا يده وحلفوا الباقي، ورضى الاستتار

(١) كان قد تولى الحكم في حماة بعد وفاة والده الملك المظفر تقي الدين، تغير موقف السلطان تجاهه لتصرفات غير لائقة بدرت منه، غير انه احس بالخطأ وتراجع وطلب من الملك العادل اصلاح حاله مع السلطان، فعفا عنه. عن ذلك انظر: ابن الاثير، الكامل، ٨٢/١٢ - ٨٣، ابو شامة، الروضتين، ١٧/٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٧٧/٢ - ٣٧٨.

(٢) عن بنود اتفاقية الصلح انظر ايضا، الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٦٠٣ - ٦٠٩، ابن الاثير، الكامل، ٨٥/١٢ - ٨٧، ابن شداد، النوادر، ص ٢٢٧ - ٢٣٠، ٢٣٢ - ٢٣٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤١٨/٨ - ٤١٩، ابو شامة، الروضتين، ١٩٠/٤ - ١٩٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٧٢/١٢ - ٣٧٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٠٩ - ١١٠، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ١٧٧ - ١٧٨.

والداوية، وسائر مقدمي الافرنجية بذلك، واتوا مخيم السلطان، وكان الواصل ابن الهنفرى، وحضر العدل وحكى ماجرى، واخذوا يد السلطان وعاهدوه على الصلح، وحلف الملك العادل، والملك الافضل، والملك الظاهر، وسيف الدين المشطوب، وحسام الدين ابو الهيجاء وبدر الدين دلدردم، والملك المنصور، وابن المقدم، ونادى المنادى في الاسواق والاطواقات [٥٠-ب]، بان الصلح قد انتظم فمن شاء من بلادهم يدخل بلادنا، ومن شاء من بلادنا يدخل بلادهم.

وسير مائة نقاب وجماعة امراء بخراب ماكان بنوه بعسقلان فشرعوا في خرابها. ورحل الى النطرون، واختلط العسكران، ووصل منهم خلق عظيم لزيارة القدس، وكان غرض السلطان ان يقضوا غرضهم من الزيارة ويرجعوا الى بلادهم، فيأمن المسلمون شرهم.

واعطى السلطان العساكر الاسلامية دستوراً، فأول من توجه عسكر اربل في مستهل رمضان ثم عسكر الموصل وسنجار والحصن.

ورحل السلطان الى القدس الشريف وافتقد احواله وزار الاماكن الشريفة بها، ولم يزل كذلك الى ان صح عنده اقلع مركب الانكثير وسار من القدس واتى نابلس. وفي حادي عشر شوال، وصل بهاء الدين قراقوش من الاسر، ففرح به فرحاً شديداً، وكان له حقوق.

وفي ثالث عشرين شوال توفي الامير سيف الدين علي المشطوب الهكاري بالقدس، ولم يكن واليها، بل من جملة الامراء بهاء ودفن بداره بها.

ودخل السلطان دمشق بكرة الاربعاء سادس عشرين شوال، وكان يحب دمشق ويؤثر فيه الاقامة على سائر البلاد لتربيته بها من الصبى.

ولما تصفح الملك العادل احوال الكرك، عاد طالباً البلاد الفراتية، فخرج السلطان الى لقائه.

ويتصد حول غباغب^(١) ونهر الكوة^(٢) الى ان لقيه، ودخلا دمشق.

(١) غباغب: قرية في اول عمل حوران من نواحي دمشق، بينهما ستة فراسخ. ياقوت، معجم البلدان، ١٨٤/٤.

(٢) الكوة: قرية هي اول منزل تنزله القوافل اذا خرجت من دمشق الى مصر. ياقوت، معجم البلدان، ٤٦١/٤.

واقام السلطان يتصيد هو واولاده واخوه، ويتفرجون في بساتين دمشق ومواطن الصبي [٥١-أ].

ذكر لقائه الحجاج

وفي يوم الاربعاء ثالث عشر صفر، استدعى الفرنج ولم يسمع كلامهم^(١)، وبكرة الجمعة، ركب لقاء الحجاج، فلقبه وكان كبير الاحترام للمشايخ، ورجع من البساتين على طريق النيبع^(٢) ودخل القلعة.

ولما كانت ليلة السبت وجد كسلأ عظيماً، وغشيته حمى صفراوية، واخذ المرض يتزايد، وكان مرضه في رأسه رحمه الله، وكان من امارات انتهاء العمر، غيبة طبيبه الذي كان قد الف مزاجه سفراً وحضراً، ورأى الاطباء فصدده، وتناهى المرض الى ان بلغ غاية من الضعف، ولقد اجلسناه في السادس من مرضه واستدنااه الى مخدة وخرجنا، يعني بهاء الدين بن شداد والقاضي القاضل، واشتد مرضه في السابع والثامن، ولما كان التاسع حدث به رعشة، وامتنع من تناول المشروب، واشتد الارجاف في البلد، وخاف الناس، ونقلوا الالفشة من الاسواق، وغشى الناس الكابة والحزن.

ولما رأى الملك الافضل ما حل بوالده، وتحقق اليأس^(٣) منه، شرع في تحليف الناس، وجلس في دار رضوان المعروفة بسكنه، واستحضر القضاة وعمل له نسخة يمين مختصرة يتضمن الحلف للسلطان مدة حياته، وله بعد وفاته، واعتذر للناس بان المرض قد اشتد، وما نعلم ما يكون، وما نفعل ذلك الا احتياطاً على جاري عادة الملوك، فاول من استحضر للحلف سعدالدين مسعود، اخو بدر الدين مودود شحنة دمشق، ثم احضر ناصر الدين صاحب صهيون، فحلف وزاد ان الحصن الذي في يده له، وحضر سابق الدين صاحب شيزر^(٤)، فحلف من غير طلاق، وحضر خشترين الهكاري، ونو شيروان [٥١-ب] الزرزاري،

(١) عن سبب ذلك انظر: ابن شداد، النوادر، ص ٢٤٢.

(٢) النيبع: احدى ضواحي دمشق الجنوبية على الطريق الى الحجاز.

(٣) ورد في الاصل (اليأس)، والتصحيح من: ابن شداد، النوادر، ص ٢٢٤.

(٤) شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم. ياقوت، معجم البلدان، ٣/٣٨٣.

وعلكان، ومنكلان فحلفوا، وميمون القصري، وشمس الدين سنقر الكبير، وقالوا: نحن نحلف بشرط ان لانسل في وجه احد من اخوتك سيفا، وحضر اسامة وحلف وعلق يمينه بشرط خبز يرضيه، وحلف سنقر المشطوب، والفارس اليكي، وايبك الافطس^(١)، وحسام الدين بشارة وكان مقدم هؤلاء، ولم يحضر احد من الامراء المصريين، ولاتعرض لهم، ونسخة اليمين المحلوف بها: " انني من وقتي هذا قد اصفيت نيتي واخلصت طويتي للملك الناصر مدة حياته، وانني لا ازال باذلاً جهدي في الذب عن دولته بنفسي ومالي وسيفي ورجالي، ممتثلاً امره واقفا عند مرضيه ثم من بعده لولده الملك الأفضل علي والله اني في طاعته واذب عن دولته بنفسي ومالي وسيفي ورجالي وأمتثل أمره ونهيه، وباطني وظاهري في ذلك سواء، والله على ما أقول وكيل "

ولما كانت ليلة الاربعاء سابع عشرين صفر سنة تسع وثمانين وخمسين مائة، وهي ليلة الثاني عشر من مرضه، رحمه الله، اشتد مرضه، وضعفت قوته، وحال بيننا وبينه النساء^(٢). فاستحضروا الشيخ ابا جعفر امام الكلاسة^(٣)، وكان رجلاً صالحاً، وادخلوه اليه، فقرأ الشيخ ابو جعفر عند رأسه، وذكره الله تعالى، وكان ذهنه غائباً من ليلة التاسع لا يكاد يفيق، وذكر الشيخ ابو جعفر، انه لما انتهى الى قوله تعالى: [٥٢-١] ﴿هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة﴾^(٤)، سمعه وهو يقول صحيح، وهذه يقظة في وقت الحاجة، وعناية من الله تعالى، قلله الحمد.

وكانت وفاته رحمة الله عليه بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء سابع عشرين صفر سنة تسع وثمانين وخمسين مائة، وبادر القاضي الفاضل بعد صلاة الصبح وحضر وفاته. ثم جلس ولده الملك الافضل للعزاء في الايوان الشمالي، وكان يوماً عظيماً قد شغل كل انسان ما عنده من الحزن والاسف والبكاء، وحفظ المجلس عن ان يتكلم فيه شاعر او

(١) ورد في الاصل (فطيس)، والتصحيح من: ابن شداد، النوادر، ص ٢٤٥.

(٢) ينقل من النوادر على لسان ابن شداد. انظر: ص ٢٤٦.

(٣) الكلاسة: احدى المواضع في دمشق، سميت بهذا الاسم لانها كانت موضع عمل الكلس. النجفي، المدارس في تاريخ المدارس، ١/٢٩٠.

(٤) الحشر: ٢٢.

واعظ، وغسله الدولعي^(١) واخرج بعد صلاة الظهر رحمه الله في تابوت مسجى بثوب فوط، وكان ذلك وجميع ما احضره من تكفينه، قد احضره القاضي الفاضل من جهة حل^(٢)، وارتفعت الاصوات عند مشاهدته، وغشى الناس البكاء والعيول، وصلى عليه الناس ارسالاً، وكان اول من ام به القاضي محي الدين بن الزكي، ثم اعيد رحمه الله عليه الى الدار التي في البستان، ودفن في الصفة الغربية منها.

وعمل له الافضل العزاء ثلاثة ايام، وحزن الناس عليه حزناً لم يحزن على قبله مثله.

وقال العماد الكاتب: دخلنا عليه ليلة الاحد للعيادة وممرضه في زيادة، وفي كل يوم يضعف القلوب ويتضاعف الكروب، ثم انتقل من دار الفناء الى دار البقاء سحرة يوم الاربعاء، ومات لموته رجاء الرجال، واطلم بغروب شمس فضال الافضال، ودفن بقلعة دمشق في مسكنه، ودفن جماع الكرم والفضل في مدفنه، ورناه الشعراء [٥٢- ب].

وكتب القاضي الفاضل الى الملك الظاهر وهو يطلب كتاب التعزية، يقول فيه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾^(٣)، الآية كتبت الى الملك الظاهر احسن الله عزاء في مصابه، وجعل الخلف فيه لماليك المرحوم واصحابه، والدموع قد حضرت التواظر، والقلوب قد بلغت الحناجر، واني ودعت اباك مخدومي وداعا لا نلتقي بعده، واسلمته الى الله طالبا فضله ورشده، ولم تدفع عنه جنوده المحتدة القضاء، ولا ردت عنه الاسلحة والخزائن البلاء، والعين تدمع، والقلب يخشع، ولا نقول مايسخط الرب، وانا عليك يا يوسف لمحزونون، وفي اخره، فان اتفقتم فما عدمتم الا شخصه الكريم، وان اختلفتم فالمصائب المستقبله هولها عظيم.

(١) الدولعي: هو ضياء الدين ابو القاسم، عبدالملك بن زيد بن ياسين التغلبي، والدولعية من قرى الموصل، ولد سنة (٥١٨هـ)، وتوفي بدمشق سنة (٥٩٨هـ). ابو شامة، الذيل على الروضتين ٤٨/٥، ابن الاثير، الكامل، ١٧٨/١٢.

(٢) ورد لدى: ابن شداد، النوادر، ص ٢٤٧، " من وجه حل عرفه ".

(٣) الاحزاب: ٢١.

ذكر ما خلف

قال القاضي بهاء الدين بن شداد في سيرة السلطان، توفي ولم يخلف سوى سبعة واربعين درهما ناصرية، وجرماً^(١) واحدا ذهباً سوريا، ولم يخلف داراً ولا عقاراً ولا ضيعة ولا بستاناً ولا مسقفاً ولا غيره.

ذكر فتوحاته^(٢)

اول ما فتح الديار المصرية والحجاز، ومكة، والمدينة، واليمن من زبيد الى حضرموت متصلأ بالهند، وفي الشام، دمشق، وبعليك، وحمص، وبيانياس، وحماة، وحلب واعمالها، ومن الساحل وبلاده، القدس، وغزة، والداروم، وتل الصافية، وعسقلان، ويافا، وقيسارية، وحيفا، [٥٢-أ]، وعكا، وطبرية، والشقيف، وصفد، وكوكب، والكرك، والشوبك، ونابلس، وصيدا، وبيروت، وجبيل، وجبلية، واللاذقية، والشفر، وبكاس، وصهيون، وبلاطنس، وحصن برزية، ودر ب ساك، وبقراس، ومن الشرق، حران، والرها، والرقة، وراس عين، وسنجار ونصيبين، وجميلين، والموزر، وسروج، وميافارقين، وآمد، وشهرزور، والبوازيج. وخطب له بالقسطنطينية، ومن باب همدان الى الفرات، ومن الفرات الى حضرموت، ومن الغرب الى افريقية، وفتح ستين حصناً، وزاد على نورالدين بمصر والمغرب، والحجاز، واليمن، والقدس، والساحل، وديار بكر، ولو عاش لفتح الدنيا شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، وان كان مبدا فتوحه مصر بهمة نورالدين وامواله، وعساكره ورجاله، وبينهما مقاربة في السيرة والايام، والعدل واجتناب الاثام، وكلاهما لم يبلغ ستين سنة، وكم حصلاً من فضلة ومنقبة حسنة.

ذكر اولاده وكانوا ستة عشر ذكر وابنة واحدة كان اكبر اولاده الافضل علي، واخوه لابييه الظافر خضر، وقطب الدين موسى، والملك العزيز عثمان، والملك الاعز يعقوب، والملك الظاهر غازي، والملك الزاهر داود، والملك المعز اسحق، والمؤيد مسعود، والملك الاشرف محمد، والملك المحسن احمد، والملك الجواد ايوب [٥٢-ب] والملك العظيم توران شاه، والملك

(١) جرم: هو الدينار السوري نسبة الى مدينة صور لكونها مكان الضرب، ويكون عادة من الذهب، ابن واصل، مفرج الكروب، ٤٢٦/٢، هامش (٥).

(٢) عن فتوحاته انظر: ابن الاثير، الكامل، ج ١١-١٢، ابن شداد، النوادر، ص ٢٤٨، ابو شامة، الروضتين، ج ٣-٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢.

الغالب ملك شاه، والنصرة ابو بكر. واما البنات فاسمها مؤنسة خاتون، تزوجها الملك الكامل محمد بن العادل، وماتت عنده، وكان له ولد اسمه اسماعيل مات في حياة ابيه.

ذكر ما تجدد بعد وفاته

كان اخوه الملك العادل لما توفي بالكرك، فقدم دمشق معزياً للملك الافضل، فاقام اياماً ثم رحل الى الجزيرة الى بلاده، وهي حران والرها وسميساط والرقعة وقلعة جعبر وميفارقين، وكان له بالشام الكرك والشوبك.

وبعث الافضل القاضي ضياء الدين بن الشهرزوري رسولا الى الخليفة، ومعه زردية^(١) السلطان وسيفه وحصانه وكراغنده^(٢) ودبوسه^(٣) وتحفا كثيرة، وعاب الناس عليه، حيث بعث بعدة السلطان الى بغداد.

وبعث الملك الظاهر القاضي بهاء الدين بن شداد بكتاب يسأل تقريره على حلب. واما الملك العادل فان المشاركة شاروا عليه: واستشاروا عزالدين صاحب الموصل واصحابه، فاشار عليه المجد بن الاثير^(٤) بالخروج، وشار عليه مجاهد الدين قايماز بالقام لتظهر حقائق الامور، ويراسل مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل، وسنجرشاه صاحب الجزيرة، وعماد الدين صاحب سنجار، فراسلهم فلم يجبه منهم احد الا اخوه عماد الدين صاحب سنجار، وخرج عزالدين من الموصل [٥٤-١] واجتمعا على نصيبين

(١) الزردية، الزرد، حلق المغفر، ويأتي بمعنى الدرغ ايضاً. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٣٩١/١.

(٢) كراغند، لفظ فارسي معناه ثوب مبطن بالحرير يلبس ايام القتال، التوحي، المعجم الذهبي، ص ٤٤٦، وكان يشبه معطفا قصيراً، استعمل ايام الحروب الصليبية، وقد يرتديه الفرسان فوق دروعهم. حسين، الجيش الايوبي ص ص ٣٢١ - ٣٢٢.

(٣) دبوس، وهي من الاسلحة الفردية الشديدة التأثير في الجسد. موسوعة الاسلحة القديمة، ص ١٥٨، ويكُون راسه من الحديد ونصابه من الخشب، وكان يستعمل لت هشيم رأس العدو حتى ولو كان لابسا الخوذة المعدنية، حسين، الجيش الايوبي، ص ٢٧٧.

(٤) هو ابو السعادات المبارك بن ابي الكرم محمد بن عبدالكريم الشيباني، المعروف بابن الاثير الجزري، الملقب بمجد الدين، توفي بالموصل سنة (٦٠٦هـ). ابن الاثير، الكامل، ١٢/٢٨٨، ابن المستوفي، تاريخ اربل، ١/١٣٣ - ١٣٦، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/٣٠٢،

ليأخذنا بلاد الجزيرة، وكان العادل على حران، فاستنجد باولاد اخيه، فجأته عساكر الشام ومصر.

ومرض عزالدين على نصيبين بالاسهال وتقدم الى دنيسر^(١)، وبعث الى الملك العادل يسأله الصلح على ان يكون العادل نائبه في البلاد، هابى العادل، وهوى الاسهال بعز الدين، فرجع الى الموصل، وتوفي في شعبان.

وكان بكتمر^(٢) صاحب خلاط قد شمت بموت السلطان، وتسمى بالملك الناصر، وعزم على اخذ الجزيرة، فقتل في جمادي الاولى.

وجاء العادل الى ماردين، وعزم على حصارها، فصالحه صاحبها.
فعاد الى حران، وجأته الرسل من خلاط يطلبونه، فنزل الثلج فمنعه من ذلك.
وعادت العساكر الى مراكزها.

وقدم شمس الملوك^(٣) بن سيف الاسلام من اليمن الى دمشق، فاقام عند الافضل.
وكان الافضل قد استوزر ضياء الدين بن الاثير الجزري^(٤)، فساء السيرة، وشغب قلوب الجند والاعيان على الافضل، فسار عزالدين اسامة الجيلي^(٥) والقاضي الفاضل^(٦) وبين

(١) دنيسر: بلدة مشهورة من نواحي الجزيرة، قرب ماردين بينهما فرسخان. ياقوت، معجم البلدان، ٤٧٨/٢.

(٢) انظر ايضا، ابن الاثير، الكامل، ١٠٢/١٢ - ١٠٣، الخليلي، شفاء القلوب، ص ٢٠٢.

(٣) هو الملك المعز شمس الملوك اسماعيل تولى حكم اليمن بعد وفاة والده سنة (٥٩٣هـ)، وقتل سنة (٥٩٩هـ)، انظر ترجمته لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٥، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٣٦/٣ - ١٣٩، ابو الفدا، المختصر، ١٩٢/٢ - ١٩٣، ابن الوردي، قمتة المختصر، ١٧١/٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٣٤/٤.

(٤) ضياء الدين ابو الفتح نصرالله بن ابي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري ثم الموصلية. ولد سنة (٥٥٨هـ)، وتوفي ببغداد سنة (٦٣٧هـ)، وله مؤلفات كثيرة منها، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، والرشي المرقوم وغيرهما. عنه انظر: ابو شامة، الروضتين، ٢٤٥/٤ - ٢٤٦، والذيل على الروضتين، ص ٢٥٨ - ٢٥٩، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٠/٣، ٢٥٨ - ٢٥٩، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٨٧/٥ - ١٨٨.

(٥) عزالدين اسامة بن الجيلي: عنه انظر: ابن الاثير، الكامل، ٣٠٠/١٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢٤ - ١٢٥، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٠٩/٣ - ٢١٠ ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٩/١٣ - ٧٠.

(٦) ولما راي القاضي الفاضل من الملك الافضل ووزيره ضياء الدين ابن الاثير مالا يعجبه، استأذن الافضل في الذهاب الى مصر فأذن له. ابن واصل، مفرج الكروب، ١١/٣. وكان قد فارق الافضل قبل ذلك بهاء الدين ابن شداد وذهب الى حلب لخدمة الملك الظاهر. نفسه، ١٢/٣.

عصرون^(١) والاعيان الى مصر، فالتقاهم العزيز وكرمهم، وكان معهم معظم الصلاحية^(٢)، فغار منهم الاكراد، فخرج منهم جماعة الى الافضل، فالتقاهم وكرمهم، واشتغل الافضل بلهوه، وكان القدس في يده، فعجز عنه، فسلمه الى نواب العزيز، فبان للناس عجز الافضل، ومضى الملك الظافر [٥٤-ب] خضر الى العادل، فاعطاه الرقة، واقام بها. وشرعت الوحشة بين العزيز والافضل.

وبلغ الفرنج فطمعوا وحاصروا جبيل، وكان بها جماعة من الاكراد، فباعوها للفرنج. وبرز العزيز من مصر الى البركة، يريد قتال الفرنج ظاهراً، واخذ دمشق باطناً، وعلم الافضل فكتب الى عمه العادل والمشاركة فاجابوه الى مايريد، وجاء العزيز فنزل بظاهر دمشق، وسار العادل بعساكر الشرق، فلما قرب من دمشق، وكان العزيز قد نزل بعقبة شحورا^(٣)، وجاء العادل فنزل بمرج عنذرا^(٤)، فارسل اليه العزيز يقول اريد نجتهم، فاجتمعا على ظهور خيولهما، وتفاوضا، فقال له العادل: لا تخرب البيت ويدخل عليه الآفة والعدو ورائنا من كل ناحية، وقد اخذوا جبيل، وسيأخذوا الباقي ان اختلفتم، فارجع الى مصر، واحفظ عهد ابيك، ولا تكسر حرمة ابيك ودمشق فيطمع فيها كل احد، وعاد العادل عنه الى دمشق.

واقام العزيز في منزلته، وقدمت العساكر على الافضل، وبعث اليه العادل، ارحل الى مرج الصفر^(٥)، فرحل وهو مريض، وكان قصد العادل ان يبعده عن البلد لتصل العساكر، فوصل الظاهر من حلب، والمنصور من حماة، والمجاهد اسد الدين من حمص، والامجد من

(١) هو نجم الدين بن شرف الدين ابو سعد عبدالله بن محمد بن هبة الله بن ابي عصرون، تولى القضاء في دمشق بعد وفاة والده سنة (٥٨٥هـ). ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٥٥/١٢.

(٢) كان ضياء الدين قد حسن للملك الافضل ابعاد امراء ابيه واكابر اصحابه، وان يستجد له امراء واصحابا غيرهم، وقال: " هؤلاء خواص السلطان وينظرون اليك بتلك العين، ويعتقدون ان حقهم واجب وجوب الدين ولا يقنعون، واعمال دمشق لاتسمعهم، وجميعها لاتقنعهم... " ابن واصل، مفرج الكروب، ١٠/٣ - ١١.

(٣) عقبة شحورا، موضع بظاهر دمشق.

(٤) مرج عنذرا، قرية بغوطة دمشق من اقليم خولان، واليها ينسب مرج. ياقوت، معجم البلدان، ٩١/٤.

(٥) مرج الصفر، من نواحي دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ١٠١/٥.

بعلمك، في نجدة الافضل، فقال لهم العادل: قد تقرر انه يرجع الى مصر، ويقع الاتفاق، وتعود الامور الى ما كانت عليه.

واشتد مرض العزيز ولولا مرضه لما صالح، فارسل العزيز كبراء دولته [٥٥-أ] فخرالدين چهاركس وغيره، حلفوا الملوك.

وطلب مصاهرة العادل فزوجه ابنته خاتون، ورجع كل واحد الى بلده، وذلك في شعبان وللعقاد الكاتب رسالة في ذلك.

ولما انفصل العساكر عن دمشق، شرع الافضل في اللهو واللعب واحتجب عن الرعية، فانقطع الى لذاته، فسمى الملك النوم، وفوض الامور الى وزيره ضياء الدين، فافسد عليه الاحوال، وكان سببا لزوال دولته، واستبدل بكبراء الامراء والاجناد اراذل الناس، ففسدت امور العباد.

وكان الملك الظاهر لما وصل الملك العزيز الى دمشق، قبض على الامير بدر الدين دلدردم ياروق واهله، وحبسهم في القلعة واراد كحلهم^(١)، فاشتغل بالعزيز، فلما عاد من دمشق عزم على كحلهم وهلاكهم، فمن الله على دلدردم بالملك العادل، فقدم حلب بعد يومين، وطلع القلعة وبات بها، وسأل في دلدردم فما امكنه مخالفته فاطلقه.

ولما نزل العادل من القلعة ندم الظاهر، حيث لم يمسه، وافضى بسره الى القاضي بن شداد، فقال له: اشكر الله تعالى حيث يؤهل لهذا، فان الرجل اولاده ملوك، وما كان يحصل لك الا العار والسبه بمن وثق اليك.

(١) التكحيل: يعني سمل العيون.

﴿ ٥٩٠ هـ ﴾

سنة تسعين وخمس مائة

فيها زادت دجلة، ووصل الماء الى سور بغداد الذي بناه المنصور، ومن شعر جمال الدين ابن الجوزي كان وكان:

وما تزايد وجدى فيكم	وقل بصري
وعز فيكم عذابي	وقلت الحركات [٥٥-ب]
يا حاضرين بقلبي	يا غائبين عن النظر
يا ساكنين قوادي	اطلتم الحسرات
متى يجيني مبشر	من عندكم بقدمكم
ويضرح اصلقائي	واكبت الشمام
متى يدق طبول الهنا	ابواب الرجاء
واقول للعين قري	قد رد ما قد فات
متى يقولون قد جو	واخرج بسرعة للقاء
واقول يا احبابي	اطلتم الغيبات ^(١)
وان قضى لي (ربي ان اموت) ^(٢)	بحبي ولا ارى اشخاصكم
وجاء نذيري اليكم	يقبل لكم قد مات
تحدثوا لحفاظ الوفا	على رأس الملأ
انني على العهد باقي	حتى يجئ الميقات

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٤٠/٨.

(٢) مابين الحاضرتين اضافة من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٤٠/٨.

وقال:

احبة قلبي لو يباع رجوعكم عليـ نا لكننا بالنفوس فديناكم

وقال:

فلا تحسبوا اني نسيت وداكم واني وان طال المدى لست انساكم
واسأل انفس الرياح لانها تمر على اطلالكم ثم تلقاكم
فضى الله بالتفريق بيني وبينكم فياليتنا من عمرنا ما عرفناكم

وفيهما عاد الخلف بين العزيز والافضل، وسببه اغراه الجند والوسائط وكان اكبر المحرضين على الافضل اسامة، قال له: إن الله يسألك عن الرعية، هذا الرجل قد غرق في لهوه وشربه، واستولى عليه الوزير وابن العجمي، وقال له بن عصرون لاتسلم يوم القيامة، وكان العزيز قد ولاه القضاء بمصر، فاقام قاضياً عليها حتى عزله العادل، وبلغ الافضل قول اسامة وابن عصرون، فاقنع عما كان عليه، وتاب وندم على تفريطه وعاشر العلماء والصلحاء، وشرع يكتب مصحفاً بخطه، وكان خطه مليحاً.

وتحرك العزيز لقصدته، فسار الافضل الى عمه العادل يستنجد به، فالتقاء على صفين^(١)، فسار معه بعساكر الشرق [٥٦-أ] الى دمشق، وجاء الافضل الى حلب، واتفق مع اخيه الظاهر وتحالفاً، وجاء الى حماة وحمص ففعل كذلك، وجاء الى دمشق، وكان الملك العادل يشير عليه بعزل ضياء الدين بن الاثير الجزري الوزير، ويقول: هذا يخرّب بيتك، ولا يلتفت عليه، فحنق عليه، وكان الملك الظاهر يشاقق الملك المنصور صاحب حماة، وابن المقدم مضافين اليه، فلم يجبه، فغضب الملك الظاهر، وانفرد عنهم، وكتب الى العزيز يخبره انه معه، ويستحثه على القدوم الى دمشق، فجاء العزيز مسرعاً، فنزل الفوار^(٢)، وعلم العادل انه لا طاقة له بالظاهر والعزيز، فراسل الاسدية^(٣)، وواعدهم بالاموال

(١) صفين: موضع قرب الرقة، على شاطئ الفرات من الجانب الغربي، بين الرقة وبالس. ياقوت، معجم البلدان، ٣/١٤٤.

(٢) الفوار: موضع قرب دمشق كانت العساكر تجتمع عندها. ابن واصل، مفرج الكروب، ١/٢٢٧.

(٣) الاسدية: هم المماليك الذين يسمون الى اسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين.

والاقطاعات، فكان العزيز قد قدم عليهم الصلاحية^(١)، ورفعهم فوقهم فحنقوا عليه، وتمكنت العداوة بينهم، فندس اليهم الملك العادل الاموال والهدايا، والتحف السنية، وكان مقدم الاكراد ابو الهيجاء السمين، وكان العزيز قد عزله عن نيابة السلطنة بالقدس، وتقدم الاسدية سيف الدين ازكش، وقد كان العزيز قصر في حقه، فركب ابو الهيجاء وازكش في الليل، وقصدا دمشق، فأصبح العزيز فلم يرى في الخيام من الاسدية احد، فرجع الى مصر، وشرع ازكش وابو الهيجاء، يحرضون الملك العادل على مصر، وكانت الاسدية والاكراد يكرهون العادل، وانما دعتم الضرورة اليه [٥٦-ب]، واتفق العادل والافضل وتحالفا، وساروا خلف العزيز الى مصر، فلما وصلوا القدس، ولو ابا الهيجاء كما كان وعزلوا جرديك عنها، وساروا فنزلوا بلبيس^(٢)، وبها جماعة من الصلاحية، فتوقف العادل عن القتال، ولم يرى انتزاع مصر من يد العزيز، وظهرت منه قرائن احوال تدل على انه لا يؤثر السلطنة للافضل، ولا يرى تقدمته عليه، فارسل الى العزيز؛ يطلب القاضي الفاضل، وكان قد اعتزلهم، وانقطع في داره، فخرج الى الملك العادل، فاحترمه واكرمه، وتحدث معه بما قرره.

وعاد الفاضل الى العزيز، وتحدث معه، فارسل العزيز ولديه الصغيرين مع خادم له برسالة مضمونها، لاتقاتلوا السلمين، ولا تسفكوا دماءهم، قد نفذت ولدى هاذين يكونان تحت كفالة عمي العادل، وانا اترك لكم البلاد، وامضى الى الغرب، وكان ذلك بمشهد من الامراء، فرق العادل وبكى من حضر.

وقال العادل: معاذ الله ما وصل الامر الى هذا الحد، وقال للخادم: تخدم السلطان عني، وتقول: البلاد بلادك، وانت السلطان، ونحن رعيتك، وكان قد قرر مع القاصد رد خبز الاسدية، واقطاعهم واملاكهم، وان يبقى ابا الهيجاء بالقدس على حاله، وقال للافضل المصلحة ان تمضي الى اخيك وتصالجه، وما عذرنا عند الله وعند الناس، إن فعلنا يابن اخينا مالا يليق، ففهم الافضل بان العادل رجع عن يمينه، وما اتفقا عليه، وانه قد اتفق مع العزيز على اخذ البلاد منه، لكنه لم يمكنه الكلام، فمضى الى العزيز وكان [٥٧-أ]

(١) الصلاحية: هم المماليك الذين ينسبون الى السلطان صلاح الدين الايوبي، ويعرفون كذلك بالناصرية.

(٢) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. ياقوت، معجم البلدان، ٤٧٩/١.

نازلا على البركة، وقد يأس من مصر، لان العادل اطعمه في سلطنة مصر، فانعكس الامر عليه، ولما بلغ الملك العزيز وصوله، خرج اليه واكرمه، وقدم له شيئا وقدر له ما اراد، ورجل الافضل الى دمشق، ودخل العزيز والعادل والاسدية الى مصر، وسلطن العادل العزيز، ومشى بين يديه بالفاشية^(١)، ولو اراد العادل مصر لآخذها، وانما قصد الاصلاح بين الاخوة، فلما بدأ من الافضل في حقه ما بدأ، واراد قتله، الجأه الى ما الجأه اليه.

واما الافضل فانه لما عاد الى دمشق ازداد وزيره الجزري من الافعال القبيحة واذى الاكابر من الدولة، والافضل لا يخالفه، فكتب قايماز النجمي واعيان الدولة الى العادل يشكونه، فارسل العادل الى الافضل يقول: ارفع يد هذا الاحمق السيء التدبير القليل التوفيق، فلم يلتفت، فاتفق مع العزيز على النزول الى الشام، فسارا الى الشام، فاستشار الافضل اصحابه، فكل اشار عليه بان يلتقى عمه واخاه، ولا يخالفهما الا الوزير الجزري، فانه اشار عليه بالعصيان، فاستعد للحصار، وحلف الامراء والمقدمين، وفرقهم على الابراج، فراسلوا العزيز والعادل، واصلحوا امرهم في الباطن.

واتفق الملك العادل مع عزالدين الحمصي على فتح باب شرقي وكان مسلما اليه، فلما كان يوم الاربعاء سادس عشر رجب، ركب الملك العادل والملك العزيز، وجاء الى باب شرقي ففتح ابن الحمصي ودخلا البلد من غير قتال [٥٧-ب]، فنزل العزيز في دار عمته ست الشام، ونزل العادل دار العقريقي، ونزل الافضل اليهما وهما بدار العقريقي، فدخل عليهما وبكى بكاء شديدا، فأمره العزيز بالانتقال الى صرخد^(٢)، فاخرج وزيره الجزري في الليل في جملة الصناديق خوفا عليه من القتل، فأخذ اموالا عظيمة وهرب الى بلاده^(٣).

وكان الملك العزيز قد قرر مع العادل ان يكون نائبه بمصر، ويقوم العزيز بدمشق، ثم ندم فارسل الى الافضل برسالة فيها صلاح حاله، فاذاعها، ووصلت الى العادل، فغضب العزيز ورسم عليه بالخروج، فخرج الى مسجد خاتون باهله وعياله، وسلم العزيز بصري الى العادل، وكان بها الظافر فاقام العزيز بدمشق اربعة ايام، وصلى الجمعة عند قبر والده

(١) الفاشية، الغطاء. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٦٥٣/٢.

(٢) صرخد: بلد مجاور لبلاد حوران، وهي قلعة حصينة وولاية واسعة. ياقوت، معجم البلدان، ٤٠١/٣.

(٣) ويقصد بها الموصل. ابن العماد، شذرات الذهب، ١٨٨/٥.

بالكلاسة، وأمر ببناء القبّة والمدرسّة العزيزية^(١)، وأمر القاضي محي الدين بن الزكي بذلك. ونقل السلطان الى الكلاسة في سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة. وكان الافضل قد شرع في بناء تربة عند مسجد القدم، بوصية من السلطان، فانه قال: تكون تربتي على الجادة ليمر بها الصادر والوارد فيترحم علي^(٢)، فارتفع منها قامة، وجاء العزيز فحصر دمشق واخربها.

وكان العزيز اذا جلس في مجالس لهوه يجلس العادل على باب داره، كانه يرتدار^(٣)، فلما كان اخر ليلة من مقامه بدمشق، قال: العادل لولده الملك المعظم: ادخل الى الملك العزيز وقبل يده واطلب منه [٥٨-١] دمشق، وكان المعظم قد راهق العلم، فدخل وقبل يده وطلب دمشق، فدفعها اليه، واعطاه صنجق.

ومضى الافضل الى صرخد.

ونفى الملك العادل لابن الحمصي الذي فتح له باب شرقي، وكان قد اعطاه عشرة الف دينار فاستردها منه.

واجتاز الملك العزيز في طريقه الى مصر بالقدس، فعزل حسام الدين ابا الهيچاء السمين عنها وولاه سنقر الكبير، ومضى ابا الهيچاء الى بغداد وسنذكره.

(١) المدرسة العزيزية: نسبة اليه.

(٢) كان ذلك عند مرضه سنة (٥٨١هـ) بحران حيث اوصى ان يدفن بدمشق قبلي ميدان الحصى " ويكون قبره على النهج السابل، وطريق القوافل، ليدعو له الوارد والصادر، والبادي والحاضر، وتيجوز عليه في الغزوات العساكر ". ابو شامة، الروضتين، ٤/٢١٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ٤٢٢/٢.

(٣) يرتدار: او برده دار، كلمة فارسية مركبة من كلمتين هما: (بردة) ومعناها: الحجاب، (ودار) ومعناها اخلاط الحجاب او الحارس. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/١٢٦، هامش (٢)، انظر كذلك: القلقشندي، صبح الاعشى، ٤/٢١.

السلطان طغرلبيك شاه بن ارسلان شاه^(١)

ابن طغرلبيك شاه بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان بن جفري بك ابن ميكائيل بن سلجوق، وهو اخر الملوك السلجوقية سوى صاحب الروم، وكان مبدأ امره عند وفاة ابيه ارسلان بن طغرلبيك شاه في سنة احدى وسبعين وخمس مائة وكان صغير السن، فكفله البهلوان^(٢)، الى ان مات في سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة.

فلما مات البهلوان عادت الاتابكية الى قزل بن رسلان بن الدكز، وهو اخو البهلوان لأمه، فلم يزل طغرلبيك تحت يده حتى انض من الحجر، فخرج عن يده وانضاف اليه جماعة من الامراء، وكسر عسكر الخليفة وأسر الوزير بن يونس كما ذكرنا، وهابه الملوك، وخاف منه القزل، وانضاف الى طغرلبيك جماعة من مماليك البهلوان، فقبل له: لا تأمن ان يفتالوك، فقتل جماعة منهم، وفارقه الباقون، وضعف فقصد قزل فهرب منه، فقول قزل سنجر بن [٥٨-ب] سليمان شاه، وخاطبه بمعز الدين، وكان طغرلبيك سفاكا للدماء، فقتل وزيره رضي الدين وفخر الدين دبيس بهمدان، وزوجه حسن بن قفجاق اخته، فجمع القزل عليه التركمان، فكسر طغرلبيك وحبسه في بعض القلاع.

فلما قتل قزل (تعصبت)^(٣) لطرغرلبيك امراة في القلعة التي كان بها، وشرطت عليه ان يتزوجها اذا خلصته فأخرجته، فحجاء الى همدان، فالتقاه نائب قزل، فاقتلوا فانهزم نائب قزل، واستولى طغرلبيك على الممالك وبلغ خوارزم شاه مافعل طغرلبيك، فخرج في عسكره،

(١) هو شمس الدين محمد بن اتابك ايلدكز المعروف بالبهلوان، صاحب بلد الجبل والري واصفهان واذريجان وأرانية وغيرها من البلاد، ولي سنة(٥٦٨هـ). عنه انظر: ابن الاثير، الكامل، ٣٨٨/١١ - ٣٨٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٩١/٨ - ٣٩٢، ابو شامة، الروضتين، ١٧٣/٣، بينما وردت في مصادر اخرى ان وفاته كانت سنة(٥٨١هـ). ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٠٦/٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٦٩/٤.

(٢) هو البهلوان محمد بن ايلدكز، صاحب بلد الجبل والري واصفهان واذريجان وأرانية وغيرها من البلاد. ابن الاثير، الكامل، ٥٢٥/١١ - ٥٢٦.

(٣) في الاصل (تعصب) وهو خطأ واضح، والاصح ما اثبتاه.

وسار الى العراق، وسار اليه طغرلبيك، فالتقيا على الرى^(١) فنجأت طغرلبيك نشابة في عينه، وضربه مملوك له بالسيف من ورائه، فقتله وقطع رأسه وحمله الى خوارزم شاه^(٢) فبعث به الى بغداد، وسنجه وراه منكس مكسور، وكتب خوارزم شاه الى الخليفة كتابا يتضمن الطاعة، واستولى على الجبال^(٣) والرى وخراسان واصبهان^(٤) وغيرها مضافا الى ما بيده وما وراء النهر^(٥).

وهذا طغرلبيك آخر السلجوقية، وعدت لهم نيف وعشرون ملكا، ومدة ملكهم مائة وستون سنة، واولهم طغرلبيك الذي أعاد القائم^(٦) الى بغداد، بعد ان حكمت عليها الدولة المصرية^(٧)، واول ما ظهرت رايته من خراسان في سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة. ودخل بغداد سنة سبع واربعين واربعمائة، واعاد القائم الى [٥٩-١] بغداد في سنة احدى وخمسين واربعمائة، وتوفي سنة خمس وخمسين واربعمائة ولم يكن له ولد.

(١) الرى: مدينة مشهورة، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً، والى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً. معجم البلدان، ١١٦/٣.

(٢) هو خوارزم شاه علاء الدين تكش. عن تلك الاحداث انظر: ابن الاثير، الكامل، ١٠٦/٢ - ١٣٦، ١٠٨، ١٣٨ - ٣٨٥ - ٣٧٢، النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ٣٥ - ٣٧، ١٠٤ - ١٠٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٨٥، ابو الفدا، تمته المختصر، ٢٠١/٢ - ٢٠٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩٥/١٣ - ٩٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٧٦/٥.

(٣) الجبال، جمع جبل وهي البلاد التي ما بين اصبهان الى زنجان وقزوين وهمدان والدينور وقرميسين والرى. ياقوت، معجم البلدان، ٩٩/٢.

(٤) اصفهان، مدينة مشهورة واسم لاقليم، وهي من نواحي الجبل. ياقوت، معجم البلدان، ٢٠٦/١.

(٥) ما وراء النهر، يراد به نهر جيحون بخراسان، فما كان في شقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الاسلام سموه ما وراء النهر، وما كان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم. ياقوت، معجم البلدان، ٤٥/٥.

(٦) هو الخليفة العباسي القائم بامر الله اعيد الى بغداد سنة (٤٥٩هـ) من قبل السلطان السلجوقي طغرلبيك وتوفي سنة (٤٦٧هـ). انظر: الذهبي، دول الاسلام، ٢٦٥/١، ٢٧٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ٨٢/١٢ - ٨٩، ١١٧، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٣٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦٤/٥ - ٦٥، ٩٧ - ٩٨، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤١٧ - ٤٢٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٢٦/٣ - ٣٢٧.

(٧) ويقصد بها الدولة الفاطمية الشيعية في مصر.

فولى الب ارسلان^(١) بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن اخي طغرلبيك الذي أسر ملك الروم^(٢)، وقتل بما وراء النهر، وملك (عشر سنين)^(٣)، واخوه (قارورد)^(٤) بك، لم يستقم له أمر وخنق.

وولى بعد الب ارسلان ملك شاه^(٥) بن الب ارسلان، وملك الدنيا واقام تسع عشرين سنة ومات سنة خمس وثمانين واربعمئة، وكان نظام الملك^(٦) وزيره ووزير ابيه.

(١) في الاصل (رسلان)، والتصحيح من البنداري تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣٠، هو ابو شجاع محمد بن جفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب عضد الدولة الب ارسلان قتل سنة (٤٦٥ هـ). ورد ترجمته لدى: ابن الجوزي، المنظم، ٢٧٦/٨ - ٢٧٧، ابن الاثير، الكامل، ٧٦ - ٧٣/١٠، ابن خلكان، وفيات الاعيان ٣/٣٥ - ٣٦، الذهبي، العبر، ٢٨٥/٤، ودول الاسلام، ٢٧٤/١، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٠٨/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٤/١٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٩٢/٥ - ٩٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣١٨/٣ - ٣١٩.

(٢) كان ذلك في معركة (ملازكرت، ملاذكرد، منازكرد، منازكرد) سنة ٤٦٣ هـ عندما انتصر على الجيش العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ١٨٥ - ١٨٦، ابن الوردى، تمة المختصر، ١٨٧. البيهقي، واصر الامبراطور روما نوس ديوجين. ابن الاثير، الكامل، ٦٧ - ٦٥/١٠، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٠٧ - ١١٥، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٤٠ - ٤٤، ابن

(٣) ورد في الاصل (ثمان عشر سنة). والتصحيح من: الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١١٩، ابن الاثير، الكامل، ٦/١٠، ٧٣، لدى: البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٤٨، " وملك تسع سنين وشهوراً " وهناك من يرى بان مدة ملكه كانت تسع سنين واشهرًا. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٦/٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣١٩/٣.

(٤) في الاصل (قاروب)، والتصحيح من: الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٢١ - ١٢٥، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٤٨، وورد لدى: ابن الاثير، الكامل بصيغة (قارورت)، ٦٤٥/٩، ٤١، ٦/١٠.

(٥) هو ابو الفتح ملكشاه بن الب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب جلال الدولة. ورد ترجمته لدى: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٤٣/٣ - ١٤٦، الذهبي، دول الاسلام، ١٣/٢ - ١٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٥١/١٢ - ١٥٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٣٤/٥ - ١٣٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٧٦/٣ - ٣٧٧.

(٦) ابو علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباسي الملقب نظام الملك قوام السدين الطوسي (٥٤٨ هـ). اخباره في الكتب التاريخية العامة، ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٤/١٠ - ٢٠ - ٢١٠، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٣٩ - ١٤٦، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣٠ - ٣٢، ابو شامة، الروضتين، ١٤١/١ - ١٤٣، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٥٥/١ - ٢٥٦، السبكي، طبقات الشافعية، ١٣٥/٣ - ١٤٥، الذهبي، دول الاسلام، ١٣/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٩/١٢ - ١٥١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٣٧ - ١٣٦/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٧٣/٣ - ٣٧٥.

وقام بعده ولده محمود بن خاتون^(١)، ومات في هذه السنة، وقام ولده بركياروق^(٢) بن ملك شاه، ونازعه عمه تاج الدولة تتش^(٣) صاحب الشام، فقتله بركياروق، واقام سلطاناً اثنتى عشر سنة، وخطب له ببغداد ست دفعات، وجرى بينه وبين اخيه محمد^(٤) وسنجر^(٥) حروب.

وملك بعد بركياروق اخوه محمد بن ملكشاه، فاقام اثنتي عشر سنة، ومات في السنة الحادية عشر وخمس مائة.

(١) هي ترکان خاتون من نسل ملوك الترك وكانت مسؤولة على الامور في ايام ملكشاه، ومحسنة للاجناد، ويدها الاموال، ففرقتها عليهم فبايعوا ولدها وقدموه رغم صغره. انظر: الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٥٥، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨١، ابن الاثير، الكامل، ١٠/٢١٤-٢١٦.

(٢) هو ابو المظفر بركياروق الملقب ركن الدين بن السلطان ملكشاه بن الب ارسلان الملقب شهاب الدولة مجد الملك. عنه انظر: ابن الاثير، الكامل، ١٠/٢١٤-٣٨٠، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٥٩-١٦٦، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٣٦-٢٤٧، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/١٤١، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٤٠٧-٤٠٨.

(٣) هو تاج الدولة ابو سعيد تتش بن الب ارسلان بن داود السلجوقي، قتل في المعركة التي دارت بالقرب من الري بينه وبين ابن اخيه بركياروق سنة(٤٨٨هـ). عنه انظر، ابن الاثير، الكامل، ١٠/٢٤٤، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٥٩-١٦١، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/١٥٤-١٥٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٣٨٤.

(٤) هو ابو شجاع محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان الملقب غياث الدين توفي سنة(٥١١هـ). انظر: ابن الاثير، الكامل، ج ١١-١٢، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٧-١٧١، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٦-٩٣، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/٣٧-٣٨، الذهبي، دول الاسلام، ٢/٣٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٥/٢١٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/٣٠.

(٥) هو ابو الحارث سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي، ولد بسنجر سنة(٤٧٩هـ) ومنها اخذ اسمه، وتوفي سنة(٥٢٢هـ). عنه انظر: ابن الاثير، الكامل، ج ١١، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٧٥-١٨٩، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٢٠-١٢٨، ابو شامة، الروضتين، ١/٣٢٤، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/٣٩٤-٣٩٥.

وقام بالامر بعده ولده محمود^(١) بن محمد، فاقام اربع عشر سنة، وعهد محمود الى ابنه داود^(٢)، ففوض سنجر الملك الى طغريل، وجعل لداود مايكفيه.

ثم طمع مسعود اخو محمود في الملك، ودخل بغداد سنة ست وعشرين وخمسائة، وخطب له بالسلطنة، ولابن اخيه داود، وتوفي طغريل سنة تسع وعشرين وخمس مائة، واستقل مسعود بالملك^(٣) وطالت [٥٩-ب] ايامه، فاقام نيضاً وثلاثين سنة، وقام بعده ملك شاه ابن محمد بن اخي مسعود، فاقام ثلاثة اشهر، وكتب خاصبك^(٤) الى محمد ابن محمود اخي ملك شاه وخذعه، وقبض على ملك شاه، فملك محمد بن محمود، وقتل خاصبك، ونصر منه الدكر^(٥) واقسنقر^(٦) وقصدها، فهرب منهما، وملك اخاه سليمان شاه.

وجاء ملك شاه يقصد بغداد، فخرج اليه الخليفة فدفعه، وفي سنة ثمان واربعين وخمس مائة انحلت دولة بني سلجوق، واستولى الغز على سنجر^(٧)، وكانت دولتهم

(١) ابو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي (ت ٥٢٥هـ) اخباره في: ابن الاثير، الكامل، ج ١٠، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ص ١٩١ - ١٩٥، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ص ١١٤ - ١١٩، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٩٣/٣، الذهبي، دول الاسلام، ٤٧/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢١٨/١٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٤٦/٥ - ٢٤٧، ابن العماد، شذرات الذهب، ٧٧/٤.

(٢) عنه انظر: الحسيني، زبدة التواريخ، ص ص ١٩٧ - ٢٠٥، ابن الاثير، الكامل، حوادث السنوات ٥٢٥ - ٥٢٨هـ، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ص ١٤٨ - ١٥١.

(٣) عن تلك الاحداث والصراع الذي دار داخل الاسرة السلجوقية حول السلطنة انظر: ابن الاثير، الكامل، ج ١٠ - ١١، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ص ١٩٧ - ٣٢٠، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ص ١٥٢ - ١٥٤، ١٦١ - ١٦٥، ١٩٦.

(٤) هو خاص بك بن ارسلان بن بلنكري، كان مربياً للسلطان مسعود بن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وملازماً له، ابن الاثير، الكامل، ١٠٤/١١.

(٥) الدكر كان من اكابر امراء السلطان مسعود، ويعرف بابلدكر المسعودي نسبة اليه، وكان من اذربيجان وحاكم كنجة وارانبة وقيصر، انقلب على السلطان سنة (٥٤٣هـ). ابن الاثير، الكامل، ١٣٢/١١.

(٦) هو اقسنقر الاحمديلي حاكم مراغة. ابن الاثير، الكامل، ٢٥١/١١.

(٧) انظر: البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ص ٢٥٧ - ٢٥٩.

مستقيمة من سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة الى سنة ثمان واربعين وخمس مائة، ثم بدت في النقص، ومات فيها سنجر، وحاصر محمد شاه بغداد، وهو اخر من حاصرها، ومات محمد في سنة اربع وخمسين وخمس مائة، وقام بعده اخوه سليمان شاه، وخالفه اخوه ملك شاه، وتوفي ارسلان شاه بن طغرل بن ملك شاه في سنة سبعين وخمس مائة، وقام بعده ولده طغرل شاه واتابكه محمد البهلوان وقتل في هذه السنة، وهي سنة تسعين وخمس مائة.

٥٩١ هـ

سنة (احدى)^(١) وتسعين وخمس مائة

فيها كانت الوقعة العظيمة، وتعرف بوقعة الزلاقة^(٢) بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن^(٣)، وبين الفنش^(٤) ملك طليطلة^(٥). وكان الفنش قد استولى على جزيرة الاندلس وفهر ولايتها، وكان يعقوب مشغولاً عن نصرهم [٦٠-١] بالخوارج الخارجين عليه، وبينه وبين الاندلس زقاق سبته^(٦)، وعرضه

(١) في الاصل (احد).

(٢) الزلاقة، موضع بالاندلس قرب قرطبة وقعة عندها معركة مشهورة سنة بين القائد المرابطي يوسف بن تاشفين وملك الفرنج الاذفنش [الفونسو السادس]. ياقوت، معجم البلدان، ١٤٦/٣، سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م. والصواب هي معركة الارك، وقد شبهت بمعركة الزلاقة التي ربحها المرابطون قبل مئة واثني عشرة سنة بسبب كثرة خسائر الفرنج. علي احمد، تاريخ المغرب العربي الاسلامي، ص ٢٢٠.

(٣) هو ابو يوسف يعقوب بن ابي يعقوب يوسف بن ابي محمد عبد المؤمن بن علي الملقب بالنصور، تاريخ المغرب العربي الاسلامي، ص ٢٢٠. ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ١٤٥/١٢ - ١٤٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٦٤/٨ - ٤٦٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٣ - ٢٤، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤١٥/٣ - ٤٢٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٢/١٣ - ٢٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٢١/٤ - ٣٢٣.

(٤) الفنش، كذا في الاصل، ولدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٤٦/٨، ابن الاثير، والكامل، ١١٣/١٢، ابن تغري بردي، والنجوم الزاهرة، ١٣٧/٦. وهو الفونسو الثامن ملك قشتالة. احمد، تاريخ المغرب العربي الاسلامي، ص ٢٢٠.

(٥) طليطلة، مدينة بالاندلس، تقع بين الجوف والشرق من قرطبة. ياقوت، معجم البلدان، ٣٩/٤ - ٤٠.

(٦) هو مضيق جبل طارق الذي يفصل بين المغرب واسبانيا. وسبته مدينة عظيمة على الخليج الرومي (البحر المتوسط)، وتقابل الجزيرة الخضراء، والبحر يحيط بها من ثلاث جهات، وليس لها الى البر غير طريق واحدة من ناحية الغرب. الحميري، الروض المعطار، ص ٣٠٣.

ثلاث فراسخ، ويحتاج في عبوره الى مشقة عظيمة، وطمع الفئس في المسلمين بهذا السبب، فكتب الفئس الى يعقوب كتاباً نسخته: "باسمك اللهم فاطر السموات والارض، وصلى الله على سيدنا المسيح عيسى ابن مريم الفصيح، اما بعد: ايها الامير فانه لا يخفى على ذي عقل وذكاء، انك امير الملة الحنيفية، كما انا امير الملة النصرانية، وغير خاف عنك ما عليه نوابك بالاندلس من التخاذل والتقاعد والتكاسل واهمال امور الرعية، والاشتمال على اللذات الدنيئة، ولما اظهروا العصيان وادعوا الخذلان سلطني الله عليهم، فأخليت منهم الديار، ومحوت منهم الاثار، واسبي الذراري والولدان واقتل الكهول والشبان، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم، وقد امكنتك يد القدرة، وانت قادر على النصر، معما انكم تعتقدون ان الله فرض عليكم في كتابكم قتال عشرة منا بواحد منكم^(١)، وقد زاغ عنكم الصواب، وكذبتهم بالكتاب، فالان خفف الله عنكم، وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرون يغلبوا مائتين، وان يكن منكم الف يغلبوا الفين، ونحن الان يقتل واحد منا كثيراً منكم، فقد اظهرنا الله بكم واعاننا عليكم، فلا تقعدون دفاعاً، ولا تستطيعون امتناعاً، ثم بلغني انك اخذت في الاحتفال [٦٠-ب] واشرفت على ربوة القتال، وجمعت جمعاً من البربر والعرب الذين ادرعوا العار، وعبيد الدرهم والدينار، واحلوا الحرام، وباينوا دين الاسلام، وتمطل عاماً بعد عام، تنتظر حوادث الزمان وتقلب الحدثنان، فتقدم رجلاً وتؤخر اخرى، وهذا الفعل بمثلك اخرى، فلا ادري الجبن ابطئ بك وظللت في غيك، ام التكذيب بما انزل على نبيك، فان كنت عاجزاً عن العبور الى خوفاً من احوال الزقاق، فاننا اذكر لك مافيه الرفق والارتفاق، وهو ان تعاهدني بالايمان المغلظة والاقسام المعظمة، ودفع الرهائن، وتوجه الى جملة من المراكب لاعبر اليك وبارزك في اعز الاماكن عليك، فان كانت الدائرة لك كانت غنيمة ساقها الله اليك، وان كانت لي كانت يدي العليا، واستحققت امارة المسلمين، والتقدم على الفئتين، والله تعالى يوفق السعادة، ويسهل الارادة، فانه لا رب غيره، ولا خير الا خيره والسلام.

فلما وقف يعقوب على كتابه استشاط غيظاً، وادركته حمية الاسلام، والغيرة على الايمان، فكتب على راس الكتاب بخطه، ﴿رجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها

ولنخرجهم منها اذلة وهم صاغرون ﴿^(١)﴾ ، وكتب تحت الاية: ولا كتب الا المشرفية^(٢) عندنا، ولا رسل الا الخميس العرمرم، ثم قام من ساعته، فشد ذنب فرسه بيده، وليس سلاحه، وسار الى زقاق سبته فنزل عليه، وجمع الشواني والراكب، وعرض جنده، فكانوا مائتي الف مقاتل، مائة الف ياكلون خبز [٦١-١] الديوان^(٣) ، ومائة الف مطوعة^(٤) ، وعبر الزقاق الى مكان يقال له الزلاقة، وجاءه الفتنش في مائتي الف واربعين الف من اعيان الفرنج والمقاتلة، والتقوا فجرى بينهم قتال، لم يجر في جاهلية ولا اسلام، ثم انزل الله نصره على المسلمين، فولى الفتنش هارباً في نفر يسير الى طليطلة، وغنم المسلمون ماكان في عسكره، وكان عدة من قتل من الفرنج مائة الف وستة واربعين الفاً، وعدة الاسارى ثلاثون الفاً، ومن الخيام مائة الف خيمة، ومن الخيل ثمانون الفاً، ومن البغال مائة الف، ومن الاموال وانجواهر مالا يحعد ولا يحصى، وبيع الاسير بدرهم، والسيف بنصف درهم، وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين على مقتضى الشريعة، فاستغنوا الى الابد، ووصل الفتنش طليطلة على اقبح حال، فحلق رأسه ولحيته، ونكس صليبه، و(أل)^(٥) ان لاينام على فراش، ولا يقرب النساء، ولايركب فرساً ولا دابة حتى يأخذ بالثار، واقام يجمع من الجزائر والبلاد ويستعد.

(١) النمل: ٣٧.

(٢) المشرفية: نوع من السيوف تنسب الى المشارف وهي قرى تصنع فيها للزيادة عنها انظر: ياقوت، معجم البلدان، ١٣١/٥.

(٣) الديوان، كلمة فارسية معناه سجل او دفتر، ثم تطور استعمال هذا اللفظ فاطلق من باب المجاز على المكان الذي تحفظ فيه السجلات الخاصة بامور الدولة المختلفة، وقد اقتبس الخليفة الثاني عمر بن الخطاب نظام الدواوين بسبب الحاجة اليها بعد ان اتسعت الدولة الاسلامية نتيجة الفتوحات، فأنشأ ديوان الجند لكتابة اسماء الجند. حسن ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، ص ٢١٥-٢٢٣.

(٤) المطوعة، كانوا احدى تشكيلات الجيوش الاسلامية من غير النظامين والماليك وجند الاقطاع، ممن تطوعوا حياً للجهاد. حسين، الجيش الايوبي، ص ١٥٧-١٦٢.

(٥) في الاصل (الا)، والتصحيح من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٤٨/٨.

٥٩٢ هـ

سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة

فيها بعد خروج الحاج من مكة هبت ريح سوداء، اعمت الدنيا ووقع على الناس رمل احمر، ووقع من الركن اليماني قطعة، وتحرك البيت الحرام مراراً، وهذا شيء لم يعهد من حيث بناه ابن الزبير^(١)، واعاده الحجاج^(٢) والى هلم جرا.

وفيها ظهر ببوصير قرية بمصر، وهي التي قتل فيها مروان^(٣) ببيت الهرمس الحكيم، وفيه امثلة كباش وضاغد وقوارير كلها نحاس، وفيه اموات لم تيل ثيابهم.

فيها كانت وقعة اخرى ليعقوب بن يوسف مع الفتنش، وكان الفتنش قد جند وجمع اكثر من الاول، والتقوا فهزمه يعقوب، وساق خلفه الى طليطلة، وحاصرها وضربها بالمجانيق، ولم يبق الا فتحها، فخرجت اليه والدة الفتنش وبناته وبكين بين يديه ((وسألته ابقاء البلد عليهن، فرفق لهن ومن عليهن بها، ووهب لهن المال والجواهر، وردهن مكرمات بعد القدرة))^(٤).

(١) هو ابو خبيب عبدالله بن الزبير بن العوام، وامه اسماء بنت ابي بكر ذات النطاقين. بويح له بمكة سنة (٦٤ هـ)، بنى الكعبة وادخل فيها الحجر، وجعل لها باين احدهما للدخول والاخر للخروج، وخلق داخل الكعبة وخارجها، فكان اول من خلقها وكساها القباطي، وقتل على يد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٣ هـ. في خلافة عبدالملك بن مروان. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٣٦-٣٧.

(٢) بعد ان نجح الحجاج في قتل عبدالله بن الزبير واجتاد حركته في الحجاز، ولاه عبدالملك بن مروان مكة واليمن واليمامة، فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي بناه ابن الزبير بعد ان تصور من حجارة النجنيق واعاد بناءه. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٣٧.

(٣) عندها قتل مروان بن محمد بن مروان الحكم اخر خلفاء بني امية سنة (١٣٢ هـ). ياقوت، معجم البلدان، ١/٥٠٩، وللزيادة عنه انظر: فاروق عمر، الخليفة المقاتل مروان بن محمد.

(٤) لا يمكن قراءة ما بين الحاصرتين في الاصل بسبب التلف، والاضافة من، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٤٤٩، ابو شامة، اللذيل على الروضتين، ٥/٩.

وفيها توفي ابن المعلم الشاعر الهرثي^(١)، والهرث قرية تحت واسط مولده سنة احدى وخمس مائة، من شعره:

يا نازلين الحما رفقاً بقلب فتى إن صاح للبين داع باح مضمرة
لا تحسبوا الصد عن عهدي يفيرني غيري ملازمة البلوى تفيره
ما ذكرتكم الا وهمت جوى وآفة المبتلى فيكم تذكره [١١-ب]

وفيها توفي سابق الدين عثمان^(٢) بن الداية صاحب شيزر، وهو احد اولاد الداية الاربع، داية نور الدين بن زنكي.

(١) هو ابو الغنائم محمد بن علي بن فارس الهرثي. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٥١/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ١١/٥.

(٢) ورد ترجمته لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ١٣/٥.

٥٩٣ هـ

السنة الثالثة والتسعون وخمس مائة

وفيهما قدم الامير حسام الدين ابو الهيجاء السمين الى بغداد، وخرج الموكب للقائه في زي عظيم ورتب الاطلاب للقائه على زي الشام، وكان في خدمته عدة من الامراء. وكان معه عزالدين كر والغرس.

واول ماتقدم طلب الغرس، ثم أمير أمير، وجاء هو بعد الكل في العدد الكاملة والسلاح التام، وخرج جميع من ببغداد للقائه، وكان رأسه صغيراً، وبطنه كبيرة جداً بحيث كانت على رقبة البغلة.

وكان قد رآه عند الحربية^(١) رجل كواز، فعمل في ساعة كوزاً من طين، وسبقه فعلقه في السوق، فلما اجتاز به ضحك، وعمل ذلك اهل بغداد كيزاناً وسموها ابا الهيجاء السمين على صورته.

وانزله الخليفة بدار العميد غربي بغداد، بعد ان عبر الجانب الشرقي وقبل عتبة الباب النبوي^(٢)، واكرمه الخليفة، وقام له بالضيافات.

ثم امره ان يجرد جماعة من اصحابه مع عسكر الخليفة الى همدان، (فجرد)^(٣) جماعة، فلما بعدوا عن بغداد نهبوا خزانة الخليفة، وقتلوا جماعة من عسكره، ومضوا الى الموصل والجزيرة، وعاد عسكر الخليفة الى بغداد، وقد جرحوا فنقله الخليفة الى الجانب الشرقي، الى دار عند النظامية^(٤)، كانت لمجير الدين ابق صاحب دمشق، ووكل به، ثم خلع

(١) الحربية: احدى محلات بغداد المشهورة عند باب حرب. ياقوت، معجم البلدان، ٢٣٧/٢.

(٢) الباب النبوي: احد ابواب بغداد. ابن الاثير، الكامل، ١٠٨/١٢.

(٣) ماين الحاصرتين مكررة في الاصل.

(٤) المدرسة النظامية، اسمها الوزير السلجوقي نظام الملك في بغداد الى جانب مدارس نظامية اخرى اسمها في العديد من المدن مثل نيسابور وهرات وغيرهما، وانتهى من بناء نظامية بغداد سنة (٥٩٤ هـ). الظر: ابن الاثير، الكامل، ٥٥/١٠، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٥٥/١.

عليه بعد ذلك الجبة^(١) والفرجية^(٢) [٦٢-١] والعمامة السوداء والقباء الاسود، وبين يديه الخيل بمراكب الذهب، واعطاه الاموال والرجال وسار الى همدان. وفيها انتقضت الهدنة التي كانت بين صلاح الدين والفرنج^(٣). فقصده بيروت، وبها الامير عزالدين اسامة الجيلي^(٤)، فهرب واستولى الفرنج عليها.

[وفاة] سيف الاسلام طقتكين بن ايوب

اخو السلطان صلاح الدين ملك اليمن من زبيد الى حضرموت، وقمع الخوارج، وكان شجاعا شهاما، وكان وفاته بزبيد في شوال، وولي بعده ولده شمس الملوك اسماعيل وادعى الخلافة^(٥).

(١) الجبة: فهو لباس واسع يغطي الجسم ماعدا الرأس، وهو اما تكون طويلة تصل الى القدم او قصيرة تصل الى الركبة. الحريري، ابو محمد القاسم بن علي بن محمد، مقامات الحريري، ص ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) الفرجية: ثوب واسع طويل الاكمام يرتديه علماء الدين. ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ٦٧٩/٢.

(٣) كان الصلح قد استقر بين السلطان صلاح الدين والفرنج سنة (٥٨٨هـ)، ابن شداد، النوادر، ص ص ٢٣٢-٢٣٣، وبعد وفاة السلطان سنة ٥٨٩هـ جدد ولده الملك العزيز الهدنة مع الفرنج وزاد في مدتها وبقي ذلك الى سنة ٥٩٣هـ. ابن الاثير، الكامل، ١٢/١٢٦.

(٤) كانت بيروت من اقطاع الامير عزالدين اسامة الجيلي، فكان يرسل الشواني تقطع الطريق على الفرنج، فاشتكى الفرنج اكثر من مرة الى الملك العادل حاكم دمشق، والى الملك العزيز سلطان مصر، فلم يمنعا اسامة من ذلك، فارسلوا الى غرب اوربا يستنجدون بهم، ويشتكون اليهم مايفعل بهم المسلمون، فارسلوا اليهم العساكر، وساروا الى بيروت فلما قاربوها هرب اسامة وجميع من كان معه من المسلمين فاستولوا عليها. ابن الاثير، الكامل، ١٢/١٢٦-١٢٧، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٥) كان اسماعيل اموج كثير التخليط بحيث ادعى انه قرشي من بني أمية، وخطب لنفسه بالخلافة، وتلقب بالهادي، فلما سمع عمه الملك العادل ذلك ساءه وأهمه، وكتب اليه يلومه ويوبخه، ويأمره بالعودة الى نسبه الصحيح، وبترك ما ارتكبه مما يضحك الناس منه " فوثب عليه امرأه واجناده فقتلوه وولوا عليهم امرا من ممالك ابيه. انظر ايضا: ابن الاثير، الكامل، ١٢/١٣٠. ابو شامة، الذيل على الروضتين، ١٥/٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٧، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣١٢/٤-٣١٣.

٥٩٤ هـ

سنة اربع وتسعين وخمسة مائة

فيها نزل الفرنج في المحرم على تبنين، فارسل الملك العادل محيي الدين بن زكي الى الملك العزيز بمصر يستنجده، فخرج بجيوشه الى الشام، فوصل وقد ضايقوا الحصن في ثالث ربيع الاول، ونقبوه من كل ناحية، واشرف على الاخذ وهدوه بالجانيق، ونقبوه سرياً سرياً، وجعلوا النقبوب بيوتاً، وكان الفرنج يحاربون المسلمين من النقبوب، وكان الملك العادل نازلاً عند هونين، ومعه الملك المجاهد اسد الدين شيركو صاحب حمص، والامجد صاحب بعلبك، وعزالدين ابن المقدم، ودلدرم صاحب تل باشر.

ووصل الملك العزيز، فساروا جميعاً الى هونين، فلو تأخروا يوماً واحداً، اخذت تبنين، وقتل كل من فيها، فارسل الله في تلك الليلة [٦٣-ب] مطراً شديداً وريحاً عظيمة، ووقع في قلوب الفرنج الرعب، وقيل جاءكم سلطان مصر والعساكر، فتركوا الجانيق والآت بحالها، والنخيم وما فيها، ورحلوا في الليل الى صور، ثم بعثوا يطلبون الامان والصلح، فصالحهم الملك العزيز على قاعدة صلح صلاح الدين^(١)، وخلع العزيز على الملك المعظم عيسى^(٢) بن العادل، واعطاه صنجقاً ومنشوراً بدمشق وعاد الى مصر.

(١) كانت مدتها ثلاث سنوات. المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٤١، على غرار صلح السلطان مع الفرنج سنة (٥٨٨هـ). ابن شداد، النوادر، ص ٢٣٢-٢٣٣، الخنيلي، شفاء القلوب، ص ٢٠٥.

(٢) هو الملك المعظم شرف الدين عيسى، ابن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب توفي سنة (٦٢٤هـ). ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٤١٧/١٢-٤٧٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٤٤/٨-٦٥٣، ابو شامة، النذيل على الروضتين، ٢٢٩/٥-٢٣٠، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٣٥/٢-٢٣٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٠٨/٤، الخنيلي، شفاء القلوب، ص ٢٧٦-٢٨٩.

ومضى الملك العادل الى ماردين في رمضان فحصرها وملك الربض^(١)، ولم يبق سوى القلعة.

وفيهما توفي جردريك بن عبدالله النوري، وكان من اكابر امراء نورالدين، ثم خدم صلاح الدين في جميع غزواته. وهو الذي قتل شاور^(٢) بمصر، وابن الخشاب بحلب، وكان شجاعاً جواداً.

عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار بن زنكي ابي سنقر بن اخي نورالدين، وكان عاقلاً جواداً، وهو الذي هاض حلب بسنجار^(٣)، ولم يزل مع السلطان صلاح الدين في غزواته مجاهداً، وكان ميمون النقيب، وكان صلاح الدين يحترمه مثلما يحترم نور الدين ويعطيه الاموال والهدايا والتحف الكثيرة، وكانت وفاته بسنجار، واوصى الى اكبر اولاده الملك المنصور قطب الدين محمد.

[وفاة] مجاهد الدين هاشم الزيني الرومي الخادم

الحاكم على الموصل، كان خادماً لزين الدين علي كوجك، وتقدم في ايامه وكان وصيه على اولاده، ثم ارتفعت مكانته حتى صار في مكانة زين الدين علي كوجك وهو الذي بنى الجامع المجاهدي [٦٣-١]، والمدرسة والرباط والمراستان^(٤) بظاهر الموصل على دجلة، ووقف عليها الاوقاف، وكان جعل عليها رواتب كثيرة، بحيث لم يدع في الموصل بيتاً فقيراً

(١) الربض، ماحول المدينة، ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٣٢٣/١.

(٢) هو ابو شجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشاثر تولى الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد، وقتل سنة (٥٦٤هـ) اثناء حملة اسد الدين شيركوه الثالثة على مصر، بسبب الصراع على منصب الوزارة، وتولى الاخير الوزارة بعده. عنه انظر: ابن الاثير، الكامل، ٣٢٤/١١ - ٣٤٠، ابن شداد النوادر، ص ٣٦ - ٤١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٧٥/٨ - ٢٧٩، ابو شامة، الروضتين، ٥٨/٢ - ٧٨، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٩٩/١ - ٤٠٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٧٤/١٢ - ٢٧٥، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٤٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٨١/٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢١٢/٤.

(٣) كان ذلك سنة (٥٧٧هـ). للمزيد عن هذه المقايضة انظر: الهسنياني، سنجار من ٥٢١ - ٦٦٠هـ، ص ٥٧ - ٦٠.

(٤) في الاصل (المراستان)، والتصحيح من: الترغبي، المعجم الذهبى، ص ٥٣٣.

الا واغنى اهله، وكان ديناً صالحاً عادلاً كريماً، يتصدق كل يوم خارجاً عن الرواتب بمائة دينار، وله حكايات مشهورة.

ولما مات عزالدين مسعود^(١) وولى ابنه ارسلان شاه، حبسه وضيق عليه واذاه، فتوفي في الحبس، فأخرج ملفوفاً في كساء، فلما وصل الى باب البلد، قال البوابون: قفوا حتى يستأذن له، فالقى على قارعة الطريق حتى أذن له.

وكان لعزالدين مسعود جارية، يقال لها اقصر، اولدها الاتابكية التي بنت في قاسيون، التربة والمدرسة، وكانت زوجة الملك الاشرف رحمه الله، وكان عزالدين قد زوج اقصر أم الاتابكية بمجاهد الدين قايماز.

[وفاة] ابو الهيجاء السمين الكردي الازكشي

وهو الامير حسام الدين، وقد ذكرنا انه قدم بغداد، وبعثه الخليفة الى همذان، فلم يتم له امر، واختلف الراء عليه، وتفرق عنه اصحابه، فخاف من الخوارزمي، واستحيا ان يعود الى بغداد، فسار يطلب الشام على دقوقا^(٢)، فلما وصل اليها مرض واقام بها اياماً، فتوفي رحمه الله تعالى، وكان نازلاً على تل، فقال: ادفنوني فيه، فحضروا له قبراً على رأس التل، فظهرت بلاطة عليها اسم ابيه، فدفنوه عليه.

(١) كان ذلك سنة (٥٨٩هـ). ابن الاثير، الكامل، ١٢/١٠١ - ١٠٢.

(٢) دقوقا: مدينة معروفة تقع بين اربل وبغداد. ياقوت، معجم البلدان، ٢/٤٥٩. وهي داقوق الحالية.

٥٩٥ هـ

سنة خمس وتسعين وخمس مائة [٦٣- ب]

دخلت هذه السنة، والملك العادل على ماردين، وتوفي الملك العزيز في المحرم، وكتبت الصلاحية الى الأفضل وهو بصرخد ليقدّم عليهم، فسار الى مصر، فجعلوه اتابك ولد الملك العزيز. وكان الملك العزيز جواداً سمحاً عادلاً منصفاً لطيفاً، كثير الخير رفيقاً بالرعية حليماً. حكى سنقر الحلبي رحمه الله قال: ضاق ما بيدي بمصر، فلم يبق بالخزانة درهماً فرداً ولا ديناراً، فجاء رجل من اهل الصعيد الى (ازكش)^(١) سيف الدين، فقال: عندي للسلطان عشرة الف دينار، ولك الف دينار، وتوليتي قضاء الصعيد، فدخل سيف الدين ازكش على الملك العزيز، فأخبره، فقال: والله لا بعث دماء المسلمين واموالهم بملك الارض، وكتب ورقة لازكش بالف دينار، وقال: اخرج فاطرد هذا المدير، ولولاك لاذيته، وقد ذكرنا انه وهب دمشق للملك المعظم، وكان يطلق عشرة الف دينار.

وكان سبب وفاته انه خرج الى الفيوم^(٢) يتصيد، فلاح له ظبي، فركض، خلفه، فكبا به القرس، فدخل قربوس^(٣) السرج في فؤاده، فحمل الى القاهرة، فمات في العشرين من المحرم، ودفن عند الشافعي^(٤)، وعمره سبع وعشرين سنة ونص على ولده ان امضى

(١) ورد بصيغة (أبازكوج)، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٥٢، (بازكج)، ابن الاثير، الكامل، ١٤٠/١٢، (بازكوج)، التاريخ المنصوري، ص ٨. (بازكش)، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٤٣.

(٢) الفيوم، وهي احدى ولايات مصر الغربية، بينها وبين القسطنطينية اربعة ايام. ياقوت، معجم البلدان، ٢٨٦/٤.

(٣) قربوس، حنو السرج. المعجم الوسيط، ٧٢٣/٢، اي قسمه القوس المرتفع من قدام المقعد، ومن مؤخره، وهما قربوسان. حسين، الجيش الايوبي، ص ٢٧٣.

(٤) هو ابو عبدالله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع المعروف بالامام الشافعي، ولد سنة (١٥٠هـ)، وتوفي بمصر سنة (٢٠٤هـ)، ودفن بالقرافة الصغرى. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣١١/٢ - ٣١٤، طبقات السبكي، ٧١/٢ - ٧٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ٩/٢ - ١١.

العادل ذلك، وكانت الوصية الى سيف الدين ازكش فوثبت الاسدية عليه فقتلته، والاصح ان ازكش لم يقتله الاسدية، وعاش بعد العزيز مدة.

وكان لابن الملك العزيز من العمر عشر سنين، وكان مقدم الصلاحية الامير فخرالدين جركس^(١)، واسب الدين [٦٤-١] سراسنقر، وزين الدين قراجا، فاتفقوا على ناصر الدين محمد^(٢)، وحلفوا له الامراء.

وكان سيف الدين ازكش مقدم الاسدية غائباً باسوان، فقدم فصوب رأيهم فيما فعلوه، الا انه قال: هو صغير السن، لاينهض باعباء الملك ولايد من تدبير كبير يحسم المواد ويقيم الامور، والعادل مشغول في الشرق بماردين، وما ثم اقرب من الافضل نجعله اتابك العسكر، فلم يمكن الصلاحية مخالفة الاسدية، وقالوا: افعلوا فكتب ازكش الى الافضل يستدعيه وهو بصرخد، وكتبت الصلاحية الى من بدمشق من اصحابهم، يقولون: قد اتفقت الاسدية على الافضل، وان ملك حكموا علينا، فامنعوه من المجئ، فركب عسكر دمشق ليمنعوا الافضل، فقاتهم، وكان الافضل قد التقى نجاباً من عند جركس الى من في دمشق بهذا المعنى، ومعه كتب فأخذها منه، وقال: ارجع فرجع الى مصر.

ولما وصل الافضل الى مصر التقاه الاسدية والصلاحية، ورأى جركس النجائب: فقال: مااسرع ماعدت، فأخبره الخبر، فساق هو وقراجا الى القدس فتحصنا به، ثم اشارت الاسدية على الافضل بقصد دمشق وان العادل مشغول بماردين، فكتب الى الظاهر، فأجابته، وقال: اقدم حتى اساعدك.

ذكر حصار دمشق

وسار الملك الافضل بالعساكر الى الشام، واستناب بمصر سيف الدين ازكش، ووصل الى دمشق في شعبان، فاحدق [٦٤-ب] بدمشق، وبلغ العادل وهو على ماردين، وقد اقام عليها عشرة اشهر، ولم يبق الا تسليمها، وصعدت اعلامه على القلعة، وسمعوا بوفاة الملك

(١) هو الامير فخر الدين جهاركس وكان مقدم المالك الصلاحية وكبيرهم توفي سنة ٦٠٧هـ، ابن الاثير، الكامل، ١٤٠/١٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢١-١٢٢، ابن واصل، مفرج الكرب، ٢٠٨/٤.

(٢) هو السلطان الملك النصور ناصر الدين محمد بن الملك العزيز عماد الدين عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب. المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٤٥.

العزیز، فتوقفوا، فرحل الملك العادل عنها، وترك ولده الملك الكامل عليها، وجاء الملك العادل ومعه دلدرم وابن المقدم وجماعة من الامراء.

وكان الملك الافضل نازلاً في الميدان الاخضر، ف اشار عليه جماعة من الامراء ان يتأخر الى مشهد القدم^(١) حتى يصل الملك الظاهر، والمجاهد صاحب حمص والامراء، وكانت مكيدة، فتأخر الى مشهد القدم، ودخل الملك العادل ومن معه من العسكر الى دمشق، وجاء الملك الظاهر بعسكر حلب، وجاء عسكر حماة وحمص، وبشارة^(٢) من بانياس، وسعد الدين مسعود صاحب صفد، وضايقوا البلد، وكسروا باب السلامة^(٣)، وجاء اخرون الى باب الفراديس^(٤)، فكسر ناصح الدين بن الحنبلي واخوه شهاب الدين واصحابهم باب الفراديس فدخل العسكر وملكوا الى جيرون^(٥)، وكان الملك العادل بالقلعة، وقد استأمن اليه جماعة من عسكر مصر، مثل سيف الدين بن كهدان، وسابق الدين ميثقال الجمدار الناصري، فركب وخرج اليهم ووصل الى جيرون، ومجد الدين اخو الققيه عيسى قائم على فرسه، يشرب الفقاع^(٦)، فصاح الملك العادل يا مجدالدين الى هاهنا، وساق عليهم، وثاروا احداث^(٧) دمشق من كل ناحية، ورموا عليهم ستائر الاسطحة، حتى النساء رموا عليهم الكوانين^(٨) وهي تشعل بالنار، فانهزموا [٦٥-١] وتبعهم الملك العادل الى ان اخرجهم من باب السلامة، وجاء الى باب الفراديس، فوجدهم قد كسروا الاقفال بالمرزبات^(٩)، ودخل اولئهم وبلخهم ماجرا على اصحابهم الذين وصلوا الى جيرون، واجههم الملك العادل

(١) مشهد القدم: من اثار مدينة دمشق وغرطنها، مما يرجي فيه اجابة الدعاء، يقال ان هناك قبر موسى (عليه السلام). الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٠٦، هامش (٧٠٢).

(٢) هو الامير حسام الدين بشارة. ابو شامة، الروضتين، ٢٣٦/٢.

(٣) باب السلامة: سمي بهذا الاسم تفاقلاً، لانه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الانهار والاشجار. الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٠٦، هامش (٧٠٤).

(٤) باب الفراديس: شمال دمشق، منسوبة الى محلة كانت خارج الباب تسمى الفراديس. الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٠٦، هامش (٧٠٨).

(٥) جيرون، هو الباب الشرقي من ابواب جامع دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٤٦٦/٢.

(٦) الفقاع: شراب يتخذ من الشعير، يخمّر حتى تملوه فقاعاته. المعجم الوسيط، ٦٩٨/٢.

(٧) احداث: مفردتها الحداث، الصغیر السنّ. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١٦٠/١.

(٨) الكوانين: نوع من التنور. ابن منظور، لسان العرب، ٩٥/٤.

(٩) المرزبات، جمع مرزبة عصية من حديد. الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٠٦، هامش (٧٠٩).

بمن معه، وهو يصول مثل الاسد الضاري، فسأل عن من كسر الاقفال، فنذكر عن (بيت الحنبلي)^(١)، فتغاضى كأنه ما سمع شيء.
وحكى الملك المعظم عيسى رحمه الله تعالى، قال: لما رجعنا من باب الفراديس، وصلنا مدرسة الحنابلة، ارمى على رأس الملك العادل ابي (رأس) حب^(٢) الزيت فاخطاه، ووقع في رقبته الحصان فوق الحصان ميتاً، فنزل الملك العادل وركب غيره، ولم ينطق بكلمة.
وجاء الامير فخر الدين جركس وزين بن قراجا من جبل سنير^(٣) في الليل ودخلا دمشق.

واما الملك الكامل فانه لما توجه الملك العادل نحو دمشق طلع الملك العادل نورالدين ارسلان شاه^(٤) صاحب الموصل بعساكره وجمعه^(٥)، وقصد الملك الكامل على ماردين^(٦)، فرحل من عليها ولم يكن له قدرة على لقياه^(٧)، وقصد دمشق، وجمع التركمان. ولما اشتد الحصار على دمشق، وقطعوا اشجارها ومياهاها الداخلة اليها، انقطعت عن اهلها الميرة وضجوا، فبعث الملك العادل الى الملك الظاهر يقول: انا اسلم اليه دمشق، على ان تكون انت السلطان، وتكون دمشق لك [٦٥-ب] لا للافضل، فطمع الظاهر، وارسل الى الملك

(١) (الحنابلة)، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٦٢/٨، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٠٧.

(٢) حب: وعاء كالزير والجرة. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١٥١/١.

(٣) جبل بين حمص وبعلي على الطريق، وعلى رأسه قلعة سنير. ياقوت، معجم البلدان، ٢٦٩/٣.

(٤) هو الملك السعيد نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود ابن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ت(٦٠٧هـ) عنه انظر: ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص ١٨٩-٢٠١، والكامل، ٢٩١/١٢-٢٩٣، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٠٨، ابن الوردي، تمة المختصر، ٢/٢٠٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٦٢-٦٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢٠٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٢٤، ابن الوردي، تمة المختصر، ٢/٢٠٥.

(٥) كان قد انضم اليه ابن عمه قطب الدين محمد ابن زنكي بن مودود حاكم سنجار، وابن عمه الاخر معز الدين سنجرشاه بن غازي بن مودود حاكم جزيرة ابن عمر (بوطان)، وكان محضى بتأييد حكام اقليم الجزيرة مثل حاكم ديار بكر وغيره. ابن الاثير، الكامل، ١٢/١٤٨.

(٦) كان اهل ماردين قد استجدوا بآتابك نورالدين، فلما رحل عنها الملك العادل الى دمشق، جاء اليهم وانجدهم ورحل الملك الكامل عنها عنوة. ابو الفضائل، التاريخ المنصور، ص ٨.

(٧) لم يكن ذلك لضعف في الملك الكامل وعسكره، وانما خطأ ارتكبها عندما نزل بعسكره من ريبض ماردين لقتال نورالدين " ولو اقاموا بالريض لم يمكن نورالدين ولا غيره الصعود اليهم، ولا ازالتهم، ابن الاثير، الكامل، ١٢/١٤٩.

الافضل انت صاحب مصر، فأثرتي بدمشق، فقال: دمشق لي من ابي، وانما اخذت مني غصبا فما اعطيها لاحد، فوقع الخلف بينهما، ووقع التقاعد^(١)، وخرجت السنة على هذا. ولما مات الملك العزيز كتب الفاضل الى الملك العادل يعزيه، يقول فيه: ادام الله ايام مولانا الملك العادل، وهدت النفوس نفسه الكريمة، واحياه الله حياة طيبة يقف فيها في المواقع الجسيمة، ويتقلب عنها بالامور السائلة والعواقب السليمة، لانقص الله له عدداً وعنداً، ولا اعدمه نفساً ولا ولداً، ولا كدر له مشرباً ولا مورداً، وعظم اجره في ولده الملك العزيز، رحم الله ذلك الوجه الكريم، ونصره، والى سبل الجنة يسره واذا معاسن وجهه بليت فعضا البلى عن وجهه الحسن قال: وكانت مدة مرضه بعد عودته من القيوم مدة اسبوعين، فاحرق القلب واجرى العين^(٢).

[وفاة] الملك المنصور والغازي المجاهد

يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن وولاية ابنه محمد

ابو يوسف يعقوب بن يوسف عبدالمؤمن صاحب المغرب، فهو الذي كسر الفتنش على الزلاقة، ولم يكن للفتنش مع كثرة جيوشه به طاقة، ولم يكن في ولاة المغرب من له سيرة كسירתه، وقد اثنى عليه ارباب السير [٦٦-١] وليس الخير كالخير، ذكره عبدالمنعم بن عمر بن حسان الاندلسي الغساني في تاريخه، واثنى عليه، وقال: لما توفي ابوه يوسف قام بالامر احسن قيام، فاقر العيون بما قرر من قواعد الاسلام، ونشر كلمة التوحيد، واذل من الكفر كل جبار عنيد، ورفع راية الجهاد فتضوع باجتهاده كل ناد، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ونشى نشره اذكى من العبر، وضوء كرمه اعلى من ضوء القمر الانور، واقام الحدود على العالمين، وخصوصاً على أهل عشيرته والاقربين، واستقامت الامور ببركاته، وظهرت الفتوح العظيمة بعزماته، وانتشرت الخيرات بمكرماته، وذكر هزيمته للملك الافرنج واسمه الادنفش.

(١) رحل الافضل والظاهر عن دمشق نظراً لخلول فصل الشتاء على عزم المقام بجوران الى ان يخرج الشتاء، غير ان قساوة البرد حملتهم على العودة الى بلادهم، ويعودوا الى الاجتماع، ففرقوا تاسع ربيع الاول. ابن الاثير، الكامل، ١٥٥/١٢.

(٢) ينقل من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٦٢/٨ - ٤٦٣.

قال الشيخ شمس الدين بن الجوزي رحمه الله تعالى، حكى لي الشيخ الصالح الفاضل ابو العباس بن يامنيت المغربي اللواتي^(١) بالديار المصرية، بالقرافة سنة اربعين وستمائة، من فضائل الملك المنصور يعقوب بن يوسف المذكور والمعائب والغرائب والمناقب، وكان ابو العباس قد صحبه زمانا، وانتفع به، واستفاد منه، قال: وكل ما حكيه عنه فانما هو على المشاهدة والعيان، لا عن فلان وفلان، فمن ذلك انه قدم بلدة فاس^(٢) رجل شريف، وكان فاضلا لطيفا، وكان يعظ بصوت طيب، فجلس بها، فمال الناس اليه، وارادوا ان يبابعوه، وبلغ خبره الى يعقوب، فكتب اليه كتابا يقول: [٦٦- ب] قد بلغنا قدمك البلاد، ووصول بركتك الى اهلها، ونحن نسالك ان تقدم علينا لناخذ حظنا منك، كما اخذ اهل البلاد حظهم، وبعث اليه بعشرة الف دينار، فخاف الشريف واجتمع اليه اهل البلاد، وقالوا متى وقعت في يده قتلك، فاضهر العصيان، ونحن واهل الجبال معك، فقال الشريف: معاذ الله ان اكون سببا لاراقة دم مسلم، ولكني اسير اليه، واستعين، بالله عليه، وبلغ يعقوب قوله، فلما هرب من مراکش، خرج يعقوب فاستقبله، وانزله معه في قصره، وحمل اليه المال والتحف، وجلس يسمع كلامه، وكان يجالسه.

واتفق عبور يعقوب للقاء الفنش، ومن عادتهم يوم المصاف ان يصلي الخليفة بالناس الفجر، ويركب وحوله خمسة الف من القراء ملبسين الدروع حاملين الاسلحة، فيقرأون سبعا من القران، فيدعوا الخليفة ولا يدعوا غيره، وكان له طبال اسمه حماد مقدم الطباليين، وخلفه الكوسات، وليس في العسكر من له طبل سوى الخليفة، فاذا فرغ من الدعاء بعد القراءة، قال حماد، فيقول: لبيك، فيقول: اضرب الطبل، فتدق الكوسات، وتحمل العساكر، وهاتان الخصلتان لا يشارك الخليفة فيهما احد، الدعاء وقوله يا حماد: اضرب الطبل، فلما كان هذا اليوم، الذي التقى فيه يعقوب الفنش، وصلى الخليفة بالناس وركب والشريف على يمينه، ولما فرغ من قراءة السبع، التفت الى الشريف، وقال: يا شريف ادع فقال الله الله [٦٧- ا] يا امير المؤمنين العفو، هذه وظيفة امير المؤمنين، فقال: لا بد، فما امكنه مخالفته خوفا منه، فمديده، ودعى وعجب الناس، ولما فرغ من الدعاء، قال له: يا شريف قل لحماد يضرب الطبل، فقال: العفو يا امير المؤمنين، فقال: لا بد، فقال: يا حماد

(١) نسبة الى قبيلة لواته البربرية.

(٢) فاس، مدينة مشهورة على بر المغرب من بلاد البربر، وكانت حاضرة البحر قبل بناء مراکش. ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٢٣٠.

اضرب الطبل، فضرب، وحملوا ثم التفت الى الشريف، وقال: يا شريف إن كان خطر ببالك انك تحكم على البلاد، واصلمك أهل فاس والجبال في هذا الامر، او رأيت مناماً، فهو هذا الذي رأيت، ما يحصل لك من الخلافة سواء، فنزل وقبل الارض، وكسر الفئس، واقام الشريف عنده في ارغد عيش الى ان توفي رحمه الله.

وكان ليعقوب ابن اخت، لم يكن بمراكش احسن صورة منه، فقدم مراكش رجل يرقص الدب ومعه امراته، فراها ابن اخت يعقوب فاعجبته فارسل اليها فأخذها، فوقف زوجها ليعقوب، وقال: يا أمير المؤمنين، انني رجل غريب وقد غصبتني ابن اختك، واخذ زوجتي، فقال له: اتبعني وجاء الى قصر ابن اخته، وقال له: لم اخذت زوجة هذا الرجل، فانكر، فدعا الرجل، وقال له: قد انكر، فقال: يا أمير المؤمنين، لي كلبة وقد ربته المرأة يحضر كل امرأة في هذا القصر، واحضر الكلبة فهي تعرفها من بين الف امرأة، فان وقفت عندها، والا فاقتلني، فقال: للرجل اخرج، ثم قال: لابن اخته لاتبقي في القصر امرأة الا وتخرج، فأخرج النساء، وخرجت المرأة بينهن وقد غير زيها والبسها الحلى والجواهر والثياب الفاخرة، واطلق [٦٧-ب] الكلبة، فجاءت فوقفت عندها، فاستدعى الرجل، وقال: خذ زوجتك بما عليها، ثم التفت الى ابن اخته، وقال فصرك مملوءاً بالجواري المستحسنات وانت تمد عينك الى امرأة رجل غريب جاء من بلاد بعيدة، تأخذها غصباً، ثم قال: لغلمان، اعطوه الرماح، وهذه قتلة المغاربة، فخرجت امه حاسرة فبكت بين يديه، وقالت: مالي غيره، فقال والله لاهذبن به ملوك المغرب وغيرهم وقتله.

واشتهرت امرأة بالزهد، وانها ماتأكل الخبز، فبعث اليها يعقوب، وقال: اقيمي عندي في القصر اياماً، لاتترك بك، فاقامت عنده مدة، فدخلت بعض جواريه الى السقاية^(١) يوماً، فرات الزاهدة تأكل الخبز في السقاية، فأخبرته، فقال لها: والله لئن سمع هذا غيرك منك لاقتلك، ثم بحث عن ذلك فوجده صحيحاً، فارسل الى الزاهدة خمس مائة دينار وثياباً، وقال لها: قد حصل لنا البركة بمقامك عندنا، وقد سألتني بنو عمي ان تقمي عندهم في قصرهم، مثلما اقمتم عندنا، لتصل اليهم بركتك، فانتقلت اليهم ولم يظهر امر المرأة.

قال وكان جواداً سمحاً يفتقد ارباب البيوت، ويكرم العلماء والفقهاء، ولم يسمع منه كلمة فحش، وكان عادلاً متمسكاً بالشرع، يصلى بالناس الصلوات الخمس، ويلبس الصوف على جسده، ويقف للمرأة والضعيف يأخذ لهم الحق، ويعقوب هذا هو الذي راسله صلاح

(١) السقاية هنا: هي شراجهاناه السلطان او الامير، منها يسقى السلطان على الموائد، وسقي المشروب بعد رفع السماط. القلقشندي، صبح الاعشى، ٩١/٤.

الدين بشمس الدين بن منقذ، يستنجد به في سنة سبع وثمانين وخمس مائة، ومرض مرضاً اشقى منه على الموت، فاوصى الى ولده ابي عبدالله [٦٨-٦٩] محمد، وان لا يخفوا موته، وان يصل على عليه المسلمون، ويدفن في قارعة الطريق ليترحم عليه من مر به. توفي في ربيع الاول، فكان مدة ايامه خمس عشر سنة، وباع الناس ولده محمد، واستمر على سيرة ابيه، ثم اختلفت الاهواء، ودخل النقص على البيت بموت يعقوب. وانشدني الشيخ ابو العباس ابن يامنيت سنة ثلاث واربعين وستمائة/ لابن الرمادة^(١) في تارك الصلاة، في حكم من ترك الصلاة وحكمه ان لم يقر بها كحكم الكافر.

فاذا اقر بها وجانب فعلها	فالحكم فيه للحسام الباتر
وبه يقول الشافعي ومالك	والحنبلي تمسكاً بالظاهر
وابو حنيفة لا يقول بقتله،	ويقول بالضرب الشديد الزاجر
هذي اقاويل الائمة كلهم،	واجلها ما قلته في الاخر
المسلمون دماؤهم معصومة	حتى تراق بمستنير باهر
مثل الزنا والقتل في شرطيهما،	فانظر الى ذاك الحديث السائر

ومعنى قوله في اول الابيات تمسكاً بالظاهر يعنى قوله:
علم بين العبد والكفر ترك الصلاة، ومعنى قوله: في الاخير لا يحل دم امرء مسلم الا
باحدى ثلاث، الحديث^(٢).

(١) هو محمد بن جعفر العيسى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٦٨/٨.
(٢) مسند الامام احمد بن حنبل، ٣/٣٣٦، ابن حنبل، فضائل الصحابة، ٢/٢٧٠، مصنف
عبدالرزاق، ١٠/١٦٧.

٥٩٦ هـ

السنة السادسة والتسعون وخمس مائة

ودخلت هذه السنة والحصار على دمشق، وكان الملك العادل نورالدين ارسلان شاه صاحب الموصل قد رحل الملك الكامل عن ماردين، فقدم دمشق ومعه خلق كثير من التركمان وعسكر الرها وحران، فتأخر الأفضل بالعساكر [٦٨-ب] الى عقبة شجورا سابع عشر صفر، ووصل الملك الكامل تاسع عشر صفر، فنزل بجوسق^(١) ابيه على الشرف^(٢)، ورحل الملك الأفضل الى مرج الصفر، ورحل الملك الظاهر الى حلب، واحرقوا ما عجزوا عن حمله، وسار الملك الأفضل الى مصر، واحضر الملك العادل الناصح بن الحنبلي، واخاه شهاب الدين وغيرهما، وكان الملك الأفضل قد وعد الناصح بقضاء دمشق، والشهاب بالحسبة^(٣)، فقال لهم الملك العادل: ما الذي دعاكم الى كسر باب الضراديس ومظاهرة اعدائي عليّ وسفك دمي، فقال له الناصح اخطاءنا، ما ثم الا عفو السلطان، فقال الملك العادل: ما بدأ مني اليكم ما يوجب ذلك، ولولا ان يقال عني اني شنقت فقيهاً، ما ابقيت منكم احداً، ولكن البلد لكم هبوا لي اياه، فاخرجهم من دمشق.

(١) الجوسق: القصر الصغير. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١٤٧/١.

(٢) الشرف: ورد في نزهة الانام في محاسن الشام، ص ٧٠: ومن محاسن الشام شرفاها وماحوبا من المناظر والقصور، ويسمى احدهما بالشرف الاعلى، والاخر بالشرف الادنى، ولي كل شرف منها عدة من المدارس والمساجد، وكل شرف يطل على (الشقرا) و(الميدان) و(القصر الابلق) و(المرجة)، ذات العيون والغدران.

(٣) كانت وظيفة المحتسب من الوظائف الهامة عند المسلمين بشكل عام، حيث كان للمحتسب نواب يطوفون في الاسواق فيفتشون القدور واللحوم واعمال الطهارة، ويمنعون رؤساء المراكب ان يحملوا اكثر مما يجب حمله من السلع، ويشرفون على السقاين لضمان تغطيتهم القرب، وليس السراويل بما لا ينافي في الاداب العامة، ومنع معلمي الكتاب من ضرب الصبيان ضرباً مبرحاً، واتسعت سلطة المحتسب حتى الزم رجال الشرطة ان ينفذوا احكامه. الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ص ٣٠٠-٣٩١، العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ص ١٦٢-١٦٤، القلقشندي، صبح الاعشى، ٤٨٣/٣، ٣٧/٤، ٤٥١/٥، القريني، السواعظ والاعتبار، ٤٦٣/١-٤٦٤، حسن ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، ص ٣٥٥.

واما الملك الافضل، فانه سار الى مصر وارسل الملك العادل وراهه نجيب الدين ابا محمد عدل الزبداني، يقول له: ترفق فاننا لك مثل الوالد، وعندني كلما تريد، (فقال للعدل)^(١)، قل له: ان صح ما يقول، فابعد عنك اعدائي الصلاحية، وبلغ الصلاحية، فقالوا للعدل: ايش قعودنا، قم بنا وسارو خلف الملك الافضل، مرحلة، فنزل الملك الافضل بلبيس، ونزل الملك العادل السائح، فرجع الملك الافضل، وضرب معه المصاف، فكسر الافضل، وتفرق عنه اصحابه، ودخل القاهرة، وغلق ابوابها.

وجاء الملك العادل فنزل البركة، ودخل [٦٩- أ] سيف الدين ازكش بين العادل والافضل واتفقوا على ان يعطيه الملك العادل ميافارقين وجبل جور^(٢) ودياربكر، وبأخذ منه مصر ورحل الافضل من مصر في ربيع الاخر، ودخل الملك العادل القاهرة، واحسن الى ازكش، وقال للافضل: جميع من معك كاتبني الا سيف الدين، وقدم الملك العادل ازكش وحكمه في البلاد، ورد القضاء الى صدر الدين عبدالملك بن درباس الهذباني، وولي شيخ الشيوخ بن حمويه التدريس بالشافعي ومشهد الحسين، والنظر في خانكاه^(٣) الصوفية. وجلس الوزير صفي الدين عبدالله بن علي بن شكر للوزارة في دار السلطنة في حجرة الفاضل، ونظر في الدواوين، ((واخذ القوس باريها))^(٤)، واجرى الامور على احسن مجاريها، وسار الملك الافضل الى ميافارقين، واستدعى الملك العادل ولده الملك الكامل محمد الى مصر، فخرج من دمشق في ثالث عشرين شعبان، وودعه اخوه الملك المعظم عيسى الى رأس الماء قال العماد الكاتب: وسرت معه الى مصر وانشدته:

دعتك مصر الى سلطانها فاجب دعاءها فهو حق غير مكذوب
قد كاد ينهضني دهري فادركني محمد بن ابي بكر بن ايوب.

(١) ما بين الحاصرتين تكرر في الاصل.

(٢) جبل جور: كورة كبيرة متصلة بدياربكر من نواحي ارمينية. ياقوت، معجم البلدان، ١٠٢/٢.
(٣) خانكاه: كلمة فارسية معناه بيت مسكن الدراويش والمرشدين حيث يقيمون فيه مراسم تصوفهم. المعجم الذهبى، ص ٢٣٢. وهي بمثابة معاهد دينية اسلامية؛ وقد انشئت لايواء المنقطعين للعلم والزهاد والبعاد من الرجال والنساء. القرينى، السلوك، ج ١، ق ١، هامش (٤) ص ١٨٢.

(٤) مثل يضرب لمن يستطيع ان يقوم بواجبه على اكمل صورة، ويتقن عمله.

ووصل الملك الكامل الى مصر في عاشر رمضان، والتقاء الملك العادل من العباسية^(١)، وانزله في دار الوزارة، وكان قد زوجه الملك العادل بنت اخيه صلاح الدين، فدخل بها. ولم يقطع الملك العادل الخطبة لولد الملك العزيز، ثم انه [٦٩-ب] جمع الفقهاء، وقال: هل يجوز ولاية الصغير على الكبير، فقالوا: الصغير يولى عليه، قال: فهل يجوز للكبير ان ينوب عنه، قالوا: لا، لان الولاية من الاصل اذا كانت غير صحيحة، فكيف تصح النيابة، فقطع خطبة ابن العزيز. وخطب لنفسه، ولولده الملك الكامل من بعده. ونقص النيل في هذه السنة، فلم يبلغ ثلاثة عشر ذراعاً، ووقع الغلاء والوباء.

[وفاة] خوارزم شاه تكش بن(ارسلان)^(٢) شاه

ابن اتسز من ولد طاهر بن الحسين، ويلقب علاء الدين، وكان شجاعاً جواداً ملك الدنيا من الصين والهند وماوراء النهر الى خراسان الى باب بغداد، وكان نوابه في حلوان^(٣)، وكان في ديوانه مائة الف مقاتل، وهو الذي كسر مملوكه، ميانجق عسكر الخليفة، وازال دولة بني سلجوق، وكان حاذقاً يعلم الموسيقى، لم يكن في زمانه لعب منه بالعود. وحكى ان الباطنية^(٤) جهزوا اليه رجلاً ليقتله، وكان يحترس كثيراً، فجلس ليلة يلعب بالعود، وشرع الخيمة، فاتفق انه غنى بيتاً بالعجمية، وفيه (من نبيتم) ومعناه قد

(١) العباسية: بلدة صغيرة وهي اول الديار المصرية للقاصد اليها من الشام. ياقوت، معجم البلدان، ٧٥/٤.

(٢) في الاصل(رسلان). والنصح من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٤١/٨.

(٣) حلوان: وهي اخر حدود السواد ممايلي الجبال من بغداد. ياقوت، معجم البلدان، ٢٩٠/٢.

(٤) الباطنية: احدى الفرق الغالية التي تنسب الى الشيعة، وقد اتخذت تسميات واشكالاً عديدة، واتبعت نظماً مختلفة، وتفرعت فروعاً كثيرة. فمن هذه التسميات الباطنية، لانها جعلت لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، وان الباطن هو اللب وان الظاهر بمثابة القشور. وللزيادة عن هذه الفرقة انظر: رحاب عكاوي، الحشاشون حكام الموت: حسن الامين، المغول ونصير الدين الطوسي، فرقة اسماعيلية، هاجسن، ترجمة: فريدون بدرای. السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ١٦٧-١٧٥، الهسناني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد الايوبية في مصر وبلاد الشام، ص ٣٢٥-٣٢٨.

ابصرک^(١)، فخاف الباطني منه، وارتعد وانصرف، فأخذ وحمل اليه فقررده، فاقر فقتله، وكان يباشر الحروب بنفسه، حتى ذهبت احدى عينيه في الحرب.
وكان يقول: الملك اذا لم يباشر الحرب بنفسه لا يصلح للملك لانه يكون مثل المرأة.
وكان قد عزم على قصد بغداد، وجمع وحشد، فوصل الى دهستان^(٢) فتوفى بها في رمضان، فحمل في تابوته [٧٠-أ] الى خوارزم^(٣) فدفن عند اهله، وقام ولده السلطان محمد مقامه.

[وفاة] القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي^(٤)

ابن الحسن ابو علي البيساني الكاتب، ولد ببيسان في سنة تسع وعشرين وخمس مائة، ونشأ بمصر، واشتغل بعلم الادب والرسائل فبرع فيه، وكان اوحد زمانه فيهما.
وكان صلاح الدين يقول في ملئ من الناس لاتظنوا اني ملكت البلاد بسيفوكم، بل بقلم القاضي الفاضل، وكان يستشيره في اموره، وكان كثير العبادة تاليا للقرآن، وقد استعان بأيات من القرآن في كثير من رسائله، ورسائله عشر مجلدات، ومن كتاب كتبه الى الخليفة الناصر يطلب منه العهد بالسلطنة، فان انعم الديوان بما طلبناه وقلدناه والا تقلدناه بما تقلدناه، وسمع قائلأ ينشد:

ان المداد خلوق ثوب الكاتب فقال الكاتب التحسن

ومن شعره:

(١) " ليس معناه ابصرتك بل معناه: أرى، ليس فيه خطاب ولا معنى ماض " ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٥٥/٦، هامش(٤).

(٢) دهستان: بلد مشهور في طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان. ياقوت، معجم البلدان، ٤٩٢/٢.

(٣) خوارزم: ناحية واسعة، وعاصمتها جرجانية. ياقوت، معجم البلدان، ٣٩٥/٢.

(٤) ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ١٥٩/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٧٢/٨-٤٧٣، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٧٦/٢-٧٨، السبكي، طبقات الشافعية، ١٦٦/٧-١٦٧، النويري، نهاية الارب، ١٥١/٨، و اخباره في الكتب التاريخية التي تتحدث عن الفترة الصلاحية مثل، الكامل، النوادر السلطانية، مفرج الكروب... الخ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٧/١٣-٢٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٥٦/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٢٤/٤-٣٢٧.

تقدم الى هذا السحاب فإنه أخوك بأن شاء مطالعه عنا
فلو لم يصبنا منه صيب قطرة لجاد علينا من يمينك ما أغنى

وكان الفاضل ممدحا، قال العماد: مدح بمائة الف بيت من الشعر، وكان منجذبا عن الناس، اذا سلم عليه من لا يعرفه اقصاه، واذا التقاه انسان ولم يسلم عليه ادناه. ولما تيقن استيلاء الملك العادل على القاهرة، دعى على نفسه بالموت خوفا من صفى الدين بن شكر، وزير الملك العادل، فانه كان بينه وبينه وحشة، فخاف ان يستدعيه ويهينه، فقام في تلك [٧٠- ب] الليلة يبكي ويتضرع ويصلي فاصبح ميتا، واتفق يوم دخول الملك العادل الى القاهرة، وفاة القاضي الفاضل، ودفن بترتبه في القرافة، وبنى مدرسة بالقاهرة، ووقف عليها اوقافا مخلدة، ونقل اليها من بعض كتبه، وكانت كتبه مائة الف مجلد، ووقف على الاسارى وقفا عميما فاستنقذ به خلقا عظيما، وهجاه بن عنين^(١) من (...) ^(٢) بمقطعات خمسة منها:

كم ذا التبضرم من زائداً عن حده ما كان قبلك هكذا الخديان
فحزواً ام ملك ان والى امره من انت يا هذا وما بيسان
اظهرت فضل تقي وفضل يعقظ الله يعلم انها بهتان
ما طال في الليل البهيم سجوده الا ليركع فوقه السودان

وكان القاضي الفاضل مع ما هو عليه من الدين المتين، ومعاشرة العلماء والصالحين، لطيف الاخلاق كريم الاعراق، جرى له مع الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين حكاية تعرب عن مكارم اخلاقه.

(١) ابو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عتير الانصاري الملقب شرف الدين، كوفي الاصل دمشقي المولد، كان اشهر شعراء عصره وخاتمتهم، لم يأت بعده مثله، ولا كان في اواخر عصره من يقاس به، توفي سنة ٦٣٠ هـ. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٩/٣-١١.

(٢) ما بين الحاصرتين كلمة غير واضحة.

وذلك ان الملك العزيز كان يهوى مغنية بالقاهرة تسمى ام المطايا وتعلق قلبه بها، فبلغ ذلك صلاح الدين فانكر عليه انكاراً عظيماً، وعلى القاضي الفاضل وكانا بالقاهرة، فمنع عنها، ومنعت عنه، وفي قلبه منها ما فيه، وداما على ذلك زماناً، فارسلت المغنية الى الملك العزيز تذاكر بمخفية من حملتها اكرة عنبر فشرع يلعب ويشمها، فانطلقت قطعتين، واذا في وسطها زر ذهب، فلم يعلم الملك العزيز معنى ذلك [٧١-أ]، وبقي مفكراً فارسل الكرة والزر الى القاضي الفاضل، وسأله ان يفحص له عن ذلك، وكتب الجواب الى الملك العزيز ابيات، وهي:

اهدت لك العنبر في وسطه زر من التبر (خفي) ^(١) (الحسام) ^(٢)
 فالزر (في) ^(٣) العنبر معناهما (رزها كذى) ^(٤) (مختفياً) ^(٥) في الظلام

ومازال القاضي الفاضل ممدحاً، وفيه يقول الوجيه المصري:

في كفه قلم يريك به القضاء مقدرأ

ما نور الظلماء غير مداده اذ نورأ

وفيهما توفي الامير صارم الدين قايمار النجمي، كان من اكابر مماليك نجم الدين ايوب، وكان عظيم القدر عند صلاح الدين، واذا فتح بلدأ سلمه اليه واستأمنه عليه، وكان كثير

(١) لدى: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٧٧/٢، (دقيق) و (رقيق)، لدى: ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩/١٣.

(٢) وردت بصيغة (اللحام)، في وفيات الاعيان، ٧٧/٢، البداية والنهاية، ٢٩/١٣.

(٣) ماين الحاصرتين غير واردة في الاصل، وانما وردت بصيغة (فالزر والعنبر)، والاضافة من، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٧٧/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩/١٣.

(٤) وردت بصيغة (زر هكذا) في: وفيات الاعيان، ٧٧/٢، البداية والنهاية، ٢٩/١٣.

(٥) في وفيات الاعيان، ٧٧/٢. (مستراً).

الصدقات والبر والصلوات وافعال الخير، بنى القنطرة التي بين خسفين^(١) ونوى^(٢) وغيرها، والمدرسة المجاورة لداره المعروفة الان بالقيمازية بدمشق تحت القلعة، وكان الملك العادل قد جعله بدمشق مديراً لامور ولده الملك المعظم عيسى، وسلمه اليه، فتوفي بدمشق في جمادي الاول، وظهرت له اموال عظيمة، فيقال انه وجد في اسفل البركة مائة الف دينار.

(١) خسفين: قرية من اعمال حوران بعد نوى في طريق مصر بين نوى والاردن، وبينها وبين دمشق خمسة عشر فرسخاً. ياقوت، معجم البلدان، ٣٧١/٢.

(٢) نوى: بلدة من اعمال حوران، بينها وبين دمشق منزلان. ياقوت، معجم البلدان، ٣٠٦/٥.

٥٩٧ هـ

سنة سبع وتسعين وخمس مائة

فيها استناب الخليفة نصر الدين ناصر بن مهدي في الوزارة، واذن للقاضي الشهرزوري^(١) في الخروج من بغداد، وسئل ايما افضل دم الحسين(عليه السلام)^(٢) او دم الحلاج^(٣)، فاستعظم ذلك، وقال: كيف [٧١-ب] يجوز ان يقال هذا، قطرة من دم الحسين افضل من مائة الف دم من الحلاج، فقال السائل: فدم الحلاج كتب على الارض، الله، الله، فقال المتهم يحتاج الى تزكية.

وفيها كانت حوادث عظيمة، لم يتجدد مثلها في السنين الماضية، منها هبوط النيل، ولم يعهد ذلك في الاسلام الا مرة واحدة، فانه بقي منه شيء يسير، واشتد الغلاء والوباء بمصر، فهرب الناس الى المغرب والحجاز واليمن والشام، وتفرقوا تفرق ايدي سبأ، وتمزقوا كل ممزق، اعظم من سنة اثنتين وستين واربعمائة في ايام المستنصر^(٤)، فان الناس في

(١) ابو الفضائل القاسم يحيى بن عبدالله بن القاسم المعروف ب(ضياء الدين الشهرزوري)، توفي سنة ٥٩٩ هـ. ورد ترجمته لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٥٥ - ٥٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/٣٤٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٣٨ - ٣٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/١٨٤.

(٢) في الاصل(علم).

(٣) ابو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور، وهو من بلدة البيضاء بقارس، ونشأ في العراق، والناس في امره مختلفون، فمنهم من يبالح في تعظيمه، ومنهم من يكفره، اعدم بطريقة بشعة في بغداد سنة ٣٠٩ هـ بقرار من مجلس القضاء وموافقة الخليفة العباسي المعتد ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٨/١٢٦-١٢٩، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/٢٦٠ - ٢٦٩، ٨/١٢٦-١٢٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/١٥٤، ابن النديم، الفهرست، ص ٢٦٩ - ٢٧٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢/٢٥٣-٢٥٧.

(٤) ابو تميم معد الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله الفاطمي، توفي سنة(٤٨٧ هـ) عنه انظر: ابن الاثير، الكامل، ج ١٠، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/١١٧ - ١١٧، الذهبي، دول الاسلام، ٢/١٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/١٥٨، ابن خلدون، ٤/٦٢ - ٦٤، تاريخ ابن خلدون، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٥/١٤١، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٣٨٢-٣٨٣.

هذه السنة، كان الرجل يذبح ولده الصغير وتساعدته امه على طبخه، وشويه، واحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك، ولم ينتهوا، وكان الرجل يدعو صديقه، واحب الناس اليه الى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله، وفعلوا بالطباء كذلك، كانوا يدعونهم ليبيصروا المرضى، فيقتلونهم ويأكلونهم، وفقدت الميتات والجيف من كثرة ما كانوا يأكلوها، وكان يخطفون الصبيان من الشوارع ويأكلونهم، وكفن السلطان في مدة يسيرة مائتي الف وعشرين الف، وامتأدت طرقات المغرب والحجاز والشام من رمم الناس، وصلى امام جامع الاسكندرية في يوم على سبعمائة جنازة.

وجاءت في شعبان زلزلة هائلة من الصعيد، فعمت [٧٢- أ] الدنيا في ساعة واحدة، وهدمت بنيان مصر، فماتت تحت الردم خلق كثير، ثم امتدت الى الشام والساحل، فهدمت مدينة نابلس، فلم يبق فيها جداراً قائماً، الا حارة السمرة، وماتت تحت الهدم ثلاثون الفاً، وهدمت عكا وصور وجميع قلاع الساحل، وامتدت الى دمشق، فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق، واكثر الكلاسة والمارستان النوري، وعمامة دور دمشق، الا القليل، وهرب الناس الى الميادين، وسقط من الجامع ست عشر شرافة، وتشققت قبة النسر، وتهدمت بانياس وهونين وتبنين.

وخرج قوم من بعلبك يجنون الرياس^(١) من جبل لبنان، فالتقى عليهم الجبلان فماتوا بأسرهم، (وتهدمت)^(٢) قلعة بعلبك مع عظم حجارتها، ووثيق عمارتها، وامتدت الى حمص وحماة وحلب والعواصم، وقطعت البحر الى قبرص، وانفرد البحر فصار اطواداً، وقذف بالراكب الى الساحل، فتكسرت، ثم امتدت الى خلاط وارمينية واذريجان^(٣) والجزيرة، واحصى من هلك في هذه السنة، على وجه التقريب، فكان الف الف انسان ومائة الف انسان.

وفي مستهل ذي القعدة، حوصرت دمشق، جاء الملك الافضل والملك الظاهر، وكان الملك العادل بمصر، وبشارة ببانياس [٧٢- ب] وقد اقطعها الملك العادل مع هونين وتبنين

(١) الرياس: نبات معمربنيب في البلاد الباردة والجبال ذوات الطلوج، تؤكل كل ضلوعه وترتب، ويعصر منه شراب الرياس. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٣٨٥/١.

(٢) ما بين الحاصرتين تكرار في الاصل.

(٣) اذريجان: اقليم واسع حدودها من برذعة شرقاً الى ازربخان غرباً، وشمالاً من بلاد السديلم. ياقوت، معجم البلدان، ١٢٨/١. وللزيادة عنها انظر: حسام الدين علي غالب النقشبدي، اذريجان ٤٢٠ - ٦٥٤هـ / ١٠٢٩ - ١٢٥٦م دراسة في احوالها السياسية والحضرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٤م.

وغيرها للامير فخرالدين جركس، فلما نزل الملك الافضل والظاهر على دمشق، جاء بشارة نجدة لهما، فقاتلوا دمشق اياماً، وكان بها الملك المعظم عيسى، وبلغ الملك العادل ذلك، فخرج بالعساكر ونزل نابلس، وبعث فاصالح الامور، وزحف الافضل والظاهر، فوصلوا باب الفراديس، واحرقوا فندق تقي الدين، وقاتلهم المعظم، وحفظ البلد، واقاموا شهرين، وبعث الملك العادل فاخلف بين الاخوين، فرحلوا سلخ ذي الحجة^(١).

وجاء الملك العادل فدخل دمشق.

ومضى الملك المعظم وفخرالدين جركس وزين الدين قراجا، فحاصروا بانياس، وبها حسام الدين بشارة، فقاتلهم وقتل ولده، واخرجوه من البلاد، وتسلمها فخرالدين جركس، وتسلم زين الدين قراجا صرخد.

وفيهما توفي عزالدين ابراهيم بن محمد بن عبدالملك بن المقدم^(٢)، وابوه هو المقتول بعرفات، وكان شجاعاً عاقلاً، وله بارين وفامية^(٣) ومنبج والراوندان^(٤) وعدة حصون، فأخذها منه الملك الظاهر وبقي له بارين، فتوفى ودفن بدمشق بالعقيبة.

[وفاة] جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي^(٥)

عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ويصل نسبه الى ابي بكر الصديق رضى الله عنه، ولد ببغداد سنة عشرة وخمس مائة، وتوفي ابوه وعمره ثلاث سنين، وكانت له

(١) عن هذه الاحداث والصراع الايوبي انظر: ابن الاثير، الكامل، ١٢/١٦٠-١٦٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٤٧٩-٤٨٠، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/١١٦-١٢٠، القرظي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ص ١٥٤-١٥٧.

(٢) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٤٨٠، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٢، ابن الوردي، تمة المختصر، ٢/١٨٨.

(٣) فامية: مدينة كبيرة وكورة من سواحل حصص، وقد يقال لها أفامية. ياقوت، معجم البلدان، ٤/٢٣٣.

(٤) الراوندان: قلعة حصينة وكورة من نواحي حلب. ياقوت، معجم البلدان، ٣/١٩.

(٥) ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ١٢/١٧١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٤٨١-٥٠٣، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٣٣-٤٢، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/٦٧-٦٨، ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ١/٣٩٩-٤٣٣، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/١٩٠-١٩١، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٣١-٣٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/١٧٤-١٧٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/٣٢٩-٣٣١.

عمة سالحة، وكان [٧٣-أ] اهله تجار في النحاس، ورأيت في بعض سماعاته، وكتب عبدالرحمن الصفار فلما ترعرع حملته عمته الى مسجد ابي الفضل، فاسمعه الحديث وقرأ القرآن، وتفقه على ابي بكر الدينوري الحنبلي وابن الفراء، وسمع الحديث الكثير وتعلم الوعظ، واشتغل بفنون العلوم، وصنف الكتب في فنون عديدة، وحضر مجالسة الخلفاء والوزراء والعلماء والاعيان، واقل ماكان يحضر مجلسه عشرة الف، ووقع الله له في القلوب القبول والهيبة، وكان زاهداً في الدنيا وسمعتة^(١) يقول على المنبر في اخر عمره، كتبت باصبعي هاتين الف مجلد، وتاب على يدي مائة الف، واسلم على يدي عشرة الف يهودي ونصراني.

وكان يختم القرآن في كل سبعة ايام، ولا يخرج من بيته الا الى الجامع يوم الجمعة او مجلس الوعظ، وما مازح احداً قط، ولا لعب مع صبي، ولا اكل من جهة لا يتقن حلها، وكان احسن الناس كلاماً، واعذبهم لساناً، صنف مائتا ونيّف وخمسين كتاباً في فنون من العلوم.

ذكر ما جرى في مجالسه من الطرف

قال: رحمه الله يوماً في مجلس وعظه، الدنيا نهر طالوت^(٢)، فاعبروها ولا تعمروها، فقام سائل فقال: كيف اصنع وحبها (مجبول)^(٣) في طباعي من يوم زين للناس حب الشهوات، فقال الا من اغترف وطره من النظرات، [٧٣-ب] وقال: والله ما اجتمع لاحد امله الا واسرع في تفريقه اجله، وقال: الرواحل في طي المراحل، والانام نيام، وقال: لا يسمع من يقول الجوهر والعرض والاسم المسمى، والتلاوة والمتلو لانه شيء لاتحيط به اوهام العوام. بل قل أمنت بما جاء من عند الله، وبما صح عند رسوله، هذا شيء يفهمونه أي قوم.

(١) ينقل من سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٨١/٨-٥٠٣.

(٢) المقصود هنا ان يأخذ الانسان منها مايقم به اوده.

(٣) لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ٢، ص ٤٨٩. (مطبوع).

ووعظ الخليفة يوماً، وقال يا أمير المؤمنين، إن تكلمت خفت منك، وإن سكت خفت عليك، فانا أقدم خوفاً عليك، على خوفاً منك، لحبتي لدوام أيامك، (إن قول) ^(١) القائل: اتق الله، خير من قول القائل: انكم اهل بيت مغفور لكم، وقد قال الحسن البصري ^(٢) : لئن تصحب اقواماً يخوفونك حتى تبلغ المأمن، خير لك من ان تصحب اقواماً يؤمنو بك حتى تبلغ المخاوف.

وكان عمر بن الخطاب يقول: اذا بلغني عن عامل ظالم انه ظلم الرعية ولم اغيره، فانا الظالم، يا أمير المؤمنين: كان يوسف (عليه السلام) ^(٣) لا يشبع زمان القحط لئلا ينسى الجوع، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة، ويقول: هرقرا إن شئت، او لا تقرقرا، فوالله لاشبعت والمسلمون جوعاً، فتصدق المستضيء بصدقات كثيرة، واشبع الجوع، واطلق الحبوس.

وقال: مذهب الشافعي في تعظيم القرآن أكد من مذهب احمد، لان عند احمد يجوز للمحدث ان يمسه، وعند الشافعي لو كان المصحف على جمل لم يجز للمحدث ان يقوده. وقرأ بين يديه قارئ [٧٤-أ]، ﴿وعد الله لا يخلف الميعاد﴾ ^(٤) فقال: العدة دين، فالطالب أين.

وسئل عن قوله: انا سيد ولد ادم، وقوله: لا تفضلوني على يونس بن متى ^(٥) ، فقال: هذا حال جمال عل خد كمال.

وسئل عن من ينهر السائل، فقال: إن لم تدنه من مبادل مبارك، فابعده عن معارك معارك.

(١) ما بين الحاصرتين تكرر في الاصل.

(٢) ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن يسار البصري، كان من سادات التابعين وكبرائهم، توفي بالبصرة سنة ١١٦ هـ. ترجمته لدى: ابن سعد، طبقات ابن سعد ٥٦/٧، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٢٦/١ - ٢٢٨، ابن الخطيب، تاريخ بغداد، ٤٠٧/٧، طبقات السبكي، ٢٥٠/١، ١٧٢/٢ - ١٧٣.

(٣) في الاصل (علم).

(٤) الرعد: ٣١.

(٥) هو النبي يونس عليه السلام ارسل الى اهل الموصل، وضميحه في الساحل الايسر بمدينة الموصل في شمال العراق، على تل مرتفع تعرف بتل التوبة. ياقوت، معجم البلدان، ٤١/٢، ٣٣٩/٥.

وقال له قائل: ادم تلقى من ربه كلمات^(١)، فانت من اين تلقيت، فقال الولد للفراس،
وتواجد رجل في المجلس، فقال: جمال الدين واعجابه، ثم انشد:

قد كتمت الحب حتى شفتي واذا ما كتم الداء قتل
بين عينيك علايات الكرى فدح النوم لربات الحجل

ونظر يوماً الى اقوام يبكون في جلسة، ويتواجدون، فانشد:

ولو لم يهجنى الطاعنون لها جني حمائم فرق في الديار وقوع
تداعين فاستيكين من كان ذا هوى نوائح لم يقطر لهن دموع
وكيف اطيع العاذلات وذكرهم يؤرقني والعاذلات هجوع

وقام اخر متواجد فانشد ايضاً:

ومازال يشكو الشوق حتى (كانما)^(٢) تنفس من احشائه وتكلما
وبكي فابكي رحمة لبكائه اذا ما بكى دمعا بكيت له دما

وقال في قصة اهل العجل^(٣): لو أن الله جاز لهم، لما خاذلهم عبود العجل من غير
فكرة، بل على الفور، وما يعبد العجل الاثور.
ومدح رجلاً بالكرم، فقال:

نبيل فضله يرمى عن قوس جوده فقد صار الفقير في زمانه كالقنفذ

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٩٣/٨، (كأنه).

(٣) البقرة: ٥١.

وانقطع القراء يوماً عن مجلسه، فانشد [٧٤- ب]

وما الحلي الا زينة لنقيصة تتم من حسن اذا الحُسن قصرا
واما اذا كان الجمال موفراً كحسنك لم يحتج له ان يُزورا

وقال في حق أمير المؤمنين علي، كان يسرع في القتال من غير توقف، مطبوع على الشجاعة من غير تكلف، هل قيل في حقه اذا لقي ابطالا انه ابطن لا. وقيل له: ان اقواماً يتغانون الوعظ، وليس من شغلهم، فانشد^(١) :

قالوا تصاهلت الحمير فقلت من عدم السوابق
خلت الدسوت من الدخاخ ففرزنت فيها البيادق

وانشد:

امر على منازلهم واني بمن اضحى بها صب مشوق
فاومى التحية من بعيد كما يومئ باصبعه القريق

وذكر ضرب عمر رضي الله عنه الارض بالدرّة، فقال:

فقال: الخائن خائف والبرئ جريء، وستل عن لعنة يزيد بن معاوية، فقال: قد اجاز احمد بن حنبل لعنه، ونحن نقول: مانحبه لما فعل ببنت نبينا (صلى الله عليه وسلم)^(٢)، وحمله ال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) سبايا الى الشام على اقتاب الجمال وتجريه على الله ورسوله، فان رضيتم بهذه المصالحة في قولنا مانحبه، والا رجعنا الى جواز الدعوى،

(١) من شعر جعفر بن محمد بن ابي سعيد ابو الفضل جذام القيرواني (ت ٤٦٠ هـ).

(٢) في الاصل (سلم) وكذلك في جميع المواضع التي وردت فيها بتلك الصيغة.

يعني جواز لعنه، واما ابوه ففي خفارة الصحبة فدعوه من ايديكم، وانتم في حل من الابن. قال: وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من دخل دار ابي سفيان فهو آمن، وما دخلها يزيد قط، ودخلها معاومة، ثم قال: لا تدنسوا وقتنا [٧٥-أ] بذكر من ضرب بالقضيب ثانيا كان رسول (صلى الله عليه وسلم) يقبلها، فجعلها يزيد عرضاً لبلوغ عرضه.

وقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، اذركم الفتن واهل بيتي، قالها ثلاثاً، ثم قال: هذا الصوت ما بلغ الى اهل الشام، ثم قال: انه تقدم رجلان الى قاض، فادعى احدهما دعوى، وقال: لي عند هذا الكشخان^(١) دين، فقال القاضي للمدعى عليه: ماتقول ياكشخان، فقال الرجل: أما تستحي وانت حاكم المسلمين تشتمني، فقال: ما شتمتك، قال: بلى، قلت ياكشخان، قال: او ليس اسمك كشخان، قال: لا والله، قال: فما اسمك، قال: يزيد، قال: كشخان أصلح، وقال: كم من واعظ اذا خطب، سبقت الباء الطاء، وانشد:

يا عصبه لا يفرقون بجهلهم ما بين سبحان ولكنه يا قل
اهدي ويهدي الجاهلون فتستوى لا فرق بين فضولهم وفضائله

وقالوا يوماً في مجلسه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٢)، من عادة القادم ان يبدأ بالسلام، فلما ازعجت نبينا (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج انوار الهيبة، قيل له نحن نبدأك بالسلام، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وقد علمت نبأ نبينا عن الفقراء، جعت فلم يطعمني، وعطشت فلم يسقيني، ومرضت فلم يعدني، فاقض ذاك الدين الذي لنا عندك، فقد احلنا الفقراء [٧٥-ب] به، واذا جاءك الذين يؤمنون بأياتنا فقل سلام عليكم.

قال: كان النبي (صلى الله عليه وسلم)، يقول يوم الفتح: يا خالد ارفع السيف، ولا يقع في سمع خالد الا ضع السيف، ولسان الحال يقول: يا محمد، انت أقسمت يوم أحد، لما قتل

(١) الكشخان: كشيخان، كلمة فارسية معناه ديوث. التوحي، المعجم الذهبى، ص ٤٧٠. ويبدو انه قد حذف الياء في الاولى عند التلظظ اختصاراً.

(٢) الانعام: ٥٤.

حمزة، وقلت لاقتلن بك سبعين سيداً، فلما كان مقتضى تأديب العوام الصفح عنهم، قلنا لك ﴿وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾^(١) وكان مقتضى اكرامك، الوفاء بمن اذاك، كيف وقد حلقت، فسماع خالد بر في سر، على ان لفضلة ضع، فوجهه يحتمل من يدك ويحتمل منهم.

ذكر وفاته

جلس تحت تربة ام الخليفة، ونزل من المنبر، فمرض خمسة ايام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين، سابع رمضان، وحكت بنته، انه كان يقول عند موته: ايئس أعمل بطواويس، قد جبتهم لي طواويس، واجتمع اهل بغداد، وغلقت الاسواق، وحزن الناس عليه حزناً شديداً، واوصى ان يكتب على قبره:

يا كثير العفو (عن من) ^(٢)	كثير الذنب لديه
جاءك الذنب يرجوا	الصفح عن جرم لديه
انا ضيف وجزاء الـ	ضيف احسان اليه

[وفاة] بهاء الدين قراقوش الخادم

وهو الذي أسر في عكا، وفداه السلطان بستين الف دينار، وهو الذي بنى قلعة القاهرة، والصور الدائر من مصر الى القاهرة والقنطرة التي عند الاهرام، وله واقعات عجيبة مع المصريين [٧٦-١] حتى صنفوا له كتاب واقعاته، وسموه الفاشوش في حكم قراقوش^(٣).

(١) النحل: ١٢٦.

(٢) لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٠٢/٨، (عمن)، وكذلك لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ٤٠/٥.

(٣) ورد ترجمته في موضع سابق: وان ماجاء في ذلك الكتاب لا يتفق مع سيرته كمجاهد زمن السلطان صلاح الدين، حتى انه كان موضع ثقة الاخير، وان وضع ذلك الكتاب ونسبها اليه كان الهدف منها هو النيل من سمعته والحط من قدره من قبل اعدائه وحساده.

[وفاة] العماد الكاتب واسمه محمد بن محمد^(١)

ابن حامد الاصفهاني المنشئ^(٢) ويعرف بابن اخي العزيز، وقد ذكرنا جملة من اخباره واثاره، وذكره الحافظ ابن عساكر، فقال: ولد باصفهان سنة تسع عشر وخمسة مائة، وبها نشأ، وقدم بغداد وتفقه على مذهب الشافعي، وسمع الحديث، واشتغل بعلم الادب والكتابة والانشاء وبرع فيها، وخدم الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة، وكان احد كتابه وشعرائه، ثم سافر الى الشام وقدم دمشق في ايام نورالدين محمود بن زنكي، وانزله القاضي كمال الدين بن الشهرزوري في المدرسة التي تعرف به الان عند باب الفرج المجاورة لحمام القصير، وكان نجم الدين ايوب والد صلاح الدين بدمشق، فقصد زيارته، ليرفع من قدره، ومدحه العماد، ثم مدح نورالدين واسد الدين وصلاح الدين، وكان قاضياً عارفاً بفنون الادب، وله الرسل والنظم والنثر، وكان حافظاً لدواوين العرب، وصنف المصنفات الحسان، كالبرق الشامي، والفتح القسي في الفتح القدسي، وخريدة القصر في شعراء اهل العصر، ورسالة العتبي، وخطبة البارقي، والنحلة^(٣) وغير ذلك.

وكان القاضي الفاضل يقول: العماد كالزناد الوقاد، يعني ان النار في باطنه كامنه، وظاهرة فيه فترة، وكان يحبه ويثني عليه، ويمازحه [٧٦-ب]، وهو الذي استخدمه عند صلاح الدين.

(١) ورد ترجمته لدى: ياقوت، معجم الادباء، ١١١/١٩ - ١٨، ابن الاثير، الكامل، ١٧١/١٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ٤٢/٥ - ٤٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٠٤/٨ - ٥٠٨، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٧٦/٣ - ٧٩، السبكي، طبقات الشافعية، ٩٧/٤، الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٣٢/١ - ١٤٠، ابن الوردي، تنمة المختصر، ١٨٩/٢ - ١٩٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٣٢/٤ - ٣٣٣، واخباره في مؤلفاته العديدة، وكتب التاريخ التي تتحدث عن الدولتين النورية والصلاحية.

(٢) يعني كاتب الانشاء. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ص ٢٣ - ٢٤.

(٣) كتاب (رحلة الرحلة في التاريخ). حاجي خليفة، كشف الظنون، ٨٤/٦.

ولما صنف (الفتح القسي)^(١) عرضه عليه، فقال الفاضل: لو لم يصنف العماد هذا الكتاب لكانت له احوال، يعني لكثرة ما تعمق في الفاضله، وكانت وفاة العماد بدمشق في يوم الاثنين غرة رمضان، ودفن بمقابر الصوفية عند النبيع، على الجادة رحمه الله. ذكر طرف من اشعاره:

اجيران جيرون مالي مجير
ومالي سوى طيفكم زائر
يعرّ علي بأن الفؤاد
وما كنت اعلم بأنني اعيش
سوى عطفكم فاعدلوا او فجوروا
فلا تمنعوه اذا لم تزوروا
لديكم اسير وعنكم اسير
بعد (التعرف)^(٢) اني صبور

الى ناس باناس لي صبوة
يزيد اشتياقي وشوقي كما^(٣)
ومن بردي برد قلب المشوق
فقدتكم ففقدت الحياة
ايا راكب النضو بيضنو الركاب
يؤم دمشق ومن دونها
اذا ما بلغت فيبلغهم سلاما
فياطيب بشرى من جلق
(ويستبشز)^(٤) للاصدقاء الكرام
تري بالسلامة يوما يكون
وباب الفراديس فردوسها
لها الوجد داع وذكرى تثير
يزيد يزيد وثورا يثور^(٥)
فها انا من حره (مستجير)^(٥)
ويوم اللقاء يكون النشور
يسير وخطب سراه يسير
فجابت سهول الفلا والوعور
تأرج منه العبير
اذا جاءني بالنجاح البشير
تقر العيون وتوفى النذور
بباب السلامة مني عبور
وسكانها احسن الخلق حور [١-٧٧]

(٤) كتاب الفتح القسي غارق في السجع، حتى ان القارئ يحتاج الى قواميس اللغة العربية لفهم ماورد فيها، وقد طبع الكتاب في بريل، ليدن، ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م.

(١) لدى: ياقوت، معجم الادباء، ١٥/١٠ (الاحية).

(٢) لدى: ياقوت، معجم الادباء، ١٦/١٠ (يزيد اشتياقي وينمو كما).

(٣) يزيد وثور نهران بدمشق. ياقوت، معجم الادباء، ١٦/١٠، هامش (١).

(٤) لدى: ياقوت، معجم البلدان، ١٦/١٠ (استجير).

(٥) كلمة مطبوسة.

فبرزة^(١) فالسهم فالنيربين
وما جنة الخلد الا دمشق
ميادينها الخضراء فيح^(٢) الرحاب
وجامعها الرحب والقبة المنيفة
كان الجواسق مأهولة
بنيربها تنيرى الهموم
وعند المغارة يوم الخميس
وعند المنبيع عين الحياة
وجسر ابن سواس ثم
وكم بت الهو بقرب الحبيب
واشجار سطرى بدت كالسطو
الام القساوة يا قاسيون

بجنات مزتها فالكفور
وفي القلب شوق اليها سعي
وسلساها العذب صاف تمير
والفلك المستدير
بروج تطلع منها البدور
بريوتها يترى السرور^(٣)
اغار على القلب مني مفر
مدى الدهر نابعة لا تفور
السكر لئنفسى بنفسى تلك الجسور
في بيت لهيا^(٤) ونام الفيور

ريفهم البليغ البصير
وبين السنا يتجلى سنير

وقال:

بائه ياربح الشمال تحملي
خفي الى حمل السلام وخفضي
قولى لمن شغل الفؤاد بحبه
حلت عقود دموعه وعقوده
سقى لاحباب تبذل ودهم
الضاعنين وودهم مستوطن

مني التحية نحو ذاك المنزل
عن قلب صب بالصباية مثقل
ويخال ان فؤاده منه خلي
وعهوده معقودة لم تحلل
بعدي ولم انقض ولم اتبدل [٧٧-يا]
والراجلين وذكرهم لم يرحل

(٦) في الاصل (فالارزة)، والتصحيح من: ياقوت، معجم الادباء، ١٧/١٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٠٦/٨. وبرزة من قرى دمشق في الغوطة. ياقوت، معجم الادباء، ١٧/١٠، هامش (٣).

(٧) لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٠٧/٨ (فسح).

(١) لدى: ياقوت، معجم الادباء، ١٧/١٠: بنيربها يستنير الفؤاد ويربو بريوتها لي السرور

(٢) بيت لهيا: قرية مشهورة في غوطة دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٥٢٢/١.

حزناً وعين الساهر المتململ
من دمعي وحزني كل باب مقفل
واعدل فليس عن الحمى من معدل

من بعدهم حال المعنى المبتي
اغلقت باب مسرتي وفتحت
عزج وعج نحو الحمى سقى الحمى

وقال:

فقد بان صبري والكرى مذباينتم
ولكنما خان الزمان فخنتم
على كل حال انتم كيف انتم
وقد كنتم تشكونه لو علمتم
فديتكم ماضركم لو مننتم

احباينا من بعدنا كيف انتم
ومازلتم اهل المرؤة والوفا
واني بحال لست اذكر بعضها
محبكم من لوعة البين مشتك
اسيركم العاني اما تطلقونه

وقال:

وعاهاكم مما انا فيه منكم
ومن بنا عنكم كيف لايتندم
من الوجد والاشواق قاله يعلم
ومنية قلبي ان تعيشوا و تسلموا^(١)

ايا ساكني مصر عفا الله عنكم
ابيت على هجرانكم متنديماً
فان كنتم لا تعلموا ما لقيته
بقيتم وعشتم سالمين من الاذى

[وفاة] محمد^(٢) بن المبارك بن محمد ابو غالب البصري

ويلقب بالظهير، ولد سنة ثلاث وعشرين وخمس مائة، وبرع في الادب، وقال الشعر،

انشدنا لنفسه:

خفيف الظهر من كلف واثم
وهم وارد في اثرهم [٧٨-١]

تقتع بالقليل وعش عزيزاً
والاهنيئ نفسك للبلايا

(١) انظر ايضاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٠٦/٨ - ٥٠٨.

(٢) لم ترد ترجمته في المصادر التي بين ايدينا.

٥٩٨ هـ

السنة الثامنة والتسعون وخمس مائة

فيها برز الملك العادل الى القصير^(١) طالبا حلباً، وكان الملك الافضل بجمص، عند اسد الدين شيركوه، فجاء الى عمه الملك العادل، فالتقاه عند ثنية العقاب، فاكرمه وعوضه عن ميفارقين سمصاط وسروج وقلعة النجم^(٢)، وقرايا في المرج^(٣) ومصر. وتسلم الملك الظاهر أفامية من شمس الدين بن المقدم، ونزل الملك العادل على حماة، فصالحه الملك الظاهر، ورجع الملك العادل الى حمص. وجاءت في شعبان زلزلة عظيمة، فشقت قلعة حمص، ورمت المنظرة^(٤) التي على القلعة، واخربت حصن الاكراد، وتعدت الى جزيرة قبرص، وامتدت الى نابلس فأخربت اكثرها.

وفيها شرع ابو عمر شيخ المقدسة رحمه الله تعالى في بناء المسجد الجامع بالجبل، وبلغ مظفرالدين بن زين الدين صاحب اربل، فبعث اموالاً ونواباً وامناء فبناه، ووقف عليها وفقاً، وسير له فرشاً، وبعد ان فرغ اراد مظفر الدين بن زين الدين ان يسوق اليه الماء من برزة^(٥)، وبعث الف دينار لذلك، وكانت برزة ملك اسدالدين شيركوه، صاحب حمص، فما وافق الى ذلك واعتذر لانه ما يصل الماء الى الجامع دون ان تتلف قبور كثيرة للمسلمين،

(١) القصير: اول منزل لمن يريد حمص من دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٣٦٧/٤.

(٢) قلعة النجم: قلعة حصينة تطل على الفرات، وعندها جسر يعبر عليها يعرف بجسر منبج، بينها وبين منبج اربعة فراسخ. ياقوت، معجم البلدان، ٣٩١/٤.

(٣) المرج: يبدو انها مرج الصفر وهي موضع بدمشق. معجم البلدان، ١٠١/٥.

(٤) المنظرة: يعني الشرفة. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٠٩/٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ٨٣/٣.

(٥) برزة: قرية من غوطة دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٣٨٢/١.

ونيش عظامهم فعملوا مداراً واشتروا بغلاً يدور، واوقفوا بالالف دينار على ذلك وقفاً.
حماد بن ابي الثناء^(١) التاجر انشدني:

محاسناً لم تكن فيه ببلدته [٧٨ - ب]
حسن التنقل فيها فوق رتبته

تنقل المرء في الافاق يكسبه
اما ترى بيدق الشطرنج اكسبه

(١) ابو الثناء حماد بن هبة الله بن حماد بن الفضل بن الفضلي الحارثي، كان تاجراً كثير الاسفار ومحدثاً وحافظاً ومؤرخاً توفي بحران سنة (٥٩٩هـ). سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥١١/٨، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٣٥/٤.

٥٩٩ هـ

السنة التاسعة والتسعون وخمس مائة

في سلخ المحرم ليلة السبت، ماجت النجوم في السماء شرقاً وغرباً، وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً، ولم يرى هذا الا عند مبعث النبي (صلى الله عليه وسلم)^(١)، وفي سنة احدى واربعين ومائتين، وكانت هذه السنة اعظم. وفيها بعث الخليفة^(٢) الخلع و(سراويلات الفتوة)^(٣) الى الملك العادل واولاده، مع علي ابن عبد الجبار العقاب، فلبسوا الخلع والسراويلات في رمضان بدمشق. واخذ الملك الظاهر قلعة النجم من اخيه الملك الافضل، بأمر الملك العادل. وفيها ابتدئ الملك العادل بعمارة قلعة دمشق.

(١) في الاصل (صلمع).

(٢) هو الخليفة الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن المستضى بامر الله العباسي.

(٣) هو الزي الخاص الذي كان يرتديها طائفة اوجدتها الخليفة الناصر لدين الله يرمون البندق على الطير ونحوه، ويعدون ذلك من قبيل الفتوة. مؤلفات جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، مج ١٢، ص ٧٧٥.

٦٠٠ هـ

سنة ستمائة

في اول هذه السنة، سافر شمس الدين يوسف بن الجوزي عن بغداد الى الشام، وهي اول رحلته، قال: فاجتزت بدقوقا ثم وصلت اربل، فاجتمعت بشيخ فاضل، يقال له محيي الدين الشاماني فانشدني لنفسه:

رجعت اسود هذا الحال حين بدا في حمرة الخد مرمياً بابصار
كانه بعض عباد الجوس فقد القى بمهجته في لجة النار

وفيها كانت كسرة الموصل، سار نورالدين ارسلان شاه صاحب الموصل الى تل اعفر^(١)، ففتحها بالسيف، وكانت لقطب الدين ابن عماد الدين صاحب سنجار، فاستجد قطب الدين بالملك الاشرف ابن الملك العادل، ف جاء معه سنجرشاه صاحب الجزيرة [٧٩-٨٠] والملك الصالح^(٢) صاحب امد والملك الاوحد^(٣) صاحب ميافارقين في عساكر دياربكر، واجتمعوا في خلق عظيم.

(١) تل اعفر: قلعة وريض بين سنجار والموصل. ياقوت، معجم البلدان، ٣٩/٢. وهي مركز قضاء تلعفر تتبع محافظة نينوى، وتقع شمال غربيها، وتبعد عنها (٨٠) كم تقريباً.
(٢) هو ناصر الدين محمود بن محمد، الملك الصالح (٥٩٧-٦١٩هـ). زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ص ٣٤٤.

(٣) ايوب بن ابي بكر بن ايوب بن شاذي، الملك الاوحد. نجم الدين ابن الملك العادل توفي سنة (٦٠٩هـ). ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٦١/٨-٥٦٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ١٢٥-١٢٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٠٨/٣، الخبلي، شفاء القلوب، ص ص ٢٧٣-٢٧٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٧/٥.

وكان صاحب الموصل نازلاً على كفر زمار^(١)، والحر شديد والملك الاشرف على بوشرة^(٢)، فساق عليهم نورالدين فواقعهم بغتة فكسرهم نورالدين في اول مرة، ثم ثبت الملك الاشرف، وساق على نور الدين فكسره، وانهزم نور الدين، واسر الملك الاشرف امراء منهم المبارز سنقر الحلبي وولده ظهير الدين غازي، وذلك تاسع عشر شوال، ودخل نورالدين الموصل وتحصن بها، واستعد للحصار، وجاء الملك الاشرف فنزل كفر زمار، وتراسلاً واصطالحا في آخر ذي الحجة. واطلق الملك الاشرف الامراء الذين اسرهم، الا مبارز الدين سنقر وولده ظهير الدين غازي فانهما اقاما في حبس حران، الا أن الملك مظفر الدين ابن زين الدين شفع فيهما فاطلقهما.

وتزوج الملك الاشرف اخت نورالدين صاحب الموصل بنت عزالدين مسعود وهي التي بنت بقاسيون التربة ودفنت فيها.

وفيهما وثب ناصرالدين بن ارتق^(٣) صاحب ماردين على عمه زوج أمه، نظام الدين واستولى على القلعة، وكانا قد حكما عليه، وكان ناصرالدين واخوه حسام الدين نازلين على حرزم لايمكنهما النظام ولؤلؤ من سكنى القلعة، فدس لؤلؤ لحسام الدين السم فرمى كبده قطعاً، وبقي ناصرالدين فخاف ان يجري عليه ماجرى على اخيه، وكان نظام الدين ولؤلؤ ياكلان البلاد على اسم ناصرالدين [٧٩-ب]، فاتفق ناصرالدين وجماعة من الامراء على قتلها، وكان ناصر الدين يصعد الى القلعة للسلام على النظام، فصعد على القلعة وضبط له الامراء الباب، فدخل على النظام وقد تهيئات له الاسباب، وعنده ام ناصرالدين فضربه بالباقر^(٤)، فقامت امه في وجهه، فقال: اذهبي، والا (ألحقتك

(١) كفر زمار: من قرى الموصل، ياقوت، معجم البلدان، ٤/٦٩٤، وهي مركز ناحية زمار تقع شمال غرب الموصل، وتبعد عنها حوالي ١٠٠ كم وقد غطتها مياه بحيرة سد الموصل.

(٢) بوشرة: بلد قريب من بلد البقعاء، وتبعد عن كفر زمار مسيرة اقل من يوم. ابن الاثير، الكامل، ١٩٣/١١. والبقعاء كورة كبيرة من اعمال الموصل، وبين الموصل ونصيبين، وفيها قرى كثيرة. ياقوت، معجم البلدان، ١/٤٧٢.

(٣) ناصر الدين ارتق بن ايلغازي بن الي بن قمرتاش بن ايلغازي بن ارتق. ابن الاثير، الكامل، ٢٥٣/١٢. كان متولي ماردين من قبل الايوبيين. زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ص ٣٤٥ هامش(٦).

(٤) الباقرون: من باقر، ويعني العصا الشديدة. الزبيدي، تاج العروس.

بالنظام^(١)، وقتله، واتفق دخول لؤلؤ فالتقاءه في الدهليز، وكان أعور قد ذهبته احدى عينيه في حصار ماردين، فضربه بالباقرين في عينه الصحيحة وقطع رأسه وطلع به الى (السطح)^(٢) فرماه الى العوام، فانهزم اصحاب لؤلؤ والنظام، وملك القلعة بما فيها، وبعث ناصرالدين اطراف لؤلؤ الى الموصل وميافارقين، فاستقامت له الامور.

(١) في الاصل (الحقت بك النظام). والتصحيح من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥١٩/٨.

(٢) ما بين الحاصرتين اضافة من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥١٩/٨، لمتستقيم المعنى.

٦٠١ هـ

السنة الحادية وستمائة

فيها عزل الخليفة الناصر ولده عزالدين ابا نصر محمد عن ولاية العهد، واخرج الوزير رقعة بخط ولي العهد الى والده، مضمونها: انه حين ولاه العهد لم يكن يعلم مايجب عليه فيه، وانه سائل اياه اقالته وعزله، وانه لا يصلح لذلك، فاسقط اسمه من السكك والناير والاقلام والمحابر^(١).

وفيها جاءت الفرنج الى حماة يفتنه^(٢)، واخذوا النساء والغسلات من باب البلد على العاصي^(٣)، وخرج اليهم الملك المنصور بن تقي الدين^(٤)، وثبت وابلى بلاء حسناً، وكسر الفرنج عسكره، ووقف في الساقه من الرقيطا^(٥) الى باب حماة، ولولا وقوفه ما ابقوا على المسلمين احد^(٦) [٨٠-١].

(١) انظر ايضاً: ابن الاثير، الكامل، ٢٠٥/١٢ - ٢٠٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٢٢/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) كانت تلك الغارة من قبل الاستبارية وقد انضم اليهم الكثير من الفرنج، لان هذنتهم مع الملك المنصور كانت قد انقضت، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٣/٣.

(٣) العاصي: وهو اسم نهر حماة وحمص ويعرف بالميماس، مخرجه من بحيرة قدس، ومصبه في البحر قرب الطاكية، ياقوت، معجم البلدان، ٦٧/٤.

(٤) محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين ايوب بن شادي، الملقب بالملك المنصور ناصرالدين، وبابن شاهنشاه، مؤلف كتاب مضممار الحقائق وسر الخلائق حكم مدينة حماة ثلاثة عقود من الزمن حتى وفاته سنة (٦١٧هـ). انظر: عثمان عمر عبدالكريم، ابن شاهنشاه الايوبي مؤرخاً (٥٦٧ - ٦١٧هـ / ١١٧١ - ١٢٢٠م) دراسة منهجية في كتابه مضممار الحقائق وسر الخلائق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دهوك، كلية الاداب، ٢٠٠٧م.

(٥) الرقيطا: ضيعة على باب حماة، قريبة جداً من الباب الغربي. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٣/٣.

(٦) لانه كان قد خرج من حماة من العامة خلق كثير، وعندما وصل الفرنج الى الرقيطا تفرقوا وعادوا الى المدينة منهزمين فاخنت جماعة منهم في ابواب المدينة، ورمى خلق انفسهم في الخنادق. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٣/٣.

٦٠٢ هـ

السنة الثانية وستمانة

فيها استوزر الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الحسيني وخلع عليه .
وفيها توجه ناصر الدين صاحب ماردين الى خلاط بمكاتبة اهلها، ف جاء الملك الاشرف،
فنزل على دنيسر، واقطع بلد ماردين، فعاد ناصر الدين الى بلاده بعد ان غرم مائة الف
دينار، ولم يسلموا اليه خلاط^(١) .
وفيها اغار بن لاون على بلد حلب، واخذ الجشار^(٢) من نواحي حارم، فبعث الملك
الظاهر فارس الدين ميمون القصري وايبك فطيس وحسام الدين ابن امير التركمان،
فنزّلوا على حارم، فقالوا لميمون: كن على حذر، فتهاون فكبسهم ابن لاون وقتل جماعة
من المسلمين، وثبت ايبك فطيس وبن امير التركمان، وقاتلا قتالاً شديداً ولولاهما لاخذ
ميمون القصري، وبلغ الملك الظاهر، فخرج من حلب، فنزل مرج دابق^(٣)، وجاء الى حارم،
فهرب ابن لاون الى بلاده، وكان قد بنى قلعة فوق درب ساك، فاخربها الملك الظاهر.

(١) عن تفاصيل ذلك انظر: ابن الاثير، الكامل، ٢٥٣/١٢ - ٢٥٥، ابن العبري، تاريخ مختصر
الدول، ص ٢٢٨، ابن الوردي، تمة المختصر، ١٧٨/٢، غير انهم يذكرونها ضمن احداث سنة
٦٠٣ هـ. على خلاف ما هو وارد في الاصل، وكذلك في المصادر الاخرى مثل، سبط ابن
الجوزي، مرآة الزمان، ٥٢٦/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٧٩.

(٢) الجشار، هو مكان رعى الماشية من خيل وغيرها، والقوم يبيتون هناك في مرعى الابل لايرجمون
الى بيوتهم. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١٢٣/١. وتعني الماشية ايضاً. ابن تغري بردي،
النجوم الزاهرة، ١٨٩/٦، هامش(٤).

(٣) مرج دابق: نسبة الى قرية دابق قرب حلب من اعمال اعزاز، بينها وبين حلب اربعة فراسخ.
ياقوت، معجم البلدان، ٤١٦/٢.

٦٠٣ هـ

السنة الثالثة وسَمائة

فيها فارق وجه السبع^(١) الحاج، وقصد الشام، وكان في الحج العراقي جماعة من الاعيان فبكوا وضجوا، وسألوه فقال: أمير المؤمنين محسن الي، وما اشكو الا من الوزير، ودخل الحاج بغداد، وعليهم وحشة، وأمر الخليفة ان لا يخرج الموكب الى لقائهم، ولا يخرج اليهم احد، وادخل الكوس والعلم والمهد^(٢) في الليل. واما وجه السبع فوصل الى دمشق، والتقاءه الملك العادل واولاده، وخدموه [٨٠-ب] واحسنوا اليه.

وفيها نزل الفرنج على حمص، وكان الملك الظاهر^(٣) قد بعث مبارز الدين بن خطلخ الحلبي نجدة الى اسد الدين شيركوه، وأسر في هذه المرة الصمصام بن العلاني، وخادم صاحب حمص.

وفيها جلس شمس الدين يوسف بن الجوزي صاحب التاريخ بجامع الجبل، مودعا لاهل دمشق، ليتوجه الى حلب، فجرى في مجلسه ذكر المغناطيس، وانه يعشق الحديد، فقال شمس الدين: والخبازي يعشق الشمس، ولهذا كلما مالت الشمس الى جهة مالت الخبازي معها واليهما، فصاح سيف الدين بن تميرك: يامولاي شمس الدين كلنا اليوم خبازي.

(١) هو مظفر الدين سنقر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبع وكان أمير الحاج العراقي. ابن الاثير، الكامل، ٢٥٨/١٢.

(٢) المهدي، الفراش. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٨٨٩/٢.

(٣) استنجد اسد الدين شيركو بالملك الظاهر وغيره من الملوك الايوبيين بالشام، فلم يتجده الا الملك الظاهر، فانه سير اليه عسكرا اقاموا عنده، ومنعوا الفرنج عن بلاده. انظر: ابن الاثير، الكامل، ٢٧٣/١٢.

وفيهما حج صدر جهان^(١) ، وذكر شمس الدين انه اجتمع هذه السفارة بتاج الدين النقاش^(٢) ، وانشده من شعره:

ولا الى غيركم مذهب	مالي سوى حبيكم مذهب
يجمعني يوم بكم مذهب	بددتكم شملي فياهل ترى
فصرت فيكم مثلاً يضرب	وساح دمعي في هواكم دما
يغص بالماء الذي يشرب	ابكي وانتم نصب عيني كما
ومن عذاب النفس ما يهذب	واعشق التعذيب في حبيكم
من اين هذا النفس الطيب	ناشدتك الله نسيم الصبا
مكان اقلت عقدها زيتب	اودعت برداك وقت الضحى
وذيلها من فوقها يسحب	ام باسمت ريناك روض الحمى
فعهدك اليوم بها اقرب	فهاات اتحفنى بأخبارها
جوركم إلى عدلكم المهرب [٨١-١]	احباب قلبي ليس من
عاين روحاً قبلها توهب	وهبتكم روحي ومن ذا الذي
ما كل راي المرء يستصوب	وغدت أسعى في نجاتي بها

(١) برهان الدين صدر جهان محمد بن احمد بن عبدالعزيز بن مارة البخاري، وكان رأس الحنفية ببخارى، وحاكمها الفعلي نائباً عن الخطا ويؤدي اليهم الخراج، فلما حج لم محمد سيرته في الطريق وكان السبب في موت الكثيرين من الحاج عطشا، وخرج من بغداد والناس تخلقه يسبونه ولم يستطيع احد منهم، وسماه الحاج بصدر جهنم. ابن الاثير، الكامل، ٢٠٧/١٢ - ٢٥٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٨٩ - ٩٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ٥١/١٣ - ٥٢.

(٢) مسعود بن ابي الفضل ابو الفتح الملقب بتاج الدين النقاش الحلبي ولد سنة (٥٤٠ هـ)؛ ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٣٠/٨ - ٥٣١، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٨٦ - ٨٧.

وقال:

اصل تلافي وتلافيكم
بليتيم قلبي وما خلته
أحبابنا من ذا الظلوم الذي
وأي خلق الله يرضى لكم
لا متعت عيني بكم إن
ولا اشتاقت روحي بلقياكم
وهلاه ما اعذب تعذيبكم
وما الذ الموت في قريكم
أمرضتموني بمضيض القلى
ونمتم عن سهري فارحموا
طوبى لعين عاينتكم
ياهدى من ظل في خبكم
اطلتم ليلى فواحسرتي
ورب سرب من طببا الحمى

فعلموني كيف أسلوكم
يشقى وقد اصبح مأواكم
يقتلني في الحب وببقيكم
بقت اكباد محبكم
بات واستحسنتم غير معانيكم
ان حدثتني بتسليكم
عندي وما احلا تجنيكم
على ملال وجفا فيكم
فاله مما بي يعافيكم
طول نواحي في نواحيكم
ويا طيب مكان بات يحويكم
او راح بالروح يواسيكم
حتى نجى الليل يُداجيكم
مرت بوادية بواديكم

٦٠٤ هـ

السنة الرابعة وستمانه

فيها عزل الخليفة الوزير بن مهدي العلوي^(١)، فانه كان ظالماً جباراً قاسياً متكبراً،
كتب يعقوب بن صابر المنجنيقي^(٢) الى الخليفة:

خليلني قولاً للخليفة احمد
وزيرك هذا بين امرين فيهما
فان تك حقاً من سلالة (حيدر)^(٣)
توق وقيت السوء ما انت صانع
صنيعك ياخير البرية ضائع
فهذا وزير في الخلافة طامع [٨١-ب]

وان كان فيما يدعي غير صادق فأضيع ما كانت لديه الصنائع

وجلس هذا الوزير يوماً في الديوان فوقعت بين يديه ورقة مختومة فلم يتجاسر احد
على فتحها، فبعث بها الى الخليفة ففتحها وفيها:

(١) نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي من بيت كبير بالري، على منزلته عند الخليفة الناصر لدين
الله حتى اصبح وزيراً وحكمه وجعل ابنه صاحب المخزن، ثم عزل في هذه السنة واغلق بابه بتهم
مختلفة. عن ذلك انظر: ابن الاثير، الكامل، ٢٧٦/١٢ - ٢٧٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،
٥٣٣/٨ - ٥٣٤، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٩٠ - ٩١، ابن واصل، مفرج
الكروب، ١٧٨/٣ - ١٧٩ ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٢/١٣.

(٢) نجم الدين ابو يوسف يعقوب بن صابر الحراني، المعروف بالمنجنيقي الشاعر المشهور، ولد سنة
٥٥٤هـ، وتوفي سنة (٦٢٦هـ)، ورد ترجمته لدى: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤٣٠/٣ -
٤٣٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٤/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٢٠/٥، حاجي
خليفة، كشف الظنون، ٥٤٥/٦.

(٣) حيدر، من اسماء الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

إن صح ما تزعم يا مدعي إلى بني لست من نسله
لا قاتل الله يزيداً ولا مُدت يد السوء إلى نعله
لأنه قد كان ذا قدرة على اجتثاث العدو من أصله
وانما ابقاك احدثاً للناس كي يُعذّر في فعله

فكانت سبب حتفه، لأن الخليفة قال: ما كتبوا هذه الا وقد اهلك الحرث والنسل،
وقال فيه مظفر التماشيكي، كان وكان

ذا الخائن المدعي لو صحت انسابه ما خان وقبح على من حسن القابه
شؤم الخنا والتعدي وللبطر حاله بي فتح الخلق ذكره وانفلق بابيه

وفيهما رتب الخليفة ببغداد في رمضان دار المضيف من الجانبين عشرين داراً، في كل
دار في كل ليلة خمس مائة قدح، والف رطل من الطبخ الخاص، والخبز النقي والحلوى
وغير ذلك مستمراً في كل رمضان.

وفيهما وصل نجم الدين خليل قاضي العسكر الحنفي الى بغداد رسولاً من الملك العادل،
واخرج في مقابلته شهاب الدين السهروردي وسنقر السلحدار.

ومعهما الخلع للملك العادل واولاده، وكان في خلعة الملك العادل الطوق^(١) والسواران.

وفيهما ملك الملك [٨٢-١] الاوحد بن الملك العادل خلطاً، كاتبه اهلها بعد قتل (ابن)^(٢)
بكتمر والهزار ديناري، وكانت بنت بكتمر مع صاحب ارزن الروم^(٣)، فقالت: لا ارضى

(١) الطوق، كل شئ مستدير، وكل ما احاط بشئ كطوق الذهب والفضة يحيط بالعنق، ابراهيم
وأخرون، المعجم الوسيط، ٥٧١/٢.

(٢) ما بين الحاصرتين غير وارد في الاصل، والاضافة من: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ٩١/٥،
وواضح ذلك ايضاً من سياق الحديث. كان الهزار ديناري قد قتل ابن بكتمر، وكان شاباً لم يبلغ
عشرين سنة، ولم يكن في خلط احسن منه صورة، وقيل انه اغرقه في بحر خلطاً. ابو شامة،
الذيل على الروضتين، ص ٩١.

(٣) ارزن الروم، بلدة من بلاد الروم في ارمينية. ياقوت، معجم البلدان، ١٥٠/١.

حتى تقتل الهزار ديناري وتأخذ بثأر اخي، فسار الى خلاط، وخرج الهزار ديناري الى لقائه، فضربه ايان رأسه، وعاد الى ارزن الروم، وبقيت خلاط بغير ملك. وكان الملك الاوحد بن الملك العادل صاحب ميافارقين، فكاتبوه الامراء وكبار البلد، فسار اليها واستولى عليها، وكان اهلها جبابرة قد حصل لهم الطمع بقتل ملوكها، فشرطوا عليه الامراء والمقدمون والمكرماكية^(١)، فخلع عليهم ولاطفهم وقربهم بالاحسان ثم تمكن منهم فابادهم، وغرقهم في بحيرة خلاط، وبدد شملهم بالنفي والحبوس.

(١) المكرماكية: لم أوفق في الوصول الى تعريفهم بشكل دقيق، ولكن يبدو من سياق الكلام انهم كانوا يشغلون مركزا مهما في الدولة الى جانب الامراء والمقدمين.

٦٠٥ هـ

السنة الخامسة وستمائة

وفيها تكاملت دار المضيف ببغداد بالجانب الغربي للحجاج الواردين من البلاد ورتب الخليفة لهم فنون الاطعمة والزاد، واذا عادوا من الحج، فرقت فيهم الدنانير والثياب. وفيها قدم الشيخ شهاب الدين السهروردي من الشام ومعه شمس الدين الدكر استاذ الدار^(١) فتلقيه الموكب، واحترموه احتراماً زائداً، وكان معه الهدايا والتحف، واعرض الخليفة عن شهاب الدين السهروردي، ونقم عليه حيث مد يده الى الاموال بالشام، وحضر دعوات الامراء بها، مثل الامير عزالدين اسامة وجركس واولاد العادل [٨٢- ب] وغيرهم، وقد كان قبل الرسالة زاهداً فقيراً منقطعاً الى الخلوة والتصوف^(٢)، فلما بدأ منه ما ذكرنا، اخذت منه الربط التي كانت بيده، ومنع من الوعظ والجلوس، فقال: ما قبلت هذه الاموال الا لأفرقها على فقراء بغداد، وشرع يصرف المال والثياب في الزوايا^(٣) والربط وارباب البيوت.

(١) استاذ دار، او الاستادار هو الذي يتولى شؤون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان، وهو الذي يمشي بطلب السلطان ويحكم في غلمانه وباب داره، وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي وغيرهما. القلقشندي، صبح الاعشى، ٢٠/٤.

(٢) التصوف، طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل، لتزكو النفس وتسمو الروح، ويعرف من يتبع هذه الطريقة بالصوفي، وقد جاءت التسمية من تفضيله لبس الصوف تقشفاً. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٥٢٩/١.

(٣) الزوايا، مفردا زاوية وهي مأخوذة من الفعل انزوى ينزوي، بمعنى اتخذ ركناً من اركان المسجد للاعتكاف والتعبد. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ٤٢٣/٤، وكذلك: الهسنياني، سنجان من ٥٢١ - ٦٦٠ هـ،

ELSSEFF, Nur- ad- din, v3, pp 751- 753

وتعنى ايضاً مأوى للمتصوفين والفقراء. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٤٠٨/١.

وكان من عادة محي الدين بن الجوزي يجلس يوم السبت تحت تربة ام الخليفة، وشهاب الدين السهروردي يجلس يوم الثلاثاء بباب بدر، فمنع الشهاب من الجلوس، وأمر محي الدين فجلس مكانه بباب بدر، فاتفق ان محي الدين حكى حكاية ذلك الرجل الذي نظر في الرحبة الى شخص مستحسن فأسود بعض وجهه، فرأى في المنام قائلاً يقول: اذهب الى بغداد الى شيخك الجنيد^(١) وسله ان يستغفر لك، فنزل الى بغداد، وطرق باب زاوية الجنيد، فقال له الجنيد: تذنّب بالرحبة، واستغفر لك ببغداد، فقال الناس: ما قصد بهذه الحكاية الا الشيخ شهاب الدين السهروردي^(٢)، ومعناه لو تركت هذه الاموال بالشام كان اصلح من اخذها وتفريقها في بغداد.

وكان الخطيب فخرالدين بن التيمية الحاراني^(٣) قد حج السنة الماضية، وكتب الملك المعظم مظفر الدين ابن زين الدين معه كتاباً بالوصية الى الخليفة، فلما عاد من مكة سأل الجلوس بباب بدر، فاجيب الى ذلك، وتقدم الى محي الدين بن الجوزي بالحضور فحضر وقعد [٨٣-١] على دكة المحتسب بباب بدر، ووعظ ابن تيمية، ومدح الخليفة. وخلق الخليفة على الامير شمس الدين الدكر استاذ الدار العادلي، وعاد الى الشام بالهدايا والتحف.

وزلزلت نيسابور زلزلة عظيمة ودامت عشرة ايام، فمات تحت الهدم خلق كثير.

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي ابو القاسم القواريري الحنفي، شيخ الصوفية وسيد الطائفة، وله مؤلفات عدة، توفي سنة (٢٩٨ هـ). ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٦٢/٨، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٩١/١ - ١٩٣، الذهبي، دول الاسلام، ١٨١/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢١/١١ - ١٢٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٢٨/٢ - ٢٣٠، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢١٣/٥.

(٢) الشهاب ابو نصر عمر بن محمد بن عبدالله السهروردي (نسبة الى سهرورد وهي بلدة قريبة من زنجان بالجلال). كان اشهر ائمة وقته، ولد سنة (٥٣٩ هـ)، وتقدم عند الخليفة الناصر لدين الله حتى جعله مقدماً على شيوخ بغداد، وكلفه بالسفارة. ياقوت، معجم البلدان، ٢٨٩/٣ - ٢٩٠، انظر ايضاً: (Enc. Lst. Arst. Suhraward and Suhrawardi)

(٣) الفخر بن تيمية ابو عبدالله محمد بن ابي القاسم الفخر بن محمد بن الفخر الحاراني الحنبلي الفقيه القرئ الواعظ، تذكر له كرامات وخواص، وله تصانيف كثيرة منها التفسير الكبير في اكثر من ثلاثين مجلداً، توفي بحران سنة (٦٢٢ هـ)، ترجمته لدى: ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ١٥١/٤ - ١٦٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٠٢/٥ - ١٠٣، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٨٨/٥ - ٨٩.

[وفاة] الخضر^(١) بن محمد بن علي الجزري

ولد بجزيرة بن عمر سنة خمس وعشرين وخمس مائة، انشدني لنفسه:

انست بوحدي حتى لو اني رأيت الانس لاستوحشت منه
وماظفرت يدي بصديق صدق اخاف عليه الا خفت منه
وما ترك التجارب لي صديقاً اميل اليه الا ملت عنه

[وفاة] محمد^(٢) بن بختيار بن عبدالله

اخو استاذ دار الخليفة، وكان فاضلاً اديباً شاعراً، انشدنا يوماً:

قسماً بمن سكن الفؤاد وانه قسم به لو تعلمون عظيم
اني به صتب كنيب مدنف قلق الفؤاد (موله مهموم)^(٣)
لا استطع مع التنائي سلوة حتى المات وانني لسليم
فتعطفوا بالوصل بعد تهاجر فالصير ينفذ والرجاء مقيم

ومن شعر تاج الدين التغابن مما انشدني بحلب:

اي يد عندي واي منه للركب ان بشرني بهنه
صاحوا للرحيل فظلت واله انشد قلبي بين عيسهم [٨٢- ب]
كانني بالحى قد شدو العرى ليتهم وارخو الامنة

(١) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٣٩/٨ - ٣٤٠، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) ابو الفتح محمد بن احمد بن بختيار بن علي الواسطي المعروف بابن السندي، انظر ترجمته لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ١٠١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٧/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٧/٥.

(٣) لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٤٠/٨، (وقوله مفهوم).

وما سمعت قبل ان ترحلوا
 باحادي الاصغان رب
 فالسلام وقل للطاعنين ان
 فشرعت تلك السجوف عزمها
 مبتسمات والربا مرهجه
 والجو معتل النسيم ارج
 وما علمت قبل ان تطلعت
 بمطلع الشهب من الاسنه
 مرج اخذته طيب حديثه
 يكن بين فرقةً يقتلكنه
 تجدها الاقمار في الدجنة
 تـبـبـرـق لا لا
 بالمسك من ردع يهنود هنه
 ان الخدور للمها مظنه

وقال:

زار وطرف النجم لم يرقد
 احور يحكى الخال في خده
 يا حسنه من زائر ما بدا
 ويا ظللاً لا فيه من بعدما
 اطفاء بلثم البرد المشتها
 وجادلي بالكأس ممزوجة
 فيالها من ليلة لم يفز بمثلها
 ادنت لي البرد الى ان غفا
 احويه في صدري كريحانة
 واخذ الصهبا من نفسه
 واختلي في ليل اصداغه
 اثنني عنه الى غيره
 مؤتزرأ من حسنه موتدي
 نقطة ندى فوق ورد ندي
 الاواني قمر الأسعد
 كنت بمراء وجهه الهندي
 من فخره ناري ولم تبرد
 بزلفة منها على عودي
 الفادي ولا المهتيدي
 موسدا يشرق منه الندي
 ريانه تارج في موقد
 بما خبت علة قلبي الصدي
 من وجهه غمس صياح الغد
 لا وحياة الملك الامجد [٨٤-١]

وفيها وصل الخير من مصر بوفاة قاضي قضاتها صدر الدين عبدالملك^(١) بن درباس

الكردي الهذباني ، وكان عالماً فاضلاً، ذا مكانة عالية.

(١) ورد ترجمته لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٠٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٧/١٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٧٠ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٩٦/٦.

٦٠٦ هـ

سنة ست وستمانه

فيها نزل ابواني ملك الكرج على خلاط، وبها الملك الاوحد بن الملك العادل، فحصر خلاط وضايقها واشرف على اخذها، فقال المنجم للملك الكرج ماتبات هذه الليلة الا في قلعة خلاط، فسر لذلك وشرب الخمر من فرحه، وركب في جيوشه وقصد باب ارجيش^(١)، فخرج اليه المسلمون يقاتلوه فعثر حصانه، فوقع من عليه وقتل عليه جماعة من خواصه، واخذوه اسيراً فحمل الى القلعة وبات اسيراً بها، ورحل الكرج عن البلد وفرج الله عن اهله، واتفق الحال معه ان يرد ما فتح من بلاد المسلمين، ويطلق كل اسير عنده من المسلمين، ومائة الف دينار، وتزوج ابواني ابنة الاوحد^(٢).

وفيها نزل الملك العادل على سنجار بعساكره، وضربها بالمجانيق الى رمضان، واشرف على اخذها، فارسل الملك الظاهر اخاه الملك المؤيد يشفع في امر سنجار فلم يشفعه، ومات الملك المؤيد في هذه السفارة، وكره ملوك الشرق مجاورة الملك العادل، وخافوا العاقبة.

فاتفق نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل ومظفرالدين بن زين الدين صاحب اربل، وصاحب الجزيرة، وصاحب ماردين، والملك الظاهر صاحب حلب، وصاحب الروم، وصاحب امد، فعلم الملك العادل ذلك، واتفق وصول رسول الخليفة الامام الناصر شافعاً في

(١) أرجيش: مدينة معروفة من نواحي ارمينية الكبرى قرب خلاط. ياقوت، معجم البلدان، ١/١٤٤.

(٢) يتفق ماورد في الاصل مع ماجاء لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٥٤٠ - ٥٤١؛ ابو شامة، الذيل علي الروضتين، ص ١٠٣، الذهبي، دول الاسلام، ١١/٢، غير ان ابن الاثير يورد رواية مخالفة تماماً، فيذكر ان الكرج استولوا على ارجيش عنوة، وتعرضت المدينة للنهب والحرق والتخريب واهلها للسي والاسر، وكان الملك الاوحد نجم الدين ايوب بمدينة خلاط وعنده الكثير من العساكر غير انه لم يحرك ساكناً لاكثر من سبب، وعاد الكرج بما حصلوا عليه سالمين. الكامل، ١٢/٢٧٩.

امر سنجار، فقبل الشفاعة ورحل^(١) بعد ان اخذ نصيبين والخابور، ونزل على حران، وفرق العساكر، وكان قد قسد الاحوال عليه الملك المجاهد اسد الدين صاحب حمص، ولما علم الملك الظاهر وصاحب الروم والملوك المتفقة عليه، انه قد فرق العساكر عزموا على قصده [٨٤-ب] وقتاله وخلص البلاد منه، فصالحهم على مضمض منه^(٢).

وحج بالناس من الشام فخرالدين الشامي وفيها توفي الامام فخرالدين محمد^(٣) بن عمر الرازي وشهرته اعظم من ان ننبه على فضله وتصانيفه في سائر العلوم، وكان الفقهاء يكفرونه، والشناعات عليه قائمة باشياء منها، انه كان يقول: قال محمد التازي^(٤) يعني عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وقال محمد الرازي يعني عن نفسه.

وفيها توفي مجد الدين^(٥) بن الاثير الجزري، ولد سنة اربعين وخمسائة.

(١) إن موافقة الملك العادل على الصلح لم يكن استجابة لدعوة الخلافة وشفاعة رسلها، بقدر ما كانت وسيلة مكنت العادل الخروج من المأزق الذي اصبح فيه مع الحفاظ على ماء الوجه، بعد ان اخطأ في حساباته السياسية. للمزيد انظر: الهسنياني، سنجار من ٥٢١ - ٦٦٠هـ، ص ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) للزيادة والتفاصيل انظر: الهسنياني، سنجار من ٥٢١ - ٦٦٠هـ، ص ص ٨١ - ٨٧.

(٣) ابو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الطبرستاني الاصل الرازي المولد، الملقب فخرالدين، المعروف بابن الخطيب. ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٢٨٨/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٤٢/٨ - ٥٤٣، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ١٠٤ - ١٠٥، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٤٩/٢ - ٣٥١، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٤٠، السبكي، طبقات الشافعية، ٣٣/٥، الذهبي، دول الاسلام، ١١٢/٢ - ١١٣، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٤٨/٤ - ٢٥٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦٠/١٣ - ٢٦٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٩٧/٦ - ١٩٨، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢١/٥ - ٢٢، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٨٦/٦.

(٤) التازي، ((بالزاي المعجمة، كان العجم يطلقونه على العرب، وهو يفيد معنى العربي، فقول ابن الكثير: البادي، من البداية، تحريف على ان التازي يوازن الرازي))، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ١٠٤، هامش(٤)، وورد لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٢/٨، (محمد النادي) يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥) مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبدالكريم الجزري الكاتب، ولد سنة(٥٤٤هـ). انظر ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٢٨٨/١٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ١٠٥ - ١٠٦، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٠٢/٢ - ٣٠٣، الذهبي، دول الاسلام، ١١٣/٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٩٨/٦ - ١٩٩، ابن الوردي، تنمة المختصر، ١٨٢/٢ - ٣٨٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٢/٥ - ٢٣، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٤/٦.

٦٠٧ هـ

سنة سبع وستمائة

فيها توفي الملك العادل نورالدين ارسلان^(١) شاه بن عزالدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زكي صاحب الموصل، وكان متكبراً جباراً يخيلاً سفاكاً للدماء، وقال فيه جمال الدين بن الشحنة الشاعر الموصري.

وقالوا ملكنا قصر الركاب فقلت نعم وقصر اليمين
وتهتز للوم اعضاؤه اختيالاً كما اهتز عصب الرديني

فبلغه فرماه في الجب الى ان مات به، ومات نورالدين بعلة السل، وخلف الملك القاهر مسعود^(٢)، والملك المنصور عماد الدين^(٣) زكي.

(١) ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٢٩٣/١٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ١٠٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٧/١٣، ابن الوردي، تممة المختصر، ١٨٣/٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٤/٥ - ٢٥.

(٢) الملك القاهر ابو المظفر مسعود كان قد جعله ولي عهده قبل وفاته بعدة سنين، وعندما اشتد به المرض أحضر الامراء والاجناد والاعيان والعلماء وجدد ولاية العهد واقسمهم له. التاريخ الباهر، ص ٢٠١ - ٢٠٣، ابن الاثير، الكامل، ٢٩٣/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٤٦/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٠٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٠٦/٣، الذهبي، دول الاسلام، ١١٣/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٢/١٣ - ٦٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٤/٥.

(٣) حكم في اتابكية زكي ثلاث حكام يحملون هذا الاسم، اولهم كان عماد الدين زكي بن اقسنفر الحاجب مؤسس الاتابكية، أغتيل سنة (٥٥٤١هـ)، والثاني عماد الدين زكي بن قطب الدين مردود بن عماد الدين زكي حاكم سنجار، توفي سنة (٥٩٤هـ)، والثالث والاخير هو عماد الدين زكي ابن الملك القاهر مسعود، وقد ولاه والده قبيل وفاته قلعتي العقرو والشوش، وتوفي سنة (٦٣٠هـ).

وجعل القاهر ولي عهده بالموصل، واعطى العقر^(١) لزكري وكانا مزوجين بابنتي مظفرالدين بن زين الدين صاحب اربل، فخلع الملك القاهر على الامراء واعيان البلد، وبسط العد له، وجعل الامور مناطة ببدر الدين لؤلؤ^(٢) مملوك ابيه، وكان شهماً جواداً كريماً، فمال الناس اليه، وعول في امر مملكته عليه.

وفيها توفي الشيخ ابو عمر محمد^(٣) بن احمد بن قدامة شيخ الحنابلة المقدسة، ولد سنة ثمان وعشرين وخمس مائة بقربة جماعين من اعمال نابلس، وهاجر مع والده [٨٥-٨٥]، ونزلوا بمسجد صالح خارج باب شرقي، واقاموا به مدة، ثم انتقلوا الى جبل قاسيون، فقال الناس: الصالحية تسبأ الى مسجد لبني صالح، ولم يكن بالجبل عمارة سوى دير الحوراني وكان الشيخ ابو عمر يصوم الدهر، ويقوم الليل، ويحافظ على الصلوات الخمس في الجماعات، ويخرج من ثلث الليل الاخير الى المسجد في الظلمة، فيصلي الى الضجر، ويقرأ في كل يوم سبعا من القرآن بين الظهر والعصر، ويقرأ بعد عشاء الاخر ايات الحرس^(٤)، وياسين وتبارك، والواقعة، والمعوذتين، وقل هو الله احد، واذا ارتفعت الشمس لقن الناس القرآن الى وقت الضحى، ثم يصلي الضحى ثمان ركعات، وقل هو الله احد الف مرة، ويزور المقابر بعد العصر في كل جمعة ويصعد يوم الاثنين والخميس الى مغارة

(١) العقر، قلعة حصينة في جبال الموصل، وتقع شرقيها، وكانت تعرف بعقر الحميدية. ياقوت، معجم البلدان، ١٣٦/٤. وهي مركز قضاء عقرة (ناكري) الحالية.

(٢) بدر الدين لؤلؤ الملقب بالملك الرحيم مملوك بيت اتابك زنكي توفي سنة (٦٥٦هـ)، حكم الموصل خمسين سنة تقريباً، عمل اتابكاً لاولاد البيت الزنكي حتى تمكن من تصفيتهم والاستقلال بالحكم، ترجمته لدى، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣١٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٢٧/١٣، ابن الوردي، تنمة المختصر، ٢٨٧/٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٨٩/٥، وللزيادة عنه انظر: سوادى عبد محمد الرويشدي، امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ (٦٠٦-٦٦٠هـ/ ١٢٠٩-١٢٦١م)، هروري بلاد هكاري، ص ص ١٣٨-١٥٤.

(٣) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٤٦/٨-٣٥٣، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ١٠٩-١١٦، الذهبي، دول الاسلام ١١٤/٢، ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ٥٢/٤-٦١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٤/١٣-٦٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٠١/٦-٢٠٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٧/٥-٣٠.

(٤) ايات الحرس، التوبة: ٢٥-٢٦، ٤٠، الاحزاب: ٩-١١، ال عمران: ١٢٣-١٢٦، ١٢٠، الانفال: ٣٨، البقرة: ١٥٥، ١٧٧.

الدم^(١) راجلاً بالقباق فيصلي ما بين الظهر والعصر، واذا نزل جمع الشيخ من الجبل وربطه في حبل وحمله الى سوق الارامل، ويحمل اليهم في الليل الدراهم والدقيق لا يعرفونه ولا ينام الا على طهارة، ومتى فتح الله له بشئ من الدنيا أثر به اقاربه، ويتصدق بشيابه، وربما خرج الشتاء وعلى جسده جبة بغير ثوب، ويبقى مدة طويلة بغير سراويل، وعمامته قطعة من بطائه، وكان ينام على الحصير، ويأكل خبز الشعير وما نهر احداً قط، ولا اوجع قلب احد، ولما نزل صلاح الدين على القدس، كان هو واخوه الموفق وجماعة في خيمة، فجاء الملك العادل الى زيارته وهو في الصلاة، فما قطعها^(٢)، ولا التفت، ولا ترك ورده، وكان يصعد المنبر وعليه قميص خام مهدول الجيب، وفي يده عصي، وكان مجاهداً في سبيل الله، وحضر الغزوات مع صلاح الدين^(٣) [٨٥-ب].

(١) مغارة الدم، مغارة في جبل قاسيون المشرف على دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٤/٢٩٥-٢٩٦.

(٢) في الاصل (فما فقطعه).

(٣) شارك في حروب السلطان صلاح الدين مع الفرنجة، وحضر معه فتح القدس سنة (٥٨٣هـ)، والسواحل وغيرها. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٦٥.

٦٠٨ هـ

سنة ثمان وستمائة

فيها قدم رسول جلال الدين^(١) صاحب الموت^(٢) الى الامام الناصر بخرى بانهم قد تبرؤا من الباطنية، وبنوا الجوامع والمساجد، وصلوا الجمعة، وصاموا رمضان، فسر الخليفة والناس بذلك، وقدمت خاتون ام جلال الدين للحج، فاحتفل لها الخليفة^(٣). وفيها قدم ايدغمش^(٤) من همذان الى بغداد، وكان ناصر الدين منكلي مملوك اتابك قد تغلب عليه، واخرجه من همذان، فاحتفل له الخليفة واخرج جميع ارباب الدولة للقائه.

- (١) هو جلال الدين حسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية في الموت. ابن الاثير، الكامل، ٢٩٨/١٢.
- (٢) الموت: قلعة حصينة في ناحية روذبار بين قزوين وبحر الخزر على قمة جبل وحولها وهاد، صعبة المنال وهي كرسي ملك الاسماعيلية. القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص ٣٠١.
- (٣) عن ذلك انظر: ابن الاثير، الكامل، ٢٩٨/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٥٥/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢١١/٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٨/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٠٣/٦، ابن الوردي، تنمة المختصر، ١٨٧/٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣١/٥ - ٣٢.
- (٤) استولى على الحكم في همذان واصفهان والري وماينها من البلاد، انتزعها من حاكمها ابا بكر بن البهلوان، غير ان احد الماليك وهو منكلي نازعه حكم تلك البلاد، وكسر اتباعه، واطاعه الماليك البهلوانية، فاستولى عليها وهرب شمس الدين ايدغمش منه الى بغداد، وقتل سنة (٦١٠ هـ) عندما خرج من بغداد الى همذان في محاولة منه لاستعادة البلاد من منكلي، وارسل الاخير رأس ايدغمش الى بغداد. عن ذلك انظر: ابن الاثير، الكامل، ٢٩٦/١٢ - ٣٠١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٦٠/٨ - ٥٦٧.

وفيهما حجت ربيعة خاتون بنت ايوب^(١)، فلما كان يوم النحر بمنى بعدما رمى الناس الجمار، وثب الاسماعيلية على رجل شريف من بني عم قتاده، وكان اشبه الناس به فظنوه اياه فقتلوه عند الجمر، ويقال: إن الذي قتله كان مع ام جلال الدين وثار عبيد مكة والاشراف، وصعدوا على الجبلين بمنى وهللاو وكبروا، وضربوا الناس بالحجارة، ونهبوا الناس يوم العيد، وقتل بين الفريقين جماعة، فقال: بن ابي فراس^(٢) ارحلوا بنا الى منزلة الشاميين فلما حصلت الاثقال على الجمال حمل قتاده والعبيد، فأخذوا الجميع الا القليل، وقال قتاده: ماكان المقصود الا أنا، والله لا ابقيت من حاج العراق أحد، وكان ابن السلار أمير حاج الشام^(٣) مع ربيعة خاتون، فجأت ام جلال الدين فدخلت خيمة ربيعة خاتون مستجيرة بها، فبعثت ربيعة خاتون مع ابن السلار الى قتاده [٨٦-أ] يقول: ما ذنب الناس قد قتلت القاتل، وجعلت لك وسيلة الى نهب اموال المسلمين، واستحللت الدماء في الشهر الحرام، وقد عرفت من هو اخي واولاده وزوجي، والله لئن لم تنتهي لافعلن، فعرفه ابن السلار، وهدده وقال: ارجع عن هذا والا تصدك الخليفة من العراق، ونحن من الشام، فكف عنهم، وطلب مالا فجمعوا له ثلاثين الف دينار، واقام الناس ثلاثة ايام حول خيمة ربيعة خاتون بين قتيل وجريح ومسلوب وعريان، واذن الناس بالدخول الى مكة، فدخل الاقوياء والاصحاء، فطافوا واي طواف، ورحلوا ووصلوا بغداد على غاية من الفقر والذل، ولم ينتطح فيها عنزان.

(١) ربيعة خاتون بنت ايوب بن شاذي، تزوجت سعد الدين بن افر، ثم مات، فتزوجها مظفر الدين حاكم اربل - اربيل، قامت بالكثير من اعمال البر والاحسان توفيت بدمشق سنة (٦٤٣هـ)، ترجمتها لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٥٦/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢٠ - ١٢١، النعمي، الدارس في تاريخ المدارس، ٨٠/٢، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢٧٩/٢، ابن الوردي، تمة المختصر، ٢٥١/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٢/١٣، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٣٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢١٨/٥.

(٢) في هذه السنة تولى امانة حاج العراق علاء الدين محمد ابن الامير مجاهد الدين ياقوت امير الحاج، وبما انه كان صبياً جعل معه حسام الدين ابن ابي فراس بن ورام يدير شؤون الحاج. انظر: ابن الاثير، الكامل، ٢٩٥/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٥٦/٨ - ٥٥٧، ٥٦١، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢٠ - ١٢١، ١٣٣.

(٣) كان امير حاج دمشق الصمصام اسماعيل اخو ساروخ النجمي، بينما كان الشجاع علي بن السلار على حاج القدس. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٥٦/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢٠.

وفيها توفي الحسن^(١) بن محمد بن سعد، ويلقب بتاج الدين بن حمدون، مصنف التذكرة الحمدونية، وكان فاضلاً بارعاً.

وفيها توفي الامير فخر الدين اياز^(٢) سرکس (الناصرى الصلاحى)^(٣)، وكان مشتراه اربعمائة دينار، وكان من امراء صلاح الدين شهد معه الغزوات كلها، وكان كبير الشأن مطعماً ومطعم، محباً الاجناد، كثير الخلع والهبات، وقد ذكرنا انحرافه عن الملك الافضل، وكان الملك العادل قد اعطاه بانياس وتبنين وهونين والشقيف وقلعة ابي الحسن^(٤)، فأقام بها وكان يتردد الى دمشق، فمات ودفن بقاسيون، وخلف ولداً، فأقره الملك العادل على ماكان لابيه، وقام بأمره الامير صارم الدين التبيني مملوك ابيه احسن قيام، وسد تلك الثغور، وقام بالامر على احسن نظام.

وفيها توفي الشيخ الامام عماد الدين^(٥) بن يونس، ولد سنة خمس وثلاثين وخمس مائة [٨٦-ب] بقلعة اربل، وتفقه على مذهب الشافعي، واقام بالموصل وبعث رسولا لما توفي نورالدين اتابك، وكان به وسواس في الطهارة، يبعث غلامه في كل يوم الى جسر الشط فيقف في وسطه، ويملى الاباريق ويتوضوء منها، وكان على ما قيل يعامل الناس

(١) ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٢٩٩/١٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢١، ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢١/١٠، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤٠٩/٢ - ٤١٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٨/١٣، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٥٧/٢ - ٣٥٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٧٤/٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٢/٥ - ٣٣، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢٣١/٥.

(٢) سرکس، ويقال جرکس، وجهارکس، للزيادة انظر: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢١، وهامش (٤) في نفس الصفحة. ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٥٨/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢١ - ١٢٢، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٩٥/١ - ١٩٦، وفي مواضع متفرقة من: ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٩/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٢/٥.

(٣) نسبة الى الملك الناصر السلطان صلاح الدين.

(٤) قلعة ابي الحسن، قلعة حصينة على الساحل، قرب صيدا بالشام. ياقوت، معجم البلدان، ٣٨٩/٤.

(٥) انظر ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٢٩٨/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٥٨/٨ - ٥٥٩، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢٢ - ١٢٣، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٥١/٢ - ٣٥٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٨/١٣، ابن الوردي، تممة المختصر، ١٨٧/٢ - ١٨٨، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٤/٥.

(بالعينة)^(١)، فالتقاء قضيب البان الموله^(٢)، فقال له العماد: سلام عليك يا أخي كيف انت، قال: أما أنا فيخير قد بلغتني انك تشطف اعضاءك باباريق ماء في كل يوم، فلم لا تشطف اللقمة التي تأكلها، ففهم قوله، ورجع عن المعاملة، وكان الشيخ عماد الدين رئيس الشفعية^(٣) بالموصل، ونبغ في علم المذهب على اهل دهره، وتوفي في رجب بالموصل.

(١) ما بين الحاصرتين غير واردة في الاصل، والاضافة من: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٨/١٣.

(٢) ابو عبدالله الحسين بن ابي القاسم بن الحسين ولد سنة(٤٧١هـ) وتوفي سنة(٥٧٣هـ)، وهو من اهل الموصل. ابن المستوفي، تاريخ اربيل، ٣٧١/١. وقبره في باب سنجار بالموصل، في جامع يعرف باسمه.

(٣) رئاسة اصحاب الشافعي: ابن الاثير، الكامل، ٢٩٨/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٥٨/٨، ص ٥٥٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢٢.

٦٠٩ هـ

سنة تسع وستمانه

فيها خلع الخليفة على ايدغمش القرجية والعمامة وخلعا تقارب (خلع)^(١) السلطنة، وامره ان يبرز خيامه الى همذان.

وفيها كانت نكبة^(٢) الامير عزالدين اسامة الجبلي، كان قد استوحش من الملك العادل، ونقل الى الملك العادل انه يكتب الملك الظاهر، ورأى تغيراً من الملك العادل، وكان عزالدين اسامة بالقاهرة، والملك العادل واولاده بدمياط، فخرج اسامة على انه يتصيد حول بلبيس وساق الى الشام في ممالিকে يطلب قلاعه، فارسل والي بلبيس الحمام الى دمياط، فقال الملك العادل: من ساق خلفه ولحقه فله امواله وقلاعه، فركب المعظم ومعه نفر يسير، وعلى يده حصان حلب وساق الى غزة في اربع ايام، فسبق اسامة لان اسامة تقطعت ممالিকে عنه [٨٧-٨٧] وبقي وحده وبه نقرس^(٣) فعرفه بعض الصيادين في بربه الداروم، فانغراه، وقال له: انزل، فقال له: هذه الف دينار واوصلني الى الغور، فأخذها الصياد، وسار به على طريق الجليل، فعلم به الوالي فاحتاط عليه وانزله في صهيون القدس، ووكل به، واعلم الملك المعظم، فسير اليه يقول: انت شيخ كبير وبك نقرس، تسلم الي كوكب وعجلون^(٤)، وانا احلف لك على مالك وملكك، وتكون بيننا مثل الوالد، فامتنع وشتم

(١) ماين الحاصرتين غير واردة في الاصل، والاضافة من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٦٠/٨.

(٢) عنها انظر: ابو الفضائل، التاريخ المنصوري، ص ص ٦٧-٦٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٦٠/٨-٥٦١، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ١٢٤-١٢٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٩/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٠٥/٦-٢٠٦، بينما ينفرد، ابن ااصل بذكرها ضمن احداث سنة (٦٠٨هـ). مفرج الكروب، ٢٠٩/٣، ٢١٠.

(٣) نقرس، النقرس: مرض مؤلم يحدث في مفاصل القدم وفي ابهامها اكثر، وهو ماكان يسمى داء الملوك. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٩٤٦/٢.

(٤) عجلون: حصن منيع في جبل الغور الشرقي قبالة بيسان. ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٤٥.

المعظم، فسيره الى الكرك واعتقله، واستولى على ماله وقلاعته، وكان اميراً كبيراً ذا رأى وفطنة، وله من الاموال والحواصل في قلاعه ما يباهي الملوك الكبار، وكان له من القلاع كوكب وعجلون، ومن الاقطاع السواد باجمعه والجباينة وجبل عوف^(١) وبلد السلط^(٢) والغور الى كوكب، وحمى كليب^(٣) الى الناصرة.

وكان مقصداً للامراء اذا بطلوا والمقاردة الكبار، كل من قصده اعطاء قرية يستغلها الى النوروز^(٤)، ثم يسفره على ما يليق بمثله، ويكتب معه الكتب الى جهة يخدم فيها، ولما قبض عليه الملك المعظم كان قيمة ما أخذ منه ما يساوي الف الف دينار، وكان له بدمشق ستين قرية ملكاً مقررة خارجاً عن الحصص.

وفيهما توفي الملك الاوحد نجم الدين ايوب صاحب خلاط ابن الملك العادل، وكان ظالماً سفاكاً للدماء، فلم يطل عمره، وابتلى بامراض مزمنة، وكان قد وصل اليه اخوه الملك الاشرف يزوره، فمات وهو عنده بملازجر^(٥).

فملك الاشرف خلاط واحسن الى اهلها، وخلع عليهم [٨٧-ب].

(١) جبل عوف: جبل في بلاد الشام وكان يشكل مع الحناتة والصلت والغور خط تقسيم (مناصفة) حتى سنة (٥١٢هـ) بين طغتكين اتابك دمشق، وملك القدس بلدوين حسب الاتفاق. ابن الاثير، الكامل، ٥٤٣/١٠.

(٢) السلط او الصلت: بليدة وقلعة في الاردن في جبل الغور الشرقي جنوبي عجلون على مرحلة عنها، وهي تقابل اريحا مشرفة على الغور. ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٤٤.

(٣) حمى كليب: الحمى موضع ((يحمى من الناس ان يرعوه، اي يتعمههم))، وهي في بادية طي يزعمون ان قبر كليب في ناحية منه. ياقوت، معجم البلدان، ٣٠٧/٢ - ٣٠٨.

(٤) النوروز: معناه اليوم الجديد باللغتين الكوردية والفارسية، ويصادف يوم (٢١ اذار) يحتفل به الكورد باعتبارها عيداً قومياً لهم ورأس السنة الكوردية، وعيد فارسي ايضاً باعتبارها رأس السنة الفارسية، كما ويحتفل به الاقباط والمسلمون في مصر منذ العهد الفاطمي ويسمى بعيد شم النسيم.

(٥) وقد اشير الى صيغ كتابتها في موضع سابق. بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم، يعد في ارمينية. ياقوت، معجم البلدان، ٢٠٢/٥.

﴿ ٦١٠ هـ ﴾
سنة عشرة وثمانئة

فيها قتل ايدغمش صاحب همذان، وذلك انه لما عاد من بغداد اقام عند بني ترجم^(١) ينتظر عساكر الخليفة فطال عليه الامر، فسار نحو همذان، فالتقاء عسكر منكلي فقاتلوه، وقطعوا رأسه وحملوه الى [٨٨ - أ] منكلي، وتفرق اصحابه، وكان صالحاً كثير الصدقات ديناً صالحاً عادلاً.

(١) بني ترجم: كانوا يتولون الامارة على احدى عشائر التركمان الايونية، وتقع بلادهم على الطريق بين بغداد وهمذان، وهي الى همذان اقرب. ابن الاثير، الكامل، ٣٠١/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٦٧/٨.

٦١١ هـ

سنة احدى عشر وستمائة

فيها ملك الملك المسعود اقسيس بن الملك الكامل اليمن، وكان جباراً فاتكاً ظالماً، قيل انه قتل باليمن ثمان مائة شريف، وخلقاً من [٨٨-ب] الاكابر والعلماء، ولو لم يحجج الملك المعظم وظن اهل اليمن انه واصل اليهم، لما قدر على اليمن. وفيها اخذ الملك المعظم قلعة صرخد من ابن قراجا، وعوضه عنها مالاً واقطاعاً واعطاها عزالدين ايبك استاذ داره.

وفيها حجج الملك المعظم شرف الدين عيسى ومعه جماعة من خواصه، (منهم)^(١) عزالدين ايبك وعماد الدين بن موسك وظهيرالدين بن سنقر الحلبي والرئيس جمال الدولة خليل وكان من اكابر اهل دمشق وغيرهم، على طريق العلاء^(٢) وتبوك^(٣)، وجدد البرك والمصانع واحسن الى الناس وتلقاه سالم امير المدينة وخدمه، وقدم له الخيل، وسلم اليه مفاتيح المدينة، وفتح له الاهراء^(٤) وانزله في داره، وخدمه خدمة عظيمة، وسار الى مكة فالتقاه قتاده صاحبها، وحضر في خدمته وتحامق عليه، وقال له المعظم: اين ننزل فإشار الى الابطح بسوطه، اي هناك، وبعث له هدايا يسيرة.

(١) غير واردة في الاصل، وقد اضيفت ليستقيم المعنى.

(٢) العلاء: موضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام. ياقوت، معجم البلدان، ١٤٤/٤.

(٣) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وتبوك بين الحجر واول الشام على اربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام. ياقوت، معجم البلدان، ١٤/٢.

(٤) الاهراء: وهي من الدواوين السلطانية، تحمل اليها خراج الغلال من قمح وفول وشعير، يصرف منها في جملة مصاريف الاهراء مثل الطواحين السلطانية وغير ذلك، وربما حمل منه مبلغا يسيرا الى بيت المال. القلقشندي، صبح الاعشى، ٥٢٣/٣.

وبات يبنى ليلة عرفة، وتصدق على فقراء الحرمين بمال عظيم، وحمل المنقطعين وزودهم، ولما وصل كان الملك العادل على خربة اللصوص^(١)، فساق مجدأ بحيث لا يلتقيه والده، واجتمع به وحكى له خدمة سالم صاحب المدينة، وتقصير فتادة وماعتمده من الحمق، فجهز جيشا صحبة الناهض بن الجرحى الى المدينة، والتقاها سالم امير المدينة، وخرج معهم، وقصد مكة، فانهزم فتاده منهم الى البرية [٨٩- أ] .

(١) خربة اللصوص: موضع في بلاد الشام مماليكي عكا. ابن الاثير، الكامل، ٣٢١/١٢.

٦١٢ هـ

سنة اثنتي عشرة وستمائة

فيها ظهر عصيان ناصر الدين منكلي مملوك السلطان (ازبك)^(١) على الخليفة وعلى مولاه، وقطع الطريق وسفك الدماء، وملك بلاد اسياده، واخرجه منها، وملك همذان، وانضم اليه الخلق الكثير، وحدثته^(٢) نفسه بالامور الكبيرة، من الاستيلاء على سائر بلاد العجم والحكم ببغداد.

فكتب الخليفة الى الملك العادل والظاهر يطلب النجدة، واخرج عساكر بغداد، مقدمها وجه السبع، ووصله نجدة الملك العادل والظاهر والموصل، وخرج مظفر الدين بن زين الدين بعساكر اربل جميعها، وتقدم على عسكر بغداد والشام وساق مجدأ الى همذان، فالتقاه السلطان ازبك وجلال الدين صاحب الموت وابن ترجم، وسار من همذان حتى وصل (كرج)^(٣) قريباً من اصفهان، فوجد ناصر الدين منكلي نازلاً في لحف الجبل ومعه اربعون الف فارس، فنزل [٨٩-ب] قبائله في الوطأة، وعمدت الميرة على عسكر مظفر الدين بحيث لو تأخر منكلي عن اللقاء ثلاثة^(٤) ايام لتلف مظفر الدين ومن معه، فلما كان العصر من النهار، ركب ناصر الدين منكلي وطلب عساكره وانحدر من الجبل طالباً المصاف، وكان بطلاً شجاعاً، فضربت كوسات مظفر الدين، ونادى في العسكر ولبس سلاحه وطلب عساكره اطلاباً، والتقوا وتواترت الحملات على بعضهم بعض، فكسر

(١) (اوزبك) ابن الهلوان حاكم اذربيجان. ابن الاثير، الكامل، ٣٠٦/١٢.

(٢) في الاصل: (وحدثته) وهو خطأ واضح والصواب ما اثبتناه.

(٣) في الاصل (كرا)، والتصحيح من الكامل ابن الاثير، ٣٠٧/١٢، وكرج مدينة بين همذان واصهبان في نصف الطريق، والى همذان اقرب. ياقوت، معجم البلدان، ٤٤٦/٤.

(٤) في الكامل، ٣٠٧/١٢، عشرة ايام.

ميمنة منكلي ليسرة مظفر الدين، وكان بها الامير عزالدين ابن الازكشي، فاردفه مظفر الدين بالطلاب من الصنجدية^(١) الى ان عاد الى مكانه، وكان في الصنجدية الامير عزالدين بن مجلي مقدم عسكر حلب، وفي الميمنة الامير اسد الدين بن عبدالله المهراني، ولم يزالوا في قتال وحملات الى ان فصل بينهم الليل، وقد استظهرت عساكر مظفر الدين على عسكر منكلي، ولما تحقق منكلي ان لاقباله له في الغد بالملتقى، ورأى من اصحابه العجز، ترك الخيام والانتقال على حالها وانهزم بمن معه تحت الليل، فلما اصبح النهار وقد طلب مظفر الدين عساكره طالباً القتال، لم يجد من جهة العدو حركة، ووجد القلمان والسوقية نازلين من خيم العدو بالكاسب، فصاح فيهم وخشي ان يكون مكيدة، وسير من كشف الجبال وبطون الاودية، فلم يجد لهم خبر فساق الناس ودخلوا الى خيام منكلي وهي على حالها شاعرة من العسكر، فغنموا الناس مالا يحد [٩٠-٩١] وسار خلف منكلي، قتلوه غلمانهم واحضروا رأسه الى مظفر الدين، فارسله الى بغداد، فحصل في بغداد الفرح الزائد ولقب مظفر الدين بالولي المخلص، وعاد الى اربل، وخلع على النجد واعطاهم وساروا الى امكانهم.

وفيهما كان ابتداء امر التتر الملاحين، وذلك ان هذه القبيلة اللعينة تعرف بالتمرجي^(٢) سكان البراري قاطع الصين، ومشتاهم في موضع يعرف بارغون^(٣)، وهم طائفة مشهورة بين الترك بالشر والغدر، وسبب ظهورهم ان اقليم الصين متسع دوره مسيرة ستة اشهر، وقيل يحويه سور واحد لا ينقطع الا عند الجبال المنيعه والانهر الوسيعة، وقد انقسم من قديم الزمان ستة اجزاء، يتولى امر كل جزء خان اي ملك، نيابة عن التون خان وهو خانهم الاعظم المقيم بطمغاج وهي واسطة الصين، ومستقر الملكة العظمى بها في ايام الصيف.

(١) هم حملة الرايات الصغيرة في الجيش. الفلقشندي، صبح الاعشى، ٧/٤.

(٢) يبدو ان هذه التسمية نسبة الى تيموجين بن يسوكاي بن بهادر بن تومان الذي وحد قبائل التتر وتزعمهم وحقق الانتصارات على اعداءه وتوسع على حساب المناطق المجاورة، مؤسساً امبراطورية المغول، وتلقب بجنكيز خان سنة (٦٠٣ هـ). للزيادة عنه انظر: ادوار بروي وآخرون، تاريخ الحضارات العام، ٣/٣٥٣ - ٣٩٠، فؤاد عبدالمعطي الصياد، المغول في التاريخ.

(٣) ارغون: الراجح ان هذا المكان يقع بين الجبال الواقعة في جنوب بحيرة بيكال. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ٣٩، هامش (٥).

فاذا اقبل الشتاء يعبرون الى كرك (١) مما يلي قشمر (٢) الى مشاتي طيبة ساحلية، فيقول التون خان في حراسة ماخلفه من الملك على الخانات الستة المقيمين بارض الصين، وكان من جملتهم دوشي خان، قد تزوج بعمة اللعين جنكيزخان مقدم التتر، فاتفق موت دوشي خان والتون خان غائب، فحضر جنكيزخان الى عمته زائراً ومعزياً ومعه كشلوخان، فاخبرتهما ان المتوفي لم يخلف ولداً، وشارت على (ابن) (٣) اخيها جنكيزخان ان يقيم مقامه، فأجاب الى ذلك، وتولى بلاد دوشي خان وانضم اليه في ايسر مدة [٩٠-ب] من اشرار التتر الملاعين الخلق الكثير، فلما عاد التون خان الى طمغاج سير جنكيزخان الخيل والتقدام التي كان يرسلها دوشي خان وزيادة، فحين مثلت بين يديه وعرضت عليه استشاط غضباً، وأمر بقطع اذنان الخيل وطردها، وضرب من احضرها، فلما علم جنكيزخان وصاحبه كشلوخان ذلك تحالفوا جميعهم على التعاضد، وابدوا الخلاف والشر من العلان، فلما بلغ التون خان اجتماعهم وماهم عليه من الكثرة والشر راسلهم في استردادهم الى الطاعة يمزج في رسالته الاعذار بالانذار والوعد بالوعيد، فلم يزدهم دعاؤه الا نفاراً، فحشد التون خان واستنجد والتقاهم فكسروه اقبح كسرة، وقتلوا من عسكره ومقدميه الخلق الذي لا يحصى، وانفلت برقبته، وخلا لهم البلاد فتمكنوا فيها وملكوها، وانضوى اليهم من اوشاب الترك واوباشها كل طامع في مال وطامع الى منال وضعف حال التون خان الى ان راسلهم مسالماً وقانعا بما تحت يده من الملك الحقيق، فاجابوه الى ما سأل، واستمر الامر بين جنكيزخان وكشلوخان على قاعدة المشاركة، فسارا الى بلاساقون (٤)، فملكها ومات كشلوخان، وقام مقامه ولده، وسمى بلقبه، فاستضعف جنكيزخان جانبه لصغره، وجرى بينهما مراسلات ومعاتبات، افضى اخرها الى

(١) المقصود هنا نهر الكنج، اعظم انهار الهند. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٣٩، هامش (٢).

(٢) قشمر: مدينة متوسطة لبلاد الهند. ياقوت، معجم البلدان، ٤/٣٥٢.

(٣) ماين الحاصرتين غير واردة في الاصل. والتصحيح من سياق الجملة، وكذلك انظر، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٤٠.

(٤) بلاساقون: في الكامل، ٣٥٩/١٢، (بلاساغون) بلد عظيم في تغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر. ياقوت، معجم البلدان، ٤٢٦/١.

الاستيحاء، فتفارقا وطلب كشلوخان قبالق^(١) والمالق^(٢) فصالحه صاحبها ممدوخان ابن(ارسلان)^(٣) خان واتفق [٩١-١] وصوله اليها وقد وقع بين كورخان الخانية^(٤) ، وملك الخطائية^(٥) ، وبين السلطان محمد (خوارزم شاه)^(٦) وقد كسره السلطان شر كسره، وهي اخر وقائعه الى ناحية كاشغر^(٧) ، فأخذ ممدوخان يزين لكشلوخان قصد كاشغر والاستيلاء على كورخان(بها)^(٨) فاجابه الى ذلك، ونهضا من قبالق وكبساه بحدود كاشغر، واقتصاه، ثم اجلساه على سرير الملك، وكان كشلوخان يقف بين يديه عند الاذن العام موقف الحجاب، فلما بلغ السلطان محمد ذلك، ارسل الى كشلوخان يقول: ان خان الخانية قد تخلص من حبالتي بعد ان تركته حصيد السيوف، فهلا حدثتك نفسك بقصده، اذ كان في عز سلطانه، وقد كان رغب في المهادنة على ان يزوجني ابنته طوغاج خاتون^(٩) .

(١) قبالق: احدى مدن اقليم تركستان التي خضعت لدولة الخطا. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ٤٣، هامش (١).

(٢) المالق: احدى مدن تركستان وكانت في وقت من الاوقات من مدن دولة الخطا المشهورة وترجع اهميتها الى انها كانت تقع على الطريق بين منغوليا وفارس. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٤٣ هامش(٢).

(٣) في الاصل (رسلان)، والتصحيح من النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٤٣ .

(٤) كورخان الخانية: لقب اتخذه ملوك الخطا لانفسهم، ومعناه خان خانان اي ملك الملوك. ابن الاثير، الكامل، ٨٣/١١ - ٨٦.

(٥) دولة الاتراك الخطا كانت بما وراء النهر، ويراد به ماوراء نهر جيحون بخراسان، وهي بلاد تركستان، ومن مدنها المشهورة كاشغر، وبلاساغون، وختن. انظر: ابن الاثير، الكامل، ٨١/١١ - ٨٢، النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٤٣ - ٤٥، وعن بلا ماوراء النهر، انظر، ياقوت، معجم البلدان، ٤٥/٥ - ٤٧.

(٦) ما بين الحاصرتين ساقطة من الاصل، والاضافة من النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٢. هو علاء الدين محمد خوارزم شاه ابن علاء الدين تكش(٥٩٦ - ٦١٧هـ / ١١٩٩ - ١٢١٩م).

(٧) كاشغر: مدينة وقرى ورساتيق، وهي في وسط بلاد الترك يسافر اليها من سمرقند وتلك النواحي، وهي من بلاد ماوراء النهر. ابراهيم وآخرون، معجم البلدان، ٤٣٠/٤، ٤٥/٥ - ٤٦.

(٨) ما بين الحاصرتين اضافة من، النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٤٣، لتستقيم المعنى.

(٩) الخاتون: المرأة الشريفة، والجمع خواتين. المعجم الوسيط، ٢١٣/١، وهي لفظ تركي معناه سيدة، ويستعمل في الغالب في معاني التبجيل والاحترام. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٤٤، هامش(١).

تذرف الي بما تحويه خزائنه من الجواهر، على ان اتركه في اخريات بلاده، فان اردت سلامتك في نفسك،(فتسیره)^(١) الي ببنته وخزائنه وامواله، والا فقد جئتك بما لاتقدر تدفعه، فاجابه كشلوخان جواب خاشع، فتذلل وبعث بالطاف تلك الاطراف، واستعفى من تسليم كورخان مستشفعا، اذ جاء كورخان يتضرع اليه، ويقول: ان هذا السلطان واباه كانا يحملان الي ويبذلان الطاعة، وقد علم كل احد ماكانا عليه من الخدمة لي، وحين ساعدته الايام، رضيت منه بالمسالمة على ان ازوجه ابنتي وهي اعز خلق الله علي، وليس يطلبني الان الا لبيسومي من الاذلال ما الموت دونه، فرق له قلب كشلوخان، وخشي انه لو سلمه اليه تبقى سبة عند الترك عليه، فكان [٩١- ب] يدفع السلطان من يوم الى يوم، الى ان علم منه السلطان الماطلة، فاختر السلطان من عسكره ستين الف فارس لقصد كشلوخان، وسار فوجد النهر جامدا فلم يمكنه العبور الى ان ذاب الجليد، فعبر وجد في سيره، وكان بلغ جنكيزخان استيلاء كشلوخان على بلاد كاشغر وبيلاساقون، وحصول كورخان في يده، فجرد اليه ابنه دوشي خان في عشرين الفا من صناديد التاتار المعونين ليتدارك امره، فبينما السلطان مجدا في سيره اذ اتته طليعة مخبره بخيل قد اقبلت في غبار عظيم، فسير السلطان الجياد من عسكره ليكشفوا عن ذلك، فوجد دوشي خان بن جنكيزخان قد ظفر بكشلوخان واخذ رأسه، ومعه من الغنائم ماترك القنبر ذهما^(٢)، فتطارد الفريقان طول يومهم، وبعث دوشي خان الى السلطان رسولا، مضمون كلامه، انه يقبل الارض، وينهى انه لم يتعدا هذه الارض متعديا طوره، بل خدمة للسلطان، وهذه الغنائم بين يدي السلطان يحكم فيها كيف شاء، فان رأى ان ينعم ببعضها على من باشر القتال، والا فيتسلمها ويسوقها الى مخيمه، فان والدي اوصاني بسلوك الادب، ان صادفت احد من عساكر السلطان او نوابه.

فما افاد ذلك مع السلطان، فاجابه السلطان، ان كان جنكيزخان قد امرك ان لاتقاتلني فان الله تعالى امرني ان اقاتلك، فلما تقابل الفريقان حمل دوشي خان على ميسرة السلطان، فمزقها تمزيقا، وفرقها تفريقا، وكاد ينهزم لولا ان [٩٢- أ] حملت ميمنة

(١) ما بين الحاصرتين في الاصل(فتسير)، والاضافة من سيرة السلطان جلال الدين، ص ٤٤.

(٢) في الاصل: ادهما.

السلطان على ميسرة المشركين، فشفت منها غليلاً، وتفرق الفريقان، وقد احال بينهما الليل، واشعلوا التتار النيران، وساروا تحت ظلام الليل، فتمكن في قلب السلطان منهم رعب لاتزول وعاد الى سمرقند^(١)، وهو في هم عظيم، مما رأى من قتالهم وصيرهم^(٢).

(١) سمرقند: مدينة مشهورة، وهي عاصمة الصغد، وتقع جنوبي وادي الصغد. ياقوت، معجم البلدان، ٢٤٧/٣.

(٢) وكان اذ ذكر التتار في مجلسه يقول ((لم ير كرجاهم إقداماً وثباتاً على مضض الحرب، وخبرة بقوانين الطعن والضرب)). النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٤٨، انظر ايضاً: الصياد، المغول في التاريخ، السيد الباز العريفي، المغول، ص ص ٥ - ٨٤، ادوار بروي وأخرون، تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى): ٣/٣٥٣ - ٣٨٩.

٦١٣ هـ

سنة ثلاث عشر وستمائة

فيها توفي الشيخ تاج الدين ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي^(١) المولد، وكان مولده سنة عشرين وخمس مائة ليلة النصف من شعبان واقام بدمشق، واختص بعز الدين فرخشاه^(٢)، وبولده الملك الامجد^(٣) صاحب بعلبك، وكان حسن العقيدة طيب الخلق،

(١) ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٣١٥/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٧٥/٨ - ٥٧٧، ابو شامة، الذليل على الروضتين، ص ١٤٦ - ١٥١، ابن الوردي، تممة المختصر، ١٩٢/٢ - ١٩٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ٧٨/١٣ - ٨١، الذهبي، دول الاسلام، ١١٦/٢، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٥٢/١ - ٣٥٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢١٦/٦ - ٢١٧، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥٤/٥ - ٥٥، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٣١٠/٥.

(٢) الملك العز فروخ شاه بن شاهنشاه بن ايوب بن شاذي، عز الدين، ابو سعد ابن نور الدولة الايوبي، حاكم بعلبك توفي سنة (٥٧٨هـ). ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٤٩١/١١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٧٢/٨، ابو شامة، الروضتين، ٨٣/٣ - ٨٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٤/٢ - ١٢٧، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٦٥/٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٧٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٩٣/٦، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٣٢ - ٢٤٣، النعمي، المدارس في تاريخ المدارس، ٥٦١/١، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٥٩/٤.

(٣) بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه بن ايوب بن شاذي، الملك الامجد، مجد الدين، ابو المظفر، حاكم بعلبك، اعطاه السلطان صلاح الدين عم ابيه بعلبك بعد وفاة ابيه سنة (٥٧٨هـ) في سنة (٦٢٨هـ). انظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٦٦/٨ - ٦٦٧، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٨٤/٤ - ٢٩٣، ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٢٦، السواداري، كنز الدرر، ٣٠١/٧، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٤٥/٢، اليافعي، مرآة الجنان، ٥٣/٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٠/١٣ - ١٤٢، الفسائي، المعتمد المسبوك، ٤٤٦/٢ - ٤٤٧، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٤٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٧٥/٦ - ٢٧٦، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٣٣ - ٣٣٧، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٢٦/٥ - ١٢٧.

لايسأم الانسان من مجالسته، وقرأ عليه الملك المعظم عيسى كتاب سيبويه^(١)، والايضاح والحماسة، وكان يمشي من القلعة راجلاً الى دار تاج الدين، والكتاب تحت ابطه، وكان عالماً بفنون الادب، وله سماعات عالية وتصانيف كثيرة، قصده الفضلاء من البلاد، وقرأ عليه العلماء والكبراء، وتوفي بدمشق ودفن بقاسيون وورثاه جماعة من الشعراء.

وفيها توفي الملك الظاهر غازي^(٢) بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب حلب، ولد بمصر سنة ثمان وستين وخمس مائة، وكان مهيباً، وله قعود بالملك وسياسة وفطنة، وكانت دولته معمورة بالعلماء والفضلاء مزينة بكبار الملوك والامراء، وكان محسناً الى الرعية، والى الواقدين، وحضر معظم غزوات والده، ولما استقر الملك العادل بدمشق، ضم اليه الامراء الصلاحية، مثل ميمون القصري والمبارز بن خطلخ وسراستقر وايبك فطيس [٩٢-ب]، وكان في دولته من ارباب العنائم بهاء الدين بن شداد والشريف الافتخار، والشريف النسابة، وكان ملجأ للفرباء، وكهفاً للفقراء، ويفتقدهم، وكان يتوقد ذكاء وفطنة، توفي بعلبة الذرب^(٣)، ودفن بقلعة حلب، ثم نقل الى المدرسة التي له قبالة باب القلعة، واقام بعده ولده الملك العزيز محمد، وجعل شهاب الدين ظفريل الخادم اتابكته، وعزل وزيره شمس الدين بن ابي يعلى الموصلية، واقام اتابك بأمر الملك العزيز احسن قيام، واستمال الملك الاشرف، وحفظ الملك بحسن تدبيره.

(١) ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه، وكان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه المسماة (كتاب سيبويه في النحو). توفي في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة. انظر ترجمته لدى: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/٢٢٠-٢٢١، الذهبي، العبر في خبر من عبر، ١/٢٧٨، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/٣٦٧، كحالة معجم المؤلفين، ٨/١٠٨.

(٢) ابو الفتح وابو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب، الملقب الملك الظاهر غياث الدين حاكم حلب، ولد بالقاهرة سنة (٥٦٨هـ). ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ١٢/٣١٣-٣١٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٥٧٩-٥٨٠، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٤٥-١٤٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/٢٣٧-٢٤٨، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ١٣٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٧٧-٧٨، الدواداري، كنز الدرر، ٧/١٨٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢١٧-٢١٨، الخبلي، شفاء القلوب، ص ٢٥٢-٢٥٥، النعمي، المدارس في تاريخ المدارس، ١/٢٥٧-٢٧١، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٥٥-٥٦.

(٣) الذرب: داء يعرض للمعدة، فلا تهضم الطعام، ويفسد فيها ولاتمسكه. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١/٣١٠.

وفيها توفي عضد الدولة مرهف بن اسامة بن منقذ^(١) بالقاهرة، وعمره اثنان وتسعون سنة ونصف، وشيع السلطان جنازته، وكان فاضلاً اصيلاً وجيهاً عند الملوك والامراء والكبراء.

(١) ورد ترجمته لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٤٤.

٦١٤ هـ

سنة اربع عشر وستمائة

هياها سير الملك العادل صدر الدين شيخ الشيوخ^(١) الى بغداد رسولا؛ ثم قدم بعده ولده
فخرالدين يوسف رسولا من الملك الكامل.

وفيهما اتفست الهدنة بين المسلمين والفرنج، وجاءت العساكر من [٩٢-٩٣] مصر، ونزل
الملك العادل والمعظم على بيسان.

وخرج الفرنج من عكا ومقدمهم ملك الهنكر^(٢) في خمس عشر الفاً، وكان شجاعاً
مقداماً، فنزلوا على الجالوت^(٣) ومعه جميع ملوك الساحل، فلما اصبحوا، ركب الهنكر في
اوائلهم وقصد الملك العادل وهو على تل بيسان.

فنظر فرأى ان لاقوة له بهم، فتأخر، فقال له المعظم: الى اين فشتمه بالعجمية^(٤)،
وقال له: بمن اقاتل اقطعتم الشام ممالكك، وتركت اولاد الناس الذين يرجعون الى

(١) شيخ الشيوخ صدر الدين ابو الحسن محمد ابن شيخ الشيوخ عماد الدين محمد ابن حويه؛ والد
اولاد شيخ الشيوخ الذين اشتهروا بالامر والوزارة بمصر في ايام الملك العادل ابي بكر بن ايوب
واينه الكامل محمد وذريته، توفي سنة (٦١٧هـ)؛ واولاده الاربعة المشهورين هم: عماد الدين
عمر؛ وفخرالدين يوسف، وكمال الدين احمد؛ ومعين الدين حسن. انظر ترجمته لدى: ابو شامة،
الذيل على الروضتين، ص ص ١٨٩ - ١٩٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٩/٥، ابن
الوردى، تمة المختصر، ٢٠١/٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٧٧/٥، حاجي خليفة، كشف
الظنون، ٨٨/٦.

(٢) ويقصد به ملك بلاد هنكارييا او انجر الحالية. ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٢٠/٢،
هامش (٣).

(٣) الجالوت: بليدة صغيرة بين بيسان وتابلس من اعمال فلسطين. ياقوت، معجم البلدان، ١٧٧/٤.

(٤) اي بغير اللغة العربية، وهي اللغة الكوردية بطبيعة الحال لكونهم كورداً.

الاصول، وساق فعبر الشريعة^(١) عند يرقا، وجاء الهنكر الى بيسان، وبها الاسواق والغلال والمواشي شيء لا يعلمه الا الله تعالى، فأخذ الجميع، وارتفع الملك العادل الى عجلون، ونزل المعظم بين نابلس والقدس على عقبة اللين خوفاً على القدس، ورحل الفرنج طالبين قصر معين الدين^(٢)، وسار العادل فنزل رأس الماء، وصعد الفرنج من عقبة الكرسي الى خربة اللصوص والجولان^(٣)، واقاموا ثلاثة ايام ينهبون ويقتلون ويأسرون، ثم عادوا ونزلوا الغور، وبعث العادل اثقاله الى بصرى ونساءه، واقام على رأس الماء جريدة، ولما نزل الفرنج الغور رحل العادل الى عالقين^(٤).

وقصد الفرنج الطور^(٥) في يوم كثير الضباب، فما احس اهل الطور بهم، الا وهم عند الباب قد الصقوا رماحهم بالسور، ففتح المسلمون الباب وخرج اليهم الفارس والراجل، وقاتلوهم حتى رموهم الى دبورية، ثم طلع الفرنج ومعهم سلم عظيم، فزحفوا من ناحية باب دمشق، والصقوا السلم بالسور فقاتلهم المسلمون قتالاً لم يجري في الاسلام مثله [٩٣-ب]، ودخلت رماح الفرنج في مرامي الطور من كل ناحية، فضرب زقاق السلم بالنفط فأحرقه، وقتل عنده جماعة من اعيان الفرنج، واستشهد في ذلك اليوم الامير بدرالدين بن ابي القاسم الهكاري، وسيف الدين بن مرزبان، وكان من الصالحين الاجواد، واغلق المسلمون باب الطور، وكان بالطور ابطال المسلمين، وخيار عسكر الشام، وفي هذه الواقعة يقول الامين الحلبي^(٦):

(١) الشريعة، نهر قريب من اربحا من ارض الشام. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥٢٣/٣. وهو نهر الاردن ويصب في البحر الميت. ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٣٩.

(٢) قصر معين الدين، موضع (قرية) بالغور كانت لسعد الدين مسعود بن معين الدين توفي سنة (٥٨١هـ) زوج ربيعة خاتون بنت ايوب اخت السلطان صلاح الدين الايوبي، وبعد وفاة سعد الدين زوجها السلطان من الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري حاكم اربل. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٩٠/٢.

(٣) الجولان: جبل من نواحي دمشق وقيل قرية. ياقوت، معجم البلدان، ١٨٨/٢.

(٤) عالقين: وهي قرية بظاهر دمشق. ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٣٠.

(٥) الطور: جبل مطل على طبرية الاردن، بينهما اربعة فراسخ. ياقوت، معجم البلدان، ٤٧/٤.

(٦) هو عبدالمحسن بن محمود بن المحسن بن علي التنوخي امين الدين ابو القاسم، الكاتب الحلبي، المشهور بابن حمود، ولد سنة (٥٧٠هـ)، وتوفي سنة (٦٤٣هـ)، ومن مؤلفاته: (ديوان الترس)، (ديوان شعره)، (الفاثق في اللفظ الرائق)، (كتاب النوادر والاخبار)، وغير ذلك. انظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٥٧/٨، ابن تفردي بردي، النجوم الزاهرة، ٣٥٣/٦.

قل للخليفة لا زالت عساكره لها الى النصر اصدار وايراد
 ان الفرنج بحصن الطور قد نزلوا لا تغفلن فحصن الطور بغداد^(١)

فرحل الفرنج طالبين عكا، وجاء المعظم وصعد الطور، وبكا على بدر الدين بن ابي القاسم، وابن مرزبان، واطلق المال والخلع، وطيب قلوب من فيه. وفيها رحل الفرنج الى جزين^(٢) من سوق الميادنة^(٣)، وقصد ابن اخت الهنكر صيدا، وقال: لابد لي من اهل هذا الجبل، فنهاه صاحب صيدا، فلم يقبل، وصعد في خمس مائة من ابطال الفرنج الى جزين، فأخلوها الميادنة، وكمنوا بين الاشجار ورؤس الجبال، فنزلوا الفرنج بها، وترجلوا عن خيولهم ليستريحوا، فتحدرت عليهم الميادنة من الجبال، واخذوا خيلهم وقتلوا فرسانهم، واسروا ابن اخت الهنكر، وهرب من بقي منهم نحو صيدا، وكان معهم رجل من المسلمين يعرف بالجاموس قد اسروه، فقال لهم: انا اعرف الى صيدا طريقاً سهلاً، فقالوا: ان فعلت اغنيانك، فسلك بهم اودية وعرة، والمسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون، ففهموا انه قد غرهم، فقتلوه، ولم يفلت الى صيدا سوى ثلاثين نفرأ وجاءوا [٩٤- أ] بالاسرى الى دمشق، وكان يوماً عظيماً.

وفيها عزم السلطان محمد خوارزم شاه على قصد العراق، طالباً ماكان لبني سلجوق(من الحكم)^(٤) والملك ببغداد، وترددت الرسل في ذلك مراراً، فلم يجب الخليفة الى ذلك، لعلمه بما خلف السلطان من الشواغل، وانضاف الى ذلك ان السلطان سير سبيلاً الى الحج، فقدموا سبيل جلال الدين صاحب الموت عليه، فساق السلطان من وراء النهر، بعد ان رتب فيه العساكر والمقدمين، وطلب همذان بعساكر تملئ القضاء، فوصلها، وقد وصل

(١) رسالة انذار مبطنة الى الخلافة العباسية، انه اذا سقطت حصن الطور وغيرها في بلاد الشام بايدي الفرنج، فان الطريق سيكون مفتوحاً امامهم الى بغداد. يقال ان الملك المعظم ارسل رسالة الى الخليفة وفي اوله هاتين البيتين. ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٥٦.

(٢) جزين: قرية قريبة من شعراء صيدا. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٨٥/٨.

(٣) سوق الميادنة: ضيعة قريبة من جبل صيدا. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٨٥/٨.

(٤) ما بين الحاصرتين مكرر في الاصل.

اليه الشيخ شهاب الدين السهروردي رسولاً من الخلافة، فدخل على السلطان، وهو يعلم من كبر شأن الشيخ وعلو مرتبته وتقدمه على فضلاء مشايخ عصره، مايتوجب تخصيصه بمزية الاكرام تميزاً له على سائر الرسل الواردة عليه من الديوان، فوقف قائماً في صحن الدار، ثم اذن له بالدخول، فلما استقر المجلس بالشيخ، قال رحمه الله: إن من سنة الداعي للدولة القاهرة، ان يقدم على اداء رسالاته حديثاً من احاديث النبي(صلى الله عليه وسلم)، فاذن له السلطان في ذلك، وجلس على ركبته تأدباً عند سماع الحديث، فذكر الشيخ حديثاً معناه التحذير من أذية آل عباس، فلما فرغ من روايته للحديث، قال السلطان: وان كنت رجلاً تركيا قليل المعرفة باللغة العربية، لكنني فهمت ماذكرته، غير اني ما اذيت احداً من ولد العباس، ولاقصدتهم بسوء، وقد بلغني ان في حبس امير المؤمنين منهم خلق [٩٤- ب] مخلدون، يتناسلون بها، فقال الشيخ: إن الخليفة اذا بويع في مبدأ خلافته بويع على كتاب الله وسنة رسوله، واجتهاد أمير المؤمنين، فان اقتضى رأيه حبس شر ذمة لاصلاح امة لانقذح في ذلك.

وعاد الشيخ شهاب الدين والوحشة على حالها، وعزم السلطان على قصد بغداد، وسير امامه من العساكر ماضاقت بها القضاء، وسار وراءهم توقيعات^(١) لهم باقطاع في بغداد، فنزل عليهم بالعقبة^(٢) ثلج طم اباطح الارض، وغطى الخراكي^(٣) والخيام، ودام ثلاثة ايام، فعظم البلاء وشمل الهلاك خلقاً عظيماً من العساكر، وتلفت الجمال باسرها، وتلفت ايدي رجال وارجل آخرين، ورجع السلطان خاسراً ندماناً على رجوع الشيخ شهاب الدين على تلك الحالة، وقد اتاه مستشفعاً بالله وكتابه العزيز والاخيار النبوية^(٤)، وكان السلطان قد اعتمد من اقامة الناموس منها ضرب نوبة ذي القرنين، وكان يضرب للسلطان خمس

(١) التوقيعات، والتواقيع جمع توقيع، ((ومعناه هنا نسخة الامر بتعين شخص على اقطاع))، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٢، هامش(١).

(٢) العقبة، هي عقبة سد اباد. النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص ٦٤.

(٣) الخراكي جمع خركاه، كلمة فارسية معناه خيمة كبيرة. التوخي، المعجم الذهبي، ص ٢٣٧.

(٤) عن تلك الحملة انظر ايضاً، النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٦٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٨٢/٨ - ٥٨٣، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ١٥٣ - ١٥٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ٨٣/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢١٩/٦ - ٢٢٠.

نوب، حال الصلوات الخمس، اسوة [ب]^(١) باقي السلاطين السلجوقية، فلما قصد العراق تركها لاولاده السلاطين يضربونها في الاقاليم التي سماها لهم على ابواب دور السلطنة وجعل لنفسه نوبة ذي القرنين، وانها تضرب وقتي طلوع الشمس وغروبها، فعمل لها سبعة وعشرين دبدبة من الذهب مرصعة بانواع الجواهر، ونصن اول يوم اختير لضربها على سبعة وعشرين ملكا من اكابر الملوك واولاد السلاطين وقصد من التجير والعظمة مالاهاه^(٢) [٩٥. أ].

(١) اضيف ماين الحاصرتين لتستقيم المعنى.

(٢) عن ذلك انظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٦٥.

٦١٥ هـ

سنة خمس عشر وستمانه

في ربيع الاول منها، نزل الفرنج على دمياط، وكان الملك العادل على مرج الصفر، فركب بنفسه، ودار على العساكر مثل الجاويش، يقول: الحقو الديار المصرية لله تعالى، فقد قصدها العدو وهي خالية من العساكر، وحض على عماد الدين بن المشطوب، وعزالدين الحميدي في سرعة السير، لانهما كانا من اكابر الامراء، وممن يشار اليهما، واقام الملك المعظم في الساحل بعسكر الشام قبالة الفرنج.

واشار الملك العادل الى الملك المعظم بخراب قلعة الطور، ليتوفر من به من المسلمين والعدد على حفظ دمياط، فتوقف الملك المعظم وبقي اياماً لا يدخل الى ابيه، فارضاه بمال وبلاد بمصر، فاجاب ونقل ماكان فيه من العدد والذخائر الى القدس والكرك ودمشق^(١).

(١) عن ذلك انظر ايضاً: ابن الاثير، الكامل، ٣٢٦/١٢ - ٣٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٩٢/٨ - ٥٩٣، ابو الفضائل، التاريخ المنصوري، ص ٧٥، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٦٥، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٥٨/٣ - ٢٦١.

وفي ربيع الآخر كسر الملك الاشرف^(١) ملك الروم كيكائوس^(٢)، وسببه ان الملك الاشرف جمع عساكر الشرق وعسكر حلب، ودخل بلد الفرنج ليشغلهم عن دمياط، ونزل على حصن الاكراد وصافيتا^(٣)، وكان الملك العادل قد رحل من مرج الصفر الى عالقين، فخرج ملك الروم ووصل رعبان يريد حلب، واتفق معه الملك الافضل نور الدين بن صلاح الدين صاحب سميصاط، واخذوا رعبان وتل باشر، فلما بلغ الملك الاشرف، عاد من بلاد الفرنج الى حلب، ووصل ملك الروم الى منبج، وتقدم بعض عسكره الى بزاعة^(٤)، فسير الملك الاشرف المبارز بن خطلخ وسنقر الحلبي [٩٥-ب]، ورحل الملك الاشرف بعدهم بعساكره وعسكر حلب ونزل باب بزاعة، وقدم العرب بين يديه، وادفهم بامراء كبار مثل حسام الدين بن خشترين الازكشي، وابن كهدان، والمبارز بن خطلخ.

(١) ابو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب، الملقب بالملك الاشرف مظفر الدين، توفي سنة (٦٣٥هـ)، اخباره وترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ج ١٢، ابو الفضائل، التاريخ النصوري ص ٧٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧١١/٨ - ٧١٧، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٦٥/٣ - ١٦٨، ١٤٥، ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ١٣٦/٥، ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ١٠٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٥٧/١٣ - ١٥٩، الذهبي، دول الاسلام، ١٣٨/٢ - ١٣٩، الخليلي، شفاء القلوب، ص ٢٩٠ - ٢٩٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٠٠/٦ - ٣٠١، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٧٥/٥ - ١٧٦، كرفان محمد احمد اميدي، الملك الاشرف موسى بن الملك العادل الايوبي دوره واثره في الدولة الايوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة صلاح الدين، اربيل، ١٩٩٩م.

(٢) حاكم الروم الملك الغالب عز الدين كيكائوس بن كيخسرو بن قلعج ارسلان السلجوقي سلطان قونية واقصرا وملطية، توفي سنة (٦١٦هـ). عنه انظر: ابن الاثير، الكامل، ٣٥٤/١٢ - ٣٥٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٩٨/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ١٧٢/٥، الذهبي، دول الاسلام، ١١٨/٢، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٠٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ٦٤/٥، محمد صالح طيب الزبياري، سلاجقة الروم في اسيا الصغرى، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٣) صافيتا، قلعة تقع الى الشمال من عرقة، من اعمال حلب قرب اللاذقية. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٢٢٧، هامش (١).

(٤) بزاعة، بلدة من اعمال حلب بين منبج وحلب، بينها وبين كل واحدة منهما مرحلة. ياقوت، معجم البلدان، ٤٠٩/١.

ووصل عسكر الروم الى الساجور^(١)، وتواقع اليزك والعرب بين ايديهم، والامراء الذين ذكرنا ترددهم، فانكسر يزك الروم، وتوالى الرعب والهزيمة حتى انهزم جميع عساكر الروم، والعرب والخفاف من عسكر حلب في اثرهم، فرجع صاحب الروم الى بلاده والافضل الى سميصاط^(٢)، واسترد الملك الاشرف رعبان وتل باشر، واعطاها لطفريل اتابك، وبعث الملك الاشرف سيف الدين كهيدان والمبارز خطلخ وجماعة اخرى من امراء حلب وحلقها نجدة لدمياط.

وفي هذه السنة خطب الملك الصالح محمود بن ارتق صاحب امد لصاحب الروم، وقطع خطبة العادل^(٣).

وفي جمادي الاخر، اخذ الفرنج برج السلسلة^(٤) (بدمياط)^(٥)، وارسل الملك الكامل صدرالدين بن شيخ الشيوخ الى الملك العادل يخبره ويستصرخه، فدق الملك العادل يده على صدره ومرض.

وفي جمادي الاخر التقى المعظم الفرنج على القيمون فكسرهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، واسر من الداوية مائة فارس، وادخلهم القدس، ونكس اعلامهم. وفيها وصل رسول خوارزم شاه الى الملك العادل، فبعث في الجواب الخطيب الدولعي^(٦)،

(١) الساجور، نهر بمنيح. ياقوت، معجم البلدان، ١٧٠/٣.

(٢) ورد في الاصل احياناً بالطاء واخرى بالتاء.

(٣) كان ذلك بسبب تنامي قوة كيكاس والقضاء على معارضيه، والسيطرة على طرق التجارة البحرية، واتساع شقة الخلاف بين الملوك الايوبيين من جهة، وانشغالهم بالدفاع عن دمياط من جهة اخرى. الزبياري، سلاجقة الروم، ص ١٢٩.

(٤) (برج عال مبني في وسط النيل ودمياط بمحذانه على حافة النيل من غربه، وفي ناحيته سلاستان تمتد إحداها على النيل الى دمياط، والاخرى على النيل الى الجيزة فيمنع كل سلسلة عبور المراكب من ناحيتها اذا اريد ذلك حين قتال العدو فهو قفل البلاد بالديار المصرية، اذا اوثقت السلسلة امتنع على المراكب العبور اليها ومتى لم يكن السلسلة عبرت المراكب وبلغت الى القاهرة، ومصر، والى قوص، واسوان). ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٦٦.

(٥) ما بين الحاصرتين في الاصل. (دمياط)، وقد اضيف الباء الى الدال (بدمياط) لتستقيم المعنى.

(٦) جمال الدين محمد بن ابي الفضل بن زيد بن ياسين ابو عبدالله التعبلي الشافعي الدولعي، خطيب دمشق، توفي سنة (٦٣٥هـ). ترجمته لدى، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ٢٥٣/٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦١/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٧٤/٥.

ونجم الدين خليل قاضي^(١) العسكر، فوصلا همذان، فوجدا خوارزم شاه [٩٦- أ] قد اندفع من بين ايدي التتر، وبلغهما وفاة الملك العادل، فرجعا الى دمشق.

وفيها توفي الملك العادل سيف الدين ابو بكر محمد بن ايوب، مولده سنة تسع وثلاثين وخمس مائة، ملك من بلاد الكرج الى همذان، والجزيرة، والشام، ومصر، والحجاز، واليمن، وكان ثباً^(٢) خليفاً بالملك، وله تفرد وهيبة زائدة، مع حسن اخلاق، وحسن تدبير، حليماً صفوحاً، مدبر الملك على الوجه المرضي عادلاً، طهر جميع بلاده من الفساد والخمور والخواطي والضمانات والمكوس، وكان في غلاء^(٣) مصر يأخذ المال في الليل ولا يدري به احد، ويفرقه على ارباب البيوت، ولما بلغه ان الفرنج ملكوا برج السلسلة بدمياط، اقام مريضاً الى يوم الجمعة سابع جمادي الاخر على عالقين.

ولم يعلم بموته غير كريم الدين الخلاطي، فارسل بطاقة طير^(٤) الى المعظم وهو في نابلس، فوصل المعظم الى عالقين، واحتاط على الخزانين، وصنبر^(٥) العادل وجعله في محفة وعند خادم يروح عليه، وقد رفع سجاف المحفة ودخل به دمشق، والناس ينزلون ويقبلون الارض قدام المحفة، والخادم يومئ الى الملك العادل، ودخلوا به القلعة وكتموا موته، ومن العجائب انهم طلبوا له كفن فلم يقدروا عليه، فاخذوا عمامة الفقيه بن فارس فكفنوه بها، واخرجوا قطن من مخده ولفوه به ودفن بالقلعة، فلما دفن قام المعظم ولطم على رأسه، وشق اثوابه وعمل له العزاء ثلاثة ايام [٩٦- ب]، ونودي ببغداد من اراد الصلاة على الملك العادل المجاهد المرابط فليحضر، فحضر الناس ولم يتخلف سوى

(١) هو نجم الدين خليل بن علي الحنفي قاضي العسكر توفي سنة (٦٤١هـ). للزيادة عن هذه الوظيفة انظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ٣٧/٤، لولاه مصطفى الاتروشي، القضاء في مصر والشام في العهد الايوبي، ص ص ١٤٦ - ١٥١.

(٢) ثباً: ذا حزم ورزاق. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٩٣/١.

(٣) كان ذلك سنة (٥٩٧هـ)، حيث اشتد الغلاء بالبلاد المصرية، ((وتعذرت الاقوات حتى اكل الناس الميتة، واكل بعضهم بعضاً...)): ابن الاثير، الكامل، ١٧٠/١٢.

(٤) بطاقة طير: يقصد بها الرسائل التي كانت ترسل بواسطة الحمام الزاجل التي كانت تعرف ايضا بالرسائل والهواذي.

(٥) صبر: صنع بالحنة ما يقبها الفساد الى وقت ما، وكانوا قديماً يستعملون الصبر في ذلك. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٥٠٦/١.

الخليفة، وصلوا عليه صلاة الغائب، وكان الصالح اسماعيل^(١) واخوه قطب الدين احمد^(٢) بدمشق، فأمر الصالح فتوجه الى بصرى، وقطب الدين الى مصر. وكان له من الاولاد شمس الدين مودود، والكامل، والاشرف، والمعظم، والواحد، والقائر، وشهاب الدين غازي، والعزیز، والغيب، والحافظ، والصالح، وتاج الملوك، وشمس الملوك، ومجير الدين، وتقي الدين، وقطب الدين، والقاهر، وخليل، وكان اصغرهم. ولما دخل رجب رد الملك المعظم المكوس، وضمن الخمر واباح الخواطي، ورد جميع ما كان قد ابطله ابوه.

وسار [الملك المعظم]^(٣) الى بانياس، وسير الى الصارم التبيني في تسليم الحصون، فلم يجبه دون ان قرر الحال معه ان يزوج بنت اسياده فخرالدين شركس بالملك العزيز عثمان، ويعطيه بلاد شركس^(٤)، فاجابه الى ذلك وزوج العزيز ببنت شركس واعطاه بلاده وخرّب بانياس وقلعة تبين.

وبعث اليه الملك الكامل بالخلع والنفير، وقال: ادركني، وجاءت الفرنج فنزلوا بشارا مساح^(٥) واخلوا له المسلمون الخيام، ثم رجع عليهم الملك الكامل فكسرهم، وقتل منهم خلقا كثيرا، ونزل صارم الدين التبيني واولاده شرف الدين وناصر الدين ومعين الدين فأكرمهم الملك المعظم، وخلع عليهم واعطاهم اقطاع يمثلهم، وصار صارم الدين عنده من اكابر الامراء وممن يشار اليه [٩٧-١]، وكان اهلا لذلك.

(١) اسماعيل بن ابي بكر بن شاذي، الملك الصالح، عماد الدين، ابوالخيش، حكم بعلبك وبصرى ودمشق، قتل سنة (٦٤٨هـ). اخباره لدى، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٣؛ ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٨٥ - ٢٨٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/٢٧٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٩١، ابن الوردي، تممة المختصر، ٢/٢٦٧، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٢٤ - ٣٢٥، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٧٨ - ٣٧٩، النعمي، المدارس في تاريخ المدارس، ١/٢٣٩ - ٢٤٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٢٤١، الحسيناني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد الأيوبيه في مصر وبلاد الشام.

(٢) هو الملك الفضل قطب الدين احمد: توفي بمصر في ايام الملك الكامل (٦١٥ - ٦٣٥هـ). ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/٢٧٥، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٧١. وكان الملك العادل قد اعطاه الفيوم واعمالها فاستمر بهما بعد وفاته. ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٣١.

(٣) ويقصد بها اقطاع الامير فخرالدين اياز جهاركس (سركس) مقدم الصلاحية، وكان الملك العادل اعطاه بانياس والشقيف، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٣٢٢.

(٤) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

(٥) شر مساح: بلدة من نواحي دمياط قرب البحر المالح. ياقوت، معجم البلدان، ٣/٣٣٨.

وفيها (قدم) ^(١) صفي الدين بن شكر من الشرق الى دمشق، وكان الملك العادل قد نقم عليه، ونفاه الى الشرق، فاقام بآمد الى ان مات الملك العادل فطلبه الملك الكامل، فوصل الى دمشق، ونزل في بيت بن انس علي المؤيد بن العقرياني، فخدمه، وكان قد قل نظره، وخرج اليه جميع اكابر دمشق وترددوا الى خدمته، وتوجه الى مصر. وفيها توفي عزالدين كيكافوس صاحب الروم، وكان جباراً ظالماً سفاكاً للدماء، واقاموا اخوه كيقباز في السلطنة مكانه.

وفيها عاد السلطان محمد خوارزم شاه من العراق الى نيسابور، واقام بها مدة مدبر احوال مملكتها، هبلغه ان التتار الملاعين قاصدين ماوراء النهر، فوافته رسل جنكيزخان، وهم محمود الخوارزمي، وعلي خواجه البخاري، و(يوسف كنيكا الاتراري) ^(٢) ومعهم من ملحاحات هدايا الترك من نقر ^(٣) العادن ونصب الختو ^(٤) ونوافج ^(٥) المسك واحجار اليشب ^(٦) والثياب التي تسمى طرفوا، تؤخذ من صوف الجمل الابيض، ويباع الثوب منها بخمسين دينار، وكانت الرسالة تشتمل على التهنة بوصول السلطان وسلامته وعوده الى خوارزم، وطلب المسالة والموادعة، وسلوك طريق الجمالة، وقال: إن الخان الكبير يسلم عليك، ويقول: ليس يخفى علي عظيم شأنك، وما بلغت من سلطانك، وانفذ حكمك في الاقاليم وانا ارى مسالمتك من جملة الواجبات، وانت عندي مثل اعز اولادي، وغير خاف عليك ايضاً انني ملكت الصين ومايليتها من بلاد [٩٧- ب] الترك وانت اخير الناس بان بلادتي ماثارات العساكر، والخيول، ومعادن الذهب والفضة، وهيها غنية عن طلب غيرها، وان رأيت ان نعقد بيننا المودة، وتأمّر التجار بالسفر لتعم المصلحة الجهتين، فأحضر السلطان محمود الخوارزمي ليلاً دون باقي الرسل، وقال له: انت خوارزمي، وفي الحقيقة منا والينا،

(١) ماين الحاصرتين مكرر في الاصل.

(٢) انظر النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٨٣، فقد اضاف النسوي الى اولئك الرسل، يوسف كنيكا الاتراري.

(٣) نقر: وهي القطعة المضروبة من الذهب او الفضة، النسوي، سيرة السلطان جلال الدين متكبرتي، ص ٨٣، هامش (٢).

(٤) نصب الختو: من الاحجار الكريمة.

(٥) نوافج المسك: من انواع العطر.

(٦) اليشب: نوع من الاحجار الكريمة، لونها في العادة احمر او بني او اصفر، ويندر ان يكون اخضر، وبعض انواع اليشب ذو خطوط جميلة مختلفة الالوان، ويستخدم في الزينة. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١٦٥/٢.

ولا بد لك من موالة فينا، ووعدته بالاحسان، ان صدقه واعطاه من معضدته^(١) جوهرة نفسية علامة الوفاء، وشرط عليه ان يكون عيناً له على جنكيزخان، فاجابه رغبة ورهبة، ثم قال له: اصدقني فيما اسألك جنكيزخان ملك طمغاج الصين، فقال: نعم، فقال له: ما ترى من المصلحة، فقال: الاتفاق، فاجاب السلطان الى ما التمس جنكيزخان من امر المهادنة، هسر جنكيزخان بذلك فاستمر الحال على المسألة^(٢) الى ان وصل من بلاده تجار الى اترار^(٣).

وكان ينال خان بن خال السلطان في عشرين الف فارس ينوب عن السلطان بها، فشرهت عينه الى اموال التجار، وكاتب السلطان يقول: ان هؤلاء القوم قد جاءوا بزي التجار، وماقصدهم الا فساد الاحوال، واذا خلوا بواحد من العوام يكشفوا منه الاحوال والاجناد، فاذن له السلطان بالاحتياط عليهم^(٤)، فتعدى طوره، وحبس عليهم واخض امرهم وتفرد باموالهم.

فورد بعد ذلك رسل من جنكيزخان الى السلطان يقول: انك اعطيت خطك ويدك بالامان للتجار، وان لا يتعرض الى احد منهم بسوء، فقدرت [٩٨-٩١] ونكثت، والقدر قبيح، ومن سلطان الاسلام اقبج، فان كنت تزعم ان السذي ارتكبه ينال خان كان بغير امرك،

(١) المعضدة: محفظة على شكل حزام يشدها المسافر على عضده. ابن منظور، لسان العرب، ٢٩٢/٣.

(٢) عمل جنكيزخان على تنفيذ الاتفاقية من جانبه بعد ابرامها، وكان يريد تأمين التجارة بين شرق اسيا وغربها وتوسيع نطاقها من خلال تأمين الطرق التجارية، والضرب على ايدي العابثين من قطاع الطرق واللصوص، وكان هناك حراس معينين من قبله على الطرق الرئيسية يسمون قراقجية اي مستحفظين يرافقون القوافل ويبلغونهم مأمهم. ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٢٩، انظر ايضاً: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ص ٨٣-٨٥، فزاد عبدالمعطي الصياد، المغول في التاريخ، ص ص ٤٧-٤٩.

(٣) اترار: تعتبر مدينة اترار مفتاح اقليم ماوراء النهر، وتقع على نهر سيحون، وتعتبر اعظم مدن تركستان. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ٦٦، هامش رقم (١).

(٤) يذكر ابن الاثير ان سلطان خوارزم علم من نابه في اترار، وهو ينال خان بطبيعة الحال، وصول هؤلاء التجار ومعهم من الاموال، فارسل اليه يأمره بقتلهم واخذ ما معهم من الاموال واقاذه اليه، فقتلهم وارسل تلك الاموال اليه، فلما وصل الى خوارزم شاه وكان شيئاً كثيراً فرقه على تجار بخاري وسمرقند واخذ ثمنه منهم، الكامل، ٣٦٢/١٢، ورغم كل ما قيل عن موقف السلطان خوارزم شاه من الحادث، فانه لا يمكن اعفائه من التبعية بعد ان سئحت له الفرصة لاصلاح الخطأ. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ص ٨٥-٨٨.

فسلم ينال خان الى لاجازيه حقناً للدماء^(١)، والا فسوف تشاهد مني ماتعرفني به، فحصل عند السلطان من الرعب ما خامر قلبه وخوف سلب لبه، واعتقد انه لو لاطف جنكيزخان، لم يزد ذلك الا طعاماً فيه؛ فتماسك وتجلد، وأمر بقتل الرسل، فقتلوا شيالها من دماء ماهدرت دماء الاسلام، واجرت بكل نقطة سيلاً من الدم الحرام، ثم اعتمد من التدبير الردي لما بلغه مسير جنكيزخان اليه ان امر بعمل سور سمرقند، ودوره على ما قيل ثلاث فراسخ^(٢) ثم شجنه بالرجال، وجفل السلطان من حافة جيحون^(٣) من غير قتال، ولو اقام لتصل اليه الجموع والعساكر، لكان قد جمع خلقاً لم يرى مثله كثرة، لكن قضاء الله اغلب وامره انفذ.

(١) كان رفض السلطان تسليم ينال خان للسبيين الآتين:

- ١- لان ينال خان كان ابن اخي (تركان خاتون) والدة السلطان التي كانت تحضى بمركز قوي في الدولة معتمدة على تأييد قبيلتها من اترك القنقلي، وبالمقابل فانها كانت تحمي اقاربها.
- ٢- كان السلطان يعتقد انه اذا ما سلم ينال خان يكون قد اعترف بضعفه وتحاذله امام جنكيزخان، في الوقت الذي كان يريد ان يظهر دائماً رجلاً قوياً، غير مطموع فيه. الصياد، المغول في التاريخ، ص ٥٣.

(٢) الفرسخ يساوي ستة كيلومتر. فالترهنتس، المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ص ٩٤.

(٣) لم يأخذ السلطان الخوارزمي بنصيحة مستشاره الفقيه الشهاب الخيري عندما اشار اليه باعلان النفير العام وجمع العساكر وطلب المساعدة من المسلمين ونقل المعركة بعيداً الى ضفة نهر سيحون الذي يفصل بين الدولتين، فاذا جاء العدو يكون قد سار مسافة بعيدة وقد اصابه التعب، واجهناه ونحن مستريحون، وعندما اجتمع السلطان بامراءه وارياب المشورة كان فهم رأي مخالف، وهي السماح لهم بعبور سيحون. ابن الاثير، الكامل، ٣٦٢/١٢ - ٣٦٣، والخطأ الاخر الذي ارتكبه السلطان هو اللجوء الى الحرب الثابتة امام جيش مثل جيش جنكيزخان عندما عزم على بناء سور حول سمرقند، وارهق رعاياه بالضرائب من اجل ذلك، وعندما سمع بقرب جنكيزخان لفرق عساكره على مدن ماوراء النهر وبلاد الترك مثل بخاري وسمرقند وترمد وغيرها. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٨٩ - ٩١.

٦١٦ هـ

سنة ست عشر وثمانئة

فيها اُخرب الملك المعظم القدس، وكان قد توجه الى اخيه الملك الكامل بدمياط، وبلغه ان طائفة من الفرنج على عزم قصد القدس، فاتفق الامراء على خرابه، وقالوا: قد خلا الشام من العساكر فان اخذه الفرنج حكموا على الشام بأسره، وكان بالقدس الملك العزيز عثمان، وعز الدين ايبك صاحب صرخد، فكتب الملك المعظم اليهما بخرابه، فابتدأ في خراب السور اول يوم في محرم، فوقع في البلد ضجة عظيمة، مثل يوم القيامة وخرج [٩٨-ب] النساء المخدرات، والعجائز والصبيان الى الصخرة، فقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم، وخرجوا هاربين وتركوا اموالهم، وما شكوا ان الفرنج تصبجهم، وتوجه بعضهم الى مصر، وبعضهم الى الكرك، وبعضهم الى دمشق، شئ ركاب وشئ مشاة، ومات خلق عظيم من العطش والتعب والحفا^(١)، وكانت زرية لم يتم في الاسلام مثلها، ونهبت الاموال التي كانت لهم بالقدس، وبلغ قنطار^(٢) الزيت عشر دراهم، والنحاس الرطل نصف درهم، واكثر الشعراء في ذم المعظم من جملته:

في رجب حلل الحميا وأخرب القدس في المحرم

ولم يعذره احد وقال مجد الدين الحنفي^(٣) قاضي الطور في ذلك:

(١) الحفا: المشي بلا خوف ولا لعل. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١/١٨٦.

(٢) قنطار: معيار مختلف المقدار عند الناس، ويساوي في مصر في الوقت الحاضر حوالي ٤٥ كغم. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٢/٧٦٢.

(٣) هو مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي. ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٧٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢٤٥.

مررت على القدس الشريف مسلماً	على ماتبقنى من ربوع كآنجم
فقاضت دموع العين مني صبابة	على مامضى من عصرنا المتقدم
وقد رام علاج ^(١) ان يعفي رسومه	وشمر عن كفي ^(٢) اثم ^(٢) مذمم
فقلت له شئت يمينك خلفها	لعتبر او (واقف) ^(٢) او مسلم
فلو كان يۇدى بالنفوس قديته	بنفسي وهذا الظن في كل مسلم

وفيها نفي الملك المعظم الامير عماد الدين احمد بن المشطوب الهكاري من مصر، لانه كان قد اتفق مع الملك الفائز ابراهيم بن الملك العادل على الملك الكامل، واستحلف امراء الاكراد، وكانوا حينئذ عين عسكر مصر وقوته^(٤)، فلما علم الملك الكامل ذلك وهو قبالة [٩٩-١] الفرنج بدمياط، خاف على نفسه، واثار عليه شجاع الدين بن علكان بالرحيل الى اشمون طنح^(٥)، وذلك ان بن علكان كان من اكابر امراء الاكراد وممن يشار اليه، وكان ذا عقل ودين، فما وافقهم على رأيهم، ومنعهم بكل وجه فما افاد، صيانة على عرضه ودينه وخوفاً على الاسلام في ذلك الوقت، فعرف الملك الكامل الصورة، فرحل الى اشمون، وربما عزم ان يدخل القاهرة، ويأخذ ما بها من الاموال ويقصد اليمن، فلما وصل الملك المعظم وعلم الحال، فقال: لا بأس عليك، انا أكفيك هذا الامر، فركب الملك المعظم اخر النهار، وجاء الى اوطاق بن المشطوب ووقف، وقال: قولوا للامير عماد الدين يركب لتسير، وكان بينهما صحبة ومودة قديمة، فخرج عماد الدين مسرعاً، وركب بغير صباغات^(٦)

(١) علاج: هو الرجل الضخم القوي من الكفار والعجم. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٢٢، هامش (١).

(٢) ورد لدى كل من: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٧٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٤٥/٦، (لثيم).

(٣) ورد لدى كل من: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ٦٦/٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٤٥/٦، (سائل).

(٤) اشارة واضحة الى ان الكورد حتى ذلك الوقت كانوا يشكلون العنصر الرئيسي في الجيش الايوبي ومؤسستها العسكرية.

(٥) اشمون طنح: بلدة بمصر، قرب دمياط، وهي مدينة الدقهلية. ياقوت، معجم البلدان، ١/٢٠١.

(٦) صباغات: يعني (أخفاف). ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٧٦.

وساقوا يتحدثون، وابتعد به عن العسكر، وقال له: الملك الاشرف قد طلبك، فتسير اليه الساعة، فقال: ما في رجلي صباغات، ولا معي احد من غلماني، ولا معي نفقة، فاومى الى احد^(١) مماليكه، وقال: اعطيه صباغاتك، والى وشاقي^(٢)، كان خلف الملك المعظم ركبدار^(٣) وخبييب^(٤)، وقال: هؤلاء في خدمتك واعطاه خمس مائة دينار، ووكل به جماعة، وقال له: جميع مالك يلحقك وسار به الموكلون، ورجع المعظم الى خيمته، ووقف حتى جهز خيله وثقله وغلمانه، ولم يبق له خيطاً واحداً، ولحقوه به، وعاد المعظم الى دهليزه، وجاء اليه الملك الكامل، فقبل الارض بين يديه، وخاف الفائز^(٥) خوفاً عظيماً، واجتاز ابن المشطوب بظاهر دمشق [٩٩-ب] ومضى الى حماة، واقام بها، فبعث اليه الملك الاشرف منشوراً بأرجيش وبلاد كثيرة، معها الخلع والخيل، فتوجه الى الملك الاشرف فآكرمه واحسن اليه، فصار يركب بالشبابية^(٦) ويعمل له دائرة عظيمة.

استيلاء الفرنج على دمياط^(٧)

وفي شعبان ملكت الفرنج دمياط، وذلك انهم كانوا ضايقوها وطموا الخنادق، وضعف اهل دمياط وقل القوت عندهم، بحيث اكلوا الميتة وعجز الملك الكامل عن نصرتهم، ووقع

(١) ما بين الحاصرتين مكرر في الاصل.

(٢) وشاقي، وطاقي. ورد تعريفه في موضع سابق.

(٣) ركبدار، الركبادارية، الركبادارية: هم الذين يحملون الغاشية بين يدي السلطان في مواكب الاحتفالات، كمركب الصيد ونحوه. القلقشندي، صبح الاعشى، ٧/٤، ١٢.

(٤) اصله من: خبّ (بخب) من السرعة والاضطراب. ابن منظور، لسان العرب، ١٠٤/٩.

(٥) ابراهيم بن ابي بكر بن ايوب بن شاذي، الملك الفائز، سابق الدين، ابو اسحاق، ابن العادل اقام في مصر مدة، ثم ارسله اخوه الكامل الى اخيه الاشرف بالموصل يستنجده، فتوفي بسنجار وقيل بين سنجار والموصل سنة ٦١٧هـ. ترجمته لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ١٨٦/٥، الوافي بالوفيات، ١٢٤/٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩٩/١٣ - ١٠٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٤٩/٦، الحنبلي، شفاء القلوب، ٢٧٥، النعمي، المدارس في تاريخ المدارس، ٣١٦/١.

(٦) الشبابية: مزار من قصب. القلقشندي، صبح الاعشى، ٢٥/٤، هامش (١).

(٧) دمياط: مدينة قديمة تقع بين تيس والقاهرة على زاوية بين بحر الروم والنيل. وكانت تعد من ثغور الاسلام. ياقوت، معجم البلدان، ٤٧٢/٢ - ٤٧٣.

فيهم الوباء والقضاء، فراسلوا الفرنج على ان يسلموا اليهم البلد ويخرجون منه بأهلهم واموالهم، واجتمع الاقسا^(١)، وحلفوا لهم على ذلك، فركبوا في الراكب وزحفوا في البر والبحر، وفتح اهل دمياط الابواب، فدخلوها ورفعوا اعلامهم، وصلبانهم على الاسوار، وغدروا باهل دمياط، ووضعوا فيهم السيف قتلاً واسراً، وياتوا تلك الليلة بالجامع يفجرون بالنساء، واخذ المنبر والمصاحف وروؤس القتلى وبعثوا بها الى الجزائر، وجعلوا الجامع كنيسة.

وكان الشيخ الصالح ابو الحسن بن قفل بدمياط، فسألوا عنه، فقيل هذا رجل صالح من مشايخ المسلمين، ياوي اليه الفقراء، فما تعرضوا له، ووقع على المسلمين كآبة عظيمة، وبكى الملك العظيم بكاء شديداً، ثم تأخرت العساكر عن تلك المنزلة، وقال الملك الكامل للمعظم: مافي مقامك ها هنا فائدة، المصلحة ان تنزل الى الشام، وتشغل خواطر الفرنج، وتستجلب العساكر من الشرق.

فكتب المعظم الى شمس الدين بن الجوزي^(٢) الواعظ بدمشق ان يحرض الناس على الجهاد، وتعرفهم انني كشفت بلاد دمشق [١٠٠-أ] التي قرية منها الف وستمائة قرية ملك، واربعمائة سلطاني، وكم مقدار ما تقوم الاربعمائة من العساكر، واريذ يذبون الدماشقة عن املاكهم، ويخرجون الى الجهاد بانفسهم، ويكون لقاؤنا وهم صحبتك الى نابلس بخيلهم وخيامهم وعدة حربهم، فجلس في الجامع، وقرأ الكتاب عليهم فاجابوا بالسمع والطاعة، وشرعوا يتجهزون، فلما حل ركابه في الساحل، تقاعد الامائل، وكانوا معذورين لان لكل مقام مقال، وللحروب رجال، فلما علم منهم العجز عن الخروج وعدم النفع اخذ منهم الخمس والثلث من اموالهم، ونزل على قيسارية، وفتحها عنوة، ثم سار الى الثغر ففتحها وهدمه، وعاد الى دمشق بعد ان اخرج بلاد الافرنج.

(١) الاقسا: احدى صيغ جمع لفظ قس او قيس، ويجمع ايضاً على قسان وقساوسة وقسيسين وقسوس. القرظي. السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣١٧، هامش (١).

(٢) شمس الدين ابي المظفر يوسف الشهير بسبط ابن الجوزي، مؤلف كتاب مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، والتوفي سنة (٦٥٤هـ).

وفيها البس الملك المعظم القاضي زكي الدين^(١) القباء^(٢) والكلوته^(٣)، وكان في قلبه منه حزازات، وكان يمنعه الخوف من الملك العادل ان يوقع به، واتفق موت العادل ومرض ست الشام، وكانت قد اوصت بدارها مدرسة، واحضرت القاضي زكي الدين والشهود، واشهدتهم عليها، واوصت الى القاضي، وبلغ المعظم، فعز عليه، وقال: يحضر الى دار عمتي من غير اذني ويسمع كلامها.

وكان القاضي قد احضر جابي المدرسة العزيزية^(٤)، وطلب حسابها، فاغلظ له في القول، فأمر بضربه، فضرب بين يديه كما يفعل الولاة، فوجد المعظم سبباً الى اظهار ماكان في نفسه، وكان الجمال المصري وكيل بيت المال وهو عدو القاضي، فجاء وجلس عند القاضي في مجلس الحكم والشهود حاضرون، والمجلس محفل، فبعث الملك المعظم مع الامير عماد الدين [١٠٠-ب] ابن موسك بقجة^(٥)، فيها قباء وكلوته، وامره ان يلبسها ويحكم بين الناس، وهي عليه، وكان أضر ما عليه حضور جمال الدين المصري، فلوا ان القاضي قال في ذلك اليوم: اشهدوا على انني قد عزلت نفسي عن الحكم، ولبسها بعد ذلك لكان اجمل به وبالشرعية، وكان تنقلب الدنيا على المعظم، وتنطلق الالسن فيه.

(١) هو زكي الدين ابا العباس الطاهر بن محي الدين، عنه انظر: ابو شامة، الذليل على الروضتين، ص ١٧٧ - ١٧٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ١٠٤/٨ - ١٠٥، الذهبي، دول الاسلام، ١٢٠/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩١/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب ٧٣/٥.

(٢) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب. حسين، الجيش الايوبي في عهد صلاح الدين، ص ١٢٣. هامش رقم (١).

(٣) الكلوته: هي غطاء للرأس تلبس وحدها او مع العمامة، استحدثت لبسها في مصر سلاطين الايوبيين، فكانوا يلبسون الكلوتات الجوخ الصفر على رؤسهم بغير عمائم، وذوائب شعورهم مرخاة تحتها. القلقشندي صبح الاعشى، ٤/٤١. وهي في الحقيقة جزء من الزي الشعبي الكوردي، وتعرف بـ (الكلاو).

(٤) المدرسة العزيزية: نسبة الى بانيها الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين، وقد بناها في دمشق سنة (٥٨٩هـ / ١١٩٣م). النعمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص ٢٩٠.

(٥) بقجة، صرة من القماش توضع فيها الحاجيات من الثياب او النقود او الاوراق الخاصة. المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، هامش رقم (١)، ص ٣٧١. وهي كلمة كوردية وفارسية ايضاً.

وفيها مرض القاضي ورعى كبده قطعاً، وكانت حركة شنيعة، وواقعة فضيحة، لم يجري في الاسلام اقبل منها، وكانت من غلطات المعظم، وندم بعد ان سارت بفعله الركبان.

وكان شرف الدين بن عنين^(١) قد تزهد، فبعث اليه المعظم قنينة خمر وفصوص نرد^(٢)، وقال: سبح بهذا، فقال بن عنين:

يا ايها الملك المعظم سنة
تجري الملوك على طريقك (هذه)^(٣)
احدثتها تبقى على الابد
خلع القضاة وتحفة^(٤) الزهاد

وفيها توفيت ست الشام بنت ايوب بن شادي سيدة الخواتن، وكانت زاهدة عابدة عاقلة كثيرة البر والصدقات والاحسان والصلوات، وكان يعمل في دارها من الاشربة والمعاجين والعقاقير في كل سنة بالوف من الدنانير، تفرقه^(٥) على الناس، وكان بابها ملجئ للقاصدين، وهي ام حسام الدين بن لاجين، وتزوجها ناصر الدين محمد بن اسد الدين صاحب حمص، وكانت وفاتها في ذي العقدة، ودفنت بمدرستها في العويينة^(٦).

(١) هو شرف الدين ابو الخاسن محمد بن نصير الدين بن نصر بن الحسين بن عنين الشاعر، كوفي الاصل دمشقي المولد، كان شاعراً اديباً، تولى الوزارة بدمشق، ولد سنة (٥٤٩هـ) وتوفي بدمشق سنة (٦٣٠هـ)، وله مصنفات عديدة. عنه انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٠٤/٨ - ٦٠٦، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٩/٣ - ١٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩١/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/١٤٠ - ١٤٢، حاجي خليفة، كشف الظنون، ١١٣/٦.

(٢) النرد: وهي لعبة تحتوي على صندوق وحجارة وفصين، تعتمد على الحظ تنقل فيها الحجارة حسب ماياتي به الفص، وتعرف عند العامة بالطاولة. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٩١٢/٢.

(٣) وردت لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٠٦/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٧٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩١/١٣ (بعدها).

(٤) كلمة مطموسة، والاضافة من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٠٦/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٧٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩١/١٣.

(٥) لي الاصل: (لفرقه) والصواب ما أثبتناه.

(٦) العويينة، محلة بظاهر دمشق. ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٨٠.

وفيهما وصل خبر اجفال السلطان محمد خوارزم شاه عن جيحون^(١)، فاضطربت خوارزم، وقلقت ترکان خاتون^(٢) والدة [١٠١-أ] السلطان وامرت بقتل من معتقلا بخوارزم من الملوك وابناء الملوك مقدار اثني [و]^(٣) عشرين ملكاً^(٤)، وخرجت من خوارزم، وصحبها من قدر على الخروج ومعها خزائن السلطان وحريمه واولاده، وسأقت مسرعة الى ان وصلت قلعة ايلال وهي من امهات قلاع مازندران^(٥).

واما السلطان، فانه لم يزل سائقاً منهزماً الى ان وصل نيسابور، ولم يقم بها الا ساعة واحدة رعباً تمكن في قلبه، وخوفاً استقر في لبه، وسار الى مرج دولت من اعمال همذان ومعه من بقايا عساكره المتفرقة مايزيد عن عشرين الف فارس، فلم يشعر الا وقت لحقه العدو المخدول، واحدقوا به كالخط في الاستدارة، فقاتهم بنفسه، وشمل القتل كل من كان في صحبته، ولجأ في نضر يسير الى (الجيل)^(٦)، ثم منها الى الاستنداد وهي امنع ناحية في مازندران ذات دربنندات ومضايق، ثم سار الى حافة البحر، واقام بقريه، يحضر المسجد ويصلي به امام القرية الصلوات الخمس، ويقرأ له القران وهو يبكي، فلم يلبث حتى كبسه التتار بها، فركب السلطان في مركب، ووقعوا فيه بالنشاب، وخاضت خلفه طائفة

(١) جيحون، نهر يمر بخوارزم يتكون من اجتماع عدة أنهر. ياقوت، معجم البلدان، ١٩٧/٢.

(٢) ترکان خاتون، هي زوجة السلطان علاء الدين تكش خوارزم شاه، وهي من قبيلة القنقلي التي كانت تسكن في شمال اقليم خوارزم، وقد انجبت له علاء الدين محمد، وفي عهد الاخير نزع اعداد كبيرة من افراد هذه القبيلة الى اراضي الدولة الخوارزمية، وكونوا عصابة قوية بدعم ترکان خاتون، ولعبوا دوراً كبيراً في سياسة الدولة الخوارزمية. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ص ٦٢-٦٩، ٧١-٧٢، ٨٠.

(٣) اضيفت ما بين الحاصرتين لتسقيم المعنى.

(٤) فقد ذكر النسوي ان عدد الملوك ومن ذوي الرتب العليا الذين امرت بقتلهم قد كانوا زهاء اثني وعشرين. سيرة السلطان جلال الدين، ص ص ٩٢-٩٤.

(٥) مازندران، هي اسم لولاية طبرستان. ياقوت، معجم البلدان، ٤١/٥.

(٦) لدى: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٦، (بلد الجبل). والجمع الجبال، وهي البلاد المعروفة باصطلاح عراق العجم، وهي ما بين أصبهان الى زنجان وقزوین وهمدان والديبور وقرميسين والري وما بين ذلك من البلاد. ياقوت، معجم البلدان، ٩٩/٢.

منهم، وصددهم عمق الماء عن ان يلحقوه، فبقي في لجة البحر، ولحقه علة ذات الجنب، فقال: سبحان مالك الملوك، لم يبق لنا من مملكتنا مع سعة الارض قد ذراعين ندفن فيها فاعتبروا يا اولوا الابصار، فلما وصل الجزيرة سر بذلك، وأقام بها طريداً وحيداً والمرض يزداد به الى ان توفي بها^(١)، فكفن في شاش فراش كان معه، ودفن بالجزيرة، فاعتبروا، فانها عبرة، فسبحان من يتصرف في ملكه بما يشاء [١٠١-ب].

(١) ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٣٧١/١٢-٣٧٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٨٥، التسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ص ١٠٤-١٠٧، ابن الوردي، تسمية المختصر، ٢٠١/٢-٣٠٢، الذهبي، دول الاسلام، ١٢١/٢-١٢٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩٤/١٣-٩٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٧٦/٥.

٦١٧ هـ

سنة سبع عشر وستمائة

فيها توفي السلطان محمد خوارزم شاه بالجزيرة على ما ذكرنا.
وفيها خامر عماد الدين بن المشطوب على الملك الاشرف^(١)، وعاث في بلاده، وساعده
صاحب ماردين، وكان وزير بن المشطوب نجم الدين بن عصرون.
فسار الملك الاشرف، ونزل على دنيسر، ووصل الملك الصالح^(٢) صاحب آمد، ودخل على
الملك الاشرف، وصالح بينه وبين صاحب ماردين^(٣).

وعبر ابن المشطوب على نصيبين، وبها فارس الدين بن صبره نائب الملك الاشرف،
فشمر الماء على الارض فوجدها، وخرج اليه بجمعه، فكسر بن المشطوب واخذ ثقله، فسار
مستجيراً بصاحب سنجار، وقصدته الوصول الى مظفرالدين صاحب اربل.

فاعطاه صاحب سنجار تل اعفر فدخلها وتحصن بها، فسار اليه بدرالدين لؤلؤ
صاحب الموصل بعسكرها، وفارس الدين بن صبره بمن معه، فحصره وقاتل قتالاً شديداً،
فحلف له بدر الدين ان يعطيه بالموصل خبر مائتي فارس، او يمكنه من التوجه الى اربل،

(١) رغم اكرام الملك الاشرف لابن المشطوب ورفع منزلته بعد طرده من مصر، غير انه لم يلبث ان
تآمر عليه بالاتفاق مع سلطان سلاجقة الروم كيكاوس بن كيخسرو الذي ارسل اليه مائة واربعة
الف درهم، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٧٦، وقد انضم الى هذا التحالف حاكم اربل
وحاكم آمد وحصن كيفا وحاكم ماردين، للوقوف بوجه الملك الاشرف واطماعه. للزيادة انظر:
الهندي، سنجار من ٥٢١ - ٦٦٠ هـ، ص ص ٨٩ - ٩١.

(٢) هو محمود بن محمد بن قرا ارسلان بن ارتق الملك الصالح ناصر الدين، توفي سنة (٦١٧ هـ)،
وتولى بعده ابنه مسعود. انظر ترجمته لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ١٨٨ -
١٨٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٠٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢٥٠، ابن
العماد، شذرات الذهب، ٥/٧٧ - ٧٨.

(٣) هو الملك المنصور ناصر الدين ارتق ارسلان (٥٩٧ هـ تقريباً - ٦٣٧ هـ). لين بول، طبقات
سلاطين الاسلام، ص ص ٣٥٣ - ٣٥٥.

فسلم اليه تل أعفر، وتوجه معه الى الموصل، فانزله في دار عظيمة، وخلع عليه، وبالمعنى في الاحسان اليه.

ثم قبض عليه ثالث يوم وقيده، وسيره الى الملك الاشرف، فاودعه جب^(١) حران الى ان اكل جلده القمل، ومات بالجب.

وكان نورالدين بن عماد الدين صاحب قرقيسيا قد اتفق معه^(٢)، فاعتقله الملك الاشرف، وبعث به مع العلم تعاسيف^(٣) الى قرقيسيا، وعاقبه وعلقه برجليه حتى سلمت القلعتين الى علم الدين تعاسيف [١٠٢-أ]، واراد الملك الاشرف ان يرمي نورالدين في الجب، فشفع فيه الملك المعظم، فاطلقه وسار الى دمشق واحسن الملك المعظم اليه، واشترى في العقبة بستان بن حيوس واقام به.

وفيها قتل صاحب سنجان اخاه^(٤).

فسار الملك الاشرف اليها واخذها، وعوض صاحب سنجان بالرقعة.

وفيها قصد الملك المعظم مظفرالدين بن زين الدين الموصل، وذلك انه لما توفي الملك القاهرة مسعود سنة خمس عشر وستمائة، وخلف اولاداً ثلاثة من بنت مظفرالدين بن زين الدين، لان مظفرالدين زوج ابنتيه بابني نورالدين ارسلان شاه صاحب الموصل، وهما الملك القاهر وعماد الدين زنكي.

(١) الجب، البئر الواسعة. ابراهيم وآخرون، المعجم الرسيط، ص ١٠٤.

(٢) ويقصد به ابن المشطوب.

(٣) هو علم الدين قيصر بن ابي القاسم عبدالغني بن مسافر الحنفي المصري المعروف بتعاسيف، توفي سنة (٦٤٩هـ). عنه انظر: وفيات الاعيان، ١٥٨/٣، ١٦٠، ابو الفدا، المختصر، ٢/٢٩٣، ابن الوردي، تمة المختصر، ٢/٢٧٠، القرظي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٢.

(٤) توفي قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي (الثاني) حاكم سنجان سنة (٦١٦هـ)، وتولى بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه الذي قتل في تلعفر على يد اخيه بعد بضعة اشهر من توليه، وقام الاخير بالحكم في سنجان، ولم يلبث ان تنازل عن سنجان وسلمها للملك الاشرف بعد اشهر من توليها مقابل حصوله على الرقة سنة (٦١٧هـ)، وهكذا انتهى حكم الاتابكة في سنجان، وخضعت للحكم الايروي المباشر. الهسنياني، سنجان من ٥٢١ - ٦٦٠، ص ٨٨ - ٩١، في الاصل ((وفيها قتل صاحب سنجان اخاه)). والتصحيح من: ابن الاثير، الكامل، ١٢/٣٥٥، ابن شداد، الاعلاق الخطيرة (قسم الجزيرة)، ج ٣، ق ١، ص ١٩٤ - ١٩٥، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٢٧١، الغساني، المعجم، ٢/٣٦٦.

فجمع بدر الدين لؤلؤ الامراء واکابر الموصل، وحلفهم لابن الملك القاهر خديعة منه وسار، وكان عماد الدين زنكي بالعقر، فسلم اليه نواب قلاع الملك القاهر، قلعة العمادية^(١) وهرور^(٢)، واطاعه جبل الهكار^(٣) ومال الى الملك المعظم مظفر الدين، وعلم مظفر الدين ان بدرالدين لؤلؤ يملك الموصل لنفسه، وانه قد اقام ابن القاهر خديعة ليستتب له. فجهز بدر الدين لؤلؤ عسكر الموصل، مقدمه عز الدين بن بدر الحميدي، فخرج اليه عماد الدين زنكي وجمع وحشد، وكان بخيلاً، كلما طلب منه الجند مستحقهم يقول وزيره الى غد، فلما ضرب المصاف على القند^(٤) مع عسكر الموصل، اراد ان يحمل، فما حمل معه احد من عسكره، وقالوا الى غد يكون الحملة، فساق عليه ابن بدرالدين فكسره، وانهزم هارباً طالباً مظفر الدين مستصرخاً به ومستجيراً [١٠٢-ب]، فالتقاه بصدر رحب، وبرز دهليزه بظاهر اربل، واطلع عساكره، واستخدم وجمع وحشد، ولم يتوقف وتقدم، وقطع الزاب^(٥) الى بلاد الموصل.

وكان الملك الاشرف من مشدي بدر الدين لؤلؤ، فأنجده بعز الدين ايبك صاحب داره، استاذ داره وعسكر وافر مقدار ستمائة فارس، وأنجده صاحب الجزيرة، وصاحب آمد وماردين، وبرز بدر الدين من الموصل بعساكرها والنجد، وتقدم مظفر الدين والتقوا على قرية بابورة^(٦)، فحمل الجاليش وتصادمت الاطلاب، وجرى بينهم قتال عظيم، وانكسرت

(١) العمادية: قلعة حصينة مشهورة في شمال الموصل ومن اعمالها. ياقوت، معجم البلدان، ٤/١٤٩، وهي مركز قضاء آميدي التابع لمحافظة دهوك في اقليم كردستان العراق.

(٢) هرور: حصن منع تقع في شمال الموصل، وهي من اعمال الهكارية، بينها وبين العمادية ثلاثة اميال. ياقوت، معجم البلدان، ٥/٤٠٣.

(٣) جبل الهكار: يقع فوق الموصل، من اعمال جزيرة ابن عمر سكانها اكراد. ياقوت، معجم البلدان، ٦/٤٠٨.

(٤) القند: يتبين من سياق الاحداث انه موضع تحت عقر الحميدية. ابن الاثير، الكامل، ١٢/٣٣٨، وعقر الحميدية تقع شرق الموصل وفي جبالها واهلها اكراد. ياقوت، معجم البلدان، ١٢/٣٣٨، وهي مركز قضاء (آكرى).

(٥) الزاب: وهي الزاب الاعلى وتقع بين الموصل واربل. ياقوت، معجم البلدان، ٣/١٢٣.

(٦) بابورة: يتبين لنا ضمناً انها كانت على بعد ثلاثة فراسخ شرقي الموصل، ابن الاثير، الكامل، ١١/٣٤٠.

ميمنة صاحب اربل وميسرته (وتبعته)^(١) الصنجدية^(٢) ايضاً، ودخل بعض المنهزمين الى اربل، واكثرهم عبرو الزاب، ولم يبق مع مظفر الدين الاماليكه وجماعة من حلقتة، وكان شيخاً قد حنكته التجارب في الحروب، لم ينكسر عمره، فساق بالنفر اليسير الذي معه، وحمل على صنجدية الموصل، فكسرهم ووصلت حملته الى حلقة بدر الدين، ففرق جمعه طعنًا بالرماح وضرباً بالصفاح^(٣)، فولى بدر الدين هارباً، وتفرق جمعه، وساق مظفر الدين مجدداً في أثره الى جانب الشط، فإشار بدر الدين الى مركب في الشط، فوصل اليه، فركب فيه ودخل الموصل، ونزل مظفر الدين على نينوى الى اخر النهار، وقد عادت عساكر الذي ساقته خلف عسكر اربل، وفيهم الامير عز الدين ايبك الاشرفي، فلما عاينوا صاحب اربل نازلاً بازاء الموصل، تفرقت آراهم وطلب عز الدين بن بدر ناحية الجبل، فتقدم الامير عز الدين ايبك الاشرفي وعساكر الموصل، وساقوا على صاحب اربل وهم في جمع كثير [١٠٢-أ] أضعاف اصحاب صاحب اربل، فقال مظفر الدين لاصحابه: هؤلاء في جمع عظيم، فان ثبتنا قدامهم أتلفونا، وهم الان يحملون حملة خائف، فاذا قربوا منا افتحوا لهم طريق الى الموصل، فانهم يطلبوها، فلما قربوا منهم فتح لهم طريق، فساقوا على وجوههم الى الموصل، وساق عسكر اربل خلفهم الى الشط، فرموا انفسهم في الشط، وغرق خلق كثير، الا من شالوه في زوارق اوكلك^(٤) او عبروا على الجسر.

وعاد صاحب اربل^(٥) فنزل بذلك النفر اليسير على جانب الشط، الى حين رجعت عساكره ثاني يوم، وعادت الاثقال، ونصب الدهليز و الخيم، واقطع بلاد الموصل، واقام

(٢) كذا في الاصل.

(٣) الصنجدية: يدخل هولاء ضمن فرقة الموسيقى العسكرية الأيوبية، التي كانت احدى تشكيلات الجيش الايوبي، وكانوا يضربون الكوسات التي هي صنوج تشبه الترس الصغير ببعضها على ايقاع مخصوص، ومن هنا جاءت تسميتهم بالصنجدية. حسين، الجيش الايوبي، ص ١٦٦-١٦٧.

(٤) الصفاح: حجارة وصخور. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، هامش رقم (٦) ص ٢٧٠.

(٥) الكلك: جذوع اشجار تربط مع بعضها، وتوضع تحتها وعلى جوانبها قرب مملوءة بالهواء، وكانت تستخدم كواسطة لنقل النهري في دجلة. وللزيادة عنها انظر ايضاً: فوزي رشيد، وسائل النقل المائية والبرية في العراق، مجلة النفط والتنمية، (بغداد، ١٩٨١)، عدد ٨، ص ١٠٦.

(١) في الاصل (المربل) والصواب ما اثبتناه.

عليها اياماً، فرأى بلداً عظيماً لا يمكن حصره الا بعساكر عظيمة، وسير اليه الملك الاشرف يشفع في صاحب الموصل، فرجع صاحب اربل من غير صلح مع صاحب الموصل^(١). وفيها كانت وقعة البرلس^(٢) بين الملك الكامل والافرنج، وكان يوماً عظيماً، يعرف بوقعة الخميس، قتل الملك الكامل منهم عشرة الف نفس، وغنم الناس من خيولهم وسلاحهم الشيء الكثير، ورجعوا الى مخيمهم منهزمين. وفيها عزل الملك المعظم مبارز الدين العتمد عن ولاية دمشق، وولاهها عزيز بن خليل.

وفيها توفي الملك الفائز بن الملك العادل، كان قد سيره الملك الكامل الى الملك الاشرف في طلب نجدة، فمات بين الموصل وسنجار، ودفن بسنجار في تربة عماد الدين زنكي. وفيها توفي الشيخ عبدالله^(٣) (اليوناني) اسد الشام، واصله من قرى بعلبك يقال لها يونين [١٠٣-ب]، وكان صاحب رياضات وكرامات ومجاهدات، ولم يقم لاحد من الناس تعظيماً لله تعالى، ولم يدخر شيئاً، ولا لس بيده (ديناراً ولا درهماً)^(٤)، ولا لبس في طول عمره سوى الثوب الخام وقلنسوه من جلد جدي، وكان الملك الامجد صاحب بعلبك يتردد اليه، وكان يقول له انت تظلم وتفعل وتصنع، وهو يعتذر اليه، وكان له تلميذاً اسمه توبة، وكان من الصالحين؛ حدث شمس الدين ابن الجوزي الواعظ، قال: سافرت الى العراق سنة اربع وستمائة، وحججت، فلما كان يوم عرفه، صعدت جبل عرفات، واذا بالشيخ عبدالله قاعد على الجبل، فسلمت عليه، فرحب بي وقعدت عنده الى قريب الغياب، ثم قلت له: ما تقوم نروح الى مزدلفة، قال: اسبطني انت فلي رفاق، فنزلت من الجبل واتيت

(٢) تقرر الصلح بينهما على ان يكون لكل واحد منهما ما بيده، وحلفوا على ذلك. ابن الاثير، الكامل، ٣٤١/١٢.

(٣) البرلس: بلدة صغيرة على شاطئ النيل قرب البحر من جهة الاسكندرية. ياقوت، معجم البلدان، ٤٠٢/١.

(٤) في الاصل (اليوناني). والصواب ما اثبتناه، هو ابو عثمان عبدالله بن عبدالعزيز بن جعفر الزاهد الكبير، الملقب بأسد الشام. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦١٢/٨ - ٦١٧، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ١٩٠ - ١٩٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٠/١٣ - ١٠١، الذهبي، دول الاسلام، ١٢١/٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٧٣/٥ - ٧٥.

(٥) في الاصل (درهماً ديناراً ولا درهماً). والتصحيح من: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦١٢/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٩٠.

مزدلفة، ووصلت منى ودخلت مسجد الخيف، فاذا بالشيخ توبه خارج من المسجد، فسلم عليّ فقلت: اين الشيخ نازل ظناً مني انه حج معه، فقال: ايما شيخ، فقلت: عبدالله، قال: خلفته ببعبك، فظننت، فقلت: مبارك ففهم فلزم بيدي وبكى، وقال: بالله حدثني اين مضى، فقلت رأيته البارحة على عرفات، وحدثته الحديث، ورجعت انا على بغداد، فلما عاد توبه وحدث الشيخ، وعدت انا الى الشام فعتبني الشيخ، وقال: لا تعد الى مثلها، فكانه كره ان نتحدث عنه بكرامة حال حياته.

وذكر قاضي كرك نوح البقاع، انه كان يوماً عند الجسر الابيض على ثورا^(١) وقت الحر، واذا بالشيخ عبدالله قد جاء ونزل ثورا وتوضئ، واذا بنصراني عابر على [١٠٤-١] الجسر ومعه بغل عليه حمل خمر، فعثر البغل، فصعد الشيخ من النهر، وقال: يافقيه تعالى، فجننت فقال: عاوني فعاونته حتى رفعنا الحمل على البغل، وراح النصراني، ثم مشيت خلف البغل الى العقيبة، فجاء الى دكان الخمار، فحط الحمل وفتح الروس وقلب ليكيلهما واذا بهما قد صارا خلاً، فقال له الخمار: ويحك هذا خل، فبكي وقال: والله ماكان الا خمرأ، وانما انا اعرف العلة، ثم ربط البغل في الخان، وعاد الى الجبل، وكان الشيخ قد صلى الظهر في المسجد الذي على الجسر، وقعد يسبح فدخل عليه النصراني، وقال: ياسيدي اشهد ان لا اله الا الله واسلم، وصار فقيراً.

ذكر وفاته

حكى عبدالصمد خادمه، قال: لما كان يوم الجمعة نزل يصلي بجامع بعبك وهو صحيح البدن، فجاءه داود المؤذن، وكان يغسل الموتى، فقال له ويحك ياداود، انظر كيف يكون غداً فما فهم داود، وقال: ياسيدي كلنا غداً في خفارتك، ثم صعد الشيخ الى الغارة، وكان قد أمر الفقراء ان يقطعوا صخرة عند اللوزة التي كان ينام تحتها وعندها قبر، وكان قد بقي فيها مقدار نصف ذراع، فقال لهم لاتطلع الشمس الا وقد فرغتموها، ويات طول الليل يذكر اصحابه ويدعوا لهم، ويقول: ياسيدي فلانه اجتزت بها في الموضع الفلاني، واعطتني شربة ماء فشربتها، وفلان احسن الي، وطلع الصبح فصلى وخرج الى صخرة كان يجلس عليها ويبيده مسبحة، وقام الفقراء يتمون الصخرة، وطلعت الشمس

(١) ثورا، نهر مشهور في دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٨٦/٢.

[١٠٤-ب] وقد فرغوا منها، والشيخ قاعد تائم والمسبحة بيده، فجاء خادم الشيخ من القلعة اليه في شغل، فراه نائماً قاعداً، فما تجاسر ان يوقظه، فقمعد ساعة، فطال عليه، فقال: يا عبد الصمد ما أقدر اقعده اكثر من هذا، قال: فتقدمت اليه، وقلت: سيدي سيدي فما تكلم، فحركته فاذا هو ميت، وقد فرغوا من الصخرة، فارتفع الصباح وطلع داود ففسله، وقال الحفار لما حدثه، قلت: يا شيخ عبدالله، اذكر ما عاهدتنا عليه، قال: ففتح عينه ونظر الي شزراً ودفن عند اللوزة، نفعنا الله به.

وفيها توفي شيخ الشيوخ صدرالدين محمد بن عمر حمويه، وقد ذكرنا ان والده عمر ولاء نور الدين بن زكي خوانك الشام، ولما ولي الملك العادل مصر ولي صدر الدين تدريس الشافعي، وكان فقيهاً فاضلاً سكيناً، وكانت له الحرمة الوافرة عند الملك العادل واولاده، ولما استولى الفرنج على دمياط^(١) ارسله الملك الكامل الى الخليفة يستنجده، فمرض بين حران والموصل، وتوفي بالموصل (ودفن)^(٢) الى جانب قضيب البان المولده^(٣). وفيها توفي الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر بن شاهان شاه بن ايوب، صاحب حماه وكان شجاعاً يحب العلماء والفضلاء، وكان عنده جماعة لهم رواتب نفيسة مثل سيف الدين

(١) كان ذلك سنة (٦١٥هـ).

(٢) ما بين الحاصرتين اضافة من: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٩٠.

(٣) الملك المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب، توفي سنة (٦١٧هـ). ورد ترجمته لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٨٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٧/٤-٨٦، ابو الفدا، المختصر، ٢٢٠/٢، ابن الوردي، تنمة المختصر، ٢٠٠/٢، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٥٩/٤-٢٦١، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٥٠/٦، البداية والنهاية، ١٠٠/١٣، الجنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٣٧-٣٣٩، ابن العماد، شذرات الذهب، ٧٧/٥-٧٨، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٠٥، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٨٨/٦، ابن شاهنشاه مؤرخاً.

الأمدي^(١) ومن يجرى مجراه، صنف تاريخاً^(٢) جمع فيه جملة من التواريخ واسامي من ورد عليه، واقام عنده، وتوفي بحماة ودفن عند ابيه وقام بعده ولده الاكبر، ويسمى الملك الناصر قليج ارسلان، وكان ولده الملك [١٠٥-أ] المظفر عند الملك الكامل بمصر، فتعصب معه واخذ له حماة من الملك الناصر وسلمها الى الملك المظفر في سنة (ست)^(٣) وعشرين وستمائة، واعتقل الملك الناصر في الحب بمصر وتشوش ذهنه، ومات به على اقتبح حال. وفيها توفي الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا ارسلان بن ارتق صاحب امد، كان شجاعاً عاقلاً محباً للعلماء توفي بامد، وقام بعده ولده الملك المسعود وكان ضد اسمه. عدنا الى حديث خوارزم شاه والتتار المخذولين، وكان السلطان محمد خوارزم شاه لما ادركته الوفاة بالجزيرة نص السلطنة بعده الى ولده جلال الدين منكبرتي^(٤).

ركب جلال الدين في الحالة الراهنة البحر الى خوارزم باخوته ومن انضم اليه من الاهل والخواص زهاء سبعين نفرأ، فلما وصلوا خوارزم التقوهم اهلها بالخييل والاسلحة والملبوس والتجمل والاعلام بما حسن به حاله، وتباشر الناس بقدمهم.

واجتمع عندهم من العساكر السلطانية طالع من سبعة الف فارس، فمالوا الى ازلاغ شاه اخي جلال الدين، واتفقوا على قبض جلال الدين فاعلمه ايناج خان بذاك، و اشار عليه بالرحيل من خوارزم، فرحل طالبا خراسان في ثلثمائة فارس، واقاموا اولئك بخوارزم، فوافقهم الخبر المزعج بحركة التتار جنوب خوارزم من جهة ماوراء النهر، فهربوا

(١) هو ابو الحسن علي بن ابي علي محمد بن سالم المعروف بسيف الدين الأمدي، كان إماماً في علم الكلام واصول الفقه والمنطق وسائر العلوم الحكمية وله مصنفات فيها، توفي في دمشق سنة (٦١٣هـ). ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٩١/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٤٥ - ٢٤٦، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٣٩/٢ - ١٤٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٨/٤، السبكي، طبقات الشافعية، ١٢٩/٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٨٥/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٤٤/٥ - ١٤٥.

(٢) عنوانه (مضمار الحقائق وسر الخلائق) في عشرة اجزاء غير ان الذي وصلنا منها هو جزء واحد. ابن شاهنشاه الايوبي مؤرخا، ص ٥٦ - ٥٧.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقطة من الاصل، والصواب ما اثبتناه.

(٤) كانت ولاية العهد لقطب الدين ازلاغ شاه نزولاً عند رأي والدته ترکان خاتون فلما اشتد المرض بالسلطان بالجزيرة، وبلغه اسر والدته، احضر جلال الدين وأخويه الحاضرين معه بالجزيرة، وهما: ازلاغ شاه وأق شاه، بين لهم اهليه جلال الدين منكبرتي فولاه ولاية العهد. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٢٠.

على اثر جلال الدين الى خراسان، واما جلال الدين فانه قطع المفازة التي بين خوارزم وخرسان ووصل الى نسا^(١)، وكان جنكيزخان لما بلغه عود اولاد السلطان الى خوارزم سير اليها عسكريا كثيفا، وتقدم الى من في خراسان من عساكره الترية بالتفرق [١٠٥-ب] في حافات تلك البرية، فضربوا على البرية المذكورة حلقة من حدود مرو^(٢) الى شهرا ستانه^(٣)، حتى اذ هم اولاد السلطان بالمسير الى خراسان عند توجههم من خوارزم يقبضونهم، فاتفق في طريق جلال الدين منهم سبعمائة فارس، فتوافقوا على بعضهم بعض وطال بينهم الحرب، فانتصر جلال الدين عليهم وولوا منهزمين، ولم يفلت منهم الا اليسير، وكسب خيلهم وسلاحهم، فهو اول سيف خضب في الاسلام بدمائهم^(٤).

فساق جلال الدين الى نيسابور منصوراً مسروراً، فكتب الى سائر الامراء والذين في الاطراف يأمرهم بسرعة الوصول، واقام بنيسابور شهراً يتواصل اليه العساكر من الاطراف، فعلم جنكيزخان ذلك فاعجله عن المراد، وادركه التتار الى البلاد، فخرج من نيسابور فيمن انضوى اليه من الخوارزمية يطوى المراحل الى ان وصل القلعة القاهرة^(٥) التي بكرمان^(٦)، فسير واحضر من خزائنها من الذهب، وفرق على من معه، وساق مجدأ في ليله ونهاره الى ان وصل الى غزنة^(٧) بدار من لايمكث بدار، فاتاه الخبر ان امين الملك وهو ابن خال السلطان قد اخلى هراة^(٨)، وان التتار قد قربوا منها، وان معه زهاء عشرة الف فارس رجالاً اتراكاً ممن سلموا من نكبة العدو المخذول، فبعث جلال الدين اليه يعلمه

(١) نسا: مدينة بخراسان، بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة ايام، وبين ابورد يوم. ياقوت، معجم البلدان، ٢٨٢/٥.

(٢) مرو: اشهر مدن خراسان وقصبتها. ياقوت، معجم البلدان، ١١٢/٥.

(٣) شهرستانه: في معجم البلدان، ٣٧٦/٣ - ٣٧٧، شهرستان، وهي بليدة بخراسان قرب نسا، بينهما ثلاثة اميال، وهي بين نيسابور وخوارزم.

(٤) ويقصد بذلك انه كان اول من تصدى للمغول من المسلمين وانتصر عليهم .

(٥) بناها مؤيد الملك صاحب كرمان بزوزن التي هي احدى مدن خراسان، وتقع بين نيسابور وهراة. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٣٢، وهامش(٤).

(٦) كرمان: ولاية مشهورة وواسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. ياقوت، معجم البلدان، ٤٥٤/٤.

(٧) غزنة: مدينة مشهورة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والمهند. ياقوت، معجم البلدان، ٢٠١/٤.

(٨) هراة: مدينة مشهورة في خراسان، لا بل من امهات مدننها. ياقوت، معجم البلدان، ٣٩٦/٥.

بقربه منه، فوصل اليه، واتفقا على كبس التتار المحاصرين قلعة (قندهار)^(١)، فنهضا اليهم واعداء الله غافلون لا يدرون كيف الحال، الى ان وثب عليهم المسلمون مثل الصواعق، فركبوا خيلهم للفرار، فلم يفلت منهم الا نضر يسير مخبرين جنكيزخان بما تم عليهم، فقامت [١٠٦-أ] قيامته، وساق جلال الدين الى غزنة فدخلها ظافراً شاكراً.

(١) في الاصل (قندهان)، لم اعثر على تعريف لها. والتصحيح من: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٣٣. وقندهار من بلاد الهند او الهند. ياقوت، معجم البلدان، ٤/٣٠٤. وهي مدينة في افغانستان.

٦١٨ هـ

سنة ثمان عشرة وستمائة

وفيها توجه الملك المعظم عيسى الى اخيه الملك الاشرف واجتمعا على حران، وكتب ناصر الدين صاحب ماردين الى الملك الاشرف، يسأله ان يصعد الملك المعظم اليه، فسار الى ماردين، فنزل صاحب ماردين والتقاءه الى دنيسر واصعده الى قلعة ماردين وخدمه اتم خدمة، وقدم له التحف والجواهر وتحالفا واتفقا. وزوج المعظم بنته الى صاحب ماردين، وخلع على جميع اصحابه، واعطاهم الاموال، ورجع المعظم الى حران^(١).

وفي الحالة الراهنة جمع المعظم العساكر، وقطع الضرات، وسار الملك الاشرف في اثره، ونزل المعظم حمص، والملك الاشرف سلمية، ورحلا الى دمشق، وسارا مجددين الى دمياط^(٢)، فخرج الفرنج بالفارس والراجل، وكان البحر زائداً جداً، وجاءوا الى ترعة نزلوا في حوض عظيم والماء محدد بهم، يمنعه الجسور من الوصول اليهم، ففتح المسلمون عليهم الترع والجسور من كل مكان واحدقت بهم عساكر المسلمين فلم يبق لهم وصول الى دمياط.

(١) عن هذا التحالف والاتفاقية انظر ايضاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦١٨/٨ - ٦١٩، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٩٤.

(٢) للزيادة عن موقف الاخوين المعظم والاشرف من اخيهم الكامل وانجاده انظر: ابن الاثير، الكامل، ٣٢٧/١٢ - ٣٢٩، ابوالفضائل، التاريخ المنصورى، ص ٩٢ - ٩٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦١٩/٨ - ٦٢٠، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٩٤ - ١٩٥، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٣٥ - ١٣٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ٩٢/٤ - ١٠٠، الذهبي، دول الاسلام، ١٢٣/٢، ابن الوردي، تممة المختصر، ٢٠٤/٢ - ٢٠٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٢/١٣ - ١٠٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٠٨ - ٢١٠، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

وجاء اسطول المسلمين فأخذ مراكبهم ومنعواهم ان يصل اليهم ميرة من دمياط، وكانوا خلقاً عظيماً، وانقطعت اخبارهم عن دمياط، وكان فيهم مائة كند وثمان مائة من الخيالة المعروفين و(ملك عكا)^(١) (وا اردل)^(٢) و(اللكات)^(٣) نائب البابا ومن الرجالة ما لا يحصى، فلما عاينوا الهلاك، ارسلوا الى الملك الكامل يطلبون الصلح والرهائن ويسلمون دمياط، فمن حرص الملك الكامل على خلاص دمياط [١٠٦-ب] اجابهم، ولو اقاموا يومين لاخذ الجميع برقابهم.

فبعث اليهم الملك الكامل ابنه الملك الصالح ايوب^(٤) وابن اخيه شمس الملوك^(٥)، وحضر ملوكهم الذين ذكرنا، فالتقاهم وانعم عليهم، وضرب لهم الخيام، ووصل المعظم والاشرف، فجلس الملك الكامل في مجلس عظيم في خيمة كبيرة، ومد سماطاً^(٦) عظيماً، واحضر

(١) ملك عكا في تلك السنة كان (حنا دي برين Jean de Brinne). ابن واصل، مفرج الكروب، ٩٨/٤، هامش (١).

(٢) كذا في الاصل.

(٣) لم اعثر على ترجمته.

(٤) هو الملك الصالح نجم الدين ايوب بن محمد بن ابي بكر بن ايوب، ولد سنة (٦٠٣هـ)، وتولى السلطنة في مصر سنة (٦٣٧هـ)، ووجد مصر وبلاد الشام، وتوفي سنة (٦٤٨هـ)، وعاصر الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، وتوفي في نفس السنة قبل ان يشهد نهاية تلك الحملة. انظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٥/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٨٢-٢٨٣، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٥٩، ٢/٢٨٥، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ابن الوردي، تممة المختصر، ٢/٢٦٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٨٨-١٨٩، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ص ٢٩٦-٢٩٩، ابن تفرج، بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٣٦٢-٣٦٤، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص ٣٦٧-٣٨٢، ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١/٨٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٢٣٧-٢٣٨.

(٥) لم اعثر على ترجمته.

(٦) السماط: هي المائدة السلطانية، او ما يبسط على الارض لوضع الاطعمة وجلس الاكلين عليها. المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣١٩، هامش (١). وللزيادة عن وصف الاسمطة وانواعها انظر: المقرئ، المواعظ والاعتبار، ٢/٢١٠-٢١١.

واحضر ملوك الاهرنج والخيالة ووقف الملك الاشرف والمعظم وباقي الملوك في خدمته، ولم يقعد منهم سوى الملك المجاهد صاحب حمص، فقام شرف الدين الحلبي^(١) وقال:

ونادى لسان الكون في الناس رافعا
عقرته في الخافقين ومنشدا
اعتباد عيسى ان عيسى برغمكم
وموسى جميعا بخدمان محمدا^(٢)

ووقع الصلح^(٣) بين الملك الكامل والفرننج، وسار بعض الفرنج في البر وبعضهم في البحر الى عكا، وتسلم الملك الكامل دمياط.

وعاد الملك المعظم الى الشام.

واقام الملك الاشرف بمصر، فاتفق الملك الكامل والاشرف على المعظم^(٤).

وفيها ولي الملك المعظم جمال^(٥) الدين المصري قاضي قضاة دمشق، وقرأ منشوره بهاء الدين بن ابي اليسر.

(١) هو شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلبي. كان فاضلاً جيد النظم، توفي بدمشق سنة (٦٢٧هـ). ورد ترجمته عند الكندي، قوات الوفيات، ٧/٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢٧٥، الذهبي، العبر، ١٠٨/٥.

(٢) المقصود هنا: الملك المعظم (عيسى) والملك الاشرف (موسى)، فهما بخدمان اخوهما (محمد) الذي هو السلطان الملك الكامل.

(٣) كان من بنودها: اعلان الهدنة بين الطرفين مدة ثمان سنين، وعلى ان يطلق كل طرف ما عنده من الاسرى، وحلف عليها السلطان واخوته، ومن جانب الفرنج حلف عليها ملوكهم. المقريزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٠٩.

(٤) كان اتفاق ابناء الملك العادل وهم (الكامل، والمعظم، والاشرف) وتضامنهم العامل الذي مكنتهم من تحقيق الانتصار على الفرنج، وقد وصف ابن الاثير ذلك الاتفاق بعد وفاة الملك العادل سنة (٦١٥هـ): ((ثبت كل منهم في المملكة التي اعطاه ابيه، واتفقوا اتفاقاً حسناً لم يجز بينهم من الاختلاف ماجرت العادة ان يجري بين اولاد الملوك بعد اباؤهم، بل كانوا كالنفس الواحدة، كل منهم يتق بالآخر... فلا جرم زاد ملكهم...)). الكامل، ١٢/٣٥٢. غير ان ذلك الاتفاق المحل بعد هذا التاريخ، وانغمسوا في الصراع من اجل السلطة والتفرد، وبذلك فقدوا تلك الميزة.

(٥) هو جمال الدين يونس المصري توفي سنة (٦٢٣هـ). ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٤٣/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٢٤، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٢٢٣/١٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٢٣ - ١٢٤، الفسائي، المسجد المسبوك، ٤٢٥/٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ١١٢/٥.

عدنا الى حديث التاتار المخدولين، وفي سنة ثمان عشر كان كوخ خان بهلوان مقيماً بمرور وعلى بلادها، فكبس شحنة التاتار وقتله، فحرك ساكن الفتنة فقصده في عشرة الف فارس وكسروه، وامتدت به الجفلة الى اخر البلاد، ولحق بالجبل، وبات ليلة فلحقوه وهتكوا بمن معه.

ووصل السلطان غزنة في سنة ثمان عشر وستمائة، [١٠٧-أ] وتباشر الناس بوصوله، واتصل بخدمته سيف الدين بغراق، ومظفرالدين صاحب الايغانية، والحسن(قزلق)^(١) في ثلاثون الف فارس، ومعه ومع السلطان جلال الدين مثلها، فجرد جنكيزخان ابنه تولى خان^(٢) في عسكر كثيف، فوصل الخير بقدمهم الى جلال الدين فبرز اليهم، فتواقعا وتواصلوا، وعملت الصوارم^(٣) والصفاح وتقدمت الابطال بالرمح فحمل السلطان بنفسه على قلب تولى خان، شدد نظامه ونثر تحت قوائم الخيل اعلامه، وولوا منهزمين، وركب جلال الدين ضرباً بالسيوف ورشقا بالسهام، وكيف لا وقد فجعه باخوته وابيه ومملكته، وقتل تولى خان ابن جنكيزخان، واخذ اكثرهم اسارى، فأمر ان يدق في اذانهم الاوتاد، وهو يتفرج ووجهه بالبشاشة يتبلج، فلما بلغ جنكيزخان لم تقر له قرار دون ان نادى في جميع التاتار بالمسير وساق مجداً مستعداً للقتال على حافة السند.

وكان جلال الدين قد انثنى عنه اخوه وجماعة من العساكر المعروفين، فضاق عليه الوقت في استرجاعهم لقرب انتتار منه، فركب يوم الاربعاء لثمان خلون من شوال سنة ثمان عشرة وستمائة، فالتقى الفريقان، ووقف جلال الدين حذاه في قل من العدد، ثم حمل بنفسه على قلب جنكيزخان فمزقه ببداء، وولي اللعين بنفسه هزيماً، وكادت الدائرة تدور على الكفار والهزيمة يستمر بأهل النار، لولا ان اللعين افرد قبل اللقاء كمين وفيه عشرة الف فارس من اجود فرسانه وافرس [١٠٧-ب] شجمانه، فخرجوا على ميمنة

(١) ورد ما بين الحاصرتين في الاصل(قزاق). والنصح من النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٥٤.

(٢) تولى خان هو والد هولاكو. لم يقتل في هذه المعركة. لا بل ولم يشترك فيها، وانه كان ضمن من رافقوا جنكيزخان في اثناء عودته الى بلاده. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٥٤، هامش(٨). وان وفاة تولوي خان كان سنة(٦٣٠هـ). الهمذاني، جامع التواريخ، ص ١٦٩.

(٣) الصوارم: جمع الصارم، يقال سيف صارم: قاطع، ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١/٥١٣.

جلال الدين وفيها امين ملك فكسروها وطرحوها على القلب، وتبدد نظامه، وتزعزعت اقدامه، واسروا ابن جلال الدين وهو ابن سبع سنين، ولما عاد جلال الدين الى حافة ماء السند منكسراً رأى والنته وام ولده وجماعة من حرمه يصحن بأعلى صوتهن، بالله عليك اقتلنا وخلصنا من الأسر، فأمر بهن ففرقن، وهذه من عجائب البلايا ونوادير المصائب والرزايا^(١).

(١) انظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٥٨ - ١٥٩.

٦١٩ هـ

سنة تسع عشرة وستمائة

فيها ظهر بالشام جراد عظيم لم ير مثله فأكل الزرع والشجر والشعر، فإظهار الملك المعظم ان ببلاد العجم طير يقال له السمرمير يأكل الجراد، فأرسل الصدر البكري محتسب دمشق، ورتب معه صوفية، وكان قصده ارسال البكري الى جلال الدين خوارزم شاه يتفق معه لما بلغه اتفاق الملك الكامل والاشرف عليه، فاجتمع البكري بخوارزم شاه وقرر معه الامور، وجعله سندا له^(١)، وكان الجراد قد قل فلما عاد البكري بالسمرمير كثر الجراد.

وحج الملك المسعود^(٢) بن الملك الكامل من اليمن، فجاء الى الجبل وقد لبس اصحابه السلاح، فمنع علم الخليفة ان يصعد الجبل، واصعد علم الملك الكامل وعلمه، وقال لاصحابه: ان اطلع البيغادة^(٣) علم الخليفة فاكسروه وانهبوهم، ووقف تحت الجبل من

(١) انظر ايضاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٢٣/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٩٩. كانت هذه نقطة تحول مهمة في العلاقات (الايوية - الايوية)، حيث تم الاستعانة بقسوى اجنبية في الصراع الاسرى، وبالمقابل فإن اخوه الملك الكامل سوف يتفق مع الامبراطور فردريك الثاني امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة لتحقيق نوع من التوازن مع اخيه الملك المعظم وحليفه الخوارزمي، وقد ترتبت عليها نتائج خطيرة حيث تنازل الملك الكامل للامبراطور عن القدس مقابل ذلك التحالف سنة (٦٢٦هـ)، وسوف يرد ذلك لاحقاً.

(٢) يوسف بن محمد بن ابي بكر بن ايوب بن شاذي، الملك المسعود، المعروف باقسي، الملقب أطسز، تولى حكم اليمن سنة (٦١٢هـ)، وتوفي سنة (٦٢٦هـ). ورد ترجمته في: مرآة الزمان، ٦٢٤/٨، ٦٥٨ - ٦٥٩، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٩٩ - ٢٠٠، ٢٣٨، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤٣/٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢١/٤ - ١٢٥، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢٢٧/٢ - ٢٢٨، ٢٤١، ابن الوردي، تمة المختصر، ٢٠٧/٢، ٢١٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٠٥ - ١٠٦، ١٣٤، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٣٧، ٢١٣، تمة المختصر، ٢٠٧/٢، ٢١٧، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٦٢ - ٣٦٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٢٠/٥.

(٣) البيغادة، ويقصد بهم اهل بغداد. وقد وردت في الاصل بصيغة (البيغادة)

الظهري الى غروب الشمس يضربون الكوسات، وينادون بالثارات ابن المقدم^(١)، فارسل ابن ابي فراس اياه، وكان شيخاً كبيراً الى الملك المسعود، فلاحظه واخبره بما يجب من طاعة الخليفة، فاذن لهم في صعود العلم قبل غروب الشمس، وبدأ منه [١٠٨-أ] في تلك السنة جبروت عظيم، بحيث رقى على قبة زمزم ورمى حمام مكة بالبندق^(٢)، وغلمايه في المعى يضربون الناس بالسيوف في ارجلهم، ويقولون لهم: اسعوا سريع، واقتسيس نائم في دار السلطنة سكران^(٣).

وفيها نقل الملك العادل من القلعة الى مدرسته التي بناها عند دار العقريقي. عدنا الى حديث السلطان جلال الدين، ولما وصل في هزيمته من جنكيزخان الى حافة السند، وقد سدت دونه المهارب، واحاطت به النوايب، ووراءه السيوف البواتر، وقدامه البحر الزاخر، فرفس فرسه في الماء على انه يموت غريق اذا لم يجد له الى النجاة طريق، فعبر به ذلك النهر العظيم لطفاً من الله، ويخلص الى تلك الجهة زهاء اربعة الف رجل من عسكريه حفاة عراة، كانهم بعثوا من القبور، وثلاث مائة فارس تقدموا جلال الدين بعد بعد العبور ثلاثة ايام، ثم وصل اليه الجمال الزراد^(٤) بمركب من بعض الجهات فيه مأكول وملبوس، فوقع ذلك عند جلال الدين موقعا عظيماً.

(١) يقصد به الامير شمس الدين محمد بن عبدالملك المعروف بابن المقدم، أمير الحاج الشامي الذي قتل يوم عرفة سنة (٥٨٣هـ) من قبل أمير الحاج العراقي طاشتكين، الذي اغاضه ماكان عليه الركب الشامي، ومنعهم من رفع علم السلطان صلاح الدين على جبل عرفة بالموقف. ابو شامة، الروضتين، ٣/٢٧٤-٢٧٥. وقد اشير الى الحوادث في موضع سابق ضمن احداث سنة (٥٨٣هـ).

(٢) البندق، ويسمى ايضاً ((الجلاهق)) وهي كرات من الرصاص، وسميت به ايضاً قوس البندق لاطلاق كرات الرصاص، وفي وسط وتر القوس هناك الجوزة وهي قطعة دائرة توضع فيها البندق عند الرمي. مصطلحات صح الاعشى، ص ٦٨.

(٣) وقد اشادت المصادر الى انجازاته رغم ما عرف به من العسف، فمثلاً قمع الخوارج وأمن الحاج في مكة، وبنى القبة التي على المقام، وكان الناس بمكة في ايام دولتهم في أمن ورفاه انظر: ابو شامة، الدليل على الروضتين، ص ٢٣٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٣٤.

(٤) كان الجمال يتولى الزردخاناة الجلالية، ((وقد انتبذ قبل الوقعة بما كانت تحويه يده من خالص ماله الى بعض الجهات)) فوصل اذ ذلك بمركب تحوي مايتاجونه، فانعم عليه جلال الدين وولاه استاذ الدارية. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٦١.

ولما علم (زانه شتره)^(١) صاحب جبل الجودي^(٢) ان جلال الدين وصل الى طرف بلاده مكسوراً، ولم يبق معه من الخيل الا يسيراً طبله في زهاء الف فارس وخمسة الف راجل، فيبلغ ذلك جلال الدين، فعظم عليه الحال، اذ معه من الجرحى من اصحابه من لا يقدر على الحركة، ان رام الهروب، وعلم ان الهنود ان ظفروا بهم جعلوهم مثلة لمن اعتبر، فنجفل من مكانه، وأمر من معه ان كل جريح يقدر على الحركة فيصحبهم، ومن انكر ان يحمل والاتحز رأسه، ففعلوا ذلك، وسار عازماً على ان يعبر نهر السند فيختفي بمن معه في بعض الغياض والآجام [١٠٨-ب] فيعيشوا بما ينال ايديهم من الغارات، واعتقد الهنود انهم من التاتار، فتقدم الرحالة، وتأخر جلال الدين عنهم بمن معه من اصحاب الخيل على رسم اليزك، فتقدم ملك الهند بمن معه، فلما رأى جلال الدين حمل عليه بنفسه وجيشه، فوقف جلال الدين الى ان قاربه، فرماه بسهم فما اخطأ صدره، فخر الى الارض ميتاً وانهزم عسكره، وكسب جلال الدين خيله وعدته وامواله.

ولما استراح جلال الدين واصحابه بما حصل في ايديهم من الهنود، وبرد بعض ما عندهم من حرارة الكبود، فرحل الى سجستان^(٣) وبها (قصر الدين)^(٤) والي من جهة قباچه^(٥)، فسلمها اليه، فأخذ ماكان بها من المال، وارضى به من معه من الرجال، ثم رحل منها الى اوجا^(٦)، فحاصرها اياماً وصالحوه على مال حملوه اليه ورحل منها الى خانسر^(٧)، فحضر صاحبها الى الخدمة طائعا، واقام بها جلال الدين فأتاه الخبر بان شمس

(١) هو قباچه حاكم احدى المقاطعات الهندية مما يلي السند. انظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٦٣ - ١٦٩.

(٢) جبل الجودي، لم اعثر على تعريف محدد له. ويبدو من سياق الحديث انه جبل على الجانب الشرقي من نهر السند.

(٣) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة، بينها وبين هراة ثمانون فرسخاً، وتقع جنوبي هراة. ياقوت، معجم البلدان، ٣/١٩٠.

(٤) (قصر الدين)، لدى: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٦٢.

(٥) اضاف النسوي: (بدبديبة وساقون). انظر: سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٦٢.

(٦) في سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٦٣، (اوجاهي) وهي من المدن التي كانت خاضعة لحكم قباچه.

(٧) خانسر: يبدو انها خانسار، التي هي من قرى جربا ذقان القريبة من همذان، ياقوت، معجم البلدان، ٢/١١٨، ٣٤٠.

الدين ايلتمش^(١) قاصده في ثلاثين الف فارس ومائة الف راجل وثلاث مائة فيل، فسار جلال الدين نحوه تجلداً، وقدم امامه جهان بهلوان ازبك وسار، فخالفه يزك شمس الدين في الطريق ولقي ازبك عسكر شمس الدين فهجم على جماعة منهم، فقتل وجرح، وحضر الى جلال الدين من اعلمه بذلك الجمع الكبير، ووصل عقيب ذلك رسول شمس الدين ايلتمش في طلب الصلح، ويقول: ليس يخفى على ماوراءك من عدو الدين، وانت اليوم سلطان المسلمين وابن سلطانها، وما أرى ان اكون عوناً عليك، وان رأيت ان ازوجك ابنتي، فمال جلال الدين الى ذلك، وسير مع رسوله نفرين من اصحابه، قطاب لهما المقام عنده، واختاره [١٠٩-١] عليه، ثم ترادفت الاخبار بان ايلتمش وقباجة وسائر ملوك الهند قد اتفقوا على جلال الدين بان يمسكوا عليه حافة ماء ضجنير^(٢)، فعظم عليه ذلك، فاستناب جهان بهلوان على ما تملكه من بلاد الهند، وسار الى العراق، وسيأتي ذلك في موضعه.

(١) كان شمس الدين ايلتمش احد المماليك الترك في الدولة الغورية، وقد سار الى بلاد الهند بعد سقوط هذه الدولة، ونجح في تأسيس امارة في الجزء الشمالي من هذه البلاد، وقد حكم مدينة دهلي من سنة (٦٠٨ - ٦٣٤هـ). النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٦٥، هامش (١).

(٢) ضجنير: من الانهر القريبة من سيسان. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٦٧ - ١٦٨.

٦٢٠ هـ

سنة عشرون وستمانة

فيها عاد الملك الاشرف من مصر الى الشام قاصداً الى الشرق، فالتقى الملك المعظم، وعرض عليه النزول بالقلعة فابا، ونزل بجوسق^(١) ابيه.

وبدت الوحشة بين الاخوة الكامل والاشرف والمعظم، واصبح الملك الاشرف وقت السحر، ساق ونزل ضمير^(٢)، ولم يعلم الملك المعظم برحيله، وسار مجدداً في سيره الى حران.

وكان قد استناب اخاه شهاب الدين غازي على خلاط، وجعله ولي عهده، ومكنه في جميع بلاده، فسولت له نفسه العصيان، واعانه على ذلك قوم اخرون، وهم مظفر الدين بن زين الدين^(٣) والملك المعظم وصاحب ماردين^(٤)، وقالوا نحن من ورائك^(٥).

وسار الملك الاشرف الى سنجار، وكتب الى اخيه شهاب الدين غازي يطبله، فامتنع عن المجئ، فكتب اليه ياخي: بالله لا تفعل، انت ولي عهدي، والبلاد لك، والخزائن بحكمك، فلا تخرب بيتك بيدك، وتسمع كلام الاعداء، فاطهر العصيان، فجمع الملك الاشرف عساكر الشرق وحلب وتجهز الى قصد خلاط.

(١) الجوسق: القصر الصغير. ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ١/٤٧١.

(٢) ضمير: موضع قرب دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٣/٦٣٤.

(٣) حاكم اربل.

(٤) هو الملك المنصور ناصر الدين ارتق ارسلان. لين بول، طبقات سلاطين الاسلام، ص ٣٥٣-٣٥٤.

(٥) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٦٢٥، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٠٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/١٢٧-١٢٨، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٢٧-٢٢٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٠٧، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢١٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢٥٥.

وكان الملك المجاهد صاحب حمص قد مال الى الملك الاشرف، فسار الملك المعظم الى حمص، ووصل حماة، ونزل على نقرين^(١) باتفاق كان بينه وبين صاحبها، فلم ينزل، ولا فتح له باب، فاقطع بلاد [١٠٩-ب] حماة، وعاد الى حمص. ونزل عليها محاصراً لها، فخرج عليه عسكر حمص، فظهروا عليه ونهبوا بعض اطراف عسكره، فعاد الى دمشق ولم يظفر بطائل. وفيها توفي الامير مبارز الدين سنقر الحلبي^(٢)، وكان له المواقف المشهورة مع صلاح الدين، وكان مشهوراً بالكرم والشجاعة والخيل الملاح، دفن بقاسيون في رأس درب شبل الدولة مما يلي الجبل عند المصيخ. وفيها توفي الشيخ الامام موفق^(٣) الدين عبدالله بن احمد بن قدامة المقدسي، ولد بجماعيل^(٤) سنة احد واربعين وخمس مائة، وصنف المصنفات الحسان، وكان اماماً في التفسير والفقه والحديث، ولم يكن في زمانه بعد الشيخ ابي عمر اخيه ازهد منه، وكان كثير الحياء هيناً لينا متواضعاً، محباً للمساكين، حسن الاخلاق، جواداً سخياً من رآه كأنما رأى بعض الصحابة، وكان النور يخرج من وجهه، توفي يوم الفطر ودفن بقاسيون. وفيها توفي الامام فخر الدين بن عساكر^(٥)، وهو ابن اخي الحافظ صاحب التاريخ

- (١) نقرين: قرية على باب حماة. ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٠٢.
- (٢) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي مرآة الزمان، ٦٢٦/٨ - ٦٢٧، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٠٣ - ٢٠٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ٩٣/٥.
- (٣) ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٢٧/٨ - ٦٣٠، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢١١ - ٢١٤، الذهبي، دول الاسلام، ١٢٤/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٧/١٣ - ١٠٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٥٧/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٨٨/٥ - ٩٢، حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٢١/٦.
- (٤) في الاصل: (بجماعين) والصواب ما اثبتناه وجماعيل: قرية في جبل نابلس بفلسطين. ياقوت، معجم البلدان، ١٥٩/٢.
- (٥) هو عبدالرحمن بن محمد بن الحسن الملقب بفخر الدين وكنيته ابو منصور، وهو ابن اخ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق، ولد سنة (٥٥٠هـ). ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، الكامل، ٤١٨/١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٣٠/٨ - ٦٣١، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٠٦ - ٢١١، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٩/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٥٦/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٩٢/٥ - ٩٣.

درس بالجاروخية^(١)، والصلاحية^(٢) بالقدس، وكان زاهداً عابداً وله مصنقات كثيرة من الكتب، وكان امام الشافعية بدمشق ودفن على الشرف القبلي الاعلى عند مقابر الصوفية رحمه الله عليه.

[وفاة عز الدين مظفر بن القلانسي]

وفيها توفي عز الدين مظفر بن المؤيد بن القلانسي دمشقي^(٣)، من رؤساء دمشق، وكان من اصحاب الشيخ تاج الدين الكندي، سمع الحديث، وكان محباً للعلماء كيساً متواضعاً [١١٠-أ].

(١) الجاروخية: احدى مدارس دمشق بناها جاروخ التركماني الملقب بسيف الدين. النعمي، المدارس في تاريخ المدارس، ١٦٩/١.

(٢) الصلاحية: هي المدرسة التي أكمل بناها السلطان صلاح الدين في القدس ونسبت اليه النعمي، المدارس في تاريخ المدارس، ٢٥٠/١.

(٣) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٣٢/٨، ابو شامة، الذيل على الروضين، ص ٢٠٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٠/١٣.

﴿ ٦٢١ هـ ﴾

سنة احدى وعشرين وستمائة

فيها قصد الملك الاشرف خلاط لينزعها من يد اخيه شهاب الدين غازي، وكان قد حشد^(١) واستخدم، فقاتل قتالاً عظيماً، وكان اهل خلاط يحبون^(٢) الملك الاشرف وكان شهاب الدين غازي يقاتل من باب، وقد اطلعوا اهل خلاط صنالحق الملك الاشرف من باب اخر على السور، وصاحوا : الملك الاشرف يامنصور، فصعد شهاب الدين غازي الى القلعة، فاقام يومين^(٣)، ثم نزل الى اخيه، فقال له: انت مالك ذنب^(٤)، وانا اعلم ان كل هذه الامور من مظفر الدين صاحب اربل.

(١) كان مع الملك الاشرف عسكر حلب وعساكر الجزيرة وعسكر الموصل. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٤٠/٤.

(٢) كان اهل خلاط يحبون الملك الاشرف ويختارون دولته لحسن سيرته فيهم، بالمقارنة مع اخيه غازي الذي عرف بسوء السيرة. ابن الاثير، الكامل، ٤٢٢/١٢.

(٣) سلم اهل خلاط المدينة للملك الاشرف يوم الاثنين ثاني عشر جمادي الاخرة، وبقي غازي عاصياً في القلعة، فلما جت الليل نزل الى اخيه معتذراً فقبل اعتذاره. ابن الاثير، الكامل، ٤٢٢/١٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٢/١٣.

(٤) لم يعاقبه الملك الأشرف وإنما عاتبه، واخذ منه البلاد التي كان قد اقطعها اياه مثل خلاط وجميع أعمال ارمينية وحاني وجبل جور، وابقى عليه مياقارقين. الكامل، ٤٢١/١٢ - ٤٢٢، فالمعروف عن الايوبيين الكوررد انهم لم يلوثوا ايديهم بدماء بعضهم البعض من اجل السلطنة والحكم حتى ذلك التاريخ وبعدها يعقدين من الزمان، رغم الخلافات التي كانت قائمة بينهم: ((وهذه مكرومة للبيت الايوبي لم يكن مثلها لاحد من الملوك قبلهم، فانه من كان قبلهم، وخصوصاً آل سلجوق، كان اذا ظفر أحد منهم بأخيه او ابن عمه الخارج عليه لا يقيه اصلاً، بل إما ان يوسطه بالسيف أو يخنقه بوتر القوس، واحسن احواله أن يعتقله ويضيق عليه الى ان يموت كمداء)) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٤٠/٤.

وكان مظفر الدين لما توجه الملك الاشرف الى خلاط، سحب معه جميع عسكر الموصل، فحصل لمظفر الدين الطمع فيها^(١) لخلوها من عسكرها، وكاتبه جماعة من اعيانها، فطلع بعساكره من اربل، ونزل على الموصل ظناً منه ان الملك الاشرف يشتغل بحديث خلاط وتطول مدته بها، فينال مظفر الدين القرص من الموصل، فغلق بدر الدين لؤلؤ ابوابها، وقاتله داخل السور بمن بقي عنده من خواصه والعامه، وكان اهل الموصل لما كاتبوا مظفر الدين حلفوا له: ان يوم تقبل على الموصل نمسك بدر الدين برقبته ونسلمه اليك ونفتح ابواب الموصل، فلم يعمل من ذلك شيئاً، ودام على الموصل الى ان بلغه ان الملك الاشرف تسلم خلاط من شهاب الدين غازي فحصل عند مظفر الدين من ذلك المقيم المقعد، وعاد مظفر الدين الى اربل على غير ما كان يظن، وحصل عنده الهم العظيم، ولما نزل صاحب اربل على الموصل كان باتفاق الملك المعظم عيسى.

وخرج الملك المعظم [١١٠-ب] من دمشق بعساكره، ونزل على القطنه^(٢). فلما بلغه تسليم خلاط ورجوع مظفر الدين عن الموصل الى اربل، دخل الملك المعظم الى دمشق بعساكره على غير الاستواء.

واما الملك الاشرف فانه اقام باخلاط ثلاثة ايام، ثم سلمها الى الامير عزالدين ايبك استاذ داره، والى الحاجب علي، ونزل الى رأس العين، وعاد شهاب الدين غازي الى ميفارقين مريضاً من جراحات كانت اصابته.

وفيها بعث الملك المعظم ولده الملك الناصر داود الى اربل^(٣)، وعبر الفرات على الحديثة، وصحبته عز الدين ايبك استاذ الدار وركن الدين الفلكي عادوا عنه من الحديثة، فوصل اربل فوجد مظفر الدين صاحبها قد تقنطر به فرس في الصيد،

(١) كان مظفر الدين يبغض بدر الدين لؤلؤ ويعاديه لانه انهى حكم الاتابكة في الموصل، واخضع ولدي الملك القاهر، وهما ابنا بنت مظفر الدين التي هي من ربيعة خاتون اخت الملك العادل بن ايوب، وانتزع من زوج ابنته الاخرى عماد الدين زنكي بن نور الدين بلاده، لذلك تجهز وقصد الموصل. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٣٧/٤ - ١٣٨.

(٢) القطنه: من قرى دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٣٧٤/٤.

(٣) كان الملك المعظم يريد ان يكون تحالفاً يضم مظفر الدين بن زين الدين حاكم اربل، والسultan اخوارزمي جلال الدين منكبرتي لمواجهة اتفاق وتحالف اخويه الملك الكامل والملك الاشرف ضده. للزيادة انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٣٢/٨ - ٦٣٣، ابو شامة، الدليل على الروضتين، ص ٢١٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٤٢/٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٢/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٥٧/٦، في الوقت الذي ينفرد فيه ابو الفضائل بذكر رواية مفادها، ان تلك الزيارة كانت بطلب من مظفر الدين بهدف تأكيد المودة بين الطرفين، ولانه قال: ((اريد اجعله ولي عهدي)) ابو الفضائل، التاريخ المنصوري، ص ١١٠.

اربل فوجد مظفر الدين صاحبها قد تقنطر به فرس في الصيد، فانكسرت رجله، فلم يقدر على الركوب للمتنى الناصر، فدخل الناصر اليه فبشر به، وكرمه غاية اكرام وانزله بقلعة اربل ورتب له ولن قدم معه مايليق بمثله. واقطعه يشندر^(١).

واستولى بدر الدين لؤلؤ على الموصل^(٢)، بقوة ظهره من الملك الاشرف.

وفيهما قدم الملك المسعود اقسيس من اليمن الى خدمة ابيه بالديار المصرية، وكان ذا همة عالية، وخرج الملك الكامل الى لقائه، وكان معه ثلاثة افيلة، احدهم عليه سرير ابنوس يسع عشرة انفس يقعدوا عليه، ويقااتلوا وفيالة راكب على رقبته وبيده كلاب حديد يصرفه كيف اراد به، فلما قربوا من الملك الكامل امرهم الفيانون الذي لهم، فكبوا ووضعوا روؤسهم الى الارض خدمة للملك الكامل، وكان في الهدية التي قدمها لابيه [١١١-١] مائتا خادم واحمال من العود^(٣) والند^(٤) والمسك^(٥) والعنبر^(٦) وتحف اليمن.

وفيهما بنى الملك الكامل دار الحديث التي بين القصرين.

عدنا الى حديث السلطان جلال الدين خوارزم شاه، ولما عاد من الهند الى كرمان قاسى هو ومن معه من الشدائد والتعب في البراري التي بين الهند وكرمان، فكان الرجل منهم يتنفس عند هبوب السموم تنفس المحموم، فلم يزل على هذا التعب الى ان وصل الى كرمان في اربعة الف، فيهم من هو راكب البقر والحمر، وكان بها براق الحاجب ينوب عن

(١) يشندر: منطقة واسعة تقع في اقليم كردستان العراق، وتبع محافظة السليمانية، ومركزها قلعة دز، وترتبط بها الآن اكثر من خمسمائة قرية، وتحدها من الشرق الحدود الايرانية وجبل بلفت، ومن الشمال جبل قنديل، ومن الجنوب جبل آسوس، ومن الغرب دربند وجبل كيودهوش، ويجري بين الأخير وجبل آسوس نهر الزاب الصغير.

(٢) كان الامير بدر الدين لؤلؤ المتحكم في دولته، قد أمر بخنقه واطهر انه مات، امر شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢١٤، الذهبي، دول الاسلام، ١٢٥/٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٥٧/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٩٤/٥.

(٣) العود: نوع من الطيب يتبخر به. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٦٣٥/٢.

(٤) الند: من النبات يتبخر بعوده. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٩١٠/٢.

(٥) المسك: نوع من الطيب يتخذ من ضرب الغزلان. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٨٦٩/٢.

(٦) العنبر: مادة صلبة ليس لها طعم او رائحة الا اذا سحقته او حرقته. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٦٣٠/٢.

اخيه غياث الدين، فاقام جلال الدين بها اياماً ثم رحل الى شيراز^(١) وورد عليه الاتابك علاء الدولة صاحب يزد^(٢) مدعياً له بالطاعة، فرحاً بقدومه، واحضر من التقدم والخدم ماغمر به منزله، وكان الاتابك سعد صاحب فارس قد استوحش من اخيه غياث الدين، فرغب جلال الدين في اصلاحه لنفسه، وخطب ابنته فاجاب الى ذلك، فاستظهر جلال الدين بمصاهرته، ثم رحل من شيراز الى اصفهان، فخرج اليه القاضي ركن الدين مسعود بن صاعد، والتقاء، وخرجوا اليه اعيان اصفهان، واخرجوا له الخيل والعهد والمال والملبوس وفرحوا بمقدمه.

ولما بلغ غياث الدين تواسطه البلاد، ركب اليه في ثلاثين الف فارس ليطرده عن البلاد، فرجع جلال الدين حين بلغه ذلك ايساً مما كان يؤمل وسير أمير اخوره الى غياث الدين يقول: إن الذي قاسيته بعد السلطان من الشدائد والهوان لو عرضت على العجال لاشفقن ان يحملنها، واستثقلنها وحين ضاقت علي الارض بمارحبت، قصدتك لاستريح عندك اياماً حيث [١١١- ب] علمت ان ليس عندك للضيف الا السيف رجعت، ومن التدم ملان، وسير اليه (قلب) تولى خان بن جنكيزخان وفرسه وسيفه، وكان قد قتل في المصاف ببيروان^(٣) على ماشرحناه، فلما سمع غياث الدين الرسالة، انصرف معطفاً الى الري، وعاد عما كان في عزمه من امر اخيه، وتفرقت عساكره في المصائف.

وكان جلال الدين قد سير صحبة رسوله عدة خواتيم وأمره بايصالها الى جماعة من الامراء السلطانية علامات لهم، فمنهم من تناول الخاتم وسكت، واجاب الى الانقطاع اليه والتقاعد عن اخيه غياث الدين، ومنهم من سارع بالخاتم الى غياث الدين، فعند ذلك أمر بالقبض على الرسول، فركب جلال الدين في ثلاثة الف فارس ضعاف^(٤)، وسار مسرعاً في

(١) شيراز: بلد مشهور وهو قبة بلاد فارس وتوسطها، بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً. معجم البلدان، ٣/٣٨٠.

(٢) يزد: مدينة بين نيسابور وشيراز واصفهان، وهي من اعمال فارس، ثم من كورة اصطخر، وبينها وبين شيراز سبعون فرسخاً. ياقوت، معجم البلدان، ٥/٤٣٥.

(٣) بيروان: وهي السهول التي تقع في الشمال الشرقي من مدينة غزنة، وعليها دارت معركة سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م بين السلطان جلال الدين منكبرتي والمغول، وحقق فيها السلطان انتصاراً مؤقتاً عليهم. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٦.

(٤) ثلاثة الف فارس ضعاف، يقصد بذلك كانوا على شجاعة تامة وقوة مضاعفة.

رجال حنكتهم التجارب وينبتهم النواذب، حتى اناخ بغياث الدين، فاعجله عن التاهب لقائه، فركب فرس النوبة^(١) الى سلوقان^(٢)، ودخل جلال الدين خيمته، وبها^(٣) والدة غياث الدين، فاستوفى لها ادب الحرمة وشروط التعظيم والخدمة، وانكر انزعاج غياث الدين وهربه، وقال: ما بقي لي من بني أبي سواه، وانا له فيما يميل اليه ويهواه.

[عودة غياث الدين وغيره من الخارجين الى الطاعة]

فسيرت اليه والدته بذلك، فعاد الى الخدمة، فعطف عليه السلطان وكرمه وحباه، فلم يمض الا ادنى مدة حتى حضر الى باب جلال الدين من كان بخراسان والعراق ومازندران من المتغلبين هيبة منه، فمنهم من اكرمه، واعيد الى مكانه، ومنهم من اذيق وبال طغيانه، وتفرقت الوزراء والعمال في الاطراف بالتواقيع^(٤) السلطانية فضبطوها. ولما تمكن جلال الدين من اخيه سار نحو خوزستان^(٥)، واقام بها، وسير رسولا^(٦) الى بغداد، وكانت [١١٢-١] رسالته تتضمن العنت والعتب^(٧)، فوصل بغداد فاحلوه محل الاكرام

(١) فرس النوبة: هي التي تربط قرب قصر السلطان يركب منها حين يريد الركوب. المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٦١، هامش (٢).

(٢) في الاصل: سولقان، قلعة تقع في ولاية كرمان. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٧٨.

(٣) في سيرة السلطان جلال الدين: وبها (بكلواي) والدة غياث الدين. ص ١٧٨.

(٤) التواقيع: يعني التوقيعات ورد تعريفها في موضع سابق.

(٥) خوزستان، ولاية واسعة تشمل نواحي الاهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لاصبهان: ياقوت معجم البلدان، ٤/٢، ص ٤٠٤.

(٦) كان الرسول ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود العارض النسوي. سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٩٢.

(٧) استعان الخليفة الناصر لدين الله العباسي بعلاء الدين تكش خوارزم شاه على عدوه طغرل بن الب ارسلان بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان اخر سلاطين السلاجقة في العراق، وقد اسفر الاشتباك بين تكش وطغرل قرب الري سنة (٥٩٠هـ) عن مقتل الاخير، فاراد الخوارزميون ان يخلوا محل السلاجقة في الهيمنة على الخلافة، وحاولوا الاستيلاء على بغداد. للزيادة انظر: ابن الاثير، الكامل، ٣١٧/١٢-٣١٨، النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٤٩-٥٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٨٢/٨-٥٨٣، ابو شامة، الدليل على الروضتين، ص ١٥٣-١٥٥، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢١١/٢-٢١٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٨٣/١٣.

والاحترام، وطال مقام الرسول ببغداد الى ان ملك السلطان مراغة^(١)، فأذن له في العود مكروماً معزوزاً، وقد افيض عليه من انعام الديوان العزيز ما ملأ به امله.

واما جلال الدين فانه لما اقبل الربيع رحل من اذربيجان، فوصل دقوواء فصعد اهلها السور وصرخوا له بالشتم واللعن، لما بلغهم انه قد شن الغارة على بلاد الديوان العزيز، فأغاضه ذلك، وأمر بالزحف عليها، فلم يكن الا لحة واحدة حتى صعدت الاعلام، وترادف الزحام، ووضعوا السيف في اهلها، والهتك والنهب والحريق.

ورحل الى اذربيجان، وسير الرسل والكتب الى ملوك الشام ومصر والروم والجزيرة، تتضمن اعلامهم بما ملك من البلاد والقلع، وما في حوزته من العساكر والاتباع، ثم ان السلطان رحل من مراغه نحو اوجان في ارض معشبة، ومياه جارية، وقد خرب التاتار مدينتها في مبدأ خروجهم، فأقام بها اياماً، والناس يمتارون^(٢) من تبريز^(٣)، وجاء من اهل تبريز من اطعمه في تملكها، فسار اليها، واحاط بها من كل صوب، فخرج اليه الرئيس نظام الدين ابن اخي شمس الدين الطغرثي، وكان بها بنت السلطان طغرل، فسيرت الى السلطان رسولاً تطلب الامان، فاحياها السلطان الى ذلك، وتسلم تبريز في سنة اثنتين وعشرين وستمائة^(٤).

(١) مراغة: بلدة مشهورة في اذربيجان. ياقوت، معجم البلدان، ٩٣/٥.

(٢) يمتارون: يتحركون. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٩٥، هامش (٥).

(٣) تبريز: اشهر مدن اذربيجان وعاصمتها. ياقوت، معجم البلدان، ١٣/٢.

(٤) على أثر مؤامرة دبوت ضده لتسليم تبريز الى اوزبك مستغلين بعده عنها وانشغاله بحرب الكرج، فدخلها واعدم رأس المؤامرة، ثم تزوج زوجة اوزبك ابنة السلطان طغرل. ابن الاثير، الكامل، ٤٣٦/١٢ - ٤٣٧.

٦٢٢ هـ

سنة اثنتين وعشرين وستمانه

فيها صلب الملك المعظم ابن الكعكي ورفيقاً له بدمشق منكسين على رؤوسهم، وكان ابن الكعكي رأس حرب، وبلغ الملك المعظم وهو بالترك ان ابن الكعكي، قال للملك الصالح اسماعيل وهو ببصرى: انا اخذ لك دمشق [١١٣- ب] فكتب الملك المعظم الى والي دمشق بصلبهم، واقاموا اياماً لا يجسر احد يطعمهم ولا يسقيهم فماتوا.

وفيها توفي الامام الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن الامام المستضيء بأمر الله امير المؤمنين، وبيوع لولده الامام الظاهر لدين الله ابو نصر محمد، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة، قيل له: الا تتسفع^(١)، قال: قد فات الزرع، فقيل له: يبارك الله في عمرك، فقال: من فتح دكاناً بعد العصر ايش يكسب، وكان محباً الى الناس، وفرق الاموال، وابطل المكوس، وازال المظالم، وكان الامام الناصر جياراً سفاكاً للدماء، بخيلاً مهييباً، وطال عمره وخلافته، وعمى في اخر عمره.

ولما وصل السلطان محمد خوارزم شاه الى همذان طالباً بخداد كاتب وزيره التتر وجسرهم على البلاد، وكتب الى خوارزم شاه كتاباً اوله:

أخاف على عمرو وللحرب سورة قدوم رجال لا اطيعق نها رداء

وكان السبب في خروج التتر المخذولين^(٢) على ما ذكرنا.

(١) لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٣٦/٨، (الا تفتح).

(٢) للزيادة والتفاصيل انظر: ابن الاثير، الكامل، ٤٤٠/١٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٩/٤، ١٧٠-١٧١، ابو الفدا، المختصر، ٢٣٢/٢، ابن الوردي، تنمة المختصر، ٢٩١/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٥/١٣، القرظي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢١٨.

وفيهما توفي سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر، اصلهم من البوزيج^(١)، وكان من اكبر امراء حلب، كثير الخير والصدقات والبر الوافر، وبنى بحلب مدرستين، شافعية وحنفية، وبنى الخانات^(٢) في الطرقات.

وفيهما توفي الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب، ولد بمصر سنة خمس وستين (وخمس مائة)^(٣)، وكان اكبر من العزيز عثمان والظاهر غازي، وكان فاضلاً شاعراً، حسن الخط، كتب الى الخليفة لما اتفق عليه الملك العادل واخوه الملك عثمان واخذوا منه دمشق^(٤) [١١٣-أ]

مولاي ان ابا بكر وصاحبه عثمان قد منعا بالسيف اراث علي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لقي من الاول

وكان ولي عهد ابيه بدمشق، فلما توفي صلاح الدين، قصده الملك العزيز اخوه والملك العادل، وحاصراه واخذها منه دمشق، واعطاها الملك العزيز للملك المعظم بن العادل،

(١) البوزيج: بلد قرب تكريت عند مصب الزاب الاسفل في نهر دجلة، وكانت من اعمال الموصل. ياقوت، معجم البلدان، ١/٣٠٥.

(٢) الخانات: وهي محطات استراحة المسافرين، واشبه ماتكون بالفنادق في الوقت الحاضر، وان ظهورها كانت من مظاهر الاهتمام بالتجارة وطرق المواصلات. للزيادة عنها انظر: الهسنياني، سنجار دراسة في تاريخها السياسي والحضاري من (٥٢١-٦٠٠هـ/١١٢٧-١٢٦١م)، ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) ما بين الحاصرتين غير واردة في الاصل وقد اضيفت لتستقيم المعنى.

(٤) كان ذلك سنة (٥٨٩هـ)، واصبح الملك العادل نائب ابن اخيه الملك العزيز في دمشق منتظراً الفرصة المناسبة للانفراد بالحكم وتولي السلطنة. للزيادة انظر: ابن الاثير، الكامل، ١٢/١٠٩-١١٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٤٣٥-٤٣٦، ٤٤١-٤٤٣، ابو شامة، الروضتين، ٤/٢٥٢-٢٥٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/١٤-١٥، ٢٧-٣٦، ابو الفداء، المختصر، ٢/١٧٤-١٧٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٠.

واعتقل الملك الافضل بقلعة صرخد^(١) الى ان توفي الملك العزيز عثمان^(٢) ، وتولى بعده ولده الملك المنصور، وكان صغيراً فاتفق رأى الامراء ان اخذ الملك الافضل من الاعتقال، وجعلوه ولي عهد المنصور، وتوفي الملك المنصور^(٣) ، فاستقام الامر للملك الافضل مدة، ثم نزل يحاصر دمشق^(٤) ، هو والملك الظاهر اخوه، والملك المجاهد صاحب حمص.

وكان فخرالدين جهاركس مملوك ابيه يكرهه، فميل المائيك الصلاحية عنه، ومائوا الى الملك العادل، وكذلك الامير حسام الدين ابو الهيجاء السمين توجه الى الملك العادل، وفارق الملك الظاهر من ظاهر دمشق، وسار الى حلب، واعرضت الامراء عنه، فرحل عن دمشق طالباً الديار المصرية، والملك العادل في اثره حتى ضرب معه مصاف بالسائح^(٥) ، فكسره الملك العادل، وانهزم الى القاهرة، ويحكى عن سيرته، انه كان يحب مملوكاً له يدعى الزيتوني^(٦) ، وان الملك العادل اسره يوم السائح، فعدم الملك الافضل عقله عليه، فكتب الملك العادل ان يرده اليه، ويسلم اليه الديار المصرية، فقال الشاعر في ذلك [١١٣-ب]

(١) لم يعتقل في صرخد، وانما انتقل اليها بعد ان تنازل عن دمشق لاختيه الملك بموجب الاتفاق الذي حصل بينهم. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٤٢/٨، ابو شامة، الروضتين، ٢٥٣/٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ٦٧/٣، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٤٢.

(٢) كان وفاته سنة (٥٩٥ هـ). ابن الاثير، الكامل، ١٤٠/١٢، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٢٠/٢، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٤٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ص ١١٤-١١٩.

(٣) هو الملك المنصور ناصر الدين محمد كان تقدير عمره عند وفاة والده عشر سنين. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٢٠/٢، وقطع الملك العادل خطبته واستقل بحكم مصر سنة (٥٩٦ هـ)، وخاف ان يجتمع عليه شيعة ابيه، لذلك اخرجه من مصر سنة (٥٩٨ هـ) مع جميع افراد أسرته ومن يختصه الى الرها. ابن الاثير، الكامل، ١٨٤/١٢.

(٤) كان ذلك سنة (٥٩٧ هـ). ابن الاثير، الكامل، ١٦٠/١٢-١٦٣، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٢.

(٥) السائح: هي اخر منزلة من بلاد الشام لمن يريد مصر. ابن الاثير، الكامل، ١٥٥/١٢، وتقع على يسار المتوجه الى مصر. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٩/١.

(٦) المصادر تثني كثيراً على الملك الافضل بخلاف ما هو وارد هنا، فقد ورد ترجمته لدى: ابن الاثير، ((كان من محاسن الزمان، لم يكن في الملوك مثله، كان خيراً عادلاً فاضلاً حليماً كريماً... وبالجملة، فاجتمع فيه من الفضائل والناقب ماتفرق في كثير من الملوك... ومات بموته كل فعل جليل)). الكامل، ٤٢٨/١٢-٤٢٩، وللزيادة عن فضائله ومؤهلاته انظر ايضاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٣٧/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢١٩-٢٢٠، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٩٩/٢-٢٠٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٥٥/٤-١٥٨، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص ٢٥٦-٢٦٥.

يا بائعاً ملك مصر بنسنة الزيتوني

اقسمت انك بحسن والتين والزيتوني

فسيره اليه، وسلم الديار المصرية الى الملك العادل، واعطاه سميصات، وتوفي بها، فنقل الى حلب ودفن بظاهرها.

وفيهما على ما ذكرنا، تسلم السلطان جلال الدين خوارزم شاه تيريز من بنت السلطان طفعل، وعوضها حوى^(١)، ونزل السلطان بدار السلطنة في تيريز.

ولما بلغ الكرج^(٢) استيلاء جلال الدين على اذربيجان وتيريز، خافوا العاقبة، واجتمعوا بموضع يعرف بكربي^(٣) في ستين الفاً، فلما بلغ السلطان اجتماعهم، سار اليهم فيمن حضر من عسكره، لانه قد تفرق اكثرهم الى اقطاعاتهم بالعراق وغيرها، فحين وصل الى شاطئ نهر اراس^(٤)، وجد يزكه واقفاً ومخيراً ان العدو في كثرة، فكان جوابه ان رمى بفرسه في النهر ورفسه، ورمى به المخاض وتبعه العسكر، فلما وصل الى كربي ورأى الكرج نزولاً على نشز عال، وهم في خلق لايجد كثرة، فصصف عسكره اطلاقاً، فلم ينزلوا الى لقائه، فلما غربت الشمس ضرب خركاه صغيره وراء القلب فبات فيها، وتقدم الى الخانات والامراء بتناوب السهر الى السحر، فلما اصبح والعدو على حاله لم يتحرك، فساق السلطان صاعداً اليهم، وتحركت لحرركته الاطلاق، كما نفضت جناحها العقاب، وتبادرت الميسرة في الصعود، وفيها اخوه غياث الدين.

فركب الكرج اطلاقاً وثاروا الى لقائه، واصطدمت الاطلاق وغشي الجو سحب الغار والنشاب، واختلط المسلم [١١٤-أ] بالكافر، والفارس بالراجل، وضايقتهم الاطلاق السلطانية والعساكر الاسلامية، فولوا هاربين والى قنن النجبال صاعدين والسيوف ضرباً في

(١) حوى: مدينة مشهورة من اعمال اذربيجان. ياقوت، معجم البلدان، ٤٠٨/٢.

(٢) الكرج: وهم قوم من النصارى كانوا يسكنون في جبل القيق وبلد السرير، فقويت شوكتهم؛ حتى ملكوا مدينة تفليس. ياقوت، معجم البلدان، ٤٤٦/٤.

(٣) كربي: موضع في اذربيجان على حدود زوزن. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٩٧.

(٤) هو نهر اراس يصب في بحر قزوين بعد ان يمر بصحراء بلاشجان. ياقوت، معجم البلدان، ٤٤/٣، ويبلغ طوله اكثر من الف كيلومتر، المدور: الارمن عبر التاريخ، ص ٧٢.

ظهورهم، وقد ايقنوا ببعثهم ونشورهم، ووجد على الارض منهم اربعة الف قتيل، ووقف السلطان على تل، والاسرى يقاد اليه من كل ناحية، واقام راكبا الى ان عادت العساكر من خلفهم بالكسب والاسرى، وضرب له خركاه ونزل بها، فما كان يصل اليه الا من يدوس جثث القتلى، وحكى شمس الدين القمي وكان حاجب اتابك اذربك، قال: ارسلني صاحبي الى الكرج ايام استيلاهم فحاشني ملكهم شلوة في الكلام، وقال: وددت ان يكون علي بن ابي طالب باقيا في زماني لثريه من سطواتي ما انسيه يومي بدر وخير، فلما كسروا ذلك اليوم لطخ وجهه بالدم ونام بين القتلى، فاخرجه ابن دايدة غياث الدين واحضروه الى السلطان مكتوفاً، فكذبه الله فيما دعاه، فأمنه السلطان ولم يستعجل في قتله، وساق الى مدينة روين^(١) فزحف عليها وفتحها للوقت، ثم امر القاضي ان يضرد من بها من المسلمين، وحصل للمسلمين منها اموالاً ومكاسب وجوار وممالك واسرى.

ووصل صاحب سرمارى^(٢) الى الخدمة، فانعم عليهما وكتب لهما توقيعا بتقرير ماكان عليهما، وبث سراياه الى اخر بلاد ابخاز^(٣)، وفي نفسه قصد تفليس^(٤)، ثم بلغه من تبريز، فتوجه فاصداً اليها، بعد ان جرد اليمنة في بلاد الكرج، وصاحب سرمارى معهم، فشرعوا في شن الغارات متصلاً على بلاد الكرج الى ان اخلوها من الغنائم واخربوها بتواتر النهب والخراب [١١٤-ب] ورخصت الممالك الكرجية، حتى ان الملوك منها يباع بدينارين او ثلاثة.

(١) الصواب هي (روين دز) احدى القلاع القريبة من اردبيل التي هي احدى مدن اذربيجان، بينها وبين تبريز سبعة ايام. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، هامش رقم (٢)، ص ٢٣، هامش رقم (١)، هامش (٢)، ص ٢٦٤ و ص ٢٢٢.

(٢) سرمارى: ولاية واسعة وقلعة حصينة بين تفليس وخراسان. ياقوت، معجم البلدان، ٢١٥/٣.

(٣) ابخاز: اسم ناحية من جبل القبق المتصل باباب الابواب، صعبة المسالك وعرة لا مجال للخيل ليها يسكنها الكرج، ياقوت: معجم البلدان، ٦٤/١. وهي جورجيا الحالية. للزيادة عنها انظر: بارتولد، دائرة المعارف الاسلامية ٢٠/١ - ٢٣.

(٤) تفليس: بلد بارمنية الاولى ... وهي قصبه ناحية جرزان قرب باب الابواب، ياقوت، معجم البلدان، ٣٥/٢.

ولما استقر السلطان بتبريز، سير اورخان في جمع من عساكره الى كنجه^(١) فتسلمها، وتسلم الكور التي تنضاف اليها مثل بيلقان^(٢) وبرذعة^(٣) وشيز^(٤). ثم ركب السلطان بعد العيد لغزوة اخرى في الكرج، فعند وصوله الى نهر ارس، مسك لشلوة كتباً الى الكرج يعرفهم برحيل السلطان اليهم، وينذرهم ويحذرهم، فأمر به فوسط^(٥) على شاطئ النهر، وقاس السلطان وعسكره من الثلوج في ذلك الشتاء ببلاد الكرج شدة عظيمة، ولما وصل الى مروج تفليس جرد العساكر عن الاثقال واحاط بها، فوجدها حصينة متيعة، قد بنى معظم سورها على الجبال والسفبان، فتهاقت عوامها الى مصرع البوار، تهاقت الفراش في النار، واستجروهم الى ان انفصلوا عن جدار المدينة، فحملوا عليهم حملة كشفتهم عن رأس تل عاصم، وتزاحموا على العود، وسبقهم غياث الدين الى الباب وملك المدينة بهذه الحملة، وتحكمت السيوف في اهلها، وايدي في اموالها، وقتل من بها من الكرج والارمن، وتحصن الجند بالقلعة، ومن صفة تفليس انها بنيت على حافة نهر ارس بين جبال واودية والنهر يشق بين المدينة والقلعة وهو نهر لاتخاض، وكان بينهما جسر من خشب فاحرقوه، فعبر السلطان النهر في نهار واحد الى جهة القلعة، واحدق بالقلعة، وخرج رسول من بها يطلب الامان، فاجاب الى ذلك لهجوم الشتاء، وتسلم القلعة بما فيها من السلاح والذخائر والاموال التي يعجز عن [١١٥-١] حصرها، ورحل عنها وعساكره مثقله بماحوت ايديهم من كسب تفليس ووصل سرمارى.

(١) كنجه: مدينة مشهورة وهي قسبة بلاد اران. ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٤٨٢.

(٢) بيلقان: مدينة قرب باب الابواب في ارمينية الكبرى قرية من شيروان. ياقوت، معجم البلدان، ٥٣٣/١.

(٣) برذعة: بلد في اقصى اذربيجان، هناك من يجعلها عاصمة الاقليم. ياقوت، معجم البلدان، ٣٧٩/١.

(٤) شيز: احدى نواحي اذربيجان، وقصبتها ارمية. ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٣٨٣.

(٥) التوسط: وسط الشيء، بمعنى قطعه وجعله نصفين؛ ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١٠٣١/٢، احد انواع الاعدام وهو ان يعرى المحكوم من الثياب ثم يشد الى خشبة مطروحة على الارض ويضرب بالسيف تحت سرته ضربة قوية تقسم جسمه نصفين فتندلق امعاؤه على الارض. ابراهيم الكيلاني، مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة الايوبى والملوكى والعثماني، مجلة التراث العربي، دمشق العدد (٤٩) السنة ١٣، تشرين الاول، ١٩٩٢ م.

وسير العساكر صحبة الخانات، وامرهم بشن الغارات على خلاط واعمالها، فساروا وعادوا بعد ثلاثة ايام بغارات ضاقت بها الطرق.
وساق بنفسه صوب كرمان^(١) ركضاً في ليله ونهاره، كما قيل:

طوى فيه عرض البيد فوق قوائم توهمته منهن فوق قوادم

فتعب ولم يبلغ مقصوده من براق النائب بكرمان، لان المذكور كان متحزراً ومتحصناً، فلما علم السلطان بتحزره وتحصنه عاد ايماً خائباً، ووصل بعد ذلك الى تفليس، ورتب بها وببلاد الكرج جماعة من العساكر.

وسار بنفسه وعساكره نحو خلاط فلما وصلها ثار عليه العوام ومن بها من العساكر الشامية، فزحف عليهم زحفة انكشفت عن قتلى قد طرحوا واسرى قد جرحوا، وتزاحم الناس في دخولهم الى المدينة، بحيث دخل معهم بعض العسكر ورجعوا، وكان سبب رجوعهم ان السلطان انكر عليهم خوفاً من نهب البلد، فانه اعتقد انه ما يقف قدامه، وانه يأخذ بالامان ويحميه عن النهب والخراب، ويبقى نوابه به.

واما اهل خلاط، فانهم زعموا انهم اخرجوهم قهراً، واقام السلطان عليها اربعين يوماً^(٢)

فلما علم الكرج اشتغال السلطان بأمر خلاط، اتفقوا مع صاحب ارزن^(٣) على العسكر الذي بتفليس، وحشدوا وقصدوها فخرج من بها من الخوارزمية، فدخلوها الكرج

(١) كرمان: ولاية واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. ياقوت، معجم البلدان، ٤٥٤/٤.

(٢) عن حصار جلال الدين خلاط سنة (٦٢٢ هـ) انظر ايضاً: ابن الاثير، الكامل، ٤٥٤/١٢ - ٤٥٦، النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ص ٢١٤، ٢١٧.

(٣) ارزن: مدينة مشهورة من نواحي ارمينية قرب خلاط. ياقوت، معجم البلدان، ١٥٠/١. وقد اصبحت مركزاً لامارة ارزن الروم التي تأسست سنة (٤٦٤ هـ) واستمر حكمها اكثر من قرن. للزيادة انظر: محمد صالح طيب صادق، امارة ارضروم - دراسة سياسية، مجلة جامعة دهوك، مج ٥، العدد (١)، ٢٠٠٢م، ص ص ٨٣ - ٩٥.

واحرقوها لعلمهم [١١٥-ب] ان لا قدرة لهم بالمقام بها خوفاً من السلطان، فلما بلغ السلطان ركب من خلاط وساق نحو تفليس، ففاته الغرض. فسار نحو بلاد الايوانية^(١) لانهم كانوا يشنوا الغارات على البلاد السلطانية، فشن الغارات عليهم، واصرف همته اليهم فلم تخل من ذهاب نفوسهم واختطاف رؤوسهم، وساق مواشيهم الى موغان، فكان الخمس منها ثلاثين الفاً، ثم توجه نحو كنجة.

(١) بلاد الايوانية: وهي البلاد التي يسكنها جماعات من التركمان في اذربيجان ولذلك تنسب اليهم. ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/١٩١، ٢٠٢، ٣٢٨.

٦٢٣ هـ

سنة ثلاث وعشرين وستمائة

فيها توفي مبارز الدين المعتمد واسمه ابراهيم بن موسى^(١)، ولد بالموصل، وقدم الشام، وخدم فرخشاه، واستنابه بدر الدين مودود الشحنة بدمشق، ثم ولاه الملك العادل دمشق، فاحسن السياسة ولطف بالرعية، وردع المفسد، وكان ديناً عفيفاً ورعاً، واصطنع خلقاً كثيراً من النساء والرجال، وكانت دمشق في أيامه حرة طاهرة، ولي دمشق خمسين سنة نيابة واستقلالاً.

وفيها توفي شيل ادولة كافور الحسامي^(٢) خادم ست الشام، وكان ديناً عاقلاً له حرمة واهرة في الدولة، بنى مدرسة^(٣) على نهر ثورا وتربة، ووقف لاصحاب ابي حنيفة عليها الاوقاف، وفتح للناس طريقاً من الجبل الى دمشق على طريق عين الكرش، وبنى المصنع الذي على باب الزقاق، والخانكاه الصوفية التي الى جانب مدرسته، ودفن في تربته الى جانب المدرسة.

وفيها توفي الامام الظاهر ابو نصر محمد بن الامام الناصر.

وتولى الامام المستنصر ولده ابو جعفر منصور أمير المؤمنين [١١٦-أ].

(١) ورد ترجمته لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٢٧ - ٢٢٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٢٤.

(٢) انظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٦٤٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٢٦ - ٢٢٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٢٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢٦٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/١٠٩.

(٣) وهي المدرسة الشبلية الرانية، وتعرف ايضاً بالشبلية الحسامية، تقع خارج دمشق على سفح جبل قاسيون. ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٢٦ - ٢٢٧، النعماني، المدارس في تاريخ المدارس، ٢/٤٠٧ - ٢١٤.

ذكر لقاء السلطان التاتار بظاهر اصفهان

ولما عاد السلطان جلال الدين الى تبريز، وأفاه الخبر من خراسان ان التاتار المخذولين قد حشدوا وهم قاصدوه، فسير الى الأطراف وجمع العساكر، ورأى قصد اصفهان ولقاءهم بها، فوصلها ووجد اربعة الف فارس صوب الري ودامغان^(١) برسم اليك، فعادوا بعد ايام مخبرين بوصول الملاحين، واذا بهم قد اقبلوا كالليل الدلهم، ونزلوا شرقي اصفهان، فأشار المنجمون على السلطان بمصابرتهم ثلاثة ايام، فاعتمد ذلك، واحضر رئيس اصفهان وقاضيهما، وامرهم بعرض الرجالة لابسي السلاح، وكان العدو المخذول لما رأى تأخر السلطان عن اللقاء، سيروا الي فارس الى بلاد اللر^(٢) ليجمعوا لهم من الغارات ماتميرهم، فارسل السلطان ثلاثة الف فارس الى طريقهم، وعادوا وقد احضروا معهم اربعمائة أسير ورؤوساً كثيرة، فسلمهم السلطان الى القاضي والرئيس ليقتلوهم في شوارع المدينة، فضربت رقابهم بظاهر المدينة.

وخرج السلطان فرتب العساكر والاطلاب، واشرفت الارض من الوميض ولعان السمر والبيض، فلما تلاقى الجمعان خذله اخوه غياث الدين وسار بعسكره، وتبعه من عسكر السلطان جهان بهلوان في خلق كثير، ووقف التاتار حذاء السلطان على رسمهم اطلاباً مترادفة، وأمر السلطان رجاله بالعود استحقاراً بالعدو، فانه رأى عسكره بالنسبة اليهم اضعافاً، والتقوا على حرب اشابت الذوائب [١١٦-ب] وانارت الكواكب بين ضرب وطعن وكر وفر، وحملت آخر النهار ميمنة السلطان على ميسرة التاتار حملة احوجتها الى الفرار، وحرمتها القرار، وركبوا اکتافهم قتلاً وطرحاً، وساقوا خلقهم الى تخوم قاشان^(٣)، وعندهم ان ميسرة السلطان فعلت بمن كان حذاها كذلك.

وكان السلطان لما رأى انهزمهم، وقد جنحت الشمس الى الغروب، نزل على جرف كان بالمعركة فرحاً مسروراً، فاتاه جماعة من الخوارزمية، وقالوا: قد تمنينا دهرأ ان نرزق

(١) دامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور، وهو قصبه قورمس. ياقوت، معجم البلدان، ٤٣٣/٢.

(٢) بلاد اللر او لرستان، هي تلك المنطقة المرتفعة بين اصفهان وخوزستان يسكنها الكورد. معجم البلدان، ١٦/٥، اي انها جزء من كوردستان. وللزيادة عنها انظر: زبير، رمضان شريف، لرستان الكبرى دراسة سياسية اقتصادية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة صلاح الدين - اربيل، ١٩٩٤م.

(٣) قاشان، مدينة قرب اصفهان. ياقوت، معجم البلدان، ٢٩٦/٤.

فيهم يوماً ابيض، نذهب فيه غيظ قلوبنا، ونطفيئ حر صدورنا، فلما سمح الدهر به نتركهم يروحوا على السلامة، ولم لانركب ونتبع اثارهم، ونقطع ادبارهم فركب السلطان الوقت، وكان التاتار قد جردوا من شجعانهم كميناً عشرة الف فارس وراتل^(١)، فلما عبر السلطان الجرف خرج الكمين من ميسرته كالنار تستعر، لاتبقى ولا تذر، فضرمو الميسرة على القلب، فلم يكن الا حملة واحدة حتى زلت الاقدام عن مقامها، وتهافت الرؤس عن مقارها^(٢)، وتساقطت الالوية، ورد المسلمون الى وراء ظهورهم منهزمين، والى النجاة من سيوف الكفار طالبين، وثبت الخانات والامراء اصحاب الميسرة حتى قتلوا، ولم يسلم منهم الا ثلاثة، ووقف السلطان في القلب وقد تبدد نظامه، وتخرب عن الحماة اعلامه، واحاط العدو به من كل صوب، ولم يبق معه الا اربع عشر من خواص مماليكه، والتفت واذا بحامل صنجه قد ولي منهزماً، وعند ذلك حمل بنفسه، ومن معه من خواصه، ففتح له طريق وخلص من المضيق [١١٧-أ]، وتفرق القلب والميسرة في الاقطار، فمنهم من لحق بفارس، ومنهم من وصل الى اذربيجان، ومنهم من حل بكرمان، ومنهم من دخل اصفهان.

وعادت الميمنة بعد يومين من قاشان معتقدين ان السلطان باصفهان فلما علموا صورة الحال، تفرقوا في الحال ايدي سبأ، وخفي خبر السلطان ثمانية ايام، ولم يدرك احى فينتظر عوده، ام ميت فينظر من يقوم بالامر بعده، وكان ذلك في رمضان سنة خمسة وعشرين وستمائة.

ولما كان يوم العيد وقد خرج الناس الى المصلى، وصل السلطان وحضر الصلاة، واقام بها عدة ايام الى ان تراجعت عساكره، وسير خلقاً من عسكره نحو الري، وجرى سراياه نحو خراسان يريد بذلك انتشار صيت القوة، واما الملاعين فانهم عادوا من اصفهان خائفين، ورد على اعقابهم طالبين ماوراء النهر، عدم منهم الجمع القفير.

(١) راتل، رتل، جماعة من الخيل يتبع بعضها اثر بعض. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١/٣٢٧.

(٢) مقر، غنق. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٢/٨٨٠.

٦٢٤ هـ

سنة اربع وعشرين وثمانية

فيها قدم رسول الانرور الى الملك المعظم بعد اجتماعه بالملك الكامل، يطلب الفتوح الصلاحي، فاغلط له المعظم، وقال: قل لصاحبك، ما انا مثل الغير، ماله عندي سوى السيف.

فيها توفي الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل، ولد بالقاهرة سنة ست و سبعين وخمس مائة، ونشأ بالشام، وكان شجاعاً مجاهداً عالماً فقيهاً شاعراً اديباً، قرأ القرآن، وتفقه على مذهب الامام ابي حنيفة^(١)، وحفظ المسعودي واعتنى بالجامع الكبير، وقرأ الادب على تاج الدين الكندي، واخذ عنه كتاب [١١٧-ب] سيبويه وشرحه، والسيرافي، والحجة في القراءات، والحماسة، بالايضاح حفظاً، وسمع مسند احمد، وكان حسن العشرة محافظاً على الصحبة، متواضعاً مليح الصورة، ولما توجه الى اخيه الملك الكامل وهو بالاسكندرية سنة سبع وثمانية، وركب فرساً واحداً من دمشق الى الاسكندرية في ثمانية ايام، فترجل واعتنقا، وركب الملك الكامل وبقي المعظم راجلاً، فقال له الملك الكامل: بسم الله اركب، فاشار الى الفرس الذي تحته وانشد:

واذا المطي بنا بلغن محمداً

فطرب الملك الكامل، وكان بهاء الدين بن التبنيني ناظر دار الزكاة، فقدم البدر بن المسجف الشاعر من الشرق ومعه قماش كثير، فطلب منه البهاء زكاة القماش، فكتب ابن المسجف الى الملك المعظم:

(١) كان حنيفياً متعصباً لمذهبه على خلاف اهل بيته، فانهم كانوا شافعية. ابو الفداء، المختصر، ٢/٢٣٦، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٧٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/١١٥-١١٦.

واحياء كل منقبة وفضل	ايا ملكاً اباد عداه قهراً
ونصبا للحياة وحزم فعل	ومن هو كالسيح اسماً وقهلاً
حرام كله من غير حبل	ويكفني البهاء زكاة مال
لا يحج ولا يصوم ولا يصلي	وكيف وجود بالزكوات من
اجل زكاتكم عن مال مثلي	فجد بهيات (ذلكم) ^(١) فاني

فكتب المعظم على رأسها يؤخذ منه العشر جعله بمنزلة الحربي، وكان اذا خرج الى الغزاة لاينام الا على جل^(٢) الطرح، وركبته مخرته، وكان قد جهز العساكر الى نابلس خوفاً من اتفاق الانرور مع الملك الكامل، ومرض في نصف شوال، وكان عنده رسل خوارزم شاه ذكر نجم الدين بن سلام انه غرم عليه في مدة تسعة [١١٨-١] أشهر تسعمائة الف درهم، واشتد مرضه، واصابه ضرب بحيث رمى قطعاً من كبده، توفي يوم الجمعة مستهل ذي الحجة سنة اربع وعشرين وستمائة، ودفن بالقلعة، ثم نقل في ايام الملك الاشرف الى تربته بقاسيون، ولحق عساكره واهل دمشق عليه من العزاء مالا يحد ولا يوصف، بحيث يدور في الاسواق ليلاً ونهاراً، ويقلن النساء: صحبة يا معظم صحبة يامعظم، وقد نشرن بنات البيوت الخدرات شعورهن وشققن جيوبهن، وهن يلطنن عليه مدة شهر.

(١) لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٤٥/٨، (مالكم).

(٢) جل، مانقطى به الدابة لصان. ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ١/١٣١.

٦٢٥ هـ

سنة خمس وعشرين وثمانئة

فيها نزل الملك الكامل من مصر بعساكرها، واقام على تل العجول، وطلع الانبرور الى عكا باتفاق من الملك الكامل على المعظم^(١)، فحصل طلوعه الى الساحل، وقد مات المعظم، ونشب الملك الكامل في امره، فانه صار عليه بعد ان كان له، ولم يكن توصل عساكر الانبرور اليه من البحر، بل وصل بنظر يسير، وحصل عند الناس من قدومه الفكر الزائد، فخشيه ملوك الساحل، وكاتبوا الملك الكامل ان يتقدم اليه، فاذا خرج الانبرور لحربه مسكوه برقبته وسلموه اليه، وتقرر الحال بين الملك الكامل وملوك الساحل على ذلك.

فانكر الملك الكامل، ولم يختار ذلك، لانه كان سبب طلوعه لاجل الملك المعظم، وخشي ان لا يعود يوثق به، فسير اليه الكتب، واوقفه عليها سرا، فخاف (الانبرور)^(٢) خوفا شديدا، وشكر احسان الملك الكامل، وعرف له ذلك، واجاب الى كلما يروم الملك الكامل، ووردت رسله اليه، معرفا بما اسداه اليه من الاحسان، فعاد جواب رسله [١٨٠-ب]، واكرمهم الملك الكامل غاية اكرام، وترددت بينهم الرسل والمكاتبات الى اواخر سنة خمس وعشرين، فسير الانبرور الى الملك الكامل يتلطف في كلامه، ويقول: انا عتيقك واسيرك، وليس لي عما تأمره خروج، غير انك تعلم انني اكبر ملوك البحر، وانت الذي اشرت على بالطلوع الى الساحل، وقد علم البابا وسائر البحر بجمعي وحشدي واهتمامي وطلوعي: وكان عينه طامحة الئ، والى ما اعتمد، واقتح من المسلمين، فان انا رجعت خائبا انكسرت همتي وحرمتي بينهم، وهذه القدس فهي اصل اعتقادهم وحجهم والمسلمون فقد اخربوها ودخلها ليس بطائل، فان رأى السلطان ان ينعم علي بقصبة البلد والزياره،

(١) اشرنا في موضع سابق الى المنافسة والصراع بين الملوك الايوبيين واستعانتهم بقوى اجنبية مثل الصليبيين والخوارزميين.

(٢) في الاصل (الملك الكامل)، التباس لا يستقيم معه سياق الجملة.

فيكون صدقة منه واحسان، ويرتفع رأسي بين ملوك البحر، وإن شاء السلطان ان يكشف عن محصولها، ويحمل الملوك مقداره الى خزانة السلطان^(١).

فلما سمع السلطان الجواب والكلام والرسالة، مالت نفسه الى ذلك باطناً، ولم يمكنه فصل الحال دون ان يتحدث مع كبراء دولته ومقدميه وامراءه، ويوضح لهم العذر في ذلك، وجاوبه مغلظة المعنى فيه نعم^(٢).

وفيها نزل السلطان جلال الدين على خلاط ثاني مرة، وهجم عليه الشتاء، فرحل عنها الى اذربيجان، ثم توجه نحو اصفهان، فجرى له مع التتار المخذولين ما ذكرناه، واشتغل عن خلاط وغيرها.

فخرج حسام الدين الحاجب علي بعسكر خلاط، وملك خوي وسلماس^(٣)، واحتوى على زوجة السلطان جلال الدين بها، واخذ خزائنه، وسير الجميع الى خلاط، وملك جميع البلاد المجاورة كخوي وشحن [١١٩-١] على اهلها وعلى بلادها، ثم سار الى نخجوان^(٤) ومرند^(٥) فسلمتا اليه، ورتب يزكا في ناحية تبريز، والوزير شرف الدين مقيم بتبريز في قل من العدد، فورد عليه الخبر بان بغدي مملوك الاتابك ازيك، وصل الى اذربيجان هارباً من الشام، وكان المذكور مستوحشاً من السلطان لاساءات سبقت له، فلما بلغ الحاجب خبره ركب في اثره، فقاته وقطع نهر ارس، ونادى انا عبد احسان الملك الاشرف، ومالي خروج عن موالاته، فرجع الحاجب علي واجتمع بغدي بشرف الملك، فاكرمه وسير له خمسين خلة منها عشرة مكملة، واقطعه ارمية^(٦).

(١) عن تلك الاتصالات انظر: ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٣٧، ابو الفضائل، التاريخ المنصوري، ص ص ١٦٣ - ١٦٤، الخنيلي، شفاء القلوب، ص ص ٣١٠ - ٣١٢، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ص ٢٢١ - ٢٢٣، ٢٢٨ - ٢٣١.

(٢) هكذا وردت العبارة الاخيرة في النص مضطربة وغير واضحة.

(٣) سلماس، من مدن اذربيجان بينها وبين ارمية ستة عشر فرسخاً، وهي اخر حدود اذربيجان من الغرب، وبينها وبين خوي احد وعشرون ميلاً. ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ٣٩٧.

(٤) نخجوان، بلد في اقصى اذربيجان. ياقوت، معجم البلدان، ٣٧٦/٥.

(٥) مرند، من مدن اذربيجان المشهورة، بينها وبين تبريز يومان. ياقوت، معجم البلدان، ١١٠/٥.

(٦) ارمية، مدينة مشهورة قديمة باذربيجان، بينها وبين البحيرة ثلاثة او اربعة اميال، وبينها وبين تبريز ثلاثة ايام. ياقوت، معجم البلدان، ١٥٩/١.

وسار شرف الملك الى خوي وبها نائب الحاجب علي بدر الدين بن سرهنك، فحين بلغ الحاجب وصول شرف الملك، قصد بركري وأقام بظاهرها، الى ان وصل شرف الملك فالتقياً، فلم يكن الا حملة واحدة حتى انجلىت المعركة عن هزيمة الحاجب ودخوله بركري، وكثر القتل في اصحابه، واصاب تاج الملوك بن الملك العادل نشابة فمات بها بعد حين. وتفرقت الخوارزمية في الغارات على بلاد خلاط، ولم يبق عند شرف الملك سوى ثلثمائة فارس، فلو طلع اليه الحاجب لآخذه برهقته، وعادت العساكر بغاراتها الى اذربيجان.

ورحل شرف الملك، فلما قارب خوي ودخلها بسط يده في المصادرات، فلم يترك بها من يعزى الى مال الا واخذه منه على اقبج صورة، ورجل الى مرند، ففعل مثل ذلك، وكذلك بنخجوان، حتى كنس البلاد، واتلف العباد. واما الحاجب، فانه عاد الى خلاط [١١٩-ب].

﴿ ٦٢٦ هـ ﴾

سنة ست و عشرين و ستمائة

فيها اتفق الملك الكامل ان يسلم القدس الانرور^(١)، وذلك انه ان شاور امراء دولته على ذلك، فمالوا الى ما يعلموا من نفسه، ماخلا من الامراء سيف الدين بن ابي زكري، فانه فاجاهه في الكلام، فقال الملك الكامل له: ياسيف الدين الانرور ملك عظيم، ويستحي من ملوك البحر ان يرجع، ومافتح القدس، فقال له: اذا استحي الانرور من ملوك البحر، ماتستحي انت من الله، فسير الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، والصلاح الأربلي ليحلفوا الانرور ويسلم اليه القدس والاضياح التي على الطريق من ياقا الى القدس، فحلف الانرور، وسير فخر الدين كتاباً طويلاً فيه شرح الحال، واليمين صحبة قاصد، وسير الصلاح الأربلي ورقة صغيرة، فلما وصل القاصد بكتاب فخر الدين فتحه الملك الكامل، فراه طويلاً، فقال للقاصد: اين كتاب الصلاح، فاعطاه اياه ففتحه، واذا فيه:

شرب اليمين

شرب اليمين وان تعرض ناكثاً فلما كلن لذاك لحم شماله

فعلم الملك الكامل فحوى المقصود، وتحقق ان الانرور قد حلف، وفرح فرحاً كبيراً واطمأن.

(١) عن تلك الاتفاقية انظر ايضاً: ابن الاثير، الكامل، ١٢/٤٨٢-٤٨٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٤٣١-٤٣٢، ابن العديم، زبدة الحلب، ٣/٢٠٥، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٣٣-٢٣٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/٢٤١-٢٥١، ابو الفداء، المختصر، ٣/١٤١، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣١١-٣١٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٣٠.

وكان الناصر داود قد بعث فخر الدين بن بصاقة الى الملك الاشرف يستدعيه الى دمشق، فوصل ونزل بستان النيرب، وكان عز الدين ايبك قد اشار على الملك الناصر بمداراة الملك الكامل، فخالفه ومال الى الملك الاشرف، فقال الملك الاشرف للملك الناصر: أنا أمضي الى الملك الكامل اصلح حالك معه، فمضى اليه فوجده قد سلم القدس الى الانرور، فشق ذلك على الملك الاشرف، ولام الملك الكامل على ذلك، فقال: ما احوجتي الى ذلك الا اخي [١٢٠-١] الملك العظيم، ولما اجتمع الملك الاشرف بالملك الكامل اتفقا على الملك الناصر وحصاره واخذ دمشق منه، فوصلت الاخبار بذلك الى دمشق وبتسليم القدس الى الفرنج، فقامت القيامة على جميع بلاد المسلمين، بحيث اقيمت المآثم^(١).

وأمر الملك الناصر داود الشيخ شمس الدين بن الجوزي الواعظ ان يجلس بالجامع ويذكر ماجرى على البيت المقدس، فجلس وكان يوماً عظيماً، وكان من جملة كلامه، انقطعت عن البيت المقدس وفود الزائرين، ياوحشة المجاورين، كم كان لهم في تلك الاماكن من ركعة، كم جرت لهم على تلك المساكن من دعة، بالله لو صارت عيونهم عيوناً لما وفيت، ولو تقطعت قلوبهم اسفاً لما استفتت، احسن الله عزاء المؤمنين، ياخجلة ملوك المسلمين، لئلا هذه الحادثة تسكب العبرات، لئلاها يتقطع القلوب من الزفرات، لئلاها تعظم الحسرات، وانشد:

اعيتني لا ترقي من العبرات صلى	بالبكاء الاصال بالبكرات
واذرى دموعاً كالشرار يطيره	لهيب الحشا من عاصف الزفرات
[لعل سيول] الدمع يطفى فيضها	تزيد ما في القلب من جمرات
ونائم لج بالسجود [د] (٢) لعله	يروح ما لقي من الكربات
على المسجد الأقصى الذي جل قدره	على موطن الاحباب والصلاة

(١) عن تلك الاتفاقية مع الامبراطور وتسليم بيت المقدس اليه وما اثارته من الاستياء لدى الرأي العام الاسلامي انظر: ابن الاثير، الكامل، ٤٨٢/١٢ - ٤٨٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢١٦/٨، ابو شامة، الدليل على الروضتين، ص ٢٣٤، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٣٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٤٥/٤ - ٢٤٦، ابو الفدا، المختصر، ٢/٢٤٠، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٣١، ابن تغري بدي، النجوم الزاهرة، ٢٧٢/٦، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣١٢، جب، صلاح الدين، ٢١٦، قاسم عيده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص ١٥٥، ذكرى عزيز الصانع، عصر الملك الكامل الايوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، ١٩٨٨م، ص ١١٦ - ١٢٤.

على مشهد الابدال والبدلات
بما في الارض من صخرات
يرى العرش والكرسي ذا الدرجات [١٢٢-ب]
صلاة البرايا في اختلاف جهات
سليمان رب الملك [والزلازل]
الرفيع العماد والعالي الشرفات
وللبير والاحسان والقربات
لؤلؤه بر دائم السجيدات
يوشح بالايات والسورات
ومن اوجه بالخوف ممتعتات
واقئدة من ريبها وجلات
الذي بدا منهم في سالف الفرطات
وتسيحهم في حالك السدات
ويعلن بالاحزان والترحات
يزخر بها ما عشن متشحات
وباتا من الاسوا محتميات
وتشكو الذي لاقت الى عرفات
وساكنها المدفون في الحجرات
تداركها من هذه الهفوات
بغثة وشر البرايا طارق البقات
وقد كان مجدأ باذخ الفرقات
لهم عظم ما نالو من الفزوات
بمسعاته عدو من السروات
وهل ثمر الا من الزهرات [١٢١-ا]
شجانا باصوات لهن شجاه
فيه خيرة الخيرات
ومنزل وحي موحش العرصات

على منزل الافلاك والوحي والهدى
على سلم المعراج والصخرة التي انافت
على عرش ملك الله في الارض قبل ان
على القبلة الاولى التي اتجهت لها
ومعماره داوود ذو الأيد وابنه
عفى المسجد الاقصى المبارك حوله
عفى بعدما قد كان للخير موسما
يوافى اليه كل اشعث قانت
خلا من صلاة لا يمل مقيمها
خلا من جسوم بالعبادة تحل
خلا من عيون ثرة ببكائها
خلا من انين النادمين على
خلا من صلاة العارفين لربهم
لتبك على القدس البلاد بأسرها
وتلبس اثواب الحداد تأسفا
فقد كن منه في خفارة رحمة
لتبك عليه مكة فهي اخته
لتبك على ما حل بالقدس طيبة
لعل رسول الله يسأل ربه
لقد طرق الاسلام يا صاح
لقد هدمو مجد الصلاح بهدمه
وقد اخمدو صوتا وصيتا ايان
اما علمت ابناء أيوب انهم
وان افتتاح القدس زهرة ملكهم
فمن لي بنواح ينوح على الذي
يرددن بيتا للخزاعي قاله وبؤس
مدارس ايات خلعت من تلاوة

ودخل الانبرور القدس والحصار على دمشق، وسير الملك الكامل معه شمس الدين قاضي نابلس، وانطلقت الالسن من سائر الناس على الملك الكامل، ولامه جميع ملوك المسلمين، فقال الصاحب جمال الدين بن مطروح في ذلك معتذراً عنه:

يقول ملوك الدين دين محمد	وكلهم في الراى دون محمد
علام حى الكفار بالقدس ربه	وهلا حماه وهو افضل مسجد
تقاعدتم بالامس تعمدا	وجئتم تبثون النصيحة من غد
وما كان الا كالطبيب راى يدا	وقد دب فيها عارض المرض الردى
فبادراً مضطراً الى قطع بعضها	مخافة ان يسرى الى سائر اليد

وجرى من العجائب [مع]^(١) الانبرور، منها انه راى قسيساً قاعد عند قدم الصخرة، يأخذ من الفرنج القراطيس، فجاء اليه كأنه يطلب منه الدعاء وجذبه فرماه الى الارض، وقال: ياخنزير السلطان قد تصدق علينا بزيارة هذا المكان تفعلوا فيه هذه الافاعيل، لان عاد دخل واحد منكم على هذا الوجه لاقتلته.

وذكر قوام الصخرة انه لما نظر الى الكتابة التي في قبة الصخرة، وهي طهر هذا البيت المقدس من ايدي المشركين صلاح الدين، فقال: ومن هم المشركون وتبسم، ثم قال للقوام: هذه الشبايبك حول الصخرة من [١٢١-ب] اجل ايش، قالوا: ليلاً يدخلها العصافير، فقال: قد اتاها الله بالخنازير.

ولما دخلت وقت صلاة الظهر، واذن المؤذنون قام جميع من كان معه من الفراشين والغلمان والمعلم الذي كان يقرأ عليه المنطق من صقليه، فصلوا وكانوا مسلمين.

وكان الانبرور اشقر اعط العينين، في عينيه ضعف وكان الملك الكامل قد أمر القاضي شمس الدين قاضي نابلس، انه اذا سلم القدس الانبرور، يتقدم الى المؤذنين بان لايعودوا يؤذنون فوق المياذن، بل داخل الحرم، فنسى القاضي ان يعلم المؤذنين ذلك، فصعد عبدالكريم المؤذن في تلك الليلة وقت السحر، فجعل يقرأ الايات التي هي رد على النصرارى، مثل قوله: ﴿ما اتخذ الله من ولد ذلك عيسى بن مريم﴾^(٢)، ونحو ذلك، فلما طلع النهار

(١) ما بين الحاصرتين غير واردة في الاصل، وقد اضيفت لتستقيم المعنى.

(٢) مريم: ٣٤ - ٣٥.

استدعى القاضي لعبدالكريم المؤذن، وقال له: السلطان رسم بكذى وكذى، فلما كان الليلة الثانية، لم يصعد عبدالكريم المأذنة، فلما طلع الفجر استدعى الانبرور القاضي، وقال له: يا قاضي اين ذلك الرجل الذي طلع البارحة المأذنة وذكر ذلك الكلام، فعرفه ان السلطان اوصاه، فقال الانبرور: أخطأ السلطان يا قاضي، تغيرون شعاركم وشرعكم ودينكم لاجلي، فلو كان الملك الكامل قدم الى بلادي هل كنت ابطل ضرب الناقوس لاجلكم، الله، الله، لاتفعلوا، هذا اول ما تنقصون عندنا، ثم تنطلق عليكم السنة الفقراء والفقهاء، وتصيروا مضغة للناس، ثم فرق على المجاورين والقوام والمؤذنين والفقراء والمنقطعين بالحرم جملة كثيرة لكل واحد عشر [١٢٢-١] دنانير الى الدينار، ولم ييات بالقدس سوى ليلتين وعاد الى يافا.

وفيها نزل الملك الكامل بعساكره محاصراً دمشق، ومعه الملك الاشرف والملك المجاهد صاحب حمص، فتحصن الملك الناصر داود بها، وستر السور، وعمل السدود والخنادق في اذقة العقيبة، وقصر الحجاج، وحكر السماق، والشاغور^(١)، ورتب على السدود المقاتلين، ونصب اللعب، فزحف الملك الكامل على السدود، وخرجت المماليك العظمية وعسكر دمشق، وجرى قتال عظيم، فكسره الملك الكامل وهزمهم عن السدود، واحرقت الحكورة، وشرعوا الحرافشة^(٢) في نقض دور الناس واخذ اخشابها وابوابها وشبابيكها، وحملها الى المدينة، وبيعها بالشئ اليسير، ودام الحصار على دمشق، وسعر القمح بها الغرارة بعشرين درهماً، الى ان علم الملك الناصر ان حاله يلي الى الضعف، وان لا ناصر له، والجاته الضرورة ان كاتب عمه الملك الكامل، وفصل امره، وخرج اليه مطيعاً، فاقبل عليه وعوضه عن دمشق، الكرك والشوبك والبلقاء، والسلط، والقدس، والخليل، ونابلس، وبيسان، والغور، [...] وما يجري مجراهم.^(٣)

(١) هذه المواقع من جملة ضواحي دمشق. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢٢٦، هامش (١)، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) الحرافشة: مفردتها: حرفوش، وهو الذي ليس بصاحب صنعة او حرفة، ولا يملك ذكناً، وهو فقير او بمعناه ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/٧٦، هامش (٧).

(٣) هنا كلمات مطموسة.

وسلم اليه دمشق في مستهل شعبان، فكان مدة الحصار اربعة اشهر^(١).
 كان الملك الاشرف محبا لقيام دمشق والتنزه في بساطينها ورياضيتها، والسكنى بنيربها،
 وكان استقر الحال انه اذا فتح الملك الكامل دمشق يعطيها له، فلما فتحها سلمها اليه،
 واعطى عزالدين ايبك المعظمي صرخد وقلعتها وبلادها، واجرى الملك العزيز [١٢٢-ب]
 اخاه على ما بيده من البلاد، وكذلك الملك الصالح اسماعيل، والملك المغيث ابن المغيث
 كذلك، وتسلم الملك الاشرف دمشق (وماتلاها)^(٢) الى عقبته فيق لاغير، وسلم الى الملك
 الكامل، حران، والرهاء، ورأس العين، والموزر^(٣)، وحملين^(٤)، وسروج، والرقعة.
 وسار الملك الكامل، نزل على سلمية^(٥)، وحصر حماة الى ان تسلمها من الملك الناصر
 قليج ارسلان بن الملك المنصور محمد، واعطاها للملك المظفر تقي الدين الملك المنصور،
 وكان قد زوجه الملك الكامل بابنتيه.

وفيهما توفي الملك المسعود اقيس بن الملك الكامل، كان لما بلغه موت الملك المعظم توجه
 من اليمن الى مكة على ان يأخذ عسكر ابيه ويفتح دمشق ويقيم بها، وكان جباراً عنيداً،
 فلما دخل مكة لحقه الفالج ورأى في نفسه العير، ومات وسر الملك الكامل بموته.

وفيهما توجه السلطان جلال الدين بعساكره ونزل على خلاط، وورد عليه رسول
 عزالدين ايبك النائب بها، وهو يتخضع ويتلطف في كلامه، ويقول: أن الملك الاشرف لما
 بلغه ما اعتمده الحاجب علي من سوء الادب في بلاد السلطان، انكر ذلك وتنصل، وأمرني
 بالقبض عليه، وها هو في الجب مقيداً وقد ولاني أمر خلاط، وامرني بامسك مراسم
 السلطان، وان يكون حكم السلطان بخلاط وبلادها والعساكر بين يديه، ونجدة له حيث

(١) للزيادة عن حصار دمشق سنة (٦٢٦ هـ) انظر: ابن الاثير، الكامل، ٤٨٣/١٢ - ٤٨٤، ابو
 الفضائل، التاريخ المنصوري، ص ١٧٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٥٧/٨ - ٦٥٨، ابو
 شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٣٤ - ٢٣٦، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٣٨،
 ابن واصل، مفرج الكروب: ٢٥٢/٤ - ٢٥٩، ابو الفدا، المختصر، ٢٤١/٢، اليافعي، مرآة
 الجنان، ٤٧/٤ - ٤٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٢/١٣، القرظي، السلوك، ج ١، ق ١،
 ص ص ٢٣٣ - ٢٣٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٧١/٦ - ٢٧٢.

(٢) في الاصل (تلاها).

(٣) الموزر، من حصون بلد ماردين. ابن الاثير، الكامل، ٩٤/١١.

(٤) حملين، من حصون بلد ماردين. الكامل، ٩٤/١١.

(٥) سلمية، بلدية من اعمال حماة بينهما مسيرة يومين. ياقوت، معجم البلدان، ٢٤٠/٣.

اراد، فلم يلتفت السلطان، ولا رد جواب، ونصب على خلاط اربع عشر منجنيق، وضايقها، واشتد الحصار، وقاتل العسكر الذي بها قتالاً عظيماً، وكذلك اهلها، واشتد الغلاء [١٢٣- أ] بها، وعدم القوت، واكلوا الجيف ولحوم الكلاب والقطاط، ونقعوا الجلود واكلوها، وهم مع ذلك مصابرون، وكان بها من الملوك والامراء، الملك المعز مجير الدين يعقوب^(١)، والملك الامجد تقي الدين^(٢)، والامير حسام الدين القيمري، والامير عز الدين بن بدر، والامير اسد الدين بن عبدالله المهراني، والامير شمس الدين وناصر الدين القيمري، وعلم الدين سنجر وجماعة وافرة من الامراء والحلقة، وبهلوان اسماعيل الايواني.

فلما طال بهم الحصار، وعدموا القوت، وايسوا من الملك الاشرف الانتصار سير بهلوان الايواني بعض اصحابه ليلاً، وقد دلاه يلتمس من السلطان تعيين اقطاع له باذربيجان، ويسلم خلاط، فاقطعه سلماس وعدة ضياع، وحلف له، وعاد الرسول وتقرر الحال، فلبس الناس لامة حربهم، وزحفوا واجتهدوا، فلم يظفروا بطائل، فادلى اسماعيل الحبال ليلاً، فطلعت الاعلام والرجال الى الصباح.

وزحف السلطان على الثلثة حذاء المنجنيق، فقاتل من بخلاط من بقايا الاجناد قتالاً شديداً، حتى كادوا يخرجوهم، فنظروا الى الابراج والصور فراوه مملوءاً بالخوارزمية والاعلام السلطانية، وبقي الزحف من خارج المدينة وعلى سورها فولتوا منهزمين، واسروا الامراء جميعاً، وتحصن الامير عز الدين ايبك الاشرفي ومجير الدين وتقي الدين ومن معهم بالقلعة، ونهب الخوارزمية خلاط ثلاثة ايام بلياليها، واستخرجوا دهائن اهلها

(١) هو يعقوب بن ابي بكر بن شاذي، الملك المعز، مجير الدين، ابن الملك العادل توفي سنة (٦٥٤ هـ) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، ذيل مرآة الزمان، ٣٧/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠٨/١٣، الخنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٢٦، النعمي، المدارس، ٢٦٨/٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٦٦/٥.

(٢) الامجد عباس ابن ابي بكر بن ايوب بن شاذي، تقي الدين، توفي سنة (٦٦٩ هـ) انظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، ذيل مرآة الزمان، ٤٦٠/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٧٥/١٣، الخنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٢٧، النعمي، المدارس، ٢٦٨/٢.

وخبائهم، وهلك جماعة كثيرة تحت العقوبات^(١).

ونزل مجير الدين وتقي الدين وطلبا الامان لهما ولعز الدين، فامنهم ونزلوا، فابى السلطان [١٢٢-ب] ان يمكن عز الدين من تقبيل يده استحقاقاً به، وكان مجير الدين وتقي الدين يحضران السماط، ويقعدان ويحترم السلطان خابنهما، وعز الدين ايبك واقف، فقال: المتعصبون لعز الدين ايبك من الاتراك، ان هؤلاء كانوا في خدمته وتحت طاعته، فقال السلطان: هوى صاحبه فيه، حكمه على اخوته، وليس لي فيه هوى، وترد الامور الى اصولها.

ولم يزلوا في الخدمة الى ان ورد رسول الديوان، يشقق فيهما، فاطلق مجير الدين وتقي الدين، وسار تقي الدين الى بغداد، وعاد (مجير الدين)^(٢) الى الشام.

(١) للزيادة: عن الخيانة التي حصلت في داخل خلاط، وكذلك المقاومة الباسلة التي ابدتها حاميتها الايوبية بالتعاون مع اهل خلاط وما لا قوة من الحصار والجوع والقتال حتى انه نفذ ما عندهم من الطعام فاكلوا الدواب ثم الكلاب والقطط، حتى انهم كانوا يصطادون الفأر يأكلونه، والمعاملة القاسية التي عاملهم بها جلال الدين، حيث جرى على اهلها ما لم يسمع بمثلهما احد انظر: ابن الاثير، الكامل، ٤٨٧/١٢ - ٤٨٨، النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٢٩٩ - ٣٢٩، ابو الفضائل، التاريخ النصوري ص ١٨٣ - ٣٨٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٥٩/٨ - ٦٦١، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٤٠ - ٢٤١، ابن واصل، مفرج الكرب، ٢٨٠/٤ - ٢٨١، ٢٩٤ - ٢٩٧، ابو الفداء، المختصر، ٢٤٥/٢، ابن الوردي، تنمة المختصر، ٢٢٠/٢، الذهبي، دول الاسلام، ١٣٣/٢، اليافعي، مرآة الجنان، ٥٢/٤، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٣٨، الغساني، العسجد المسبوك، ص ٤٣٧ - ٤٣٨.

(٢) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

﴿ ٦٢٧ هـ ﴾

سنة سبع وعشرين وستمائة

فيها توجه الملك العادل الى حران، وسلم بلاد الشرق الى الطواشي^(١) شمس الدين صواب.

وفيها سير الملك الاشرف اخاه الملك الصالح اسماعيل بعساكره وحصر الملك الامجد بقلعة بعلبك، ونصب عليها المجانيق الغربية، وضايقها، وقتل جماعة على الحصار، وقاتل الملك الامجد بها قتالاً عظيماً، ودخل صفي الدين ابن مرزوق بينهما، وتقرر الحال ان اعطاه جبه الزيداني^(٢)، ونزل من بعلبك، واقام بداره التي تعرف بدار السعادة عند باب النصر.

وفيها سير صاحب الروم الى الملك الاشرف يقول: تعلم ما اعتمده جلال الدين من اخذ خلاط، واخرق حرمتكم، وخراب بلادك، وقتل امراءك، فان جئت الى عندي، فعساكري وخرائتي بين يديك، فشاور الملك الكامل، فأشار عليه بذلك، وجرده معه من عسكره الطواشي شمس الدين صواب وعسكر الشرق والملك الجواد ابن اخيه، وقطع الملك الكامل الفرات متوجهاً الى مصر، وكان بالرهقة [١٢٤-١].

وسار الملك الاشرف الى حران في سبعمائة فارس من اصحابه، واقام بجران، وكتب الى باقي عسكره بدمشق يستدعيهم، والى حلب والموصل والجزيرة فجاءته العساكر من كل ناحية، فرحل طالباً الروم، ومعه من المقدمين شهاب الدين غازي اخوه صاحب ميافارقين، والملك العزيز عثمان اخوه صاحب بانياس، والملك الحافظ اخوه صاحب قلعة جعير، والملك الجواد بن اخيه، وشمس الدين صواب العادلي، والملك المنصور بن المنجاهد

(١) الطواشي: وهم خدام القصر المقربون من السلطان، ويعرفون ايضاً بالاستاذون. القلقشندي، صبح الاعشى، ٤٥٦/٥.

(٢) جبه الزيداني: بساتين من ضواحي دمشق. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، هامش رقم، ص ٢٢١.

صاحب حمص، وعسكر حلب مقدمهم الامير عز الدين بن مجلي الهكاري، واجتمع الملك الاشرف بصاحب الروم، فالتقاه وعظم امره، وسير له ولن معه من الملوك، والامراء الشئ الكثير من التقاد (١) والاقامات، ودخل الملك الاشرف واخوته الى اختهم (٢) زوجة السلطان علاء الدين، واجتمعوا عندها، وسرت بقدمهم.

وسير السلطان علاء الدين الى الملك الاشرف، وباقي اخوته، يطلبهم ان يلعبوا معه بالاكراه (٣) في الميدان تقريباً اليهم، فحضروا ولعبوا، فضرب السلطان علاء الدين الاكراه بالجوكان (٤)، فوقع من يده، فسارع الملك الاشرف وترجل ومسحه وباسه وسلمه اليه، فلم يترجل السلطان علاء الدين له عند ذلك، فصار عند الناس من ذلك أثر، وظنوا انه يؤثر عند الملك الاشرف، وكان الملك الاشرف مع جلاله قدره، وعظم مكانته، ومملكة بيته كثير التواضع، وكذلك بنو ايوب، لم يقصدوا في مملكتهم ما كان يقصده ملوك الروم والعجم من التجبر والتعاضم.

فلما فرغوا من لعب الكرة، عمل السلطان علاء الدين دعوة، وطلب الملك الاشرف والملوك اليها، فلما حضروا واستكمل المجلس [١٢٤-ب] وثب السلطان علاء الدين، وقبل الارض بين يدي الملك الاشرف، وقال: ياخوند (٥) ما انا جاهل صدقات مولانا حين ترجل مولانا في الميدان، وسلم الجوكان الى المملوك، وانما كان ثم جواسيس ملوك الروم والكفار والشركاء وخوارزم شاه وسائر ملوك الترك، وعلمت من مكارم اخلاق مولانا، انه مايقف مع الملوك ولا يأخذ عليه، فجبرني السلطان، ورفع بقدري، فانه يرفع شانك، فاعجب الحاضرين من ملوك بني ايوب، فزال ماكان يعتقدوه، انه تعاضم على الملك الاشرف.

(١) التقاد: جمع تقدمة وهي الهدية. ابراهيم والكيلاني، مصطلحات تاريخية.

(٢) كانت المصاهرة بينهما قد تمت سنة ٦١٦ هـ. ابن الاثير، الكامل، ٣٥٥/١٢.

(٣) لعبة الاكراه، وهي اللعبة المعروفة حالياً باسم البولو polo. المقريري، السلوك، ج ١، ق ٢، هامش رقم، ص ٤٤٤، وكذلك هامش رقم (١)، ص ٤٣٥.

(٤) الجوكان، المحجن الذي تضرب به الكرة، ويعبر عنه بالصلولجان polo السلوك، ج ١، ق ٢، هامش رقم، ص ٤٤٤، وكذلك هامش رقم (١)، ص ٤٣٥. ايضاً، وكانت الجوكان عصي مدهونة طولها نحو من اربعة اذرع، وبرأسها خشبة مخروطية معقوفة تزيد عن نصف ذراع. السلوك، ج ١، ق ٢، هامش رقم (١)، ص ٤٣٥، وللزيادة عنها انظر: مصطلحات الصبح، ص ٩٤.

(٥) خوند، كلمة فارسية معناها أمير. مخدوم. التوحي، المعجم الذهبي (فارسي - عربي)، ص ٢٤٨.

واما السلطان جلال الدين، فانه كان قد سار الى منازجرد^(١) لترتيب المحاصرة عليها، فوصله ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب ارزن الروم، واعلم السلطان باتفاق صاحب الروم والملك الاشرف، ووصول الملك الاشرف واجتماعه بصاحب الروم، وانهم قاصدوه عن قريب، ورمى السلطان امر العسكر على ايدي الجاوشية واليهلوانية^(٢) بسهام حمر، وهي علامة الاسفار، يأمرهم بالاجتماع.

ورحل صوب خرتيرت، واقام بها ينتظر اجتماع العساكر، فمرض مرضاً شديداً سقط فيه على الفراش، وأيس من الانتعاش، ووردت كتب ركن الدين صاحب الروم محرضة له على الحركة معلمه بتحريك العسكرين، وحين خف عنه المرض بعد ان اجتمعت عساكر الروم والشام، ورتبهم الملك الاشرف على احسن نظام.

واما جلال الدين، فانه ترك شرف الملك وعسكر العراق على منازجرد^(٣) قلما احتفال^(٤):

إذا كان جيد المرء في الأمر
مقبلاً تأتت له الأشياء من كل جانب
وان اديرت دنياه عنه تعذرت
عليه واعيته وجوه المطالب [١-١٢٥]

وسار يطوي المنازل طياً، فصادف في باسيجمان^(٥) عسكر ارزنجان، فهزمهم عسكر جلال الدين، وحصل في قلوب عسكر الروم الرعب الزائد.

وفي خامس عشرين رمضان وصل الجاسوس، واخبر ان السلطان جلال الدين يصبحهم يوم الجمعة، فرتب الملك الاشرف الاطلاب الجاليش، وبعدهم العرب، وبعدهم الملك المنصور

(١) منازجرد، بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم، ويقع في ارمينية. ياقوت، معجم البلدان، ٢٠٣/٥.

(٢) اليهلوانية، احدى تشكيلات جيش السلطان جلال الدين منكبرتي وخاصته، ويبدو ان اصل تسميتهم تعود الى احد قواده المشهورين وهو بوجي بهلوان. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٤٨، ٣٥٣.

(٣) في سيرة السلطان جلال الدين، ص ٣٣٣، سكمانا باذ، وهي قلعة تقع في اذربيجان غرب تبريز. نفسه، ص ٢٦٠.

(٤) وقد وردت عند النسوي: ولقد احسن من قال.

(٥) باسيجمان: موضوع منازجرد وخلاط. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٩٠/٤.

ابن صاحب حمص، وبعدهم عسكر حلب مقدمهم عز الدين بن مجلي، وبعدهم الطواشي شمس الدين صواب، وبعده الملك الجواد بن ممدود، وبعده الملك العزيز عثمان، وبعده الملك المظفر شهاب الدين غازي، وبعده طلب الملك الاشرف وحلقته ومماليكه، ومن معه من النجد والخواص.

وعساكر الروم صحبة السلطان علاء الدين، وقد رتب مقدميه واطلابه، فاقبلت طلائع عساكر الخوارزمية، وبقي بينهما جبل والى جانبه وادي وادي عظيم، فلما كان بكرة السبت، قطع جلال الدين الوادي، ووقف على رأس الجبل، وقد اشرفت الشمس على اطلاب عسكر الشام، وهم لابسون الزرد والخوذ^(١) والبركستوانات^(٢) والطوارق، فاعجبه بل ازعجه، وقال: هذا عسكر ماتحركه الجبال يعني (عسكر)^(٣) الملك الاشرف وعسكر الشام، هذا الملك الاشرف يسوق قليلاً قليلاً، واطلابه سائرة مثل استواء المشط، لا يكاد يخرج الفارس عن الفارس، وهو دائر عليهم يحثهم على القتال، وينخيهم.

ووقع القتال، فحمل من الخوارزمية مقدار عشرة الف [١٢٥-ب] من الخوارزمية، وقربوا من الشاميين ورشقوهم، فستروا وجوههم بالطوارق وحث على سيرهم قليلاً من غير انزعاج.

ثم تقدمت ميسرة الخوارزمية، وكشفت الميمنة عن تل هناك، فساق شمس الدين صواب وارمى الخوارزمية، وعاد الشاميون الى مكانهم.

ثم حمل الخوارزميون حملة عظيمة بمقدار خمس عشر الف فارس، والى ان ارتجت لهم الارض، والشاميون على حالهم زحفاً من غير انزعاج، فرشقوهم بالسهام، فطلع ضباب عظيم، وساق الملك الاشرف عليهم، وتواترت الحملات اليهم، فلم يثبتوا الخوارزمية، بل ولوا الأدبار، فركب الشاميون اكتافهم ضرباً وطعنأ، فالتقوا الاكثر منهم في الوادي، وتوالى عليهم القتل والاسر، وانكشفت الهزيمة، وتراذلت الغنيمة، ولم يزل الرماح تقضي منهم اوطارها، والسيوف تيرد اوارها في مجاهل لم يضرب عليها علم، ولم يسلكها حافر ولا قدم،

(١) الخوذ، مفردها خوذة وهي غطاء حديدي توضع فوق الرأس في الحروب لحماية من الاصابات. حسين، الجيش الايربي، ص ٣١٩.

(٢) البركستوانات: مفردها بركستوان وهي كسوة مزركشة تكسي بها الخيول والفيلة. ابراهيم الكيلاني، مصطلحات تاريخية، مجلة التراث العربي، العدد ٤٩.

(٣) في الاصل (عن) والصواب ما اثبتناه.

ولا سمت اليها من قديم الزمان الهمم، الى ان جنحت الشمس الأصيل، واذن الطفل بالتطفيل، ووقع خلق منهم في شقيف متهافتين من حر الطلب، وهزيمة الاتراك من سيوف العرب واسر الغي خان، واطلس ملك، وعدة وافرة من الخانات والكبراء^(١) وامر صاحب الروم بضرب رقابهم، فشفع فيهم الملك الاشرف، وأسر صاحب (ارزن)^(٢) الروم. وطلب الملك الاشرف التوجه الى خلاط، فسير له صاحب الروم ولاخوته ومقدميه وامرائه من الاموال والخيول والتحف والخلع ما قيمته الف دينار، ورجع صاحب الروم الى بلاده، وتوجه الملك الاشرف الى خلاط، وجلال الدين الى ارجيش، ومعه زوجه الملك الاشرف، ومجير الدين ونقي الدين اخوا [١٢٦-١] الملك الاشرف، وساق الملك الاشرف خلف جلال الدين، فابعد عنه وتراسلا، واصطالحا، وعاد الملك الاشرف الى دمشق مستهل ربيع الاخر سنة ثمان وعشرين وستمائة، ثم سار جلال الدين الى اذربيجان، وكان رسول الملك الاشرف الى جلال الدين، شمس الدين خاصبك بن صاحب تكرت المهمندار الاشرفي، وكان عاقلاً فاضلاً شاعراً.

(١) للزيادة والتفاصيل عن هجمات خوارزم شاه على خلاط سنة (٥٢٧ هـ)، واحتلالها ثم استعادتها منه انظر: ابن الاثير، الكامل، ٤٨٧/١٢ - ٤٩١، النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ص ٣٢٠ - ٣٣٥، الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٦٢١ - ٦٣٠ هـ)، ص ص ٣٦ - ٤١، آميدي: الملك الاشرف موسى، ص ص ١٢٠ - ١٢٦.

(٢) في الاصل: (ارزن)، والصواب ما اثبتناه.

٦٢٨ هـ

سنة ثمان وعشرين وستمائة

فيها قتل الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن عزالدين فرخشاه بن شاهان شاه بن ايوب، صاحب بعلبك، وكان قد سرق له حياصة ودواة تساوي مائتي دينار، فاتهم بها بعض مماليكه، فاخذ الملوك السارق وحبسه بخزانة في داره، وكانت الخزانة خلف مقعد الملك الامجد، وتهدد الملوك بقطع اليد والصلب، فلما كان يوم الاربعاء ثاني عشر شوال، جلس على عادته والخزانة التي فيها الملوك محبوس خلفه وعنده الشريف عباس بن اخي البهاء، وابن فهيد المنجم اليهودي، فقال له ابن فهيد والاصطراب في يده: يامولانا هذه الساعة انت في ساعة سعد، مابعدا بعد، لو تحركت في أمر الدنيا ملكتها، فوثب الملوك المحبوس من الخزانة، واخذ سيف الملك الامجد فضربه به حل كتفه، والامجد يقول: لا يامابون، ثم ثناه باخرى ونحسه في خاصرته، وطلع جرياً الى اعلى الدار، والماليك خلفه، فرمى بنفسه من اعلى الدار، فوقع على البلاط (ميتاً) ^(١) وقطعوه الغلمان قطع.

واما الامجد فكان على اخر رمق من الدنيا، كان مغرئ بغنى شمس المغنية المعروفة بالسوداء، وكان قد هجرته تلك الايام، فلما سمعت بما جرى دخلت [١٢٦-ب] صارخة، وقد شقت اثوابها، فلما نظرها نظم ارتجالاً:

وقد كنت ارجو طيفها ان يلم بي	فلا طيفها وافى ولا اجتمع الشمع
فلما احسست بالمعات تعطقت علي	وعندي من تعطفها شغل
أتت وحياض الموت بيتي وبيتها	وجاءت بوصل حين لا يتفجع الوصل

ومات ودفن بترية ابيه على الشرف الشمالي، وكان فاضلاً، شاعراً، فصيحاً، وله ديوان شعر مليح، وكان شجاعاً جواداً ممدوحاً.

(١) في الاصل (مات) وهو خطأ واضح، والصواب ما اثبتناه.

واما السلطان جلال الدين خوارزم شاه، فانه توجه عقيب الكسرة الى تبريز، وقد تفرقت الخوارزمية عنه في البلاد، وسار الخير بكسرتيه في كل مجمع وناد، فما لبث بتبريز إلا وقد وافاه الخير المزعج بوصول التاتار اليه، فودع شمس الدين خاصيك صاحب تكريت، واستصحب معه مجير الدين يعقوب بن الملك العادل، وسار طالب موقان^(١) ليجمع من بها من العساكر، هيهات وقدماه من اعدائه البحر الزاخر، فكان في طريقه يتحدث مع مجير الدين، فاذا خلا بنفسه ينحدر الدموع على خده، علماً منه ان لا ناصر له ولا معين.

فلما وصل موقان سير البهلوانية الى الخانات والمقدمين يستنفرهم ويعرفهم بوصول العدو المخدول، وسير من خواصه من يعتمد عليه يزكاً يخبرانه باحوال العدو المخدول فحصل عندهم تهاون، واشتغل السلطان بالصيد في موقان، وهو في قل من العدد زهاء الف فارس من خواصه، فنزل على قلعة شيركوت^(٢)، وكانت قد خربت في مبدأ خروج التتر، فعمرها شرف الملك وبات تلك الليلة، فلم يشعر الا والعدو قد اخذ عليه المسالك، فركب وسار تحت الليل، وتفرق عنه اصحابه، وخانه في [١٢٧-أ] احبابه.

وكان مجير الدين في صحبته، فقال له: الرأي ان نمضي الى الملك الاشرف، ونعرفه قصد العدو البلاد، وانه لم يبق سوى التعاضد واتفاق الكلمة عليهم، وهيهات هل من راق، وقد بلغت التراق، وظن انه الضراق، فقال لنفسه عند وداعه لمجير الدين كلاماً بالعجمية معناه، ومن العجائب انتصاري بقلب جرحه بصوارمه واستضهاري بجناح بت بيده، مصوف قوادمه، وانفصل مجير الدين، واصحبه معين الدين القمي وسارا نحو الشام.

وأقام السلطان بماهان^(٣)، ثم ورد عليه الخير ان التتر مخطين على قصده، فرحل السلطان قاصداً اران^(٤)، فلما قارب حيزان^(٥) ونزل بها، واقام اياماً، وكانت (اوباش)^(٦)

(١) موقان: من مدن اران. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٢٦٧.

(٢) شيركوت: قلعة بنيت على تل بموقان، يحيط بها خندق عميق وعريض، يتبع منه ماء البلد، ولا يعبر اليها الا بجسر يرفع عند الاستغناء عنه. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٣٥٣.

(٣) ماهان: مدينة في كرمان بينهما مرحلتان. ياقوت، معجم البلدان، ٤٨/٥.

(٤) اران: ولاية واسعة وبلاد كثيرة، ومن مدنها المشهورة كنجه وبيلقان ويفصلها عن اذربيجان نهر الرس [ارس]. ياقوت، معجم البلدان، ١٣٦/١.

(٥) حيزان: بلد قرب اسمرت. ياقوت، معجم البلدان، ٣٣١/٢.

(٦) في الاصل: (اباش) والتصحيح من: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٣٦٩.

كنجه لما قتلوا من بها من الخوارزمية، وظاهروا بالفساد، وجاهروا بالعناد، سير اليهم خان بردي يأمرهم بالطاعة ويحذرهم المخالفة، واعطاهم الامان، وواعدهم الاحسان، فما رجعوا عن الخلف، ولا مالوا الى الانصاف.

فوصل السلطان ونزل بساتينها، واخذت الرسل تتردد اليهم، ولا يرجعون عما هم عليه من العصيان، وخرج اوباشهم ورموا خيمة السلطان بالنشاب، فركب السلطان وساق عليهم بمن معه عليهم، واذا بهم كالغنم مطرحين يخوضون في دمائهم، ودخل السلطان مع المنهزم منهم الى المدينة، فدخلها وأمر كبراءها ان يحضروا له من كان السبب في العناد، والمقوى على الفساد، فأشاروا الى ثلاثين نضراً، فاحضروا وضربت رقابهم بباب القصر، والسلطان يتابع رسله الى الملك الاشراف يستنجده على العدو المخدول.

فورد جوابه انه متوجه بنفسه الى الديار المصرية ليصحبها^(١) ويجهزها معه سريعاً، وكان الحال كما قيل في المعنى [١٢٧-ب]:

مواعيد كما لاح سراب المهمة القفر
فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر

وقصد العدو السلطان فسار ممثلاً ليله مع النهار حتى وصل آمد وخرج اليه علم الدين قصب السكر رسولاً من الملك المسعود بالطاعة، وزين له قصد الروم، وطمعه في الاستيلاء عليها، فمال السلطان الى كلامه، وعدل عما كان نواه من السير الى اصفهان، فبات تلك الليلة بآمد وشرب وسكر، فلا صحوا الا اذا نضح في الصور، وبعثوا من القبور، واتاه في تلك الليلة شخص تركماني، وقال: اني رأيت في منزلك التي كنت فيها امس عسكرياً زيهم غير زي عسكري، فكذبه، وقال: هذه حيلة ممن لا يختار نزولنا في هذه البلاد، ونام سكراناً^(٢) الى قريب الفجر، فاحتاط التتار به وبعسكره مصبحين، فتفرقوا ايدي سباً في الاقطار، وتشئت شملهم في الامصار، واحاطوا بخركاته اطلاباً، وهو نائم سكران.

واذا بارخان قد وصل في اعلامه واصحابه، فحمل عليهم وكشفهم عن الخركاه، ودخل بعض الخواص، فاخذ بيد السلطان واخرجه، وعليه طافية بيضاء، فاركبه الفرس فساق، فلما رأى اطلاب التتار تتبعه مجددة في الطلب، أمر ارخان ان يفارقه بمن معه من العسكر

(١) ويقصد بذلك عساكر مصر.

(٢) في الاصل (سكرياً). والصواب ما اثبتناه.

ليتبعوا سواده، ويخلص بمفرده، وخطأ في ذلك، لان ارخان لما فارقه تبعه جماعة كثيرة من كبار الخوارزمية، ووصل اربل ومعه اربعة الف فارس، فالتقاه الملك المعظم مظفر الدين، واحسن اليه، ثم ساق الى اصفهان وملكها زماناً [١٢٨-١٢٨].

واما السلطان فان طلب العدو ساق خلفه، وتحققوا انه السلطان، وكان فرسه جيداً، وصفى خلفه مقدار خمس عشر نضراً من التاتار، فعاد عليهم وقتل منهم نضرين فاحجموا عنه، فصعد في الجبل، وكان الاكراد يحضون الطرق، فاخذوه وشلحوه، فحين هموا بقتله، قال لكبيرهم سراً، انا السلطان فلا تستعجل، ولك الخيار في احضاري الى الملك المظفر شهاب الدين، او الى بعض بلادي، فرغب فتصير ملكاً، فرغب الرجل في ايصاله الى بلاده، ومشى به الى عشيرته، فتركه عند امراته، ومضى بنفسه الى الجبل لاحضار خيله، فبينما الرجل غائب، اذ جاء شخص كردي وببيده حربة، فقال للمرأة: ماهذا الخوارزمي، ولم لا تقتلونه، فقالت لا سبيل الى ذلك، وقد امنه زوجي، وعرف انه السلطان، فقال الكردي: كيف تصدقونه انه السلطان، وقد قتل لي بخلاط اخ خير منه، فضربه بالحربة ضربة اغنت عن الثانية، والحقته بالنفوس الفانية، فاضحى به لواء الدين مخفوضاً، وبناء الاسلام منقوضاً، فاعجب من هلاك الاسد الغالب على ايدي الثعالب.

وسير الملك المظفر الى ذلك الجبل بعد مدة، وجمع سلب السلطان والفرس الذي كان تحته والسرج والسيف والمشهور، والعودة الذي كان يشدها في وسط شعره، فلما احضرت شهد كل من حضر من خواصه الذين كانوا معه، بان هذا سلبه، وبعث فاحضر عظامه، فدفنت، فقد ارتكب الكردي الشقي خطباً عظيماً.

ذكر نبذ من سيرته وصفته

كان اسماً قصيراً تركيا، وكان يتكلم بالتركية والفارسية، وكان [١٢٨-١٢٨] ب [شجاعاً اسداً ضرغاماً، وكان حليماً لاغضبوا، ولا شتاماً، وقوراً لا يضحك الا تبسماً، ولا يكثر كلاماً، وكان يختار العدل، غير انه صادف ايام الفتنة، فغلب، ويحب الترفيه على الرعية، لولا انه ملك في زمان القرة قصب.

وكان يكتب الى الخليفة مبدأ طلوعه من الهند، والوحشة قائمة حذواً على منوال ابيه، خادمه المطواع منكبرتي بن السلطان سنجر، ولما خلعت عليه خلعة السلطنة على

ماذكرناه، كتب اليه عبده والخطاب سيدنا ومولانا امير المؤمنين، وامام المسلمين، وخليفة رسول رب العالمين، امام المشرق والمغرب، والمنيف على الذروة العليا من لؤي بن غالب. وكان يكتب الى علاء الدين كيقتباز و (ملوك)^(١) مصر والشام أجمع، اسمه واسم ابيه منعوتاً بالسلطان، ولم يكتب شيئاً مما جرت به العادة، من خادمه او محبه او اخيه، وكانت علامته على توقيعه، النصره من الله وحده، فاذا كاتب بدر الدين صاحب الموصل، او اشباهه، يعلم هذه العلامة باحسن خط، وكان يشق قلم العلامة شقين لتجئ غليظاً.

وقد خاطبوه من الخليفة مبدأ طلوعه من الهند بالجناب الرفيع الخاقاني، ولم يزل يقترح عليهم خطابه بالسلطان، فلم يجب الى ذلك، اذ لم تجر العادة به مع من تقدمه من كبار الملوك، فلما كثر الحاجة اليه، خاطبوه حين حملت اليه خلع السلطنة، بالجناب العالي الشاهنشاهي، وكانت واقفته في منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة.

(١) ما بين الحاصرتين مكرر في الاصل.

٦٢٩ هـ

سنة تسع وعشرين وثمانمائة [١٢٩-١]

وفيهما توفي فخر الدين محمد بن عبدالوهاب بن عبدالله الانصاري، المعروف بابن الشيرجي الدمشقي^(١)، كان عدلاً أميناً محتشماً كبير النفس، عالي الهمة، وكان متعلقاً بست الشام بنت ايوب ووكيلها، وفوضت اليه أمر اوقافها، وعلى عقبه من بعده، وكان كريم النفس والاخلاق، كيساً حسن الحاضرة، متواضعاً سمع الحديث من الشيخ [١٢٩-ب] تاج الدين الكندي والحافظ بن عساكر، ولد سنة تسع واربعين وخمس مائة، وتوفي عاشر ذي الحجة من السنة ودفن بباب الصغير، رحمه الله تعالى.

(١) كان من عدول دمشق ولد سنة (٥٤٩ هـ). ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٧٥/٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٣/١٣.

٦٣٠ هـ

سنة ثلاثين وستمئة

فيها توجه الملك الكامل من الديار المصرية بعساكره، ووصل الشام، وحصل عند ملوك الشرق من خروجه الخوف العظيم، بحيث كل منهم يظن انه قاصده، فقطع الفرات، ونزل حران، ثم توجه الى آمد محاصراً لها، وكان صاحبها الملك المسعود مودود بن الملك الصالح محمود ينزل عليها اياماً، وزحف عليها زحفة عظيمة، وجد في زحفه فملكها، وطلعت صنابق ولده الملك الصالح على سورها، فسأل الملك المسعود الأمان، وخرج وفي رقبته منديل، فلم يمكنه الملك الكامل من الاجتماع به، ووكل عليه، وتسلم الملك الكامل آمد، وسلمها الى الطواشي شمس الدين صواب العادلي، ونقل اليها جماعة من عسكر مصر، وحلقتها ممن يثق بهم، ورتبهم بها، واحسن الملك الكامل الى اهل آمد، وازال عنهم ماكانوا فيه من الضر، وتسلم قلاعها ماخلا حصن كيفا، فسير الملك الاشرف وشهاب الدين غازي الى حصن كيفا وصحبتهما صاحب آمد، فسلم حصن كيفا اليه، وعاد الملك الكامل الى حران، وأمر ولده الملك الصالح ان يتوجه الى آمد ويقيم بها، وحدثت للجند معزوق بالطواشي شمس الدين صواب.

وعاد الملك الكامل متوجهاً الى الديار المصرية، واحسن الى صاحب آمد، وتسلم جميع ماكان له من الحواصل^(١) والخزائن والالات والماليك والخيول، واعطاه بمصر اخميم^(٢) واعمالها، وكان الملك المسعود صاحب آمد ضد اسمه مدبراً [١٣٠-أ] في اموره، كثير الفسق

(١) الحواصل: وهي البيوت، وهم يضيفون كل واحد منها الى لفظ خاناه كالشراب خاناه أي بيت الشراب، والسلاح خاناه أي بيت السلاح، وخاناه لفظ فارسي [وكوردي ايضاً] معناه البيت. القلقشندي، صبح الاعشى، ٨/٤ - ٩.

(٢) اخميم: بلد بالصعيد على شاطئ النيل. ياقوت، معجم البلدان، ١/٢٣٣.

والتعرض الى حريم الرعية، وجد في داره طالع من مائتي^(١) مسرة لفراسه، وكان مشتغلا بهذه الامور الذميمة عما يصلح به دنياه ودينه.

وفيها توفيت بنت الملك الاشرف بن العادل بدمشق، فدفنها في بستان علاء الدين بن القلانسي بقاسيون عند دير الحنابلة ظنا منه ان ابن القلانسي يسر بذلك، لانه كان خصيصاً بالملك الاشرف، وكان محسناً اليه، فشق ذلك على ابن القلانسي، وشرع يتحدث بين الناس اخذ ملكي وجعله تربة بغير امري وهو وقف، وشنع كثيراً، فبلغ ذلك الملك الاشرف فاشترى تربة شرف الدين يعقوب الهذلي الجهاركس، ونقل ضريح البنت اليها، فلما وصل الملك الكامل دمشق، عظم ذلك عليه، وقال: السلطنة ما يتعمل على هذه الصورة، وأمر بالقبض على ابن القلانسي، وان يستأصل جميع ملكه وحاصله، فقال الملك الاشرف لا والله ما اعارضه بسوء، بل لا يعود يدخل الى بعدها.

وفيها فتحت دار الحديث الاشرفية المجاورة للقلعة، ليلة النصف من شعبان، وحدث بها الامام تقي الدين بن الصلاح.

وفيها توفي الملك العزيز عثمان^(٢) بن الملك العادل، شقيق الملك المعظم لأمه وأبيه، وهو الذي بنى قلعة الصبيبة^(٣)، وكان عاقلاً قليل الكلام، شجاعاً محباً الاجناد الجياد، وكان بعد موت الملك المعظم في سنة خمس^(٤) عشرين وستمائة قد عامل على قلعة بعلبك، وكتب اليه ابن الملك الامجد وجماعة من اصحابه، ان يصل سحر الى باب السر فقد نشرناه، وكان بالصبيبة فساق [١٣٠-ب] منها اول الليل والمسافة بعيدة، فجأهم ضحوة نهار، وقد فات الامر، ونزل قبالة بعلبك، فارسل الملك الناصر اليه عرس الدين خليل،

(١) لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٧٦/٨، همساته، الذهبي، دول الاسلام، ١٣٥/٢.

(٢) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٧٨/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٤٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٤٨: الذهبي، دول الاسلام، ١٣٥/٢، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٢٠-٣٢١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢٨١، الغساني، المسجد المسبوك، ٢/٤٥٦، النعمي، المدارس في تاريخ المدارس، ١/٥٤٩، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٣٦/٥-١٣٧.

(٣) الصبيبة: هي قلعة بانياس التي تقع جنوب غرب دمشق، وبينهما مرحلة ونصف. ابو القدا، تقويم البلدان، ص ٢٤٩.

(٤) كان ذلك سنة (٦٢٤هـ). انظر وفيات تلك السنة.

فرحله الى بانياس وما عاد الملك العزيز دخل دمشق الا مع الملك الكامل حين فتحها، وتوفي العزيز بالناعمة^(١) ببستانه عاشر رمضان، ودفن في تربة العظم بقاسيون. وفيها توفي صاحب الوزير صفي الدين عبدالله بن علي بن شكر^(٢) الدميري^(٣)، وزير الملك العادل، وكان وزيراً مهيباً عالماً فاضلاً، له معرفة بقوانين الوزارة، وكان على دولة الملك العادل به جلالة ظاهرة وابهة فاخرة، وكانت عنايته مصروفة الى العلماء وايامه مشرقة بالفضلاء، وكان مالكي^(٤) الذهب، وكان الملك العادل قد انحرف عنه في اخر عمره، فخرج من الديار المصرية وسار الى آمد، واقام بها، ولم يخدم احد الى ان توفي الملك العادل، فارسل الملك الكامل في طلبه، فوصل دمشق ونزل في بيت رأس^(٥) عند المؤيد العقرباني، وكان قد قل نظره، وسار الى مصر، فالتقاه الملك الكامل واحترمه، وفوض اليه امور الوزارة، وله بالقاهرة مدرسة مشهورة، واثار ماثورة.

وفيها توفي الملك المعظم مظفر الدين ابو سعيد (ككبري)^(٦) بن زين الدين علي كوجك بن بكتكين صاحب اربل، مولده بقلعة الموصل سنة تسع واربعين وخمس مائة، وقد ذكرنا مواقفه مع بيت اتابك على تل السلطان، وما ظهر من شجاعته لكل شاهد عيان،

(١) الناعمة: بيت لها. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٧٨/٨، وبيت لها: قرية مشهورة بغرطة دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٥٢٢/١.

(٢) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٧٧/٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٦/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٨٠/٦، هذا وقد ورد وفاته ضمن احداث سنة ٦٢٢ هـ لدى: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٢١ - ٢٢٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٠٠/٥.

(٣) نسبة الى الدميرة: وهي الان احدى قرى مركز طلخا بمديرية الغربية. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٨٠/٦، هامش (٣).

(٤) نسبة الى الامام مالك بن انس، ولد سنة (٩٥ هـ) وتوفي سنة (١٧٩ هـ). انظر ترجمته لدى: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٠٠/٢ - ٣٠١، ابن الاثير، الكامل، ١٤٧/٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٠/١٠.

(٥) بيت راس: احدى كور الاردن. ياقوت، معجم البلدان، ١٤٨/١.

(٦) والصواب هو (كوكبري) وهو اسم تركي معناه بالعربي ذئب ازرق. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٩٣/٢.

ومواقفه مع صلاح الدين يوم المصاف الاكبر على عكا، وقرن حطين، وتقلبت به الاحوال من الصغر حتى نبغ على اقرانه من الكبراء وظهر، فانه كان [١٢١-أ] بينه وبين مجاهد الدين قايمار الزيني خادم ابيه شأن قديم، فلما توفي والده زين الدين علي كوجك، جعله ولي عهده، واناط اليه الامور من بعده، فتولى اربل، وحصل عند مجاهد الدين منه الخوف العظيم، وخشي على نفسه منه، فاطهر عنه انه سيئ التصرف في السياسة، مائلاً الى اولاد الرعية، سوداوي الاحوال، مختل المزاج، وميل معه جماعة من مشايخ اربل وكبراءها، وقاضيتها وامراءها، فانهم كانوا يخشون سطوته، ويميلون الى اخيه زين الدين يوسف لصغر سنه، ولعلمهم انهم يتصرفون في دولته كيف شاءوا، وكتبوا محضراً بذلك، واثبتوه، وسروه الى الخليفة، وراموا القبض على مظفر الدين، فعلم بما قد اتفقوا عليه، فخرج من اربل هارباً، وقصد قطب الدين صاحب الموصل، وخدمه مفردياً^(١) في حلقتة، فلاح له منه امارات السيادة، واثارات السعادة فجعله اميراً في خدمته.

ثم نبغ بشجاعته وفضله وسيادته، فاقطعه حران وصار ممن يشار اليه من المقدمين الاعيان، وكانت من جملة بلاد والده زين الدين مضافة الى اربل، فاقام بحران الى حين وفاة نور الدين بن زنكي، وملك صلاح الدين دمشق وقصد حلب، وضرب صلاح الدين المصاف المعروف على تل السلطان مع عسكر حلب والموصل^(٢) وكان مظفر الدين ميسرة عسكر بيت اتابك، فلما التقى العسكران كسر قلب صلاح الدين وميسرته، قلب عسكر بيت اتابك وميمنتته، فساق مظفر الدين بالميسرة، فكسر ميمنة صلاح الدين كسرة شنيعة، وصار له بذلك عند صلاح الدين وسائر ملوك المسلمين الاسم العظيم، ونبل قدره، وشاع ذكره، وكان مجاهد الدين [١٢١-ب] قايمار قد تمكن من الموصل، وصار اتابك عساكرها ورب مصادرها ومواردها.

(١) مفردى، والجمع مفاردة وهم قسم من عساكر حلقة السلطان، ويظهر انهم افردوا بهذه التسمية لتبعيتهم مباشرة لديوان المفرد، وهو ديوان يرجع تأسيسه الى ايام الفاطميين، وكانت تخرج منه في زمن الدولة المملوكية نفقة الممالك السلطانية من جامكيات وعليق وكسرة. المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٨٠، هامش (٢).

(٢) كان ذلك سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) وللزيادة عن هذه الموقعة انظر: ابن شداد، النوادر، ص ٥١-٥٢، ابن الاثير، الكامل، ٤٢٧/١١-٤٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٣٢/٨-٣٣٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٦/٢-٤٦، المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٦١-٦٢، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٢٥٧/٥، الهسناني، سنجار من ٥٢١-٥٦٠ هـ، ص ٥٧.

خشي مظفر الدين ان يعتمد مجاهد الدين معه ما اعتمده باربل، ونقل اليه عنه اخبار اوقفت قلبه وازعجت خاطره ولبه، فكانت صلاح الدين وسار الى خدمته فالتقاه، وزاد في اكرامه وزوجه اخته ربيعة خاتون بنت ايوب، وكانت راجعاً^(١) لانها قبله زوجة سعد الدين مسعود بن معين الدين انر، واجراه على ماكان له حران وزاده الرها وسميصات والموزر، واستمر في خدمته الى سنة ست وثمانين وخمس مائة، فتوفي اخوه زين الدين يوسف صاحب اربل، وكان قد وصل الى خدمة صلاح الدين بمرج عكا، وطلب مظفر الدين اربل عوضاً عما بيده فاعطاها اياه، وزاده شهرزور^(٢)، وتوجه الى اربل وملكها، ومازال منتمياً الى بيت ايوب، ويحلف بترية صلاح الدين، حتى تعصب الملك الاشرف عليه، ومال الى بدر الدين لؤلؤ، وقد شرحنا ذلك.

ثم بلغه عن الملك الكامل لما ملك دمشق من الملك الناصر اموراً اوجبت الوحشة منه والميل عنه، فاستند الى الخليفة، واعتضد به، الامام المستنصر بالله، فطلبوه الى بغداد، فسار اليها، فالتقوه في موكب عظيم، واحترموه واکرموه (وسجلو)^(٣) بقدره، ودخل على الخليفة، واجتمع به، واقعده وتحدث معه، واستشاره، وخلع عليه، وسلطنه وعاد الى اربل فرحاً مسروراً وذلك في سنة ثمان وعشرين.

وكان رحمه الله كثير الصدقات غزير الصلات، مصراً على فعل الخيرات وكان مقصداً للامراء الكبار والعلماء والفقهاء والفقراء والصوفية، ومن قعد به الزمان من ارباب البيوت، وكان يعمل [١٣٢- أ] مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ويتصب فيه القباب ويزينها، ويزين البلد، ويقصده العلماء والفقراء والصوفية من سائر البلاد، ويحضر الى اربل مغاني العجم والشام وبغداد والموصل، ويبقى الفرح والمغاني والزينة والاطعمة، من اول ربيع الاول الى ليلة المولد، فيعمل سماعاً عظيماً للفقراء والصوفية ويحضر فيه، ويرقص ويخلع، ثم يعطي كل صوفي خلعه يليق بالتصوف في منديل قطن بيضاء

(١) المرأة الراجع: هي المرأة التي يموت زوجها فتزجج الى اهلها، الرازي، بن ابي بكر، مختار الصحاح، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٣٤.

(٢) شهرزور، كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمدان. ياقوت، معجم البلدان، ٣/٣٧٥، وللزيادة عنها انظر، حسام الدين علي غالب النقشبندي، الكرد في الدينور وشهرزور في القرنين الرابع والخامس الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥ م. وهي تتبع حالياً محافظة السليمانية في اقليم كردستان العراق.

(٣) من السجية، اي الخلق.

يتركوها على رؤوسهم، وفي يد كل شخص شمعتين، وهو ايضاً في جملةهم على رأسه خرقة الجنيد، ويطلعون الى القلعة كل ثلاثة صف، وبين الصفوف جوق المغاني والشموع الكبار على البغال، ويكون ليلة لاتحكي، والطبول والابواق والكوسات تضرب في اعلى القلعة وفي القباب، فاذا طلع القلعة مد سماطاً عظيماً، واكلوا الفقراء والصوفية، وعملوا السماع الى الصباح، وقد رتب له بالميدان في المدينة السماط الكبير، فيمد وينزل اليه، وهو ثاني يوم المولد، يذبح فيه الفي رأس غنم، وحلاوات لاتحد.

حكى من حضره مراراً انه عد فيه خمسين رأس خيل قشلمش، وخمس مائة رأس غنم شوي، وثلاثة الف صحن حلوى، ولا يأكل منه، ولا يصرف إلا رب خرقة او صلوك او صوفي، ثم يفرق الصلات على من قصده من البلاد، وعلى الصوفية والفقراء وارياب الزوايا في قرطيس، ولا يجرم احد من القراء والخطباء والعلماء والوعاظ على قدر مناصبهم واحوالهم.

وينى باربل دار مضييف، يدخل كل وارد ثلاثة ايام، وكان له راتب عظيم من خبز وطعام وثياب خام، يصطف الصعاليك حول خندق القلعة، وينزل المتصدقون بقدر الطعام وسلال الخبز وثياب الخام، فيطعموا الصعاليك [١٣٢-ب] ويكسوا العراة منهم^(١). وكان له خانكاه الزمنى^(٢)، وخانكاه العميان، وخانكاه الزمنى ولهم من يخدمهم، ويدور بهم ويروحهم لبعضهم بعض، وقد اجرى عليهم الجرايات والجماميات^(٣) والكساوي، ويدخل اليهم بنفسه ويفتقد احوالهم، ويقعد اليتيم واليتيمة على ركبته، ويقول لهم: انا ابوكم، ويعمل للبنات اليتامى الجهاز الكامل من الصغر، ويعلمهم النقش،

(١) وعن احتفاله بالمولد النبوي، وما كان يقوم به من اعمال البر والاحسان. انظر ايضاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٨٠/٨ - ٦٨٣، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/٢٩٠ - ٢٩٢، ابن واصل، مفروح، ٥٧/٥ - ٥٩، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٥٤، الذهبي، دول الاسلام، ١٣٥/٢ - ١٣٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٤٧، ابن ابي عذبة، انسان العيون في مشاهير سادس القرون (مخطوط)، مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب، جامعة بغداد، رقم (٤٢٩)، ص ص ٢٩٨ - ٣٠١، الفسائي، المسجد المسبوك، ٢/٤٥٢ - ٤٥٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٣٨/٥ - ١٤٠.

(٢) الزمنى: الذين لازمهم المرض زماناً طويلاً، وضعفوا بكر سن او مطاولة علة. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١/٤٠١.

(٣) الجمامكية: لفظ فارسي وتعني الرواتب المقررة التي كانت تمنح لمن يخدم في دواوين السلطنة، حسين، الجيش الايوبي، ص ١٣١، هامش (١).



فاذا كبروا زوجهم بارياب الصنائع، ولا يسميهم احد إلا بنات السلطان، وكذلك الزمنى والعميان، ويشهيهم في الماكول والمشروب والملبوس، ومهما طلبوه احضر لهم، وكان مغراً بالصيد، يركب كل يوم من الليل، لا يبطل، ولا يسبقه احد بسلام، كل من راه من فقير وبلدي وفلاح يقول له سلام عليك بأصبعه، ومع ذلك كان ذو هيبة قاطعة، وله قعود في السلطنة، وكان يبعث الاموال ويستفك الاسرى من ساحل الشام والكرج، وله نقيب مقيم بدمشق، لا يمشي في الازقة والاسواق، الا وخلفه علم رنك^(١) مظفر الدين، بحيث من كان له اسير يتحدث معه في فكاهه، ومن عنده اسيراً من الفرنج يعلمه بهم، فاذا وصل القعاد من اربل بالاموال يعلمهم بمن يستفكون، واي جهة من الساحل يقصدون، فاذا اشتروا الاسرى وعاد بهم الى دمشق، يلتقيهم القضاة والعلماء والقراء، الى ان يدخلوا بهم المدرسة العادلية، ويعملوا لهم الماكول ثلاثة ايام، ويدخلوهم الحمام، ويكسوهم، ثم بعد ذلك يزوجون النساء لمن يطلبهم، ومن اختار من الرجال والنساء ان يقصدوه الى اربل جهزوه وسيروه، ومن اختار المقام بدمشق والتصرف في الدنيا اعطوه مايسعى به في امر دنياه، واستفك من الساحل ست عشر الف وثمان مائة [١٣٣-أ] اسير خارجاً عن الكرج.

واجرى اليرك الى جبل عرفات، وبنى الجامع بجبل الصالحية، وهو قاسيون، ومارستان بحران، ومدرسة باربل، ودار حديث بها، ومدرسة بالموصل، ورباط بمكة، وكان في كل سنة يرسل الى المجاورين بالحرمين مال جزيل، يفرق فيهم، وكان عليه رسوم كبيرة لارباب الزوايا والفقراء والعلماء في سائر البلاد. وكان ثوبه قطن مفوط قيمته خمس دراهم، وقياء نصفية، وشاشة قطن ازرق، ومع هذه المناقب ماسلم من السنة الناس.

وكان وفاته بقلعة اربل في رمضان من السنة، واوصى ان يحمل الى مكة، ويدفن بالقبة التي بناها عند برك عرفات، فحمل الى الكوفة في سنة احدى وثلاثين، فتحرك التتر الملاعين فبطل الحج فدفنوا بدله في الكوفة في حرم أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(١) رنك: لفظ كوردي وفارسي معناه اللون. وهو الشعار الذي كان يتخذه الامير لنفسه عندما يعينه السلطان، علامة على الوظيفة التي يعين فيها. حسين، الجيش الايوبي، ص ١٦٨، هامش (١).

واختلف الراء باربل بعد موته، مال قوم من الامراء الى ان يسلمها الى الخليفة وهو الامير فتح الدين بن كر، ومال قوم الى الملك الكامل وهو الامير عزالدين ابن بدر الحميدي والامير تاج الدين خالص الخادم، ومال قوم الى الملك الاشرف وهم مجاهد الدين یرنقش الخادم، واولاد بهاء الدين علي وممالك السلطان، فكتب كل لمن مال اليه.

فوصل الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل من آمد الى الزاب، ووصل الملك الصالح عماد الدين اسماعيل من سنجار، وكان نائب الملك الاشرف بها، فجرى بينهم مشاجرة، وسير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الى كل منهم واهمه بامور اوجبت تقاعده، وحلفه مع الاخر، فنزل عساكر الخليفة مقدمهم شرف الدين اقبال الشرايبي، فعاد الصالح ايوب [١٣٣-ب] والصالح اسماعيل كل الى جهته، وذلك بتدبير بدر الدين لؤلؤ لانه كره مجاورة بيت ايوب، وخشي على الموصل، فحصر عسكر بغداد اربل، وامتنع من بها من التسليم اليهم، فكاتبهم الامير فتح الدين بن كر، واتفق الحال معه، وكان عزالدين شهري بن كذك في اقطاعه، فلما بلغه نزول عسكر بغداد على اربل قصدها ليلاً بنفر يسير، وهجم في الليل، وساق في اوطاق البغاددة، [منادياً]^(١) الاشرف يامنصور: فوقع فيهم الصالح ان عسكر الملك الاشرف قد كبسهم، وكادوا ينهزمون من شوشة وقعت بينهم.

ودخل عزالدين شهري اربل سالماً، وصار له بذلك السمعة والصيت والذكر الحسن. وزحف عسكر بغداد على اربل، فقاتلهم من بها قتالاً شديداً، وكسر الامير فتح الدين اقبال باب (اربيل)^(٢) وسلمها اليهم، فدخلوها ووضعوا السيوف والنهب والحريق وسبي البنات المخدرات، وفعلوا مالا يفعله الكفار، وبعد ذلك تسلموا القلعة بالامان، ورتبوا نائب السلطنة باربل شمس الدين يادكين، وعاد الشرايبي والعساكر الى بغداد. فسار شمس الدين يادكين باربل السيرة الجميلة، وبث العدل، واعان المهوف، وكان شيخاً كبيراً ذا رأي وتجربة، من ممالك الامام المستنجد، وكان عالماً بالفقه والادب والقراءة ديناً صالحاً، ومن شعره:

(١) ماين الحاصرتين اضافة لتستقيم المعنى.

(٢) في الاصل: (الموصل) وهو خطأ واضح، والصواب ما اثبتناه.

ما في الايام كريم	يرجى بذى راحتته
ولا صديق صدوق	يعزى الوفاء اليه
فاحزم الناس رأيا	متن بات في حاله
لا معرضاً عن صديق	ولا مكباً عليه
فمن اراد وفاء	اغنىماه والديه

فعمر اربل واستمال قلوب رعيته، وعرض اسوارها، وبنى بها دار [١٣٤- أ] مضيف لمن يردّها من الفقهاء والصوفية والفقراء والغريباء.

٦٣١ هـ

سنة احدى وثلاثين وستمائة

وهيها كانت نوبة الدربندات^(١)، وذلك انه وقع بين علاء الدين كيكائوس صاحب الروم، وبين الملك الكامل، فخرج الملك الكامل بعساكر مصر، ووصل دمشق والتقاء اخوه الملك الاشرف موسى وانزله بالقلعة، وبرز من دمشق مستهل رمضان، واجتمع في خدمته الملك الاشرف، والملك الناصر داود بن المعظم، والملك الجاهد اسد الدين شركو صاحب حمص، والملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة، والملك الصالح اسماعيل صاحب السواد وبصرى اخوه، وعز الدين ايبك المعظمي صاحب صرخد، وسار طالبا بلاد الروم، وتجنب حلب ايثار التخفيف على صاحبها، واخذ على الساجور^(٢) فوصله نجدة حلب مقدمها الملك المعظم (ترنشاه)^(٣) بن صلاح الدين، ووصله ولده الملك الصالح نجم الدين ايوب، والطواشي شمس الدين صواب العادلي بعساكر دياربكر والجزيرة وآمد، ووصل الى خدمته اخواه الملك المظفر شهاب الدين غازي، والملك الحافظ صاحبيا ميفارقين وقلعة جعبر، والملك المعظم سنجرشاه صاحب الجزيرة، ونجدة الموصل، وماردين، عسكر الملك الاشرف الذي بسنجار ونصيبين والخابور^(٤).

(١) الدربندات، جمع دربند، هو باب الابواب. ياقوت، معجم البلدان، ٤٤٩/٢.

(٢) الساجور، اسم نهر بفتح. ياقوت، معجم البلدان، ١٧٠/٣.

(٣) هو (توران شاه) كان قد تولى الحكم في حلب والدفاع عنها ضد هجوم المغول عليها سنة (٦٥٧ هـ) نيابة عن الملك الناصر يوسف سلطان الشام. وتوفي في السنة التالية. للزيادة عنه انظر: افسنيناني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد الايوبية، ص ٤٣٤ - ٤٣٨.

(٤) للزيادة عن هذه الحملة انظر: ابو الفضائل، التاريخ المنصوري، ص ٢٥٥ - ٢٥٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٨٤/٨، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٤٩، ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٤/٥ - ٨٢، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ١٣٠/١ - ١٣١، الذهبي، تاريخ الاسلام، ص ٦، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ١٧٢ - ١٧٤، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٢٤٧ - ٢٤٨، كان في عسكر الملك الكامل ستة عشر دهليزا لستة عشر ملكا، لم يجتمع مثلهم لملك قبله. ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٥/٥.

وسار طالباً الدربند، فجمع صاحب الروم عساكره واستخدم، ونفق الاموال، وتقدم قريباً من الدربند من جهة الروم، وجمع وزراءه وامراء للمشورة، فقال حسام الدين القيمري، المصلحة ان توعد الدربندات، وتحفظ بالرجال [١٣٤- ب] ويرمى بها الشجر والحجارة، فقال صاحب الروم: عسكري مقدار عسكرهم مرتين، فقال الامير حسام الدين: خيلهم اجود من خيلك، والمعنى ان عسكرهم انفع من عسكر الروم، ففهم صاحب الروم الغرض.

وجرد صحبة حسام الدين القيمري جماعة من عساكر الروم، فساق ونزل على فم الدربند من جهة الشام، ووعر الطريق، فتوقف الملك الكامل عن الدخول وجعل ذلك حجة، لانه مسك كتب صاحب حمص، وحماة، والناصر داود، وصاحب آمد، وصاحب ماردين، الى صاحب الروم فخاف ان يكون معمولة حيلة، فعاد الملك الكامل مظهرأ انه يطلب طريقاً اخر يعبر فيه، فسار الى ان نزل السويداء^(١).

ووصله صاحب خرتبرت، فسير مع الملك الناصر داود، وشهاب الدين غازي، وصاحب حماة وشمس الدين صواب العادلي، فتأخر الناصر داود وشهاب الدين غازي، ووصل الباقون الى خرتبرت.

فجهز صاحب الروم السوباشي وكمال الدين كيمياري، وسيف الدين القيمري بعساكر الروم، والتقى العسكران، وكان عسكر الروم اضعاف عسكر الشام، فانكسر عسكر الملك الكامل، وتحصنوا بقلعة خرتبرت، فاعطاهم علاء الدين صاحب الروم اماناً على انفسهم، واطلق صاحب حماة، وشمس الدين صواب، واحسن اليهم، ووصلوا الى الملك الكامل، فعظم ذلك عليه.

واتفق موت صلاح^(٢) الأربلي، وكان من اخص الامراء وأقربهم الى الملك الكامل، فقال في ذلك شرف الدين بن بيمان:

أبناء ايوب الذي كانت بالسعد تجري طالعات نجوم [١-١٢٥]
أخطأ صوابهم ومات صلاحهم فاغتال جيشهم ملك الروم

(١) السويداء: بلدة مشهورة قرب حران بينها وبين بلاد الروم. ياقوت، معجم البلدان، ٢/٢٨٦. وهي الان مركز احدى محافظات شمال سوريا.

(٢) هو ابو العباس احمد بن عبد السيد بن شعبان الاربلي الملقب صلاح الدين، ولد بابل سنة (٥٧٣ هـ). ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٦٩٢-٦٩٣. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/١٠١-١٠٢، ابو الفدا، المختصر، ٢/٢٥٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢٨٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/١٤٣-١٤٤.

[وفاة] شهاب الدين طغريل^(١) الخادم اتابك حلب

كان صالحاً عفيفاً زاهداً، يقسم الليل اثلاثاً، الاول، يجمع اليه من يسامره ويحاضره، ويجري فيه الحكايات والاحبار، وينام الثلث الاوسط، والثلث الاخير قراءة وصلاة، وكان واسطة خير.

ولما توفي الملك الظاهر، قام في امر ولده الملك العزيز، واستمال الملك الاشرف، وحفظ عليه البلاد، ولما استعاد الملك الاشرف تل باشر من صاحب الروم دفعها له، ولم يزل كذلك الى سنة تسع وعشرين، فتحدث اقوام على الملك العزيز، وقالوا: الى كم يكون تحت الحجز، فأخذ منه تل باشر وازال حكمه، واقام اتابك الى ان توفي في هذه السنة، ودفن بباب اربعين على الجادة.

الشيخ عبدالله الارمني^(٢)

الزاهد العابد الورع المجاهد، ولم يكن ارمنياً، بل سافر الى الاقطار، واجتمع بالابدال والابرار، وكان له مجاهدات ورياضيات وسياحات، جواداً سمحاً لطيفاً، وكان في (مبدأ)^(٣) امره ياوي البراري والقفار، ويتناول من مباحات الارض، منفرداً عن الخلائق، قاطعاً جميع العلائق، وقرأ القرآن والقُدوري^(٤)، وتفقه على مذهب ابي حنيفة، وشاهد الاقطاب والرجال، وقطن اخر عمره بجبل قاسيون، حتى مرض في هذه السنة وتوفي، ودفن بسقج جبل قاسيون.

(١) انظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٨٥/٨ - ٦٨٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٨٦/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٤٥/٥.

(٢) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٨٦/٨ - ٦٩١، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٥٢/١٣ - ١٥٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٨٦/٦.

(٣) في الاصل (مبدي) والصواب ما اثبتناه.

(٤) القُدوري: مختصر القُدوري في فقه الحنفية للامام ابي الحسين احمد بن محمد بن محمد بن محمد القُدوري البغدادي (ت ٤٢٨هـ)، وهو كتاب قيم مشهور لدى الحنفية شرحه كثيرون. الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٧٧، هامش (١٣٩).

[وقاة] السيف^(١) الأمدي ابو القاسم [١٢٥-ب]

لم يكن في زمانه من يجاربه في علم الكلام، والاصولين، وكان سريع الدعة، رقيق القلب عالماً فاضلاً، اقام بحماة مدة، ثم انتقل الى دمشق، ودرس بالمدرسة العزيزية، واشتغل الناس عليه، وكان الملك الكامل والمعظم والاشرف يكرهونه، لما اشتهر عنه من المنطق وعلوم الاوائل، فعزله الملك الاشرف، واقام في داره، وأمر الملك الاشرف ان لا يشتغل احد في المدارس بسوى التفسير والفقه والحديث، وتوفي السيف الأمدي ودفن بقاسيون.

وفيهما توفي الامير ركن الدين منكورس الفلكي، وكان من كبار الامراء، ديناً صالحاً شجاعاً ذى رأى وفطنة متصدقاً معظماً للفقهاء والفقراء، ولاه الملك العادل والي الولاية، وعمر قلعة بصرى، وكان عفيفاً ديناً منصفاً قليل الكلام، كثير الصدقات والخيرات، ملازم الصلوات الخمس بجامع دمشق، وكان يخرج وقت السحر وحده وببيده طوافة^(٢)، ولا يتبعه من غلمانه احد، توفي بجرود من القلمون^(٣)، ودفن بتربته في قاسيون.

وفيهما توفي صلاح الدين احمد^(٤) بن عبدالسيد بن شعيبان الأربلي الهذلي مولده قلعة اربل سنة سبعين وخمس مائة، وخدم مظفر الدين بن زين الدين، وكان

مختص به قريباً منه، ثم خرج من اربل صحبة شهاب الدين قرطاي المظفري وخدم الملك المغيث [١٣٦-أ] بن الملك العادل، ولازم خدمته، وتوجه المغيث لزيارة اخيه الملك الكامل بمصر، وتأخر في الطريق، فعتب عليه الملك الكامل لتأخره، فعمل صلاح الأربلي هذه الابيات، وحفظها للمغيث، وانشدها المغيث للملك الكامل حال اجتماعه به، وهي:

(١) ابو الحسن علي بن ابي علي بن محمد، الملقب سيف الدين الأمدي، ولد سنة (٥٥١ هـ).
لزيادة النظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٩١/٨، ابو شامة، الذيل على
الروضتين، ص ص ٢٤٥ - ٢٤٦، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٣٩/٢ - ١٤٠، ابن كثير،
البداية والنهاية، ١٣ - ١٥١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٨٦/٦، ابن العماد، شذرات
الذهب، ١٤٤/٥ - ١٤٥.

(٢) طوافة، عودة طويلة. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٥٧١/٢.

(٣) القلمون، من اعمال دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٣٩١/٤.

(٤) ورد ترجمته في موضع سابق ضمن وفيات نفس السنة.

يا مالكا ملك الاسلام فابتسمت
العبد يشرح بسط العذر من ألم
وشرط صاحب مصر ان يكون كما
[اساؤا] فعاملهم بالعضو واقتروا
نواجذ الدهر اشراقاً بدولته
التأخير والبطء في أيام سفرته
قد كان يوسف في الحسنى لآخوته
فبرهم وتولاهم برحمته

فسأل الملك الكامل عن ناظم الابيات، فأعلم انها له فأعجبه كثيراً، ومال اليه، فتوفي المغيث، فخدم الملك الكامل وتقدم عنده، وحضى في دولته، وامره واحسن اليه، بحيث انه صار من اخص الحاشية والامراء عنده، فنقل عنه اعداؤه الى الملك الكامل، فسخط عليه واعتقله في الحب مدة طويلة، فعمل دوبيتي^(١) وسيره الى العائلة المغنية فحفظته وغنت به في مجلس الكامل وهو:

افصل ماشئت انت المحبوب
هل تسمح بالوصول في ئيلتنا
مالي ذنب بلى كما قلت ذنوب
نجلو صدى القلب وتعفوا واتوب

فأعجب الملك الكامل، وقال لها: لن هذا، قالت: للصلاح، فقام الملك الكامل من وقته بالمجلس وبمن فيه على حاله الى باب الحب، واخرج الصلاح وخلع عليه، وعاد الى اوفى ماكان لديه، ومن اشعاره:

من يوم فراقنا على التحقيق
لو دام لنا الوصول ألفي سنة
هذي كبدي احق بالتمزيق
ما كان يضي ساعة التفريق [١٣٦-ب]

ومن دوبيتاته:

الصحة والشباب واللذات
النفس تقول في النصابي سعة
ولت وعقيبها لنا ترحات
والشيب يقول ضاقت الاوقات

(١) دوبيت: لفظ فارسي و[كوردي]، (شعر ذو اربع اشطار بحيث تكون قافية الاشطار الاولى والثانية والرابعة واحدة، اما الثالثة فمخالفة، والفرق بينهما وبين الرباعي في الوزن). الترنجبي، المعجم الذهبى، ص ٢٨٠.

وله وأمر ان يكتب على كفته:

يارب عبدك جاء رهن ذنوبه
فيساره في ذيل حرمة شيبه
وقد استجار بعفوكم والجدود
ويمينه لزمتم غرى التوحيد

مرض في البيكار^(١) نوبة الدريندات، وتوفي بتل نور من اعمال الرها، ودفن بها، ثم نقل الى مصر، رحمه الله تعالى.

(١) لفظ كوردي، وفارسي معناه عاطل عن العمل، بلا فائدة. التوثيقي، المعجم الذهبي، ص ١٣٠.
واستخدم ايضاً عندما كان الجيش يقيم في مكان مدة طويلة من غير حرب المقريزي. السلوك، ج
١، ق ١، ص ١٠٥.

٦٣٢ هـ

سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

فيها عاد الملك الكامل من السويداء الى حران، وشتى بها، وتوفي الامير عز الدين ايدير المعظمي، وكان من كبار الامراء، ودفن بجران مدة، ثم نقل الى تربته بجانين المريج^(١)، فضعفت العساكر وسثموا المقام، فاعطى الملك الكامل العساكر دستور من حران، وتوجه الملك الكامل والملك الاشرف الى دمشق، وعاد عسكر مصر، وقد انكشف احوالهم بعضهم على (المخاير والبهايم)^(٢).

ودخل الملك الكامل بعساكره مصر، فاخرج علاء الدين كيقباذ عساكره وامراءه، مقدمهم كمال الدين كيمياري، واتفق معه الملك المنصور صاحب ماردين، فنزلوا على آمد، وتوجه الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل الى حصن كيفا، ومعه الملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميفارقين عمه، بعد ان سيروا بيوتاتهم وحریمهم واثقالهم الى الشام واقاموا بدمشق.

وكان مقدم العسكر داخل آمد مبارز الدين بن [١٢٧-١٣٧] الازكشي، فضايقوها بالحصار، ونصبوا عليها المجانيق، فلم ينالوا منها طائل، فرحلوا عنها وتفرقوا على قطيا والسويداء وحران والرها، فتسلموا الجميع بالامان، ووقفوا لمن كان بها من عسكر الملك الكامل، وبلغ الخبر الملك الكامل فبرز من القاهرة، وسير الكتب والقصاد الى اخويه، ومن في طاعته يخبرهم انه قاصد الشام.

(١) جانين المريج: مرج، وهي الارض الواسعة فيها نبت كثير تخرج فيها الدواب، وهي في مواضع كثيرة، كل مرج منها يضاف الى شي. ياقوت: معجم البلدان، ١٠٠/٥.
(٢) هكذا وردت في الاصل.

وفيها اخرب الملك الاشرف خان ابن الزنجاري بالعقيبة، وكان مقراً للمعاصي والآثام، فبناه جامعا مليحا. وجعل خطيبه شخصا كان في صباه يلعب بالجفانة^(١)، ثم في ايام الملك الصالح عماد الدين، ولي خطابته الواعظ عماد الدين الواسطي، وكان يعزى الى شرب الخمر، فكتب اليه جمال الدين بن الزويتينه الرحبي الكاتب:

يا اماما اوضح الحق	لدينا وابانه
جامع التوبة قد	قلدني النوم امانه
قال قل للملك الصا	لح اعلى الله شانه
يا عماد الدين يا من	شكر الناس زمانه
كم الى كم انا في ضر	ويؤس واهانه
والخطيب الواسطي قد	جعل الشرب ديانه
والذي قد كان من قبل	يفنى بالجفانه
فكما كنا ومازلنا	ولم ابرح حانه
ردني للخط الاول	واستبق ضمانه ^(٢)

وهيها توفي الطواشي شمس الدين^(٣) صواب العادلي، وكان شهما شجاعا كريما مقداما عاقلاً متادبا، محبا للشجعان [١٣٧-ب] والاجناد الجياد، تقدم في ايام الملك العادل على عساكره، وسلم اليه الملك الكامل آمد وحران وبلاد الجزيرة وديار بكر، وجعله نائب المملكة بها، ومقدما على عساكرها، وكان ميمون الطلعة في مواقف الحروب مشكور السيرة، محبوب الى القلوب.

وفيها اغاروا التتر الخذوليين على اربل ووصلوا ابوابها، وكان الخليفة قد وعر درينداتها، وبنى به سوراً وباب حديد، ورتب عليه العساكر، فلم يحسوا الا والتتار قد ادركوهم من غير جهة الدريند، فما لحق المخض منهم ان يركب فرسه، ونجى بنفسه جريدة منهزماً، والتتر في اثرهم، فنهبوا وحرقوا وقتلوا من وجدوه، وعادوا.

(١) الجفانة: القيثارة. علي، محمد كرد، خطط الشام، ٤/١٠٨.

(٢) هناك اختلاف في بعض الالفاظ عما ورد لدى: ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/١٤٨.

(٣) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٦٩٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٢٨٧، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/١٤٩.

٦٣٣ هـ

سنة ثلاث وثلاثين وستمائة

خرج الملك الكامل من الديار المصرية، ووصل الشام بعساكره، واجتمع بالملك الاشرف وباقي بني ايوب، ماخلا الملك الناصر داود بن الملك المعظم، فانه توجه الى بغداد، داخلا على الخليفة^(١) خوفا من عمه الملك الكامل، فسار الملك الكامل وباقي العساكر والملوك من بني ايوب ووصل حران، فتحصن من بها من عسكر الروم في قلعتها، وخرج كبار اهل حران والخطيب والقاضي، فالتقوا الملك الكامل وتسلم المدينة، ونزل على القلعة، ونصب عليها المجانيق، وجد عليها بالزحف، ودخل النقبان سورها واشرف على اخذها، فطلب من كان بها الامان، فأمنهم على ان ينزلوا على حسب اختياره [١٣٨- أ] فتسلمها ولزم من بها، وتركهم في غرائر على الجمال، وارسلهم الى القاهرة.

ثم نزل على الرها، وارسل جماعة من عسكره وعسكر اخيه الملك الاشرف الى دنيسر، فأخربوها وحرقوها ونهبوا من بها، وسبوا الحريم، ونهبوا اولاد الارمن وحريمهم الذي بشبختان^(٢) وبلاد الموزر، ونهبوا الى ماردين وعادوا اليه.

ونصب على الرها المجانيق الغربية ترمي ليلاً ونهاراً، وكانت قلعة قوية، فهدمت المجانيق جانباً من اسوارها، فطلبوا الامان، فأمنهم على صورة اهل حران، وتسلم القلعة، وتركهم في غرائر وسيرهم الى القاهرة، فأخرب الملك الكامل قلعة الرها، واخذ ما بها من الحواصل، وسار الى رأس عين قاصداً ماردين.

وسير اخاه الملك المظفر شهاب الدين غازي، والملك الصالح اسماعيل الى سويداء بهنوك فوصلها ونزلا عليها، ومعهم جماعة من عسكر مصر، فزحفا عليها وملاكها وسارا الى

(١) هو المستنصر بالله (ت ٦٤٠ هـ). ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٦٤.

(٢) شبختان: من نواحي الجزيرة، وكانت تابعة لماردين. انظر: ابن الاثير، الكامل، ١٢/١٧٩-١٨٠، ٣٤٣.

قلعة قطينا^(١)، وكانت قلعة قوية فملكها من الروميين ايضاً واعتمدا فيمن كان فيهما مثل ما اعتمد فمن بحران والرها.

واما الملك الكامل والملك الأشرف ومن معهما فانهما كانا على عزم قصد ماردين، فوصل كتاب^(٢) بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يذكر ان التتار المخذولين عبروا دربتدات اربل في خلق عظيم، ووصلوا اربل، وكسروا عسكرها، وقتلوا منهم خلق عظيم منهم صارم الدين كيغوش وغيره، وتعدوا الزاب والشط وعبروا الموصل [١٣٨-ب] وهم قاصدوكم، فقال الملك الكامل: هؤلاء يعلمون عدد عساكرنا وما نحن فيه من القوة والكثرة، وما قصدونا الا وهم في جموع عظيمة، والمصلحة ان نعود ونجعل حران ظهرنا، ونلقاهم عليها، وعاد الى حران، ولم يقف على احد، ووقعت خيول الناس، وانقطعت اثقالهم، ورجعوا على اقبح رجوع.

فوصل الخبر انهم قصدوا سنجار^(٣)، وقتلوا بها ظهير الدين بن كمال الدين بن مهاجر، وانهم ضعضى في جمع قليل، فندم الملك الكامل ونقص في عين الملوك وعبر القرات، وطلب دمشق بعساكره، واقام بها الى سنة اربع وثلاثين وستمائة.

(١) قطينا: هي قرية قطية التي تقع في طريق مصر في وسط الرمل قرب الفرما. ياقوت، معجم البلدان، ٣٧٨/٤.

(٢) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٩٥/٨، الدواداري، كنز الدر، ٣١٧/٧، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٥١.

(٣) انظر ايضاً: الهستيناني، سنجار من (٥٢١ - ٦٦٠ هـ)، دراسة في تاريخها السياسي والحضاري، ص ٩٢ - ٩٣.

٦٣٤ هـ

سنة اربع وثلاثين وستمائة

وفيهما توفي الملك العزيز محمد^(١) بن الملك الظاهر صاحب حلب، وكان شاباً جواداً سمحاً محباً للاجناد، واوصى الى ولده الملك الناصر صلاح الدين يوسف. وفيها وردت الاخبار الى الملك الكامل والاشرف ان الخوارزمية^(٢) قصدوا ماردين، وانضموا الى الملك المنصور صاحبها، وسار بهم الى نصيبين واخذها، واخربها ونهبها واحرقها، وفعل فيها كفعل بني ايوب بدنيسر واقبيح، فسير الملك الاشرف الامير عماد الدين بن موسك، وصحبته اعيان حلقتة الى سنجار على طريق البرية فوصلها واقام بها. وجهز السلطان علاء الدين كيقياذ عساكره وقصدوا آمد وحاصروها، وكان بها الامير حسام الدين بن ابي علي الهذباني^(٣)، فنصبوا عليها المجانيق وضايقوها، فلم بلغ الملك الكامل توجه بالعساكر ونزل على سلمية^(٤)، وكان الامام المستنصر بالله قد سير محيي الدين بن الجوزي ليصلح الحال بين صاحب الروم والملك الكامل، فتردد بينهم واصلح

(١) كان ولادته سنة (٦٠٩ هـ)، اي ان عمره عند وفاته اربع وعشرون سنة. انظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٠٣/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٥٢، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٥٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ١١٤/٥ - ١١٧، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٦٠/٢، السواداري، كنز الدرر، ٣١٨/٧، الذهبي، دول الاسلام، ١٣٨/٢، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٠٦/٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٥٦/١٣، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٤١ - ٣٤٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٩٨/٦ - ٢٩٩، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٥٣، الغساني، المسجد المسبوك، ٤٧٨/٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٦٨/٥.

(٢) للزيادة انظر: موسى مصطفى الهسنياني، الخوارزمية عامل قوة ام عنصر ضعف.

(٣) كان من كبار الامراء، وتولى فيما بعد نيابة السلطنة للملك الصالح نجم الدين ايوب في دمشق والقاهرة. الذهبي، العبر، ٢٥١/٥، ابن القرات، تاريخ ابن القرات (مخطوط)، ق ٢، ص ١٥٢ - ١٦٢، ب.

(٤) سلمية: بلدة صغيرة من اعمال حماة من جهة البرية بينهما مسيرة يومين. ياقوت، معجم البلدان، ٢٤٠/٣.

[١٣٩- أ] الحال بين الملك الكامل وصاحب الروم، ورحل عسكر الروم عن آمد، وعاد الملك الكامل الى دمشق.

وبدت الوحشة بين الملك الكامل والملك الاشرف، واتفق مع الملك الاشرف الخليفة باطناً، وصاحب الروم، وصاحب حلب، وصاحب حماة، وصاحب حمص، وصاحب الموصل، وعز الدين ايبك صاحب صرخد، وعسكر الملك الكامل الذي بالساحل، ووصل صاحب حمص وحماة الى خدمته بدمشق، وجماعة امراء الملك الكامل السواحلي والحلقة، وذلك بعد ان توجه الملك الكامل الى مصر^(١).

فركب الملك الاشرف بالصناحق والغاشية، ولم يكن له عادة بذلك، ولما بلغ ذلك الملك الكامل خاف خوفاً شديداً، ومرض الملك الاشرف وقد لاحت له امارات النصر والظفر على الملك الكامل، وكاتبه عساكر مصر، فاشتد به المرض وهو بالنيرب^(٢)، فدخل قلعة دمشق في محفة كنف على رؤس مماليكه والناس تدعوا له في سابع عشرين [ذي]^(٣) الحجة، فاعتق مماليكه وجواريه، وجعل اخاه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل ولي عهده، وحلف العساكر له، واعطى الملك المجاهد اسد الدين صاحب حمص الخابور وقرقيسيا، ولجبر الدين وتقي الدين اخويه سنجار ونصيبين، ثم بلغه عنهما ما ازعج خاطره، فأمر نفيهما الى مصر.

وفيها نزل القطار الملاعين على اربل بالفارس والراجل، واحاطوا بها من كل ناحية، ونصبوا عليها المجانيق، وهدوا سورها الى الارض [١٣٩- ب]، وفي اليوم العاشر زحفوا من سحر والزهو بالسور، وصاحوا صيحة واحدة ودخلوا البلد من الثغرة التي هدمها المناجيق، وانهزم من كان على الاسوار، وسفكوا الدماء وسبوا الحرير، وطلبت العساكر الاسلامية والناس القلعة، وقد غلقت ابوابها، فكان الفارس ينزل من فرسه ويرمي روحه (بالخندق)^(٤) ويتسلق الى القلعة بجبال قد دلوها اهل القلعة لهم، والنشاب يأخذهم من جهة التتر، والخيل سائبة حول القلعة مزينة بالعدة والبراجم تضرب بعضها بعضاً،

(١) للزيادة عن هذا الخلاف والتحالفات انظر: الهسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد الايوبية، ص ص ٣٧ - ٤٦.

(٢) النيرب: قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين. ياقوت، معجم البلدان، ٣٣٠/٥.

(٣) ما بين الحاصرتين غير واردة في الاصل، وقد اضيفت لتسقيم المعنى.

(٤) الاصل الخندق وهو خطأ واضح، والصواب ما اثبتناه.

وجمعوا الاطفال في الميدان، وقتلوا البعض وركضوا على الباقيين بخيولهم حتى اخلطوا منهم اللحم بالعظم، ونصبوا على القلعة مجانيقاً كثيرة، ونقبوها من كل ناحية، واصلوا النقبوب وخاسقوهم من بالقلعة، وجرى بينهم قتال عظيم، وطلعوا بالصناجق على اسوارها، وقتلهم اهلها، ورموا الصناجق من على الاسوار، وبقي القتال بالسيوف والسكاكين، ونزلوا خلفهم الى الخندق، وقتلوا منهم الخلق الكثير، واخرجوهم من الخندق الى ان الجؤهم الى منجنيقاتهم، وحرقوا بعضها فأيس العدو المخذول من القلعة وسئموا المقام لكثرة القتل فيهم والجراحات والحر فرحلوا عنها^(١).

ونزل الناس الى المدينة، ورأوا ماهاهم من خراب بيوتهم، وقتل اهلهم، وحيقة البلد والازقة من صديد القتلى والدماء، وطلب الناس الموصل، حفاة عراة على اسوأ حال، والتقاهم اهل الموصل بما يأكلوا ويشربوا ويركبوا، على قدر احوالهم، واكرمهم بدر الدين لؤلؤ واصلهم على [١٤٠-١] قدر احوالهم^(٢)، وبقي باربل جماعة من الامراء بغير اجناد، ونصر يسير من اهلها صحبة شمس الدين يادكين نائب الخليفة بها.

فلما تحققت التتار تفريق اهلها وخلوها ممن يحفضها عادوا وبلغ شمس الدين يادكين ومن معه، فتركوا القلعة شاغرة وتفرقوا ايدي سباً.

وطلب شمس الدين يادكين وجماعة من الامراء بغداد، وحضر بين يدي الوزير قاهانه، واراد الوزير ان يظهر للناس ان الذي جرى على اربل من سوء تصرف شمس الدين يادكين لا من تأخرهم عن نصرها، فقال: ايش هذه الاحوال الردية التي بدت منك من سوء تصرفك في اربل، هرفع شمس الدين يادكين يدي، وقال: كما اخليت هذه الدولة العباسية من مدبر، لا تخليها من لطفك ونظرك، فوكل عليه واعتقله في داره، الى ان مات رحمه الله تعالى.

(١) للزيادة انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٦٩٩/٨.

(٢) كان لاساسية بدر الدين لؤلؤ اكثر من وجه، فمن جهة قام بمواساة اهل اربل ومساعدتهم، بينما كان قد امد التتار بما يحتاجون اليه من ميرة وغيرها اثناء حصارهم لها. انظر: القساني، المسجد المسبوك، ٤٧٨/٢.

٦٣٥ هـ

سنة خمس وثلاثين وستمائة

في الرابع من المحرم، منها توفي الملك الاشرف مظفر الدين ابو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب بن شادي بن مروان بن (يعقوب) ، مولده بالكرك سنة ست وسبعين وخمس مائة^(١) ، ودفن بقلعة دمشق، وعمل عزاءه ولبس الامراء الحداد، ثم خلع الملك الصالح على الامراء وكبار الحلقة، وركب بالصناجق والملك المجاهد اسد الدين شيركوه الى جانبه، ونزل ومد خوان^(٢) وترجل عز الدين ايبك صاحب صرخد في ركابه، وحمل الفاشية بين يديه.

ويبلغ الملك الكامل وفاة الملك الاشرف، فعمل العزاء، ولبس الحداد، ثم برز عساكره، وخرج من القاهرة الى الشام، ونزل على دمشق محاصراً لها، وكان الملك الصالح من [١٤٠-ب] حيث توفي الملك الاشرف قد سير العماد الخلاطي الى الملك الكامل واصلح الحال معه، واطهرا العماد انه مقفر ولم يطلع صاحب حمص ولا احد من الامراء على ذلك. ورتب الملك الصالح الامراء والكبراء على ابواب دمشق واسوارها، منهم على باب النصر، شرف الدين بن الصارم التبيني، وجماعة من الحلقة، وعلى باب الجابية ركن الدين المعظمي المعروف بالركين، وعلى باب الصغير صارم الدين التبيني وركن الدين بن قرطاي الأربلي من نجدة حلب، وعلى باب كيسان شرف الدين بن تبين وشرف الدين بن المعتمد، وعلى باب شرقي الامير عماد الدين بن موسك، وعلى برج كوانو ناصر الدين بن

(١) تذكر بعض المصادر ان ولادته كانت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالقاهرة او الكرك. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٦٧/٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٤٥/٥، الدواداري، كنز الدر، ٧/٧، الخبلي، شفاء القلوب، ص ٢٩٠، بينما انفرد البديسي في ذكر ولادته بانها كانت سنة (٥٧٠ هـ) شرفنامه، ص ١٧٨.

(٢) خوان: لفظ فارسي معناه (سفرة الطعام بسماط مائدة). التونجي، المعجم الذهبى، ص ٢٤٤.

الزهر وفخرالدين بن الزهر، وعلى باب توما جمال الدين ابو الهيجاء الأربلي، وعلم الدين النميس المعظمي، وعلى باب السلامة بن ذرادوك من امراء حلب ونجدتها، وعلى باب الفراديس، وكان الملك المنصور بن صاحب حمص خارج عن القلعة عند دار المضيف، كلما زحف عسكر مصر يقف الملك المنصور على برداء، فزحف الملك الكامل على السدود التي على العقبية والشاغور وقصر حجاج وحكر السماق، وكان قد بنى في كل درب سوراً، ونصب فيه منجنيق، ورتب فيه الرجال ففتحهم الملك الكامل وحرق الحكورة، وانهمزم الناس الى داخل دمشق.

ثم استقر الصلح وتسلم الملك الكامل دمشق، واعطى الملك الصالح ماكان بيده، وهو السواد وبصرى، وزاده بعلبك واعمالها والبقاعين^(١) والزبداني^(٢) وجبل نفوس، وقرر الصلح على ان لايعارض النجد التي بدمشق مثل عسكر حلب [١٤١- أ] وابن صاحب حمص، وخرج الملك الصالح الى خدمة الملك الكامل، فاحترمه واقبل عليه، وجهره الى بعلبك، وخلع الملك الكامل على امراء دمشق، ومقاربتها، وقضاتها، وكبار اهلها، واكرمهم واجرى كل واحد على ماكان له وعليه.

ودخل الملك الكامل قلعة دمشق، واخرج دهليزه نحو حمص، وبرزت الامراء وخرجت الاطلاب، وحصل في حلب رجفة عظيمة، وخاف امراءها، وانقطع ظهر الملك المجاهد من شدة الخوف، وسير حريمة وصغاره داخلين على الملك الكامل، فتقرر الحال على ان يحمل اليه ثلاث مائة الف دينار، ويعضوا عنه، ويتوجه الى حلب، فبينما الملك المجاهد في تحصيل الحمل فمرض الملك الكامل وتوفي بقلعة دمشق، ووصل الخير الى صاحب حمص، فاندهل من فرحه بحيث لم يصدق، وكان يقول: كنت اقول في نفسي ربما ان ذلك في المنام.

(١) البقاعين: وهي البقاع الجلبكي، والبقاع العريزي، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٣٣٢/٢.

(٢) الزبداني: كورة معروفة بين دمشق وبعلبك. ياقوت، معجم البلدان، ١٣٠/٣.

السلطان الملك الكامل ناصر الدين^(١)

محمد بن الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب، مولده بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وخمس مائة، وكان شجاعاً، مهيباً، ذكياً، عالماً فاضلاً، يقظاً يحب العلماء، ويميل الى الفضلاء، ولا تخلى سماطه من يحب^(٢)، وكان يلقي المسائل المشكلات على العلماء، ويتكلم على صحيح مسلم بكلام مليح، ولفظ صحيح، شنق جماعة من عسكره في نوبة التدريب على اذية للزرع، وكان لا يمكن الامراء من الجند منهم، ويشد منهم وكانت الطريق في ايامه آمنة، بحيث يسير من معه المال وحده، ولا يحتاج الى حمل عدو، وكان [١٤١- ب] مباشر الامور بنفسه، اخبرني من كان خصيصاً به، انه كان في كل يوم إما ان يركب في موكبه، او يقعد من باكر وترمي بالنشاب، ويرمي مماليكه، ثم يعرض عليه الاوراق الى ان يمد السماط ويقعد جاري العادة ثم يقضي الاشغال، ويتحدث مع الحجاب في اشغال الناس، فاذا حجب عنه الداخل والخارج اليه من حاشيته، لا يبرح الخدام داخلون وخارجون اليه بالقصص في دار بستانه الى وقت الظهر، فيصلي وينام، ويفتصل في امور نفسه الى وقت العصر، فيصلي ويدخل عليه من يخص به ويرفع اليه اوراق ما اعتمد في ديوان الجيش^(٣)، وديوان الاستيفاء^(٤)، ثم في اخر النهار يخرج الى حوش فيه اماح^(٥)

(١) انظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٠٥/٨ - ٧٠٧، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٥٤ - ٢٥٥، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٥٠، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٤٤، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤٦/٣ - ٤٧، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٥٦/٥ - ١٦٤، الدواداري، كنز الدرر، ٣٢٦/٧، الذهبي، دول الاسلام، ١٣٩/٢، الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٩٣/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٣ - ١٦٠، المقرزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ص ١٩٤ - ٢٦٠، الغساني، المسجد المسبوك، ٤٨٢/٢ - ٤٨٣، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص ٢٩٩ - ٣١٩، النعمي، المدارس في تاريخ المدارس، ٢٧٧/٢، ابن اياس، بدائع الزهور، ص ص ٩٥ - ١٠١، ابن العماد، شذرات الذهب، ٧٢/٥، ذكرى عزيز الصانع، عصر الملك الكامل الايوبي.

(٢) في الاصل (بحث)، والصواب ما اثبتناه.

(٣) ديوان الجيش: كان هذا الديوان يتولى مسؤولية الجيش وهي بمثابة وزارة الدفاع في الوقت الحاضر، ويشترط في متوليها ان يكون مسلماً ومن ذوي الرتب العالية. القلقشندي، صبح الاعشى، ٤٨٨/٣، حسين، الجيش الايوبي، ص ص ١٢٠ - ١٢١.

(٤) ديوان الاستيفاء: من الدواوين الملحقة بالوزارة، وهو من ارفع دواوين الاموال، وفيه تبيت التواريخ والمراسيم السلطانية، وكل دواوين الاموال تعتبر فروعاً لهذا الديوان، واليه يرجع حسابه وتناهي اسبابه. القلقشندي، صبح الاعشى، ٢٩/٤.

(٥) هكذا ورد في الاصل، هل المقصود بها الرماح.

وترمى قدمه بالنشاب، ويرمي هو ايضا الى المغرب، فيصلي وعنده من خواصه ومسامريه يجروا احاديث الدولة والرعية الى عشاء الآخر، يصلى ويخلع القماش الذي كان عليه، ثم يلبس قماش الشراب، ويدخل عليه الحرما وارياب الطرب، ويشغل بلهوه الى ان ينام، ثم يستفيق بعد الثلث الآخر، فيدخل الحمام ويغير قماشه، ويقرأ في المصحف، ويصلى ورد الى الصبح، فيصلي الصبح ويسبح الى باكر، هذه سيرته العائدة على نفسه.

توفي بدمشق في الثاني عشر من شهر رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة، وقد قدم له الطشت^(١) ليتقيأ، ولم يوص بشئ، ودفن بالقلعة، ثم نقل الى تربته التي أنشئت له بعد وفاته شمالي جامع دمشق.

اتفق الامراء بعد وفاته، وحلفوا الناس للملك العادل سيف الدين ابي بكر ولده على [١٤٢- أ] على انه ولي عهده، وله الديار المصرية والشامية ميلاً الى صغر سنه، ولين جنبه، وخوفاً من صرامة الملك الصالح، وان يكون للملك الصالح آمد وحران والرها ورأس عين والبلاد المجاورة لها، وان قصد الملك الصالح عدو دفعوه عنه، وقاموا معه، وان يكون الملك الجواد مظفر الدين يونس نائب السلطنة بدمشق عن الملك العادل.

وكان الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بداره المعروفة بدار اسامة داخل دمشق، فاجتمع به في الليل ركن الدين الهيجاوي والركين المعظمي، وسير اليه عز الدين ابيك صاحب صرخد، وشاروا عليه ان ينفق المال ويستدعي مماليك ابيه ومقارنته وعسكر دمشق، ومن يميل اليه من عسكر مصر، ويحلقهم، ويحصر الامراء المصريين بالقلعة لانهم رجاله، وجميع خيلهم بالمدينة وبراء المدينة، فجبن الناصر عن ذلك، فلما كان بكرة تلك الليلة اجتمع الامراء المصريون، وارسلوا ركن الدين الهيجاوي، وامروه ان يخرج الملك الناصر من دمشق فدخل عليه ركن الدين الهيجاوي وقال: ايش قعودك في بلد القوم، فركب وكان جميع اعوام دمشق واقفون، من باب دار اسامة الى

القلعة، منتظرين سلطنة الملك الناصر والقيام معه، فلما ركب وخرج من داره ماشك احد انه طالع القلعة، فلما تعدى مدرسة العماد الكاتب طالباً باب الضرج، صاحت العامة: لا، لا، لا، وانقلبت دمشق، وخرج الى بستانه المعروف بالقصر في القابون، وسير بهاء الدين بن ملكيشوا، وكان والي دمشق واخرج [١٤٢- ب] جميع اصحاب الملك الناصر وغلمانه من دمشق، وتسلم الملك الجواد دمشق والخزائن، فبذل العطاء، وخلع وفرق الاموال على

(١) الطشت: إزاء تغسل فيه الأيدي والطشت الذي يُغسل فيه القماش. القلقشندي، صبح الاعشى،

عسكري مصر و الشام، وجملة ما فرقه الف الف دينار، وخلق الف ومائة خلعة، حتى على بوابين دمشق، ومد سماطاً عظيماً بالبيدان القبلي، ونصب فيه ثلاث خشبات مصقولة بالصابون والخطمية^(١)، وترك على رأس كل خشبة ثوب اطلس، والناس يتسلقون ويتخيلون في الطلوع الى احد الثياب، وكان في السماط ابراج عدة قد عملت من الحلوى، وخيل وجمال وبقر كثير قشلمش، ووقف راكباً على جانب الشرف القبلي واومى بيده الى الناس في اخذ السماط، فتخاطف الناس السماط، واخذوا الثياب التي على الخشب، وكان يوماً مشهوداً.

وخرج الملك الناصر، ونزل بمرج الصفر فعزموا على مسكه، فعرفه عماد الدين بن موسك، فسار الى عجلون، وتوجه الى غزة، واستولى على الساحل، فخرج اليه الملك الجواد بعسكري مصر ودمشق، ووصل ظهر حمار عند سبسطية^(٢)، وساق الملك الناصر في سبعائة فارس بخزائنه وامواله، لان الملك الجواد اساء الى الاشرفية وجماعة الامراء ان يكاتبوه، فاطمعه ذلك، والتقوا على ظهر حمار، فانكسر الملك الناصر وعساكره، ونجى بنفسه في نهر يسير، واخذوا خزائنه وامواله واثقاله، واسروا معظم عسكره، ودخل الكرك مهزوماً وعاد الجواد الى دمشق مسروراً منصوراً، وتوجه عسكر مصر الى خدمة الملك العادل بها.

[وفاة] السلطان الملك الاشرف مظفر الدين

ابو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب توفي ليلة رابع محرم [١٤٣-١] سنة خمس وثلاثين وستمائة، ومولده بالكرك سنة خمس وسبعين وخمس مائة، وكان في مبدأ امره قد اعطاه ابوه بصرى واقام بها، وكان مدير اموره بها الطفتكيني، وبها اتصل الحاجب علي الى خدمته لانه كان غلام الطفتكيني، ثم نقله من بصرى الى القدس، وكان مدير اموره بها بن الزنجيلي، ثم اعطاه الرها وحران، وكان القائم في اموره بها الامير سيف الدين داود الأربلي الهذباني، فبذل المال واحسن الى اولى الآمال، واستمال الجيرة من الملوك، وغرست محبته في القلوب، وعرف منه حسن العهد والوفاء، وكان كريماً شجاعاً عادلاً محباً للخير ذي غرة ميمونة في الحروب، لم تنزل رايته منصوراً، ومواقفه في

(١) الخطمية: نبات من الفصيلة الحَبَّازية، كثير النفع، يُدق ورقه يابساً ويجعل غسلاً للرأس. ابراهيم وآخرون، المعجم الرسيط، ١/٢٤٥.

(٢) سبسطية: بلدة من نواحي فلسطين، بينها وبين القدس يومان. ياقوت، معجم البلدان، ٣/١٨٤.

الحروب مشهورة كسر الملك العادل نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل، والسلطان عز الدين صاحب الروم، والسلطان جلال الدين خوارزم شاه.

وبنى مسجد ابي الدرداء بقلعة دمشق، والمسجد الذي عند باب النصر، وجامع التوبة بالعقبة، وجامع جراح خارج باب الصغير، ومسجد القصب بالعقبة، وجامع بيت الابار، ومسجد بيت ابيات، ودار الحديث، المعروفة بدار هانم النجمي، هذا خارج عما بناه في الشرق من المدارس والجسور والربط، وبنى خان حمل السبيل، وخان صفين، والرصيف الممتد بالجولان.

وكان في شهر [١٤٢-ب] رمضان لايفلق باب القلعة الى نصف الليل من ارسال الحلوات والاطعمة الفاخرة و(الفواكه)^(١) الى الفقراء المجاورين بالجامع والربط و(الزوايا)^(٢).

وكان حسن الظن بالفقراء والعلماء يزورهم ويرهم، ولما حضرته الوفاة، قال لوزيره: جمال الدين بن جرير، من أين تكفنونني، فقال له: في الخزانة نصافي، فقال دعني مما في الخزانة، حتى في الاخرة لانخرج عن الخزانة، ثم قال لعمام الدين بن موسك: قم واحضر الوديعة التي هي لي الى الله ذريعة، فأحضر عماد الدين مؤزر صوف ابيض، وفيه خرق الفقراء، وطافيات الاولياء، وكان فيها ازار عتيق ما يساوي خمس قراطيس، فقال هذا يكون على جسدي، فان صاحبه كان من الابدال^(٣)، وكان اخر كلامه لا اله الا الله، ثم مات يوم الخميس رابع محرم.

وفاة صارم الدين خطيباي^(٤) التبتيني الجهاركسي

المجاهد المرابط الدين الصالح الحسن السيرة والسريرة، كان رحمه الله من فرسان الاسلام، وكان له مع الفرنج المواقف المشهورة، وكان متقدماً عند استاذة فخرالدين سرکس، فلما توفي سلم اليه قلعة تبينين واولاده، وجعل امرهم مناقطة به، فقام مكانه

(١) في الاصل (الفواكه).

(٢) ما بين الحاصرتين في الاصل مكررة.

(٣) الابدال: قيل إنهم قوم من الصالحين لا تغلوا الدنيا منهم فإذا مات واحد أبدل الله مكانه آخرًا، فيسقي بهم الفيث، ويتصر بهم على الاعداء، ويصرف بهم العذاب. ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ١/١١٣.

(٤) انظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧/٥٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٦٢.

احسن قيام، وغزا الفرنج على ابواب عكا وصور وخرّب بلادهم، واسر فرسانهم، بحيث كان له عندهم الاسم العظيم والهيبة القاطعة، وكانوا يدارونه ويسالونه، وكان ذو رأي ثاقب، وكان كثير البر والميل [١٤٤-أ] الى العلماء، طاهر اللسان، توفي ثالث شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة رحمه الله.

وفيها توفي قاضي القضاة شمس الدين يحيى^(١) بن هبة الله بن سني الدولة، وكان فقيهاً فاضلاً نزهاً عفيفاً منصفاً حافظاً لقوانين الشريعة، ولي القضاء مدة بالبيت المقدس، وولي قضاء دمشق مدة نيابة واستقلالاً، وتوفي في ذي العقدة، وصلى عليه ولده صدر الدين ودفن بقاسيون.

(١) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٠٩/٨ - ٧١٠، ابو شامة، الذيل على الروميتين، ص ٢٥٤، الذهبي، دول الاسلام، ١٤٠/٢، والمختار من تاريخ ابن الجوزي، ص ٢٠٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٢/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٠٢/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٧٤/٥.

٦٣٦ هـ

سنة ست وثلاثين وستمائة

فيها اتفق الملك الجواد يونس^(١) مع الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل على مقايضة دمشق بسنجار وعانه، وذلك ان الملك الجواد هُرب في خزانة الملك الكامل، وعلم ان الملك العادل مايبقى عليه دمشق، وكان غرضه الأكل والشرب والصيد، فمال الى سنجار كونها براوية وبها البساتين الكثيرة والصيد الكثير.

وكان وصله الامير الفقيه عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ رسولاً من الملك العادل، وكان عماد الدين السبب في تسليم دمشق الى الملك الجواد، وحصل عليه من الملك العادل انكار عظيم، فالتزم انه اذا اجتمع بالملك الجواد اخرجه من دمشق، وتوجه به الى الملك العادل، فلما اجتمع بالملك الجواد وانكر عليه ما اعتمده، واثار عليه الخروج عن دمشق، وقصد خدمة الملك العادل، وان يكون في خدمته كما كان في خدمة ابيه الملك الكامل، فاتفق الملك الجواد واسد الدين صاحب حمص وولبوا عليه من قتله وهو [١٤٤ - ب] خارج من دار المسرة الى الجامع بالقلعة، على انه من الاسماعيليه، وخرج الجواد الى الصيد، وكاتب الملك الصالح نجم الدين ايوب، واتفقا على مقايضة دمشق بسنجار^(٢)، وكان اسد الدين صاحب حمص مقيم بداره بدمشق، فلم يعلم الا وقد وصل الملك الصالح، فتوجه اسد الدين الى حمص، وتسلم الملك الصالح دمشق، ونزل في القلعة، وحلف العساكر وخلع على الامراء والحلقة، ونزل الملك الجواد بدار السعادة مستهل جمادي الاولى، وزينت دمشق

(١) هو الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل (ت ٦٤١ هـ). ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٤٣/٨، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ١٦٩/٣، الكتبي، فوات الوفيات، ٣٩٦/٤، الياضي، مرآة الجنان، ١٠٤/٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٣/١٣، الخبلي، شفاء القلوب، ص ص ٣٨٨ - ٣٩٢، القرظي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢١٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٤٨/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢١٢/٥.

(٢) للزيادة عن تلك المقايضة انظر: الحسيناني، سنجار من (٥٢٠ - ٦٦٠ هـ): ص ص ٩٣ - ٩٧.

وقلعتها، ولما دخل حمل الملك الجواد الغاشية بين يديه، ثم حملها الملك المظفر صاحب حماة لانه التقاه من الطريق، ووصل صحبته فلما وصل باب القلعة ودخل انكسر صنجق الملك الصالح.

فلما رأى الملك الجواد ناموس الملك الصالح، وقلة احتفاله به ندم على ما فعل، وسير في الليل الى الامراء وكبار الحلقة ومقدمي دمشق، وبعث لهم الاموال، ورام ان ينقض الحال على الملك الصالح ويخرجه من القلعة، فأخذ بعض الامراء المال من الملك الجواد، وطلع الى القلعة، وبعضهم لم يقبل منه شيئاً، ومال اليه من لا يحتفل به.

وعزم الملك الصالح ان يحرق دار السعادة من القلعة، فدخل بينهم جمال الدين بن جرير واصليح الحال، وخرج الملك الجواد الى النيرب، وكان عليه لاهل الاسواق ثمن القمشة ومتاع قيمته مائتي الف، فوقفوا واستغاثوا اليه عند [١٤٥- أ] خروجه من النيرب، فلم يعط منهم شيئاً، ورحل الى القصير، وخرج الملك الصالح مودعاً له، فاستغاث الناس الى الملك الصالح عليه، فلم تجدي شيئاً، وكان مدبر مملكته بدمشق عماد الدين بن قليج.

واشترى الملك الجواد معظم ممالك اهل دمشق، ومنها ارتفعت اثمان الممالك، وسار الى سنجار وتسلمها من نواب الملك الصالح.

ونزل الملك الصالح عماد الدين اسماعيل الى خدمة الملك الصالح ايوب من بعلبك والتقاء من دمر^(١) واحترمه كثيراً واقبل عليه، ونزل في درب الشعارين وتحالفاً، وعاد الملك الصالح الى بعلبك، وكان بين الملك الصالح نجم الدين وبين صاحب حماة صحبة قديمة من الصبي بل اخوة، وكان بين صاحب حماة وصاحب حمص عداوة عظيمة ومداخلة، فما برح عليه حتى لزم نواب صاحب حمص الذي كانوا بدمشق، واحتاط على املاكه.

وسير الخوارزمية فنزلوا على حمص فحاصروها، ونزل الملك الصالح على ثنية العقاب بينها وبين عذرا، وكان برد شديد وغلاء بحيث اباع الغرارة القمح بمائتي وثلثين درهماً والشعير مائة وثلثين درهماً، وحمل التبن خمسين درهماً.

وسير الملك المؤيد بن الملك الافضل بجماعة من العسكر الى غزة، وبسط الملك الصالح امال عسكر دمشق، وأمر جماعة منهم، شرف الدين بن الصارم التبيني، وركن الدين

(١) دمر: موضع قريب من دمشق على الطريق الى بعلبك.

الركين المعظمي والنميس، وكاتبه عسكر مصر ومقارنتها وعربانها، وحصل به في مصر راحة عظيمة، ومالت عساكرها اليه [١٤٥-ب]، وعلموا انه احق بالملك من الملك العادل، وكان الامراء والاشرفية والخدام مقدموا الحلقة مثل جوهر النوبي، وشبل الدولة العادلي، قد طمعوا في الملك العادل، وزادهم جميع ماكان لوالده من الخاص، واطلق لهم الحواصل والخزائن ولا تنفيذ معهم شيء، ولا يزدادوا الا طمع، وطلب، وقوة رأس.

وفيها مسك الملك العادل فخر الدين بن شيخ الشيوخ، وكان من اكبر الامراء، وتوجه الملك الناصر داود من الكرك الى خدمة الملك العادل بمصر، وسير الامير عز الدين ايبك المعظمي ولده وعسكره من صرخد نجدة للملك الصالح ايوب.

وتواترت كتب عساكر مصر الى الملك الصالح بالحث على قصدها، والايمان له ان يسلموها اليه من غير منازع.

فجرد جماعة من الامراء والحلقة صحبة الامير حسام الدين بن ابي علي، وسار على خربة اللصوص، ونزل الاقحوانة على بحيرة طيرية.

وبرز الملك الصالح ايوب بعساكره الى الجسور، ووصل اليه عماء الملك المعز مجير الدين والملك الامجد تقي الدين من مصر، فالتقاهم واكرم مثواهم، ثم ورد عليه تقي الدين بن الملك الامجد صاحب بعلبك من بغداد، فاعطى الجميع اخبازاً مسرة واحسن اليهم.

ثم ورد عليه الخبر ان الامير نور الدين بن فخرالدين عثمان استاذ دار الملك الكامل، وايبك الكردي، وسنجر اليميني، وقضييب البان، والدينيسري، وبلبان المجاهدي الجمندان، وجماعة كبيرة من امراء مصر وحلقته قد خرجوا من مصر، وقصدوا خدمته [١٤٦-أ]، بالشام فحصل له بذلك سرور عظيم، وايقن بأخذ الديار المصرية من اخيه، وتوجه الى خربة اللصوص، ووصل الامراء المصريون والتقاهم بها، واجزل لهم العطاء والاحسان ورحل متوجها نحو الغور.

وسير ولده الملك المغيث عمر والامير حسام الدين بن ابي علي والعساكر قدامه، فنزلوا جانين المرج ثم قصدوا نابلس، فهرب نواب الملك الناصر داود منها ودخلوها، ووصل الملك الصالح وامراء مصر صحبته، ونزل بدار السلطنة بنابلس والعساكر بمرج بلاطة، وحكم على جميع الساحل الى غزة.

ثم وصله نجدة عمه الملك الصالح عماد الدين صاحب بعلبك صحبة ولده الملك المنصور محمود وناصر الدين بن يغمور، فالتقاه واكرمه وقام بواجب حقه. ثم ورد عليه الامير سيف الدين القيمري من الروم فاقتطعه غزوة، واقام بنابلس الى آخر سنة ست وثلاثين وستمائة.

وفيها توفي الشيخ الامام العلامة جمال الدين^(١) بن محمود بن احمد الحصري البخاري، اصله من حصير قرية من اعمال بخارا، تفقه ببلده على مذهب ابي حنيفة، وكان اماماً في وقته محدثاً قدم الشام، ودرّس بالمدسة النورية وانتهت اليه رئاسة اصحاب ابي حنيفة، وكان فاضلاً متصدقاً غزير الدمعة، صعب الخلق، وتوفي في صفر ودفن بمقابر الصوفية على الشرف.

وفيها توفي جمال الدين^(٢) بن جرير الرقي، وزير الملك الاشرف، كان عاقلاً ذى رأي ودراية، محباً للخير خبيراً بعمارة البلاد بزه المرض، توفي في جمادى الآخرة، ودفن بمقابر الصوفية عند المنبيع [١٤٦-ب].

(١) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٢٠/٨ - ٧٢١، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٥٦، الذهبي دول الاسلام، ١٤١/٢ - ١٤٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٣/١٣ - ١٦٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣١٣/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٨٢/٥.

(٢) الصاحب جمال الدين علي بن سلامة بن البطين بن جرير الرقي. انظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٢٤/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٥٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٤/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٨٩/٥.

٦٣٧ هـ

سنة سبع وثلاثين وستمائة

فيها عزم الملك الصالح عماد الدين اسماعيل على الغدر بابن اخيه الملك الصالح نجم الدين ايوب، وذلك لطول مقامه بنابلس، ودمشق شاغرة ليس بها سوى الامير ناصر الدين القيمري نائب الملكة، وكان الملك الصالح ايوب قد سير ولده المغيث في آخر الوقت الى دمشق، وليس معه عسكر واهل دمشق قد رتبوا مع الصالح اسماعيل ويميلوا اليه بالطبع لطول الصحبة ومعرفته بهم ومعرفتهم به، وكان طيب الكلام، حسن اللقاء، بشوش بسائر الناس، محبوب الصورة، حسن المفاكحة، قد ربي معهم من صغره، وعاشر اهلها وعسكرها، وكان عسكر الصالح نجم الدين اكثرهم، والذي يعتمد عليهم عسكر دمشق القديم مثل المعظمية والاشرفية والعزيزية والمفاردة الاكراد والاتراك، ما منهم الا من قد صحب الصالح اسماعيل في الايام المعظمية والاشرفية، واكل معه وشرب، وانعم عليه، ولما وصلت نجدة الصالح اسماعيل من بعلبك الى الصالح ايوب بنابلس متجملين بالجنائب والمعاليك والرخت الانق، فمالت ملوك الاجناد اليه.

وكان الصالح ايوب له قعود في الملك، يقصد قيام الناموس والهيبة وقلّة الكلام مع الناس، ولم يكن عسكر دمشق اعتاد من ملوكهم ذلك، فنضرت منه القلوب وشرع ناصر الدين يغمور استاذ دار الصالح اسماعيل يعاشر اصحابه عسكر دمشق ويشرب معهم، ويبلفهم السلام من مخدمه، ويجري معهم حديثه، حتى ميل القلوب اليه، وحلف العساكر [١٤٧-أ] لصاحبه، وكان ذي دهاء، وملق حسن الملقى والعبارة، فلما علم الصالح اسماعيل بما قد استوى له من الامور بنابلس، استشار وزيره امين الدولة ابا الحسن الطيب، والامير ناصر الدين بن الصارم التبيني، فصوب الوزير رأيه فيما اعتمده، وقال له ناصر الدين بن التبيني: عاقبة الغدر غير محمودة، فمال الى رأي وزيره، وسير الى الملك المجاهد صاحب حمص واجتمع به عند الرأس والفيكة وتحادثا في ذلك وتقرر الحال منهم.

وكان الملك الصالح ايوب قد عزم على الدخول الى مصر، وسير الى عمه الصالح اسماعيل يطلب ان يحضر بنفسه، ويدخل معه، فاجابه الى ذلك، وطلب ان يحضر ولده الملك المتصور من النجدة ليقعده ببعبك ويحضر بنفسه، فأمره بالتوجه الى والده، وسير الحكيم سعد الدين رسولا الى الصالح ببعبك ومعه حمام يطالعه بما يتجدد، فسير الصالح اسماعيل ويرطل البراج^(١) واخذ الحمام الذي معه، تركه في برج قلعة ببعبك، وترك عند سعد الدين من حمام القلعة، فكان سعد الدين يبطق في الحمام الى مخدومه، فيقع في برج القلعة، فيأخذ الصالح اسماعيل الكتاب من جناح الحمام ويكتب غيره بما يريد، ويرسله في حمام الصالح ايوب، ووصل ولده اليه، وكان الصالح اسماعيل قد سير الى نجم الدين بن سلام وقرر الامور مع كبار اهل دمشق ومقدميها.

وخرج الصالح من ببعبك، وتوجه على طريق بانياس على انه قاصد نابلس، وفي ذلك اليوم خرج الملك المجاهد من حمص، وقد تقرر الحال بينهما، وبات الصالح [١٤٧ - ب] اسماعيل بالمجدل البقاع^(٢)، وركب من الليل صبح عقبة دمر، وكان الملك المغيث وناصر الدين القيمري قد اقبلوا الى سوق الخيل جاري العادة، فأروا الاطلاب نازلة من عقبة دمر، ومن جهة برزة قد اقبل الملك المجاهد صاحب حمص، فغلقوا ابواب دمشق وصعدوا قلعتهما، فالتقى الصالح اسماعيل وصاحب حمص بباب الفراديس، ولم يكن عليه ممانع ففتحاه ودخلا دمشق والقاضي محي الدين يحيى بن زكي الدين صحبة الملك المجاهد، وهو لابس كسير ولم يجذب في وجههما سيف، فالتقى تاج الدين محمد بن الحنفي المعروف بابن سفير الملك الصالح وهو داخل فانشده:

هاكذي هاكذي والإ فلا فلا
وكفى الله المؤمنين القتالا

حزت رأيا وحكمة وكمالاً
وملكت البلاد من غير حرب

(١) تشير المصادر الى سرقة الحمام وابدالها بحمام قلعة ببعبك من غير ان يشعر الحكيم سعد الدين الدمشقي بذلك، بينما ينقرد المؤلف هنا بذكر برطلة البراج. للزيادة والتفاصيل عن ذلك انظر: اهنسياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) المجدل البقاع: موضع قريب من دمشق، وهو ارض واسعة بين ببعبك وحمص ودمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٤٧٠/١.

فعبّر الصالح وزار تربة والدته، ونزل بداره في درب الشعارين، والمجاهد بداره المعروفة، وحضر كبراء دمشق وسلمن عليه بالسلطنة، وركب ثاني يوم وجمع وزحف على القلعة، ودخل النقبابون بجانب برج القلعة، الزاوية الذي على باب الفرج، وكان خارج البرجين حجر فاخترت النقبابون تحتها وحتمها من الاحجار التي تقع عليهم من القلعة، ودخلوا من الجسر الذي يخرج نهر باماس منه من داخل القلعة، ولم يكن بالقلعة ممانع فملكوها يوم الاربعاء ثامن عشرين صفر واعتقل الملك المغيث في البرج الذي قبالة دار السعادة، وناصر الدين القيمري بجامع القلعة، ووصل اليهم عز الدين ايبك صاحب صرخد [١٤٨-أ] وكان من عدهم ايضا.

وكان الملك الصالح ايوب قد سير الامير حسام الدين بن ابي علي الى دمشق، فلما قطع الكسوة ووصل الجسور، وجد الامر قد فات، والملك الصالح اسماعيل قد دخل دمشق، فرجع الى صاحبه، وحين بلغ الخبر الى الملك الصالح ايوب بأخذ دمشق، ظن ان القلعة تعصى الى حين يصلها، والعساكر تفي له، فتوجه من نابلس بعساكره ونزل بيسان، فاتاه الخبر ان عمه ملك قلعة دمشق، فسار ونزل قصر معين الدين، فنزل الامراء الشاميون ناحية عنه والحلقة، ثم ركبوا ولبسوا وضربوا كوساتهم ونشروا اعلامهم، ولحق بهم عمه مجير الدين وتقي الدين، ثم الامراء المصريون، وانعزل القيمرية ناحية عنه وعن العسكر الشامي، ولم يبق معه سوى مماليكه، وحسام الدين بن ابي علي وبن كوجيا والبواشيقي، وخاف ان يمسكوه، وطلع الشاميون على عقبة فيق طالبين دمشق، وتوجه الصالح ايوب بمن معه طالباً نابلس، وثار عليه العربان واهل الغور، ولحقه حسام الدين لؤلؤ والي السواد بجمع كبير، فقاتلهم ووصل نابلس سالماً ونزل بدار السلطنة بها.

وكان الناصر داود قد عاد من مصر الى الكرك عن غير رضى، وكان بنابلس شمس الدين الوزيري نائب من جهة الملك الناصر داود، فحضر الى خدمة الملك الصالح، وقال: نحن نوابك، فقال: قد جئت مستجيراً بابن عمي، فوصل الامير عماد الدين بن موسك، والظهير بن سنقر الحلبي، فخرج الصالح والتقاها، فقال له عماد الدين: نحن وصلنا لنكونن بين يديك وفي خدمتك، وحين نزل احتاطوا به سراً، وتركوا عنده شرف الدين [١٤٨-ب] بن ابي القاسم، ووصل الناصر داود الى نابلس من غير ان يعلم الملك الصالح بوصوله، حكى حسام الدين بن ابي علي، قال: كنت بين يدي الملك الصالح والامير شرف الدين بن ابي القاسم، ونحن في الليل فاقبل الناصر من اعلى الدار وهو سكران، فقال للملك الصالح: سلام عليك كيف ترى ما صنع الله بك، فقام الصالح وخدم ولم يتكلم،

فضرب البوق بنابلس واوهموا ان الفرنج قد غاروا، وركب الناس ومماليك الملك الصالح ايوب، فدخل اليه عماد الدين بن موسك، وقال: بن عمك قد توجه الى الكرك، ويريد تكون صحبتته، فقام الملك الصالح وشلح سيفه وخرج الى باب الدار، فقدموا له بغلة، فلما راءها حل سيفه وركب، وتوجهوا به الى الكرك، ومعه جاريتته شجر الدر وركن الدين بيبرس مملوكه وكان صغيراً واعتقلوه بالكرك، واكلوا به زريق، وكان فظاً غليظاً، فاساء العشرة عليه وبقي الى رمضان، ووصل علاء الدين بن نابلس رسولاً من الملك العادل الى الناصر، يطلب الملك الصالح فما اجاب الناصر الى ذلك.

وحلف للملك الصالح، وحلفه على امور لا يقدر على القيام بها جهلاً منه، منها انه يقاسمه خزائن مصر وبلادها، ويفتح له دمشق وحمص وحماة وحلب الى الموصل، واخرجه في اخر رمضان، ووصل مماليكه واصحابه اليه^(١).

واما الملك الصالح اسماعيل فانه لما وصل عسكر دمشق المنفصلون عن الملك الصالح ايوب اليه، احسن اليهم واجراهم على اقطاعاتهم، وسير الرسل والكتب الى الملك العادل، وورد عليه الجواب بما يختار، ثم وصله كتب عز الدين ايبك الاسمر [١٤٩-أ] والاشرفية يطمعونه بالديار المصرية، ويعرفوه ان العادل ليس بحجة فطمحت اماله لذلك، وسير ناصر الدين بن يغمور الى مصر رسولاً ظاهراً ومدبر الحال مع الاشرفية باطناً.

ولما بلغ الصالح اسماعيل خروج الملك الصالح ايوب، لزم الجماعة المعروفين بخدمته، ونفى بعضهم، واودع السجن بعض، وكان قد لزم حسام الدين بن ابي علي واعتقله بالجيب في قلعة بعلبك.

وبرز خيامه لقصد الناصر والملك الصالح، وخرج الملك العادل بالعساكر الى بلبيس فنزل الملك الصالح ايوب والناصر الى نابلس، واختلفت العساكر على الملك العادل، ومسكوه واحتاطوا عليه، ومسكوا معه امراء الاكراد^(٢)، ومال الاشرفية الى الصالح اسماعيل فما وافقهم المصريون الى ذلك، وطلبوا الملك الصالح ايوب.

(١) للزيادة عن هذا الموضوع انظر: الهسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ص ٩٣-١١١.

(٢) يمكن اعتبار عزل السلطان العادل الثاني عن حكم مصر سنة ٦٣٧ هـ بداية تنامي النفوذ المملوكي في دولة الكورد الايوبية على حساب الدرر والنفوذ الكوردي، مستغلين الصراع الاسري من اجل السلطة في داخل الاسرة الايوبية.

فوصل بلبيس يوم الاحد رابع عشرين ذي القعدة، ومعه الملك الناصر داود، وعماد الدين بن موسك، والظهير بن سنقر، ونزل في دهليز العادل، والعادل معتقل في الخرگاه، فخلع على الامراء واحسن اليهم واجزل عطاءهم مع قيام هيبة ودخل القاهرة، واعتقل العادل، وتمكن في ملكه.

وفيهما اخذ بدر الدين لؤلؤ سنجار من الملك الجواد باتفاق من اهلها لسوء سيرة الجواد ومصادرته لهم، وخرج الجواد يتصيد في البرية، فصبح بدر الدين لؤلؤ سنجار، وفتحوا ابوابها له فدخلها^(١)، واحسن الى اهلها، واقام الجواد بعانه^(٢)، ثم باعها للخليفة.

[الوفيات]

وفيهما توفي القاضي شمس الدين احمد^(٣) بن خليل الخوئي، وكان عالماً لطيفاً كيساً كريم الاخلاق، دفن بقاسيون.

وفيهما توفي الملك المنصور ارتق صاحب ماردين، وكان [١٤٩-ب] شجاعاً شهماً جواداً. وفيها توفي الملك المجاهد اسد الدين^(٤) شيركوه بن ناصر الدين محمد بن الملك المنصور اسد الدين ابي الحرث شيركوه بن شادي بن مروان صاحب حمص، وكان شجاعاً مقداماً يباشر الحرب بنفسه، ويحفظ طرق المسلمين من الفرنج والعرب، وكانت حمص في ايامه

(١) هناك اكثر من رأي حول كيفية استيلاء بدر الدين لؤلؤ على سنجار. للزيادة انظر: المسنياني، سنجار دراسة في تاريخها السياسي والحضاري، ص ٩٨-١٠١.
(٢) عانه، بلد مشهور من اعمال الجزيرة بين الرقة وهيت، وتشرف على نهر الفرات. ياقوت، معجم البلدان، ٧٢/٤.

(٣) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٣٠/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٦٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٦/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣١٦/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٨٣/٥.

(٤) انظر ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٣١/٨-٧٣٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٥٩، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٥١، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤١٨/١، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٦٨/٢-٢٦٩، الذهبي، دول الاسلام، ١٤٣/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٦/١٣، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٣١-٢٣٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣١٦/٦-٣١٧، القرظي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٩٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٨٤/٥.

ظاهرة من الخمر والفجور، لم يتعرض ضمان مكس، ولا اخذ من تاجر حقاً في عبوره
وخروجه وبيعه وشراءه.

وكان ظالماً عسوقاً لاهل حمص، فرقههم في كل ناحية، وابادهم في الحبوس، وكان ذى
دهاء ومكر يتحامونه الملوك ويحترمونه، ويرى انه احق منهم بالملك، ولما ملك الملك
الكامل دمشق ايس من الملكة ومن الدنيا، ومات الملك الكامل، وعبر المجاهد دمشق في ايام
الملك الجواد، فرقس قبر الكامل برجله، وتوفي بجمص في رجب ودفن بها.
وفيها سلم الملك الحافظ^(١) قلعة جعير^(٢) لصاحب حلب، وعوضه عنها بعزاز^(٣)، وكان
لحقه الفالج^(٤) وتوفي بحلب.

(١) هو ارسلان شاه بن ابي بكر بن ايوب بن شاذي، الملك الحافظ، نور الدين العادل، وهناك
اختلاف حول سنة وفاته. انظر ترجمته لدى: ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٧٥/٣، ابن الوردي،
تتممة المختصر، ٢٤٦/٢، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص ٣٢١ - ٣٢٢.

(٢) جعير: قلعة على الفرات بين بالس والروقة. ياقوت، معجم البلدان، ١٤٢/٢.

(٣) عزاز: بلدة صغيرة وفيها قلعة تقع شمال حلب، بينهما مسير يوم. ياقوت، معجم البلدان،
١١٨/٤.

(٤) الفالج: شلل يصيب احد شقي الجسم طولاً. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٦٩٩/٢.

٦٣٨ هـ

السنة الثامنة والثلاثين وستمانة

ولما ملك الصالح نجم الدين ايوب مصر، كان الصالح اسماعيل نازلاً بالجولان، ودخلت سنة ثمان فعظم عليه، وعلم انه ما يبقي عليه اذا تمكن في ملكه، فسير جمال الدين الرومي الى الفرنج، وفصل الحال ان سلم اليهم جبل عاملة^(١) وصفد، وكان قلعته خراب، كذلك تبين وهونين وطبرية ومعظم الساحل، ومكنهم من عمارة صفد، وامتنع من كان بالشقيف فسار [١٥٠- أ] اليهم ونصب عليها المجانيق وتسلمها وسلمها الى صاحب صيدا، فدخلوها بالقسوس والصلبان، فانقلبت الدنيا، وانطلقت الالسن عليه، وانكر الشيخ عز الدين بن عبدالسلام وحرص الناس عليه، فسير اليه وزيره امين الدولة ولاطفة بكل ممكن، فلم يرجع عما هو فيه، فاعتقله بالقلعة وعزله من الخطابة، وولاه عماد الدين بن خطيب بيت الآبار.

ثم نفى الشيخ عز الدين فتوجه الى القدس، وسار الى مصر فاقبل عليه الملك الصالح ايوب، وولاه قاضي القضاة^(٢) بالقاهرة.

وفيهما اتفق الملك الجواد، والامير سيف الدين علي بن حذيفة مع الخوارزمية والملك الصالح نور الدين بن صاحب حمص، وقصدوا حلب والتقوا عسكرها على باب بزاعه فكسروه، واسروا معظم امراء حلب ومقدميها، مثل العظم والنصرة اولاد صلاح الدين وبين درواس واكثر الامراء والاعيان، وقتلوا وجرحوا خلقاً، واستفكوا امراء حلب انفسهم

(١) جبل عاملة: يقع عند ملتقى الطرق الموصلة بين صفد وتبين وبانياس. الاصفهاني، الفتح القسي، هامش (٢)، ص ١٠١، نقلاً عن: The Damascus Chronicle، وهي جهة جبلية قرب الساحل في اقليم صفد القرينزي، السلوك، هامش (٤)، ج ١، ق ٢، ص ٣٠٣.

(٢) قاضي القضاة: ظهر هذا المنصب في مصر لأول مرة في العهد الفاطمي، وكان تولية قاضي القضاة من اختصاص السلطان، لكونه من لوظائف الدينية الجليلة التي لاتتقدم عليها اية وظيفة دينية اخرى لعلو شأنها وسعة صلاحيتها. القلقشندي، صبح الاعشى، ٣٥/٤، وللزيادة عنها انظر: لولاف مصطفى الاتروشي، القضاء في مصر والشام في العهد الايوبي، ص ٥١ - ٦٨.

بأموال عظيمة، وساقوا الخوارزمية الى حيلان^(١) وقطعوا القناة عن حلب، ثم عادوا الى منبج ونهبوها وقتلوا اهلها وسبوا الحريم، وقتلوا سعد الدين بن دبيس واليهما، فسير الحلبيون الى الملك المنصور صاحب حمص يستنصرون به، فأخذ جماعة كبيرة من عسكر دمشق، وسار على كفرطاب ووصل الى حلب، فقوى جأش صاحبها به واستحلفه وقدمه على عساكرها، وسار طالب الخوارزمية والتقاها اخر النهار على جبل الحمام من اعمال الرها، فكسرهم كسرة شنيعة وغنم نسائهم [١٥٠-ب] واموالهم، واسروا وقتلوا وهربوا، فساق خلفهم الى حران فتسلمها من نواب بركة خان، وصارت للملك الناصر يوسف، واوصل السير خلفهم الى البرية، وعاد بالعساكر الى حلب بعد ان تسلم نواب الملك الناصر يوسف حران والرها ورأس عين وحملين والموزر وسروج وغيرهم من بلاد الجزيرة، وسار الى حمص.

وفيها توفي الشيخ محي الدين محمد^(٢) بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي، كان فاضلاً في سائر العلوم، سيما علم الحقيقة^(٣)، وله المصنفات الكثيرة، وكان يزعم انه يعرف الاسم الاعظم، ويعمل الكيمياء، توفي بدمشق ودفن بقاسيون في تربة القاضي محي الدين بن زكي الدين.

وفيها تمكن الملك الصالح ايوب ومسك الاشرفية والامراء، وأمر جماعة من مماليكه وخدامه، وغرق جماعة ممن كان يخشاهم^(٤).

(١) حيلان: من قرى حلب. ياقوت، معجم البلدان، ٣٣٢/٢.

(٢) انظر ترجمته لدى: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٧/١٣.

(٣) علم الحقيقة: الحقيقة الشئ الثابت يقيناً، وحقيقة الشئ: خالصة وكنهية. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١٨٨/١. ولم اوفق لي التوصل الى المعنى الاصطلاحي لعلم الحقيقة.

(٤) للزيادة عن الاجراءات التي قام بها الملك الصالح ايوب من أجل تأمين مستقبل حكمه في مصر انظر: الهسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ١٠٨ - ١٠٩.

٦٣٩ هـ

السنة التاسعة والثلاثون وستمائة

فيها توجه الملك الجواد الى مصر، فلم يقبله الملك الصالح فعاد الى الملك الناصر داود، وكان الملك الصالح قد سير الفي فارس صحبة كمال الدين بن شيخ الشيوخ ونزل بهم غزة.

والملك الناصر بالقدس، فسير الملك الجواد ومعه سبعمائة فارس، وسار كمال الدين والتقوا على بيت غور^(١)، فكسر الجواد كمال الدين وعسكر مصر واخذ معظمهم، واسر كمال الدين بن الشيخ وجماعة من الامراء واحضرهم الى الملك الناصر.

واقام الجواد عند الملك الناصر، فتخيل منه واعتقله ثم بعث به الى بغداد في البرية، فنزل قريبا من الازرق^(٢) فعرفه بطن من العرب فاطلقوه، فعاد الى دمشق واقام عند الملك الصالح اسماعيل مدة.

ثم توجه الى الفرنج واقام عندهم [١٥١-أ] ثم عاد الى دمشق.

(١) لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٣٦/٨، (بيت فوريك)، ورد في ترجمته لدى: المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٠٩، بان المواجهة كانت بينهما ببلاد القدس. اي ان بيت غور او بيت فوريك هو موضع ببلاد القدس.

(٢) الازرق، نهر بالفر بين بهسنا وحصن منصور في طرف ببلاد الروم من جهة حلب. ياقوت، معجم البلدان، ٣١٧/٥.

﴿ ٦٤٠ هـ ﴾

السنة الاربعون وستمانه

فيها توفي الامام المستنصر بالله ابو جعفر المنصور بن محمد، وكان سمحاً كريماً عادلاً
مائلاً الى الخير وفعله، بنى المدرسة المستنصرية ببغداد، وما بنى في الاسلام مثلها، وكان
كثير البر والرفقة على الفقراء، محباً للعلماء. وتولى بعده ولده الامام المستعصم بالله ابو
احمد.

٦٤١ هـ

سنة احدى واربعين وستمائة

فيها اعتقل الملك الصالح اسماعيل الملك الجواد بعزنا ثم سيره الى قلعة بعلبك مختفياً على زي النساء، فاقام معتقلاً بها مدة، ثم احضره الى دمشق فمرض ومات بها، ودفن في تربة الملك المعظم بقاسيون.

وفيها ترددت الرسل بين الملك الصالح نجم الدين ايوب، والملك الصالح اسماعيل، وتقرر الحال واطلق الملك المغيث ابن الملك الصالح ايوب، وانزله بدار المسرة في القلعة، واطلق الامراء المسلمين مثل حسام الدين بن ابي علي، ومجير الدين بن ابي زكري، ومجير الدين بن خشترين، وسعد الدين بشير وغيرهم، وساروا الى مخدومهم الملك الصالح أيوب، وتوجه ناصر الدين بن الصارم التبنيني والشريف علي البعلبكي رسلاً من الصالح اسماعيل الى مصر، وخطب بدمشق للملك الصالح ايوب، وضربت السكة باسمه، فلم ينتظم الحال، واعاد المغيث الى الاعتقال^(١).

وفيها وصل الامراء القيمرية^(٢) الى حماة، واجتمع اليهم جماعة من الامراء والمفارقة ليقصدوا خدمة الصالح ايوب، وكان الصالح ايوب قد كاتب الخوارزمية ان يعبروا [١٥١-ب]

(١) عن تلك الاتفاقية وفشلها انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٤١/٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٣٠/٥، الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجوزي، ص ٢٣٠، ودول الاسلام، ١٤٦/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٣/١٣، ١٢٧، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣١٤، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ١، ص ٣٣-٣٤، أ، الحسيناني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ١٢٦-.

(٢) القيمرية: نسبة الى قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط وهم اكراد. ياقوت، معجم البلدان، ٤٢٤/٤، هذا وقد لعب الكورد القيمرية دوراً كبيراً في العقدين الآخرين من عمر الدولة الايوبية في مصر وبلاد الشام. للزيادة والتفاصيل انظر: الحسيناني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد الايوبية في مصر وبلاد الشام، ص ١٦٧-٢٥٤، عزت سليمان حسن البرواري، الكرد في جيش الدولة المملوكية البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م) رسالة ماجستير، جامعة دهوك كلية الاداب، ٢٠٠٨م.

الفرات ويجتمعوا بالقيصرية ويصلوا الغور، ويلقاهم عساكر مصرية وينزلوا على دمشق، فوافق ذلك تحريك التتر وقصدهم الخوارزمية، فتعدوا الخوارزمية الفران وتعدوا على حلب، واجتمعوا بالقيصرية ونزلوا على بحيرة قدس ظاهر حمص وافترقوا، وسار ثلثاهم صحبة الامير حسام الدين بركة خان مقدمهم، ونزلوا على طريق المرح والغوطة، والثلث الاخر والقيصرية سار على طريق البقاع، وخرج الملك الصالح والامير ركن الدين الهيجاوي بالعسكر، ثم سير من عسكره جماعة صحبة سيف الدين الحج بلبان مملوكه، ليقتفوا على طريقهم، ويجمعوا راجل البقاع ويلزموا عليهم المضيق، فوافوهم قريب مجدل^(١) وعين جبر^(٢)، وكان الخوارزمية والقيصرية في خلق عظيم، فاحتاطوا بعسكر دمشق، فما سلم منهم الا القليل، واسر سيف الدين الحج بلبان واكثر العسكر.

واما الملك الصالح اسماعيل فانه لما رأى الخوارزمية وكثرتهم علم ان لا قدرة له بلقائهم فاستتر ببساتين الغوطة ليلاً بمن معه من العساكر، وتعدوا الخوارزمية وعاد الملك الصالح الى دمشق، وغار الخوارزمية على بلاد الفرنج، وطلبوا الساحل. وفيها توفي نجم الدين خليل قاضي العسكر^(٣).

(١) مجدل: وهو القصر المشرف، اسم بلد بالخابور، ياقوت، معجم البلدان، ٥/٥٦.

(٢) عين الجبر: موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٤/١٧٧.

(٣) قاضي العسكر، وظيفة قاضي العسكر من الوظائف الدينية. القلقشندي، صحح الاعشى، ٤/٩٩، وكان واجبه الفصل في الخصومات التي تحدث بين الجنود، وهم مختصون بقضايا الجنود فقط. للزيادة انظر: الاتروشي. القضاء في مصر والشام في العهد الايوبي، ص ١٤٦-١٥١.

٦٤٢ هـ

سنة اثنى عشر واربعين وستمائة

فيها سير الملك الصالح نجم الدين ايوب للامراء القيمرية والخانات والخورزمية الخلع والاموال والقماش صحبة الامير جمال الدين اقثن النجمي، وجمال الدين يحيى بن مطروح، واقطع الامير نجم الدين الخليل واعماله، والامير ناصر الدين غزة، وباقي الامراء [١٥٢-أ] والحلقة بلاد متفرقة، واقطع بلاد دمشق للخورزمية^(١) ماخلا نابلس، فانه اقطعها لجماعة من الامراء والحلقة، وسيرهم صحبة الامير حسام الدين بن ابي علي اليها.

فطلع الملك المنصور صاحب حمص بعسكر دمشق، وعسكر عز الدين ايبك وساروا الى عكا، واجتمعوا بمقدي الافرنج وفتحوا باب المدينة لهم، ودخلوا وباعوا واشتروا، وعمل الفرنج للملك المنصور دعوة وبات بعكا، واتفقوا وساروا من عكا ووصلهم نجدة الملك الناصر داود^(٢) ونزلوا عسقلان والخورزمية على غزة، وسير الملك الصالح ايوب من عسكره ثلاثة الف فارس مقدمهم ركن الدين بيبرس مملوكه، وركب الملك المنصور من عسقلان مطلبا ملبسا، وجعل الفرنج على ميمنته، وعسكر الناصر داود، وصاحب صرخد ميسرة، والملك المنصور بعسكره وعسكر دمشق قلب وصنجقية، والتقوا ضحوة

(١) لم يقطع الملك الصالح بلاد دمشق للخورزمية، وانما اعدهم بذلك للزيادة انظر:

Wolf, R, and Hazard, H.W, The Latter Crusades, 1189- 1311, vol, 2, Philadelphia, p.536, Stevenson, M.B, The Crusades in the East, Cambridge, 1970, p.324.

وغرهم بالعهود والاماني. تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ١، ص ٣٩-أ. انظر ايضاً: موسى مصطفى الهستاني، علاقات الملك الصالح نجم الدين ايوب بالخورزمية (٦٢٩-٦٤٤ هـ/١٢٣١-١٢٤٦م)، مجلة الزبية والعلم، جامعة الموصل، المجلد (١٤)، العدد (١)، ٢٠٠٧، ص ١-١٦.

(٢) في الاصل الناصر ايوب، والصواب ما اثبتناه.

نهار على غربيه فحمل الخوارزمية على الميسرة فكسروها ورموها على الصنجقية فلعبت الاطلاب، فحمل الملك المنصور فلم يحمل معه احد، وحمل عسكر مصر والقيمرية فانكسر الملك المنصور ومن معه، ونهبت اثقالهم، واخذ جماعة من عسكر دمشق وحمص اسرى، وساق الخوارزمية خلفهم الى عسقلان، ولم ينقلت الملك المنصور الا من الشبكة، وثبت الفرنج وساقوا وعسكر مصر والخوارزمية محذقون بهم يتخطفونهم من كل جهة، الى ان قريبا من (جمير)^(١) غزة، فحملوا حملة هائلة كسروا من كان قبالتهم، وانهمز العسكر قدامهم، وبلغ هزيمة بعضهم الى رفح^(٢)، ووصل فارسان من الفرنج في حملتهم الى حمام^(٣) غزة، وقتلوا هنالك [١٥٢- ب].

واستدار المسلمون حول الفرنج مثل الحلقة طعنا بالرماح وضربا بالصفاح ورشقا بالسهام، وهم مجتمعون في بعضهم بعض كردوس طالبون البحر، فتعب راجلهم، وتقطع عن بعضه بعض، وتعلقوا بشجر الجمير والسيوف تأخذهم من كل ناحية، واي من وقع من الفرنج يسارعوا الحرافشه الى قطع رأسه وشق بطنه وأخذ مرارته، فلم يسلم منهم الى عسقلان سوى عشر نفر، والباقيون راحوا قتلاً واسراً، فكان المقتولون منهم ثلاثة عشر الف نفس، وساروا بهم على الجمال الى القاهرة، ونزل ركن الدين بيبرس بالعساكر على عسقلان وزحف عليها، فما نال منها غرض.

وتوجه حسام الدين بن ابي علي بمن معه الى نابلس، ووصل صاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ مجدداً بعساكر مصر، واجتمع بالامير ركن الدين بيبرس والخوارزمية والقيمرية ونزل على بيسان، وتقدمت الخوارزمية والقيمرية الى الجولان ونزلوا به، وكانت سنة كثيرة الامطار، فعاثوا الخوارزمية في البلاد وكثر منهم النهب والعناد، وشنوا الغارات فخربت البلاد وخرجت بلا زرع.

واما الملك المنصور فانه لما وصل من الكسرة الى دمشق التقاه الملك الصالح وبشر به، وسلاه، وقال: ما برحت الملوكة تجري عليها اكثر من هذا، وسير له الخيل والقماش والة البيوتات والمال دون مقدار الملك المنصور.

(١) الجمير، نوع من الشجر كان يحيط بغزة.

(٢) رفح: منزل في طريق مصر بعد الداروم، بينه وبين عسقلان يومان للقاصد الى مصر، وهو اول الرمل. ياقوت، معجم البلدان، ٥٤/٣.

(٣) حمام في اللغة حمى الابل. ياقوت، معجم البلدان، ص ٢٩٨.

وكان نقل الى الملك الصالح ان الملك المنصور اعتمد الكسرة، وبقي في قلبه. زاد الملك الصالح في اكرام الجند وبسط امالهم والخلع عليهم والشرب معهم.
وزاد حاجته الى ان تعرض قاضيه [١٥٣- أ] الرفيع الجيلي، ووزيره وواليه شمس الدين بن بكا الى عسف الناس والتحري على اموالهم فكتب اليه كاتب انشائه:

يا مالكا لم اجد لي من نصيحتك ندا	وفيها دمي اخشاه منسفا
اسمع نصيحة من اوليته نعماً	يخاف كفرانها ان كف او تركا
والله ما امتد ملك منذ مالكة	على رعيته من ظلمه شيكا
ترى الحسود به مستبشراً فرحاً	مستغرباً من بوادي امره ضحكا
وزيرك بن غزال والرفيع به	قاضي القضاة ووالي حريك بن بكا
وثعلب وقصيل من هما وهما	اهل المشورة فيما ضاق او ضنكا
جماعة بهم الأفاق قد نشرت	والشرع قد مات والاسلام قد هلكا
ما راقبوا الله في سر وفي علن	وانما يرقبون النجم والفلكا
والان قد حكموا واستوثقوا حلقتا	وصيروك لهم في صيدهم شركا
ان كان خبزاً ورزقاً واسعا فلهم	او كان شراً وامراً سيناً فلكا
وقد نصحت فقم واقبل نصيحة من	ما بان في قوله خرقاً ولا إفكا
واستدرك الامر واستر ماجنوه	بهم تلقى الرشاد وان اصرت منهمكا
ومن قليل ترى اثار فعلهم	فيهم وفيك اذا ماسترهم هتكا

فلما بلغ الملك الصالح هذه الابيات تغير على وزيره (باطناً)^(١) وعزل القاضي الرفيع^(٢) وقبض عليه وسيره الى بعلبك وصحبته الموفق الواسطي، وسلموه الى المقدم داود النصراني

(١) في الاصل باطنها والصراب ما اثبتناه.

(٢) هو عبدالعزیز بن عبدالواحد بن اسماعيل ابو حامد القاضي الملقب بالرفيع، وكان قد اساء السيرة في دمشق. عنه انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧/٨-٧٥٠، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٦٦-٢٦٧، الذهبي، دول الاسلام، ١٤٧/٢، والمختار من تاريخ ابن الجوزي، ص ٢٣١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٣٥٠-٣٥١، الفسائي، المسجد المسبوك، ٢/٥٣٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٢١٤-٢١٥.

مقدم الحرامية^(١)، فسار به الى مغارة افقه من اعمال بعلبك فرماه من اعلاها فنزل قطعاً.

وولى قاضي قضاة دمشق للقاضي محيي الدين بن كمال الدين القرشي، واستناب صدر الدين بن سني الدولة، وحكم محيي الدين [١٥٢-ب] باسقاط شهادات اصحاب الرفيح. وفيها توفي الملك المغيث عمر بن السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب في اليرج الذي كان معتقلاً به بمرض لحقه، فعظم ذلك على الملك الصالح اسماعيل^(٢)، فانه كان يعده ذخيرة له عند ابيه، وطلعت جنازته ومشى معها الملك المنصور محمود بن الصالح، ودفن في تربة جده الملك الكامل في ربيع الآخر. وفيها توفي نجم الدين^(٣) ابو الحسن بن سالم بن سلام، وكان والده يدعى الشيخ الامين من كبار عدول دمشق، ونشأ نجم الدين على ماكان عليه ابوه، وكان ذي مرؤة وعصبية جواداً كريماً حسن العشرة يحب العلماء والصالحين، مانئلاً الى التشيع ومذهب الامامية باطنياً، توفي في ذي الحجة، ودفن بقاسيون.

(١) مقدم الحرامية: لم أعر على تعريف محدد له، ولكن يبدو أنه كان القائم بتنفيذ احكام الاعدام حسب الطريقة التي يراها.

(٢) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٥١/٨، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢٧٨/٢، الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٢٤٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٦/١٣، الغساني، المسجد المسبوك، ٥٢٩/٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٥١/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢١٥/٥. وهناك أكثر من اشارة الى قتله من قِبل الملك الصالح اسماعيل وان وفاته كان السبب في تعميق الخلاف بين الصالحين بحيث لم يعد هناك اية امكانية لاصلاح الحال بينهما. عن ذلك انظر: الهسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ١٣٥-١٣٦.

(٣) هو النجم بن سلام واسمه الحسن بن سالم بن سلام، سار على خطى والده اول الامر، غير انه تغير في اخر عمره وتدخل في السياسة والصراع الاسري بين الملوك الايوبيين، لذلك امر الملك الصالح ايوب قائده معين الدين ابن الشيخ انه اذا ما فتح دمشق ان يعلق ابن سلام بيده الى بابه. للزيادة انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٤٧/٨، الصقدي، الوافي بالوفيات، ٢٦/١٢، الهسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ٧٨-٩٢.

٦٤٣ هـ

السنة الثالثة والاربعون وستمانه

فيها تقدم الصاحب معين الدين بالعساكر المصرية والخوارزمية ونزل على دمشق محاصراً لها وضايقتها، ونصب عليها الجانيق واخذ عليها النقيب، وكان كلما زحف من جهة يخرج الملك الصالح بمماليكه وحلقته ويقاقل اشد قتال ويردهم عن الزحف، فزحفوا يوماً بالفارس والراجل وملكوا قصر حجاج وحكر السماق، واخربوا السدود، وقاتلهم الملك الصالح قتالاً شديداً، ثم ملكوا العقيبة واحرقوا الدور والخانات وقتل الاقوات بدمشق وضعف جندها، ولم يكن في حاصل الصالح اسماعيل مال ولا خزانه.

وكتب الملك المنصور صاحب حمص الصاحب معين الدين بن الشيخ على ان يزحف ويسلم اليه باب شرقي، فقال: ما اقبل بل تخرج الينا [١٥٤- أ] بنفسك، فقال الملك المنصور: كيف يليق بمثلي شيخ بني ايوب ان يكون مقفراً، ثم راسل بركة خان واتفق معه ان يجتمع به على ظهر خارج باب شرقي، واوهم الملك الصالح ان يميل بركة خان اليه، فخرج الملك المنصور واجتمع ببركة خان خارج باب شرقي على فرسيهما، ولم يبد منهما كلام سوى ان قال بركة خان: ايش يرسم مولانا.

فقال له الملك المنصور: ان رأى مولانا ان يصلح أمري مع السلطان، فقال بركة خان: على عيني، يعاد كل منهما الى مكانه، وتوهم الصالح اسماعيل من المنصور، وكتب الملك الصالح لمعين الدين بن الشيخ، واتفق الحال ان يمكنه من الخروج من دمشق ليلاً الى بعلبك، ولا يعلم احد من الامراء به، ولا يمكنهم من التعرض اليه بمكروه، فحلف له، وخرج الملك الصالح من باب توما والملك المنصور، وحمل ما قدر عليه من الحرير والذخيرة، ووصل بعلبك ثالث جمادى الاول^(١).

(١) عن هذا الموضوع انظر أيضاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٥٢/٨ - ٧٥٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٧/١٣ - ١٧٩، المسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ١٣٧ - ١٤١.

ودخل معين الدين دمشق، ونزل دار أسامة، وشهاب الدين الكبير بالقلعة، وولى دمشق جمال الدين هارون المهراني، وجهز ركن الدين الهيجاوي، وامين الدولة وزير الصالح اسماعيل تحت الحوطة الى مصر.

وتولى صدر الدين بن سني الدولة القضاء، ورجع بعض العساكر الى مصر، واقام الباقي بدمشق.

وكان الخوارزمية يؤملوا ان الملك الصالح اذا ملك دمشق يعطيهم احد البلاد الكبار وحصون، فلما تمكن الملك الصالح، وتحقق فسادهم وخرابهم البلاد اعرض عن الخوارزمية باطناً، فما خفي عنهم، وكان بركة خان بعد فتح دمشق قد عاد الى [١٥٤-ب] الساحل، ونزل مرج قاقون^(١)، فسير الى الامير حسام الدين بن ابي علي وكان بنابلس، يقول: تعلم ان حريمي اخت السلطان، فلعل ينعم علي بقاعة تكون اخته بها، فكتاب حسام الدين الملك الصالح في ذلك، فعاد الجواب مدافعة.

وكان الامير ركن الدين بيبرس نازلاً بغزة، والملك الصالح نور الدين صاحب حمص، فاتفقا وكتابا بركة خان واطمعه في البلاد، فكتاب بركة خان الصالح اسماعيل الى بعلبك. وتوجه حسام الدين بن ابي علي الى دمشق والى حربها، وكان نقضاً في حقه لانه كان من كبار الامراء تارة نائب سلطنة، وتارة مقدم العساكر، ونزل بدار ركن الدين الهيجاوي بدمشق، وبسط المعد له، وحسم مادة الامراء عن الرعية، واطلق المكوس.

ولما علم السلطان باتفاق مملوكه ركن الدين بيبرس والصالح بن صاحب حمص و الخوارزمية مع الصالح اسماعيل، استدعى الركن بيبرس، ولم يعلم الركن بيبرس ان السلطان علم بما جرى، فدخل الرمل وقصد خدمة السلطان بقوة قلبه من خشداشيته^(٢) الامراء، وانه لو رام السلطان ان يوقع به امر ما مكنوه، فحال وصوله اليه ما عاد طلع له خير ولا يعلم ما جرى عليه وهلم جرى.

(١) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة، وقيل: هو من عمل قيسارية من ساحل الشام. ياقوت، معجم البلدان، ٢٩٩/٤.

(٢) خشداش، لفظ فارسي تعني الرفاقة او الزمالة تلك الصلة التي كان يرتبط بها المماليك في الرق والعق والعمل والخدمة، فيطلق على هؤلاء الرفقاء خشداشية. السيد الباز العريني، المماليك، ص ١٤١. وللزيادة انظر: مجلة التراث العربي، العدد (٤٩)، دمشق، ١٩٩٢، المقريري، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٨، هامش (٣).

وتوجه الصالح بن صاحب حمص الى الخوارزمية وخرجوا عن طاعة السلطان، وقصدوا دمشق واجتمعوا بالملك الصالح اسماعيل، ونزلوا على دمشق وحاصرها، واشتد الغلاء بها، ووصلت الغرارة القمح الف (و)^(١) ستمائة درهم^(٢)، ومات اكثر الناس على الطرقات وخلت الاسواق، وجلوا اهل دمشق وخربت.

وكان الملك المنصور صاحب حمص قد رجع عن الصالح اسماعيل، واتفق مع السلطان، فتوجه الى [١٥٥-أ] حلب، وقال لهم: تعلموا ان الخوارزمية متى ملكوا دمشق جاروا الشام بأسره، والمصلحة ان نبادرهم قبل ان يبلغوا غرضهم منها، ويكون ذلك خدمة للسلطان، فوافقوه على ذلك وخرجت عساكر حلب وقصدوا حمص مقدمهم الملك المعظم توران شاه^(٣) بن صلاح الدين، وجميع الامور مناصرة بالامير شمس الدين لؤلؤ، فلما بلغ ذلك الملك الصالح اسماعيل والخوارزمية، قال الصالح اسماعيل: المصلحة ان لا نضارق دمشق حتى نأخذها، فانها على غاية ضعف.

فقال الخوارزمية: الرأي ان نبادر صاحب حمص قبل ان يقوي شوكته، ونكسره، ودمشق ماتفوت، وساروا ونزلوا القصب^(٤) من ارض حمص، وصحبتهم الامير عز الدين ايبك صاحب صرخد، فسار اليهم الملك المنصور بعسكره وعسكر حلب وحماة، والتقى العسكران فانكسر الصالح اسماعيل والخوارزمية، وقتل بركة خان مقدمهم، وانقلت الصالح اسماعيل بجماعة من مماليكه بعد ان ثبت في ذلك الموقف وقاتل، وساق الملك المنصور مسرعاً الى بعلبك، فتسلم مدينتها وسلمها الى نواب الملك الصالح ايوب الذين بدمشق، وعاد الحلبيون برأس بركة خان، وكانت نصرة مليحة اراح الله المسلمين من فساد الخوارزمية^(٥).

(١) اضيف ما بين الحاصرتين الى الاصل لتسقيم المعنى.

(٢) اشتد الغلاء واستمرت الاسعار في الارتفاع حتى بلغت الغرارة في ثاني عشر ذي القعدة الف ومائتين وخمسين درهما فضة ناصرية. ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٣) في الاصل ترنشااه والصواب ما اثبتناه.

(٤) القصب، قرية من عمل حمص، القلقشندي، صبح الاعشى، ١١٢/٤.

(٥) للزيادة انظر: الهستياي، علاقات الملك الصالح نجم الدين ايوب بالخوارزمية، ص ٨ - ٩.

وفيها توفي الشيخ الامام علم الدين علي^(١) بن محمد السخاوي، قرأ القرآن بالروايات السبع على الشاطبي، وشرح قصيدته في القرات، وله تصانيف كثيرة في النحو والادب، وقصائد جميلة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) ومقطعات [١٥٥-ب] في نوادر الشعر، وكان مع كثر دينه وغازاة علمه ظريفاً لطيفاً جميل الاخلاق. ومن شعره:

وقالوا في عشر الثمانين ينتفي لك العذر
يا من قد هوى في هوى عندي
طلبنا فلم نظفر بعنق نقيمه
فقلت انظروا في وجهه تجدوا عندي

وله:

قالوا اعاذله اسماء اذ حكمت
فقلت في حكمها والله تفاح
قالوا وقد فهمت ما قد لهجت
لهم ما انت الا مهين الروح فلاح
في البحر غصت ومالي من يخلصني
وكيف انجو وقيد الحُب سباح

وقال يرثي ولداً مات له صغيراً

قبر الغريب على الطريق شبيه سكان المنازل

وكان له حلقة بدمشق عند قبر زكريا، يقرأ عليه بها الناس القرآن والعربية والحديث، واذا خرج من الجامع ركب حماره والناس حوله يقرأون القرآن حيث اتجه، وكان في مبدأ امره يصلي بالامير [١٥٦-أ] عز الدين موسك بن جكو الهذباني ومنقطعاً

(١) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٥٨/٨-٧٥٩، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٧١، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٧٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٨١-١٨٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٢٢٢-٢٢٣، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٧٠٨/٥-٧٠٩.

اليه، ثم نزل دمشق، واقام بها الى ان مات في جمادي الاخر سنة ثلاث واربعين وستمائة
(....)^(١)

الملك الكامل (...). وكان عندهما ممن يشار اليه في علو المكانة وصدق القول، وكان
يجب العلماء والفقراء ويتردد الى زيارتهم ويرهم، توفي بدمشق سنة ثلاث واربعين ودفن
بقاسيون رحمه الله.

الامير عز الدين عمر^(٢) بن مجلي الهكاري

كان شجاعا دينيا صالحا عفيفا طاهر اللسان والفرج، قتل والده يوم المصافح الاعظم
بمرج عكا، وامره صلاح الدين وهو صغير، وكان بالديار المصرية الى ايام الملك العادل،
فاخرجه مع جملة امراء، فقصد حلب وخدم الملك الظاهر غازي وتقدم عنده، وكان من
كبار امراء حلب.

[وفاة] ربيعة^(٣) خاتون بنت ايوب بن شاذي

اخذت صلاح الدين والملك العادل، وكان والدها اولاً قد زوجها [١٥٦-ب] بالامير سعد
الدين مسعود بن معين الدين انر، فاقامت معه بداره الى ان توفي، فزوجه صلاح الدين
بمظفر الدين بن زين الدين صاحب اربيل، وبنت للحنابلة مدرسة بقاسيون وبدمشق
رباطاً للنساء، ووقفت عليهما اوقافاً، توفيت بدمشق وقد تجاوزت الثمانين، ودفنت
بقاسيون.

(١) لقد تعرض اكثر من نصف الوجه الثاني لورقة (١٥٦) لتلف اما بسبب آفة من آفات
المخطوطات كالرطوبة او الارضة او بسبب رداءة في التصوير، او تعمداً، وادى ذلك الى فقدان
اهمية احدى وفيات سنة (٥٦٤٣هـ) حيث طمس اسم المتوفي وبعض المعلومات عنه، وان ما بقي
من الترجمة بعد ليس ذو قيمة نظراً لفقدان اسم المترجم له.

(٢) لم اعثر له على ترجمة.

(٣) انظر ترجمتها لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٥٦/٨ - ٧٥٧، ابو شامة، الذيل على
الروضتين، ص ٢٧٢ - ٢٧٣، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢٧٩/٢، ابن كثير،
البدية والنهاية، ١٨٢/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٥٣/٦، الحنبلي، شفاء
القلوب، ص ٢٣٠، الغساني: المسجد المسبوك، ٥٤٢/٢، ابن العماد، شذرات الذهب،
٢١٨/٥. وينفرد المؤلف هنا بالاشارة الى بناء ربيعة خاتون رباطاً للنساء.

٦٤٤ هـ

سنة اربع واربعين وستمائة

في المحرم منها كسر الملك المنصور صاحب حمص وعسكر حلب الخوارزمية على قصب حمص على ما شرحنا ثامن محرم، وقتل بركة خان وانهزم الملك الصالح اسماعيل وعز الدين ايبك المعظمي ودخل قلعة بعلبك، واخذ من قماش اخوانه ما استعان به على وقته، وسار الى السواد وقصد البلقاء، واتفق مع الملك الناصر داود ونزلوا القدس واقطعوا البلاد وولى على السواد، وقطع الميرة عن دمشق، فتوجه الامير ناصر الدين القيمري الى حمص، وعاد صحبة الملك المنصور، ودخل الملك المنصور دمشق، وسكن داره بها، ثم خرج الى بستان أسامة ومرض به، وانتقل الى النيرب وتوفي به وحمل الى حمص.

وتواترت الغارات من نواب الملك الصالح بقلعة بصرى على بلاد حوران ولاقوا اهل دمشق شدة عظيمة لقطع الميرة عنهم، فلما بلغ السلطان الملك الصالح، قدم الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ على عساكر مصر [١٥٧-١] وكان معتقلا في جب القاهرة، وتوجه بالعساكر الى الشام وخرج عسكر دمشق صحبة الامير ناصر الدين القيمري، وسار بهم الى ان اجتمع بالامير فخر الدين بن الشيخ على نابلس، فتأخر الملك الصالح والناصر والخوارزمية الى البلقاء، ونزل الامير فخر الدين منزلتهم بالقدس، ورحل الى الغور، وطلع على عقبة حسان البلقاء^(١)، وكان الملك الصالح قد خاف من الملك الناصر ان يقبضه، فسار هزيمة الى بصرى.

ووقف الناصر والخوارزمية على رأس العقبة ملبسين مطلبين، فحين طلعت العساكر، المصريون والشاميون ولى الناصر والخوارزمية منهرمين الى الكرك، وتبعتهم العساكر الى الكرك، ونزلوا الوادي مدة عشرين يوما، فتقرر الحال بين الملك الناصر وفخر الدين بن

(١) عقبة حسان البلقاء، موضع قرب الغور. ياقوت، معجم البلدان، ٢/٤١٦، في الاردن.

الشيخ، وسلم جميع الخوارزمية الذين بالكرك الى الامير فخر الدين، وسلم البلقاء وبلاد الصلت، ولم يبق بيده سوى بلد الكرك والشوبك^(١).

وكان الامير عماد الدين بن موسك في اعتقال الناصر، فسير فخر الدين وشفع فيه فاطلقه واخذ جميع ماله، وتوجه الامير فخر الدين ونزل على الصلت، وزحف على قلعتها فلم ينال غرض، فاحرق ربضها وتوجه على الزرقاء^(٢) الى بصرى وضايقتها، وكان بها شهاب الدين غازي بن الالفي، فاتفق الحال ان يرسل شهاب الدين غازي اخاه الى حلب صحبة رسول فخر الدين، فان كان الملك الصالح اسماعيل متصرفاً في نفسه حاكماً على روجه فما يسلموا، وان كان معتقلاً سلموها.

ورحل فخر الدين بالعساكر الى مصر، وبقي الامير ناصر الدين القيمري مقيماً على بصرى الى ان عاد اخو الشهاب غازي، وعين الصالح مرسماً [١٥٧-ب] عليه، وعاد الى بصرى واخبرهم فسلموها الى الامير ناصر الدين القيمري.

وكان سبب الترسيم على الملك الصالح اسماعيل بحلب، انه لما انهزم من الملك الناصر داود بالبقاء وتوجه الى بصرى دخل قلعتها ورتب امورها، واخذ منها نفقة، وخشي ان يدركه عسكر دمشق فيحصره بها، فسار بمن معه من مماليكه على البرية الى ان وصل حلب، فخرجوا الى لقائه وهو لابس كسير فالتقوه واكرمه، واجاروه، وكان الملك الناصر صاحب حلب متفق مع الملك الصالح ايوب وبينهم ايمان، فرسم عليه ظاهراً، واكرمه باطناً، واقطعه باب بزاعة واماكن اخرى.

وفيها توجه الامير حسام الدين بن ابي علي الهذباني من دمشق الى بعلبك وهي محصورة والمجانيق تضرب اسوارها، وقد عدت المؤنة بها، وكان بها اولاد الملك الصالح اسماعيل وحريمه، فسلموها اليه ونزل اولاد الملك الصالح والحريم الى دمشق تحت الترسيم^(٣)، ثم ارسلهم الى مصر واعتقلوا بها.

وكان في بعلبك الامير نور الدين بن فخر الدين عثمان وناصر الدين بن يغمور معتقلين، فسروهم الى السلطان واعتقلهم في جب قلعة القاهرة.

(١) للزيادة انظر: الهسباني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) الزرقاء: موضع بالشام بناحية معان. ياقوت، معجم البلدان، ١٣٧/٣، في الاردن.

(٣) الترسيم: هو الأمر الذي يصدر من الجهة المختصة بعقوبة شخص وذلك بوضعه تحت المراقبة. مجلة التراث العربي، العدد ٤٩، (دمشق: ١٩٩٢)، انظر ايضاً: ابراهيم ابن عمر البقاعي، اظهار العصر لأسرار اهل العصر، ق ٢، ص ١٨.

وفيها اقطع السلطان بلاد الشام لماليكه، اعطى الطواشي شهاب الدين رشيد بالسواد مائتي فارس، وللكافري في السواد ايضاً (مائتي)^(١) فارس، وفخر الدين امير سلاح واقطاي الغتمي بلاد زرع وبصرى، وباقي البلاد بجماعة من مماليكه. وسير (في)^(٢) طلب الامير حسام الدين بن ابي علي فتوجه اليه الى القاهرة، وولى دمشق مجاهد الدين ابراهيم بن [١٥٨- أ] دينا الصوابي.

وفي اخر هذه السنة توجه السلطان بالعساكر الى الشام، وترك حسام الدين بن ابي علي نائب السلطنة بالديار المصرية. فدخل دمشق وقد زينت ظاهراً وباطناً، واظهر اهلها السرور بقدومه والفرحة به، فاحسن الى الناس، وخلع على الامراء والحلقة والقضاة والمدرسين والعلماء والمقدمين، وتوجه الى بعلبك فولى قلعته الطواشي سعد الدين بشير، وجعل ناصر الدين بن الصارم التبيني نائب السلطنة بها، واحسن الى اهلها ومن بها من الجند، وعاد الى الزبداني، ونزل داريا وتوجه الى بصرى، وطلع الى قلعته واحسن الى اهلها.

ووصل اليه الشريف المرتضي الحسيني رسولاً من حلب، ورسول بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وكان بن العميد قد قرر الحال مع الامير عز الدين ايبك المعظمي في تسليم قلعة صرخد، فتوجه السلطان بنفسه وتسلمها، وطلع الى قلعته ونزل عز الدين ايبك بحريمه وامواله منها الى دمشق، وعاد السلطان طالب الديار المصرية.

[وفاة] عماد الدين داود^(٣) بن عز الدين موسك

ابن (جلو)^(٤) الهذباني، توفي هذه السنة وذلك انه لما خرج من حبس الناصر داود لحقه طلوع في رقبته، فبطوه بغير اختياره وحشي فيه الدواء الهالك فمات بالكرك،

(١) في الاصل (مائة) والصواب ما اثناه.

(٢) ما بين الحاصرتين غير وارده في الاصل وقد اضيفت لتسقيم المعنى.

(٣) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٦٣/٨، ٧٦٥، الذيل على الروضتين، ص ٢٧٥، الذهبية، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٢٦١ - ٢٦٢، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٨١، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٨٣ - ١٨٤.

(٤) عند ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٧٥ (جكر) وهو اسم شائع عند الكورد ومعناه باللغة العربية (كبد)، وفي البداية والنهاية، ١٣/١٨٣، (حسكو) وهو ايضاً اسم مألوف عند الكورد ويكون تصغير او تحريف لاسم (حسن). و (جلو) كما هو مذكور في المتن ايضاً من الاسماء المألوفة عند الكورد، وهو تحريف لاسم جلال.

وحمل الى (مسجد) ^(١) جعفر بن ابي طالب، وكان قد جمع بين الاصاله والجلاله والفتوة والمرؤه والعصبية والنفس الطاهرة، وكان في مبدأ شبابه خصيصاً بالملك المعظم بن العادل، قريباً منه محترم الجانب كبير [١٥٨-ب].

ولما ملك الاشرف دمشق سلم اليه امور الجيش والعساكر وتحكم في دولته، واحسن السيرة اوان علو مرتبته، ولم يزل كذلك الى ان ملك الجواد، واراد ان يتزوج باينة الملك الاشرف، فتوقف للامير عماد الدين فاراد مسكه، فهرب الى حلب واخذ جميع موجوده ثم عاد الى الكرك، واقبل عليه الملك الناصر، ولم يزل عنده بالمكانة العاليه، الى ان اتهمه بمكاتبة الملك الصالح ايوب، فلزمه على ما ذكرنا، ومات على ما شرحنا.

وفيهما توفي الامير ركن الدين الهيجاوي ^(٢)، وكان مملوك الامير حسام الدين ابي الهيجاوي السمين، وخدم الملك المعظم وتقدم عنده، وكان امير علمه وكان شجاعاً مقداماً ذي رأي سديد في امر الحروب محباً للجند.

ولما ملك الكامل دمشق من الناصر اعطاه مائة فارس بمصر، وصار ممن يشار اليه من مقدمي الامراء، وفي الدولة الصالحية النجمية علت منزلته، وقدمه على عساكره ونزل غزوة، وشرع السلطان في مسك الامراء الكاملية فخشي على نفسه وتوهم السلطان منه، فهرب الى دمشق، فالتقاه الصالح صاحبها، وزين دمشق لمقدمه وعظم منزلته، وكان يركب الى خدمته، ولم يزل كذلك الى ان فتح معين الدين بن الشيخ دمشق، وسيره الى القاهرة فحبسه السلطان في جب القلعة، الى ان توفي في هذه السنة.

وفيهما توفي الشيخ عز الدين احمد ^(٣) بن معقل الحمصي المهلي، كان عالماً بفنون الادب شاعراً بليغاً، عالماً بالفقه على مذهب الامامية، زاهداً ورعاً منقطعاً في منزله [١٥٩-ا]، وله ديوان شعر في مدائح اهل البيت، فمن ذلك من جملة قصيدة يقول:

يا قوم كم هذا التحير والعمى
فاختر لنفسك ايها الانسان
وضح النهار المله وبدا لها
ما يهدي النعيم لها وينعم بالها

(١) في الاصل (مساجد) وهو خطأ واضح والصواب ما اثبتناه.

(٢) ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٦٥/٨ - ٧٦٦، الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجوزي، ص ٢٦٢.

(٣) لم اعثر له على ترجمة.

واعمد الى بحر العلوم وحل في
متعمداً سبيل الهدى متجنياً
قالوت منتظر بلا شك لتجزى
وولاء آل محمد آمن لمن خاف
هم حجة الله العلي على الوري
وهم السبيح سرحها والممطر
بركات اقوام عليهم بارك الرحمن
متقبلاً بولانهم اعمالها
فعلهم صلواته سحياً غدت

بر الجهالة والضلالة الهبا
سبيل الردى وظلامها وظلالها
كل نفس قولها وفعالها
الجحيم عذابها ونكالها
ويهم أبان حرامها وحلالها
واحرارها والمسكوا احيالها
في الصلوات حتى هدى لها
متكفلاً بولانهم ارزاقها
كالبيت ترام بالعشي اقالها

وله

ومن يكبر يخال الدهر
فان الدهر حاربني
وخط الشيب في رأسي

سأله من الشر
لما قد مد من عمري
كخط الرمح في صدري

وله

ارى صلعا وشيبا بدا
فاصبحت استر ذا بالخضاب
واعجب مني مع ديني

بياضهما في عزار وهامة
ليخفى واستر ذا بالعمامة
كيف الهو خلااً وارجو السلامة

وله: [١٥٩-ب]

سقى بعلبك الى حلق من
فكم قد لهونا بتلك الجنان
اذا ما اغرقنا على تمرها
رمتنا بنادق من عسجد

الفيث كل سحاب هتون
الجنينة في خفض عيشى ولين
وقد راح مشمشها في الكمين
بايدي النسيم قسي الغصون

وله:

أرى سهم قوس الردى
إذا ما أضاهم بليل الشباب
وله من جملة قصيدة لغزل:
لا تحيد عن نازح عمره او قريب
فلم لا يصيب بصبح المشيب

من لصب كلما مرت به
وإذا مر على رمل الحمى قال
نسمة من نضحات البان أنا
حزناً هاهنا كانوا وكنا

وله ما يكتب في صدر كتاب:

وأما الكتاب فكان اجلاً موقفاً
فلثمته لثم الحبيب محبه
واجد لي ذكرى ليالينا التي
في القلب من ظفر عقيب اناس
من بعد طول تمتع وشماس
ما كنت بالتأسي لها في الناس

وله:

اشتاقكم وصروف الدهر تبعدني
يا حيرة القلب ما امتعت بعدكم
إن كنت عانيت معني بعدكم
لا تحسبوا ان لي صبراً الود به
عن اللقاء واشواقني تقربني
عيناي لولا حلول الطيف في الوسن
حسناً فلا حضيت بمرائي منكم عين
هيهات قل اصطباري عنكم [...] ^(١)

وله

قالوا ففيه تبدل بابا مثلك قلت ادري [١٦٠-١]
لو كان مستوراً لما هتك الغرام غريمه سترى

(١) ما بين الحاصرتين كلمة مطموسة.

وله

وهل يكون على النيران من جلد
في قطعها التقطيع من كبدي
بالسعد قلباً ضعيف البطش والجلد

قد كنت احسبني جلدأ لبيئكم
لا تقطعوا كتبكم عني مواصلة فان
واجبر بكتبك شيخاً قد كسرت له
وله في زوجته:

بمعجوز منة حيزبون
معها في وغي وحرب زبون
عنده ظامر البدني واللين
حديد كالصارم المسنون
هن سوى ناقصات عقل ودين
انها هي النساء بنت لبون
بين رجلي بقل شمويس حرون
طولاً على الخد منه والعريتي
س اما لي من ناصر او معين

قبح الله عيشة تنقضي
كل يوم بل كل حين اراني
ذات وجه شفا المشطر يلقى
ولسان في الخير ناب وفي الشر
نقصت في النساء عقلاً وما
هي ناب وتدعى من جنون
هل ارى ذلك الحنين مرمى
او ارى السيف فوق مشهه
بالقومي بل ياإخواني الخم

توفي بدمشق في السنة المذكورة، ودفن بقاسيون.

٦٤٥ هـ

السنة الخامسة والاربعون وثمانئة

فيها سير السلطان الملك الصالح العساكر صحبة الامير فخر الدين بن الشيخ ونزل على طبرية محاصراً لها، ونصب عليها المجانيق، واخذ النقبوب، ونصب الستائر حول القلعة، فخرج الفرنج ليلاً وكبسوا الذين تحت الستائر، واخرجوا من النقبوب، فقتل الامير سابق الدين [١٦٠-ب] الجزري المهراي، وجماعة من المسلمين، واجتهد الامير فخر الدين على حصارها، وما ابقى ممكناً الى ان فتحها عنوة، وأسر جميع من كان بها وسيرهم الى القاهرة.

واما السلطان فانه لما عاد من سرخد وبصرى نزل بغزه، وجرى العساكر التي كانت معه صحبة الامير شهاب الدين بن الغرس، وسيرهم الى عسقلان، فنزلوا عليها وحاصروها، وتوجه السلطان الى مصر، وسير الاسطول الى عسقلان، ليحصرهم براً وبحراً، ولم يكن لشهاب الدين بن الغرس قوة نفس، ولا علو همة عند الامراء ان يزحف على عسقلان، وبلغه ان الفرنج قد اجتمعوا من جميع الساحل، وجهزوا المراكب ليقتصدوه في البر والبحر، فسير الى الامير فخر الدين يستصرخه وهو بطبرية، فرحل من طبرية بعد ان هدم اسوارها، وسار مجدداً نحو عسقلان، فوصلها والمسلمون على وجل عظيم، فنصب المجانيق وعمل الستائر وتقدم النقبوب، وزحف واخذ النقبوب، وهدمت المجانيق الاسوار، وجد الزحف ليلاً ونهاراً، وقتل عليها خلق عظيم الى ان فتحها عنوة في جمادى الآخر من السنة، واسر من بها، واخرب قلعتها، ورحل الى القاهرة، وعبر بالاسرى احسن عبور، فآكرمه السلطان، وخلع عليه، وعلى الامراء واجزل عطاءهم.

وفيها سلم الملك السعيد بن الملك العزيز قلعة الصببية الى السلطان، واقطعه بمصر خبز مائتي فارس لان بن العزيز عجز عن القيام بها، ولم يكن له بلاد ولا مال، والفرنج تشن الغارات عليها، فتوجه الى السلطان طمعاً ان يعينه بمال ورجال ويقطعه [١٦١-أ]

بلاد، فما حصل على شيء، فاحتاج ان يسلمها، ورتب السلطان بها الامير عز الدين بن ابي نصر الحميدي، وكان شيخاً عاقلاً ديناً اميناً.

وفيهما سلم الملك الاشرف بن صاحب حمص قلعة شميميس^(١) للسلطان، فاهتم بأمرها ونقل اليها الذخائر والخزائن، وجرّد بها الامير سعد الدين الحميدي، وعظم امرها زائداً عما يستحق، وذلك لانها وسط البلاد، وجعل ذلك طريقاً لفتح البلاد الشامية، والتعرض لحلب لصغر صاحبها، ففهم الحلبيون ذلك، وكان امور حلب يومئذ مناصرة بالامير شمس الدين لؤلؤ^(٢)، وكان ذي عزم ودين ورناسة وشجاعة، فعظم عليه الامر، وهم القيام بهذا الامر.

وفيهما وقف شهاب الدين رشيد، وجمال الدين بن مطروح على مترجمات من الملك الصالح اسماعيل الى عز الدين ايبك، ومن عز الدين ايبك اليه، فرسموا على عز الدين ايبك وطالعوا السلطان، فأمر ان يرسلوه اليه، فوصلها تحت الحوطة، وانزله بدار شمس الدين صواب.

وفيهما توفي الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب^(٣)، وكان شهماً شجاعاً جواداً، حجج من العراق وتزهّد مدة، ثم واضب شرب الخمر، واتفق مع الخوارزمية، وسولت له نفسه ملك البلاد، واستخدم وجمع فسار اليه الملك المنصور صاحب حمص بعسكر حلب في سنة تسع وثلاثين فكسره على الخابور، ولم يزل بميفارقين الى ان توفي ودفن بها، وملك بعده ولده الملك الكامل [١٦١-ب].

(١) شميميش وتكتب ايضاً شميميس: يبدو انها كانت احدى القلاع التابعة لحمص. ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٧٧/٥.

(٢) هو الامير شمس الدين لؤلؤ ابن عبدالله كان يتولى إمرة عسكر حلب سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م عندما اسره المملوك عز الدين ايبك وقتله، وكان اميراً حسناً صالحاً غابداً زاهداً مدبراً، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وينسب اليه الكرامات. ترجمته واخباره لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٨٣/٨، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٩١/٢، الذهبي، دول الاسلام، ١٥٥/٢، والمختار من تاريخ ابن الجوزي، ص ٢٩٠، الكتبي: عيون السوارب، ٤٦/٢٠، القرظي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٧٥، العيني، عقد الجمان، ص ٤١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٦/٧، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، (مخطوط)، ق ١، ص ١٣٨-ب.

(٣) ورد ترجمته لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٦٨/٨ - ٧٧٠، الدواداري، كنز الدرر، ٣٥٧/٧ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٦/١٣، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٢٢ - ٣٢٤، القرظي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٣٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٣٣/٥.

٦٤٦ هـ

السنة السادسة والاربعون وستمائة

فيها قام الامير شمس الدين لؤلؤ وجمع امراء حلب وكبراءها، قال: إن لم نبادر في حفص بيت استاذنا، ويتحقق السلطان الملك الصالح ان ليس عندنا غفلة ولا اهمال في امر اخذه لقلعة شميميش، واننا قد تحققنا قصده في اخذها والاهتمام بها انه غيرها، واتفق مع الامراء على ان يفرج عن الملك الصالح عماد الدين، ويستنجد بالبلاد والعساكر ففعل ذلك، واخرج الملك الصالح وزاد في اكرامه، واقطعوه باب بزاعة، وبلاد كثيرة، واستدعى عساكر حران والرها وطلب النجد، فوصله نجدة الموصل وماردين وبرز بعساكر حلب وسار بها، ونزل على حمص محاصراً لصاحبها الملك الاشرف وضايقها ونصب عليها المجانيق، والملك الاشرف قوي القلب بالملك الصالح نجم الدين وانتمائه اليه، وكونه السبب، فسير قصاده ورسله الى مصر يستصرخ السلطان.

فحين وصلت الاخبار بذلك الى السلطان جهز العساكر من مصر مقدمها الامير فخر الدين بن الشيخ، فوصل الامير فخر الدين بالعساكر الى دمشق ونزل بدار أسامة بها، ونفق في العساكر.

وكان السلطان قد توجه الى الاسكندرية واقام بها اياماً وافتقد احوالها، وسار منها على اتكو^(١) الى فوه^(٢) ورشيد^(٣)، ثم قصد اشمون طنناح واقام بها، وخرج الامير حسام الدين بن ابي علي بالعساكر، ونزل على السائح وطال [١٦٢- أ] مقام الامير فخر الدين بن الشيخ

(١) اتكو، بليدة قديمة من نواحي مصر قرب رشيد. ياقوت، معجم البلدان، ٨٧/١.

(٢) فوة: بلدة صغيرة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد، بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ او ستة. ياقوت، معجم البلدان، ٢٨٠/٤.

(٣) رشيد، بلدة صغيرة على ساحل البحر والنيل قرب الاسكندرية. ياقوت، معجم البلدان، ٤٥/٣.

بدمشق، والسلطان باشمون^(١)، وحسام الدين بن ابي علي بالسائح، وضايق الحلبيون حمص بالمناجيق والزحف، وعادت قصاد صاحبها من جهة السلطان يوعد بوصول العساكر والكشف عنها، فعلموا ان ذلك تسويق من وقت الى وقت، وان الامر ما يقي فيه فسحة، وان تأخر الامراء اخذت قهراً، فدخل الملك الصالح اسماعيل بينهم، وقرر الامراء ان يسلموا حمص الى الملك الناصر^(٢) ويعوضه عنها تل باشر، ويكون للملك الاشرف مع تل باشر الرحية وتدمر، وتقرر الحال، وحلفوا لبعضهم بعض، ونزل الملك الاشرف من قلعة حمص وتوجه الى تل باشر، وتسلم الملك الناصر القلعة وطلع اليها ومد بها سباطاً، وخلع على كبرائها واحسن اليهم، وثبت بها المعد له، وحمل اليها الغلال وقوى بلادها.

وبرز عسكر حلب، ونزل على القصب ونصب الدهليز الى ناحية دمشق مدة، ثم عادوا الى حلب، بعد ان قرروا امور حمص واحوالها، وبلغ ذلك السلطان الملك الصالح، ووافق ورود هذا الخبر اليه، وقد وصله رسل الامبرور^(٣) مخبراً ان ملك الافرنس^(٤) قد

(١) اشون طناح: اسم بلدة في مصر قرب دمياط، وهي مدينة الدقهلية. ياقوت، معجم البلدان، ٢٠٠/١.

(٢) كان الملك الصالح ايوب جاداً في انجاد حمص غير انه تأخر لمرض أصابه وانشغل بها. الخبلي، شفاء القلوب، ص ٤١٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٢٨/٦، كما انه لم يكن يتصور انها سوف تستسلم بمثل تلك السهولة والسرعة. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ١، ص ٨٦-ب، والسبب الاخر الذي عرقل جهوده في انقاذها هي تلك الاخبار التي وصلتته عن تحرك قوات الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، مما حمله على التزيت لمعرفة حقيقة اتجاهها وهدفها. جوانفيل: القديس لويس، ص ٨٩، The W.B.Stevenson, Crusaders in the east, p. 325

وللزيادة انظر ايضا: الهستاني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ١٥١-١٥٧.

(٣) هو فردريك الثاني الامبراطور الالماني-الصقلي ووريث تاج بيت المقدس. كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ص ٣٦٣-٣٦٤، ونسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ٣٦٥/٣، انظر رسالة الامبراطور فردريك الى الملك الصالح ايوب في: كنز الدرر، ٣٦٦/٧.

(٤) هو لويس التاسع ملك فرنسا المعروف بالقديس لويس، توفي سنة (٦٦٠ هـ) امام اسوار تونس اثناء الحملة الصليبية التي عرفت بالثامنة، وكان يعتقد ان الاستيلاء على تونس سهلاً، ومنها يتوجه الى مصر براً وبحراً فينال منها. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٣٤/٦-١٣٥، وورد لدى: المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٥، ان حملته على تونس ووفاته كانت سنة (٦٦٨ هـ).

وصل الى قبرص^(١) في عالم عظيم من الخيالة والرجالة ونجدة ملوك دين النصرانية، وان السواحي^(٢) من الفرنج قد تأهبوا واجتمعوا ليكونوا معه، وانه قاصد الديار المصرية. ووصل كتب الامير فخر الدين بن الشيخ الى السلطان، يذكر انه قد كاتبه امراء حلب وكبراءها، ووصله الف (و)^(٣) خمس مائة فارس مقضرين، ويلز السلطان في سرعة الخروج الى الشام، ويقول: متى حصل [١٦٢-ب] السلطان بدمشق ما يبقى بحلب الا القليل من العساكر، ومتى قصد السلطان حلب سلمت اليه، وتواترت الكتب والقصاص من الامير فخر الدين بذلك.

فتوجه السلطان من اشمون في البحر الى القاهرة، وسير الى الامير حسام الدين بن ابي علي ان يلتقيه الى القاهرة، فسار واجتمع بالسلطان في قلعة الجبل، فاوقفه على مكاتبات الامير فخر الدين بن الشيخ، واوقفه على مترجم وصله من الامبرور خفية لا يعلم به احد، حتى ان رسل الامبرور الذي عند السلطان لم يعلموا به، ومضمونه ان الفرنسيين قد خرج بكثرة وعدة ماخرجها من قبله وان الصحبة التي كانت بيني وبين الملك الكامل توجب قيامي واجتهادي في مصلحة السلطان، فان كان السلطان مستريح الخاطر والبال خالي من الاعداء، فانتني أشغل هذا الملك بكلام اقدر عليه واوقف اموره، واميل الملوك الفرنج عن مساعدته، وان كان السلطان مشغول بحال من الاحوال فيعرفني لاسعى في الصلح بينكم مادام في قبرص، على ان يعطيه السلطان البيت المقدس^(٤).

(١) جزيرة في البحر المتوسط.

(٢) يقصد بالسواحي الفرنج في الساحل الشامي، وهم رؤساء الطوائف الدينية العسكرية مثل الداوية والاسيارية، والبارونات المحليين. ميخائيل زابوروف: الصليبيون في الشرق، ص ٣١٢. مثل بوهمند الخامس حاكم النطاكية وطرابلس، عاشور: الحركة الصليبية، ١٠٠٨/٢، وكونت يافا وبطربرك بيت المقدس. جوانفيل، القديس لويس، ص ص ٩٤ - ٩٥، ١٢٣ - ١٢٤، Setton, Ahistory of the Crusades, vol, 2, p. 493. ، ١٦٩ - ١٢٧

(٣) مابين الحاصرتين غير واردة في الاصل وقد اضيفت لتستقيم المعنى.

(٤) يقصد هنا إحياء اتفاقية سنة (٦٢٦ هـ) التي عقدها الامبراطور فردريك مع الملك الكامل والتي حصل بموجبها على القدس وقسم من بلادها. الكامل، ٤٨٣/١٢، القلقشندي، صبح الاعشى ٤٩٦/٣ - ٤٩٧، عاشور، الحركة الصليبية، ٩٥٤/٢ - ٩٧١، العربي، الشرق الادنى في العصور الوسطى (الايبويون)، ص ص ١٢٤ - ١٢٧، الصائغ، عصر الملك الكامل الايبوي، ص ص ١٠٢ - ١٠٦.

فلما اوقف حسام الدين بن ابي علي على كتاب الامبرور وشاوره، افكر حسام الدين وعلم ان العسكر المصري قد حصل له ضرر عظيم وضعف لطول مقامه بالشام، وحسب حساب الملك الناصر صاحب حلب وملكه لحمص، وانقياد ملوك الشرق اليه، قرأى حسام الدين ان صلح احد الجهتين اولى، اما الحلبيين، واما الفرنسيين، ولن يبذل ذلك منه الى السلطان، بل لاحت امارات ذلك في وجهه، فعلم السلطان وانزعج، وقال: اي عذر يكون [١٦٢-أ] لي عند الله ان يقصدني هذا الملعون وهو راكب الخشب في البحر، وانا بعساكري في بلادي، ونازل في ارضي، وعساكري اكثر عدة وعدة واجود خيل، انت شاهد على انه متى وصل هذا الملعون بلادي تصدقت بعشرة الف دينار، فأخذ من الخزائن والمتاع ما يدعوا حاجته اليه.

وركب في الحراريق طلب الطينة^(١)، وسير الى العساكر والبيوتات التي بالسائح واشمون ان تلتقيه الى تل العجول وسار وطلع من الطينة ووصل قطية وتوجه في الرمل ونزل تل العجول، وسارت العساكر والبيوتات من السائح واشمون ووصلوا الى المخيم بتل العجول. فوصل الى السلطان الوزير العزيزي وجماعة من كبار العزيزية، فالتقاهم بتل العجول واكرمهم واعطاهم عطاء جزلاً، واقبل عليهم وافاض العطاء لديهم، وتواترت كتب الامير فخر الدين يلز على السلطان في سرعة الوصول الى دمشق، ويقوي عزمه على ان حلب في يده، فاستشار الامير حسام الدين بن ابي علي، فقال: كان رأى المملوك ان لا يخرج مولانا السلطان من الديار المصرية، والان ارى ان يقيم بتل العجول، وتكون قد نزلنا الجبل بطرفيه في حفص مصر والساحل، ولا يؤمن خروج العدو، ويخشى من بعدنا عن مصر، وقوى عزم السلطان على ذلك، فوافته كتب الامير فخر الدين بن الشيخ وهو يلز في وصوله الى دمشق وكان اول الشتاء، فسار بالعساكر [١٦٢-ب] ونزل قريتها ولحق الناس امطار عظيمة فتوحلت الطرقات، ورحل طالباً النطرون والطريق لا ينسلك من الوحل، فتلغ اكثر جمال العسكر، ووصل القدس، وسار على عجلون، ونزل على الجسور. وخرج الامير فخر الدين بن الشيخ والعساكر والطواشي شهاب الدين رشيد وكبراء دمشق، فالتقوا السلطان وزينت دمشق، وفرح اهله، ودخل قلعتها، وكشف عن من وصل من عسكر حلب، فوجد من لا يؤيه اليه ولا يحصل به نفع من جماعة اكراد وتركمان

(١) الطينة: بلدة بين الفرما وتيس في مصر. ياقوت، معجم البلدان، ٥٦/٤.

كانوا مشمرين بجلب، واصحاب امراء، وقد اخرجوا عليهم من الخزائن اموال وخلع كثيرة، فعظم ذلك عليه، وتخبر خاطره على الطواشي شهاب الدين رشيد وجمال الدين بن مطروح كونهما وافقا الامير فخر الدين على صرف الاموال فيمن لاينتفع به ولايستحقها. ولحق السلطان وهو بدمشق ابتداء علة الدق^(١) وعظم عليه وصوله الى دمشق، ويرجع بغير اثره، فرأى ان يرسل العساكر الى حمص واستهون فتحها، فاستشار الامراء في ذلك، فصوبوا رأيه، وقال بعضهم: ما تقف قدام هذه العساكر عشرة ايام، فجهز العساكر وكان شيئاً عظيماً، وجعل مقدم الامراء المصريين الامير فخر الدين بن الشيخ، والامراء الشاميين الطواشي شهاب الدين رشيد، ومقدم حلقة مصر ودمشق الامير حسام الدين بن ابي علي ومعه الدهليز والخزائن والدواوين^(٢)، وبرز العساكر الى مرج عذراء، وتوجهوا على القطيفة^(٣) ومادا^(٤)، ونزلوا القصب وطلبوا [١٦٤-أ] الاطلاب ملبسين السلاح، ونزلوا على حمص واستداروا بها كالحلقة، وكانوا عسكرياً عظيماً فحصل عند العسكر المجرى بجمص خوفاً زائداً، بحيث انهم كتبوا على جناح طائر^(٥) الى حلب: انه نزل علينا عسكرياً عظيماً خلاف ما كنا نظن، وان حمص ما تقف قدامهم، فوقع الطائر على خيمه وقرأ الامير فخر الدين البطاقة على ما ذكرنا، ولو انهم زحفوا في الحالة الراهنة لما وقفت قدامهم يوماً واحداً، لرعب كان حصل في قلوبهم، وانما تأخروا الى ان وصلت المجانيق

(١) الدق: هو الداء الذي يسمونه الاطباء بـ (غانغران) عرض له في فخذه، ثم استفحل حتى ال امرها الى (سفاقلس) وهو موت العضو اصلاً؛ فقطعها وهو حي. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول: ص ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) الدواوين جمع ديوان: محفوظ يحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال القرينزي، المواعظ والاعتبار، ١٤٧/١. وكان يطلق على موظفي الدواوين الحكومية عامة، من باب اطلاق اسم المكان على القائم باعماله. القرينزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٢٧٦، هامش (٤).

(٣) القطيفة، قرية بعد نية العقاب للقاصد الى دمشق في طرف البرية من ناحية حمص. معجم البلدان، ٣٧٨/٤.

(٤) مادا: موضع بعد القطيفة للقاصد الى دمشق من جهة حمص.

(٥) يقصد به الحمام الزاجل، ويعرف ايضاً (بالحمام الرسائلي) و(الهدى). وكانت تستخدم في البريد لنقل الرسائل.

والزحافات^(١) والجنويات^(٢) والسلخانة^(٣)، ووصل من دمشق منجنيقاً مغربياً هائلاً، واربعمائة حجار برسمة النقوب، واحتفل السلطان بأمر حمص احتفالاً زائداً، ونصب المنجنيق المغربي قبالة القلعة، ورمى ثلاث احجار (فتقبعت)^(٤) القلعة وانشقت، ونصبوا باقي المجانيق مفرقه وعمل النقبابون الشرابات^(٥) وجمعوا [...] ^(٦) وضربت الكوسات السلطانية، وزحف العساكر من كل مكان ودام الزحف مدة عشرة ايام، وطلع اصحاب الامير سيف القيمري الى (السور)^(٧)، وعادوا انزلوهم، وقاتل اهل حمص والعسكر الذي بها اشد قتال، ووصلت النقوب، واشرفت حمص على الاخذ.

فخرج عسكر حلب تقدمه الامير شمس الدين لؤلؤ، وصحبته الملك الصالح عماد الدين اسماعيل من حلب، وساقوا بالعساكر ونزلوا تل السلطان، ووصل غيرهم ومقدماتهم الى تمنع^(٨)، وكان العساكر المصرية والدمشقية النازلون على حمص قد ضعفوا الى الغاية، وتواتر عليهم الامطار والثلوج ومواضبة الزحف [١٦٤-ب] وعلی الاسعار بحيث عدم الشعير والتبن، وابتعت الفرارة الشعير بثلاث مائة درهم، والتبن الحمل بمائة درهم، فوصل الشيخ نجم الدين ابن البادرائي من بغداد رسولاً من الخليفة، ووقف عسكر حلب عن التقدم، ووصل الى حمص وبطل عسكر السلطان عن الزحف، وسار الى دمشق،

(١) الزحافات: لم اوفق الى تعريفها، غير انها كانت من عدة الحرب.

(٢) الجنويات، نوع من التروس يحنمي بها الرجالة عند الزحف، وتكون بمثابة مصدات للسهم، وهي عادة بيضوية الشكل او مستطيلة وواسعة بحيث كانوا يحملون الجرحى عليها احياناً. حسين، الجيش الايوبي، ص ٣١٧، للمزيد عنها انظر: الطرسوسي، موسوعة الاسلحة القديمة الموسوم (تبصرة ارباب الالباب)، ص ١٤٨.

(٣) السلخانة: وهي اختصار لمصطلح (الاسلحة خانا)، اي خزانة السلاح التي تحفظ فيها انواع السلاح مما لا نظير لها. القلقشندي، صحح الاعشى، ٥٤٧/٣.

(٤) في الاصل (فتقبع) وهو خطأ واضح، والصواب ما اثبتناه. والتقبع مرحلة سابقة لانشقاق الشيء.

(٥) الشرابات، لم اعثر على تعريف لها، ويبدو انها الثقوب التي كان النقبابون يحدثونها في القلاع والحصون والاسوار، ثم يملؤها بالاحطاب ويحرقونها هدا تلك المواضع.

(٦) ما بين الحاصرتين كلمة غير مقروءة.

(٧) في الاصل (الصور).

(٨) تمنع: موضع بين تل السلطان وحمص.

والسلطان مريض بالقلعة، فقرر امر الصلح، ورجع العسكر عن حمص وهو في غاية ما يكون من الضعف^(١).

وكان السلطان مختاراً للصلح، فانه كان قد بلغه ان ملك الفرنس قد هياً مراكبه وهو على عزم الوصول الى دمياط، ووصلت العساكر الى دمشق، وعادت عساكر حلب الى حلب، ووصل صاحب كمال الدين بن العديم، ومجاهد الدين بن قليج من جهة الملك الناصر صاحب حلب الى السلطان يطلبون الصلح والايمان، فحلف السلطان، وجهز مجاهد الدين ابراهيم الصوابي رسولاً الى حلب جوابهم، فحلف الملك الناصر.

وسير السلطان عساكر مصر جميعها صحبة الامير فخر الدين بن الشيخ الى دمياط، وسير الامير حسام الدين بن ابي علي نائب السلطنة بالديار المصرية، واستدعى جمال الدين بن يغمور الى دمشق، فرتبه بها نائب السلطنة، وقطع خبز جمال الدين بن مطروح، واعرض عنه.

وفي اول سنة ست تقدم السلطان وهو بالقاهرة ان يتوجه اخوه الملك العادل سيف الدين الى الشوبك صحبة عز الدين محمد بن قيمان القيمري، فدخل الى الطواشي محسن، وتقدم اليه بالتوجه الى الشوبك، فعيط في محسن، وقال: [١٦٥-أ] ياعبد نحس، ان في عزمكم ان تقتلوني بالشوبك، فهاهنا اولي، فعذله محسن وتلطف به، (فحذفه)^(٢) بدواة كانت عنده، فخرج محسن ودخل على السلطان، وهو في مجلس الشراب وعرفه بما جرى منه، وكان يبغضه من ايام والده، فأومئ السلطان اليه، وقال: دبر امره، فأخذ الطواشي محسن ثلاث مماليك، ودخلوا عليه ليلة الاثنين ثاني عشر شوال سنة خمس واربعين فخنقوه بشاش علمه وعلقوه به، واطهروا انه شنق نفسه، واخرجوا جنازته مثل بعض الغرباء، ولم يتجاسر احد ان يترحم عليه او يذكره، ودفن بتربة شمس الدولة.

(١) لمعرفة المزيد عن اسباب فشل حملة الملك الصالح ايوب على حمص انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ٦٦/٦ - ٦٧، المسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) حذف الشيء رماء، وحذفه بالعصا، رماه بها، وحذف راسه بالسيف اذا ضربه به. الرازي، مختار الصحاح، مادة حذف، والمقصود بالنص، حذفه بدواة، اي رماه بالدواة.

٦٤٧ هـ

السنة السابعة والاربعون وستمائة

فيها تكاملت عساكر مصر بدمياط وخيموا بها، وتوجه السلطان من دمشق في المحفة الى اشمون طناح، ونزل بداره بها، وكان السلطان قد رتب امر دمياط وترك بها ذخائر عظيمة، وجرّد جماعة من الامراء مقدمهم الامير سيف الدين القيمري، وامرهم ان وصلوا الفرنج ورأوا الغلبة يدخلوا دمياط، ورتب لكل امير برج معلوم يكون بها، وكان والي دمياط يومئذ نور الدين بن تليل الازكجي.

فاقام الامير فخر الدين بن الشيخ والعساكر بدمياط مدة، وليس للفرنج خبر الى يوم الجمعة من ربيع الاول، ركب الناس الى سوق الخيل على عاداتهم، فحضر بوق الفزع بميادنة دمياط مراراً عديدة، ولاح في البحر بطس كثيرة ومراكب ليس لها حصر فما كان [١٦٥-٢٠] ^(١) يزك، وطلع راجلهم على مسجد البرزخ، وعاد المسلمون عبروا الجسر الى بر دمياط، وخرج اهل دمياط منها افواجا على وجوههم وحملوا ما قدروا عليه، ونزل الامراء الذين رتبوا على الابراج، والاحناد الى خارج دمياط، وليس لهم من ينكر عليهم ولايمنعهم هذا، والامير فخر الدين بن الشيخ واقف مثل الحائر باهت، والناس والامراء يمجون في بعضهم بعض، وكل من يكلمه لا يرد عليه جواب.

فاعتقد الناس ان السلطان قد مات باشمون، وخرج جميع من بدمياط من اهلها والجنود المجردين لحفضها والكتانيين ^(٢) وتركوا ماعجزوا عن حمله. ولقد عاينت الزمراء الخارجيين من دمياط يزحفون على بطونهم، والمرأة ترمي ولدها، والمخدرات من النساء خارجات مسبيات يلفون الخرق على ارجلهم، ويستندون على بعضهم بعض في المشي.

(١) نقص في الورقة (١٦٦).

(٢) نسبة الى بني الكتانة، وكانوا ضمن المكلفين بالدفاع عن دمياط. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٣٣/٨، ابو الفدا، المختصر، ٢٨٤/٢.

وكان الفرنج في منزلتهم ليس عندهم حركة، فرأوا الدخان طالع من دمياط، وقد احرقوا السلخانة التي بها، وراح اليهم جماعة من النصارى يخبروهم بخلو دمياط، وخباط العساكر فما صدقوا الى ان كثر الدخان الطالع من دمياط، وتواترت اليهم الاخبار ورأوا الاطلاب اليك الذي كان قبالتهم من المسلمين قد راح، فتحركوا وركب فارسهم وتقدم راجلهم، وشرعوا القلوع وتقدمت الشواني المقاتلة التي لهم والمراكب والبطس في البحر الى دمياط، وساروا هم في البر طالبين الجسر الذي بين برهم ودمياط [١٦٧-أ]، ومن اغرب الامور ان المسلمين تركوا الجسر على حاله لم يقطعوه ولا حرقوه، فوجد الفرنج بذلك سعادة لا تحكى، فعبروا الى بر دمياط من غير مانع، ووجدوا ابوابها مفتحة مهياة لمن يدخل، فدخلوها ولم ينتطح فيها عنزان، وهي على حالها والدور ملأنة من الاقمشة والاموال والغلال والآت، فكانما دخلوا الى بلدهم ومنازلهم، وصعدوا في الحالة الراهنة على اسوارها ونصبوا الرايات والصلبان، وضربوا النواقيس، وصاحوا من أعلى الاسوار صيحة هائلة ونعرت بوقاتهم.

والعسكر الاسلامي واقف عند الميدان حيارى يشاهدون ذلك عيان الى ان اقبل الليل، فسار المسلمون الى (فارسكور)^(١) واقاموا بها الى باكر نهار الاثنين بحيث تعدى اهل دمياط والضعفاء منهم والمشاة والمرضى، فطلب المسلمين وسار نحو اشمون، والسلطان بها، والناس يظنون انه مات.

فلما قربوا من اشمون واعلام العسكر منشورة وكوساتهم تضرب على جاري العادة، فسير السلطان اليهم زين الدين احمد بن ادينا امير جندار^(٢) يقول: اما تستحون من الله، وعلى نفوسكم، باي وجه تنشرون اعلامكم، وتضربون كوساتكم فعاد لفوا الصناجق وخلعوا البيارق من الرماح، وبطلوا ضرب الكوسات، وعبروا مقرقين غير مطلبين، كما قد نخل عليهم الرماد.

فركب السلطان حراقة في بحر اشمون وعليه يفلطاق ملطي وهو يحدث [١٦٧-ب] امرأة فرنجية فطابت قلوب الناس حين رأوه، وتوجه في الحراقة الى المنصورة، وأمر

(١) فارسكور: من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية. ياقوت، معجم البلدان، ٤ / ١٠٩.
(٢) امير جندار، متولي هذه الوظيفة يطلب الاذن على دخول الامراء للخدمة، ويدخل اسمهم الى اللديوان. المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ١، هامش (١)، ص ١٣٣.

العساكر بالرحيل اليها، فساروا ونزلوا بها على بحر اشمون فكان اول الميمنة الامير سيف الدين القيمري نزل على جديلة^(١)، والامير عز الدين ايبك التركماني رأس الميسرة نزل على بحر النيل^(٢) قبالة جوجر، والسلطان بالمكان المعروف بالمتصورة، وبنى الناس بها الدور، وبنوا الاسواق والحمامات وصارت ازقة.

وبنى السلطان على جانب بحر النيل سور بالابراج دار من لبن، ورتب كل برج لأمير، ورتب في كل شاني من كبار الحلقة، هذا والسلطان مريض عاجز عن التصرف في نفسه، والامراء في كل يوم يدخلون الخدمة ويقعدون على السماط، فاذا كمل مد السماط يأتي من داخل وهو يتهادى بين خادمين على جوكان الى ان يقرب من الخركاه التي يقعد فيها للسماط، فعند ذلك يحمل على نفسه ويعبر وحده من غير مساعد، فاذا قعد في الخركاه وعبر من جرت عادته بالقيام له، يتكلف ويقوم وبقي على ذلك، والمرض يزيد والقوى تضعف^(٣).

وكان قد حصل عند الامراء الذي رتبهم بدمياط خوف عظيم، وكذلك الامير فخر الدين بن الشيخ والعساكر، لانه كان له رحمه الله هيبه عظيمة وسطوة قاطعة، فعلم منهم ذلك وخشي ان يبقى في نفوسهم، وما يحتمل الوقت ذلك، فاطهر ان الذنب ماكان الا لبني كنانة المجريين من قديم بدمياط، وانهم كانوا السبب [١٦٨- أ] في خلو دمياط، وان

(١) جديلة، وهي تل مطل على الشاطئ الجنوبي لبحر اشمون، كان المسلمون قد نصبوا مجانيقهم وابراجهم عليها قبالة معسكر الفرنج على الشاطئ الاخر. المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٤٩، هامش (٤).

(٢) بحر النيل، يفصل بين طرف بر دمياط والمنصورة. المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٤٧.

(٣) للزيادة عن مرض السلطان انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٢/٨ - ٧٧٥، ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٧/٦، ٨٠ - ٨١، ١٠٠، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٥٨ - ٢٥٩، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٨٥، الذهبي، تاريخ الاسلام (٦٤١ - ٦٥٠)، ص ٤٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٨٨ - ١٨٩، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٣٧ - ٣٤٢، الخنيلي، شفاء القلوب، ص ٣٧٩.

العسكر ليس لهم ذنب ولا الامراء^(١)، فلزمهم وشتق منهم سبعين^(٢) نضر (من)^(٣) الامراء واولادهم قبالة بعضهم بعض، ولقد حكى لي بالنصورة من كان لديهم عشرة ان مقدمهم الامير جمال الدين الكناني قال لهم يوماً: تعلموا انني شيخ كبير وخدمت ملوك بني ايوب، وجربت الامور، وانني ارى وجه السلطان وفيه غضب عظيم علينا، وانا ارى من الرأي ان تتركوني وترحوا، وتأخذوا لانفسكم، واکون فداكم، والا فهاذا ما يبقي منا احد فلم يسمعوا منه، وقالوا: ما يكون انفسنا أعز من نفسك، وكان له ولدان شباب ملاح الى الغاية شنقوا واحد عن يمينه، والاخر عن شماله، فزاد خوف العسكر منه اعظم، وتوهموا غاية توهم^(٤).

وكان السلطان قد ضيق على الكرك من كل جهة، ومنع من يدخل اليها، ورحل فلاحى بلادها الى ان خرج من كان بها من الجند، وتوجه الملك الناصر داود صاحبها الى حلب، ورمى نفسه عليهم وترك بها اولاده، وكان المشار اليه فيها الملك الظاهر شادي، والملك الامجد، فضاق عليهم الامر ولم يبق عندهم مال ولا مؤنة، وتخلوا اصحابهم عنهم، فكاتبوا السلطان واتفقوا معه على تسليمها، واعطى الظاهر شادي خبز مائتي فارس،

(١) يقدم المؤلف هنا تحليلاً رائعاً ونادراً عن حقيقة الخسارة العسكرية والانكسار النفسي الذي منى به الجيش الايوبي، وكيفية معالجتها من قبل السلطان.

(٢) هنا اختلاف في المصادر حول العدد، لم يرد العدد لدى: ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٥/٦، التي كان مؤلفها معاصراً وقريباً من الاحداث، فذكر انهم شنقوا جميعاً، وكذلك لدى: ابو الفدا، المختصر، ٢٨٥/٢، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٧٩، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٣٦، بينما تراوح العدد ما بين الخمسين ونيفاً وثمانين زعيماً في المصادر الاخرى انظر: النويري، نهاية الارب، ٣٣٥/٢٩، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ١٥٨، ابن العري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٥٩، ابن القوطي، الحوادث الجامعة، ص ١١٩، الذهبي، تاريخ الاسلام، (حوادث ٦٤٧ هـ)، ص ٤٢، ودول الاسلام، ١٥٢/٢، ومثله في المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٢٧٨.

(٣) زيادة يقتضيتها سياق الكلام.

(٤) تشير بعض المصادر ان امراءاً ارادوا قتل الملك الصالح خوفاً من سطوته، غير ان الامير فخر الدين ابن الشيخ اشار عليهم بالصبر حتى يتبين امر السلطان فان مات كانت الراحة منه، والا فهو بين ايديكم. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٤/٨، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٣٦، الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٢٧٨، ويذكر ابن اياس الرواية غير انه ينفيها مباشرة. بدائع الزهور، ص ١٠٤، بينما ورد لدى: ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٥/٦، ان السلطان ضعف عن ضبط جنده ((وقد اشتد طمعهم فيه)).

والامجد مائة وخمسين فارس بمصر، ومالا جزيلاً، فسلموها الى نواب السلطان واخرجوا نساءهم واولادهم، ووصلوا الى خدمة السلطان بالمنصورة، فضربت [١٦٨- ب] البشائر وركبت العساكر ولبسوا السلاح وتطاعنوا واطهروا فرحاً زائداً، وكان ذلك آخر فرحه من الدنيا قدس الله روحه^(١).

فسير الى الكرك الطواشي بدر الدين الصوابي، ومائة نفر من اعيان الحلقة، وسبعمائة الف دينار، وآلة عظيمة وذخائر وافرة، وسير الى النواب بالشام فحملوا اليها الغلال من كل مكان، وامر برد فلاحى بلادها وتقويتهم بالغلال والابقار، والدراهم، وسامحهم بما يجب عليهم من خراج سنة ومغلها.

عدنا الى حديث المنصورة، وما اعتمده السلطان فيها لما وصل اليها، وذلك ان العسكر لما عاد من الشام كان ضعيف، فحسب ما يحتاج اليه الجندي من فرس جيد وسلاح تام، ونفق في كل جندي من اصحاب الامراء مائة دينار مصرية، فاقاموا الخيل والعدد، واستغلوا اخبارهم، ومشت امورهم واستوطنوا المنصورة^(٢).

واما الفرنج فانهم لما ملكوا دمياط حصونها ورتبوا فيها من يحفظها، وخرجوا الى ظاهرها وخيموا به، بحيث لا يتجاسر احد منهم اخذ يتعدا خارج عن مخيمه، وسير السلطان لحرق جميع البلاد التي بين المنصورة ودمياط، وكذلك التي من قبالة دمياط في الغربية، ودام الحال الى اخر رجب فزاد مرض السلطان وضعفه، وتلاشى به الامر الى ان انقطع عن الناس، وعجز عن القعود في السماط، ودام الحال الى ليلة النصف من شعبان، فتوفي قدس الله روحه، مجاهداً مرابطاً في سبيل الله، ولم يعلم بموته سوى جاريته شجر الدر وكان يميل [١٦٩- أ] اليها كثيراً ويستشيرها في اموره، ولا يكتمها شيئاً.

(١) يفرد المؤلف في إيراد هذه المعلومات حول استيلاء السلطان الصالح ايوب على الكرك.

(٢) يفرد المؤلف بذكر الاجراءات التفصيلية التي قام الملك الصالح ايوب من اجل تقوية الكرك، وربما لاتخاذها مركزاً للمقاومة ضد الصليبيين اذا ما نجحت الحملة الصليبية السابعة في احتلال القاهرة، بينما اشارت بعض المصادر الى تلك الاجراءات بشكل مختصر. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٣/٨، ابن شداد، الاعلاق الخطيرة (تاريخ لبنان والاردن وفلسطين)، ص ٧٥، الكتبي، عيون التواريخ، ٣٠/٢٠، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٣٦، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ١، ص ١٠١ - أ، الحسيني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ١٥٩ - ١٦٢.

فاعلمت الطواشي محسن في الليل فدفنوه، واتفقت مع محسن وكان عندها دروج^(١) عليها علائم السلطان، فكتبت تذكره ان يحلف العساكر للسلطان مدة حياته، ثم من بعده لولده الملك المعظم تورانشاه، وان يكون اتابك العسكر الامير فخر الدين بن الشيخ^(٢)، فسيرت واحضرت الامير فخر الدين واتفقوا على ذلك، واحضروا الامراء والحلقة واخرجوا التذكرة ووقفوا كبار الامراء عليها وحلفوا الناس، وعلم الناس باطناً بموته ولم يتجاسر احد من عظم هيئته ان يظهر شيئاً من ذلك، ويتحدث به.

وشرع الناس يركبون في خدمة الامير فخر الدين ابن الشيخ، وينزلون جميعهم في الدهليز في الخدمة على العادة، ويمد السماط السلطاني ولم يتغير حاله، واستاذ الدار وامير جندار، والحجاب، والحاشية، على حالهم، والخدام يدخلون ويخرجون بالاوراق، والاشغال ماشية، واذا خرجوا من سماط السلطان وخرجوا، ينزلوا في خدمة الامير فخر الدين ويأكلوا سماطه، ولم يكن في الخزائن بالمنصورة مال كثير، واحتاج الامير فخر الدين ان يبذل العطاء ويستميل القلوب، وينفق في العساكر، وكان سخي الكف، واسع النفس، جزيل العطاء لايرضى لنفسه باطلاق القليل.

وكان نائب السلطنة بالقاهرة الامير حسام الدين بن ابي علي، وكان بينه وبين الامير فخر الدين شأن باطن، وخشي الامير فخر الدين ان يطلب منه شيئاً من الاموال بالخزانة فيمنعه ويتوقف الامور، فسير على سبيل التجربة وطلب خمسين الف دينار، فقال الامير حسام الدين: انتم قبالة عدو وتحتاجوا [١٦٩-ب] الى خرج كثير خلاف المطلوب، فسير لهم مائة الف دينار، ففرح الامير فخر الدين وتحقق غفل حسام الدين وفكرته الصالحة في عواقب الامور ومصالح المسلمين، وانه لم يتبع غرض نفسه^(٣).

(١) دروج، جمع درج، وهو الورق المستطيل المركب من عدة اوصال، وكان في ذلك الوقت يتكون من عشرين وصلاً متلاصقة، وكان يكتب فيه ويلف، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، هامش (١)، ص ٤٧٠.

(٢) هذه معلومات جديدة بتلك التفاصيل، فكل الترتيبات تمت بين شجر الدر والطواشي محسن، ثم استدعت فخرالدين بن الشيخ وبعض الامراء، بينما تبدأ المصادر الاخرى بذكر الاحداث من هنا، اي عندما استدعت ابن الشيخ والامراء.

(٣) كان الامير حسام الدين بن ابي علي الهذباني موضع ثقة الملك الصالح ايوب الكليسة، ولايعتمد الا عليه. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٠٣/٦.

وسير الامير فخر الدين وحسام الدين قصاداً الى الملك المعظم بن السلطان بخصن كيفا، وسير الطواشي محسن^(١) الامير فارس الدين اقطاعي الجمدار^(٢) يعلمه بصورة الحال، ويلز في سرعة وصوله، وكذلك جماعة امراء مصر ما منهم الا من سير قاصده اليه^(٣)، ووصلوا حصن كيفا وعرفوا الملك المعظم صورة الحال.

فبادر وسار في البرية بالنظر اليسير، وطلب الشام، وواعد الامير فارس الدين اقطاعي باسكندرية، ووصل دمشق اخر رمضان، وفرح الناس به، ونزل بالقلعة وافتقد ما بها من الخزان، فوجد بها ثلثمائة الف دينار، ودرهم كثيرة، وثياب، فسير الامير ناصر الدين القيمري الى الكرك، فأحضر منها مائتي الف دينار، فخلع على الامراء واحزل لهم في العطاء بحيث نسبه الى تبذير وسوء تصرف، واعطى من وصل في صحبته من حصن كيفا عطاء مفرطاً، كل واحد عشرة الف دينار، وامره ان يشترى المالك ويتجمل، وكان عزمه ان يجعلهم امراء كبار يتقوى بهم على غيرهم من العساكر، وكان ذلك من سوء تصرفه.

(١) كان قد أرسل قصاد الى حصن كيفا لاختار الملك المعظم من جهة الطواشي جمال الدين محسن، وشجر الدر. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٠٤/٦، على خلاف ما ورد في المصادر الاخرى بأن شجر الدر والامير فخرالدين ابن الشيخ قد ارسلوا في طلبه. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٤/٨، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٥٩، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٤٤٥/١٠، الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليهما، ٢٦٣/١، مجهول، مختصر التاريخ (مخطوط)، ص ١٠٧، وللزيادة انظر ايضاً: المسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ١٦٧-١٦٨، بينما لا يشير المؤلف الى اقدام شجر الدر على ارسال القصاد الى الحصن لاحضاره.

(٢) الامير فارس الدين اقطاعي كان من اكبر المالك الصالحة. الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجوزي، ص ٢٧٩، وكان مقدم المالك البحرية، ومقدم العساكر المصرية بعد مقتل الملك المعظم توران شاه سنة (٦٤٨ هـ)، وقتل على يد الملك المعز ابيك سنة (٦٥٥ هـ)، عنه انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٩٢/٨-٧٩٣، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٨٩-٢٩٠، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٧٨/٦، الدواداري، الدرّة الزكية، ١٤/٨-١٥، ٢٤-٢٦، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٨٧/٢-٢٨٨، الذهبي، دول الاسلام، ١٥٧/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٧/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١١/٧-١٢.

(٣) هذا التعميم غير وارد في المصادر الاخرى.

واما الفرنج فانهم لما بلغهم موت السلطان، وتحققوا ذلك رحلوا عن دمياط وقصدوا المنصورة ووصلوها، ونزلوا فم الجزيرة المتصلة ببر دمياط قبالة العسكر الاسلامي في خلق عظيم

اخبر المشايخ من الاجناد الذي ادركوا ايام صلاح الدين انهم [١٧٠- أ] ما رأوا الفرنج اكثر من هذه الاطلاق، ولا اوسع من هذا الخيم، وبقي بينهم وبين عسكر المسلمين بحر اشمون، وحال نزولهم شرعوا في حفر الخنادق وبنوا الاسوار حولهم وأبرجة ولم يظهر منهم احد، فحصل للشباب والغلمان المطوعة من الغزاة والسوقة فيهم طمع عظيم، وظنوا ان حفرهم للخنادق وتحصنهم بالاسوار ضعف وعجز، فتعدوا الى برهم على جسر كان قبالة دار للسلطان جماعة من المطوعة والشباب ورموهم بالنشاب، وتقدموا الى الخنادق فما قاتلهم احد، فعادوا وقد حصل عندهم طمع عظيم في الفرنج، بحيث ظنوا ان الفرنج ربما يعودوا الى دمياط، وزاد طمع المسلمين، وباكر من الغد، وتعد اليهم خلق عظيم، وكان الشباب والجهلاء من الناس ينادون بعضهم بعض: ابكرونا اليهم قبل ان يهربوا وما نلحقهم، وتقدموا الى خندقهم ونزلوا فيه، وتسلقوا في السور ولم يخرج اليهم من الفرنج احد بل يردوهم عن الطلوع الى السور بالرماح الى ان اقبل الليل، فعاد المسلمون الى الخيام، وظنهم انهم باكر اليوم المستقبل يأخذوا الجميع.

فلما كان اليوم الثالث خرج من المسلمين خلق لا يحصى من الشباب والمطوعة واتباع الاجناد، والماليك الصبيان وعدوا الجسر وتقدموا على العادة الى الاسوار، وصاحوا ونزلوا في خنادق الفرنج وتعلقوا بالاسوار، وتقدم اسطول المسلمين في البحر بالشواني والحراريق، وضربت الطبول والابواق في الاسطول وكبر الناس [١٧٠- ب] وهللا، فلما تحقق الفرنج انه قد عبر جميع الطماعين ومن يروم العبور، رفت الخيالة وطلعوا من كل باب ملبسين هم وخيولهم، وساقوا الى جسر المسلمين الذي عدو منه، ووقفوا قبالة الجسر لئلا يعبر من عساكر المسلمين من ينجدهم، وطلع من الفرنج خيالة اخرى ورجالة وساقوا على المسلمين، وتقدم اسطول الفرنج ويطسهم فكسروا اسطول المسلمين، وانهزم المسلمون في البر والبحر، ولعب السيف فيهم، فطلب فريق منهم الجسر الذي عدو منه، فوجدوا اطلاق الفرنج قد حالوا بينهم وبينه، وطلب فريق منهم البحر ليتعلقوا بشواني المسلمين، فوجدوا مراكب الفرنج محدقة به، فراحوا جميعهم تحت السيف، لم يسلم منهم احد،

وبات المسلمون في هم عظيم، ما منهم الا من فقد له قريب او صديق او مملوك او غلام^(١).

ودام الناس على هذه الحالة، وكل يوم تركب العساكر في خدمة الامير فخر الدين ملبسين السلاح ويسيروا ويقفوا قبالة العدو، ويعودوا بكررة وعشية، وشرع بعد ذلك يتعدى جماعة من الفقراء والمطوعة الذي وصلوا من البلاد لطلب الجهاد، ويطلع جماعة من رجالة الفرنج ويتناوشوا، والمسلمون والفرنج يتفرجون عليهم.

ثم شرع جماعة من شباب العسكر يعدون من جسر اشمون ويسيروا الى ان يقفوا قبالة مخيم الفرنج، ولا يطلع اليهم احد، الا يخرج بعض الاوقات من الفرنج خيالة يسرون خارج عن خندقهم ملبسين، فطعموا المسلمون ايضا، وصار كل يوم يعبروا ويكبروا ويلعبوا [١٧١- أ] بالرماح ويتطاردوا عند خندق العدو.

فلما كان بعض الايام تعدى من المسلمين مقدار الف فارس وصار في بر الفرنج، وبينهم وبين المسلمين بحر اشمون، وعلم الفرنج انه ليس (للمسلمين)^(٢) وصول اليهم، فلبس الفرنج وخرجوا من مخيمهم وخنادقهم مثل الجبال، اطلاب تردف اطلاب بحيث ملؤا الجزيرة، ولم يعلم المسلمون مقدارهم الى ذلك اليوم لانهم خرجوا في خلق عظيم، وساقوا خلف المسلمين بالمهماز^(٣)، واطلقوا رؤس الخيل، وكان خيول الفرنج مثقلة من لبس الخيالة والبركستوانات التي عليها، فسبقوا المسلمون ولم يلحقهم الفرنج.

فلما رأى الامير فخر الدين خروج الفرنج على هذه الصورة، وبعدهم عن مخيمهم امر العساكر ان يعدى من الجسر الذي قبالة دار السلطان عند قم الجزيرة، فعدى من العسكر مقدار ثلاثة الف فارس ومن الرجالة والمطوعة ورجالة اسكندرية بالطوارق والرماح خلق كثير وطلبوا مخيم الفرنج لخلوه منهم، كون ان الخيالة خرجوا من الجهة الاخرى خلف عسكر المسلمين، فخرج من مخيم الفرنج مقدار مائة فارس من فرسانهم المعروفين، كانوا اعدوهم بالمخيم خشية ان يقع مثل هذا الحال، ووقفوا خارج عن الخندق، فساقوا عليهم المسلمون، فلما قربوا منهم، حملت الفرنج مثل الجبل، وخرقوا في عساكر المسلمين

(١) ينفرد المؤلف بذكر هذه الواقعة، التي تسكت عنها جميع المصادر المتوفرة بين ايدينا.

(٢) في الاصل (الفرنج)، وهو سهو من الناسخ، والصواب ما اثبتناه.

(٣) المهماز: حديدة تكون في مؤخرة خف الراكب. الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٧٢، هامش (١٣٠).

والرجالة، ولم يزالوا حتى وصلوا فم الجزيرة عند بحر النيل الذي يخرج منه بحر اشمون، فعاد المسلمون في اكتافهم والرجالة [١٧١-ب] تعرقب^(١) خيولهم، حتى قتلوا باسرهم، ولم يسلم منهم احداً، وعاد الفرنج الذي ساقوا خلف المسلمين الى جسر اشمون، ولم يظفروا باحد من المسلمين^(٢).

ثم شرعوا الفرنج في عمل برجين هائلتين من خشب، ولبسوها جلود الجواميس، ولطخوها بما يمنع عمل النار فيها على جانب بحر اشمون، وجعلوا من البرج [الى البرج شقاق كبارخام طاق]^(٣) واحد بحيث اي نشابة رميت فيه ترتخي وما تعمل شي، وحفروا من خلف الابرجة من جهتهم من البحر الى البحر بحيث جرى الماء فيه خلف الابرجة، وقل جريانه في البحر، وقصدهم ان يرق البحر وينقص، فتخوض الخيل فيه، وشرعوا يرمون قدام الابرجة البتاي^(٤) مملؤة رمل، ويظموا فوقها بالتراب، وكلما طموا شيئاً من البحر تقدموا بالابراج عليه، فنصبوا المسلمون قبالة الابراج مجانيق ترمي عليهم ليلاً ونهاراً، ولا تؤثر في الابراج، وضاق البحر من قدام الابراج لجريان الماء خلفها، ورمي البتاي والتراب قدامها، بحيث ان الفرس الجيد ان وثب تعداه، فخشي المسلمون ان يعدوا اليهم، فأخذ المسلمون المراكب ملؤها رملاً وغرقوها في البحر، بحيث يضيق مجرى النيل وينصب جل الماء الى بحر اشمون، فيقوى عليهم ويمنعهم العبور، ولم يزالوا على ذلك الى ليلة العيد، والقتال متصل ليلاً ونهاراً، فحين ضربت بشائر العيد بطلوا القتال، وما عادوا رموا على المسلمين نشابة الى ان فرغ العيد.

وركب المسلمون يوم العيد [١٧٢-أ] ونصبوا منبراً قبالة الفرنج، ورتبوا العساكر منهم من يصلي، ومنهم من يقف قبالة العدو، ومع ذلك فان الافرنج تادبوا وابانوا عن مكارم اخلاق، بحيث انهم داموا ثلاثة ايام لم يعارضوا المسلمين بقتال، وبعد ذلك عاد القتال اشد من الاول، وضاق بحر اشمون قدام الابرجة، وحمل الناس من ذلك هما عظيماً، ووافق يوم هوى عاصف، فطليب الزرقون قدور النفط ورموها في المجانيق، فوقعت في

(١) تعرقب خيولهم: اي تضرب قوائم خيولهم بالسيف.

(٢) ينفرد المؤلف بذكر تفاصيل هذه الوقعات.

(٣) كذا ورد في الاصل.

(٤) البتاي: البت، كساء غليظ من صوف او وبر. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٣٧/١. وقد تصنع منها الأكياس للملح بالرمل.

البرجين وعلقت وقوى الهوى فاشتعلت في بعضها بعضاً، فثار الفرنج ليطفوها، واجتهدوا بكل ممكن فما افادهم، ولعبت في بعضها بعضاً، وزاد اضطرامها، وخرج لها لهيب عظيم، بحيث لا يقدر احد ان يقربها، فاحترق البرجين جميعها بما فيها من السلاح والرجال، والمسلمون في تكبير وتهليل. وجمال الدين بن حسون في البحرية المعروفة بابيه عند دمياط، بشخاتير^(١) صغار تعبر في اماكن لا تقدر الفرنج ان يعبر فيها، فقطعوا السابلة من دمياط الى الفرنج بحيث انه كل من طلع من دمياط او خرج يأخذوه، وكذلك لما زاد بحر النيل وجرى في بحر المحلة تركوا فيه عدة حراريق للمسلمين وفيها المقاتلة، فقطعوا طريق البحر، بحيث اي مركب تعدى للفرنج خارج من دمياط، او داخل اليها اختوه، واستطال المسلمون عليهم، بحيث لم يمض يوم الا ويؤخذ فيه مراكبهم، واما من جزيرة بن حسون، او من بحر المحلة، وطمع الناس وقطعوا عليهم طريق البر ايضاً الى دمياط، وتجراً عليهم الطرفون^(٢) [١٧٢- ب] والعرب، بحيث انهم يدخلون في الليل الى خيامهم [...]^(٣) رجالهم او يقطعوا رؤسهم، ويسرقوا قماشهم وحيولهم، وبقوا محصورين، ومع هذا وهم لا يرجعون عن الهمة الزائدة في طم بجر اشمون، وطلب العبور الى لقاء المسلمين.

فلما كان ليلة الثلاثاء رابع ذي القعدة، صاح رجل مغربي من مراكب الفرنج الى رجل في مراكب المسلمين، ياخي قل للمسلمين: يجعلوننا لهم هذه الليلة، ومسكوا صبي فأخبر ايضاً انهم في هذه الليلة على عزم الكبسة، فلم يصدق، وقال الناس: من اين لهم طريق يكبسوننا، والبحر بيننا وبينهم.

وكان منزل عساكر المسلمين بالمنصورة قد صار بلد عظيم الدور والحمامات والأسواق والفتادق، فبات الناس على حالهم، والامير فخر الدين يشرب مع خرفاه^(٤) بالمغاني وآلة اللهو [...]^(٥) فلما صلوا الناس صلاة الصبح وشرعوا يركبون على العادة، والعائط قد

(١) الشخاتير: نوع من الزوارق الصغيرة.

(٢) الطرفون: الطامعون فيهم للسلب والنهب. الزمخشري، اساس البلاغة، ص ٢٨٦.

(٣) ما بين الحاصرتين كلمة غير مقروءة.

(٤) خرفاه: خُرُفا الرجل: آخرته وواسطته، وهي كناية عن فعل السوء معهم. ينظر: الجوهري، الصحاح في اللغة، ١/٣٥٩.

(٥) عبارات حذفها لكونها تتنافى مع الذوق السليم.

وقع، والصائح قد على بعبور الفرنج، وانهم قد هموا رأس اليمينه اطلاباً تتلوا بعضها بعضاً، والناس منهزمون قدامهم.

وكان السبب ان جماعة من مفسدي عرب^(١) مصر اجتمعوا بهم وعرفوهم مخاضة ارضها رملة خالية من الوحل^(٢)، فركبوا وعدى منهم اربعة الف فارس؛ ومن الراجل بالنقوش خلق عظيم، والملك ريدا فرنس^(٣) بنفسه واخوه كنداركاش^(٤) [١٧٢-١]، وساقوا سحراً على اليمينه وهم عارون غافلون اكثرهم نيام، وخيول المسلمين عراة، ورموا في الناس السيف، والرجالة بالنقوش، فمن كان في اجله مهلة ركب فرسه عريانا ونجى بنفسه، والناس منهزمون على بعضهم بعض، لا يقف الاخ على اخيه، والنساء والاطفال والسوقة، واكثر الناس لا يعلم حقيقة الحال ولا يصدق، فاتوا الى اوطاق الامير فخر الدين جماعة من العساكر، فوجدوه سكراناً في الحمام، والباب مغلق من داخل، فكسروا الباب ودخل عليه استاذداره نبيه، فتغسل ولبس سلاحه وركب، وهو مخمور ومعه مقدر خمس مائة فارس، فلقى اطلاب الفرنج تتلو بعضها بعضاً، يقدمها الداوية، فقال له احد مماليكه: ارجع فهؤلاء خلق عظيم لا تقدر على لقائهم، فقال: والله لا رجعت ابداً، وكفى سواد وجهي مع الله، فساق وطعن في طلب الداوية، ولم يسوق معه سوى مملوك واحد، فقتل الى رحمة الله تعالى^(٥).

وانهزم المسلمون، ووصل الفرنج دهليز السلطان، وقتلوا عنده القاضي بن حجاج، شاهد ديوان الجيوش، وساقوا على حالهم منهم من دخل في الاسواق، ومنهم من طلب الميسرة، ومنهم من طلب ناحية الجسر الذي قبالة جوجر، فلقوا يزك المسلمين متوجهاً

(١) هذا يعني انه كان هناك جماعة متخاذلة من العرب في مصر يعملون لحساب الفرنج انظر ايضاً: ابن واصل، مفرج الكروب، ١١١/٦، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٤٥.

(٢) وهي مخاضة سلمون. ابن واصل، مفرج الكروب، ١١١/٦.

(٣) هو: روائي فرانس: ملك فرنسا، لويس التاسع المعروف بالقدس لويس، ومعنى ريدا فرنس ملك افرنس فان ريد في لغة الفرنجة معناه الملك. ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٢/٦.

(٤) كان ملك فرنسا ثلاثة أخوة، وهم (Robert.Count of Artois) الذي قتل بالمنصورة، و(Al phones of Poiton)، و(Charles of Anjou). المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٥٦، هامش (٢). نقلاً عن (Camb. Med. Hist. VI. P. 338).

(٥) ينفرد المؤلف بذكر هذه التفاصيل.

من الميسرة على العادة، وكان الامير جمال الدين النجيبى وفارس الدين الخولاني، وجماعة امراء فُتبتوا لهم، وكان الفرنج قد تعدوا في بحر اشمون والبركستوانات التي [١٧٢-ب] على خيولهم، وساقوا وهم مثقلون باللبس فوقعت خيلهم من تلك البركستوانات وعلاها الغبار، فصار عليها ثقل عظيم. وكان قدامهم من عسكر المسلمين مقدار خمس مائة فارس منهزمين، والفرنج في اعقابهم، فلما رأوا يزك المسلمين قد أقبل والفرنج قد لاح عليهم التعب عادوا عليهم واتفقوا مع اليزك، وحملوا عليهم حملة رجل واحد فطرحوهم على الارض، وفي الحال قطعوا الرجالة رؤسهم، وشقوا اجوافهم واخذوا منها الرايز، ورجع الباقي منهم منهزمين الى اصحابهم، فحصل فيهم الطمع، ووقع فيهم العايظ، فثار الناس عليهم في الاسواق والدروب، وعادت الكسرة عليهم في ضرب وطعن ورمي وقتل، الى ان قتل من فرسانهم الفا فارس، ومن الرجالة مقدار عشرة الف، وتحصن الباقي بعضهم ببعض عند الدهليز والمسلمون محذقون بهم ساعة حتى استراحوا هم وخيلهم وحملوا راجعين على اثرهم والمسلمون محذقون بهم حتى وصلوا طارمة شهاب الدين بن كوجيا، وكان هناك ساقية فتركوها قدامهم كالخندق والارض سبخة، فوقفوا هنالك كلما حمل عليهم جماعة من المسلمين تزلق خيلهم وتعدى اليهم راجلهم المستريح من برهم ووقفوا قدامهم بالطوارق والتاريس والجروح وهم كالسد، وساروا على البحر قليلاً قليلاً، والمسلمون يقاتلون حولهم الى ان رأوا الامير فخر الدين بن الشيخ مرمي قتيلاً، فانحل المسلمون عن القتال، وكادوا يتفرقون.

وكان الفرنج قد قربوا من جديلة ووقفوا عندها، ودار الراجل حولهم وحفروا خندقاً وعملوا جسراً [١٧٤-أ] من بر المسلمين الى برهم، وتعدى منهم خلق عظيم، وعملوا سوراً بابراج من خشب، وصار لهم بر جديلة وبر الجزيرة.

ولما قتل الامير فخر الدين بن الشيخ، اقاموا الامير سيف الدين القيمري^(١) مقدم العسكر مكان الامير فخر الدين، وكان ذي همة عالية وحزم وعقل ورأى وشطارة، فجمع العساكر ولها، ونادى في الناس، وقوى قلوبهم، وقال: هاولاي قد قتلت رجالهم وضعفوا،

(١) ينفرد المؤلف من بين المصادر بالاشارة الى تولي الامير الكوردي سيف الدين القيمري قيادة العسكر الايوبي بعد مقتل الامير فخر الدين ابن الشيخ، وكذلك تفاصيل ما دار من القتال بين الجانبين.

ولو قدروا على الهزيمة لانهمزوا، والراى ان نبادرهم ونزحف عليهم من كل جهة بالفارس والراجل، فاتفق الحال ان يكون الزحف يوم الجمعة سابع ذي القعدة، ونادى في الناس وتسامع من كان قد تسحب الى الريف، وحضر من اهل البلاد والعربان الخلق الكثير، ورتب الناس من يوم الخميس، وفرق فيهم الشباب، وابكر من صباح يوم الجمعة، دقت الكوسات السلطانية وجاوبتها كوسات الامراء والذي في الشواني والحراريق في البحر، وتقدم الناس زحفا الى خنادقهم بالفارس والراجل وبغتهم، ولم يبق شئ على انهزامهم الى بر الجزيرة، فعدوا ثبتوا وقاتلوا قتالا شديدا لا يحكى، وسافت اطلاب المسلمين حتى دهمت خنادقهم، ووقف خيالتهم كالسد قدام المسلمين بالطوارق والرماح والرجالة، فرشقوا بالنقوش، والمنجنيقات والعرادات^(١) ترمي من كل ناحية على المسلمين، الى ان جرح الامير سيف الدين القيمري في وجهه، وغلب عن نفسه، وجرح اكثر الناس وفتروا عن القتال وتراجعوا، وعاد الناس الى خيامهم والفرنج [١٧٤-ب] الى اماكنهم.

وكان الملك المعظم قد طلع من دمشق فتوجه الى المنصورة وعنده خوف من الامير فخر الدين بن الشيخ، وتوهم من العساكر ان يكونوا وافقوه، لما بلغه عنه من بسط يده في العطاء وميل الناس اليه، ولم يخطر هذا الامر للامير فخر الدين ببال، فلما وصل الملك المعظم الى المنطرون بلغه كبسة الفرنج للمسلمين ونصر المسلمين عليهم، وقتل الامير فخر الدين ونزولهم في بر المسلمين، وزحف الامير سيف الدين القيمري عليهم، وتقدم الامير سيف الدين على العساكر ومالحمته من الجرح في وجهه، ففرح باطننا بقتل الامير فخر الدين، وجد في السوق حتى دخل الرمل، فالتقاه القاضي بدر الدين قاضي القضاة ويعرف بالسنجاري^(٢) فاكرمه واجزل له العطاء، ثم لقيه الامير حسام الدين بن

(١) العرادات، نوع من المنجنيقات استعملت لالقاء الحجارة والسهام، وهي اشبه بالمدفعية الخفيفة التي تصوب قذائفها نحو مواقع العدو. حسين، الجيش الايوبي، ص ٣٠٧.

(٢) هو بدر الدين ابو المحاسن يوسف بن الحسن الزرزاري السنجاري الكردي، تولى قضاء القضاة في مصر وكذلك الوزارة للملك الصالح نجم الدين عندما تولى الحكم في مصر، وكان قد خدم ايوب واخلص له قبل ذلك بثلاثين سنة. عنه انظر: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٥٤، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٣٣٢/٢، الذهبي، دول الاسلام، ١٦٩/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦٠/١٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٣١٣/٥، موسى مصطفى الهسنياني، بدر الدين السنجاري سيرته وحياته، بحث مقبول للنشر في مجلة زانكو اداب، جامعة صلاح الدين بموجب كتابها ١٦٣/١ في ١٠/٧/١٩٩٢م.

ابي علي بحبوة^(١) فاحترمه احتراماً زائداً، اخبرني الامير حسام الدين، قال: لما قدم الملك المعظم، ولقيته من حبوة فرحت به فرحاً زائداً، فلما تحدثت معه انتقلت الفرح الى الحزن، وعلمت انه لا حاصل عنده من العقل، وانه ما يستتب له ملك، وان امره ما يمشي بمصر فلما قرب من المنصورة^(٢) سير الى العساكر ان لا يلتقيه منهم احد بل يكونوا قبالة العدو، واقبل مطلباً بالعسكر الذي وصلت معه، وساق الى ان وقف قبالة العسكر الذي للفرنج، فلم يرموا الفرنج عليه نشاية، ولا بدى منهم كلمة وكذلك المسلمون، ونزل بالدهليز وخلع على الامراء واجزل لهم العطاء من الذهب والخيول والحوائص^(٣) والملبوس، ولم يعطي لاحد من الحلقة درهماً فرداً، ولا خلع على احد منهم [١٧٥-١] خلعة. واخذ مماليك الامير فخر الدين بن الشيخ وعدته وقماشه وثمنه بنصف القيمة، بخمس عشر الف دينار، ولم يوصل ورثته من ذلك درهماً فرداً، وشرع بعد ذلك يعدد ذنوبه ويظهر مساوئه.

واطلق السكر والكتان والمحبيين، واطلق الاموال، ورد الامير حسام الدين بن ابي علي الى القاهرة نائب السلطنة بها على قاعدته، وخلع عليه مرتين واعطاه حياصة ذهب وسيف وخمسة الف دينار.

وشرع في اقامة من وصل معه من حصن كيفا، وامرهم واعطاهم وقربهم منه وادانهم، وابتعد حاشية والده الملك الصالح، واراد ان يقيم خادمه شمس الخواص، فتقدم الى الامير جمال الدين النجيبى استاذدار والده ان يتوجه الى القاهرة نائب السلطنة، وكتب الى الامير حسام الدين بن ابي علي ان يحضر الى خدمته، فسار الامير جمال الدين ووصل

(١) حبوة: موضع بأرض العاقولة، والعاقولة فيما بين قطية والعريش. المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ٢٨٧/١.

(٢) عن مسير الملك المعظم من دمشق الى مصر انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٥/٨، ابو شامة، الذليل على الروضتين، ص ٢٨٢، ٢٨٣، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٥٩-١٦٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ١١٠/٦-١١١، الذهبي، تاريخ الاسلام (جوادث ٦٤٧ هـ)، ص ٤٤-٤٥، سير اعلام النبلاء، ٤٤٣/١٦، الكتبي، عيون التواريخ، ٣١/٢٠، التويري، نهاية الارب، ٣٥٣/٢٩، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٥١-٣٥٢، ابن اياس، بدائع الزهور، ص ١٠٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٣٨/٥، ٢٤١-٢٤٢.

(٣) الحوائص: جمع حياصة، وهي الحزام او المنطقة. العيني، عقد الجمان (عصر سلاطين المماليك)، ص ٢١٩، هامش (١). وهي في الاصل السير يشد به حزام سرج الحصان. المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٧٩، هامش (٥).

القاهرة، وتوجه حسام الدين بن ابي علي الى النصورة، ورتب خادمه شمس الخواص عوض جمال الدين النجيبى استاذدار، وعزل زين الدين احمد الصوابي امير جندار، ورتب عوضه عبداً كان له يدعى صبح طشتداره، وعزل المهمندار وأمير آخور، وولى غلمانة اللذين وصلوا معه من الحصن، وزاد في التعرض الى ممالك ابية البحرية مع اخراق الهيبة، وكثرة الدعابة بحيث ساموه ووقع من عيونهم، وعلموا انه ماينقام منه صورة^(١). وكان معه مملوك خطاي فاقطعه صرخد بقلعتها واعمالها، وشرع في سلوك مالا يليق، ووقع عند الامراء الكبار انه متى تفرغ [١٧٥-ب] من حديث الفرنج ما يبقى على احد منهم. وضاق الحال على الفرنج، وكان يؤثر صلحهم ليتخلوا بملكه، ويتمكن مما يرومه، فوصل اليه رسل الفرنج وتحدثوا معه، واعطاهم البيت المقدس على ان يعيدوا عليه دمياط، فما اجاب الفرنسييس الى ذلك^(٢)، بل طلب جميع فتوح صلاح الدين، وضعف احوال الفرنج لانقطاع الميرة والنجدة عنهم من دمياط، ووقع فيهم وفي خيولهم الموت لعدم الربيع^(٣).

(١) كان الملك المعظم يجهل حقيقة الاوضاع في مصر، وما وصل اليه الممالك من القوة والنفوذ. عن ذلك انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٤/٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٧٤/٥-٢٧٦، الدواداري، كنز الدرر، ٣٧٠/٧، الذهبي، العبر، م ٥، ق ٤، ص ٨٠٦، المختار من تاريخ ابن الجوزي، ص ٢٧٨، سير اعلام النبلاء، ٤٤٣/١٦-٤٤٤، جب، صلاح الدين، ص ٢٣١، بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ٣٦٣، الهسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ص ١٦٧-١٧٨.

(٢) ينفرد المؤلف بهذه الرواية، بينما يذكر ابن واصل الذي كان حاضراً للوقعة وملازماً للامير حسام الدين بن ابي علي الهذباني نائب السلطنة في القاهرة عكس ذلك تماما: ((طلب الفرنج ان يسلموا الى المسلمين ثغر دمياط، على ان يأخذوا بدل ذلك بيت المقدس، وبعض الساحل، فلم تقع الاجابة الى ذلك)). مفرج الكروب، ١٢٢/٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٩/٨، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢٨٧/٢، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٥٤، الدواداري، كنز الدرر، ٣٧٨/٧.

(٣) عما ال اليه حال الفرنج انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٢/٦، ١٢٤، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢٨٦/٢-٢٨٧، الذهبي، دول الاسلام، ١٥٢/٢-١٥٣، والمختار من تاريخ ابن الجوزي، ص ٢٨٤، الدواداري، كنز الدرر، ٣٧٨/٧، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ص ٣٥٣-٣٥٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٦٤/٦، وكان سبب هذه الكارثة التي حلت بالفرنج، ان المسلمين صنعوا عدة مراكب، وحملوها وهي مفصلة على الجمال الى بحر اخلية، وركبها هناك ثم شحنوها بالمقاتلة، وتمكنت هذه السفن بالتعاون مع الاسطول الاسلامي القادم من جهة النصورة ان تقطع الميرة التي كانت ترد الى الفرنج من قاعدتهم في دمياط. المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٥٣.

وعزم الفرنسيين على ان يركب من اول الليل ويصبح دمياط، فأول ماتحركوا للرحيل علم المسلمون بذلك، وكان للفرنج جسر عظيم قد عملوه بتمكن من خشب الصنوبر من الجزيرة الى جديلة فسهو عن قطعه، ولولاه ماقدر المسلمون على العبور اليهم.

فركب المسلمون وعبروا الى منزلهم والخيام على حالها، وبها اكثر الاقمشة، وبعضهم لم يخرج من الخيم بعد الا وهو على الرحيل، وتركوا الاموال والاثقال والخيام، ولم يصحبهم الا ماخف حملته، وساروا والمسلمون يتخاطفونهم من كل ناحية طول الليل الى ان اصبح الصباح وقد احدهت بهم العساكر من كل مكان، والقتل يعمل فيهم والاسر، بحيث انه كان يرى القتلى في كل ناحية، مثل المبطخة الالف والالفين، فضعفوا وقتلوا، واتلفهم الجراح، فالتجأوا الى قرية يقال لها منية ابي عبدالله، وتحصنوا بها ودارت العساكر حولها من كل جهة، وتخاطفونهم قتلاً واسراً، وظفر الاسطول الاسلامي باسطولهم وغنموا جميع ما فيه ومن فيه، وكان الفرنسيين [١٧٦-ب] لما رأى الغلبة عليه وعلم ان لا منجى له، ولا يقدر على الفرار، اجتمع اليه مقدار خمس مائة فارس من صناديد الفرنج، والتجأ الى دار بمنية^(١) ابي عبدالله، وطلب الطواشي شهاب الدين رشيد، وسيف الدين القيمري، فحضرا اليه وطلب منهما الامان على من معه، وشرط ان لا يدخلوه بين رعاك الناس والسوق، فاجاباه الى ذلك، وتسلموه المسلمون ومن كان في صحبته، وخرج باقي الفرنج من منية ابي عبدالله على حمية، والمسلمون محذقون بهم كلما حمل منهم جماعة يفرجوا لهم ثم يعودوا عليهم فلا يسلم منهم احد، ولم يزالوا كذلك الى ان استأصلوا جميعهم، ولم يبق من جميع الفرنج سوى فارسين رهسوا بخيولهم الى لجة النيل فغرقوا، ولم يصل الى دمياط من يخبر بحالهم^(٢).

(١) موضع من ناحية شرمساح. الذيل على الروضتين، ص ٢٨٣، وهي تعرف اليوم بقرية ميت الخولي عبدالله، وهي احدى قرى مركز فارسكور بمحافظة الدقهلية. الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٦٤٨ هـ)، ص ص ٤٩ - ٥٠، هامش (٣).

(٢) عن هذا التقهقر وما حل بالفرنج واسر لويس التاسع انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٨/٨ - ٧٧٩، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٨٣، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٥٩، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٤/٦ - ١٢٥، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ص ٢٨٧، الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٦٤٨ هـ)، ص ص ٤٨ - ٥٠، ودول الاسلام، ١٥٣/٢، والمختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٢٨٤، الدواداري، كنز الدرر، ٣٧٩/٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٠/١٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ص ٣٥٥ - ٣٥٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٦٥/٦، ابن اياس، بدائع الزهور، ص ١٠٦، الغساني، المسجد المسبوك، ٥٧٥/٢.

وعاد المسلمون وقد حصل بأيديهم من الأسرى والخيول والسلاح والاموال والاقمشة والجواهر ما لا يحصى ولا يوصف، واستغنى من الفقراء خلق كثير، وركبوا الفرنسيين على بغلة والاطلاب محذقة به، وركبوه في حراقة بالبحر، واحذقت به الشواني والحراريق مقدار مائتي قطعة، تضرب فيها الكوسات والنقارات والطبول والابواق وهي مزينة بالسلاح والاعلام، والبر الشرقي فيه العساكر والاطلاب مزينة بالسلاح والعدد، والبر الغربي الغربي والبراني واهل البلاد يتراخضون على الخيول بالمزاهر والاعلام، والفقراء اجواق في غنى وتصفيق^(١) [١٧٦-ب]، والاسارى مقادون بالحبال من كنود القرنج وغيرهم في الحبال في ايدي الغلمان والصبيان، الى ان عاد العسكر الى المنصورة، فاعتقل الفرنسيين في دار الطواشي صبيح^(٢) وفي ذلك يقول صاحب جمال الدين بن مطروح:

هل للفرنسيين اذا جنته مقال (صدق)^(٣) من قوول (نصيح)^(٤)

اتيت مصر تبتغى ملكها
اجرك الله على ما مضى
(وكل)^(٥) اصحابك (اودعتهم)^(٦)
تحسب ان الزمر (باطبل) ربح
من قتل عباد يسوع المسيح
(بقبح افعالك)^(٧) بطن الضريح

- (١) ينفرد المؤلف برسم هذه اللوحة، عما ساد المعسكر الاسلامي من الفرحة والاحتفال بالنصر.
- (٢) هو الطواشي صبيح المعظمي، احد خدام الملك المعظم تورانشاه، وكان خصياً به، قدم معه من حصن كيفا، فقدمه وجعله امير جانداره. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٤/٦.
- (٣) لدى: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٥/٦ (حق)، والذهبي، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٢٨٥، ورد لدى: المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٣ (نصح).
- (٤) لدى: الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٦٤٨ هـ)، ص ٥١ (فصيح) ومثله عند: المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٣، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٢٨٥ (صحح).
- (٥) في الاصل (رحب و)، والتصحيح من: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٦/٦، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢٨٨/٢، الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٦٤٨ هـ)، ص ٥٢، ابن اياس، بدائع الزهور، ص ١٠٧.
- (٦) في مفرج الكروب، ١٢٦/٦ (اوردتهم)، وكذلك في: المختصر في اخبار البشر، ٢٨٨/٢.
- (٧) لدى: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٦/٦ (بحسن تدبيرك)، وكذلك عند: الذهبي، تاريخ الاسلام (وفيات ٦٤٨ هـ)، ص ٥٢، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٤، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢٨٨/٢، ابن اياس، وفي بدائع الزهور، ص ١٠٧، (بسوء تدبيرك).

الاقتيل او اسير جريح	(خمسین) ^(١) الفاً لا يرى منهم
لعل عيسى منكم مستريح	(فردك) ^(٢) الله الى مثلها
(لاخذ) ^(٣) ثار او لقصد صحيح	وقل لهم ان اضمروا عودة
والقيد باق والطواشي صبيح ^(٤)	دار ابن لقمان على حالها

ووكلوا عليه امراء الحلقة وكبارها بالنوبة، ورتبوا له جميع ما يختاره من الماكول والمشروب والمغاني وآلة الطرب، وتركوا عنده من يختاره من المغاني ومن اخوته وغلمانه ومن يستأنس به، واحترموه احتراماً عظيماً، وكانت هذه الكسرة يوم الاربعاء مستهل محرم سنة ثمان واربعين وستمائة^(٥).

[وقاة] الامير فخر الدين يوسف^(٦) بن الشيخ صدر الدين شيخ الشيوخ

قد ذكرنا مقتله وما جرى له وكان شجاعاً عاقلاً كريماً محبوباً الى الناس، خليقاً بالملك والسؤدد جواداً ممدحاً، ربي مع الملك الكامل من الصبي ومال اليه وانس به، بحيث

- (١) لدى: الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٦٤٨ هـ)، ص ٥٢، (تسعين الفاً)، وعند: المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٤ (سبعون)، والمثبت يتفق مع: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٦/٦، وابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٨٨، وابن اياس، بدائع الزهور، ص ١٠٧.
- (٢) عند: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٦/٦ (وقفك)، وكذلك لدى: ابن اياس، بدائع الزهور، ص ١٠٨، ولدى: المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ١٦٤ (أهملك).
- (٣) كلمة مطموسة، والاضافة من: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٦/٦.
- (٤) البيتين الاخيرين اضافة الى الحاشية اليمنى ويخط الناسخ.
- (٥) لاتذكر المصادر الاخرى المتوفرة هذه التفاصيل عن كيفية التعامل مع الملك لويس.

(٦) هو فخر الدين ابو الفضل يوسف ابن الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن علي بن حموية الجويني، وكان فخر الدين واخوته الثلاثة عماد الدين ومعين الدين وكمال الدين، إخوة الملك الكامل من الرضاة، لان امهم ارضعته. انظر ترجمته لدى: مسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٦/٨ - ٧٧٨، ابو شامة، الدليل على الروضتين، ص ٢٨٣، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٥٩، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٥٩، ابن واصل، مفرج الكروب، ١١١/٦ - ١١٥، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٨٦، النويري، نهاية الارب، ٢٩/٣٥٣، الذهبي، دول الاسلام، ٢/١٥٢، الكتبي، عيون التواريخ، ٣١/٢٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٩٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٣٦٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٣٨/٥ - ٢٣٩.

انه لم يكن له عنه صير، وكان شيخ شيوخ الخانكاه، فالبسه الملك الكامل شربوش^(١) وسقاه الخمر، وأمره ونال عنده [١٧٨- أ] رتبة عظيمة. وفي ذلك يقول نجم الدين بن بطريق^(٢) الشاعر البغدادي:

على منية السودان صار مشربشاً واعطوه شيراً عندما شرب الخمر
(ولو)^(٣) ملت مصر القرنج (وانعموا)^(٤) عليه بيبوس (لا منع الكفرا)^(٥)

وذلك انه بالقرب من قليوب ثلاث ضياع ملازق^(٦) بعضها بعضاً بمنية السودان، وشيرا، وبيبوس، فلما البسه الملك الكامل شربوش وجنده اعطاه منية السودان، ثم اسقاه الخمر، فاعطاه شيرا، فالى تلك الحالة يشير ابن بطريق.

ولما وصل دمشق مقدم العساكر سنة ست واربعين وستمائة ونزل بدار أسامة، دخل عليه الشيخ عماد الدين ابن النحاس، وكان صاحبه من الصبى، وقال له: يا فخر الدين الى كم ما بقي في العمر فسحة فاجابه الامير فخر الدين، وقال: والله لأسبقنك الى الجنة، فكان كما قال: قتل شهيداً، وحمل الى القاهرة ودفن عند والدته، وكان يوماً مشهوداً حمل على الاصابيح، وعمل له العزاء العظيم، وكان عمره ست وستون سنة، وله اشعار فمن جملتها:

(١) الشربوش: قلنسوة طويلة تلبس بدل العمامة، وكانت شارة الامراء. ابن واصل، مفرج الكروب، ٨٨/٤، هامش (٣)، يشبه الناج كانه شكل مثلث. الكتبي، عيون التواريخ، ٣٣/٢٠، هامش (٢٤).

(٢) ابن البطريق: كان شاعراً مجيداً، صحب السلطان الملك المظفر لما كان بمصر عند خاله الملك الكامل وامتزوره. ابن واصل، مفرج الكروب، ١١٤/٦، ١٥.

(٣) في مفرج الكروب، ١١٤/٦ (فلو).

(٤) في الاصل (وانعمت). والتصحيح من: ابن واصل، مفرج الكروب، ١١٤/٦.

(٥) في مفرج الكروب، ١١٤/٦ (تصر بالاخرى).

(٦) اي ملاصق.

رمتني الليالي بالمشيب وبالكبر
خلفت كبيراً وانتقلت الى الصفر

عصيت هوى نفسي صغيراً فعندما
اطعت الهوى عكس القضية ليتني

وله رحمه الله:

من الفرام فهذا القدر يكفيه
وصاحب البيت ادري بالذي فيه [١٧٧- ب]

اذا (تحققتم)^(١) ما عند صاحبكم
انتم سلبتم فؤادي وهو منزلكم

(١) لدى: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٧/٨ (تحققتموا).

٦٤٨ هـ

السنة الثامنة والاربعون وستمائة

وقد ذكرنا ما جرى في اولها من كسرة الفرنسيين واعتقاله، ودام على حاله في الاعتقال على صورة ما ذكرنا، يطلبون منه تسليم دمياط، وهو يمانع عن ذلك باعذار يبيديها لهم، وانه يؤثر ذلك، وليس له اليه سبيل^(١).

واما الملك المعظم فانه لما توجه العساكر خلف الفرنسيين ثم مسكه لم يصحبهم، بل اقام على حاله بالمخيم، فوردت عليه الاخبار بما جرى على الفرنج من القتل والأسر واخذ الملك، فسر بذلك سروراً زائداً، وشرع على ما هو عليه من الاحسان الى من صحبه من حصن كيفا، واخرق الناموس مع مماليك ابيه.

فاتفق منهم ثلاثة وعشرون نفرأ على قتله^(٢)، وتحالفوا واكثر من فسد عليه الحال الامير فارس الدين اقطاي الجمدار، لانه وعده بالاسكندرية ولم يفي له بشئ، فتحدث مع

(١) عن المخادئات التي جرت بين الملك لويس والايوبيين انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٢/٦، ١٣٣، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٠، ابن العميد، اخبار الايبيين، ص ١٦١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٣٦٨-٣٦٩. الذهبي، دول الاسلام، ٢/١٥٤-١٥٥، تاريخ الاسلام، (حوادث ٦٤٨ هـ)، ص ص ٥٢-٥٣ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٨٨، القرظي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ص ٣٦٢-٣٦٣، يوسف، العدوان الصليبي على مصر، ص ص ١٩٨-٢٤٠، عاشور، الحركة، ٢/١٠٢٠-١٠٣٤، Setton, op, cit, vol, pp. 503, 504.

(٢) لم يرد هذا العدد عند غير المؤلف، عن مقتل الملك المعظم انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٨١/٨-٧٨٣، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٨٤-٢٨٦، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ص ٢٥٩-٢٦٠، ابن العميد، اخبار الايبيين، ص ١٦٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/١٢٨-١٣٢، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٨٧-٢٨٨، الذهبي، دول الاسلام، ص ١٥٤، وسير اعلام النبلاء، ١٦/٤٤٣-٤٤٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٣٧٠-٣٧٢، الغساني، المسجد المسبوك، ٢/٥٧٦، ابن اياس، بدائع الزهور، ص ١٠٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٢٤١-٢٤١.

هؤلاء النضر وعلّموا انه ماينتج لهم منه خير، ولم يوافقهم من الامراء سوى الامير عزالدين ابيك التركماني^(١)، وكان مملوكه سيف الدين قطز السفير بينه وبينهم، فلما كان ثامن عشرين محرم جلس في السماط والامراء في خدمته على العادة الى ان فرغ السماط وتقدم اليه الحجاب، وقرئ القصص، وقام من السماط فضربه احدهم بسيف في رأسه، ثم ثناه بضربة اخرى فالتقاها بيده فجرحها، فعاد الى مكانه واجتمع الناس حوله وجذبوا السيوف، وخرجوا حول الشقة وانقلبت الدنيا، وقالوا: الاسماعيلية [١٧٨- أ] فعلوا ذلك، فقال الملك المعظم انا قد عرفت من فعل هذا، فسمع المماليك ذلك، ودخل الجرائحي وقطب يده ورأسه، وعاد الى الدار فثاروا عليه، وجذبوا السيوف فانهزم الى البرج الخشب فرموه بالنشاب وداروا حول البرج، وماج العسكر وشرعوا في شد خيلهم ولبس سلاحهم، ومقدموا الحلقة دائرون على الناس يسكنوهم، وينادوا لابأس ماتم الا الخير.

وكان الامراء قد ساقوا الى اوطاقتهم فاجتمعوا عند الامير حسام الدين بن ابي علي، وكان في رأس الميمنة بعيداً عن الدهليز، واتى اليه الامير سيف الدين القيمري، والطواشي شهاب الدين رشيد، وهؤلاء كانوا كبار الامراء، فلما تحقق الناس تهاونهم علموا ان الملك المعظم مقتول من غير خلاف .

وأما كبار المماليك البحرية والعقلاء منهم فانه كان عزمهم ان تحركت الامراء والعساكر للكشف عن الملك المعظم يكونوا معه، فلما رأوا تهاون كبار الامراء وانحلال الامور اتفقوا مع الثلاثة وعشرين نفرأ المجتمعين على قتله، ورموا النار في البرج، وهو يصيح بالله عليكم تصدقوا علي واخذوا ملككم، وشمروني عريان اروح حيث جئت، يا جماعة الحلقة، يا حسام الدين بن ابي علي، يا سيف الدين القيمري، يا طواشي شهاب الدين رشيد، يا للاسلام، ولا يجيب احد سؤاله.

(١) عزالدين ابيك التركماني احد مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل، استولى على الحكم في مصر بعد قتل الملك المعظم توران شاه، وقتل بداره سنة (٦٥٥ هـ) بتدبير من زوجته شجر الدر. ورد ترجمته لدى: بيريوس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٢٤، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٣٠٠ - ٣٠١، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٠، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٥، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٩٤/٦ - ١٩٦، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٤٥/١ - ٤٧، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٣٠٠/٢، الدواداري، كنز الدر، ٣٠/٨ - ٣١، الذهبي، دول الاسلام، ١٥٩/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠٨/١٣ - ٢٠٩، النوري، نهاية الارب، ٤٥٦/٢٦، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٠٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٧٥/٦ - ٣٧٦، ابن اياس، بدائع الزهور، ص ص ١١١ - ١١٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٦٧/٥.

فحضر [١٧٨-ب] جماعة ممن سمع كلامه واستصراخه، وبلغ الامراء ماذكره، واستجاده بهم، فلم يرد احد منهم جواب، وهم وقوف كأنهم اصنام يتطلعون الى بعضهم بعض، ولا ينطق احد منهم بكلمة، فساق اليهم مجير الدين بن خشترين، وسيف الدين بن السابق الجزري، وجماعة من مشايخ الحلقة، وقالوا: ياللاسلام، مالهذا الرجل في ذمتكم يمين؟ ماهو استاذكم؟ وابن استاذكم؟ ما تخافون الله؟ ما تستحوا من الله، ومن الناس، ايش يقال عنكم في البلاد، من بقي يأمن اليكم، من يثق بكم، سوقوا بنا نكشف عنه، وهذه العساكر جميعها معكم، فكانما كان الكلام لصخر لا يتحرك^(١).

فلما تمكن الناس من البرج الذي فيه الملك المعظم، نزل منه واستجار بقارس الدين اقطاعي فضضنه اليه، فجاء الذي ضربه في الاول، فضربه ضربة اخرى على كتفه، حل كتفه فهرب نحو البحر، واوى الى حراقة ليركبها، فرشقوها بالسهم ولحقوه وقد نزل في الماء الى وسطه، فقتلوه، فبقي مرمي على شاطئ النيل مكشوف الرأس والبطن ونصفه في الماء، فسبحان مدبر خلقه كيف شاء، وركب البحرية والتأم خلق كثير ووقفوا وسيروا رسلا الى الامراء، يقول: الله يعلم اننا ماقتلنا هذا الا مصلحة للمسلمين^(٢)، وانه ماكان نيته ان لايبقي عليكم ولاعلينا، والان فقد جرى ما جرى، فان اخترتم مقامنا فنحن ممالئكم، وكل من شئتم تولوه السلطنة ونحن في خدمته، وإن لم تختارونا تركناكم وقصدنا الشام، وتوجهنا حيث [١٧٩-ا] وجهنا الله تعالى^(٣).

(١) هذا الموقف المتخاذل من الامراء الكورد وعساكرهم في مصر قد مكنت الممالئ من القيام بالؤامرة وقتل الملك المعظم، لابل والقضاء على دولة الكورد الايوبية وفي الحقيقة كان الممالئ مزددين اول الامر، الا ان تأكدوا من تخاذلهم، عندئذ اقدموا على تنفيذ خطتهم، ولم يشترك معهم احد من امراء الكورد او اجنادهم.

(٢) هنا التسر بالدين والمصلحة العامة لغرض كسب الاخرين الى جانبهم، باعتبار ان قتله كان لمصلحة المسلمين وخدمة لهم، بينما كانت الحقيقة هي عكس ذلك الادعاء، فانهم اقدموا على هذا العمل بعد ان احسوا بقوتهم وتنامي نفوذهم ورغبتهم في الاستيلاء على السلطة وهذا ما تم فعلاً.

(٣) كان الممالئ لا زالوا متخوفين مما اقدموا عليه، فعملوا على تمييز خطتهم بهدوء من خلال النظار بالزهد في السلطة والافتقار للشرعية، واستعدوا للوقوف الى جانب من يختاره الامراء الكورد، غير ان الاخرين من الامراء وخاصة الكورد منهم اظهروا موقفهم اللامبالي والتخاذل مرة اخرى، مسلمين مقاليد الامور الى الممالئ.

فقال لهم الامراء: نحن واياكم خشداشية، وكل من اخترتم نحن نوافقكم عليه، فقالوا: هذه الست شجر الدر (امراة)^(١) استاذنا، وكانت مدبرة ملكه، وماكان له عنها سر مخفي، فتكون السلطان، ومدبر امرها الطواشي شهاب الدين رشيد، فقال: شهاب الدين رشيد: هذا امر ما اقدر عليه، فاشاروا فاتفقوا على الامير عز الدين ايبك التركماني وشاوروه، فاجابهم الى ذلك، وساقوا في خدمته الى الدهليز، فقعده في الاجوق على باب الدهليز، وحلف له جميع الامراء وكبار الحلقة والبحرية، وبذل الاموال، وخلع على العساكر، ولقب بالملك المعز^(٢)، وارتقى امر فارس الدين اقطاعي والتفت اليه جميع البحرية، يركبوا لركوبه، وينزلوا لنزوله، ولا يخرجوا عن امره.

والفرنسيس على حاله، موكل عليه، مكروماً معزوراً، فقال: حسام الدين بن ابي علي للملك المعز اراكم في مصالح انفسكم، ولا تفكرون في امر دمياط، وحديث الفرنسيين واخشى ان يصل بعض ملوك الفرنج ويدخلها، ومايعود الفرنسيين ولاغيره ان يسلمها اليها، ويعود الحال اعظم مما كان عليه، ومادام هذا الرجل على هذه الحالة مكروماً معزوراً فما يسلم دمياط ابداً.

فسلم الملك المعز الحديث في امر الفرنسيين الى الامير حسام الدين، وقال: افعل فيه مهما شئت، وانا راضي بما تفعله، فدخل عليه وسلم، فلم يتحرك من مكانه، فقال حسام الدين للترجمان: قل لهذا المدبر، كنت اظن انك عاقل، والان اراك اقل الناس عقل، وذلك اننا اقتدينا بقول النبي (صلى الله عليه وسلم)، اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه، وانتم ليثم [١٧٩-ب] اكرمناك فزاد لؤمك، واهانه اهانة زائدة، وكاد ان يضرب في رجله قيئاً، ويلبسه عباة، ويعمل به في الكلس، فلما رأى الحال قد آل الى ذلك، اجاب الى تسليم دمياط، وان يحمل الى المسلمين مائة الف دينار^(٣).

(١) في الاصل (امرات).

(٢) لقب الامير عز الدين ايبك بالملك المعز بعد استيلاء الملك الناصر يوسف على دمشق وتنحية شجر الدر. انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٤٠/٦، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٩١/٢ - ٢٩٢، ٢٩٧، القرظي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٢، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، (مخطوط)، ق ١، ص ١٢٥ - ب، مجهول، مختصر التاريخ (مخطوط)، ص ١٠٨.

(٣) عن مفاوضات الامير حسام الدين مع الملك لويس انظر ايضاً: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٣٣/٦ - ١٣٤، الذهبي، دول الاسلام، ١٥٤/٢ - ١٥٥، القرظي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

فركبوه بغلة، وركب العساكر وساروا به، فما اشرفوا على دمياط الا والمسلمون على اسوارها يعلنون بالتهليل والتكبير والاذان وذكر الله ورسوله من كل مكان، والفرنج الذين كانوا بها خارجين الى المراكب بما يقدرون على حمله من القماش والمسلمون يقتلون في الخنازير، وربما تعرضوا الى اذية الفرنج الخارجين من دمياط، فخاف الفرنسيين، وبهت وأصفر لونه لما رأى المسلمين بدمياط، وهو في قبضة المسلمين، وظن انهم مايشمروه ابدأ، فقال الأمير حسام الدين للملك المعز: المصلحة تقتضي ان دمياط قد حصلت لنا، وكانت الغرض، فلا تسمح باطلاق مثل هذا الملك، فانه رجل عظيم، ما رأيت اسدى من رايه، فقال الملك المعز: هذا اول ملكي، وما ارى انني اغدر به، وقد حلفت له^(١).

فقدموا له الفرنج شاني عظيم عليه ستر اطلس مسجى بغلالة ذهب رنكه، فودع الملك والامراء الكبار، وقد بقي لونه أصفر كالذهب من خوفه، فحال ما حصل في الشاني، وقتفوا به حتى كان يطير في الماء عياناً^(٢)، فحين حصل في البحر المالح سير في الحالة الراهنة، يقول: انتم نكثتم بايمانكم، ونهيتم قماش الذين خرجوا من دمياط من اصحابي وقتلتهم بعضهم، وقتلتهم الخنازير [١٨٠-أ]، ولم يرسل من الذهب الذي قررروا عليه شيئاً.

وذكر الأمير حسام الدين، انه سأل عن عدة عسكره الذي خرج بهم من البحر، فقال: كان معي سبعة الف وخمس مائة فارس، ومائة وثلاثين الف تفشي مقاتلة خارجاً عن السوقية، والغلمان، والنوتية^(٣)، ومن يجري مجراهم، وعدة هذه الخيالة لم تخرج مع ملك من ملوك الفرنج ابدأ.

(١) لم يكن ذلك التزاماً منه بالقسم، وانما اراد ان يفرغ لثبوت دعائم حكمه، حيث كان هناك الايوبيون في بلاد الشام واقليم الجزيرة وبلاد الشرق لم يسكتوا على اغتصاب الماليك لعرش مصر، بالاضافة الى وجود المعارضة للسلطة المملوكية في داخل مصر نفسها حيث كان الناس تعبر عن استياءها من استيلاء الماليك على الحكم، ويسمعون ايضاً ذلك علانية ويقولون لانريد سلطاناً مسه الرق، لذلك اراد ان يغطي على مصلحته الشخصية وتأمين مستقبل حكمه بالحفاظ على القسم والولاء بها. للزيادة عن هذا الموضوع انظر: مؤلفنا، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ١٧٨ - ٢٥٤.

(٢) وصف جميل ونادر لحالة الملك النفسية ورنكه وشانيه.

(٣) النوتية هم طاقم السفن.

وتسلم المسلمون دمياط، وعاد الملك المعز والعساكر الى القاهرة، ونزل الملك المعز بقلعة الجبل^(١)، واستفحل امر الامير فارس الدين اقطاي^(٢) وزاد حكمه، وبذل الاموال ومال اليه جميع البحرية، وممالك الامراء، وربما كان حكمه باطناً انفذ من حكم الملك المعز. وكان الملك المعظم قد سير المغيث^(٣) ابن الملك العادل الى قلعة الشوبك واعتقله بها، وكان صغير السن، فاقام معتقلاً الى ان جرى ماسنذكره.

(١) قلعة الجبل: قلعة على قطعة من الجبل وهي تتصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة، فتصير القاهرة في الجهة البحرية منها، ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الجيش في الجهة القبلية، والنيل الاعظم في غربها، والجبل المقطم من ورائها في الجهة الشرقية، أمر السلطان صلاح الدين الايوبي بإنشاءها سنة ٥٧٢هـ، وكلف الطواشي بهاء الدين قراقوش بالاشراف عليها، وصارت من بعده دار الملك. المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ٣/٣٢٧.

(٢) كان الامير فارس الدين اقطاي يؤثر بقاء الملك الاشرف بن الملك المسعود الايوبي في السلطنة حتى لا يتمكن الملك المعز من الحكم وبالتالي يتم له ما يريد، وكان قد ازداد نفوذه وتعاظم شأنه اكثر بسبب التطورات التي حدثت في مصر، والحروب التي خاضها ضد الايوبيين في بلاد الشام وقضائه على ثورة الصعيد سنة (٦٥١ هـ). عن مقتله انظر: بيروس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ١٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٢٨٩ - ٢٩٠، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/١٧٨، الدواداري، كنز الدر، ٨/٢٤ - ٢٦، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٩٧ - ٢٩٨، الكتبي، عيون التواريخ، ٢٠/٧٥ - ٧٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٩٧، النويري، نهاية الارب، ٢٩/٤٢٩ - ٤٣٢، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ص ٣٧٩ - ٣٩٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/١١ - ١٢، الغساني، المعسجد المسبوك، ٢/٦٠٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٢٥٥.

(٣) هو عمر بن ابي بكر بن محمد بن ابي بكر بن ايوب بن شادي، الملك المغيث، فتح الدين بن الملك العادل بن الكامل بن العادل. ورد ترجمته لدى: ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/٣٦٠ - ٣٦١، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٢/٢٩٧، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/٣٢٧ - ٣٢٩، ابن الوردي، تسمية المختصر، ٢/٣٠٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/٢١٥، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ص ٥٢٢، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص ٤٣١ - ٤٣٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٣١٠.

ووصل من حلب كمال الدين بن العديم^(١)، وشهاب الدين بن قرج رسلاً الى الملك المعظم، فوجدوا الامر قد فات فيه، فآكرمهم الملك المعز وخلع عليهم وجهزهم، وسير الملك المعز الى دمشق من ينوبه ليحلف الناس للملكة شجر الدر ولنفسه، فتوقفوا ثم حلفوا^(٢) على غير الصورة المطلوبة.

وشاعت الاخبار في الاقطار بما جرى على الملك المعظم، وحمل الناس همه، وكان الامير حسام الدين القيمري في خدمة الملك الناصر بحلب، فسير اليه الامراء القيمرية الذين بدمشق مثل اخيه ضياء الدين موسك، وابن اخيه ناصر الدين، وولده شهاب الدين وغيرهم، وتحذثوا في تسليم دمشق للملك الناصر، فسير الملك الناصر [١٨٠-ب] من يثق به سرأ، وحلفهم وسار الملك الناصر والامير شمس الدين لؤلؤ، والملك الصالح اسماعيل^(٣)

(١) كمال الدين عمر بن عبدالعزيز المعروف بابن العديم مؤلف كتاب (زبدة حلب من تاريخ حلب) وغيرها، كان احد الرؤساء المشهورين والعلماء المعروفين في حلب، والتجأ الى مصر بعد وصول المغول الى حلب وتولى رئاسة المذهب الحنفي هناك. ورد ترجمته لدى: ياقوت، معجم الادباء، ٥/١٦-٥٧، بيري الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٧٧، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٣١، ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/٣٤٨-٣٤٩، البيهقي، ذيل مرآة الزمان، ٢/١٧٧-١٧٩، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٣٢٦-٣٢٧، الذهبي، دول الاسلام، ٢/١٦٠، الصفي، الوافي بالوفيات، ٢٢/٤٢١-٤٢٦، الكتيبي، عيون التواريخ، ٢٠/٢٧٥، النويري، نهاية الارب، ٣٠/٧٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٢٤٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/٢٠٨-٢٠٩، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٧٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٣٠٣، كحالة معجم المؤلفين، ٧/٢٧٥، الطباخ، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ٤/٤٤٤-٤٧٢.

(٢) لم يحلف الامير جمال الدين بن يغمور نائب السلطنة في دمشق، وامراء الكورد القيمرية فيها، بل واخذوا في مغالطته. ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/١٣٥-١٣٦، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٨٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٩٠، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٦.

(٣) الملك الصالح عماد الدين ابو الجيش اسماعيل ابن الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب بن شاذي، حكم بعلبك وبصرى ودمشق، عنه انظر: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٨٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/١٦٥-١٦٧، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ٢٣٢، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٣، الدواداري، كنز الدرر، ٨/١٥، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٩٢، الذهبي، تاريخ الاسلام (وفيات ٦٤٨ هـ)، ص ٣٨٢-٣٨٤، ودول الاسلام، ٢/١٥٦، الفسائي، المعسجد المسبوك، ٢/٥٨٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٩١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/٨-٩، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٢٤، ٣٢٥، النعمي، الدارس، ١/٥١٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٢٤٩.

بعسكر حلب، ووصل قارا^(١) فخشي الامراء القيمرية الاتراك الذين بدمشق، ان يكون عليهم مكيدة، وهم امير سلاح^(٢)، والمحمدي، والحموي، والشقيري، وفخر الدين الجاشنكير، والرصاصي وغيرهم من الامراء الصالحية، فاجتمعوا الى بعضهم بعض، فخشي الامراء الاكراد على انفسهم ايضاً واحترزوا^(٣).

وكان نائب السلطنة بدمشق الامير جمال الدين ابن يغمور، فلما رأى الحال على ذلك جمعهم، ووقف مابينهم، وحلقهم لبعضهم بعض، ورتب على كل باب من ابواب دمشق امير كردي، وأمير تركي، فكان على باب الجابية الامير ناصر الدين القيمري، والامير فخر الدين امير سلاح، وعلى باب الصغير الامير ضياء الدين القيمري، والشقيري، وكذلك سائر الابواب والابرجة، وسير الى الملك المعز يعرشفه بوصول الملك الناصر والعساكر الى القطيفة. فسير الامراء القيمرية بدر الدين خضر بن جوادي حاجب الامير ناصر الدين الى الملك الناصر سرأ ولم يعلم به احد من خلق الله، فاستوثق منه بالايمان ان يكون للامير ضياء الدين مائتي فارس، وللأمير ناصر الدين مائتي فارس، وللأمير شهاب الدين بن حسام الدين مائة وخمسين فارس، ولبدر الدين خضر بن جوادي مائة فارس، وللأمير شهاب الدين اخي الامير ناصر الدين مائة وعشرون فارس، والباقي على هذه الصورة^(٤).

واقدم الملك الناصر الى القصير ثم رحل الى داريا، وزحف يوم الاحد من ربيع الاخر على دمشق، وكان قد تقرر الحال بدمشق [١٨١- أ] انه اذا وقع الزحف يخرجون الامراء الاتراك ويقاثلون خارج البلد ويمنعوهم القرب من الاسوار، فلما وقع الزحف في اليوم الذي ذكرنا، خرج الاتراك على ماكان قد تقرر، فساق الحلبيون عليهم وتطاردوا وكثر القتال وترادفت اطلاب الحلبيين عليهم حتى الجؤهم الى اسوار البلد، فعندما عادوا الى

(١) قارة: بلدة على الطريق بين حص دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٢٩٥/٤.

(٢) امير سلاح: وظيفته حمل سلاح السلطان في انجام الجامعة، ومتوليها هو المقدم على السلاح دارية من الممالك السلطانية، والمتحدث في امر السلاح خاناه السلطانية، وما يستعمل لها ويقدم اليها، ولا يكون الا واحدا من الامراء المقدمين. القلقشندي، صبح الاعشى، ١٩/٤.

(٣) لم يكن الصراع بين الكورد والترك خافياً على احد، وكانت بداياته الاولى ترجع الى ايام السلطان صلاح الدين عندما تولى الوزارة في مصر سنة (٥٦٤ هـ)، ولكن السياسة الحسنة التي اتبعها السلطان ومن بعده اخوه الملك العادل لم يدع لذلك الحلاف ان يظهر على السطح.

(٤) لم ترد الاشارة الى تفاصيل هذه المساومة في المصادر الاخرى المتوفرة.

جهة البلد ليجعلوهم ظهرهم اخذهم النشاب من اسوار البلد والحجار، وصاحوا عليهم الى ابن ياعلوق^(١) ، ونادوا الملك الناصر يا منصور^(٢) .

وكان الشقيري بباب الصغير لم يخرج مع خشداشيته الى القتال، فوثب عليه ضياء الدين القيمري ومسكه، وكسر افضال باب الصغير وفتحها، وكذلك الامير ناصر الدين القيمري فعل بباب الجابية، فدخل الحلبيون البلد، وغلقت ابواب القلعة بعد ان دخلها الامير جمال الدين بن يغمور، وكان بها مجاهد الدين ابراهيم بن اديننا الصوابي، فنهب دور امراء الاتراك واموالهم وحریمهم، ودار الامير جمال الدين بن يغمور، حتى اخذوا الحلق من اذان النساء، وفعلوا اقبح مايكون، وسودوا وجوه الاكراد في كل مكان حتى سير الملك الناصر ومنعهم من ذلك، وترك على ابواب المدينة من يمنع عبور الحلبين اليها^(٣) ، وولى بدمشق الامير سيف الدين ابن صبرة، ولزم الامراء الاتراك وسيرهم الى القلاع، واعتقلهم بها، ثم راسل الامير جمال الدين بن يغمور، ومجاهد الدين ابراهيم، وسلموا اليه القلعة، فلما خرج اليه جمال الدين بن يغمور لم يقبل عليه اولاً خشية من القيمرية.

(١) علوق: في الاصل (علوج) وهي جمع (علج)، ((كل جاف شديد من الرجال)) ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٦٢١/٢.

(٢) عن دخول الملك الناصر دمشق انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٧٩/٨ - ٧٨٠، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٠، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦١، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٣٧/٦ - ١٣٨، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢٨٩/٢، الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٦٤٨ هـ)، ص ٥٦ و دول الاسلام، ١٥٥/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩١/١٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٦ - ٣٦٧، الهسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ١٨١ - ١٨٧، هذا ولم ترد في المصادر الاخرى اشارة الى المعارك التي دارت حول دمشق ومن اجلها.

(٣) إن ما قام به البعض من الكورد في دمشق لم يكن بأمر او توجيه من الملك الناصر يوسف، وانما كانت نابعة من مواقف شخصية وسياسية وربما عنصرية معادية للامراء الاتراك المؤيدين لمؤامرة المماليك في مصر على اسيادهم الايوبيين، ومما يؤكد هذا الرأي ان الملك الناصر اوقف هذه التجاوزات ولم يسمح لعسكره من الحلبيين من دخول دمشق، خشية الاساءة الى المقاتلين والمعارضين له من الاتراك، والموالين في الوقت نفسه لاعادائه المماليك في مصر لاعتبارات عنصرية.

واما الملك العز، فانه لما وصله كتاب [١٨١-ب] الامير جمال الدين بن يغمور بوصول
الجليبين الى دمشق، طلب الامراء الى قلعة القاهرة واستشارهم وقرروا كافة ان يسوقوا
جريدة بحيث يصلوا دمشق في عشرة ايام ويكشفوا عنها، وأمروا الجاويشية ان ينادوا
العساكر بالخروج العصر بكرة جريدة من غير ان يصحبهم ثقل.

فقال لهم الامير سيف الدين القيمري: ان كنتم تؤاخذوني بما يعتمدوه اولاد عمي
بدمشق، فالزموني من الساعة، فأنني اعلم ان اقاربي يسلموا دمشق، وقال الامير حسام
الدين بن ابي علي: ارى من المصلحة ان تتأنوا في هذه الحركة، فان عسكركم بدمشق
عدته مثل عدة عسكر حلب وزائد، واذا كانوا بمقدارهم ثلاث مرار مايقدرتون يحاصرون
دمشق، وفي هذه الايام يصلكم الخبر عن جليته، ان كان العسكر الذي بدمشق متفقون مع
بعضهم بعض، وليس عندهم مخامرة، فما يقدر الحلبيون على النزول عليها ابدأ، وانا
اظن ان هؤلاء مانزلوا عليها إلا باتفاق، وهل يمكن ان يكون في مثل دمشق ثلاثة الف
ويحصرهم بثلاثة الف مثلهم، والاولى ان تتأنوا الى ان يصلكم الخبر بجلية الحال، فان كان
وصول الحلبيين لقاعدة مستقرة بينهم وبين العسكر الذي بدمشق، فيكون الامر قد
فرط، ولا فائدة في رواحنا، وان لم يكن ثم اتفاق، فليس لهم قدرة ان يقاربوا دمشق،
وربما ان العسكر الذي بدمشق واهلها يخرجوا اليهم ويقطعوا اكتافهم وما يروحوا الا
منهزمين^(١).

فاستحسن العقلاء من الناس ذلك، وبطلوا الحركة الى دمشق، فما مضى سوى يومين
وقد وردت الاخبار ان القيمرية قد سلموا دمشق [١٨٢-أ] للملك الناصر، وجرى على
الامراء الاتراك ماذكرناه، فعند ذلك سير الملك المعز الامير فارس الدين اقطاي وجماعة
البحرية مسكو الامير سيف الدين القيمري والامراء الاكراد واولاد الناس وجماعة من
كبار الحلقة، وادعواهم الجيوس والجباب، ماخلا الامير حسام الدين بن ابي علي، فانهم

(١) يتبين لنا هنا انه حتى بعد مقتل الملك المعظم توران شاه وتولي ابيك السلطنة ان الامراء الكورد
كانوا هم اصحاب الرأي والمشورة في مصر، ولم يكن بمقدور المماليك ان يستغنوا عنهم
ويتجاوزهم في تلك المرحلة، ويبدو ان هؤلاء هم ايضا قد تخلوا عن اي أمل ورغبة في إعادة
الحكم الكوردي الى مصر، واستسلموا للامر الواقع، وربما كان يعود ذلك الى افتقارهم لشخصية
(كوردية- ايبوية) قيادية بمستوى الاحداث.

لم يتعرضوا اليه لعلمهم بامانتهم ومخافته، وماكان له من المكانة عند الملك الصالح، وسير
 الملك المعز فارس الدين اقطاعي اليه وطيب قلبه، وخلع عليه، وسير له الض دينار^(١).
 واما الملك المغيث بن العادل، فان الجماعة المجريين بالشوبك اتفقوا مع الطواشي بسر
 الدين الصوابي النائب بالكرك واخرجوه، وتوجهوا به اليه الى الكرك، فالتقاه وسلم اليه

(١) فالصراع هنا قد اصبح كوردياً - تركياً واضحاً، ذلك الصراع الذي ظهر بعد وفاة اسد الدين
 شيركوه سنة (٥٦٤ هـ) وتولي صلاح الدين الوزارة الفاطمية في مصر، وقد اظهرت راسها مرة
 اخرى وبشكل اعنف. موقف حسام الدين بن ابي علي الكوردي الهذباني من مؤامرة المالك
 كان واضحاً، فلم يحرك ساكناً عندما كان بإمكانه ان يمنع المالك من جني ثمارها، فهنا اراد المعز
 ايبك ان يتوثق منه اكثر، لا بل وان يكسبه الى جانبه الى ان يتقوى، عندئذ يمكن تجاوزه بسهولة
 ويسر وهذا ما تم فعلاً فيما بعد. ويتبين لنا من سير الاحداث ان الموقف في مصر كان لا يزال يميل
 لمصلحة العائلة الايوبية الكوردية الحاكمة حتى في داخل المؤسسة العسكرية نفسها، فكان ينظر
 اليهم على انهم اصحاب الحق الشرعي في الحكم والسلطنة هذا من جهة، وان المنافسة والصراع
 بين امراء المالك وبينهم وبين الاخرين من الامراء كان لمصلحتهم ايضا من جهة اخرى.

غير ان الموقف كان ينقصه شخصية ايوبية يمتلك مؤهلات القيادة الناجحة، من عقلية سياسية
 مرنة وعصبية قوية. وبعد استيلاء الملك الناصر يوسف على دمشق وما رافقها من الاعتقالات في
 دمشق والقاهرة اجتمع الامراء الاتراك والماليك وتوصلوا الى قناعة انه لا يمكن حفظ البلاد
 والملك بامرأة، ولا بد ان يقوم بالامر رجل تجتمع عليه الكلمة، فوقع الاتفاق على عز الدين ايبك
 التركماني لقبوه الملك المعز، وابطلوا اسم شجر الدر.

ثم اتفق الامراء والبحرية على اقامة شخص في الملك من بني ايوب يجتمع الكل على طاعته،
 كما أنفوا من ان يكون عز الدين ايبك التركماني سلطاناً، فاختروا الملك الاشرف مظفر الدين
 موسى بن يوسف بن يوسف بن محمد بن ابي بكر بن ايوب وكان صبيّاً فقلدوه السلطنة، وجعلوا
 الملك المعز عز الدين ايبك التركماني اتابكاً له.

وكان الهدف من ذلك بالاضافة الى ما تقدم، هو ان يكون للاشرف اسم الملك، بينما هم
 يدبرون امر الملك ويأكلون باسمه. ابن واصل، مفرج الكروب، ١/٦ - ١٤١ - ١٤٢، اليولياني، ذيل
 مرآة الزمان، ١/٥٥، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٨٨ - ٢٩٠، الداواري، كنز
 الدرر، ١٣/٨ - ١٤، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٩/٢٧٠، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات
 (مخطوط)، ق ١، ص ١٣٢ - أ، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م ٥، ص ٨٠٩، المقريزي،
 السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٩، العيني، عقد الجمان، ص ٣٥، الخليلي، شفاء القلوب، ص
 ٤٥٠، مجهول، تاريخ الدولة الايوبية وغيرها (مخطوط)، ص ١٥ - أ، ابن تغري بردي، المنهل
 الصافي، ٦/١، السيوطي، حسن المحاضرة، ٢/٣٨، ابن اياس، بدائع الزهور، ص ١٠٩ -
 ١١٠، عاشور، مصر والشام، ص ١٦١.

Holt, P.M and others, The Cambridge History of Islam, vol, 1 , p. 257.

الكرك والاموال، وكان في خزانتها خمس مائة الف دينار مصرية، وركب بالصناجق وآلة السلطنة^(١)، وكان مع صغر سنه يلزم ناموس عظيم وعنده تعدد وافر.

وجرد الملك المعز الامراء والحلقة الى غزة، فطلعوا ونزلوا بالسائح، وجرى بينهم اختلاف، واتفقوا ان يرسلوا ويطلبوا المغيث بن العادل من الكرك ويسلطونه بالديار المصرية، وكان ذلك باتفاق اكابر الامراء مثل الطواشي شهاب الدين رشيد، وخاص ترك واربعين امير وجماعة الحلقة، وما تأخر عند الملك المعز إلا البحرية وخواصه، وكان ذى عزم قوي وهمة زائدة، فبذل الاموال واجزل العطاء، بحيث رجع جماعة من الامراء ومعظم الحلقة اليه، ثم وافاه اصحاب الامراء اكثرهم، فلما رأى الطواشي شهاب الدين رشيد، وخاص ترك ذلك، ولم يبق معهم الا نفر [١٨٢-ب] يسير، فخافوا على انفسهم وتوجهوا الى الكرك واطمعوا صاحبها بملك مصر، فبذل المال وقصده الناس من دمشق ومصر، واستخدم ونفذت خزائنه، ولم يحصل على طائل^(٢).

ولزم الملك المعز الامير جمال الدين النجيبى، وجمال الدين اقش العجمي، وسد في وجههما حائط مدة ثمانية ايام ثم هتجه، فوجد النجيبى على اخر رمق، وجمال الدين اقش العجمي قد مات، فاطلق النجيبى.

وفيها اقطع الملك المعز لقارس الدين اقطاي اسكندرية، فأحسن السيرة بها وعدل في التجار الواردين اليها، واعطاه مائة فارس من كبار الحلقة الاكراه باخيازهم، فخافوا ان

(١) آلة السلطنة: او رسوم الملك والآته، وهي انواع كثيرة، بعضها عام في الملوك او اكثرهم، وبعضها خاص بمملكة معينة، مثل سرير الملك، المقصورة، نقش اسم السلطان، الغاشية، المظلة، الاعلام، الكوسات... الخ. القلقشندي، صبح الاعشى، ٤/٥-٨.

(٢) عن تحريض الملك المغيث على استعادة مصر وفشله انظر: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٨٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/١٤٢-١٤٣، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ١/٥١، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٨٩-٣٠٣، الدواداري، كنز الدرر، ٨/٣٠، الكتبي، عيون التواريخ، ٢٠/١٠٩، وفوات الوفيات والذيل عليها، ١/٢٣٦، الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠/٣٣٠-٣٣١، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ١، ص ١٣٢-١٣٣، ق ٢، ١٨٨-ب، ١٨٩-أ، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م ٥، ق ٤، ٧٨٩، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٤٠٧، ٤٥٠، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٤٥٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/٩٨، والمنهل الصافي، ١/٩.

يقطع اخبازهم ويعطيها لماليكه، فاحسن اليهم وخلع عليهم واحترمهم، وزاد في اكرامهم، وعظم امر البحرية وقويت شوكتهم، واستطالوا وشرع الملك المعز يداريهم^(١).
واحسن الملك الناصر الى اهل دمشق، وخلع على كبراءها، وكانت اموره معزوقة^(٢)
بالامير شمس الدين لؤلؤ، بحيث لا يمكن ان يخرج عن رأيه، ومرض الملك فخرج واقام
بالمزده لصحة هواها.

وقبض على الملك الناصر داود بن الملك المعظم صاحب الكرك، وسيره الى قلعة حمص
واعقله بها.

واما الملك الصالح اسماعيل فانه كان يؤمل ان الملك الناصر اذا فتح دمشق يعيد عليه
بصرى والسواد، وما كان له اولاً، فما اعطاه شيئاً ووقف.

واهتم الامير شمس الدين لؤلؤ على قصد مصر وفتحها، وجمع العساكر وطلب النجد،
فوصله ابن صاحب الموصل بعسكر ابيه، وعسكر ماردين، والاشرف صاحب [١٨٣-١] تل
باشر، ونجدة حماة، وبرز من دمشق بالعساكر وسار طالباً مصر، ووصل غزة وكاتبه
جماعة من امراء مصر وحلقتها ودخل الرمل، والامر كله للامير شمس الدين لؤلؤ، وهو
يظن ان مصر في يده ولا مانع له عنها^(٣).

(١) فالترغيب والترهيب كانت من اساليب الملك المعز في هذه الفترة، ففي الوقت الذي انتقم فيه من
العجمي والتنجيبي كما رأينا، اقطع الامير فارس الدين اقطاي ومعه مئة من كبار فرسان الحلقة
الكورد الاسكندرية، محققاً بذلك اكثر من هدف، فبالاضافة الى ما تقدم، فانه اراد ان يبعد عنه
الامير فارس الدين اقطاي والاكراد الذين كانوا في الجيش الى الاسكندرية في الحقيقة، وراضاء
لهم في الظاهر.

(٢) كلمة عامية يقصد بها مرتبطة.

(٣) للزيادة عن هذه الحملة وما رافقها من مفاجآت انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،
٧٨٠/٨-٧٨١، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٨٦، ابن العبري، تاريخ مختصر
الدول، ص ص ٢٦٠-٢٦١، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ص ١٦١-١٦٢، جوافيل،
سيرة القديس لويس، ص ٢٣٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٥٤/٦-١٦٥، الدواداري،
كنز الدرر، ١٦/٨-١٧، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٩١/٢-٢٩٢، الذهبي،
دول الاسلام، ١٥٥/٢-١٥٦، وتاريخ الاسلام (وفيات ٦٤٨ هـ)، ص ص ٤٠٠-٤٠١،
الكتبي، عيون التواريخ، ٤١/٢٠-٤٢، النويري، نهاية الارب، ٤٢١/٢٩، ابن كثير، البداية
والنهاية، ١٩١/١٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ص ٣٧٢-٣٧٧، الفسائي،
المسجد المسبوك، ٥٧٩/٢-٥٨٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٠/٧-٢١،
المسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ص ٢٠١-٢١٧.

فطلع عسكر مصر ونزل السائح والملك المعز على حاله بقلعة القاهرة، وتخبط عسكر مصر وبقوا احزاب، وظن الناس ان الملك المعز ما يخرج من القاهرة، ولو تأخر ثلاثة ايام لراح اكثر الناس الى الملك الناصر وتسلم الديار المصرية بغير طعن وضرب.

فلما بلغ الملك المعز ذلك توجه الى السائح والتقاء العسكر، وخلق واعطى الجوائص وبذل الاموال، ونفق في الليل على ضوء الشمع^(١)؛ واصبح وقد لبس السلاح، وطلب العساكر ميمنة وقلبا على قاعدة يوم المصاف، ووصله الخير ان عساكر الشام طلبت طريق الخشبية^(٢)، فأخذ غراضهم ونزل بالعساكر على صموت بين العباسة^(٣) والخشبية، ويات عسكر الشام على الكراع^(٤)؛ والملك المعز بعساكره على صموت وهو ماء من فائض النيل، ويات كل فريق في مكانه شاك في سلاحه الى يوم الخميس سابع ذي القعدة، وقت الظهر اقبلت عساكر الشام مطلبة، فضربت كوسات الملك المعز وركب مطلباً، وكان الامير شمس الدين لؤلؤ قد اخذ كبار الحلقة والمعرفين بالشطارة الفي فارس، ووقف في الصنجقية، وبقي الملك الناصر بنفر يسير تحت الصناجق وعنده الملك الصالح اسماعيل ومجير الدين وتقي الدين اولاد الملك العادل، ونفر يسير من شيوخ الحلقة ومماليكه، والتقى العسكران واصطدما، فساق الامير شمس الدين لؤلؤ بمن معه [١٨٢-ب] على صنجقية المصريين [والحلقة]^(٥) فكسرهم جميعهم، ووافق ان الملك المعز لم يكن قبالتة، فأخذ الامير شمس الدين لؤلؤ صنجقية مصر والحلقة قدامه وساق، وكذلك ميمنة الملك الناصر وميسرته حملت على ميمنة المصريين وميسرتهم فما ابقوا لهم اثر وكسروهم اقتبح كسرة، وساقوا خلفهم الى العباسة.

ما خلا الملك المعز فانه ثبت، ومعه دون المائة فارس، فساق بهم فلقى الملك الناصر واقف تحت صناجقه، وليس عنده الا من ذكرنا وجماعة المتعممين^(٦) والكتاب، فحمل

(١) يظهر هنا اقدام المعز على شراء الذمم وبذل الاموال لكسب الامراء الى جانبه استعداداً للمعركة المقبلة.

(٢) الخشبية: وهو اول الجفار من ناحية مصر، واخرها من ناحية الشام، بينه وبين القسطنطينية ثلاث مراحل. ياقوت، معجم البلدان، ٣/٣٧٣.

(٣) العباسة: قرية تقع بين بليس والصالحية من ارض السدير. المقرئ، الخطط، ٢/٢٣٢.

(٤) الكراع: تقع بين العباسة والسدير. المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٧٤، هامش (١).

(٥) ما بين الحاصرتين تكرر في الاصل.

(٦) التعممين: هم اصحاب العمائم من القضاة والعلماء. القلقشندي، صحح الاعشى، ٤/٤٣.

عليه الى ان اوصلوا ضربات السيوف اليه، فولى هارباً ومعه بدر الدين طليدسر الاحوث العيزري، ونوفل الزيبيدي، فساقوا خلفه واخذوا صناحقه وخزائنه، واثقاله. وانضاف الى الملك المعز جماعة وافرة من الاتراك العيزرية^(١) والناصرية والبحرية واسر الملك الاشرف ابن صاحب حمص، والملك المعظم، والنصرة ابني صلاح الدين، وقتلوا سعد الدين الحميدي، وحسام الدين بن مرزبان، والاسد عيسى الحميدي، وعاد الملك المعز بالنصر اليسر وجميع عساكره قد انكسرت، ومعه فارس الدين اقطاعي. وساق الحلبيون خلف المصريين الى العباسة، ونصبوا صنحجق الملك الناصر على مأذنة العباسة، ونزل امراء الملك الناصر بالعباسة، ونصبوا الخيام وطبخوا، واستقروا على ان الملك الناصر واصل اليهم.

وعاد الملك المعز وهو لا يدري اين يسلك، وعسكر حلب مقدار اربعة الف فارس عن يساره، وقد اجتمعوا الى بعضهم بعض على سموط، فلما بلغ شمس الدين لؤلؤ، وضياء الدين القيمري، وكانا في نهر [١٨٤-أ] يسير باهزام الملك الناصر وما فعله الملك المعز والبحرية، وكان شمس الدين رجلاً شجاعاً لا يحسب لاحد حساب، فساق على الملك المعز والبحرية ومعه دون مائة فارس، وعسكر حلب عن يساره في خلق عظيم، لم يأخذ منهم احد، بل ساق بذلك النصر اليسر عليهم، فانهزموا قدامه، ثم عادوا عليه، فتقنطر ضياء الدين القيمري وقتل لوقته، ورموا الامير شمس الدين لؤلؤ وجاءوا به وقد لزموه بذقنه بين يدي الملك المعز راجلاً، فلم يرفع طرفه اليهم، فقال الامير حسام الدين بن ابي علي:

(١) العيزرية: نسبة الى الملك العزيز محمد والد الملك الناصر يوسف، وقد انتقلوا الى خدمته بعد وفاة ابيه سنة (٦٣٤ هـ). احمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام، هامش (٢)، ص ١٢٦، وقد خان هؤلاء الملك الناصر وانضموا الى خصمه ايلك. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٨٢/٨، ابن دقماق، نزهة الانام في تاريخ الاسلام (٦٢٨-٦٥٩ هـ)، ص ص ١٩٨-١٩٩. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٥٨/٦، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٢، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢٩١/٣، الدواداري، كنز الدرر، ١٧/٨، الكسبي، عيون التواريخ، ٤٢/٢٠، ابن العميد، اخبار الايوبيين، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص، ٣٧٥، العيني، عقد الجمان، ص ٤٠، لاعتبارات عنصرية اي لكونهم اتراكاً. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٥٨/٦، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٧٤، العيني، عقد الجمان، ص ٤٠، بالاضافة الى المماليك الناصرية باطلاهم انظر: المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٧٥، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ص ص ١٤٠-ب، ١٤١-أ.

يامولانا هذا شيخ له حق على الاسلام، يكون شكران هذا اليوم العفو، فضربوا عنقه في الحال^(١).

ثم رأوا الملك الصالح اسماعيل فلزموه، ولو اراد ان يهزم لراح، بل رام امراً آخر، وساق الى جانب الملك [المعز]^(٢). وساروا ونزلوا العباسة عن يسارهم وصبحوا بلبيس، فنصب الدهليز ونزل بها.

ولما وصل خير الكسرة الى القاهرة، ووصل المنهزمون من البحرية والعسكر يوم الجمعة، صاح الناس بالقلعة والقاهرة، الملك الناصر يامنصور^(٣)، واخرجوا الامير سيف الدين القيمري من الجب، والامير جمال الدين النجيبى وباقي الامراء المعتقلين، ولبسوا السلاح وحلقوا كل من بالقلعة للملك الناصر، وخطبوا باسمه بالقلعة، وجامعي مصر والقاهرة، وضربوا البشائر وقعد على [...]^(٤) يحلف الناس امين الدولة وزير الصالح اسماعيل، وناصر الدين بن يغمور استاذ داره، وكان سيف الدين القيمري رجلاً عاقلاً حال ما خرج من الجب قصد باب دار الملكة شجر الدر وزوجة الملك المعز وطيب [١٨٤- ب] قلوبهما، وارسل اليهما السلام، واستعرض حوائجها وباقي الامراء لبسوا السلاح ووقفوا على برج باب القلعة، وضربوا البشائر وصاحوا بشعار الملك الناصر، وكل من راوه من البحرية متعدياً عليهم منهزماً ينادوا على الحرافشة فيرموه عن فرسه وشلجوه، وسلخوا امراً لم يحسبوا فيها العاقبة، ويطلقوا من القلعة بطائق على اجنحة طيور^(٥) برج

(١) يصف هاملتون جب القتال في هذه المعركة بأنه كان ((قتال مشوش)). صلاح الدين، ص ٢٣٢.

(٢) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

(٣) كان الايوبيون لايزالون يحظون بالتأييد في مصر. للزيادة عن هذا الموضوع انظر ايضاً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٩/٧، جب، صلاح الدين، ص ٢٣٢.

Holt and another, op. cit . vol, p. 257.

وعندما دخل المنهزمون القاهرة في (١١ ذي القعدة (اذار) كان يوم الجمعة، اقيمت فيها الخطبة للملك الناصر انظر: ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٣، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٩٢/٢، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٧٧، العيني، عقد الجمان، ص ٤١، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، (مخطوط) ق ١، ص ١٤٣-١٤٣ أ.

(٤) كلمة كلمة غير واضحة، لعلها (الاهمان).

(٥) ويقصد به الحمام الزاجل ويعرف ايضاً بالهدى، والرسائل.

بلبيس الى الملك الناصر مضمونها المملوكان ابو الحسن القيمري واقش النجيبى يقبلان الارض، وينهيان اننا خطبنا لمولانا السلطان، وحفظنا الخزائن والاموال.

وكان الملك المعز نازل ببلبيس ولم يكن عنده من البحرية وعسكر مصر مقدار خمس مائة فارس، وكان في بلبيس من عسكر حلب طالع من الف فارس، وكان الملك المعز قاعد في دهليز قد نصبه بظاهر بلبيس وعنده الملك الصالح اسماعيل، وحسام الدين بن ابي علي، وفارس الدين اقطاي، فحين وقف على البطاقة المسيرة الى الملك الناصر من [ابو الحسن القيمري]^(١) والنجيبى ركب الى القاهرة.

واما الامراء الذين ذكرناهم انهم كانوا معتقلين بقلعة الجبل، وعملوا ماشرحناه، فما كان بعد العصر من نهار الجمعة الذي خطبوا فيه للملك الناصر، الا وقد وصلهم الخبر بانعكاس القضية، وان البحرية كسروا الملك الناصر، وأسروا الملك الصالح، والاشرف صاحب حمص، والمملك المعظم، والنصرة ولدى صلاح الدين، وقتل تاج الملوك بن المعظم، والامراء [١٨٥- أ] حسام الدين القيمري، وضياء الدين القيمري، وسعد الدين الحميدي، والامير شمس الدين لؤلؤ^(٢)، ووصل معه جماعة من عسكر حلب العزيزية، مثل جمال الدين اينغدي، وشمس الدين اقش البرلي وغيرهم، فعادوا لزموا الامراء واعادوهم الى الجب^(٣).

ووصل الملك المعز واجتاز بين القصرين، والصالح اسماعيل الى جانبه، وصنجد الملك الناصر معه منكنس، فعلق الصنجد على باب زويلة منكنس، ودخل القلعة وانزل الملك الصالح عند اولاده، فانهم كانوا معتقلين من ايام الملك الصالح نجم الدين ايوب، وكان قد انهزم اكابر البحرية يوم الكسرة ووصلوا الصعيد، فسير من يبشرهم ويردهم.

(١) في الاصل: سيف الدين القيمري، وهو التباس.

(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، وفيات (٦٤٨ هـ)، ص ٣٧٨ - ٤٨٠.

(٣) وصف المؤرخ المعاصر للحدث ابن واصل الحادثة: ((وهذه الواقعة من اغرب الوقائع واعجبها)). مفرج الكروب، ١٦١/٦، و ((كانت وقعة لم يسمع بمثله ولا أرخ المؤرخون بأغرب منها وذلك ان بعض العسكريين منصور وبعضها مكسور والذي انتصر من الفريقين نهب الذي انكسر قدامه من الفريق الاخر)). اخبار الايوبيين، ص ١٦٣.

[اعداد ابن يغمور والوزير امين الدولة]

وكان قد التجأ من صبيان البحرية جماعة وقت الكسرة الى بحيطيط^(١) ومكان آخر الى جانبها، فسلكوا اهل تلك المكانين معهم اموراً وحشة لايليق ذكرها، فسير الملك العز اليهم من يتبهم، واخرب منازلهم، وشتت شملهم، وشنق منهم جماعة، ولزم أمين الدولة وزير الصالح اسماعيل وابن يغمور استاذ داره وشنقهما على باب قلعة الجبل^(٢).
واما عسكر حلب، فلما انهزم الملك الناصر وهو على سموط وكانوا على حالهم في خلق عظيم واجتمعوا الى بعضهم بعض، ونصبوا دهليزاً برماح، واقاموا تاج اللوك ابن الملك المعظم ترنشاه، و اشار عليهم الامير جمال الدين بن يغمور ان يلبسوا باكر ويطلبوا ويقصدوا مصر، وكان الرأي معه، فانه ما كان بقي مع الملك العز من يقاتلهم ولايمنعهم [١٨٥-ب]، وقال لهم: العساكر المصرية قد انكسرت وتفرقت، ونحن ها هنا طالع من ثمانية الف فارس والديار المصرية في يدنا، فاذا سقتنا ما قبالتنا من يقف قدامنا، فاذا دخلناها سيرنا ردينا السلطان من الرمل، وتبيض وجوهنا عند مخدمونا وعند كل احد فلم يوافقوه الحلبيون على ذلك^(٣)، وقالوا له: ما نلومك حب الوطن من الايمان، ورجعوا ناكسين الى الشام.

(١) بحيطيط: قرية في حوف مصر. ياقوت، معجم البلدان، ٣٤٩/١.

(٢) عن الاعمال الانتقامية التي قام بها المماليك انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٨١/٨، ابن دقماق، نزهة الانام، ص ص ١٩٩ - ٢٠٠، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٨٦، ابن العميد الاخبار الايوبيين، ص ١٦٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٠/٦، ١٦٤ - ١٦٦، الدواداري، كنز الدرر، ١٧/٨ - ١٨، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٩١/٢ - ٢٩٢، الذهبي، تاريخ الاسلام، وفيات (٦٤٨ هـ)، ص ص ٣٣٨ - ٤٨٠، ودول الاسلام، ص ص ١٥٥ - ١٥٦، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ص ٣٧٥ - ٣٧٩، العيني، عقد الجمان، ص ص ٤٢ - ٥٠، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٤١٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/٧ - ٢١، ١٠ - ٢٢.

(٣) ولو وافقوه لساروا الى مصر واستولوا عليها من غير مدافع وممانع، انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٠/٦، الدواداري، كنز الدرر، ١٨/٨، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٩١/٢ - ٢٩٢، ابن الوردي، تنمة المختصر، ١٨٦/٢، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٧٦، العيني، عقد الجمان، ٤١، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٤١٤، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ١، ص ١٤٢ - ب.

واعجب ما جرى ان العسكرين عادوا وقد نهبوا بعضهم بعضاً، وحصلت الغنيمة من مال العسكرين للحربان والغلمان، لان غلمان عسكر مصر اخذوا خيول استاذيتهم، والفراشون^(١) فتحوا الصناديق وقصدوا الشام، وكذلك اعتمدوا غلمان عسكر الشام فعلوا كذلك وقصدوا مصر.

وعاد عسكر مصر عراة مشلحين، وكذلك جماعة من عسكر الشام، وهذا اعجب ما جرى، وحمل القيمرية معهم جثة ضياء الدين القيمري بلا رأس، وكان الامير حسام الدين القيمري مريضاً مجروحاً في محفة فتوفي بغزة، ودفن هو واخوه ضياء الدين بالقدس، وعاد الملك الناصر الى دمشق وبذل الاموال، واستخدم الرجال، وقصده الامراء والحلقة من كل مكان^(٢).

وسير المغيث صاحب الكرك عسكراً مع ركن الدين خاص ترك الى نابلس، واقام بها لاشتغال الملك الناصر بما هو فيه واهتمامه باقامة عسكره وترميم شعثهم.

واقبل الملك المعز على جمال الدين ايدغدي العزيزي وشمس الدين البرلي اقبالا عظيماً [١٨٦-١] وانزلهم بدور جميلة، وحمل لهم من الخيول والاموال والملبوس ما لا كانوا يؤملوه^(٣).

واما الملك الصالح عماد الدين اسماعيل فانه اقام عند اولاده اياماً يسيره، ثم نقلوه الى

(١) الفراشون: هم الذين يكونون برسم خدمة قصر الخليفة والقصور وتنظيمها خارجاً، والستائر المحتاج اليها والمناظر الخارجة عن القصور. القلقشندي، صبح الاعشى، ٦٠٠/٣، ويأتي ايضا بمعنى الذي يحمل الفرش المختصة بالسلطان ليفرشها في المناسبات. نفسه ٥٨٣/٣.

(٢) إن ماحدث في العباسية لم يكن نهاية لتطورات الوضع وتصعيد الموقف بين القاهرة ودمشق، لذلك لم يكن من المتوقع ان يسكت الملك الناصر على ضياع مصر، فما ان عاد الى دمشق حتى اخرج الاموال واخذ يعمل على إعادة تنظيم عسكره استعداداً للجولات القادمة. انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٠٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٧/٦، الدواداري، كنز الدرر، ٢٠/٨، الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٦٤٩ هـ)، ص ٦٥، العيني، عقد الجمان، ص ٥٦.

(٣) كانت هذه محاولة من الملك المعز لاعادة ترتيب البيت المملوكي من الداخل، لتوحيد الصف والوقوف بوجه المحاولات الايوبية لاستعادة مصر.

برج آخر، وجاءوا في الليل فتحوا باب القلعة من جهة القرافة، واخذ عزم الدين إيبك الرومي، وجماعة من البحرية فخنقوه ودفنوه، ولم يعلم بهم احد ولا عرف له قبر^(١). وقد شرحنا ان مولده سنة ثلاث وستمئة، وكان شجاعاً عاقلاً ذى رأى ودراية، متقرب الى الناس، بشوش الوجه متجماً في مأكوله ومشروبه وملبوسه، متنعماً في لذات نفسه، ولذاته ومسراته، وكان في ابتداء امره قد اعطاه الملك العادل والده بصرى والسواد، وجعل مدير امره كريم الدين الخلاطي.

وكان الملك المعظم اخوه يكرهه ويميل الى الملك العزيز اخيه، فخرج من دمشق، واقام ببصرى الى ان توفي المعظم وولى ولده الناصر داود، وحصر الملك الكامل والاشرف دمشق، وكان الملك الاشرف يؤثر الصالح ويميل اليه ويكره العزيز، فلما تسلم دمشق التزم بخدمة الملك الاشرف، وسيره الى بعلبك مقدم عسكره، فحصرها وفتحها من الملك الامجد. ولما توجه الملك الاشرف نوبة اسيجمان^(٢) وكسر خوارزم شاه، فجعله نائب السلطنة بدمشق، ولم يبرح على هذه الحالة الى ان توفي الملك الاشرف، فاعطاه دمشق، وحصره الملك الكامل واخذها منه بعد ان [١٨٦-ب] ابان عن شجاعة، وعلو هممه، وحسن تدبير، ارتضع بهذه الخصال مكانته عند اخيه الملك الكامل فعوضه عن دمشق ببعلبك واعمالها وجبل يبوس، والبقاع العزيزي، ورحبة الزبداني^(٣) ووادي التيم^(٤)، ودام في بعلبك منهمكا

(١) عن مقتل الملك الصالح اسماعيل انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٠٠، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٨٦، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٥/٦-١٦٦، ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب، ج ٤، ق ٢، ص ٦٩٢، اللواداري، كنز الدرر، ١٨/٨، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٩٢، ابن الوردي، تنمية المختصر، ١٨٦/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٩١، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٧٨-٣٧٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/٨-٩، الذهبي، دول الاسلام، ١٥٦/٢، وتاريخ الاسلام، (حوادث ٦٤٨ هـ)، ص ٦١، الخبلي، شفاء القلوب، ٣٢٤-٣٢٥، الغساني، المسجد المسوك، ٢/٥٨٠، الكتبي، عيون التواريخ، ٤٦/٢٠، العيني، عقد الجمان، ٤٧/١-٤٨، النويري، نهاية الارب، النعمي، الدارس في تاريخ المدارس، ١/٣١٦.

(٢) كان ذلك في سنة (٦٢٧ هـ). انظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ٣٣٠.

(٣) رحبة الزبداني: نسبة الى كورة الزبداني المشهورة والتي تقع بين دمشق وبعلبك، ومنها يخرج نهر دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ٣/١٣٠.

(٤) وادي التيم: بلبان وهو المنطقة التي ينتهي اليها جبل الشيخ منحدرًا اليها انحدرًا لطيفاً. الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٦١٤، هامش (٢).

في لذاته الى ان ملك الملك الصالح نجم الدين ايوب دمشق، وهجم عليها والملك الصالح بنابلس فاخذها.

ولما ملك الملك الصالح ديار مصر خشي منه، والتجئ الى الفرنج وصالحهم، وسلم اليهم صفد وطبرية والشقيف وبلاد كثيرة، وحصل عليه شناعة عظيمة، وصار مضفة للناس^(١).

وانضاف الى ذلك انه حكم امين الدولة^(٢) وزيره في جميع اموره، فولى الرفيع الجيلي قاضي دمشق، فبدى منه اموراً منافية للشرع مالا يعلمه والى شرطه، فساعات سمعته ومال الناس عن محبته، واكثر ماكان يجري من امور الظلم لم تكن عنده منها علم، وقد شرحنا ذلك كله، وتقلب الدهر به الى ان قتل، وكان في خدمته بدمشق كاتب انشاء هكتب اليه هذه الابيات:

(١) كان ذلك سنة (٦٣٨ هـ) عندما تحالف الملك الصالح اسماعيل حاكم دمشق مع الصليبيين ضد ابن اخيه الملك الصالح ايوب سلطان مصر والناصر داود حاكم الكرك مقابل تنازلات كبيرة، للزيادة والتفاصيل عن ذلك التحالف وتلك التنازلات وما اثارته من ردود افعال انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ص ١٣٠ - ١٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٣٢/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٦١، ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، (تاريخ لبنان والاردن وفلسطين) ص ١٥٣، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٥٥، ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٠٢/٥، ابن الوردي، تنمة المختصر، ٢٧٢/٢ - ٢٧٣، الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٢١٧، دول الاسلام، ص ص ١٤٣ - ١٤٤، الصفدي، السوافي بالوفيات، ٢١٦/٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٣٨/٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٦/١٣ - ١٦٧، ص ٣٠٤، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٢٥، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، رسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٣٧٨/٣.

Stevenson, The Crusaders in the east, p. 318, Setton, op. cit. vol, 11 p. 497.

(٢) هو الصاحب ابو الحسن السامري المسلماني، اعدم شقاً في مصر سنة (٦٤٨ هـ) مع ناصر الدين بن يعمور استاذ دار الملك الصالح اسماعيل قبل مقتل الاخير. انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ص ٢٠١ - ٢٠٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٨٤/٨ - ٧٨٥، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٤/٦ - ١٦٥، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٣، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٩٢/٢، ابن الوردي، تنمة المختصر، ١٨٦/٢، الذهبي، تاريخ الاسلام (وفيات ٦٤٨ هـ)، ص ٣٨٤ - ٣٨٥، الكتبي، عيون التواريخ، ٤٧/٢٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٢/١٣ - ١٩٣، العيني، عقد الجمان، ٤٦/١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢١/٧.

يامالكا لم اجد لي من نصيحتته
اسمع نصيحة من اوليته نعماً
والله لا امتد ملك منذ مالكة
ترى العسود به مستبشراً فرحاً
وزيره بن غزال والرفيع به
وثعلب وفضيل من هما وهما
جماعة بهم الامان قد نشرت
ما راقبوا الله في سر وفي علن
والان قد حكموا واستوثقوا خلقاً
ان كان خيراً ورزقاً واسعاً فلهما
وقد نصحت فقم واقبل نصيحة
واستترك الامر واستر ما جنوه بهم
فعن بليل ترى اثار فعلهم

بد وفيها دمي اخشاه منسفا
يخاف كفراتها ان كف او تركا
على رعيته من ظلمه شيكاً
مستفرياً من بوادي امره ضحكا
قاضي القضاة ووالي حربه بن بكا
اهل المشورة هيما ضاق او ضنكا
والشرع قد مات والاسلام قد هلكا [١٠٧٧-١٠٨٠]
وانما يرقبون النجم والفلكا
وصيرون لهم في صيدهم شركا
او كان شراً او امراً سيئاً فلكا
من مامان في قوله حرفاً ولا افكا
تلق الرشاد وان اصرت منهمكا
فيهم وفيك اذا ما سترهم هتكا

٦٤٩ هـ

السنة التاسعة والاربعون وستمائة

فيها جرد الملك المعز العساكر صحبة الامير فارس الدين اقطاي وجماعة البحرية، ونزل الى نابلس^(١) وعاد خاص ترك الى الكرك، وكان الامير ناصر الدين القيمري بعساكر دمشق مجرداً بعجلون.

وحصل عند الملك الناصر من نزول فارس الدين اقطاي خوفاً عظيماً، وخشي ان يكون ذلك باتفاق من مماليكه والاتراك^(٢) الذي في عسكره، فسير الكتب والقصاد الى حماة وحلب وحران وماردين والموصل يطلب العساكر والنجد، وفرق الاموال واستخدم الرجال، وجبى من الرعية سدس املكهم، واخذ الكبيس من الخراج، وتواصلت اليه العساكر من كل ناحية، وقدم الملك الامجد عباس بن الملك العادل على عساكره ودهليزه، ونزل بالعساكر على الفوار.

وركب الامير فارس الدين اقطاي واغار على الجولان، وعبر الى نوى وانقلبت الدنيا، وخاف الملك الناصر بدمشق، والملك الامجد بالفوار، والامير ناصر الدين القيمري بعجلون

(١) كان ذلك في يوم السبت السابع والعشرين من ذي الحجة سنة (٦٤٨ هـ) حيث ارسل الملك المعز الامير فارس الدين اقطاي الجمدار في ثلاثة آلاف فارس الى غزة، فاستولى عليها وعلى ماحوها، ثم عاد بعد ذلك الى القاهرة. انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٠٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٧/٦، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٩٢/٢، الذهبي، دول الاسلام، ١٥٦/٢، تاريخ الاسلام، (حوادث ٦٤٩ هـ)، ص ٦٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٣/١٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨١، العيني، عقد الجمان، ٤٤/١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٣/٧.

(٢) اشارة مهمة الى ان جميع المماليك لم يكونوا اتراكاً، وان هؤلاء لم يعدوا موضع ثقة، بسبب سرعة تبدل ولأهم وتدخلهم في السياسة لابل وفي عزل السلاطين وقتلهم وتنصيبهم، كما حصل في اقدام هؤلاء المماليك على عزل الملك العادل الثاني سنة (٦٣٧ هـ)، واستدعاء الملك الصالح ايوب وتنصيبه سلطاناً على مصر. للزيادة انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ١١٥ - ١١٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٢٨/٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٦٣/٥، الدواداري، كنز الدرر، ٣٣٨/٧، الذهبي، تاريخ الاسلام، ص ٢٤، والعبر في خبر من غير، ج ٥، ص ١٥٢، الياضي، مرآة الجنان، ٩٤/٤، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٧٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٨٣/٥، الحسيناني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ٩٣ - ١٠٤.

[١٨٧-ب] وكل منهم يظن انه قاصده، وكاتبه الامير عماد الدين حجي بريد شيخ آل مري، وقصده مقدموا البلاد ورؤساءها، وخلع واعطى، وكتب المناشير لن قصده وعاد الى نابلس، فاضطر الملك الناصر وصالح الخيتم صاحب الكرك، واعطاه البلاغ وولد الصلت بخير قلعة والخليل.

ووصلت نجدته مقدمها الطواشي شهاب الدين رشيد، وسير الى العساكر بالفوار، قبضوا على الامير حجي بن بريد، واعتقله بقلعة دمشق الى ان مات بها.

واجتمع عساكر الملك الناصر بعضها الى بعض وساقوا الى نابلس، وكانوا في جمع عظيم، فعاد الامير فارس الدين اقطاعي الى السائح، وطلع الملك المعز بعساكر مصر ونزل السائح، ووصلت عساكر الملك الناصر الى تل العجول، واضطرب الملك المعز واعتقد انهم يدخلون الرمل، فاقاموا بتل العجول، وبنوا الدور والحمامات والخانات^(١).

وفيها توفي الامير شهاب الدين سليمان^(٢) بن فرج.

وفيها توفي الفقيه بهاء الدين علي^(٣) بن الجميزي، وكان شيخاً كبيراً لطيف الاخلاق، فاضلاً محترماً عند الملوك، عارفاً بمذهب الشافعي، وسيره الملك الكامل صحبة شجاع الدين بن ابي زكري رسولاً الى بغداد، والملك الاشرف، ومولده سنة تسع وخمسين وخمس مائة. وفيها تزوجت الملكة شجر الدر بالملك المعز واعطته الاموال.

(١) عن هذه الاحداث انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٠٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٨٥/٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٧/٦ - ١٦٨، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٤، الدواداري، كنز الدرر، ٢٠/٨، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٩٣/٢، الذهبي، دول الاسلام، ١٥٦/٢، تاريخ الاسلام، (حوادث ٦٤٩ هـ)، ص ٦٥، الكشي، عيون التواريخ، ٥١/٢٠، اليافعي، مرآة الجنان، ١١٩/٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٣/١٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٣/٧، المعين، عقد الجمان، ٥١/١ - ٥٣.

(٢) وردت ترجمته في: مرآة الزمان، ٧٨٦/٨.

(٣) هو بهاء الدين بن هبة الله بن سلامة الجميزي، عنه انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٠٣ - ٢٠٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٨٧/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٨٧، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٩/٦ - ١٧٢، الذهبي، دول الاسلام، ١٥٦/٢، وتاريخ الاسلام (وفيات ٦٤٩ هـ)، ص ٤٢٥ - ٤٢٨، السبكي، طبقات الشافعية، ٣٠١/٨ - ٣٤٠، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٨٤/٢٤، الكشي، عيون التواريخ، ٥٣/٢٠ - ٥٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٣/١٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٢، المعين، عقد الجمان، ٥٧/١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٤/٧، الغساني، المسجد المسبوك، ٥٨٣/٢ - ٥٨٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٤٦/٥ - ٢٤٧،

٦٥٠ هـ

السنة الخمسون وستمائة

فيها وصل التتر^(١) الى الجزيرة، ونهبوا دياربكر، ووصلوا الى رأس العين وحران وسروج، ولقوا قفلاً عظيماً ستمائة جمل وفيه اموال [١٨٨-١] عظيمة، فاخذوه وقتلوا من القفل واهل البلاد طالع من عشرة الف نفس، وعادوا الى خلاط^(٢). وفيها توفي صاحب جبال الدين يحيى^(٣) بن مطروح في شعبان، وكان فاضلاً شاعراً محباً للخير متعصباً، يحب قضاء حوائج الناس، كيساً، وكان قد سيره الملك الصالح نجم الدين ايوب اقام بين الخوارزمية، وكان بن بردي خان^(٤) جميل الصورة، فقاتل فيه:

(١) بعد ان اخضع منكوخان (ت ٦٥٨ هـ) المعارضين، شرع في سنة (٦٥٠ هـ) بترتيب العساكر وتنظيم الادارة في امراطوريته، فولى على الاقسام الغربية منها اخاه هولوكو، وجعل الامير ارغون اغا على تحصيل الاموال من بلاد الشام وغيرها. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٤٥٩.

(٢) كانت هذه الهجمة بقيادة بايجونوين بتكليف من باتوخان قبل وفاته سنة (٦٥٢ هـ). للزيادة انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٨٧/٨، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٣-٣٨٤، مجهول، مختصر التاريخ الكبير (مخطوط)، ص ٢٩٠، العيني، عقد الجمان، ص ٦٩، الحسيني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ٤١٩-٤٢٠.

(٣) هو الوزير جمال الدين يحيى بن عيسى بن ابراهيم ابن مطروح ولد باسيوط سنة (٥٩٢ هـ)، وقد ترجم له ضمن وفيات سنة (٦٤٩ هـ) في عدد من المصادر. انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٠٤-٢٠٩، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٣٣٠-٣٣٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/١٦٩-١٧٢، الدواداري، كنز الدرر، ٨/٢٠، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٩٣، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/٤٩٦، وتاريخ الاسلام (وفيات ٦٤٩ هـ)، ص ٤٣٣-٤٣٥، الكتبي، عيون السوارب، ٢/٥٤-٦٤، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٢، العيني، عقد الجمان، ١/٥٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٧/٢٤، الغساني، المسجد المسبوك، ٢/٥٨٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٢٤٧-٢٤٩.

(٤) كان بردي خان احد مقدمي الخوارزمية المعروفين لابل واهمهم. عنه انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/٣٣٦، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣١٦، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ١، ص ٣٩-ب، وللزيادة انظر ايضاً: بحث للمحقق يعقوب: علاقات الملك الصالح نجم الدين ايوب بالخوارزمية، ٦٢٩-٦٤٤ هـ / ١٢٣١-١٢٤٦، ص ١-١٦.

ان يُشبهه بالبدر ما انصفته
او بالفزال وجدته مظلوماً
هذا بني الحُسن جاف لكم
صلو عليه وسلموا تسليماً

وله وقد اهدى اليه كساء:

مولاي عبدك واثق من
تقديم رذك والاخاء
فلذاك ارسن ما يليق
من الهدية في الشتاء
انت الخليل حقيقة
فجمعت شملك بالكساء

وبني داراً بمصر وكتب على بابها:

دار عمرناها بانعام من
لم تخل دار قط من رفده
الملك الصالح رب العلى
ايوب زاد الله في مجده
افنى وافنى فالذي عندنا
من نعمة الله ومن عنده
النصر والتأييد من حزبه
والجواد والتمكين من جده
فقل لحسادي الأهكذا
فليصنع المالك مع عبده

وله وقد اخرجه الملك الصالح اسماعيل من دمشق:

يقولون سافر عن دمشق ولا تقم
وذلك امر ما على به ياس
فقلت على عيتي سمعا وطاعة
فما خلق الدنيا ولا انتم الناس [٧٨٨-١]

وله وقد اهدت اليه محبوبته نرجس وورد:

بعثت بنرجسة الى ووردة
فهمت حقيقة قصدها
لما تعذرت الزيارة ارسلت
تشبيه ناظرها الى وخذها

وله:

خير ما استفيت طرفاً سائفاً يسبق الطرف اذا ما ارتدى
وحساما يحسم الاعناق بل يخطف الابصار اذا ما جردا
واجعل الثالث قلباً ثابتاً يتقي العار ولا يخشى الردا

وامر ان يكتب على قبره:

اصبحت بقعر(حفرتي)^(١) مرتها لا امك من دنياي الا كفنا
يا من وسعت عبادته رحمة من بعض عبادك^(٢) السيئين انا^(٣)

وكان ابتداء امره انه يخدم بني الليطي كاتباً بالصعيد، ثم خدم السلطان الملك الصالح كاتباً، وارتقى امره الى ان علت منزلته، واعطاه كوسات وستين فارساً، ولبس القباء وزى الاجناد، واشركه مع الطواشي شهاب الدين رشيد في الحكم بدمشق، ثم اعرض عنه وقطع خبزه.

ولما وصل الملك المعظم ابن الصالح اعرض عنه بالكلية، واقام بداره وعمي في اخر عمره، وتوفي هذه السنة.

(١) لدى: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٠٩، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٣٣٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٧٠/٦، (حفرة)، وكذلك عند: الذهبي، تاريخ الاسلام (وفيات ٦٤٩ هـ)، ص ٤٣٥، العيني، عقد الجمان، ١/٦٠.

(٢) لدى: الكسبي، عيون التواريخ، ٦١/٢٠ (عبيدك).

(٣) ورد البيتان لدى: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٠٩، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٣٣٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٧٠/٦، الذهبي، تاريخ الاسلام (وفيات ٦٤٩ هـ)، ص ٤٣٥، الكسبي، عيون التواريخ، ٦١/٢٠.

وفيها توجه الشيخ نجم الدين البادراني رسول الديوان العزيز الى الملك المعز بالسائح، واجتمع به، وقرر حديث الصلح^(١) بينه، وبين الملك الناصر، وعاد الى الشام ومعه رسول الملك المعز عز الدين السيفي، وعلم الدين الخزندار، وعمر على تل العجول، فالتقاء الملك الامجد والعاسكر، وحال وصوله المخيم [١٨٩-١] نزل ورعى الدهليز، فحصل من الغلمان ضجة عظيمة، وتوجه الى الملك الناصر وهو نازل بعثما القور، فقرر الحال على ان يكون غزة والداروم والقدس والساحل متصلًا الى جانبين ماخلا نابلس للملك المعز^(٢)، واستقر الحال وعاد الشيخ نجم الدين^(٣) وصحبته الامير شرف الدين بن ابي القاسم، ونظام الدين بن المولى رسلاً من الملك الناصر وتوجه الى مصر.

(١) كان المماليك قد عقدوا تحالفًا مع الصليبيين واتفقوا على القيام بعمليات مشتركة ضد دمشق، والقضاء على الحكم الايوبي في بلاد الشام، مقابل التنازل عن القدس وتسليمها للصليبيين. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٦/١٣، غير ان الملك الناصر عندما علم باخبار هذا التحالف بادى الى تحريك عسكره وارسلها الى غزة لكي يسبقهم الى هناك ويمنع اتحاد القوتين المملوكية - الصليبية، ويفسد عليهم خططهم المشتركة. العبادي: قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام، ص ١٢٧، رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ٤٧٧/٣، عاشور، الحركة الصليبية، ١٠٤١/٢.

(٢) للزيادة عن مقاضات الصلح وشروطها انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢١٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٨٩/٨، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٧٤/٦ - ١٧٥، الدواداري، كنز الدرر، ٢٢/٨ - ٢٣، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٩٣/٢، الذهبي، تاريخ الاسلام (حوداث ٦٥٠ هـ)، ص ص ٦٥، ٦٧، ودول الاسلام، ١٥٦/٢، الكتبي، عيون السوارب، ٦٥/٢٠ - ٦٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٦/٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ص ٣٨٢ - ٣٨٣، ٣٨٥ - ٣٨٦، العيني، عقد الجمان، ص ص ٦٩ - ٧٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٥/٧، الغساني، المسجد المسبوك، ص ص ٥٨٥ - ٥٨٦، الحسيني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد ص ص ٢١٧ - ٢٢٤.

(٣) يرى بعض الباحثين ان هدف الخلافة من هذه الوساطة كانت التوفيق والاصلاح بين الايوبيين والمماليك لتوحيد مصر وبلاد الشام ضد الخطر المغولي. رنسيان، تاريخ، ٤٧٨/٣، عاشور، الحركة الصليبية، ١٠٤١/٢، العربي، المغول، ص ص ٢٣٠.

Holt and another, op. cit. vol. p. 259, Wolff and Hazard, op. cit. vol, 11, p. 742.

ذلك الخطر الذي كان يهددهم جميعاً. عاشور، مصر والشام، ص ١٦٢.

٦٥١ هـ

السنة الحادية والخمسين وستمائة

فيها وصل الشيخ نجم الدين البادرائي برسلك الملك الناصر الى الملك المعز، وحلف الملك المعز، وعادت العساكر الى القاهرة، واعطى شرف الدين بن ابي القاسم، ونظام الدين بن المولى عطاء جزيلاً.

واطلق من كان في الاعتقال من امراء الملك الناصر مثل الملك المعظم ابن صلاح الدين، والنصرة اخوه، والملك الاشرف بن صاحب حمص، وشهاب الدين بن حسام الدين القيمري وغيرهم، وخرجوا صحبة نجم الدين البادرائي الى الشام، واطلق اولاد الملك الصالح اسماعيل من الاعتقال ايضاً^(١).

وعاد الملك الناصر الى دمشق، وعاد عسكر الملك الناصر من تل العجول على الساحل، ونهب بلاد الفرنج واخرّب، وكان الفرنسيين مقيماً بيافا، وقد بنى لها سوراً، وبنى سور قيسارية وصيدا^(٢).

(١) كان اطلاق سرح المعتقلين في مصر ضمن بنود الاتفاقية. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٨٩/٨، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٧٥/٦، الدواداري، كنز الدرر، ٢٣/٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٦/١٣ المقيزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٦.

(٢) بعد فشل لويس التاسع ملك فرنسا في حملته الصليبية المعروفة بالسابعة على مصر واطلاق سراحه من الاسر بموجب الاتفاقية التي وقعت مع الايوبيين والمماليك فبدلاً من ان يعود الى فرنسا، فانه ارتحل الى بلاد الشام وتنزل في عكا في (صفر/ ايار سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م). يوسف، العدوان الصليبي على مصر، ص ١٩٨ - ٢٤٠، عاشور، الحركة، ١٠٢٠/٢ - ١٠٣٤، التي كانت تعتبر من اهم المدن الصليبية في بلاد الشام. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٣٠٣، فأخذ يعمل على تعويض خسارته في مصر للحفاظ على ماء الوجه عند العودة الى بلاده، حيث كانت الاوضاع مشجعة في مصر وبلاد الشام على مثل هذا التفكير والتفاوض، بسبب المنافسة والصراع الذي كان قائماً بين الايوبيين في بلاد الشام، وكذلك بين المماليك في مصر، وبين المماليك والايوبيين، لذلك حاول جني اكبر المكاسب من جميع اطراف الصراع لخدمة==

ووصل عسكر الملك الناصر الى عكا، وخرج الفرنج الى تل الضفول وزحفوا المسلمون على كردانه^(١) هملكوها واحرقوا الطواحين، ورحلوا الى صيدا، وزحفوا عليها فأخذوها بالسيف، وراح من كان بها قتلا واسرا [١٨٩-ب] وهرب منهم جماعة الى القلعة التي بالبحر، ففرق بعضهم، وعادت العساكر الى دمشق.

وخرج الملك الناصر والتلقى عميه، وخلع على الامراء وانفق واعطى التجرد وعسكر حران دستورا واقام بدمشق.

وفيها توجه الامير حسام الدين بن ابي علي من القاهرة الى دمشق بدستور الملك العز، وكان قد نزل عن [...] ^(٢) والتقاءه الملك الناصر، وخلع عليه واقام بدمشق بطلا^(٣).

==المهدف الصليبي، وتقوية الوجود الصليبي في بلاد الشام من خلال التوفيق بين الطوائف الصليبية المختلفة، والقيام باعمال التحصين للمدن والمواقع الصليبية للحفاظ على ماتبقى منها من السقوط بايدي الايوبيين. عن ذلك انظر: ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٣٠٣، جوانفيل، القديس لويس، ص ١٩٠، الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٣٠١-٣٠٢، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٥-٣٨٦، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، (مخطوط) ق ١، ص ١٤٠-أ، ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوالي، ١٠/١.

عاشور، الحركة الصليبية، (الجزء الثاني)، يوسف، (العدوان الصليبي على مصر) و(العدوان الصليبي على بلاد الشام)، ويست، الحروب الصليبية، ص ١٥٢، رنسيان، (تاريخ الحروب الصليبية، الجزء الثالث)، سعداوي، الحرب والسلام، العبادي، قيام دولة المماليك الاولى، باركر، الحروب الصليبية، ص ١٥٦-١٥٧، سيدو، خلاصة تاريخ العرب، ص ١٣٧-١٤٠، العربي، المغول، ص ١١٧-١١٨، ٢٣١، Stevenson, op. cit. pp. 329-331.

(١) كردانه: موضع بين عكا وصيدا.

(٢) ما بين الحاصرتين كلمة غير مقروءة.

(٣) يتحمل الامير حسام الدين بن ابي علي الهذلي الكوردي القسم الاكبر من مسؤولية نجاح مؤامرة المماليك وسقوط دولة الكورد الايوبية في مصر، حيث كان اكبر الامراء ونائب السلطنة هناك، وتحت يده كل الامكانيات من العساكر والاموال بالاضافة الى ما كان يتمتع به من الواجهة والاعتبار، فوقف متفرجاً ومتخاذلاً من اقدام المماليك على اغتيال الملك المعظم توران شاه من غير ان يحرك ساكناً، مع ان المماليك المتآمرين طلبوا منه ان يتولى السلطنة فرفض ورجع الامر اليهم. كما انه خدم المماليك باخلاص عندما اخذوا بجاملونه، واستغلوه حتى تمكنوا من تثبيت سلطتهم ولم يعودوا بحاجة الى خدماته عندئذ استغنى عنه وبشكل مهين، فعاد الى الصف الايوبي في بلاد الشام ولكن بعد فوات الاوان.

٦٥٢ هـ

السنة الثانية والخمسون وستمانه

فيها تواترت الاخبار من مكة بظهور نار في ارض عدن في بعض جبالها، بحيث يطير شرارها الى البحر في الليل^(١).

وفيها سار فارس الدين اقطاعي الى الصعيد^(٢)، ونزل بذروة سريان^(٣) ملك الشريف بن ثعلب، فانهمزم العربان بين يديه في البرية، فتبعهم وقتل منهم خلقاً كثيراً، وعاد الى القاهرة بالاسرى، ومن جملتهم ابن الشريف ثعلب فشنق على باب قلعة الجبل^(٤).

وفيها خطب الملك الناصر بنت علاء الدين كيقباد صاحب الروم وتزوجها، وكان السفير الشريف المرتضي نقيب العلويين بحلب، وسير احضرها من الروم وتلقاها عسكر

(١) عن تلك الظاهرة الطبيعية (البركان) انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢١٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٩٠/٨ - ٧٩١، بيريوس السوادار، زبدة الفكرة، ص ١١ - ١٢، الدواداري، كنز الدرر، ٢٣/٨، الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٦٥٢ هـ)، ص ٩، الكتبي، عيون التواريخ، ٧٤/٢٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٧/١٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٩٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٢/٧.

(٢) الصعيد، هي بلاد واسعة وتنقسم الى ثلاثة اقسام، ومدينة اسوان اوله من ناحية الجنوب. ياقوت، معجم البلدان، ٤٠٨/٣.

(٣) ذروة سريان، تسمى تلك الناحية دروت سربام، ودروط سريان، وذروة سربام، ودروط الشريف، ودبروط الشريف، والتسمية الاخيرة تعود لحاكم تلك الناحية، وهو الشريف ابن ثعلب، وكانت تلك الناحية تقع بين النيل وترعة المنهي، التي هي الان بحر يوسف، وقد حولت تلك الرعة الى جنوبي دروط سربان، فصارت الرعة في غربيها. هذا ودهروط هي دبروط الحالية، احدى مراكز مديرية اسيوط. المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٧، هامش (١).

(٤) ثارت العربان ببلاد الصعيد وجنوب مصر وقطعوا الطرق براً وبحراً وتوقفت الحركة مع تلك الجهات، وامتنع اميرهم الشريف حصن الدين بن ثعلب عن دفع الخراج وقال: ((نحن اصحاب البلاد... باننا احق بالملك من الممالك... وانفوا من خدمة الترك، وقالوا انما هم عبيد [للايوبيين]، وكتبوا الى الملك الناصر صاحب دمشق يستحثونه على القدوم الى مصر)) واجتمع عليه العرب، وهم يومئذ في ((كثرة من المال والخيل والرجال)) غير ان الامير فارس الدين اقطاعي اوقع بهم وهرب من نجا من القتل فاستولى الممالك على الاموال والخيل والجمال وسبوا النساء والاولاد ((وتبددو شمل عرب مصر وخذت جمرتهم من حينئذ)). المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٦ - ٣٨٧.

حلب أولاً بالاقامات الكثيرة، ووصلت دمشق، ولبس العساكر اطلاقاً ولعبوا ونصبت القباب واطهر سروراً زائداً، وخلع على الامراء والحلقة، واكابر اهل دمشق والدواوين، وعمل سماطاً مارتي مثله، ودخل بها في قلعة دمشق.

وفيها عظم شأن الامير فارس الدين [١٩٠-أ] اقطاعي، وزاد في سماحة كفه، وعطاءه، وخلعه، وقله التفاتة الى الملك المعز، وشرع يستدعي من الخزانة اسواً ويتوجه الى الاسكندرية، ويصحبه جماعة كبيرة من الامراء واعيان الحلقة، فيعهمم بالعطاء والخلع، واذا ركب يكون في خدمته معظم الامراء، وعندما ينفصل في الموكب عن الملك المعز يعود معه اكثر مما في خدمة الملك المعز، فخاف الملك المعز، ولم يمكنه الا مداراته^(١).

وسير فارس الدين اقطاعي يخطب بنت (ابن)^(٢) الملك المظفر صاحب حماة، واتفق الحال، وسير عسكرياً صحبة استاذ داره الى حماة ليحضرها بتجمل زائد، واثقال وحشمة وافرة، فخرج الملك الناصر الى لقائهم، وكان صحبتهم محفة على البغال، وعليها ستر اطلس، مزركش مجوهر والبغال التي تحمل المحفة منعولة بالذهب، وقد عمل لهم خلاخيل ذهب مرصعة بالجواهر، فنزلوا دمشق وكرمهم الملك الناصر، وتوجهوا الى حماة، وعادوا بالعروس، ومعها والدتها بنت الملك الكامل، وتوجهوا من دمشق قاصدين القاهرة^(٣).

(١) وللزيادة عن تعاطم شأنه ومقتله انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ص ٢١٦ - ٢٢٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٩٢/٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٧٦/٦ - ١٧٨، بيري الدوادار، زبدة الفكرة، ص ص ١٠، ١٢، الدواداري، كنز الدرر، ٢٤/٨ - ٢٦، ابو الفدا، المختصر في اخبار الشر، ٢٩٧/٢ - ٢٩٨، الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٦٥٢ هـ)، ص ص ١٠ - ١٣، ودول الاسلام، ١٥٧/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٧/١٣، الكتبي، عيون التواريخ، ٧٤/٢٠ - ٧٧، المقرزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ص ٣٨٦ - ٣٩٠، العيني، عقد الجمان، ٧٩/١ - ٨٠، ٨٥ - ٨٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٠/٧، ٣٣، الغساني، المسجد المسبوك، ٦٠٥/٢.

(٢) ما بين الحاصرتين غير واردة في الاصل ربما سهواً. والاضافة من: بيري الدوادار، زبدة الفكرة، ص ص ١٠، العيني، عقد الجمان، ٧٩/١، والصواب هي (بنت الملك المنصور محمد ت ٦٨٣ هـ) هو يومئذ حاكم حماة بعد موت ابيه الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود (٦٢٦ - ٦٤٢ هـ). لين بول. الدول الاسلامية، ص ص ١٥٠ - ١٥٤.

(٣) ينفرد المؤلف بذكر هذه التفاصيل الدقيقة، واقدام الملك الناصر يوسف باكرامهم في دمشق في الوقت الذي استهجن الناس هذه المصاهرة ((وعجب الناس من بنت الكامل كيف سمحت لذلك العبد بالمصاهرة مع عدم الكفاية فانها كريمة الطرفين من ناحية الاب والام ولما لم يفر احد لها غار الله فسلط على اقطاعيا من قتله اقبح قتلة ومثل به اعظم مثله)). سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٩٢/٨، انظر ايضاً: الدواداري، كنز الدرر، ٢٥/٨.

وقد عز على الملك الناصر، وحسب كل حساب ردي، وتوهم من صاحب حماة كثيراً^(١). ولما بلغ الامير فارس الدين اقطاعي طلوعهم من دمشق، وتوجههم اليه شرع في تفصيل الخلع لسائر الامراء، وارياب الدولة، وكبار الحلقة، وتحصيل الخيول والآت العرس، واهتموا الامراء والعساكر في عمل الزينة وترتيب آلة عمل القباب، واللعب بالرماح، وسير الامير فارس الدين الى الملك المعز ان تخلى له داراً في القلعة^(٢) [١٩٠-ب]. فعلم الملك ان الرجل قصده الملك، فاتفق مع مملوكه الامير سيف الدين قطز، وبهاء الدين بهادر، ان يطلب فارس الدين، فاذا عبر اليه في الدهليز، يبادره سيف الدين قطز فيضربه بالسيف، ففعلوا ذلك، وطلبوا فارس الدين اقطاعي فعبر ومعه مملوكين، وما كان يحسب لاحد حساب، ولا في عينه من احد شيء، وكان الدهليز ضيق فحال عبوره ضربه سيف الدين قطز بالسيف حل كتفه، ثم نحسه بالسيف، فقال له اقطاعي: بس وصلت، وخرج الملك المعز ومماليكه وخواصه وقعد على باب القلعة، وركب سائر البحرية، وطلبوا سوق الخيل تحت القلعة ملبسين ظناً منهم ان يعملوا شيء، فاتوا الامراء والحلقة الى خدمة الملك المعز، فساقوا البحرية متوجهين الى الشام، وسافت العساكر خلفهم، وتركوا دورهم بما فيها من مال وحريم وغللال وانثقال على حالها، فاطلقها الملك المعز للامراء. وركب حينئذ بالصناجق واطهر السلطنة وتمكن في الملك^(٣).

(١) كانت العلاقات الايوبية تعاني من ازمة فقدان الثقة، لذلك فان الملك الناصر يوسف كان ينظر الى هذا التقارب بين حماة والسلطة المملوكية الناشئة في مصر بعين الشك والريبة، والخوف من ان يكون ذلك على حسابه وسلطنته في بلاد الشام. للزيادة عن واقع العلاقات الايوبية انظر: الهسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد، ص ١٦٧-٢٥٤.

(٢) طلب اقطاعي من ابيك ان يسكن القلعة، على اعتبار ان زوجته من الاميرات ولا يليق بها ان تسكن مع عامة الناس، فشق ذلك على ابيك. المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٨.

(٣) كان اقطاعي قد اصبح رديفاً لايبك عندما كان اتابكاً، وبعدهما اصبح سلطاناً. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (العبر)، م ٥، ق ٤، ص ٨١١، وكان ((يعتد من الاستقلال بالسلطنة))، ابو الفدا، تنمة المختصر، ١٩٢/٢، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م ٥، ق ٤، ص ٧٨٧، لانه كان يتطلع اليها، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣١٧/٩، وان ابيك معه كان ((باسم الملك لا غير)). الدواداري، كنز الدرر، ٢٥/٨، والاكثر من ذلك انه عزم على قتله والتخلص منه. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ٢، ص ١٦٦-ب، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ١٨٦، واصحاب اقطاعي كانوا يلقبونه بالملك الجواد. الصفدي، الوافي بالوفيات، ٤٧٢/٩، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٢٥/١.

فلما وصل الخير الى الملك الناصر جمع ارباب مشورته، وتحدثوا ان السلطنة بمصر انما كانت للملك الاشرف بن الملك السعود، وان المعز كان اتايكته واليمين للملك الاشرف، ولم يبق بينهم ايمان، واثاروا عليه ان يرسل الى غزه يطيب قلوب البحرية، ويستدعيهم اليه، ويحسن اليهم ويملك بهم الديار المصرية.

ففعل ذلك وسير الى حران وحلب يستدعي العساكر، ووصله في الحال رسول الملك المعز يعلمه بما جرى، ويحذره من قرب البحرية، ويقول: [١٩١-أ] هؤلاء اخذوا خزائن مصر وبلادها، ولم يقنعوا ولا شعبوا ولا يجيئ منهم خير^(١)، فلم يقبل وأصر على جمع العساكر واستخدام البحرية، وقصد الديار المصرية.

ووصل قصاد البحرية^(٢)، وحلفوا الملك الناصر، ثم وصلوا الى خدمته، وكان مقدمهم سيف الدين الرشيد، والامير ركن الدين البندقداري، وكانوا شباب ملاح، وتجميل لائق،

(١) حاول ابيك من جانبه افشال التحالف المعادي له في بلاد الشام بين عدوه الملك الناصر يوسف ومعارضيه من المماليك الطارئين من مصر، عندما اخذ في اشارة شكوكه تجاههم، وأشار بعدم الركون اليهم والاعتماد عليهم، مذكرا إياه بقدرهم وخيانتهم وتذبذبهم في الولاء، وعدم التزامهم بالعهود. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ٢، ص ١٦٨ - أ - ب - ١٦٩ - أ، ابن تفردي بردي، النجوم الزاهرة، ٩٧/٧.

(٢) ادى مقتل اقطاي الى انقسام المماليك الى فريقين متناحرين، وهما المعزية، والبحرية اللذين ولو هارين، وقد اصبحوا فرقا وتشتتوا في البلاد، فمنهم من توجه الى بلاد الشام، وسار الى الكرك، فاكرمهم الملك المغيث (٦٤٨ - ٦٦١ هـ) وسمح لهم بالاقامة في ريف الكرك، الدواداري، كنز الدرر، ٢٦/٨ - ٢٧، الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٣٠٩ - ٣١٠، بينما مضت طائفة اخرى الى الملك الناصر يوسف، ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، (تاريخ لبنان والاردن وفلسطين)، ص ١٢٦، الدواداري، كنز الدرر، ٦/٨، ودخلوا في طاعته، وان يكونوا من جملة عسكره، العيني، عقد الجمان، ٨٧/١، بينما اقام مجموعة اخرى منهم ببلاد الاغوار والبلقاء والشوبك والقدس والخليل يعيشون على السلب والنهب وقطع الطرق، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ٢، ص ١٦٧ - ب، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٩١، في الوقت الذي كان قد هرب طائفة منهم الى الصعيد، الدواداري، كنز الدرر، ٢٦/٨، الكتبي، عيون التواريخ، ٧٧/٢٠، وسار اخرون الى سلطنة سلاجقة الروم، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ٢، ص ١٦٧ - ب، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٩٢ - ٣٩٣، وفضل البعض منهم البقاء في القاهرة وطلب الامان، الدواداري، كنز الدرر، ٢٦/٨، الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٣١٠، كما اختفى منهم من خاف على نفسه، ولم يتح له فرصة الخروج واللحاق بزملائه. المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٩٢، العيني، عقد الجمان، ٨٨/١، مجهول، مختصر التاريخ (مخطوط)، ص ١٠٩.

ومماليك، وعدة، وخيول، فالتقاهم الملك الناصر وانزلهم واکرمهم^(١)، وغمرهم بالخلع والعطاء، واخرج دهليزه الى الجسور^(٢)، وتواتر اليه عساكره والنجد من كل مكان، ودام مقامه على الجسور مدة شهر والنصف، والبحرية يحضونه على سرعة الرحيل ويقولون ان لم تبادر الى قصد البلاد وهي الان محبطة قليلة الرجال والا يتمكن الملك المعز في هذه الفترة، ويقبض على من يخاف منه، ويستخدم من يختار ويتقوى، وما يعود يلتفت، وهو يوعد بالرحيل من يوم الى يوم، فكان الامر على ما قالوا^(٣).

تمكن الملك المعز في سلطنته، ولزم من كان يخشاه في مملكته^(٤)، واقبل على من يثق اليه من ارباب دولته، واحسن الى العزيزية والناصرية^(٥) الذين كانوا في خدمته.

ثم قدم الملك الناصر على عساكره الملك المعظم فخر الدين توران شاه بن صلاح الدين، ورحل بالعساكر ونزل على المدان^(٦)، وكان الملك المعظم مقدم العساكر ظاهراً، والامور جميعها معزوقه بالامير سيف الدين بكتوت استاذ الدار باطنياً وظاهراً، ليس

(١) انعم على كبار مقدميهم بالاقطاعات الواسعة. الدواداري، كنز الدرر، ٢٩/٨، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٣٠/١٠، الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، ٢٣٩/١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٩٧/٧.

(٢) لدى: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٧٩/٦ (نحمن)، وعند: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٢١ (نزلوا الغور واتخذوا الوجاء منزلاً)، وكذلك لدى: الكتبي، عيون التواريخ، ٧٦/٢٥ (ونزلوا الفوار، ثم العوجاء). الدواداري، كنز الدرر، ٢٩/٨.

(٣) كان الملك الناصر يفتقر الى مؤهلات القيادة الناجحة، حيث كان معروفاً بضعف الشخصية والزرود، وعدم القدرة على اتخاذ قراسم حاسم. اليوليني، ذيل مرآة الزمان، ٤٦٣/١، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٣٢٣/٢، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٤٥٠/١٦، الكتبي، عيون التواريخ، ٢٥٨/٢، العيني، عقد الجمان، ٢٨٣/١، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ٢، ص ٢٢٠ - ب، ٢٢١ - أ، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٤٢٠.

(٤) وجدها المعز فرصة للتخلص من المعارضين، لذلك قام باجراءات انتقامية ضدهم، فاعدم البعض وحبس البعض الاخر وصادهم وسبى نساءهم وذرايرهم. انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٢٠ - ٢٢١، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٧٩/٦، بيرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ١٢ - ١٣، الكتبي، عيون التواريخ، ٧٥/٢٠، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٩٢، العيني، عقد الجمان، ٨٧/١ - ٨٨.

(٥) اقطع الامير علاء الدين يدغدي العزيزي دمياط، زيادة على اقطاعه، ولم يلبث ان اعتقله المعز في السنة التالية وقتله مع آخرين، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٩٤ - ٣٩٧.

(٦) المدان: الماء الملح الشديد الملوحة. ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ٨٥٨/٢.

للمعظم سوى الاسم، فتدارك عليهم الامطار بحيث مد المدان، ولم يقدر احد من العسكر ان يقطعه، الا بعد ثلاث [١٩١-ب] ايام حتى عمروه بعد جهد وقاسوا مشقة زائدة من الوحول حتى وصلوا الى قصر معين الدين بالغور، وتواترت الامطار ليلاً ونهاراً مدة شهر اذار جميعه حتى انتقل الناس في الغور الى التلال والروابي من كثرة الوحول.

وكان الحشيش متوفر بحيث ربعوا خيولهم ومدت الشريعة الى ان صارت اعظم من الفرات، وكان في عشب القصر حشيشة اذا اكلها الفرس يرمى ذنبه ومعرفته^(١)، فكان الناس يكذبون في امرها ويصدقون الى ان رعتها الخيل فوقع اكثر اذئاب خيول الناس ومعارفهم، ونصل^(٢) حواضر خيل كثيرة.

وفي ايام من نيسان انحطت الشريعة، وعدت العساكر، وتوجهوا الى العوجاء^(٣) ونزلوا بها مدة الصيف والخريف، ورحلوا في اول الشتاء ونزلوا غزة.

واما الملك المعز فانه لما بلغه اصرار الملك الناصر على قصد مصر بذل الاموال، واستخدم العساكر، وطيب قلوب الناس^(٤)، وبرز من القاهرة ونزل بالباردة وهي بين العباسة والسائح، ونفق سوق المققرين بين الملك الناصر والملك المعز.

وكتب الملك الناصر ممالিকে وممالك ابيه العزيزية والناصرية الذين كانوا في خدمة الملك المعز بمصر، واستمال قلوبهم، وكانوا هم ومن هو في خبزهم الفي فارس، واتفقوا مع الملك الناصر ان يقبضوا الملك المعز ويفعلوا مثل ما فعل الاتراك والخدام بالملك العادل بن الملك الكامل، فعلم الملك المعز صورة امرهم فما كذب خير، وكان ذي همة عالية وبادر في الحالة الراهنة، وركب يوم الثلاثاء على انه يلعب (بالكرة^(٥))، والعساكر والامراء في خدمته، وقصد اوطاق العزيزية [١٩٢-أ] فظن جمال الدين ايدغدي، وشمس الدين البرلي

(١) معرفة الخيل: شعرها. ابن منظور، لسان العرب، ٩٦/١٤.

(٢) نصل: زوال اللون. ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ٩٢٧/٢.

(٣) العوجاء: نهر بين ارسوف والرملة في فلسطين من السواحل. ياقوت، معجم البلدان، ١٦٧/٤.

(٤) حاول التقرب الى الناس وكسب ودهم بالتخفيف عنهم لتكوين قاعدة شعبية مؤيدة له في الداخل، فابتل ما قرره على الرعية من الجبايات واعفاهم من المطالبات والمصادرات. ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٢٠، بيبس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ١٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٩٢، العيني، عقد الجمان، ٨٨/١.

(٥) كذا في الاصل، وهي لعبة الكرة والصوالة او الصولجان، والتي تعرف الان باسم (polo). المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٥، هامش (١).

انه جاء اليهم تقرباً، ليأخذهم الى لعب الكرة، فخرجوا الى خدمته مسرعين يجلبون الخيول ليقدموها له، فأمر بمسكهم ونهب اوطاقهم، وشارت السوقية والغوغاء والاجناد، وتخاطفوا خيولهم وخيامهم ومابها وسيرهم تحت الترسيم الى القاهرة، واقطع اخبازهم^(١).

وتحدثت الناس ان الذي اعلمه بأمرهم واتفاقهم مع الملك الناصر الامير سيف الدين يكتوت العزبي استاذ الدار، لانه كان يصله من الملك المعز اموالاً عظيمة^(٢)، وهو الذي كان يؤخر الملك الناصر عن ملك مصر، فكان لا يختار ان يملك الملك الناصر مصر خوفاً ان تصير الدولة كردية^(٣)، وتذهب دولة الاتراك، ولا يختار ان يتقوى الملك المعز على الملك الناصر حفصاً لبيت استاذه، بل كان رأيه ان يكون الامر وقف بينهم، وكان بينه وبين جمال الدين ايدغدي العزبي، وشمس الدين اشن البرلي منافسة عظيمة ومباغضة قديمة، وكانوا يبغضوه ويحسدوه على تقدمه عليهم، فلما بلغ الملك الناصر مسك العزبية، علم انه مابقي يتهيأ له حالة في ملك مصر، وان الملك المعز لم يبق له من يخشاه، وان عساكره قد ضعفت لطول البيكار.

(١) لدى: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٨١/٦ - ١٨٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٤/٧، ان الممالك العزبية هم الذين كاتبوا الملك الناصر وارادوا القبض على الملك المعز، ولم يوافقهم جمال الدين ايدغدي العزبي، غير انه لم يسلم من الاعتقال وما جرى على الآخرين، الذين انضموا الى الملك الناصر، ولم يلبث المعز ان قتله في السنة التالية. القرظي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٩٧. هذا ولم يكن ايدغدي مشتركاً في المؤامرة على ايبك، ويبدو ان ذنبه عند الاخير لانه لم يطلع على ما عزم عليه اصحابه. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٨٢/٦.

بينما لا تشير مصادر اخرى الى الطرف الذي اتصل بالآخر. انظر: ابو القدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٧٨/٢، العيني، عقد الجمان، ١٠٧/١.

(٢) طرفا الصراع كانا يتقاتلان بأسلحة ماثلة، فاذا كان الملك الناصر قد نجح في كسب العزبية وغيرهم من الممالك الذين كانوا مع المعز، فان الاخير قد نجح هو الآخر في اختراق جبهة الملك الناصر، وكسب اقرب المقربين اليه مغرباً اياه بالمال، وباثارة النعرة العنصرية لديه باعتبار ان ذلك الصراع هو بين الكورد والتوك، اي انه كان هناك تداخل في المصالح الشخصية وتضارب في الاتجاهات العنصرية.

(٣) لا يتجرأ المؤرخون المعاصرون على وصف الدولة الايوبية بالدولة الكوردية لاعتبارات عديدة، مع ان هناك اكثر من اشارة الى ذلك في المصادر، فعنوان المخطوط هنا هو تاريخ دولة الاكراد والاتراك، ويذكر العصامي المكي (ت ١١١١ هـ)، انه يتخلع الملك الاشرف موسى الايوبي عن سلطته مصر سنة (٦٥٢ هـ)، انتهت الدولة الايوبية الكوردية هناك. سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، ١٥/٤.

٦٥٣ هـ

السنة الثالثة والخمسون وستمائة

وفيها مرض الامير سيف الدين^(١) القيمري، وحملوه الى نابلس فتوفي بها، وقعد الامراء القيمرية في خيمة الامير سيف الدين وعملوا عزاءه، ولم يلبسوا حدادا، وكان الامير سيف الدين صاحب قلعة قيمر^(٢) [١٩٢-ب]، وكان رجلاً شجاعاً حازماً ذى رأي ثاقب وعزيمة ماضية مدبراً احواله نافذ الكلمة في الدول، خدم صاحب الروم وكان ممن يشار اليه، وخدم الملك الاشرف، وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، والملك الصالح نجم الدين ايوب، ولم يزل مقدماً يشار اليه في سائر الدول، ولما توفي حمل الى دمشق، ودفن بترتبه التي بقاسيون التي قبالة المارستان الذي بناه بقاسيون، ونفق على بناية هذا المارستان اموالاً جمّة، واقف عليه ووقفاً كثيرة.

وفيها توفي الطواشي شهاب الدين رشيد^(٣) الكبير الصالحي، ودفن بنابلس، وكان رجلاً عاقلاً محباً للخير والعدل، وكان نائب السلطنة بدمشق واعمالها من جهة مخدومه الملك الصالح نجم الدين وفوض اليه ارفع الامور فكان يأمر من شاء ويقطع من شاء، يكتتب

(١) قلعة قيمر: تقع في جبال شمال الموصل [في اقليم كردستان العراق] وسكانها كورد. ياقوت، معجم البلدان، ٤/٢٤٤.

(٢) قلعة قيمر: تقع في جبال شمال الموصل [في اقليم كردستان العراق] وسكانها كورد. ياقوت، معجم البلدان، ٤/٢٤٤.

(٣) لم ترد ترجمته في المصادر التي بين ايدينا. وعن دوره في الاحداث النظر: كتب التاريخ العام التي تتحدث عن تلك الفترة مطلع القرن السابع الهجري حتى وفاته مثل: ابن دقماق، نزهة الانام في تاريخ الاسلام، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ٢، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٥، ج ٦، الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ج ٨، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ج ٢، الذهبي، دول الاسلام، ج ٢، وتاريخ الاسلام (حوادث ٦٤٨-٦٥٣ هـ)، الكتبي، عيون النواير، ج ٢٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، العيني، عقد الجمان، ج ١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ج ٧.

الملك ويكتبوه، وكان مأمون النقيب طاهر اللسان محباً للخير، يميل الى الاجناد ويعطيهم الاخباز الوفرة، ولا يستكثر فيهم شيء، وكان متجماً في امرته وله مماليك ملاح، وكان اقطاعه مائتي فارس، فاعرض عنه الملك الصالح وولى جمال الدين بن يغمور عوضه نائب السلطنة بالشام، واستدعاه الى المنصورة واعطاه مائة فارس، وتقلبت به الاحوال بعد موت الملك الصالح الى ان خدم بالكرك، وصار يقصد خدمة الطواشي بدر الدين الصوابي، فعز نفسه عليه وفارق الكرك، وقصد الملك الناصر بدمشق، فاستخدمه واعطاه سبعين فارساً الى ان مات رحمه الله وكان عاقلاً، ومن الرجال الاجواد [١٩٣- ب].

٦٥٤ هـ

السنة الرابعة والخمسون وستمائة

[الوساطة بين الملك الناصر والملك المعز]

فيها رحل عسكر الملك الناصر من غزة الى تل العجول واطهروا الدخول الى مصر، وذلك انه وصل الخبر من بغداد ان الديوان قد جهزوا الشيخ الامام نجم الدين بن البادرائي ليصلح بين الملك الناصر والملك المعز^(١)، فاطهروا القوة والدخول الى مصر والنقطة في العساكر.

فوصل الشيخ نجم الدين الى دمشق والتقاءه الملك الناصر وانزله في دار السعادة، وطال مقامه بدمشق، وارسل قصاده الى مصر بما تقرر مع الملك الناصر، وما امر به الخليفة، وعادت القصاد وضجر العسكران الشامي من طول المقام بغزة، والمصري من مقام الباردة، وبقي كل منهما منتظراً وصوله والاراجيف كل يوم يذكر انه طلع من دمشق، ثم يجعلونه انه وصل الى الغور، ولا يطلع لذلك صحة. فقال في ذلك شهاب الدين غازي بن العمار:

علماً يُزيل تشككي وتوهمي

لا عن مسلمة بلى عن مسلم

اني باخبار الرسول لطالب

واود لو اسمعتها مروية

(١) كانت الخلافة العباسية وعلى الرغم مما تعانيه من انحطاط وتدني مستوى الاحساس بالمسؤولية، إلا انها اخذت تصحوا ولو الى حين من غفلتها على خطر المغول، ولعجزها عن فعل شيء عقلت الآمال على الايوبيين والمماليك في بلاد الشام ومصر، لذلك ارادت استقلال سلطانها الروحي عليهما، فارسلت مبعوثها لاقرار الصلح بينهما لتوفير الجهود والاتفاق على قتال المغول، اليوناني، ذيل مرآة الزمان، ١٢/١، الذهبي، العبر في خبر من غير، ٢١٧/٥، وتاريخ الاسلام (حوادث ٦٥١-٦٦٠ هـ)، ص ٢٦.

وقال في ذلك عماد الدين الخلاطي الصالحي:

قالوا الرسول اتى وقالوا انه ما رام يوماً عن دمشق نزوحاً
كثر الخلاف وما ظفرت بمسلم بروي الحديث عن الرسول صحيحاً

ولم يزل الشيخ نجم الدين حتى قرر امر الصلح بين الملك الناصر، والملك المعز، وسير قصاده بذلك الى مصر، بذلك وفصل الحال ان يكون الشام من العريش (...)^(١) للملك الناصر، وليس [١٩٢-ب] للملك المعز في الشام شيء، ووصل القصاد من مصر، وتقرر الحال^(٢)، وخرج الشيخ نجم الدين من دمشق متوجهاً الى مصر، ووصل تل العجول، والتقاءه العساكر وفرحوا فرحاً زائداً، فقال بن المعمار في ذلك:

اتى رسول من امام الهدى سيمته الرافة والنصح
وكل انسان به مؤمن ان كان من اياته الصلح^(٣)

وتوجه الشيخ نجم الدين من تل العجول ودخل الرمل، ووصل العسكر المصري والتقاء الملك المعز، وزاد في اكرامه، وفصل الحال وعاد الى الشام وصحبته الامير فارس الدين اقطاعي اتابك رسولاً من الملك المعز الى الملك الناصر، فوصل تل العجول ورمى الدهليز ورد العساكر، ووصل دمشق، وحلف الملك الناصر على ما استقر، وعاد بالجواب الامير نور

(١) كلمة مطموسة.

(٢) كان من شروط الصلح ان يكون للملك المعز ما كان للملك الصالح نجم الدين ايوب من الساحل ببلاد الشام بالإضافة الى ملك مصر، وان لا يأوى الملك الناصر عنده احداً من البحرية المعارضين للملك المعز، وعاد العسكران الى بلادها بعد مواجهة استمرت ثلاث سنوات. المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٩٨، عن بنود الاتفاقية انظر ايضاً: ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٩٨، ابن الوردي، تممة المختصر، ٢/١٩٢، الصفدي، الرواي بالوفيات، ٩/٤٧٢، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٤١٥، ابن تفرج بردي، النجوم الزاهرة، ٧/١٢-١٣، بينما تشير مصادر اخرى الى الاتفاقية من غير الخوض في التفاصيل انظر: بيبس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ١٩، الذهبي، تاريخ الاسلام، (حوادث ٦٥١-٦٦٠ هـ)، ص ٢٦.

(٣) يتفرد المؤلف بذكر هذه الايات من بين المصادر.

الدين بن مجلي الهكاري ووصل مصر، وحلف الملك المعز، وعاد الى القاهرة وتمكن في سلطنته^(١).

ودخل عسكر الملك الناصر دمشق، وخرج والتقاهم وخلع عليهم واعطاهم دستوراً تفرقوا في بلادهم واقطاعاتهم، واقام الملك الناصر بقلعة دمشق. وفيها خرج اللعين (هلاوون)^(٢) من الاردو^(٣) بالمغل فخافه بايجو^(٤) وكتب بغداد مراراً ان يتفقوا معه ويدخل في الاسلام ويلتقيه فخافوا ان يكون ذلك مكيدة عليهم فما اجابوه.

(١) ينفرد المؤلف بذكر هذه التفاصيل.

(٢) هو هولاكو خان الابن الخامس لتولوي خان. الهمذاني، جامع التواريخ، ص ١٦٢، تولى قيادة العساكر المغولية الراحفة نحو غرب اسيا بتكليف من اخيه منكوخان، وتوفي سنة (٦٤٤هـ/ ١٢٦٥م). ابن العماد، شذرات الذهب، ٣١٦/٥.

(٣) اردو: كلمة تركية تعني معسكر او قاعدة عسكرية. التوخي، المعجم الذهبي، ص ٦٠.

(٤) هو بايجونين اي الأمير بايجو، الذي تولى قيادة عسكر المغول الذي هاجم اطراف بغداد في خلافة المستنصر بالله (ت ٦٤٠هـ)، واستولوا ايضاً على اربيل، اربيل وهي [ههولير عاصمة العراق الصيفية سابقاً، وعاصمة اقليم كردستان العراق حالياً] بعد حصار وقتال، فتحصن اهل المدينة بالقلعة وحاربوا بعنف، وعندما حركت بغداد العساكر لانقاذ اربيل رحل عنها المغول وولوا هارين. الهمذاني، جامع التواريخ، ص ١٩١، وتولى قيادة العمليات العسكرية في آسيا الصغرى ضد سلاجقة الروم بأمر من هولاكو وتمكن من اخضاعهم سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م، بعد الانتصار الذي حققه عليهم في معركة كوساداغ في شهر (محرم/ حزيران) من نفس السنة. انظر: ابن العديم، زبدة حلب، ٢٦٨/٣ - ٢٦٩، ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق، ١٩٥٥م، ص ٧٤٧، ابن واصل، مفرج الكسروب، ٣١٣/٥ - ٣١٤، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٢٧٦/٢، وقد حضر بايجو امام هولاكو في همذان سنة (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) بعد ان اخضع الاخير بلاد الاسماعيلية، من غير ان يحقق بايجو مهمته وهي اخضاع آسيا الصغرى وبلاد الشام، فاستشاط هولاكو غضباً، وامره بالعودة والاستيلاء عليها وخاصة بلاد الشام حتى سواحل البحر المتوسط. الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ١، ص ص ٢٦٠ - ٢٦١، ويشير ابن العبري بشكل غير مباشر الى اعتقاد الناس بوجود خلاف بين هولاكو خان وقائده بايجونين. تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٤. ثم قتله هولاكو سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م، عندما بلغه انه كاتب الخليفة وهو في الجانب الغربي. الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٦٥١هـ/ ٦٦٠هـ)، ص ٣٧، بعد احتلال بغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) اظهر هولاكو نعمته على قائده بايجونين لما بلغه عنه من اضرار الخلاف، وانه تأخر عن قصده عندما استدعاه لانه كان ظامعاً في بلاد الروم، فدس له السم، وقيل انه كان قد اسلم قبل موته، ولما احتضر اوصى بان يغسل ويدفن على طريقة المسلمين، ببيرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٤١.

وكذلك اعتمد مع الملك الناصر^(١).

وابتداً هلاوون بقلعة الموت وبلادها وبلاد الاسماعيلية المجاورة لها، ورمى فيهم السيف ولم يبق منهم الا من تحصن بقلعة، فلم [١٩٤- أ] يزل محاصراً لألوت وقلعها ومضايقا لها الى ان ملكها، وقتل صاحبها^(٢) وجميع الاسماعيلية الذين بها. وحصل ببغداد والشام وسائر ملوك الاسلام منه رعب عظيم، ووصل كتاب السيد الشريف صاحب تاج الدين بن صلاحيا نائب الخليفة باربل الى الملك الناصر، وهو يحضه على اتفاق الكلمة، والجمع والاستخدام، وان يأخذ معه عسكر مصر، ويتفق مع عسكر الروم والجزيرة وبغداد والموصل، ويبادرو قصد هلاوون قبل ان يقصدتهم، ولا يقدرين على الاجتماع، ويقول في كتابه: وان لم يتفق ذلك فتحصنوا القلاع وتهتمون بحفضها، فالامر اعظم مما يخطر لكم، فهذا الرجل ما ينفع معه مداراة، وما قصده الا ملك الارض اجمع، ولا يقاس بغيره.

وكانت الغفلة قد عمت القلوب لامر يريده الله تعالى.

واجتمع اليه بايجو والتتار الذين كانوا بدربايبكان وجهزههم للروم، فحال وصولهم الروم هرب صاحبها^(٣) الى بلاد الاشكري^(٤)، وملكوهما من غير ممانع ولا دافع.

(١) معلومة نادرة وفريدة لم ترد في مصدر اخر.

(٢) هو ركن الدين خورشاه استسلم هولانكو بعد ان امنه في (محرم/ كانون الثاني) سنة ٦٥٥ هـ/ ١٢٥٧ م بمنحه شارات الامان المغولية، ثم ارسله الى الخان الاعظم منكوخان فأمر الاخير بقتله مع جميع اهل بيته صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، بعد ان اكرمه هولانكو للاستعانة به في اخضاع بلاد الاسماعيلية وقلعهم. الهمداني، جامع التواريخ (تاريخ المغول)، م ٢، ج ١، ص ٢٥٥ - ٢٥٨.

(٣) في سنة (٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥ م) ارسل بايجونين الى سلطان الروم عز الدين كيكائوس يطلب منه مكاناً يشى به لان بلد موغان الذي كان فيه صار مشى هولانكو فلم يجبه السلطان الى ذلك وطعم فيه، وظنه منهزماً بين يدي هولانكو، فحاربه عند خان السلطان بين قونية واقسرا، فانكسر عز الدين وهرب، فاخرج بايجو اخاه ركن الدين قليح ارسلان من الحبس الذي كان قد اودعه فيه عز الدين سنة ٦٥٢ هـ، وولاه على جميع بلاد الروم. ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٣ - ٢٦٤، بيري الدوادار، زبدة الفكرة، ص ١٠ - ٢٣.

(٤) عند، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٤، ((وهروب متوغلاً في بلاده الداخلة)). وبلاد الاشكري.

وعادوا الى خلاط، ووصلوا مياضارقين، وكان صاحبها الملك الكامل بن شهاب الدين غازي قد توجه الى خدمة هلاوون ودخل في الطاعة واكرمه، وكتب له فرمان بذلك وعاد الى بلاده.

وفيهما غرقت بغداد غرقاً شنيعاً لم يعهد بمثله، بحيث انتقل الخليفة الى دار المسناة، ودخل الماء الى دار الخليفة والوزير وغرقت خزائن الخليفة والناير^(١) [١٩٤-ب].
وفيهما....^(٢)

وفيهما فرغ الملك الناصر ايضاً في عمارة تربته على جانب نهر يزيد بسفح جبل قاسيون، واهتم بعمارتها غاية الاهتمام، وكان يحضر العمارة بنفسه، ويحضر معه جماعة من الامراء، وكبار الحلقة، ويعملون فيها ويمد لهم، ولن يعمل من الصناعات السماط والحلوى، وبنى بها عمارات وقاعات واثارات ما بنيت بقاسيون لغيره، وهي الى الآخر عبرة لمن اعتبر، فانه قتل مثل اقل الناس ورمي ولا يعرف له قبر رحمه الله تعالى^(٣).

(١) عن غرق بغداد في هذه السنة انظر ايضاً: ابن دقناق، نزهة الانام، ص ٢٢٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٩٤/٨، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٩٥، الذهبي، دول الاسلام، ١٥٨/٢، وتاريخ الاسلام (حوادث ٦٥١-٦٦٠ هـ)، ص ٢٣، الكتبي، عيون السواربخ، ٨٧-٨٦/٢٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠٢/١٣، العيني، عقد الجمان، ١٢٦/١-١٢٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٥/٧، الغساني، المسجد المسبوك، ٦١٤/٢-٦١٦.

(٢) يوجد تلف في المخطوط بمقدار اربعة اسطر حال دون قراءة النص ويظهر ان النص يتكلم عن التتاج الملك العزيز لمدرسته التي انشأها بدمشق داخل باب القرايس، وحضر الملك الناصر واقفها والامراء والفقهاء والقضاة، ودرس فيها قاضي البلد صدر الدين بن سني الدولة الشافعي، وكان يوماً مشهوداً.

وقد ورد ذلك الخبر في: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ٢٣٠، الذهبي، تاريخ الاسلام، (حوادث ٦٥١-٦٦٠ هـ)، ص ٢٥، الكتبي، عيون السواربخ، ٨٧/٢٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠/١٣، العيني، عقد الجمان، ١٢١/١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٥/٧، النعمسي، الدارس، ٤٥٩/١.

(٣) انفق الملك الناصر كثيراً على العمائر ومنها تربته، ولم يتبه لقول رسل هولاكو عندما رأوا تربته وما انفق عليها: مادام هولاكو خلفه لن يتركه ليدفن حيثما يختار. الكتبي، عيون السواربخ، ٢٦١/٢٠.

٦٥٥ هـ

السنة الخامسة والخمسون وستمانه

فيها توفي الملك الناصر صلاح الدين داود^(١) بن الملك المعظم عيسى بن ابي بكر بن ايوب، بقرية البويضا^(٢) من غوطة دمشق، وهو على غاية ما يمكن من الفاقة والفقير، بحيث حصل له في هذا المرض ضعف، فعجزوا له عن احضار فراريج يصلحوا باله، وخرج الملك الناصر يوسف الى جنازته، ولم يخرج من اهل دمشق احد^(٣)، ودفن في تربة والده، وكان فاضلاً عالماً شاعراً اديباً ذكياً، كريماً محباً للخير، معظماً للعلماء والفقراء، وكان له اليد الطولى في علم [١٩٥-١] الارض والمنطق والطبيعي، مع [...] ^(٤) وله مشاركة في كل شيء من حل كتاب اقليدس وكان شيخه الشيخ شمس الدين الخسرو شاهي، وكان يحفظ اشعار كثيرة، وعلى ذهنه من التواريخ وايام العرب شيء كثير، وينقل من اللغة، ويعرف

(١) داود: السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابو المفاخر، وابو المظفر بن السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل محمد بن ايوب بن شاذي بن مروان، ولد بدمشق في جمادي الاخرة سنة ست وستمانه. عنه انظر: ابن دقماق، نزهة الانام، ص ص ٢٣٥ - ٢٣٨، ابو شامة: الذيل على الروضتين، ص ٣٠٦، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/٢٣٦، ٣/١١، ٤٢، ٤٤، ١٦٦، ١٦٧، ٣٢٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/١٨٨، ١٩١ - ١٩٣، ٢٠٦، ٢١٩ - ٢٣٨، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ١/١٢٦ - ١٨٤، بيارس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٤٤، ابر الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٩٨ - ٢٩٩، الدواداري، كنز الدرر، ٨/٣٦ - ٣٧، الكتبي، عيون السواريخ، ٢٠/١٦٨ - ١٧٦، الذهبي، دول الاسلام، ٢/١٦٠، وتاريخ الاسلام (حوادث سنة ٦٥١ - ٦٦٠ هـ)، ص ص ٢٣٨ - ٢٥٠، ٣٠٣ - ٣٠٤، ابن الوردي، تنمة المختصر، ٢/١٩٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٢٢٧ - ٢٢٨، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤١٢، العيني، عقد الجمان، ١/١٩٨ - ١٩٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/٦١ - ٦٢، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص ٣٤٦ - ٣٥٨، الغساني، المسجد المسبوك، النعيمي، المدارس، ١/٥٨١، ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٢٧٥.

(٢) تقع في الغوطة قبلي دمشق. ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٠٦.

(٣) مع انه كان يحظى بتأييد اهل الشام ((وانهم كانوا يميلون اليه)). ابن واصل، مفرج الكروب، ١٧٣/٥.

(٤) كلمة مطموسة.

النحو، ويعرف مذهب الامام ابي حنيفة معرفة جيدة، بحيث يقطع الفقهاء العرويين في بحثه.

تقلب به الزمان، وناء مراراً عن الاوطان، وسيره والده الى اربيل، فاقام بها مدة سنتين، وذلك انه كان قد اتفق مع الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين، بحيث صارت كلمتهم واحدة، وكان مظفر الدين قد كبر سنه، فطلب من الملك المعظم شرف الدين عيسى ان يرسل اليه ولده، بحيث ان جرى عليه موت يتسلم اربيل^(١)، فاكرمه مظفر الدين واقطعه بشتدر والرانة^(٢)، واقام له راتباً عظيماً، ومع ذلك فكان يشتاق الى دمشق ونزوها، فسير والده وطلبه فعاد الى دمشق سنة ثلاث وعشرين وستمائة، واقام الى سنة اربع وعشرين، فتوفي والده، وقام في السلطنة بعده الى سنة خمس وعشرين، فحصره الملك الكامل والملك الاشرف، واخذوا منه دمشق، وعوضوه عنها الكرك، والشوبك والخليل وبلد القدس، ونابلس، وبيسان، والاغوار، والبلقاء، والصلت^(٣).

فانتقل الى الكرك، ثم حصل من الملك الكامل تغيراً عليه، لما نقل عنه انه كاتب صاحب الروم^(٤)، فخاف من الملك الكامل وتوجه الى بغداد، واقام بها مدة، لم ينال غرض^(٥) سوى ان سيروا من شفقوا [١٩٥-ب] عند الملك الكامل، وعاد الى الكرك.

(١) لان مظفر الدين لم يكن له ولد. ابر الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٥٤.

(٢) الرانة: يبدو انها مدينة رانية الحالية، وهي مركز قضاء، تتبع محافظة السليمانية في اقليم كوردستان العراق، وقد انطلقت منها الشرارة الاولى في انتفاضة كوردستان العراق ضد نظام حكم صدام حسين عام ١٩٩١م.

(٣) عن تلك الاحداث انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٦٤٤-٦٥٧، ابن العميد، اخبار الايبيين، ص ١٣٧-١٣٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/٢٥٧-٢٥٨، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/٢٣٨-٢٤١، الذهبي، دول الاسلام، ٢/١٣١-١٣٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٣٢-١٣٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٢٧، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٤٦-٣٤٨.

(٤) كان ذلك سنة (٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م)، للزيادة انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/٨٢-٨٣، ٨٣، ١٠٠-١١٤.

(٥) رغم الخفاوة والتكريم الذي استقبل به الملك الناصر داود من لندن الخلافة، الا ان الخليفة المستنصر بالله لم يسمح له بمقابلته اول الامر مراعاة للملك الكامل، غير ان الخليفة استجاب في الاخير لالتماسه واراد وان يجمع بين المصلحتين، فاستدعاه واستقبله سرا ((جبراً لقلبه ورعاية في عدم الجهر للسلطان الملك الكامل)). ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/١٠٦.

ولما حصل الخلف بين الملك الكامل والملك الاشرف، سير اليه الملك الكامل القاضي الاشرف بن القاضي الفاضل، وسير اليه الملك الاشرف صفى الدين بن مرزوق، كل منهم يطلبه ان يكون معه، فمال الى الملك الكامل^(١)، وكتب اليه كتاباً اوله:
وما شئت الا ان اذل عواذلي على ان تراني في هواك اموت [...] ^(٢).

(١) انظر: ابن دقماق، نزهة الانام؛ ص ص ٨٤ - ٨٥، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٢٤/٥ - ١٢٦، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢ / ٢٦١، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣١٦.

(٢) بقية الاسطر من الورقة (١٩٧) غير واضحة وغير مقروءة، والكلمات متقطعة اما باقي الورقة المذكورة اضافة الى الورقة الاخرى التي هي نهاية الموجود من المخطوطة فيظهر انها قد تعرضت الى رطوبة وادت الى مسح الكلمات وتداخلت الاسطور مع بعضها الاخر، واصبحت عديمة الفائدة.

فهرست الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿والتين والزيتوني﴾	١	التين	١٣٠ ٣٦٠
﴿اليس لي ملك مصر﴾	٥١	الزخرف	١٣٠
﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾	١٠٥	الأنبياء	١٤٦
﴿ولقد مننا عليك مرة اخرى﴾	٣٧	طه	١٤٧
﴿وكذلك اخذ ربك اذ اخذ القرى﴾	١٠٢	هود	١٤٧
﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾	٥٥	النور	١٥٠
﴿نصر من الله وفتح قريب﴾	١٣	الصف	١٥١
﴿إنا لله وإنا اليه راجعون﴾	١٥٦	البقرة	١٩٧
﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾	٢٢	الحشر	٢١١
﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾	٢١	الاحزاب	٢١٢
﴿ان يكن منكم عشرون صابرون﴾	٦٥	الانفال	٢٣٠
﴿ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها﴾	٣٧	النمل	٢٣٠
﴿وعد الله لا يخلف اليعاد﴾	٣١	الرعد	٢٥٨
﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾	٣٧	البقرة	٢٥٩
﴿واذ واعدنا موسى اربعين ليلة﴾	٥١	البقرة	٢٥٩
﴿واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا﴾	٥٤	الانعام	٢٦١
﴿وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به﴾	١٣٦	النحل	٢٦٢
آيات الحرس	٢٥-٢٦، ٤٠	التوبة	٢٨٨
	٩-١١	الاحزاب	
	١٣٣-١٣٦،	آل عمران	
	٢٠٠		
	٢٨	الانفال	
	١٧٧-١٥٥	البقرة	
﴿وما اتخذ الله من ولد ذلك عيسى بن مريم﴾	٢٤-٢٥	مريم	٢٧٦



فهرس الاماكن والبلدان

(١)

آسيا: ٧٦ ، ١٧٧ ، ٣١٤ ، ٥٢٥

آسيا الصغرى: ١٧٧ ، ٣١٤ ، ٥٢٥

آمنـد: ٦٦ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢١ ، ١٥٢ ، ٢١٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ،

٢٣٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤٢٩

أبي قبيس: ١٢٨

أبيورد: ٣٣٧

أتكو: ٤٥٦

أترار: ٣١٩ ، ٣١٨

أخميم: ٢٩٢

أذربيجان: ٤٥ ، ٨٠ ، ١٣١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٥٥ ، ٢٩٩ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ،

٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧

اراس= ارس (نهر): ٣٦٠ ، ٣٨٧

اران: ١٣١ ، ٣٦٢ ، ٣٨٧

ارانية: ٢٢٢ ، ٢٢٧

اربل: ٤٥ ، ٥٠ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ،

٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٩ ، ٣٢٩ ،

٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ،

٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٥٢٩

أرجيش: ٢٨٥

الأردن: ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥٦ ، ٢٥٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٩ ، ٣٩٤ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٦٧ ، ٥٠٤ ، ٥١٧

أردبيل: ٣٦١

أرزن: ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣٦٢ ، ٣٨٥

أرزن الروم= ارضروم: ٢٧٩ ، ٣٦٢ ، ٣٨٢

- أرزجان: ٢٨٢
أرسوف: ١٩٩، ٢٠٠، ٥١٩
أرمينية: ٤٥، ٨٠، ١٠٧، ١٢٠، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٩٥، ٣٥١
أرمية: ٢٧١
أريحا: ٣٠٩، ٣٩٥
أسبانيا: ٣٢٩
الاستناداد: ٣٢٧
أسعد = سيرت: ٢٨٧
الأسكندرية: ١١٤، ١٤٠، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣٣٣، ٣٦٨، ٤٥٦، ٤٨٤، ٤٩٦، ٥١٥
أسوان: ١٢٣، ٢٤٠، ٣١٥، ٥١٤
أسيوط: ٥٠٨، ٥١٤
اشمون طنّاح: ٤٦٣، ٤٥٧، ٤٥٦، ١٢٢٢
أصطخر: ٢٥٤
أصفهان: ٢٢٢، ٢٦٢، ٢٩٠، ٣٦٦، ٣٦٧، ٢٨٩
أعزاز: ١٢٥، ٢٥٤
الأشوار: ١٢٥، ١٣٦، ٥١٧، ٥٢٩
أفامية: ١٥٨، ٢٥٦، ٣٦٧
إفريقية: ٢١٢
أفغانستان: ٢٢٨
أقصر: ١٠٨، ٢١٤
اللاذقية: ١٥٧، ١٦٠، ٢١٣، ٢١٤
الموت: ٩٦، ٢٠٥، ٢٤٩، ٢٩٠، ٢٩٩، ٣١٠، ٥٢٦
الاندلس: ٢١، ٤٤، ٢٢٩، ٢٣٠
انطاكية: ٦٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٢١، ١٢٢، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٨، ١٧٩، ١٨١، ٢٧٢، ٤٥٨
انطرسوس: ١٥٧
اوجا: ٣٥٦، ٣٤٦
أوريا: ٧٤، ١٨١، ١٩١، ٢٣٥
أيلة: ١١٣، ١٤٢

(ب)

- باب الابواب: ١٠٧، ٣٦١، ٣٦٢، ٤٠١
- باب أربعين: ٤٠٣
- باب البديرية: ١٣٦
- باب توما: ٤١٥، ٤٤١
- باب العجائية: ٤١٤، ٤٩١
- باب الجسر: ١١٨
- باب الزهاق: ٣٦٥
- باب السلامة: ٣٤١، ٣٦٤، ٤١٥
- باب الشرق: ١١٨، ٢٤١
- باب الصغير: ٣٩١، ٤١٤، ٤١٩، ٤٩٢
- باب العمادي: ١١٨
- باب الفراديس: ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٦٤، ٥٢٧
- باب كيسان: ٤١٤
- باب النصر: ١٢٥، ٣٨١، ٤١٤، ٤١٩
- باب النوبي: ٧٦، ٨٥، ٢٣٤
- بابورة: ٣٢٢
- بادية طي: ٢٩٥
- البياردة: ٢٥٥، ٥١٩، ٥٢٣
- بالس: ٤٣٠
- باناس: ١٢٠، ١٣٥
- بانياس: ١٠٥، ١٤٧، ١٦٧، ١٨٤، ٢١٣، ٢٤١، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٩٢، ٣١٧، ٣٨١، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٣١
- باهستي: ١١١
- بجر اشمووم: ٤٦٥
- البحر الأحمر: ٧٨، ١١٣، ١١٩
- البحيرة: ١٤٤، ٣٧١
- بحيرة الحولة: ١٩٩
- بجر الشام: ١١٤، ١١٦، ١٤١، ١٤٩، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٨، ١٨٨، ١٩٩، ٢٠٠
- بحيرة سد اسكي موصل: ١٢٣

- بحيرة طبرية: ١١٦، ١٤٤، ٤٢٢
- بحيرة قدس: ٢٧٢
- بحر قزوين: ٣٦٠
- بحر القلزم: ١١٥، ١١٩
- البحر المالح: ٣١٧
- البحر المتوسط: ١٤٩، ٢٢٩، ٤٥٨، ٥٢٥
- بحر المحلة: ٤٧٨
- بحر النيل: ٤٦٥
- بحر الهند: ١١٥
- بحر اليمن: ١١٩
- بحر يوسف: ٥١٤
- بحيطيط: ٥٠١
- بخارى: ٢٧٦
- بردى: ٩٩، ٢٦٤
- برذعة: ٢٥٥، ٣٦٢
- بزاعة: ٣١٤
- برزة: ٢٦٤، ٢٦٧، ٤٢٦
- برزية: ١٥٩، ٢١٣
- برقعيد: ١٣٢
- البرلس: ٢٢٢
- البركة: ١١٥، ١١٦، ٢٢١، ٢٤٨
- بركري: ٣٧٢
- بشتدر: ٢٥٢، ٥٢٩
- بصرى: ١١٦، ١٤٢، ١٨٢، ٢٢١، ٢٢٨، ٣٠٩، ٣١٧، ٣٥٧، ٤٩٠
- البصرة: ٩٦، ١٢١، ١٥٥، ٢٥٨، ٢٥٥
- البطائحين= البطائح: ٥٢، ١٢١
- بعلبك: ١٠٥، ١٢٢، ١٤١، ١٥٦، ١٦٠، ٢٤٢، ٢٥٥، ٣٠٥، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٤، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٩٠، ٥٠٣

بغداد: ١٧، ١٨، ٢٢، ٣٣، ٤٥، ٤٦، ٥٤، ٧٥، ٧٦، ٨٠، ٨٥، ٨٦، ٩١، ٩٣، ١٠٠، ١٠٣، ١٣١، ١٣٧،
 ١٤٦، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٥، ١٦١، ١٦٢، ١٦٦، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٣٤، ٢٥٤،
 ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٨، ٣١٦،
 ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٣٣، ٤٦١، ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧

بغراس: ١٦٠، ١٦٨، ٢١٣

البقاع: ٤٤١، ٤٦٤

البقاع العزبي: ٤١٥

البقاعين: ٤١٥

البقعاء: ٣٧١

البقعاء: ١٠٧، ١١٦، ١٣١، ٤٤٧، ٥٠٧، ٥١٧، ٥٢٩

بلبيس: ٢٢٠، ٢٤٨، ٢٩٤، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٠

بلاد الاسماعيلية: ٩٦، ٥٢٥، ٥٣٦

بلاد الأشكري: ٥٣٦

بلاد الأيوانية: ٣٦٤

بلاد البربر: ٢٤٤

بلاد الجزيرة: ٢١٥، ٤٠٨، ٤٣٢

بلاد الترك: ٣٠٢، ٣٢٠

بلاد الديلم: ٢٥٥

بلاد الروم: ١٠٧، ١١١، ١٨٢، ٢٧٩، ٣٩٥، ٣٨٣، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٣٣، ٥٢٥، ٥٣٦

البلاد الساحلية: ١٥٧

بلد السرير: ٣٦٠

بلاد السند: ٣٢٨

بلاد الشام: ٢٠، ٢١، ٣٥، ٦٩، ٧٦، ٧٧، ٩٥، ١٣١، ١٥٦، ١٨٧، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣١٠، ٤٤٩، ٤٥٩، ٤٨٨،

٤٨٩، ٥٠٨، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٧، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥

البلاد الشرقية: ١١٦، ١٤٣

بلاشجان: ٣٦٠

بلاد العجم: ٢٩٩، ٣٤٤

بلاد ابن لاوون: ١٧٧

بلاد المصيصة: ١١١

بلاد هكاري: ١٠٢، ١٧٢، ٢٨٨

بلاد الهياصلة: ٢٢٤

بهسنا: ١١١، ٤٣٣

البوازيج: ٢١٢، ٢٥٨

بوتان: ١١٠

بوشره: ٢٧١

بوصير: ٢٣٢

البويضا: ٥٢٨

بياس: ١٤٠

البيضاء: ٢٥٤

بيت الآبار: ٤١٩، ٤٣١

البيت الحرام: ١٦٢، ٢٣٢

بيت رأس: ٢٩٤

بيت الاحزان: ٧٢، ١٠٦، ١٠٨

بيت جبرين: ١٠٢، ١٤٨، ٢٠٤، ٢٠٦

بيت لهيا: ٢٦٥، ٢٩٤

بيت المقدس: ٧٧، ١٠٠، ١٠٧، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٧٢، ٢٧٤، ٢٧٦، ٤٢٠، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٧٨

بيت نوبا: ٢٠٤، ٢٠٥

البريرة: ١١٦، ١١٧، ١٣٢

البيروان: ٢٥٤

بيسان: ١٢٦، ١٢٧، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٩٤، ٣٠٨، ٣٠٩

بيعة القمامة: ١٤٩

بيلقان: ٣٦٢، ٣٨٧

بينا: ١٤٨

(ت)

تبريز: ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٨٢، ٣٨٧

تبنين: ١٤٤، ١٤٧، ٢٠١، ٢٥٥، ٢٩٢، ٢٩٧، ٣١٧، ٤١٤، ٤١٩، ٤٣١

تبوك: ٢٩٧

تدمر: ١٣، ٤٥٧

تركستان: ٣٠٢، ٣١٩

ترمذ: ٣٢٠

تفليس: ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤

تكريت: ١٦٦، ٢٨٥، ٢٥٨، ٢٨٧

تل أعضر: ٢٧٠، ٣٢٩، ٣٣٠

تل باشر: ١٢٥، ١٨٤، ٢٣٦، ٣٦٤، ٣١٥، ٤٠٣، ٤٥٧، ٤٩٦

تل الحجل: ١٨٣

تل حطين: ١٤٤

تل خالد: ١٢٥

تل الخروية: ١٨٥، ١٩٠

تل السلطان: ١٣٨، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٦١

تل الصافية: ١٠٢، ٢٠٤، ٣١٣

تل عاصم: ٣٦٢

تل العجول: ٣٧٠، ٤٥٩، ٥٠٧، ٥١١، ٥١٢، ٥٢٣، ٥٢٤

تل العوجا: ٢٠٠

تل العياضية: ١٦٩، ١٨٣، ١٩٠، ١٩١، ١٩٨

تل الفضول: ١٩٠، ٥١٣

تل كيسان: ١٦٨، ١٨٣، ١٩٨

تل مشرف: ١٦٩، ١٧١

تل نور: ٤٠٦

تمنع: ٤٦١

تنيس: ٣٢٣، ٤٥٩

التهايم: ١١٥

تهامة: ١٢٠

تونس: ٤٥٧

(ث)

الثغور: ١٠٨، ١١١، ١١٦، ١٤٠، ١٥٩

ثنية العقاب: ٢٦٧، ٤٢٣، ٤٦٠

ثورا: ٩١، ٢٣٤، ٣٦٥

(ج)

جانين المرج: ٤٠٧، ٤٢٢

الجبال: ٤٥، ١٠٧، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٥، ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٨٢، ٣٠٠، ٣١٠، ٣٢٧، ٣٦٠،

٣٦٢، ٣٨٤، ٣٩٦، ٤٢٥، ٤٧١

جبال الساحل البهراء: ٩٦

جبال لبنان: ١٤٤

جبال اللور: ٣٥٥

الجباينة: ٢٩٥

جبله: ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ٢١٣

جبل الثلج: ١٦٧

جبل جور: ٢٥١، ٢٤٨

جبل الجزيرة: ١١٧

جبل الجليل: ١٥٦

جبل الخروية: ١٧٩، ١٨٤

جبل سنير: ٢٤٢

جبل الصالحية: ٣٩٨

جبل طارق: ٢٢٩

جبل الطور: ١١٦

جبل عاملة: ٤٣١

جبل عرفات: ٢٢٤، ٢٩٨

جبل عوف: ٢٩٥

جبل قاسيون: ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٦٥، ٤٠٢، ٥٢٧

جبل القبيق: ١٠٧، ٣٦٠، ٣٦١

جبل اللكام: ١٦٠

جبل النطرون: ٢٠١

جبل الهكار: ٣٣١

جدة: ١١٩

جديلة: ٤٦٥، ٤٧٥، ٤٧٩

جريا نغان: ٢٤٦

جرجان: ٢٥٠

جرزان: ٣٦١

الجزائر: ١٦٨، ٢٢١، ٢٢٤

الجزيرة: ٧٦، ٨٠، ١١٧، ١٢٠، ١٢٣، ١٣١، ١٣٣، ١٤٢، ١٤٣، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٧، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٤٢

٢٧٠، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٦، ٣١٥، ٣٨١، ٤٠١، ٤٠٨، ٤٢٩، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٩، ٤٨٨، ٥٣٦

جزيرة بن حسون: ٤٧٣

الجزيرة الخضراء: ٢٢٩

جزيرة ابن عمر: ١١٠، ١١٧، ٢٢٤، ٢٣١

جزيرة قبرص: ٨٠، ٢٦٧

جسر دعوق: ١٨٥

جسر منبج: ٢٦٧

جعفر: ٢١٤، ٢٨١، ٤٠١، ٤٣٠

الجفار: ٤٩٧

جملين: ٢١٢

جماعين: ٥٤، ٢٨٨، ٢٤٩

جماعيل: ٢٤٩

جوجر: ٤٦٥، ٤٧٤

جورجيا: ٣٦١

الجوف: ٢٢٩

جيحون: ٢٢٤، ٣٠٢، ٣٢٠، ٣٢٧

الجزيرة: ١٢٩، ٣١٥

(ح)

حارم: ١٠٣، ١٠٤، ١٢١، ١٨٩، ٢٧٤

حاني: ٢٥١

حبوة: ٤٧٧

(خ)

الخابور: ١١٧، ١٢٣، ٢٨٦، ٤٠١، ٤١٢، ٤٢٦، ٤٥٥

خانسر: ٣٤٦

ضجنير: ٣٤٧

خراسان: ٩٧، ٢٢٤، ٢٤٩، ٢٠٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٧

خربة اللصوص: ٢٩٨، ٣٠٩، ٤٢٣

خوتبرت: ٢٨٣، ٤٠٢

الخروبة: ١٧٢، ١٧٤، ١٩٠، ١٩١

خسفين: ٢٥٢

الخشبة: ٤٩٧

خلاط: ٤٥، ٤٩، ٦٢، ٧٢، ١١٢، ١٦١، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٥٥، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩٥، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٧٩

٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٩، ٤٢٥

الخليل: ١٤٨، ٣٧٧، ٥٠٧، ٥١٧، ٥٢٩

الخليج الرومي: ٢٢٩

الخوابي: ٩٦

خوارزم: ٢٥٠، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٢٧

خوزستان: ١٣١، ٣٦٦

خوي: ٢٧١، ٣٧٢

(د)

دارا: ١١٧

داريا: ٩٨، ٤٤٩، ٤٩١

الداروم: ١٤٨، ١٥١، ٢٠٣، ٢١٢، ٢٩٤، ٤٢٨، ٥١١

دامغان: ٣٦٦

ديورية: ١١٦، ٣٠٩

دجلة: ٤٦، ٩١، ١١٧، ١٢٠، ١٣٦، ٢٣٨، ٢٣٧، ٢٣٢، ٢٥٨

درب ساك: ١٦٠، ٢١٣، ٢٧٤

درب الشعارين: ٤٢٢، ٤٢٧

دربابكان: ٥٢٦

(د)

ذروة سريان: ٥١٤

(و)

الرأس: ٤٢٥

رأس العين: ١٢٠، ١٢٣، ١٨٤، ٣٥٢

رأس الماء: ١٤٢، ١٨٣، ٢٤٨، ٣٠٩

الرائفة: ٥٢٩

الراوندان: ٢٥٦

الرباط: ٩٠، ١٣٠، ٢٣٧

الربيعة: ١٧٣

الرحبة: ١٣٥، ٢٨٢

رحبة الزيداني: ٥٠٣

الرصافة: ٩٦

رعبان: ١٠٨، ٣١٤

رفح: ٤٢٨

الرفقة: ١١٢، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٣٠، ٢٧٨، ٢٨١، ٤٢٩، ٤٣٠

الرقيطا: ٢٧٣

رشيد: ٤٥٦

الرمل: ٤١٠، ٤٤٢، ٤٥٩

الرملة: ٧٠، ٧٤، ١٠٧، ١٠٨، ١٤٨، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٨، ٥١٩

الرها: ٦٩، ١١٦، ١١٧، ١٢٥، ١٨٢، ٢١٤، ٢٤٧، ٢٩٦، ٤٠٩، ٤١٧، ٤١٨، ٤٣٢، ٤٥٦

روبين: ٣٦١

روذبار: ٢٩٠

الروضة: ١٢٩

الري: ١٣٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٩٠، ٣٣٧، ٣٥٥، ٣٦٦

(ز)

الزاب: ٣٣١، ٣٣٢، ٣٥٢، ٣٥٨، ٣٩٩، ٤١٠

الزابين: ١٠٧

الزاب الاسفل: ٣٥٨

الزبداني: ٩٩، ٢٠١، ٣٤٨، ٣٨١، ٤١٥، ٤٤٩، ٥٠٣

زبطرة: ١١١

زبيد: ١١٥، ٣١٣، ٣٣٥

الزرقاء: ٤٤٨

الزعران: ١٧٣

الزلاقة: ٣١، ٤٤، ٣٢٩

زنجان: ٢٢٤، ٢٨٢، ٣٣٧

زوزن: ٢٢٧، ٣٦٠

(س)

السانح: ٢٤٨، ٣٥٩، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٩٥، ٤٩٧، ٥٠٧، ٥١١، ٥١٩

الساخور: ٣١٥، ٤٠١

الساحل الشامي: ٩٦، ٤٥٨

سبسطية: ٤٨

سجستان: ٩٧، ٣٣٧، ٣٤٦، ٣٦٢

السدير: ٤٩٧

سد الموصل: ٣٧١

سرخس: ١٢٢، ٣٣٧

سرمانية: ١٥٩

سروج: ١١٣، ١١٦، ٣٧٨، ٤٣٢، ٥٠٨

السريير = بلد السريير: ١٠٧، ٣٦٠

السلط = الصلت: ٢٩٥

سلماس: ٣٧١، ٣٧٩

سلمية: ١٣٥، ٣٣٩، ٣٧٨، ٤١١

سلوقان: ٣٥٥

السلامانية: ١٧، ٢٣، ١٤٦، ٣٥٢، ٣٩٦، ٥٢٩

سمرقند: ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٩، ٣٣٠

سموت= صموت: ٤٩٧

سميصات= سميساط: ١٠٨، ١١١، ١١٦، ١٨٢، ٢١٤، ٣٦٠، ٣٩٦

سنجار: ١١٣، ١١٧، ١٨، ١١٩، ١٣٣، ١٤٣، ١٥٦، ١٧١، ١٧٦، ١٨٧، ١٩٣، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٣٧٠،

٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٣، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٥٨، ٣٩٥، ٤٠١، ٤١٠، ٤١١، ٤١٣، ٤٢١،

٤٢٢، ٤٢٩

السواد: ١١٦، ٢٤٩، ٢٩٥، ٥٠٣، ٤٠١، ٤١٥، ٤٢٧، ٤٤٧، ٤٩٦

سوابيا: ١٨٩

السودان: ٦٩، ٩٧، ٢٥١، ٤٨٢

سوريا: ٦٩، ٤٠٢

سوق الخيل: ٤٢٦، ٤٦٣، ٥١٦

السويداء: ٤٠٢، ٤٠٧

(ش)

الشاغور: ٤١٥، ٤٧٧

شارا مساح= شرمساح: ٣١٧

الشام: ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٥٢، ٦٣، ٦٦، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٦، ٨٩، ٩٥، ٩٦،

٩٨، ١٠٢، ١١، ١١٢، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١٢٤، ١٣٥، ١٣٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٥، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧،

١٤٨، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٣، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٠،

٢١٤، ٢١٥، ٢٢٨، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨،

٢٩٩، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٦،

٣٩٨، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤٢٣، ٤٣١، ٤٣٦، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٦٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٧،

٥٠٢، ٥٠٨، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٧، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٢٩

شبختان: ٤٠٩

الشرف: ١٢٢، ١٣٠، ١٣٤، ٢٤٧، ٣٥٠، ٣٨٦، ٤١٨، ٤٢٤

الشعباني: ١٧٣

الشعرا: ٢٢٠٠

شعرا ارسوف: ٣٠٠

شعب القيقان: ١٤٣

(ض)

ضمير: ٢٤٢

(ط)

طبرية: ١١٦، ١٤١، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٩٩، ٣٠٩، ٤٣١، ٤٥٤، ٥٠٤

طخارستان: ٩٧

طرابلس: ٦٩، ٩٦، ١٠٨، ١٤١، ١٤٦، ١٥١، ١٥٦، ١٦٣، ١٨١، ٤٥٨

طرسوس: ١١١، ١٦٠

طلخا: ٣٩٤

طليطلة: ٢٢٩، ٢٣١، ٢٦٣

طمفاج: ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٩

الطور: ١١٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣، ٣٣١

الطينة: ٤٥٩

(ع)

العاصي: ١٥٨، ٢٧٢

العازرية: ٢٠٦

عانة: ٤٢٩

العباسة: ٢٤٩، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥١٩

عثما الغور: ٥١١

عجلون: ٢٩٤، ٩٥، ٣٠٩، ٤١٨، ٤٥٩، ٥٠٦

عدن: ٤٥، ١١٥، ١١٩

العراق: ١٧، ٢٣، ٣١، ٦٩، ٩٧، ١٥٣، ٢٢٤، ٢٩١، ٣١٢، ٣١٨، ٣٣٣، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٨٣، ٤٥٥، ٥٢٥

٥٣٩

العريش: ٤٧٧، ٥٢٤

العريمة: ٩٦

عسقلان: ١٠٢، ١٤٨، ١٥٠، ١٦١، ٢٠٠، ٣٠١، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٣، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٤

عقبة حسابان البلقاء: ٤٤٧

عقبة دمر: ٤٢٦

عقبة فيق: ١٣١، ١٨٢، ٣٧٨، ٤٢٧

عقبة شحورا: ٢١٦، ٢٤٧

العقر = عقر الحميدية: ٢٨٨، ٣٣١

العقبة: ٣٥٦، ٣٣٤، ٣٧٧، ٤٠٨، ٤١٥، ٤١٩، ٤٤١

عكا: ٣٢، ٤٠، ٤١، ٥٨، ٦٧، ١١٦، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٨، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١،

١٨٢، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٥٥، ٢٠٨، ٢٤٠، ٣٧٠، ٤٢٠، ٤٣٧، ٥١٢،

٥١٢

العلا: ٢٩٧

العليقة: ٩٦

العمادية: ٣٣١

عمان: ١٣١، ١٣٤، ١٤٣

العوينة: ١٣٥، ٣٢٦

العياضية: ١٦٩، ١٧١، ١٨٣، ١٩٠، ١٩١

عيناب: ١١٩

عين ناب: ١٢٢

عين جبر: ٤٣٦

عين جالوت: ٧٦، ١٢١، ١٣٦

عين الكرش: ٣٦٥

(غ)

غياغب: ٢٠٩

الغراف: ١٢٦

غزقة: ١٠٢، ١٤٨، ٢١٣، ٢٩٤، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٥٠، ٤٩٥، ٥٠٢،

٥٠٦، ٥١١، ٥١٩

غزنة: ٩٧، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٥٤

الأغوار: ١٣٥، ١٣٦

الغور: ١٢٦، ١٣١، ١٤٤، ٢٩٤، ٣٩٥، ٣٠٩، ٥١٨، ٥١٩

الغوظة: ٩٨، ٣٦٤، ٤٣٦، ٥٢٨

(ف)

فارس: ١٢١، ٢٣٧، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٢

فارسكور: ٤٧٩

الفرات: ١٠٨، ١١١، ١١٦، ١٢٣، ١٢٧، ١٤٠، ١٨٢، ٢١٢، ٢١٩، ٢٥٢، ٢٨١، ٤١١، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٣٧،

٤٥٧، ٤٦٧، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥٠١، ٥٠٨، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨

الفرما: ٤١٠، ٤٥٩

فرنسا: ٢٥، ٤٤، ٧٣، ٧٧، ٨٧، ١٧٩، ٢٤٠، ٤٥٧، ٤٧٤، ٥١٢

فسطاط: ١٢٩، ١٣٠، ١٣٠، ١٣٢، ١٦٥، ٢٢٠، ٢٣٩، ٤٩٧

فلسطين: ١٠٢، ١٠٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٤٨، ١٦٨، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٤٩، ٤١٨، ٤٤٢،

٤٦٧، ٥٠٤، ٥١٧، ٥١٩

الغوار: ٢١٩، ٥٠٦، ٥١٨

الغولة: ١٢٦، ١٢٧

فيق: ١٨٢، ٢٧٨، ٤٢٧

الغيوم: ٢٢٩، ٢٤٢

(ق)

القاينون: ٤١٧

قاسيون: ٩١، ٩٩، ١٠٠، ١٢٥، ١٧٥، ٢٣٨، ٢٧١، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٦، ٣٤٩، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٩٢،

٣٩٤، ٣٩٨، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٢٠، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٣٥، ٤٤٠، ٤٤٥، ٤٥٢، ٥٢١، ٥٢٧

قاشان: ٣٦٦، ٣٦٧

القاهرة: ١٧، ٢٢، ٢٤، ٥٤، ٥٨، ٧٩، ٩٧، ٩٨، ١١٣، ١١٥، ١١٩، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٦٤، ١٦٦، ٢٢٩،

٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٩٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٢، ٣٣٠، ٣٣٧

قبرص: ٤٥، ٨٠، ٢٥٥، ٢٦٧، ٤٥٨

القدس: ٢٦، ٢٦، ٢٩، ٧٠، ٨١، ٩٠، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١١٣، ١٢٤، ١٤١، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢،

١٥٣، ١٥٤، ١٦١، ١٧٤، ١٨١، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٠،

٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٦٣، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٧٠،

٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٤١٨، ٤٢١، ٤٣٣، ٤٤٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٥٠٢، ٥١١، ٥١٧، ٥٢٩

القدموس: ٦٩

القرافة: ٩٨، ١٣٠، ٢٣٩، ٢٤٤، ٤٨٩، ٥٠٣، ٤٨٩

- قرطبة: ٢٢٩
قرقيسيا: ٣٣٠، ٤١٢
قرميسين: ٢٢٤، ٢٢٧
قرن حطين: ٢٩٥
قريشيا: ٤٥٩
قزوين (بحر): ٢٢٤، ٢٩٠، ٢٢٧، ٣٦٠
قسطلان: ١٠٧
القسطنطينية: ١٧٧، ١٨١، ٢١٢
قشالة: ٣١، ٤٤، ٧٣، ٧٧، ٢٢٩
القصب: ٤١٩، ٤٤٣، ٤٥٧، ٤٦٠
قصر الحجاج: ٣٧٧
قصر يعقوب: ١٠٦، ١٠٨
القصير: ٢٦٣، ٢٦٧، ٤٢٢، ٤٩١
القطيفة: ٤٩١، ٤٦٠
القلزم (بحر): ١١٥، ١١٩، ١٤٣
قلعة أبي الحسن: ٢٩٢
قلعة الجبل: ١٦٦، ٤٥٨، ٤٨٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥١٤
قلاع الدعوة: ٦٩
قلعة النجم: ٢٦٧، ٢٦٩
القلية: ٩٦
القليوب: ١٢٩
القلمون: ٤٠٤
القند: ٣٣١
قندهار: ٣٢٨
القنطرة: ٢٥٢، ٢٦٢
قوص: ١٢٣، ٣١٥
قونية: ١٧٧، ٣١٤، ٥٢٦
قيسارية: ١٩٩، ٣٠٠، ٤٤٢، ٥١٣
قيمر: ٤٢٥، ٥٢١

القيمون: ١٩٨، ١٩٩، ٢١٥

(ك)

كاني عهرهبي= رأس العين: ١٢٠

الكرخ: ١٣٦

كردانة: ٥١٣

الكراع: ٤٩٧

الكرك: ٥٦، ٦٢، ٧٣، ١١٣، ١١٥، ١١٩، ١٢٨، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٦، ١٦١، ١٦٣، ٢٠٩،

٢١٣، ٢١٤، ٢٩٥، ٢١٣، ٣٢١، ٣٥٧، ٣٧٧، ٤١٤، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩،

٤٥٠، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٩

كرمان: ٩٧، ٢٥٢، ٢٥٥، ٣٦٢، ٣٦٧، ٣٨٧

كفر زمار: ١٣٢، ٢٧١

كفر طاب: ١٠٥

الكلاسة: ٢١١، ٢٢٢، ٢٥٥

كنجة: ٢٢٧، ٣٦٤

الكهف: ٩٦

كواشي: ١٧٣

كوردستان: ٦٩، ١٠٣، ١٠٧، ١٤٢، ١٤٦، ٣٣١، ٣٥٢، ٣٦٦، ٢٩٦، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٢٩

كوكب: ١٥٦، ١٦١، ٢١٢، ٢٩٤، ٣٩٥

كيسون: ١١١

(ل)

لبنان: ١٣٠، ١٤٤، ١٥٦، ١٦٨، ٢٥٥، ٤٦٧، ٥٠٤، ٥١٧

اللد: ٣٠٨

لوبيه: ١٤٤

(م)

ساردين: ٤٩، ١١٧، ١٢٠، ١٣٦، ٣١٥، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨٥، ٣٢٩،

٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٨، ٣٧٨، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤٢٩، ٤٥٦، ٤٩٦، ٥٠٦

مازندران: ٢٥٥ ، ٢٢٧ ، ٢٥٠

ماهان: ٢٨٧

ماوراء النهر: ٢٢٤ ، ٣٠٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٦٧

مجدل يابا: ١٤٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨

مراغة: ٢٢٧ ، ٢٥٦

مراكش: ٢٤٤ ، ٢٤٥

المرج: ٢٦٧ ، ٤٠٧

المرجة: ٢٤٧

مرج بلاطة: ٤٢٢

مرج دابق: ٢٧٤

مرج الصفير: ٢١٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٧ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٤١٨

مرج عنبرا: ٢١٦ ، ٤٦٠

مرج عكا: ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٩٦ ، ٤٤٥

مرج العيون: ١٠٧

مرج فلوس: ١٦٧

مرعش: ١١١

المرقب: ٩٦

مرند: ٢٧١ ، ٣٧٢

مرو: ٢٢٧ ، ٢٤٢

مسجد القدم: ٢٢٢

المشارف: ٢٣١

مصر: ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣

١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٦

٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤

٢٩٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٠ ، ٣٩٠ ، ٤٠٥

٤١٠ ، ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٣ ، ٤٤٨ ، ٤٥٦

٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٨

٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٧

٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٤١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣

مصيف: ٩٦

المصيصة: ١١١، ١٤٠

المعلب: ١٥٢، ١٥٤

المرعة: ١٠٥، ١٤٠، ٢١٠

مقارة الدم: ٢٨٨، ٢٨٩

المغرب: ٢١، ٤٤، ٤٦، ٥١، ٧٠، ٧٢، ٧٧، ٨٠، ١٤٠، ١٤١، ٢١٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٩٢، ٤١٧

المقطم: ١٣٠، ٤٨٩

مقابر الصوفية: ١٢٢، ٣٦٤، ٣٥٠، ٤٢٤، ٤٤٦

مكة: ٤٥، ٨٥، ١١٩، ١٢٨، ٢١٢، ٢٢٢، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٢٥، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٩٨، ٥١٤

مكران: ٣٣٧، ٣٦٢

الملاحه: ١٩٩

ملاذكرد= منازلجرد: ٢٢٥

منبج: ١٤٠، ٢٥٦، ٢٦٧، ٣١٤، ٤٣٢، ٣١٥

المنصورة: ٦٢، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨٠، ٥٢٢

المنبيج: ٢١٠، ٢٦٤، ٢٦٥، ٤٢٤

منية ابي عبدالله: ٤٧٩

منية السودان: ٤٨٢

الموزر: ١٨٢، ٢٧٨، ٢٩٦، ٤٠٩، ٤٢٢

الموصل: ١٧، ٧٥، ٧٩، ٩٠، ١٠٧، ١١٠، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢٦، ١٢٥، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٢، ١٤٣

٢٨٨، ٢٨٥، ٢٧٢، ٢٧١، ٢٧٠، ٢٥٨، ٢٤٧، ٢٤٢، ٢٣٧، ٢٣٤، ٢١٤، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٠٧، ٢١٢

٢٩٢، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٥٢، ٢٨١، ٢٩٤، ٢٩٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤٢٥، ٤٥٦

٤٩٦، ٥٠٦، ٥٢١

موقان: ٣٦٤، ٢٨٧

مياقارقين: ١٢٥، ١٣٢، ١٤٠، ٢٠٢، ٢١٢، ٢١٤، ٢٤٨، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٥١، ٢٥٢

الميدان الاخضر: ١٢٢، ٢٤١

الميماس: ٢٧٢

(ن)

نابلس: ٥٤، ١٠٧، ١٢٧، ١٣١، ١٥١، ١٧٠، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٨٨، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٦،

٢٢٤، ٢٤٩، ٣٦٩، ٣٦٦، ٣٧٧، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٧، ٤٢٨، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٤٢، ٤٤٣،

٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١١، ٥٢٩

الناصرية: ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٨، ٢٩٥

الناقورة: ١٦٨

نجد: ٣٨٤

نسا: ٣٣٧

نصيبين: ١١٧، ١٢٠، ١٢٣، ١٨٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٧١، ٢٨٦، ٤٠١، ٤١١، ٤١٣

نخجوان: ٣٧١، ٣٧٢

النطرون: ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٩، ٤٥٩، ٤٧٦

نفرين: ٢٠٢، ٢٤٧، ٣٤٩، ٣٨٩

نهر الأزرق: ١١١

نهر الأسود: ١١١، ١٦٠

نهر باماس: ٤٢٧

نهر بردى: ٩٩

نهر ثورا: ٩١، ٣٦٥

نهر جيحون: ٢٠٢

نهر الرس= آراس= ارس: ٣٨٧

نهر سنجة: ١١١

نهر السند: ٣٤٦

نهر طالوت: ٢٥٧

نهر العوجا: ٢٠٠

نهر الكوفة: ٢٠٩

نهر يزيد: ١٢٥، ٥٢٧

نيسابور: ٤٥، ٢٢٤، ٢٢٤، ٢٨٢، ٣٥٤، ٣٣٧

نوى: ٢٥٣، ٥٠٦

النيرب: ٣٧٤، ٤١٢، ٤٢٣، ٤٤٧

النيل (نهر): ٤٦، ٢٤٩، ٣١٥، ٣٣٣، ٤٥٦، ٤٦٥، ٤٧٢، ٤٧٩، ٤٨٦، ٤٨٩، ٥١٤

نينوى: ٢٧٠، ٣٣٣

(هـ)

الأهواز: ٣٥٥

الهامة: ٩٩

هراة: ٢٣٤، ٣٣٧، ٣٤٦

الهرث: ٢٢٢

هرور: ٣٣١

هكاري: ١٠٢، ١٧٢، ٢٨٨

همنان: ٤٩، ١٣١، ١٤٦، ١٥٥، ١٦١، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣١٠،

٣١٦، ٣٢٧، ٣٤٦، ٣٥٧

الهند: ٧٠، ٩٧، ١١٥، ٢١٣، ٢٤٩، ٣٠١، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٨٩، ٣٩٠

هولير: ٨٧، ١٠٧

هونين: ١٥٤، ٢٢٦، ٢٥٥، ٢٩٢، ٤٣١

هيت: ٤٢٩

(و)

وادي جهتم: ١٤٨

وادي القرى: ١١٣، ١٢٨، ١٣١، ٢٩٧

وادي موسى: ١١٥

واسط: ٢٢٣، ١٢١، ٣٥٥

الوالة: ١٢٨، ١٣١

الوجاء: ٥١٨

(ي)

يافا: ١٠٧، ١٠٨، ١٤٦، ١٨٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٣، ٣٧٣، ٣٧٧، ٤٥٨

يازور: ٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٢

يبنى: ٣٠١

يزد: ٢٥٤

اليمامة: ٢٢٢

اليمن: ٥٦، ٥٤، ٧٠، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٩٦، ١٠٠، ١١٥، ١٢٠، ١٢٢، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٥٤، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣١٨،

٢٥٢، ٢٤٤

يونين: ٢٢٢

فهرس الأعلام

(١)

آدم: ٢٥٨، ٢٥٩

الأعز يعقوب (الملك): ٢١٣

أبن أبي عصرون: ١٠٠

أبن أبي النجيب الشهرزوري: ١٤٦

أبراهيم (الملك الفائز): ٣٣٣

أبراهيم غلام المهراني: ١٤٥

أحمد بن حنبل (الامام): ٢٤٦، ٢٦٠

أحمد علي الرفاعي: ٥٢

أحمد ابن المشطوب: ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٠

أرسلان شاه بن عز الدين مسعود: ٤٨، ٢٤٢

أرسل: ١٩٥

أرغون آغا: ٥٠٨

أرناط= رينالد دي شاتيون: ٧٨

أزيك: ٢٩٩، ٣٤٧

أزلاغ شاه: ٢٣٦

أسامة بن منقذ: ٥٠، ٩٣، ٣٠٧

إسحاق: ١٨١، ٢٢٥، ٢٢٢

أسد الدين شيركو: ٢٨، ٦٠، ٨٨، ١٠٢، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٥٢، ١٦٦، ١٧١، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٣٧،

٢٦٧، ٢٧٥، ٤٠١، ٤١٤، ٤٩٤

أسد الدين بن عبدالله المهراني: ٣٠٠، ٣٧٩

إسماعيل بن الملك العادل: ٤٩٠

إلديكز: ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٨١، ٢٨٢

آق سنقر البرسقي: ١٢٦

أورخان: ٣٦٢

إيبك الأخرس: ١٦٧

إيبك الأفطس: ٢١١

إيبك فطيس: ٢٧٤، ٣٠٦

إيشيفا (أميرة الجليل وسيدة طبرية): ١٤١

(ب)

البادراتي: ٤٦١، ٥١١، ٥١٢، ٥٢٣

باتوخان: ٥٠٨

باليان الثالث: ١٠٧

بايجو نوين: ٥٠٨، ٥٢٥، ٥٢٦

بدر الدين دندرم: ١٢٥، ١٤٣، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٧

بدر الدين طليدمر الأحوث: ٤٩٨

بدر الدين بن أبي القاسم: ٣١٠

بدر الدين مودود شحنة دمشق: ٢١٠

بدر الدين الصوابي: ٤٦٧، ٤٩٤، ٥٢٣

بدران: ١٥٢

بدر الدين لؤلؤ: ٢٨٨، ٢٣١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٩٦، ٢٩٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤٢٩، ٤٤٩، ٥٢١

ابن برزان: ١٠٧

بركياروق ابن ملك شاه: ٢٣٦

بلدوين: ١٠٨، ١٤١، ٢٩٥

بكتمر: ١٣٢، ١٦١، ١٦٢، ٢١٥، ٣٧٩

ابي بكر الدينوري الحنبلي: ٢٥٧

البكر اسماعيل: ٩٥

بهاء الدين ابن أبي اليسر: ٢٤١

بهاء الدين بهادر: ٥١٦

بهاء الدين ابن التبنيني: ٣٦٨

بهاء الدين الريب: ١٣٣

بهاء الدين علي: ٣٩٩، ٥٠٧

بهاء الدين قراقوش: ٥٠، ١٦٦، ١٩٧، ٢٠٩، ٢٦٣، ٤٨٩

بهرام شاه ابن فرخشاه: ٤٨، ٥٨، ١٠٥، ١٠٩، ٢٨٦

البهلوان: ١٣١، ٢٢٣، ٢٩٠، ٢٩٩

بوري: ١٨، ١٣٣

(ت)

تاج الدولة تتش: ٢٢٦

تاج الدين أبو زيد الكندي: ٥٤، ١٢٢، ٢٠٥، ٢٥٠، ٣٦٨، ٣٩١

تاج الدين التغاين: ٢٨٣

تاج الدين أبين حمدون: ٥٠، ٨٩، ٩٣، ٢٩٢

تاج الدين خالص: ٢٩٢، ٣٩٩

تاج الدين النقاش: ٢٧٦

ابن ترجم: ٢٩٩

تركان خاتون: ٢٢٦، ٢٢٠، ٢٢٧، ٣٣٦

تكش بن ارسلان ابن آتسز: ٢٤٩

تقي الدين عمر: ١٠٠، ١٠٢، ١٠٨، ١١٨، ١٣١، ١٦٠، ٢٧٢، ٣٣٥

تميرك: ١٥٢، ٢٧٥

توران شاه: ٣٠، ٣٦، ٥١، ٥٨، ١١٥، ٣١٢، ٤٠١، ٤٤٣، ٤٦٩، ٤٨٥، ٤٩٣، ٥١٢، ٥١٨

تولي خان بن جنكيزخان: ٣٤٢، ٣٥٤

ابن تيمية: ٢٨٢

(ج)

جاي (الملك الصليبي): ١٤٤

ابن الجاولي: ١٩٥

جرديك ابن عبدالله النوري: ٥٦، ٣٦

جرگس: ٢٨١، ٢٩٢

جعفر بن أبي طالب: ٤٥٠

جعفر الصادق: ٩٥

جفري: ٢٢٢، ٢٢٥

جكر: ٤٤٩

جمال الدين الرومي: ٤٣١

جلال الدين منكبرتي: ٣٤، ٤٤، ٥١، ٥٨، ٦٣، ٧٠، ٧٢، ٨٨، ٢٢٤، ٢٦٣، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣١٨، ٣١٩.

٣٢٧، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٨١، ٣٨٢، ٥٠٣

جمال الدولة خليل: ٢٩٧

الجمال الزباد: ٣٤٥

جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي: ٣٤

جمال الدين خشتريين الأركشي: ١١٧

جمال الدين فرج: ٣٠٨

جمال الدين الكفائي: ٤٦٦

جمال الدين محسن: ٤٦٩

جمال الدين المصري: ٣٢٥

جمال الدين النجيبى: ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٩٥، ٤٩٩

جنكيز خان: ٣٤، ٧٦، ٣٠٠، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٤٣

جنيد: ٣٨٢، ٣٩٧

جمال الدين هارون: ٤٤٢

جهاركس: ٢١٧، ٢٤٠، ٢٩٢، ٣١٧، ٣٥٩، ٣٩٣

جيرار: ١٤٥

(ح)

الحاجب علي: ٢٥٢، ٢٧١، ٣٧٣، ٣٧٨، ٤١٨

الحافظ أرسلان شاه: ٤٩

حسام الدين بن أبي فراس: ٤٩١

حسام الدين بركة خان: ٤٣٦

حسام الدين بشارة: ١٦٦، ١٨٤، ٢١١، ٢٤١، ٣٥٦

حسام الدين الحاجب: ١١٩، ٣٧١

حسام الدين ابن خشتريين: ٣٦٤

حسام الدين ابن لاجين: ١٧٠، ١٨٢، ٣٢٦

حسام الدين نولو: ١١٩، ٤٢٧

حسام الدين المهراي: ١٤٨

حسكو: ٤٤٩

الحسن البصري: ٢٥٨

الحسن (قرلق): ٢٤٢

حسن بن قفجاق: ٢٢٣

ابو الحسن ابن قفل: ٢٢٤

الحسن ابن محمد: ٢٩٢

حسين ابن الجراحي: ٢٠٥

الحسين الحلاج: ٢٥٤٢٧١

حطان: ١١٥

حماد أبو الشفاء: ٣٦٨

أبن حمويه (شيخ الشيوخ): ٣٠٨

الحموي: ٤٩٦

حنا د برين (ملك القدس الصليبي): ٢٤٠

أبو حنيفة النعمان (الامام): ١٣٤

حيدر: ٢٧٨

(خ)

خاصيك: ٢٨٧، ٢٨٥، ٢٢٧

الخضر ابن محمد: ٢٨٢، ٥٢

الخزاعي: ٢٧٥

ابن الخشاب: ٢٢٧

خشترين الهكاري: ٢١٠

خليل: ٨٦، ٢٧٩، ٢٩٧، ٣١٦، ٣٣٣، ٢٩٣، ٤٢٩، ٤٣٦، ٤٣٧

(د)

المنيصري: ٤٢٣

(د)

ذرادوك: ٤١٥

(ر)

ربيعة خاتون بنت ايوب: ٥١، ٨٨، ٩١، ٢٩١، ٣٠٩، ٣٩٦

رسلان بغا: ١٧١

الرصاصي: ٤٩١

ركن الدين بييرس البندقداري: ٤٢٨، ٤٢٨، ٤٤٢، ٥١٧

ركن الدين خورشاه: ٥٢٦

ركن الدين المعظمي: ٤١٤

ركن الدين منكورس: ٤٠٤

ركن الدين الهيجاوي: ٤١٧، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٥٠

ريمند صنعيل: ١٤١

(ز)

الزاهر داود: ٢١٢

زكريا: ٤٤٤

ابي زكري: ١٩٢، ٢٧٢، ٤٢٥، ٥٠٧

زين الدين ابن يكتكين: ١٢٦، ٣٩٤

زين بن قراجا: ٢٤٢

زين الدين يوسف: ١٢٥، ١٣١، ١٧٧، ١٨٢، ٢٩٥، ٣٩٦

(س)

سالم: ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٣٦، ٤٤٠

سابق الدين: ٢٠٢، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٤١، ٣٢٢، ٤٥٤

سابق الدين ميثقال الجمدار: ٢٤١

سبيلا: ١٥٠

ست الشام بنت ايوب: ٥٢، ١٢٥، ٣٢٦، ٣٩١

سراسنقر: ١٧٥، ٢٤٠، ٣٠٦

- سعد الدين مسعود: ١٢٥، ٢٤١، ٣٠٩، ٢٩٦، ٤٤٥
- سعد الدين الحكيم: ٤٢٦
- سعد الدين بشير: ٤٢٥، ٤٤٩
- سعيد بن جديدة: ١٥٦
- سفري خاتون: ١٢٩
- ابو سفيان: ٢٦١
- ابن السلار: ٢٩١
- سليمان: ٩٦، ١٢٥، ١٣٩، ١٦٠، ١٨٩، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٨، ٣٧٥، ٤٢٥، ٥٠٧
- سكمان: ١٢٠، ١٣٢
- سنان ابن محمد: ٩٦
- سنجر ابن ملك شاه: ٢٣٦
- سنقر الحلبي: ٢٢٩، ٢٧١، ٢٩٧، ٣١٤، ٢٤٩
- سنقر السلحدار: ٢٧٩
- سنقر الوشافي: ١٩٥
- سيبويه: ٢٠٦، ٣٦٨
- سيف الدين الأمدي: ٣٣٦، ٤٠٤
- سيف الدين أركش: ٦٠، ١٢٨، ٢٢٠، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٨
- سيف الدين الحج بليان: ٤٣٦
- سيف الدين بكتوت: ٥١٨، ٥٢٠
- سيف الدين الرشيدى: ٥١٧
- سيف الدين سنقر الدوادار: ١٩٢
- سيف الدين غازي: ٤٨، ٥٣، ١١٠، ١٢٥، ١٣٦
- سيف الدين القيمري: ٤٠٢، ٤٢٤، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٩، ٤٨٥، ٤٩٣، ٤٩٩، ٥٠٠
- سيف الدين ابن كهيدان: ٢٥، ٢٤١
- سيف الدين ابن مرزيان: ٣٠٩
- سيف الدين يازكج: ١٧١

(ش)

الشافعي (الامام): ٣١٥

الشاطبي: ٤٤٤

شاور: ٢٢٧

شبل الدولة كافور الحسامي: ٥٠، ٩١

شجاع الدين ابن ابي زكري: ٥٠٧

شرف الدين امير اميران هندوا: ١١٨

شرف الدين بن ابي القاسم: ٤٢٧، ٥١١، ٥١٢

شرف الدين الحلبي: ٣٦١

شرف الدين ابن صارم التبنيني: ٤١٤، ٤٢٢

شرف الدين يعقوب: ٢٩٢

شرف الملك: ٣٧١، ٣٧٢، ٣٨٣، ٣٨٧

الشريف المرتضي: ٤٤٩، ٥١٤

الشقيري: ٤٩١، ٤٩٢

ابن بكا: ٤٣٩، ٥٠٥

شمس الدين ابن ابي يعلى: ٣٠٦

شمس الدين البرلي: ٥٠٢، ٥١٩

شمس الدين ابن الجوزي: ٢٤٤، ٣٢٤، ٣٧٤

شرف الدين الحلبي: ٣٤١

شمس الدين الخسرو شاهي: ٥٢٨

شمس الخواص: ٤٧٧، ٤٧٨

شمس الدين: ٨٦، ١٠٥، ١٢٢، ١٥٣، ١٥٤، ٣١١، ٣٢٣، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨١، ٣٨٢

٣٨٤، ٣٨١، ٣٧٩، ٣٧٦، ٣٧٤، ٣٦١، ٣٥٦، ٣٤٧، ٣٤٥، ٣٣٣، ٣٢٤، ٣١٧، ٣٠٦، ٢٩٠، ٢٨٢

٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٢، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٥٥، ٤٥٦

٤٦١، ٤٩٠، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٨

شمس الدين سنقر: ٢١١

شمس الدين لؤلؤ: ٤٤٣، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٦١، ٤٩٠، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٠

شمس الدين ابن المقدم: ١٠٥، ١٥٣، ٢٦٧

شمس الملوك: ٢١٥، ٢٢٥، ٣١٧، ٣٤٠

شهاب الدين غازي: ٥٦، ٣١٧، ٢٤٨، ٣٥١، ٢٥٢، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٩٢، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤٤٨،

٤٥٥، ٥٢٢، ٥٢٧

شهاب الدين غازي ابن الألفي: ٤٤٨

شهاب الدين السهروردي: ٨٦، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٣١٩٤

شهري ابن كذلك: ٢٩٩

الشيخ أحمد: ٩٩

(ص)

صارم الدين التبيني: ٢٩٢، ٣١٧، ٤١٤

صارم الدين قايماز: ٥٦، ٩١، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٦، ١٧٠، ١٩٦، ٢٥٢

صارم الدين كيفوش: ٤١٠

ابو صالح بن المعجمي: ١٠٤، ٢١٩

صدر الدين ابن شيخ الشيوخ: ١٠٩، ٣٠٨، ٤٨١

الصدر البكري: ٢٤٤

الصلاح الأربلي - صلاح الدين أحمد الأربلي: ٥٠، ٢٧٣، ٤٠٢، ٤٠٤

الصمصام اسماعيل: ٢٩١

الصمصام ابن الملاني: ٢٧٥

صفي الدين ابن شكر: ٥٨، ٢٥١، ٣٦٨

صفي الدين ابن عبدالله: ٥٢، ٢٤٨، ٣٩٤

(ض)

ضياء الدين ابن الأثير: ٢١٥، ٢١٩

ضياء الدين الشهرزوري: ٧٥، ٢٥٤

(ط)

طاشتكين: ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ٢٤٥

طاهر بن الحسين: ٢٤٩

طرنتاي: ٢٠٨

طفتكين بن أيوب: ٤٩، ١٠٠، ١١٤، ٢٢٥

الطغرائي: ٢٥٦

طغرل: ١٣٦، ١٥٥، ١٦١، ١٦٦، ٢٢٨، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٨٢

طغرلبك ابن ارسلان شاه: ٢٢٣

طغريل بن ملك شاه: ٢٢٨

طغريل الخادم: ٣٠٦

طلحة: ١٣٦

الطواشي صبيح: ٤٨٠، ٤٨١

طوغاج خاتون: ٣٠٢

(ظ)

ظهير الدين ابن البلنكري: ١٧٠

ظهير الدين غازي: ٢٧١

(ع)

عبدالرحيم ابن علي البيساني = القاضي الفاضل: ٢٥٠

عبد الكريم: ٢١٤، ٢٧٢، ٢٨٦، ٣٧٦، ٣٧٧

عبد الملك ابن درياس: ٢٤٨، ٢٨٤

عبد الملك الدولعي: ٢١٢

عبيد الله المهدي: ١٣٨

عثمان ابن الداية: ٢٣٢

عثمان ابن الزنجيلي: ١١٥

عثمان ابن الصلاح: ٥٠، ٩٣، ٤٤٦

عز الدين الازكشي: ٣٠٠

عز الدين بن ابي نصر: ٤٥٥

عز الدين اسامة: ٣١٥، ٢٣٥، ٢٧٨١، ٢٩٤

عز الدين ايبك الاسمر: ٤٢٨

عز الدين جرديك: ٤٩، ٥٦، ١٣٦

عز الدين ابن جكو، عز الدين موسك بن جكو: ١٧٤

عز الدين الحمصي: ٥٠، ٥٢، ٥٩، ٢٣١، ٤٥٠

- عز الدين الحميدي: ٣١٢
عز الدين درباس ابن ميم: ١٤٥
عز الدين ابن عبد السلام: ٤٢١
عز الدين فرخشاه: ٤٨، ١٠٥، ١١٢، ٣٠٥
عز الدين كيكائوس: ٤٩، ٨٨، ٣١٤، ٣١٨
عز الدين ابن مجلي: ٢٠٠
عز الدين مظفر ابن القلانسي: ٣٥٠
عز الدين مسعود: ٤٨، ١١٢، ١١٨
عز الدين ابن المقدم: ١٧٧، ٣٠٢، ٢٠٤، ٣٠٥
عز الدين موسك: ٩٧، ١٧٤، ٤٤٤، ٤٤٩
عز الدين ابو نصر محمد، الامام الظاهر لدين الله ابو نصر محمد : ٣٥٧، ٣٦٥
عزيز ابن خليل: ٣٢٣
عصمة الدين خاتون: ١٢٤
ابن أبي عصرون: ١٠٠
ابن عصرون: ١٠١، ٢١٩
علاء الدين تكش: ٢٢٤، ٣٠٢، ٣٢٧، ٣٥٥
علاء الدين خرمشاه: ١٧٦
علاء الدولة: ٢٥٤
علكان: ٢١١، ٣٢٢
علم الدين تعاسيف: ٣٣٠
علم الدين سليمان بن جندر: ١٢٥، ١٦٠، ١٨٩، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٥٨
علي بن أبي طالب: ٢٦٨، ٣٦١
علي بن انس المؤيد بن العقرياني: ٣١٨
علي ابن عبد الجبار العقاب: ٢٩٩
علي (الملك الأفضل): ١٣٩
علي (المشطوب)، سيف الدين علي المشطوب: ١٣٢، ١٨٤، ١٨٨، ٢٠٩
علي ابن حديفة: ٤٢١
عماد الدين الأصقهاني: ٣٣، ٤٠، ٥٠، ٥٩، ٨٩، ٩٧
عماد الدين الخلاطي: ٥٢٤

عماد الدين خواجه البخاري، علي خواجه البخاري: ٣٨

عماد الدين الواسطي: ٤٠٨

عماد الدين ابن يونس: ٢٩٢

ابو عمر محمد بن احمد: ٥٢، ٥٤، ٥٩

عون الدين ابن هبيرة: ٣٦٢

عيسى (الملك المعظم): ٥١، ٥٢، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٥٦، ٣٠٦، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٥٢، ٤١٧، ٥٢٨

(غ)

غازي (الملك الظاهر): ٤٩، ١٢٨، ١٢٩، ٣١٣، ٣٠٦

غازي بن مسعود بن البصار: ١٦٨

غيث الدين: ١٣٩، ٣٢٦، ٣٠٦، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٦

(ف)

فارس الدين قطاي: ٤٦٩، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٦

٥٠٧، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥٢٤

فارس الدين الخولاني: ٤٧٥

فخر الدين دبببس: ٢٢٢

فخر الدين اياز سرگس: ٥٤

فخر الدين ابن شيخ الشيوخ: ٢٥، ٢٧٣، ٤٢٣، ٤٤٧

فخر الدين عيسى ابن مودود: ١٦٦

فخر الدين مسعود ابن الزعفراني: ١١٧

فرخ شاه ابن شاهان شاه: ١٣٢

فردريك بروسه (الاميراطور): ١٧٧

الفضيه الشهاب الخيوي: ٣٢٠

الفضيه عيسى: ٣٢، ٧٢، ١٠٢، ١٠٨، ١٧١، ١٧٣، ٢٤١

الفضيه ابن فارس: ٣١٦

الفرنسيس (لويس التاسع ملك فرنسا): ٣٥، ٤٤، ٧٣، ٧٧، ٨٧، ٣٤٠، ٤٥٧

الفرنسو (الثامن): ٣١، ٤٤، ٧٧، ٢٢٩

(ق)

- آق سنقر البرسقي: ١٣٦
القائم بأمر الله (الخليفة العباسي): ٢٢٤
قاورد بك: ٢٢٥
قايماز الزيتي: ٢٣٧، ٢٩٥
قايماز النجمي: ٥٦، ٦١، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٦، ١٧٠، ١٨٢، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٥٢، ٤١٩
قباحة: ٢٤٦، ٢٤٧
قتادة: ٢٩٨
قرطاي: ٤٠٤، ٤١٤
قزل: ١٣١، ١٦١، ٢٢٣
قطب الدين ايلغازي: ٤٩، ١١٦، ١٣١
قطب الدين قايماز: ١٠٢
قطب الدين ابن مودود: ٢٤٢
قطب الدين موسى: ٢١٣
قطب الدين النيسابوري: ٤٩، ٥٢، ٥٢، ١٢٢
قطز: ٤٨٥، ٥١٦
فضيب البان: ٢٩٢، ٢٣٥، ٤٢٣
القومص: ١٤١، ١٤٤، ١٤٦

(ك)

- كابي= الكند اسطبل امريك: ١٤٤
كافور الحسامي: ٩١، ٥٠، ٣٦٥
كريم الدين الخلاطي: ٣١٦، ٥٠٣
كشلوخان: ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣
ابن الكعكي: ٣٥٧، ٣٧٥
كمال الدين الشهرزوري: ٥٦، ٩٨، ٢٦٣
كمال الدين ابن شيخ الشيوخ: ٤٢٣
كمال الدين ابن هبيرة: ١٣٦
كمال الدين كيميبار: ٤٠٢، ٤٠٧

كند فريد: ١٨٩

الكندهري: ١٧٩، ١٨٥، ٢٠٨

الكندي: ٥٤، ١٢٢، ٣٠٥، ٣٥٠، ٣٦٨، ٣٩١

ابن كهان: ٢١٤

كوجيا: ١٥٦، ٤٢٧، ٤٧٥

كورخان: ٢٠٢، ٣٠٢

كيكاس ابن كيخسرو: ٣١٤، ٣٢٩

(ل)

لؤي ابن غالب: ٣٩٠

ابن لاوون: ١١١، ١٧٧

لويس التاسع: ٣٥، ٤٤، ٧٢، ٧٧، ٨٧، ٣٤٠، ٤٥٧، ٤٧٤، ٤٧٩، ٥١٢

(م)

مالك بن انس (الامام): ٢٩٤

مبارز الدين الأركشي: ٤٠٧

مبارز الدين ابن خطيخ: ٢٧٥، ٣٠٦، ٣١٤، ٣١٥

مبارز الدين سنقر: ٢٧١، ٢٤٩

أبن متي (النبي يونس): ٢٥٨

مجد الدين ابن الأثير: ٢٨٦

مجد الدين الحنفي: ٣٢١

مجلي المهراني: ١٧٢

مجير الدين بن ابي زكري: ٤٢٥

محمد ابن ابراهيم: ٢٥، ٢٧، ١٢٠

محمد بن أوككر: ١٨١

محمد ابن بختيار: ٥١، ٢٨٢

محمد التازي: ٢٨٦

محمد خوارزم شاه: ٢٤، ٤٨، ٥٢، ٣٠٢، ٣١٠، ٣١٨، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٦، ٣٥٧

محمد ابن الرمادة: ٢٤٦

- محمد ابن عمر: ١٤٣، ٢٨٦، ٢٢٥، ٤٨١
محمد ابن عنين: ٢٥١
محمد ابن محمد: ٥٥، ٣١٥، ٢٦٢، ٤٠٣
محمد ابن محمود: ٢٢٧
محمد ابن المعلم: ١٣٧
المحمدي: ١٥١، ٤٩١
محمود ابن أرتقى: ٣١٥
محمود بن خاتون: ٢٢٦
محمود الخوارزمي: ٣٨
محمود ابن زلفندار: ١٢٦
محمود ابن محمد: ٢٢٧، ٢٧٠، ٢٣٩، ٣٣٦
محمود ابن نيسان: ١٢٠
محي الدين ابن الجوزي: ٢٨٢
مرهف ابن أسامة: ٥٠، ٥٤، ٢٠٧
مروان ابن محمد (الخليفة الاموي): ٢٢٢
ابن مريم (عيسى عليه السلام): ٢٣٠
المستر شد بالله (الخليفة العباسي): ١٥٦
المستضيء بالله (الخليفة العباسي): ١٠٢، ١٠٩، ١١٨، ٥٢، ٢٦٩
المستنجد بالله (الخليفة العباسي): ١٠٩، ٢٩٩
مسعود ابن ملك شاه: ٢٢٧
ام الطايا: ٢٥٢
مظفر الدين التماشيكي: ٢٧٩
مظفر الدين كوكبوري: ٥٠، ٧٢، ٩١، ٩٢، ٣٠٩، ٣٩٤
معز الدين سنجر شاه: ١١٠
المعز لدين الله الفاطمي (الخليفة): ١٢٩
معين الدين أنر: ٥١، ١٢٤، ١٢٥
معين الدين ابن شيخ الشيوخ: ٤٢٨
المقتفوي: ١٠٩، ١٥٢
المقتفي بالله (الخليفة العباسي): ١٠٠

ملك شاه (السلطان): ٢٢٨، ٢٢٧
ممدوخان ابن ارسلان خان: ٢٠٢
المنصور محمود (الملك): ٤٤٠، ٤٢٤
المؤيد مسعود: ٢٢٠
مؤنسة خاتون: ٢١٤
موسى (الملك الاشرف): ٣٨٥، ٤٠١، ٥٢٠
موفق الدين عبد الله ابن احمد المقدسي: ٢٤٩
ميمون القصري: ٢١١، ٢٧٤، ٢٠٦

(ن)

الناصر ابن الحنبلي: ٢٤٧
ناصر الدين محمد ابن خمارتكين: ١٢٢
الناصر داود: ٤٨، ٥١، ٥٦، ٢٥٢، ٣٧٤، ٣٧٧، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٩، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٣٧، ٤٢٩، ٤٣٧، ٤٤٧،
٤٤٨، ٤٤٩، ٤٦٦، ٤٩٦، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٢٩
الناصر لدين الله (الخليفة العباسي): ٤٩، ٧٥، ١٠٩، ١١٨، ٢٦٩، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٥٥، ٢٥٧
ناصر الدين ارتق ارسلان: ٣٢٩، ٣٤٨
ناصر الدين ابن صارم الدين التبريني: ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٤٩
ناصر الدين محمد ابن اسد الدين: ١٢٤، ١٣٥، ٣٢٦، ٤٢٩
ناصر الدين محمود ابن محمد: ٢٧٠، ٣٦٠
ناصر الدين منكلي: ٢٩٠، ٣٩٩
نصيرالدين ناصر ابن مهدي: ٢٧٤
ناصر الدين يغمور: ٤٢٥
نجم الدين ايوب: ٢٠، ٣٥، ٤٩، ٥١، ٥٨، ٧٤، ٧٧، ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٧٣، ٢٨٥، ٢٩٥، ٣٤٠، ٤٠١،
٤٠٧، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤٠، ٥٠٠، ٥٠٤، ٤١١، ٤٤٢، ٤٨٥، ٥٠٨، ٥٢١، ٥٢٤
نجيب الدين عدل الزبداني: ٢٠١
ابن النحال: ٢٠٢
النصرة: ٢١٤
نظام الدين: ٣٥٦، ٣٧١، ٥١١، ٥١٢
نظام الملك: ٢٢٥، ٢٣٤
نوح البيقاع: ٢٣٤

نور الدين أرسلان شاه: ١١٠، ٢٨٥، ٤١٩

نور الدين محمود: ٢٠، ٤٨، ٥٢، ٦٩، ٩٦، ١٠٣

ناصر الدين منكلي: ٢٩٠، ٢٩٩

نوشيروان الزرزاري: ٢١٠

(هـ)

هارون ابن مودود: ١٦٦

الهزار ديناري: ٢٧٩، ٢٨٠

ابن الهنصري = همفري الرابع: ٢٠١

الهنكر: ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠

(ي)

ياروق ابن أرسلان: ١٧٧

يزيد ابن معاوية: ٣٦٠

يعقوب الحلبي: ١٩٢

يعقوب ابن صابر المنجنيقي: ٢٧٨

يعقوب (شرف الدين): ٢٩٣

يعقوب (الملك المعن): ٣٧٩

يعقوب (الملك الأعن): ٢١٣

يوزبا: ١٤٠

ينال خان: ٣١٩، ٣٢٠

يوسف ابن ايوب (السلطان صلاح الدين): ١٣٩، ٣٠٦

يوسف ابن تاشفين: ٢٢٩

يوسف ابن الملك العزيز محمد (الملك الناصر): ٤٩٨

يوسف ابن زين الدين علي كوجك: ١٢٥، ١٣١، ١٧٧

يوسف (زين الدين): ١٧٧، ١٨٢

يونس (الملك الجواد): ٤٢١

ابن يونس (الوزير): ١٦١



المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق

أولاً: المصادر المخطوطة

- 1- ابن ابي عذيبة، احمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م) انسان العيون في مشاهير سادس القرون، مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة بغداد، رقم (٤٢٩).
- 2- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م).
- تاريخ الخلفاء والملوك، مصورة المجمع العلمي العراقي، القسم الاول، رقم (١٧٥٦).
القسم الثاني، رقم (١٧٥٧).
مجهول.
- 3- مختصر التاريخ، دار صدام للمخطوطات، بغداد، رقم (١٨٨٥).

ثانياً: المصادر المطبوعة:

- 1- ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م).
- 2- الكامل في التاريخ، دار بيروت، بيروت، ١٩٧٩-١٩٨٩ م.
- 3- الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد الكاتب (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م).
- 4- البرق الشامي، تحقيق، فالح حسين، الطبعة الاولى، مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان، ١٩٨٧ م.
- 5- الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق، محمد محمود صبح، بريل، ليدن، ١٨٨٧ م.
- 6- ابن ابياس، محمد بن احمد (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م).
- 7- تاريخ مصر المشهور (ببدائع الزهور في وقائع الدهور)، المطبعة الاميرية الكبرى، القاهرة، ١٨٩٢ م.
- 8- البدليسي، شرف خان شمس الدين بن شرف خان الروزكي (ت ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م).

- ٨- شرفنامه، ترجمة، محمد جميل الملا احمد الروژبياني، الطبعة الثانية، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠١ م.
- البغدادي، ابو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٢٧ م).
- ٩- الفرق بين الفرق، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧ م.
- البنداري، الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م).
- ١٠- تاريخ دولة آل سلجوق، من انشاء عماد الدين محمد الاصفهاني، (ت ٥٩٧ هـ)، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٩٠٠ م.
- ١١- سنا البرق الشامي، من كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الاصفهاني، اختصار البنداري، تحقيق، فتحية النراوي، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩ م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م).
- ١٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ب. ت.
- ابن جبير، محمد بن احمد الكناني الاندلسي (ت ٦٤١ هـ / ١٢١٧ م).
- ١٣- رحلة ابن جبير، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٨ م.
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م).
- ١٤- المنتظم في تاريخ الامم والملوك، الجزء الثامن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٢٩ م.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م).
- ١٥- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢ م.
- الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر (توفي بعد سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م).
- ١٦- زبدة التواريخ اخبار الامراء والملوك السلجوقية، تحقيق، محمد نور الدين، الطبعة الثانية، دار إقرأ، بيروت، ١٩٨٦ م.
- الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م).
- ١٧- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق، احسان عباس، دار القلم للطباعة، بيروت، ١٩٧٥ م.
- الحنبلي، احمد بن ابراهيم (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧٢ م).

- ١٨- شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق، ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨ م.
- الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م).
- ١٩- تاريخ بغداد او مدينة السلام، دراسة وتحقيق، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م).
- ٢٠- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر المعروف بـ (تاريخ ابن خلدون)، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩ م.
- ٢١- المقدمة، تحقيق، حامد احمد الطاهر، الطبعة الاولى، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- ابن خلكان، ابو العباس احمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م).
- ٢٢- وفيات الاعيان وانباء ابناء هذا الزمان، اعد فهرسها رياض عبدالهادي، الطبعة الاولى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧ م.
- ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد (ت ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م).
- ٢٣- نزهة الانام في تاريخ الاسلام، دراسة وتحقيق، سمير طيارة، الطبعة الاولى، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٩٩٩ م.
- الدواداري، ركن الدين بييرس المتصوري (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م).
- ٢٤- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق، دونالد س. ريتشارد، الطبعة الاولى، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٩٨ م.
- الدواداري، ابو بكر عبدالله بن ايبك (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٣٤ م).
- ٢٥- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السابع باسم (الدر المطلوب في اخبار ملوك بني ايوب)، تحقيق، الرخ هارمان، القاهرة، ١٩٧١ م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م).
- ٢٦- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق، عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الاولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٨ م.

- ٢٧- تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩١٥ م.
- ٢٨- دول الاسلام، تحقيق، فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤ م.
- ٢٩- العبر في خير من غير، تحقيق، صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٦ م.
- ٣٠- ذبول العبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت.
- ٣١- سير اعلام النبلاء، تحقيق، محب الدين ابي سعيد عمر العمروي، الطبعة الاولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٦ م.
- ٣٢- المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى (حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائه)، تأليف، شمس الدين ابو عبدالله بن ابراهيم الجزري، (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م)، دراسة وتحقيق، خضير عباس المنشاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٨ م.
- الرازي، محمد بن ابي بكر (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م).
- ٣٣- مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩ م.
- ابن رجب، عبدالرحمن بن شهاب الدين احمد (ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م).
- ٣٤- الذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- الزيدي، محي الدين ابو الفيض السيد محمد مرتضي الحسيني (ت ١٠٢٥ م / ١٧٩١ م).
- ٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس، دار ليبيا، بنغازي، ١٣٠٦ هـ.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م).
- ٣٦- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩١٥ م.
- السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م).
- ٣٧- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناجي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، وشركاؤه، القاهرة، ١٩٦٨ م.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م).
- ٣٨- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م).

- ٢٩- تاريخ الخلفاء، تحقيق، محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤ م.
- ٤٠- ابو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م).
الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه ابراهيم شمس الدين، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ م.
- ٤١- الذيل على الروضتين، او تراجم رجال القرنين السادس والسابع، وضع حواشيه وعلق عليه ابراهيم شمس الدين، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ م.
- ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين عمر (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م).
- ٤٢- مضممار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق، حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ب. ت.
ابن شداد، القاضي بهاء الدين (ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٤ م).
- ٤٣- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)، تحقيق، جمال الدين الشيال، الطبعة الاولى، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م).
- ٤٤- الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، (تاريخ لبنان والاردن وفلسطين)، تحقيق، سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٢ م.
- قسم الجزيرة، تحقيق، يحيى عبادة، وزارة الاوقاف والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨ م.
- الشهرستاني، ابي الفتح محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٢ م).
- ٤٥- الملل والنحل، تحقيق، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦١ م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك (ت ٧٦٤ هـ / ١٢٦٢ م).
- ٤٦- الوافي بالوفيات، فرانسوا تيز هسبادن، ١٩٦١-١٩٨١ م.
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م).
- ٤٧- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ب. ت.
ابن العبري، غريغورس، اللطي (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م).
- ٤٨- تاريخ مختصر الدول، وقف على طبعه الاب انطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠ م.
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م).

- ٤٩- زبدة الحلب من تاريخ حلب، الجزء الثالث، تحقيق، سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٤ م.
- العصامي الملكي، عبدالملك بن حسين (ت ١١١ هـ / ١٦٩٩ م).
- ٥٠- سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ابن العماد، ابو الفلاح عبدالحى الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م).
- ٥١- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت.
- العصري، شهاب الدين احمد بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م).
- ٥٢- التعريف بالمصطلح الشريف، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ابن العميد، المكين جرجيس (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٢ م).
- ٥٣- اخبار الايوبيين، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٨ م.
- العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م).
- ٥٤- عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق، محمد محمد أمين، عصر سلاطين المماليك، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧ م.
- الفساني، ابو العباس اسماعيل بن العباس بن رسول (ت ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م).
- ٥٥- المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق، شاکر محمود عبدالمنعم، دار البيان، بغداد، دار التراث الاسلامي، بيروت، ١٩٧٥ م.
- ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٢١ م).
- ٥٦- تقويم البلدان، باعثناء رينود والبارون مان كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠ م.
- ٥٧- المختصر في اخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م. علق عليه ووضع حواشيه، محمود ديوب، الطبعة الاولى،
- ابو الفضائل، محمد بن علي الحموي (ت ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م).
- ٥٨- التاريخ المنصوري المسماة (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، نشره ووضع فهرسه، بطرس غريازينويع، موسكو، ١٩٦٣ م.
- ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م).

- ٥٩- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (المنسوبة الى ابن الفوطي)، تعليق وتصحيح، مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٢ م.
- القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م).
- ٦٠- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، شرح وتعليق، محمد حسين شمس الدين، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م.
- الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م).
- ٦١- عيون التواريخ، الجزء العشرون، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبدالمنعم داود، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠ م.
- ٦٢- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق، محمد محي الدين عبدالحميد، السعادة، القاهرة، ١٩٥١ م.
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م).
- ٦٣- البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق، احمد ابو ملحم وآخرون، الطبعة الثالثة، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٧ م.
- السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى عبدالواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م).
- ٦٤- الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨ م.
- ابن المستوفي، شرف الدين ابو البركات المبارك بن احمد (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٢٩ م).
- ٦٥- تاريخ اربيل المسماة (نباهة البلد الخامل بمن وردده من الامائل)، تحقيق، سامي الصقار، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠ م.
- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م).
- ٦٦- السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الاول، القسم الاول، صححه ووضع حواشيه، محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤ م.
- الجزء الاول، القسم الثاني، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧ م.

- ٦٧- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بـ (الخطط المقرزية)، مكتبة الاداب، القاهرة، ب. ت.
- المنذري، زكي الدين ابو محمد بن عبدالقوي (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م).
- ٦٨- التكملة لوفيات النقلة، تحقيق، بشار عواد معروف، ثلاثة اجزاء، مطبعة الاداب، ١٩٦٨، ١٩٦٩، ١٩٧١ م.
- ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل محمد بن جلال الدين (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م).
- ٦٩- لسان العرب، دار صادر- دار بيروت، بيروت، ١٩٥٦ م.
- ٧٠- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، الجزء الاول، تحقيق، روحية النحاس وآخرون، دار الفكر، بيروت، ب، ت.
- النعيمي ، عبدالقادر بن محمد (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م).
- ٧١- المدارس في تاريخ المدارس، تحقيق، جعفر الحسني، جزان، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٤٨ م، ١٩٥١ م.
- النسوي، محمد بن احمد (ت ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م).
- ٧٢- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق، حافظ احمدي حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٢ م.
- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م).
- ٧٣- نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، الطبعة الاولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م.
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م).
- ٧٤- مفروج الكروب في اخبار بني ايوب، ستة اجزاء،
الجزء الاول، تحقيق، جمال الدين الشيال، جامعة فؤاد الاول، القاهرة، ١٩٥٣ م.
الجزء الثاني، تحقيق، جمال الدين الشيال، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٥٧ م.
الجزء الثالث، تحقيق، جمال الدين الشيال، دار القلم، القاهرة، ١٩٧٢ م.
الجزء الرابع، تحقيق، حسنين محمد ربيع وسعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتب القاهرة، ١٩٧٢ م.
الجزء الخامس، تحقيق، حسنين محمد ربيع، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٧ م.

- الجزء السادس، تحقيق، عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الاولى، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ٢٠٠٤ م.
- الواقدي، ابو عبدالله محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م).
- ٧٥- فتوح الشام، الجزء الاول، دار الجيل، ب. ت.
- ابن الوردي، زين الدين عمر (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م).
- ٧٦- تاريخ ابن الوردي، المسمى (تتمة المختصر في اخبار البشر)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩ م.
- ابن ابي الوفاء، محي الدين ابو محمد عبدالقادر (ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م).
- ٧٧- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، الجزء الثاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩١٣.
- اليافعي، عبدالله بن اسعد عفيف الدين (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م).
- ٧٨- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، الطبعة الثانية، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٠.
- ياقوت، شهاب الدين بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٥٨ م).
- ٧٩- معجم الادباء المسمى (ارشاد الاريب الى معرفة الاديب)، تحقيق، دافيد صمويل مرجيلوث، دار المشرق، بيروت، بلا تاريخ.
- ٨٠- معجم البلدان، دار صادر- دار بيروت، بيروت، ١٩٥٧ م.
- اليونيني، موسى بن محمد بن احمد بن قطب الدين (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م).
- ٨١- ذيل مرآة الزمان، المجلد الاول، الجزء الاول والثاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٤ م.

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة

الأتروشي، لولاف مصطفى سليم

٨٢- القضاء في مصر والشام في العهد الايوبي، الطبعة الاولى، دار دجلة، عمان، بغداد، ٢٠٠٧، احمد، علي.

٨٣- تاريخ المغرب العربي الاسلامي، جامعة دمشق، ١٩٩٢ م.

اسماعيل، زبير بلال

- ٨٤- اربيل في ادوارها التاريخية، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٧١ م.
الأمين، حسن
- ٨٥- الاسماعيليون والمغول، الطبعة الثانية، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، د. م،
١٩٩٧ م.
باركر، ارنست
- ٨٦- الحروب الصليبية، ترجمة، السيد الباز العربي، مطبعة لجنة البيان العربي،
القاهرة، ١٩٦٠ م.
البغدادي، اسماعيل باشا
- ٨٧- هدية العارفين، طهران، ١٩٤٧ م.
بروكلمان، كارل
- ٨٨- تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الخامسة،
دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦ م.
بروي وآخرون، ادوار
- ٨٩- تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)، ترجمة، يوسف اسعد داغر وفريدم، داغر،
الطبعة الثانية، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٦ م.
بنكلي، سيبان حسن علي
- ٩٠- حصن كيفا دراسة في تاريخها السياسي والحضاري (١٢٠٠- ١٣٠٠ م)، دار سبيريز
للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٥ م.
التونجي، محمد
- ٩١- المعجم الذهبي، (فارسي- عربي)، دار العلم للملايين، بيروت، ب. ت.
جب، السر هاملتون أ. ر.
- ٩٢- صلاح الدين الايوبي (دراسات في التاريخ الاسلامي)، حررها، يوسف ايبش، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣ م.
حسن، علي ابراهيم
- ٩٣- دراسات في تاريخ المماليك البحرية، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية،
القاهرة، ١٩٤٨ م.
حسن، حسن ابراهيم وعلي ابراهيم

- ٩٤- النظم الاسلامية، الطبعة الثالثة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٢ م.
- ٩٥- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- حسين، محسن محمد
- ٩٦- الجيش الايوبي في عهد صلاح الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦ م.
- ٩٧- اربيل في العهد الاتباكي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦ م.
- حلمي، احمد كمال الدين
- ٩٨- السلاجقة في التاريخ والحضارة، الطبعة الاولى، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥ م.
- خليفة، حاجي
- ٩٩- كشف الظنون، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤ م.
- خوشناو، سلام حسن طه
- ١٠٠- جزيرة ابن عمر (بوتان) في القرنين ٦-٧ هـ / ١٢-١٣ م دراسة سياسية حضارية، الطبعة الاولى، مطبعة وزارة الثقافة لاهليم كوردستان، ٢٠٠٦ م، اربيل.
- رنسيان، ستيفن
- ١٠١- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة، السيد الباز العريتي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨-١٩٦٩ م.
- الرويشدي، سوادي عبد محمد
- ١٠٢- إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ (٦٠٦-٦٦٠ هـ / ١٢٠٩-١٢٩١ م)، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧١ م.
- زامباور، ادوارفون
- ١٠٢- معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، اخراج، زكي محمد حسن بك وحسن احمد محمود، مطبعة فؤاد الاول، القاهرة، ١٩٥١ م.
- الزركلي
- ١٠٤- الاعلام، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٩ م.
- زكي، عبدالرحمن
- ١٠٥- السلاح في الاسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١ م.
- زيدان، جرجي

- ١٠٦- تاريخ التمدن الاسلامي، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٨ م.
سعداوي، نظير حسان
- ١٠٧- الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١ م.
سرور، محمد جمال الدين
- ١٠٨- دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، ١٩٦٠ م.
سيديو
- ١٠٩- خلاصة تاريخ العرب، الطبعة الثانية، دار الآثار، بيروت، ١٩٨٠ م.
شميساني، حسن
- ١١٠- مدينة سنجار من الفتح الاسلامي حتى الفتح العثماني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ب. ت.
عاشور، سعيد عبدالفتاح
- ١١١- مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢ م.
- ١١٢- العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثالثة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- ١١٣- الحركة الصليبية، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢ م.
العبادي، احمد مختار
- ١١٤- قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، اسكندرية، ١٩٨٢ م.
الحريني، السيد الباز
- ١١٥- الشرق الادنى في العصور الوسطى (الايوبيون)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧ م.
- ١١٦- المماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧ م.
- ١١٧- المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧ م.
علي، محمد كرد

١١٨- خطط الشام، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٢٦ م.

عمر، فاروق

١١٩- الخليفة المقاتل مروان بن محمد، الدار العربية، بغداد، ب. ت.

قاسم، قاسم عبده

١٢٠- ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠ م.

كحالة، عمر رضا

١٢١- معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣ م.

كاهن، كلود

١٢٢- تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية

العثمانية، ترجمة، بدر الدين القاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢ م.

لاند، روم

١٢٣- الاسلام والعرب، ترجمة، منير البعلبكي، الطبعة الثانية، دار الملايين، بيروت، ١٩٧٧ م.

مصطفى وآخرون، ابراهيم

١٢٤- المعجم الوسيط، دار العودة، استانبول، ١٩٩٠ م.

هروري، درويش يوسف حسن

بلاد هكاري (٩٤٥- ١٣٣٦ م) دراسة سياسية حضارية، دار سبيري للطباعة والنشر،

دهوك، ٢٠٠٥ م.

الهسنياني، موسى مصطفى

١٢٥- سنجار دراسة في تاريخها السياسي والحضاري من (٥٢١- ٦٦٠ هـ / ١١٢٧- ١٢٦١ م)، دار

سبيري للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٥ م.

١٢٦- السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد الايوبية في مصر وبلاد الشام، ٦٣٤- ٦٥٨ هـ/

١٣٣٦- ١٢٦٠ م دراسة في العلاقات الدولية في العصر الاسلامي الوسيط، مطبعة وزارة

الثقافة/ لاقليم كوردستان، ٢٠٠٧ م.

هنتس، فالتر

- ١٢٧- المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المترى، ترجمة، كامل العسلي،
الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٧٠ م.
ويست، انتوني
- ١٢٨- الحروب الصليبية، ترجمة، شكري محمود نديم، شركة النبراس وفرانكلين،
بغداد، ١٩٦٧ م.

رابعاً: الرسائل الجامعية غير المنشورة

آميدي، كرفان محمد احمد

- ١٢٩- الملك الاشرف موسى بن الملك العادل الايوبي دوره وأثره في الدولة الايوبية، رسالة
ماجستير، كلية الاداب، جامعة صلاح الدين (اربيل)، ١٩٩٩ م.

أمين، نهيز مجيد

- ١٣٠- المشطوب الهكاري، دراسة عن دور الهكاريين في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير،
كلية الاداب، جامعة صلاح الدين (اربيل)، ١٩٩٩ م.

زبير، رمضان شريف

- ١٣١- لرستان الكبرى، كلية الاداب، جامعة صلاح الدين (اربيل)، ١٩٩٤ م.

عبدالكريم، عثمان عمر

- ١٣٢- ابن شاهنشاه الايوبي مؤرخاً (٥٦٧- ٦١٧ هـ / ١١٧١- ١٢٢٠ م) دراسة منهجية في كتابه
مضمار الحقائق وسر الخلائق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة

دهوك، ٢٠٠٧ م.

الصائغ، ذكرى عزيز

- ١٣٣- عصر الملك الكامل الايوبي، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الموصل، ١٩٨٨ م.
كورة، مراد خليفة المختار

- ١٣٤- الصلات السياسية بين المغرب والمشرق في عهد الموحدين والايوبيين في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة المسيرة الكبرى، طبرق، ليبيا، ٢٠٠٣ م.
- النقشبدي، حسام الدين علي غالب
- ١٣٥- الكرد في الدنيور وشهرزور خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥ م.
- ١٣٦- اذربيجان ٤٢٠- ٦٥٤ هـ / ١٠٢٩- ١٣٥٦ م دراسة في احوالها السياسية والحضارية، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٤ م.

خامساً: الكتب الاجنبية

Elisseeff: Nikita

- 137 - Nur- ad- Din, P.I.E.Damas, 1967.
Holt: P. M. and anothers.
- 138- The Cambridge History of I slam, vol, I Cambridge, 1970.
Setton: K. M.
- 139- Ahistory of The Crusades, vol, 2, Pensylvania, 1958.
Stevenson: W. B
- 140- The Crusaders In The East, Combrisge, 1907, Beirut, 1958.
Wolf: L.R. And Hazaed: H.W.
- 141- The Later Crusades 1189- 1311, vol,2 Philadphia.

سادساً: الابحاث

- حسين، محسن محمد
- ١٤٢- المشطوب الهكاري سيرة مجاهد، مجلة المجمع العلمي العراقي (الهيئة الكردية)، مج ٨، السنة ١٩٨١ م، بغداد.
- صادق، محمد صالح طيب

١٤٣- إمارة ارضروم دراسة سياسية، مجلة دهوك، مج ٥، العدد ١، ٢٠٠٢ م.

الهستاني، موسى مصطفى

١٤٤- علاقات الملك الصالح نجم الدين ايوب بالخوارزمية (٦٣٩- ٦٤٤ هـ/ ١٢٣١- ١٢٤٦ م)، مجلة

التربية والعلم، جامعة الموصل، المجلد (١٤)، العدد ١، ٢٠٠٧ م.

١٤٥- بدر الدين السنجاري سيرته وحياته، مقبول للنشر في مجلة زانكو أداب/ جامعة

صلاح الدين (اربيل)، بموجب كتابها الرقم ر/ ١٦٣ /٢ في ١٩٩٢/١٠/٧ م.

فهرست المحتويات

١٧ تقديم
١٩ المقدمة
٢٥	الفصل الاول
٢٥	- مؤلف المخطوط ووصف نسخة المخطوط.....
٣١	الفصل الثاني
٣١	- المصادر
٣١	- اولاً: الكتب المدونة
٣٤	- ثانياً: المعلومات الشفهية والمشاهدة
٣٦	- ثالثاً: مصادر غير معروفة
٣٧	الفصل الثالث
٣٧	- منهج المخطوط واسلوب مؤلفه
٦٩	الفصل الرابع
٦٩	- اهمية المخطوط
٨٢	- الجانب الاداري
٨٤	- الجانب الاجتماعي
٨٩	- الجانب الثقافي
٩٥ سنة ٥٧١ هـ
٩٨ سنة ٥٧٢ هـ
١٠٢ سنة ٥٧٣ هـ
١٠٥ سنة ٥٧٤ هـ
١٠٧ سنة ٥٧٥ هـ
١١٠ سنة ٥٧٦ هـ

- ١١٢ سنة ٥٧٧ هـ
- ١١٥ سنة ٥٧٨ هـ
- ١٢١ وفاة احمد بن علي بن احمد الرفاعي
- ١٢٢ وفاة فرخ شاه بن شاهان شاه بن ايوب
- ١٢٣ سنة ٥٧٩ هـ
- ١٢٣ ذكر فتح حلب
- ١٢٦ غزاة بيسان
- ١٢٨ سنة ٥٨٠ هـ
- ١٣٢ سنة ٥٨١ هـ
- ١٣٤ وفاة عصمت الدين خاتون واخيها
- ١٣٥ وفاة ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه
- ١٣٦ سنة ٥٨٢ هـ
- ١٤٣ سنة ٥٨٣ هـ
- ١٤٦ ذكر فتح عكا
- ١٤٨ ذكر فتوح القدس
- ١٥١ ذكر قصد صور
- ١٥٥ سنة ٥٨٤ هـ
- ١٥٧ ذكر فتح انطرسوس
- ١٥٧ فتح جبلة
- ١٥٧ فتح اللاذقية
- ١٥٨ فتح صهيون
- ١٥٨ فتح بكاس
- ١٥٩ فتح برزية
- ١٦٠ فتح درب ساك
- ١٦٠ فتح بغراس
- ١٦١ فتح كوكب
- ١٦٢ وفاة مجد الدين مؤيد الدولة أسامة بن منقذ
- ١٦٦ سنة ٥٨٥ هـ
- ١٦٩ نادرة في هذه الوقعة

- ١٧٠ - ذكر المصاف الاعظم على عكا
- ١٧٤ - وفاة الامير عز الدين موسك بن جكو الهذباني
- ١٧٥ - نادرة مليحة
- ١٧٦ سنة ٥٨٦ هـ
- ١٧٦ - ذكر تسليم الشقيف
- ١٧٧ - ذكر وصول الاسطول من مصر
- ١٧٧ - وصول زين الدين صاحب اربل
- ١٧٨ - ذكر الوقعة العادلية
- ١٧٩ - ذكر وصول الكندهري
- ١٨٠ - خروج المسلمين الذين بعكا على الفرنج واحراق المنجنيقات.....
- ١٨١ - استشهاد جمال الدين محمد بن اوكر
- ١٨٢ - وفاة زين الدين يوسف حاكم اربل وولاية اخيه مظفر الدين.....
- ١٨٢ - ضجر عسكر الجزيرة من الاقامة على حصار عكا
- ١٨٣ - خروج الفرنج الى رأس الماء
- ١٨٦ - ذكر وقعة الكمين
- ١٨٧ - ذكر عود العساكر من الجهاد
- ١٨٨ سنة ٥٨٧ هـ
- ١٩٠ - ذكر انتقال السلطان الى تل العياضية
- ١٩١ - ذكر شروع الفرنج في مضايقة البلد
- ١٩٢ - ذكر غرق البطسة الاسلامية وهي العلامة الثالثة على اخذ البلد
- ١٩٦ - المصاف بين الاكراد والفرنج على عكا.....
- ٢٠٢ - ذكر خروج الفرنج عن يافا
- ٢٠٢ - ذكر وفاة الملك المظفر
- ٢٠٣ - ذكر وصول المشطوب
- ٢٠٣ - ذكر قتل المركيس الملعون
- ٢٠٣ - ذكر استيلاء الفرنج على الداروم
- ٢٠٣ - ذكر قصد الفرنج مجدل يابا
- ٢١٠ - ذكر لقائه الحجاج
- ٢١٣ - ذكر ما خلف

- ٢١٣ - ذكر فتوحاته
- ٢١٤ - ذكر ما تجدد بعد وفاته
- ٢١٨ سنة ٥٩٠ هـ
- ٢٢٣ - السلطان طغرل بك شاه بن ارسلان شاه وملك خوارزم شاه الري ...
- ٢٢٩ سنة ٥٩١ هـ
- ٢٣٢ سنة ٥٩٢ هـ
- ٢٣٤ سنة ٥٩٣ هـ
- ٢٣٥ - وفاة سيف الاسلام طفتكين بن ايوب
- ٢٣٦ سنة ٥٩٤ هـ
- ٢٣٧ - وفاة مجاهد الدين قايماز الزيني الرومي الخادم
- ٢٣٨ - وفاة ابو الهيجاء السمين الكردي الأزكشي
- ٢٣٩ سنة ٥٩٥ هـ
- [وفاة] الملك المنصور والغازي المجاهد يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه محمد
- ٢٤٢ سنة ٥٩٦ هـ
- ٢٤٩ - وفاة خوارزم شاه تكتش بن ارسلان شاه
- ٢٥٠ - وفاة القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي
- ٢٥٤ سنة ٥٩٧ هـ
- ٢٥٦ - وفاة جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي
- ٢٥٧ - ذكر ما جرى في مجالسه من الطرف
- ٢٦٢ - ذكر وفاته
- ٢٦٢ - وفاة بهاء الدين قراقوش الخادم
- ٢٦٣ - وفاة العماد الكاتب واسمه محمد بن محمد وسيرته
- ٢٦٦ - وفاة محمد بن المبارك بن محمد ابو غالب البصري
- ٢٦٧ سنة ٥٩٨ هـ
- ٢٦٩ سنة ٥٩٩ هـ
- ٢٧٠ سنة ٦٠٠ هـ
- ٢٧٣ سنة ٦٠١ هـ
- ٢٧٤ سنة ٦٠٢ هـ

٢٧٥	سنة ٦٠٣ هـ
٢٧٨	سنة ٦٠٤ هـ
٢٨١	سنة ٦٠٥ هـ
٢٨٢	- وفاة الخضر بن محمد بن علي الجزري
٢٨٢	- وفاة محمد بن بختيار بن عبد الله
٢٨٥	سنة ٦٠٦ هـ
٢٨٧	سنة ٦٠٧ هـ
٢٩٠	سنة ٦٠٨ هـ
٢٩٤	سنة ٦٠٩ هـ
٢٩٦	سنة ٦١٠ هـ
٢٩٧	سنة ٦١١ هـ
٢٩٩	سنة ٦١٢ هـ
٣٠٥	سنة ٦١٣ هـ
٣٠٨	سنة ٦١٤ هـ
٣١٣	سنة ٦١٥ هـ
٣٢١	سنة ٦١٦ هـ
٣٢٣	- استيلاء الفرنج على دمياط
٣٢٩	سنة ٦١٧ هـ
٣٣٩	سنة ٦١٨ هـ
٣٤٤	سنة ٦١٩ هـ
٣٤٨	سنة ٦٢٠ هـ
٣٥١	سنة ٦٢١ هـ
٣٥٧	سنة ٦٢٢ هـ
٣٦٥	سنة ٦٢٣ هـ
٣٦٨	سنة ٦٢٤ هـ
٣٧٠	سنة ٦٢٥ هـ
٣٧٣	سنة ٦٢٦ هـ
٣٨١	سنة ٦٢٧ هـ
٣٨٦	سنة ٦٢٨ هـ

٢٨٩	- ذكر نبذ من سيرته وصفته
٢٩١	سنة ٦٢٩ هـ
٢٩٢	سنة ٦٣٠ هـ
٤٠١	سنة ٦٣١ هـ
٤٠٣	- وفاة شهاب الدين طغرل الخادم اتابك حلب
٤٠٣	- الشيخ عبدالله الارمني
٤٠٤	- وفاة السيف الأمدي ابو القاسم
٤٠٧	سنة ٦٣٢ هـ
٤٠٩	سنة ٦٣٣ هـ
٤١١	سنة ٦٣٤ هـ
٤١٤	سنة ٦٣٥ هـ
٤١٦	- السلطان الملك الكامل ناصر الدين
٤١٨	- وفاة السلطان الملك الاشرف مظفر الدين
٤٢٠	سنة ٦٣٦ هـ
٤٢٥	سنة ٦٣٧ هـ
٤٣١	سنة ٦٣٨ هـ
٤٣٣	سنة ٦٣٩ هـ
٤٣٤	سنة ٦٤٠ هـ
٤٣٥	سنة ٦٤١ هـ
٤٣٧	سنة ٦٤٢ هـ
٤٤١	سنة ٦٤٣ هـ
٤٤٥	- وفاة ربيعة خاتون بنت ايوب بن شاذي
٤٤٦	- وفاة تقي الدين عثمان بن الصلاح
٤٤٧	سنة ٦٤٤ هـ
٤٥٤	سنة ٦٤٥ هـ
٤٥٦	سنة ٦٤٦ هـ
٤٦٣	سنة ٦٤٧ هـ
٤٨١	- وفاة الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ
٤٨٤	سنة ٦٤٨ هـ

٥٠٦	سنة ٦٤٩ هـ
٥٠٨	سنة ٦٥٠ هـ
٥١٢	سنة ٦٥١ هـ
٥١٤	سنة ٦٥٢ هـ
٥٢١	سنة ٦٥٣ هـ
٥٢٣	سنة ٦٥٤ هـ
٥٢٨	سنة ٦٥٥ هـ
٥٣١	فهرس الآيات القرآنية
٥٣٣	فهرس الاماكن والبلدان
٥٥٩	فهرس الاعلام
٥٧٧	المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق
٥٩٣	فهرس المحتويات
٦٠٣	ملخص باللغة الكوردية
٦١٠	ملخص باللغة الانكليزية
٦١٣	ملحق رقم (١)
٦١٥	ملحق رقم (٢)
٦١٩	المحقق في سطور





زانكۆی دهوك

میزووی دهولهتی كورد و تورك
میزووی دهولهتی كورد

نووسهرمهکی نهناسراوه
پشتی سالا ۱۲۵۷/۶۵۵ز مرییه

لیکۆلینهوه و ساغکردنهوه

دکتۆر

موسا موستهفا ههسنی

ژ ووشانین زانکۆیا دهوك

ز ۲۰۱۰

ه ۱۴۲۰

ك ۲۷۱۰



پوخته

كلتور سهرچاومیهکی گرنگی زانیاری ههر میللهتیکه زۆریه ی ئەمەش لەشیۆه
کتیپی دەست نووسه، که وهك سهرچاومیهکی زانیاری گشتی تهماشاشا دهكریت.
ئهمانه به زۆری له ژمارهدا له تاكه دەست نووسيك تیناپهرن و له کتیبخانیهك
(یان زیاتر داتراوه، که سهرجهه بهرههه می ئەو میللهتهی تیدا پارێزراوه) که له
دووئۆی یاساکانی (رامیاری، کارگیری، نابوری، کۆمهلایهتی، ئاودانکردنهوه) پیک دیت،
ئهمه سهرهراي ئەوهی که باسیان له بوارهکانی رۆشتیری مرۆفاهیتهی کردوه.
لهم روانگهیهوه و بهوه پهڕی له خۆبوردنهوه لیکۆلینهوه وساغکردنهوهی
دهستنووس (میژووی دهولتهی کورد و تورکا) مان خستوته پیش دەست، که بهشی
تایبهتی سهر به میژووی (دهولتهی کورد)ه، که له لایهن نووسهرهکهی نهانسراوه
نووسراوتهوه، ههروهها دهبیت نامازه بهوه بدیهن که بهشهکانی دیکه ی ئەم دەست
نووسه بزربوون، ئەوجا له بهر ههر هۆکارێک بێت، ئەوهی له بهر دهستماندايه تهنها
دهست نووسه و هاوشیۆه دیکه ی نییه، ئەم هسهیهش بۆیه دهکهین چونکه گهلیک
بهداویدا گهراوین، پاش ئەوهی زانیاری تهواومان له باره ی ئەوهی که کهسیکی تر هیچ
شتیکی لهم پوهوه پیشکەش نهکردوه، بۆیه بهم ئهرکه ههستاین. شایهنی باسه ئەم
بهشه تایبهته به میژووی دهولتهی کورد، مه بهستمان (دهولتهی کوردی ئەیوبی) یه، که
له سهرمقای (٥٧١ ک/١١٧٥م) دەست پێودهکاته، که له سهر پاش ماوهی دهولتهی
ئهتابکهی زهنکی و پاش مردنی شاه (نور الدین محمود بن عماد الدین زنگی اقتستو
الحاجب، سالی (٥٦٩ ک/١١٧٣م) دامهزرا، ئەوهش له سهر دهستی سوئتان (صلاح الدین
یوسف بن نجم الدین ایوب الروادی الهذیانی الکوردی) بوو.
شایهنی باسه کۆتایی (دهولتهی کورد) له ههر دوو لایهنی زانستی وتیۆرییهوه له
میسردا له سالی (٦٥٢ ک/١٢٥٤م)ه، پاش ئەوهی مه مالیکی بهنی ئەیوب کۆدهتایان لهسهر
گهورهکانی خۆیان و له سالی (٦٤٨ ک/١٢٥٠م) ئەنجام دا، بهوهی که شاه (توران شاه بن
سلطان الصالح نجم الدین ایوب) کوژرا، که بهو دوماهی سوئتانهکانی بهنی ئەیوب له

میسروا دەژمیژردییت، بەمەش پەردە لە سەر میژووی دەولەتی گورد لە ولاتی شام و لە سالی (٦٥٨ ک) دا لەسەر دەستی مەغولەکان دادەریت، وا دەرکەوت کە هەندیک بەر پەری دەست نووسە کە کیماس تیدا بوو، هەر وەها لایەنکی دیکە گرنگ- ئەمەش بە پیتی بۆچوونی خۆم- دەبییت ناوری ئی بدریتەوه، ئەویش کۆتایی دەولەتی کوردیی ئەیوبییه، مەبەست کۆتاییەکیەتی لە میسردا، چونکە ئەو لقە ئەیوبییهی کە حوکمرانی ولاتی شامیان دەکرد تا سالی (٦٥٨ ک/١٢٥٨م) تا وەکو مەغولەکان بەسریاندا هاتن هەر حوکمرانیان دەکرد.

شایەنی باسە لە نیوان میژوو نووساندا و لەم رۆمە ناکۆکی هەیه، هەندیکیان وا بۆی دەچن کە بەکوژرانی پاشای موعوزەم توران شاه لە سالی (٦٤٨ ک/١٢٥٠م) کۆتایی دیت و (شجر الدر) بەیەکیەمین سولتانی مەمالیک لە میسروا دادەریت، بۆچوونی پێشوو هەر لەسەر ئەم بناغەیه بنیات نراوه.

بە بۆچوونی خۆم رای ئەوان هەر لە سەر حوکمرانی (شجر الدر)، ئەمەش دورست بوونی دەولەتی مەملوکیه، بەم پێیه دەتوانین سولتانیهتی (شجر الدر) بە درێژه پیدانی دەولەتی ئەیوبی دابنێن. هەر بەم شیوهیه (ابن ایاس) یش، هەمان بۆچوونی لەم رۆمە هەیه، هەر وەها ئەوهی وتوو کە ناوی (شجر الدر) لە سەر پارە تۆمارکراوه، بەم شیوهیه دەتوانین (شجر الدر) بە یەکیک لە سولتانهکانی ئەیوبی بژمێرین.

سەرەرای ئەمەش دەتوانین حوکمرانییهکی بە قۇناعی گواستەوه لە نیوان کۆتایی دەولەتی ئەیوبی و سەرەلانی دەولەتی مەمالیکی دەریایی بژمێریت. لەگەڵ ئەوهی کە مەمالیکەکان هەولتی زۆریاندا کە لە ژێر حوکمرانی ئەیوبییه کەن دەربچن.

شایەنی باسە سەکردنی پارە لە ژێر ناوی ئەیوبییهکان بوو، ئەمە سەرەرای ئەوهی کە لە خوتبەیه هەینیدا ناویان دەهێنرا، ئەمە تا سالی (٦٥٢ ک/١٢٥٤م) بەردەوام بوو، کاتی کە عز الدین ایبک (الملك المعز) هەستایە دورخستنهوهی مەلیک (الاشرف موسی الایوبی) و هەموو ری ورسمی سولتانی خستە ژێر دەستی خۆیهوه، ئەوهی ئەم بۆچوونه راستان دەکاتەوه میژوو نوس (العصامی المکی) یه (١١١١ ک/١٦٩٩م)، کە لە دووتویی رووداوهکانی سالی (٦٥٢ ک/١٢٥٤م)، باس لەم دورخستنهوهیه دەکات، واتە دورخستنهوهی مەلیک (الاشرف موسی الایوبی). بەم شیوهیه دەولەتی ئەیوبی حوکمرانیان لە میسردا کۆتایی پیدیت، بەلام ئەو سئ سائەهی کە نووسەر باس لە

رووداومكانى دهكات، تا كۆتايى (۶۵۵ ك/۱۲۵۷م)، ئەمە زياتر لە شىكردنه وههيك بهخۆوه دهگريت، ئەوهش به پىتى بۆچۆونى خۇم، رەنگە دانەر كوشتنى (شجر الدر) ى، به كۆتايى حوكمرانى ئەيوبىيەكان دانابى، چونكە (روم لاندو) يش هەمان بۆچۆونى هەيه. بۆچۆونى دووهم بۆ ئەوه دەچىت كەسىماى هەرە ديارى ئەو سالانە، لەوه دايە كە مملانى و بەرەرهكانىكى زۆر لە نيوان ئەيوبىيەكانى شام و مەمالىكى مىسروا هەبوو.

شاپەن سەرەنجه دەست نووسە كە لە گەل ئەوهى كە ناوئيشانەكەى تايبەتە به دەولەتى كوردووه، بەلام دەتوانين ئەوه بلىن كە ئەمە جۆرىكە لە ميژووى گشتى، كە نامازە به روداوهكان دەكات، كە لە جيهانى ئىسلاميدا پوى داوه و سەرەرا تيشك خستى لەسەر دەولەتى ئەيوبى، بۆ نموونە ئەو روداوانەى كە لە خۆر هەلاتدا رووى داوه تيشكىتكى گشتى دەخاتە سەريان و بەتايبەت ئەو پەيوەندييەى كە دەولەتى خەوازىرى لە گەل مەغولەكاندا هەيان بوو.

هەرودها ئەو روداوانەى كە لە ولاتى مەغريب و ئەندەلوسدا و لەسەر دەمى (موحدين) داخستۆتە روو، ئەمەش بەتايبەت لەسەر دەمى (يعقوب بن يوسف بن عبدالؤمن) دا، سەرەراى ئەمەش ئەو بەرەرهكانىيەى كە لە نيوان (ملك قشتاله) دا هەيبوو كە بەشەرى (زلاھە)ى ناوه دەبات.

هەرودها باس لە گەشتى ژيانى مەليك (النصور ابو يوسف يعقوب- ۵۹۵ ك/۱۱۹۸م) دەكات، سەرەراى ئەمەش ئەنصارى هەوالەكانى خيلافەتى عەباسى لەبەر نەكردوو، سەرەراى ئەمەش گەليك هەوالى راميارى و ئابورى و چقاكى و رۆشنىيرى و روداوى سەروشتى ئەم بابەتەوه خستۆتە پيش دەستى ئيمە، ئەمە سەرەراى باسى مردنى ناوداراتى ئەو سەردەمە.

ئيه لەم كارەدا وئەيهەكى لە بەرگىراوى فتركەى (احياء المخطوطات) ى زانكۆى دەولەتى عەرەبىيەكانى (القاهرە، مان، دەست كەوتوووه لە جياتى ئەو دەست نووسەى كە لە كتيبخانەى (حكيم ئوغلو) ە، و ژمارە (۶۹۵) ى پيڊراوه، بەلام ئەوهى جيى داخە لاپەرەى (۱۶۶) ى ليكەوتوووه، رەنگە ئەمە هەئەى وئەگرتى بىت، لە گەل ئەوهى هەولتيكى زۆرم بۆ و دەست هينانى وئەنى (هاهيرە و حكيم ئوغلو) دا، بەلام تيدا سەرگەوتوو نەبووم، بەلام ئەمە لە بەهاى دەست نووسەكە كەم ناكاتەوه چ لە روى

ناوهروك، یان ناویشانی باسهكهوه، بهم پییه ئەم دەست نووسه بهسەر چاوهیهکی گرنگی میژوووی ئیسلامی ناو دەبریت، بەتایبەت دەربارەوی دەولەتی کوردی ئەویبوی. سەرەرای ساغ کردنەوی دەست نووسهکه لیکۆلینەوهیهی گشتی لەم رووهوه کراوه و تەمە بهسەر پینچ بەشدا دابەش کراوه:

لە بەشی یەكەمدا: راستی ئەم دەست نووسەم ساغ کردۆتەوه.

بەشی دووهم: لیکۆلینەوه لە سەر دانەر کراوه.

بەشی سێیەم: رێبازی کتیب و شیوازی دانەر شروقه کراوه.

بەشی چوارەم: لە سەر چاوهکانی (نووسەر) کۆتراووتە.

بەشی پینجەم: که کۆتایی بابەتەکهیه، باس لە گرنگی ئەم دەست نووسه کراوه.

شایەنی سەرئەجە لیکۆلینەوه که سی پاشکۆ بهخۆوه دەگریت، پاشکۆی لەسیداره دراوەکان، ناوی جیگای و شوپنەکان، نایەتەکانی قورئانی پیرۆز، و هەرودها رووداوەکان و ئەو وەرگێراوانەهی کەتیدا هاتوو هەموو بەراورد کاری لە گەن چەند سەرچاوهیهکی دیکەدا بۆ کراوه، ئەمە سەرەرای سەرئەجە راکێشانی خۆنەر بۆ چەندین گەسی ناوداری ئەو سەردەمه، هەرودها باس لە شار و پیگه و رێبازە ناویزەکانی ئەو سەردەمه کراوه، ج دەبارەوی زمان، یان شارستانی ئەو سەردەمه، هەر دیسانهوه هەولێ ئەوم داوه کەتیشک بخەمه سەر نووسراوهکان، گرنگتریانیان دەست نیشان بکەم.

شایەنی سەرئەجە دەبیت نامازە بهوه بەهەم که کاتیك بابەتیک یەك دەست نووس هەبیت، لیکۆلەرەن هەولێ ئەوه دەدەن که خۆیان لەم بەرهههه دوربگرن، چونکه کاری لەم شیوهیه دەبیتە جیگای گەنگەشه لەسەر کردن، بەلام ئەگەر چار ناچار بن و هیچ شتیکی تر نەبیت، ئەوه دەبیت کاریك بکریت بۆ ئەوهی لایەنیکی روون نەکراوه تیشکی بخریته سەر، منیش هەر لەبەر ئەم هۆکاره بهم ئەرکه رابووم، هیواداریشم توانیبیتەم که لەم رێگهوه خزمەتیکی میللهتەکهه کردبیت، دیسانهوه هیوادارم خومەتم قبول بقرموون..

دکتۆر

موسا موستهفا هەسنی



and its consequences ⁽¹⁾. He also presents a long biography of King Al-Masur Abu Yusuf who died in (595 A.H./1198A.D.)⁽²⁾. Moreover, the author writes about the events that took place in Baghdad, the capital of Abbasid caliphate and some other important economic, social, cultural and natural events.

I have used a photocopy of manuscript available at the Arab League Institute of Manuscripts in Cairo. Unfortunately, page 166 is missing and page 197 is disfigured. I spared no effort to get these two pages from the original manuscript at Hakeem Oghlu Ali Pasha Library but in vain. The manuscript, nevertheless, is an important source of Islamic History, in general, and the history of The Ayyubid Kurdish State, in particular. In addition to verifying the manuscript, I have written a five- chapter book about the manuscript. Chapter one tries to establish the authenticity of the document whereas chapter two is a biography of the author. Chapter three deals with the authors historic methodology and chapter four discusses the author sources. Chapter five is devoted to the significance of document. The book has three appendices: Places, and Qur anic Verses. I have also compared the events and biographical information with other sources and indicated the differences, if there are any. I have also referred the reader to some selected references. Furthermore, I have defined the persons, cities, location, and other linguistic and cultural terms in manuscripts.

Dr. Mousa Mostafa Al- Hasanyany
University of Duhok
College of Arts
Dept. of Histoy
2010 AD/1430 AH

(1) Page 61- B.

(2) Page 66- A- B- 67- A- B- 98- A- B.

Mamluk Sultan ^(١). In my opinion these historians consider Shajarat Al- Dur the first Mamluk Sultan because her accession to power led to the foundation of the foundation of the Mamluk state. I agree with the historian Ibn Ayas ^(٢) who list her among Ayyubid Sultan in Egypt since she used the title "Ayyubid" in her official seal and coins. ^(٣) Her rule can be considered a transitional stage between the Ayyubid State and the Mamluk Bahri State. Although the Mamluks were ruling Egypt, the name of the Ayyubid Sultan, Al- Ashraf Musa, was stamped on coins and mentioned in Friday sermons until (652 A.H./1254 A.D.) when Izzuddin deposed him and proclaimed himself the first Mamluk Sultan. The historian Al- Isami Al- Maki ^(٤) (died 1111 A.H./ 1699A.D.) considers the dethronement of Sultan Al- Ashraf the end of the Ayyubid rule in Egypt. According to the author, the assassination of Shajarat Al- Dur in (655 A.H./ 1257 A.D.) put an end to the Ayyubid rule in Egypt. The historian Rome Lando ^(٥) also considers her the last Ayyubid Sultan. the author, however, kept recounting the events in Egypt until (655 A.H./ 1257 A.D.). In my opinion, this may be explained by the fact that the conflict between the Mamluks in Egypt and the Ayyubids in Syria was not over yet.

In addition to its extensive coverage of related to the Ayyubid State, the manuscript recounts the important events took place in different parts of the Islamic World at that time. For example, it covers the relation between the Alfonsso VIII and Yaqub bin Yusuf bin AbdilMumin in Andulsia. the author devotes his recount of the events of (591 A.H./ 1194 A.D.)to the battle of Zalaqa ^(٦) between the two sides

(١) Al- Maqirizi: Al- Suluk, vol. part 2: 361.

(٢) Bai Al- Zuhor: vol. 89.

(٣) See ibn Alwardi (Tatimat Al- Mukkhtasar fi Akhbar Al- Basha'r) vol 2: 183, Al- Suluk, vol 1, part 2: 362, Al- Aini (Aqd Al- Juman: 29).

(٤) Al- Isami- AL- Maki (simt Al- Nujum Al- Awali fi Abna Al- Awail wal Al- Tawali, vol 4: 15.

(٥) Islam and The Arabs: 98.

(٦) Page 60- A- B- 61- A.

Abstract

Manuscripts are significant they shed light on the contributions made by different nations to human culture in the fields of politics, administration, economics, sociology and architecture. This study reviews and verifies the first volume of book entitled "The History of the State of the kurds and the Turks", namely "The History of the State of the kurds" For an unknown author who died after the year (655 A.H./ 1257 A.D.). It is worth mentioning that the other volumes are lost. Moreover, there is only one copy of the volume under study. After making sure that the volume has not been reviewed or verified by any other researcher and that there are no other copies of the manuscript, we made up our mind to verify it. As the title indicates, the manuscript deals with history the Kurdish State, namely the Kurdish Ayyubid State which was founded by Sultan Saladin (Salah al- Din) Yusuf bin Najm ad- Din Ayyub, the Rawadi Hadhabani kurd in (571 A.H./ 1175 A.D.) after the fall of Zengid kingdom following the death of King Nur ad- Din Mahamud bin Imad ad- Din Zengi in (569 A.H./ 1173 A.D.).

The historian adopted the annual system in his recount of the historical events related to the Ayyubid State starting with its foundation in (571 A.H./ 1175 A.D.) till (655 A.H./ 1257 A.D.). It seems that some pages are missing as The Ayyubids continued to rule Syria until 658 AH when they were driven out by the Mongls, whereas the Ayyubid rule in Egypt ended in (652 A.H./ 1254 A.D.) following the assassination of Al- Muazzam Turanshah bin Sultan As- Salih Ayyub, the last Ayyubid Sultan by his Mamluks (slaves) in (468 A.H./ 1250 A.D.). In fact historians disagree on the end of the Ayyubid State in Egypt. Some historians think that the Ayyubid rule in Egypt ended when Sultan Turanshah was murdered in (648 A.H./ 1250 A.D.) and that Shajarat Al- Dur was the first



University of Duhok



**The History of the State of the
Kurds and Turks
The History of the State of the Kurds**

An unknown author
Who died after the year
(655 A .H./ 1257A.D.)

Verified by
Dr. Mousa Mostafa Al- Hasanyany

University of Dohuk Publication

2710 K

1430 H

2010

الملحق رقم (1)

سبق وان اشرنا الى نقص في الورقة (١٦٦) وقلت ربما انها سقطت سهواً اثناء التصوير، وتأكد ذلك بعد ان سهل الله عز وجل الحصول عليها بجهود الاكاديمية الكوردية، وبما ان الخطوط كان قد اتخذ الشكل النهائي من حيث التصميم والاعداد للطباعة، لذلك لم يكن بالأمر اليسير تغييرها واملئ ذلك الفراغ واتماماً للفائدة أرتأينا ان نلحقها بالاصل بدلاً من اصدارها على شكل كراس من عدة اوراق بشكل متفرّد.

الا ساعة وقد اقبلت حتى سدت البحر فضربت الكوسات، وصاحت الجاوشية وركبت العساكر ولبسو السلاح وطلبوا الاطلاق، وساقوا الى ساحل البحر واصطفوا عليه واقبل العدو وبوقاتهم تنعر ومعهم بطساً كالجبال فلما قتربوا من البر ارسو وكفو القلوع على الصواري، فهال الناس كثرتهم، بحيث انهم كانوا شبهو الصواري العائمة بقوطة دمشق، وسكتو بحيث لا كان يسمع لهم حس، ولبس اصطول المسلمين، وتزين بالسلاح، وضربو الطبول والبوقات وتحركو وسارو يطلبون فم البحر، وهم سايرون تتلو بعضهم بعض كالجبل [...] ^(١) فاجتمو في فم النيل الذي يسكب في البحر المالح، وكانت شواني الفرنج قد تقدمت الى فم البحر فتقاتلو اشد قتال، فظهر اسطول الفرنج على اسطول المسلمين، فالتجو الى فم النيل، فكان العسكر المطلب على ساحل البحر يحموهم بالنشاب من طرفي النيل، وبقي المسلمون والفرنج كل منهم على حاله في مكانه، وباتو تلك الليلة على تلك الحال الى بكرة نهار السبت والناس على حالهم، وبقو الى ان طاب لهم الريح، فارسلو شخاتير صفار مقببة لا يضرهم رمي النشاب، فتقدمو لعبور البحر وعلمو الجهة التي يتقدم فيها البطس، فطو الشراعات ونشروها، ونفخت الابواق، وتحركت البطس وحرك الاسطول الاسلامي وصاحو بالبحرية وتقدم للفرنج خمس بطس [١-١٦٦] هاييلة من ناحية البرزخ، وقد اصطفت العساكر الاسلامية قبالتهم في البر اطلاقاً يرشقونهم بالسهم،

(١) ما بين الحاصرتين كلمة لم اتمكن من قراءتها.

فلما صار بينهم وبين البر مقدار رمية نشاب فتحو ابواب البطس وخرج منهم فرسان شاكين في سلاحهم فرفسوا الخيل ورموها في البحر، عامت ثم طلعت الى البر، وساقوا على من قدامهم من المسلمين في البر كشفوهم عن الارض، وملكو البر والرجالة لكبر^(١) [...] يرمي انفسهم من البطس والمراكب وفي ايديهم الجروح^(٢)، وهم يخصوصون في البحر ويطفون الى البر، وكذلك الخيالة، فصار منهم في البر خلق كثير، وفي الحالة الراهنة استدار الرجالة حول الخيالة بالبقوش^(٣) ونصبو الستائر والطوارق واقاموا في الحال كنيسة لها ثلاثين زرقا بصلبان حمر، وشرعوا في حفر الخندق حولهم، وما باتوا الا وقد نزل الملك وجميع من معه من المقاتلة والخيالة والرجالة في البر، وبات الناس على اسوء حال، فانهم ما كانوا يعتقدون انهم يملكون البر في شهرين، فتحقق الناس كثرتهم، وعلو همة ملكهم، وضعف المسلمين. فلما كان صباح يوم الاحد قد قتل من المسلمين الامير [صارم]^(٤) الدين الوزير الذي وصل من حلب، ونجم الدين ابن شيخ الاسلام الهكاري، وايقن الناس بالخذلان، ودخل الامراء الذي رتبهم السلطان بدمياط ونزل كل امير في برجه الذي عين له، ووقف عسكر المسلمين بينهم وبين دمياط [١٦٦ب]^(٥).

(١) ما بين الحاصرتين كلمة لم اتمكن من قراءتها.

(٢) الجروح: جمع جرح، وهي آلة حربية من اسلحة الرمي، كانت تستعمل لرمي السهام والنقط المشتعل والحجارة، الاصفهاني، الفتح القسي، هامش (٧) ص ١٠٤، انظر ايضا: حسين، الجيش الايوبي، ص ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٣) البقوش: لو اتوصل الى تعريف محدد لها، ولكن يبدو من سياق الكلام انها كانت نوعا من الاسلحة الفردية.

(٤) ما بين الحاصرتين بياض في الاصل، والاضافة من: ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٥٨، النويري، نهاية الارب، ٣٣٤/٢٩.

(٥) لم ترد هذه المعلومات بتلك التفاصيل في المصادر المتوفرة بين ايدينا.

الملحق رقم (2)

اشرت في الصفحة (٥٣٢) هامش رقم (٢) الى التشوه الذي اصاب الورقة (١٩٧) وتعذر قراءتها بسبب ذلك، ووفقنا في الحصول عليها مع الورقة (١٦٦) المذكورة في الملحق الاول. والجدير بالذكر ان الصفحة [١٩٧-ب] هي اضافة الى المخطوط من قبل شخص اخر مثل الورقة [١-١]، ويمكن ملاحظة ذلك بمجرد النظر اليها لشكل الخط المختلف عن عموم المخطوط، وان الصفحتين لم يكتبها نفس الشخص للاختلاف الواضح بينهما، والاكثر من ذلك ورد في يسار هامش [١٩٧-ب] الاشارة الى هذه الاضافة ((هذه الورقة بخط العالم المؤرخ المحدث [...] ^(١) رحمه الله.

عند الملك الكامل، وعاد الى الكرك ولما حصل الخلف بين الملك الكامل والملك الاشرف سير اليه الملك الكامل القاضي الاشرف القاضي الفاضل، وسير اليه الملك الكامل، وكتب اليه كتاباً اوله:

وما شيت الا ان اذل عواذلي على ان يرى في هواك الصواب
واعلم قوما فارقوني وشرقو وغربت اني قد اصبت وخابو

فاعجب الملك الكامل ذلك، ووصل الى خدمته ولم يزل الى ما جرى له مع الملك الصالح نجم الدين مما شرحناه الى ان توجه الى حلب، وسلم اولاه الكرك ^(٢) وبقي في خدمة الملك

(١) كلمتان لم اتمكن من قراءتهما، ويبدو انها اسم الكاتب ولقيه.

(٢) سلموها للسلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م. المقرئ، السلوك، ج ١ ق ٢ ص ٢٣٨، الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٥٣، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مخطوط)، ق ١ ص ١٠٠-ب ١٠١-أ.

الناصر واعتقله، ثم أخرجته وتوجه الى بغداد، فلم يقبلوا عليه^(١) وعاد الى الشام، ثم توجه الى بلد الشوبك وانتمى الى عرب هناك كان له عليهم احسان ايام ملكه، فسير الملك المغيث بن العادل لزمه واعتقله، ثم اطلقه وتلاشت به الاحوال الى ان توفي على ما ذكرنا. وفيها توفي الملك المعز عزالدين ايبك^(٢) التركماني الصالحي، وهو اول ملوك الاتراك كان مملوكاً للسلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب، وتقدم عنده، واعطاه خبز ماية وعشرين فارساً، وكان شهماً جواداً كريماً شجاعاً مقداماً، وقد ذكرنا صورته تملكه النديار المصرية، وانه لم يقتل الملك المعظم بن الملك الصالح كان من جملة من وافق على قتله، وانهم تركوه اتابكاً للخاتون الملكة شجرالدر، وانه بذل واعطا وبسط وجهه للبحرية وطول روحه، ثم رأوا ان الحال ما يمضي بسلطنة شجر الدر، وكان يخطب لها على المنابر.

[١٩٧].

على المنابر ويكتب اسمها على الدرهم والدينار فسأت السمعة بذلك، وسلطنوا الاشرف بن صلاح الدين يوسف بن الملك المسعود بن الكامل، وخطب له وضرب الدرهم والدينار بأسمه ظاهراً، وفي الباطن ليس له حكم ان ياكل لقمة بغير امر الملك المعز اتابكة الى ان ضرب المصاف مع الملك الناصر كما تقدم شرحه، فتمكن الملك المعز وتزوج شجر الدر وظهره على خزائن الملك الصالح وامواله التي ما كان يعلم بها احد سواها، وزاد تمكنه الى ان مل الامير فارس الدين اقطاعي، وركب بالصناجق وظهر السلطنة لنفسه، وعظم شأنه، ومال الى زوجته والدة ولده الملك المنصور نور الدين علي وكان قد هجرها اكراماً لشجرالدر، وقتل الفارس اقطاعي وحصل له خزائن الملك الصالح. اعرض عن شجرالدر، وكانت تتعاضم عليه وتظهر ان الملك لها على الحقيقة، فخارت شجرالدر من اعراضه عنها، وكاتب الملك الناصر في السر واتفق الحال بينها وبينه ان تعمل على قتل المعز وتمسك

(١) كان قد اودع لدى الخليفة المستعصم بالله من الجواهر ما تساوي مائة الف دينار، غير انه لم يحصل منها على شيء رغم المطالبة بها، ابن واصل، مفرج الكروب، ١٥٢/٦، ١٨٣-١٨٧، ١٩٣.

(٢) قتل على يد زوجته شجرالدر. عن ذلك انظر: ابن واصل، مفرج، ١٩٤/٦-١٩٦، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٥، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٠، اليونيني، ذيل مرآة الزمان ٤٥/١٠-٤٧، الدواداري، كنز الدرر ٣٠/٨٠-٣٢، التويري، نهاية الارب، ٤٥٦/٢٩، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٠١-٤٠٣.

الملكة والبلاد الى ان يصل الناصر وتسلمها اليه وتتزوج به، ولم تزل تعمل على ذلك الى ان لاحت لها فرصة بدخوله الى حمام دارها، فأدخلت عليه سنجر كان مملوكاً لاقطاي^(١). فلما رآه المعز ارتاع لدخول مثله الى حمام النساء، صاح فيه فلكمه لكمة ضرب رأسه الارض، وجعل الجوار يضربنه بالقباقيب الى ان مات واخفي [...] على شجر الدر الى ان قتلتها مماليكه^(٢) والقيت تحت القلعة، ثم حملت وغسلت ودفنت^(٣).

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل

[١٩٧ب].

(١) كان سنجر مملوكاً لحسن الجورجي. ابن واصل، مفرج الكروب، ١٩٥/٦، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٥.

(٢) ما بين الحاصرتين كلمة لم اتمكن من قراءتها.

(٣) يقصد بهم مماليك الملك المعز.

(٤) عن مقتل شجر الدر انظر: ابن واصل، مفرج، ٢٠١/٦، ابو شامة، ذيل الروضتين، ص ٣٠١، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٠، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٦٥، الذهبي، دول الاسلام، ١٥٩/٢، المقرئ، السلوك، ج ١ ق ٢ ص ٤٠٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٦٨/٥.



المحقق في سطور



- من مواليد كردستان العراق سنة ١٩٥٧ م.
- حاصل على شهادة البكالوريوس- آداب في التاريخ الحديث-
جامعة الموصل- كلية الاداب- قسم التاريخ سنة ١٩٨٢ م.
- ماجستير آداب في التاريخ الاسلامي- (السياسي والحضاري)-
جامعة صلاح الدين (اربيل)- كلية الاداب- قسم التاريخ
سنة ١٩٨٩ م.
- دكتورا فلسفة في التاريخ الاسلامي (العلاقات الدولية)- جامعة صلاح الدين (اربيل)-
كلية الاداب- قسم التاريخ سنة ١٩٩٧ م.

قام بالتدريس في:

- الاكاديمية العسكرية- الكلية العسكرية الاولى (بغداد).
- جامعة صلاح الدين (اربيل)- كلية الاداب- قسم التاريخ.
- جامعة عمر المختار- كلية الاداب والتربية- قسم التاريخ (ليبيا- البيضاء).
- حالياً استاذ التاريخ الاسلامي المساعد- جامعة دهوك- كلية الاداب- قسم التاريخ.

من آثاره:

- سنجار من ٥٢١- ٦٦٠ هـ / ١١٢٧- ١٢٦١ م، دراسة في تاريخها السياسي والحضاري، دار سبيريذ
للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٥ م.
- السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد الايوبية في مصر وبلاد الشام ٦٢٤- ٦٥٨ هـ/
١٢٢٦- ١٢٦٠ م، دراسة في العلاقات الدولية في العصر الاسلامي الوسيط. وزارة الثقافة
لاقليم كردستان- العراق، ٢٠٠٧ م.
- شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية.
- كتب العديد من الابحاث والمقالات في المجالات والصحف.
- * من مؤسسي جمعية المؤرخين الكورد سنة ١٩٩٢ م.
- * عضو هيئة التحرير لمجلة (ميژوو = التاريخ) التي تصدرها جمعية الثقافة التاريخية
لكردستان (اربيل).



A S R